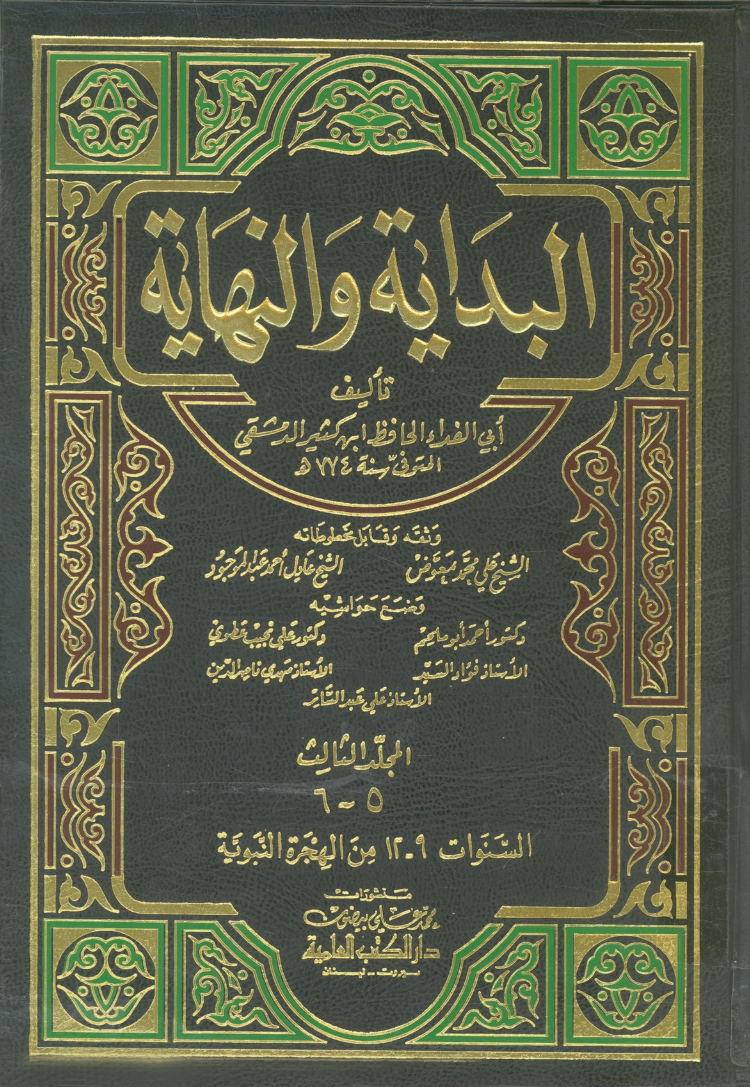

البداية والنهاية
تأليف
أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ
وثقه وقابل مخطوطاته
الشيخ علي محمد معوض
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
وضع حواشيه
دكتور أحمد أبو ملحم
دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد
الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر
المجلد الثالث
٥ - ٦
السنوات ٩ - ١٢ من الهجرة النبوية
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان





البداية والنهاية

تأليف
أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤هـ

وثقه وقابل مخطوطاته
الشيخ علي محمد معوض   الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه
دكتور أحمد أبو ملحم   دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد   الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر

الجزء الخامس

المحتوى:
السنوات ٩ - ١١ من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطَبعَة الأولى

١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ ـ ٩٤٢٤ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban



ISBN 2-7451-2781-0

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سنة تسع من الهجرة

ذكر غزوة تبوك(١) في رجب منها

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٨ ـ ٢٩] رُويَ عن ابن عبّاس ومُجاهد وعكرمة وسعيد بن جُبَير وقَتادة والضحّاك وغيرهم: أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره. قالت قريش: لينقطعنّ عنا المتاجر والأسواق أيام الحج، وليذهبنّ ما كنا نصيبُ منها؛ فعوّضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجِزْية عن يد وهم صاغرون.

قلت: فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحقّ لقربهم إلى الإسلام وأهله. وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: ١٢٣] فلما عزم رسول الله ﷺ على غزو الروم عام تبوك، وكان ذلك في حرّ شديد وضيق من الحال جلى للناس أمرها، ودعى من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه، فأوعب معه بَشَر كثير كما سيأتي قريباً من ثلاثين ألفاً، وتخلّف آخرون فعاتب الله من تخلّف منهم لغير عذر من المنافقين والمقصّرين، ولامهم ووبّخهم وقرّعهم أشد التقريع، وفضحهم أشدّ الفضيحة، وأنزل فيهم قرآنا يتلى، وبيّن أمرهم في سورة براءة كما قد بيّنا ذلك مبسوطاً في التفسير، وأَمَر المؤمنين بالنفر على كل حال. فقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤١ ـ ٤٢] ثم الآيات بعدها. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢] فقيل إن هذه ناسخة لتلك، وقيل لا، فالله أعلم.

---

(١) تبوك موضع بين وادي القرى والشام بينها وبين المدينة اثنتا عشرة مرحلة. والبوك: إدخال اليد في الشيء وتحريكه.

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجّة إلى رجب ـ يعني من سنة تسع ـ ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم. فذكر الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا، كلّ يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وشدّة من الحر، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار[١]، فالناس يحبّون المقام في ثُمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلّ ما يخرج في غزوة إلاّ كنى عنها، إلاّ ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيّنها للناس لبعد المشقّة وشدّة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد إليه[٢]، ليتأهّب الناس لذلك أُهْبَته. فأمرهم بالجهاد، وأخبرهم أنه يريد الروم. فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجَدّ بن قيس أحد بني سَلِمة: «يا جد هل لك العام في جِلاَد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تَفتِنّي؟ فوالله لقد عرف قومي أنه مَا رجل بأشدّ عُجْباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك» ففي الجدّ أنزل الله هذه الآية ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٩].

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق وإرجافاً[٣] بالرسول ﷺ، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٨١ ـ ٨٢]. قال ابن هشام: حدّثني الثقة عمن حدّثه عن محمّد بن طلحة بن عبد الرّحمٰن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جدّه قال: بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلم اليهودي ـ وكان بيته عند جاسوم ـ يُثَبّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فبعث إليهم طلحة بن عُبَيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرّق عليهم بيت سُوَيْلم، ففعل طلحة فاقتحم الضحّاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا، فقال الضحاك في ذلك:

كادت وبَيْتِ الله نارُ محمدٍ ... يشيط[٤] بها الضحّاك وابن أُبَيْرق

وظَلْتُ وقد طبّقت كبس[٥] سويلم ... أنوء على رجلي كسيراً ومِرْفق

سلامٌ عليكم لا أعود لمثلها ... أخاف ومن تَشْمُل به النار يُحْرَق

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش[٦]

---

(١) سقط في ط. (٢) يصمد إليه: يقصد إليه.

(٣) الإرجاف: الخوض في الأخبار السيئة وذكر الفتن.

(٤) يشيط: يحترق. (٥) كبس: بيت صغير.

(٦) في القاموس: كمّشه أعجله. وتكمش: أسرع، كأنكمش

وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا[١] وأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. قال ابن هشام: فحدَّثني من أثق به أن عثمان أنفق في جيش العُسْرَة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: « اللّهمّ ارضَ عن عثمان فإني عنه راضٍ».

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا هارون بن معروف، ثنا ضمرة، ثنا عبد اللّه بن شوذب، عن عبد اللّه بن القاسم، عن كثة مولى عبد الرَّحمٰن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفّان إلى النّبيّ ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهّز النّبيّ ﷺ جيش العسرة، قال: فصبّها في حجر النّبيّ ﷺ، فجعل النّبيّ ﷺ يقلّبها بيده ويقول: «ما ضرّ ابن عفّان ما عمل بعد اليوم»[٢] ورواه الترمذي عن محمّد بن إسماعيل، عن الحسن بن واقع، عن ضمرة به، وقال حسن غريب. وقاله عبد اللّه بن أحمد في مسند أبيه: حدَّثني أبو موسى العنزي، حدّثنا عبد الصَّمد بن عبد الوارث، حدَّثني سكن بن المغيرة، حدَّثني الوليد بن أبي هشام عن فرقد أبي طلحة، عن عبد الرَّحمٰن بن حباب السلميّ. قال: خطب النّبيّ ﷺ فحثّ على جيش العُسْرة، فقال عثمان بن عفّان: عليّ مائة بعير بأحلاسها[٣] وأقتابها[٤]، قال: ثم نزل مرقاة من المنبر، ثم حثّ فقال عثمان: عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحرّكها، وأخرج عبد الصَّمد يده كالمتعجب: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا»[٥] وهكذا رواه الترمذي عن محمّد بن يسار، عن أبي داود الطيالسي، عن سكن بن المغيرة أبي محمّد، مولى لآل عثمان به، وقال غريب من هذا الوجه.

ورواه البيهقي من طريق عمرو بن مرزوق، عن سكن بن المغيرة به، وقال: ثلاث مرّات، وأنه التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال عبد الرَّحمٰن: فأنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «ما ضر عثمان بعدها ـ أو قال ـ بعد اليوم».

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرَّحمٰن، عن عمرو بن جاوان، عن الأحنف بن قيس قال: سمعت عثمان بن عفّان يقول لسعد بن أبي وقّاص وعلي والزبير وطلحة: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من جهّز جيش العُسْرَة غفر الله له» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً[٦] ولا عقالاً؟ قالوا: اللّهمّ نعم[٧]! ورواه النسائي من حديث حصين به.

---

(١) احتسبوا: أخرجوا ذلك حسبة، أي جعلوا أجر ما بذلوا عند الله.
(٢) أخرجه الترمذي في المناقب باب ١٩، وأحمد في المسند ٥/ ٦٣.
(٣) الحلس: جمع أحلاس، كل شيء يوضع على ظهر الدابة تحت الرحل.
(٤) القتب: رحل صغير على قدم السنام.
(٥) أخرجه الترمذي في المناقب باب ١٩، وأحمد في المسند ٤/ ٧٥.
(٦) الخطام: جمع خطم، حبل في عنق الجمل ليقاد به.
(٧) أخرجه النسائي في الأحباس باب ٤، أحمد في المسند ١/ ٧٠.

فصل فيمن تخلف معذوراً من البكائين وغيرهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٦ - ٩٣].

قد تكلمنا على تفسير هذا كله في التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة، والمقصود ذكر البكائين الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم حتى يصحبوه في غزوته هذه، فلم يجدوا عنده من الظهر ما يحملهم عليه، فرجعوا وهم يبكون تأسّفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه. قال ابن إسحاق: وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، فمن بني عمرو بن عوف سالم بن عُمَير، وعُلْبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرّحمٰن بن كعب أخو بني مازن بن النجّار، وعمرو بن الحُمام بن الجَموح أخو بني سلمة، وعبد اللّه بن المغفّل المُزَني، وبعض الناس يقولون: بل هو عبد اللّه بن عمرو المزني، وهَرَميُّ بن عبد اللّه أخو بني واقف، وعِرْباض بن سارية الفَزَاري.

قال ابن إسحاق: فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النّضري لقي أبا ليلى وعبد اللّه ابن مُغَفّل وهما يبكيان؛ فقال: ما يُبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضحاً[1] له فارتحلاه، وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع النّبيّ ﷺ. زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وأمّا علبة بن زيد، فخرج من الليل فصلّى من ليلته ما شاء الله ثم بكى وقال: اللّهمّ إنك أمرت بالجهاد ورغّبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدّق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: **«أين المتصدّق هذه الليلة»** فلم يقم أحد، ثم قال: **«أين المتصدّق فليقم»** فقام إليه فأخبره فقال: **«أبشر فوالذي نفسي بيده لقد كتبتْ في الزكاة المتقبّلة»** وقد أورد الحافظ البيهقي ها هنا حديث أبي موسى الأشعري فقال: حدّثنا أبو عبد اللّه الحافظ، حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الحميد المازني، حدّثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي

---

(١) الناضح: البعير يستقى عليه.

بردة عن أَبي موسى قال: أرسلني أصحابي إِلى رسول الله ﷺ أسأله لهم الحملان إذ هم معه في جيش العُسْرة غزوة تبوك فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: **«والله لا أحملكم على شيء»** ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، فرجعت حزيناً من منع [(١)] رسول الله ﷺ ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليّ، فرجعت إِلى أصحابي فأخبرتهم [(٢)] بالذي قال رسول الله ﷺ، فلم ألبث إِلاَّ سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي: أين عبد اللّه بن قيس؟ فأجبته فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيت رسول الله ﷺ قال: **«خذ هٰذين القربتين وهٰذين القربتين وهٰذين القربتين»** لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد، فقال: **«انطلق بهنّ إِلى أصحابك فقل إِن الله أَو إِن رسول الله يحملكم على هؤلاء»** فقلت: إِن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إِلى من سمع مقالة رسول الله، حين سألته لكم، ومنعه لي في أول مرة، ثم إعطائه إياي بعد ذلك؛ لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله، فقالوا لي: والله إنك عندنا لمصدق ولنفعلن ما أحببت، قال: فانطلق أَبو موسى بنفر منهم، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله ﷺ من منعه إياهم، ثم إعطائه بعد، فحدّثوهم بما حدّثهم به أبو موسى سواء.

وأخرجه البخاري ومسلم جميعاً عن أَبي كريب، عن أَبي أسامة، وفي رواية لهما عن أَبي موسى قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من الأشعريين ليحملنا فقال: **«والله ما أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه»** قال: ثم جيء رسول الله ﷺ بنهب إبل، فأمر لنا بست ذود غرّ الذرى فأخذناها، ثم قلنا يعقلنا رسول الله ﷺ يمينه، والله لا يبارك لنا، فرجعنا له فقال: **«ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم»** ثم قال: **«إِني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيراً منها إِلاَّ أتيت الذي هو خير وتحللتها»** [(٣)].

قال ابن إِسحاق: وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية حتى تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير شك ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك بن أَبي كعب أخو بني سلمة، ومُرارة بن ربيع أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية أخو بني واقف، وأَبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف، وكانوا نفر صِدق لا يتهمون في إِسلامهم.

قلت: أما الثلاثة الأول فستأتي قصّتهم مبسوطة قريباً إن شاء الله تعالى، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [سورة التوبة: ١١٨] وأما أبو خيثمة فإنه عاد وعزم على اللحوق برسول الله ﷺ كما سيأتي.

فصل

قال يونس بن بكير عن ابن إِسحاق: ثم استتب برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير، فلما

---

(١) في ط: منبع. (٢) في ط: فاختبرتهم.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٨، ومسلم في الأيمان حديث ٨.

خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع[١] ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس، وضرب عبد اللّه بن أُبيّ عدو الله عسكره أسفل منه ـ وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين ـ فلما سار رسول الله ﷺ تخلّف عنه عبد اللّه بن أُبَيّ في طائفة من المنافقين وأهل الريب. قال ابن هشام: واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمّد بن مَسْلمة الأنصاري؛ قال: وذكر الدراوردي: أنه استخلف عليها عام تبوك سباع بن عُرْفُطة. قال ابن إسحاق: وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله، وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلاَّ استثقالاً له، وتخففاً منه، فلما قالوا ذلك، أخذ عليّ سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجُرْف[٢] فأخبره بما قالوا فقال: «**كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبي بعدي**»[٣] فرجع علي ومضى رسول الله ﷺ في سفره. ثم قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد ابن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم بن سعد بن أَبي وقّاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة. وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم، عن إبراهيم بن سعد بن أَبي وقّاص، عن أبيه به. وقد قال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدّثنا شعبة عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: خلّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «**أما ترضى أنْ تكونَ منّي بمنزلةِ هارون من موسى غيرَ أنه لا نبيّ بعدي**»[٤]. وأخرجاه مَن طرق عن شعبة نحوه. وعلقه البخاري أيضاً من طريق أبي داود عن شعبة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مُسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول له ـ وخلفه في بعض مغازيه ـ فقال علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: «**يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاَّ أنه لا نبي بعدي**»[٥] ورواه مسلم والترمذي عن قتيبة: زاد مسلم ومحمّد بن عباد. كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به. وقال الترمذي: حسن [صحيح][٦]، غريب من هذا الوجه.

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا خيثمة بعدما سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين[٧] لهما في حائطه قد رشّت كل واحدة منهما عريشها وبرّدت فيه

---

(١) ثنية الوداع: موضع.
(٢) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.
(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٩، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٣٢.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٣١، وأحمد في المسند ١/ ١٨٢، ١٨٣.
(٥) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٣٢، والترمذي في المناقب باب ٢١، وأحمد في المسند ١/ ١٨٥.
(٦) سقط في ط.
(٧) العريش: شبيه بالخيمة، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت. والحائط: البستان.

ماء، وهيأت له فيه طعاماً. فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله ﷺ في الضِّح [١] والريح والحر، وأبو خيثمة في ظلّ بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنَّصَف والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا زاداً ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وكان أدرك أبا خيثمة [عُمَيْر بن وهب] [٢] الجُمَحيّ في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذَنْباً فلا عليك أن تخلّف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة، فلما بلغ أقبل فسلّم على رسول الله ﷺ فقال له: «أولى لك يا أبا خيثمة»ثم أخبر رسول الله الخبر، فقال خيراً ودعا له بخير. وقد ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قصّة أبي خيثمة بنحو من سياق محمّد بن إسحاق، وأبسط، وذكر أن خروجه عليه السَّلام إلى تبوك كان في زمن الخريف فالله أعلم. قال ابن هشام وقال أبو خيثمة واسمه مالك بن قيس في ذلك:

لما رأيت الناس في الدين نافقوا ... أتيت التي كانت أعفَّ وأكرما

وبايعتُ باليمنى يَدي لمحمّد ... فلم أكتسب إثماً ولم أغْشَ محْرما

تركت خَضيباً في العَريش وصرمَة ... صَفَايا كِرَاماً بُسْرُها قد تحمّما [٣]

وكنت إذا شك المنافقُ أسْمَحَتْ ... إلى الدين نفسي شطرَه حيث يمّما

قال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق، عن بريدة، عن سفيان، عن محمّد بن كعب القرظي، عن عبد اللّه بن مسعود قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك، جعل لا يزال الرجل يتخلّف فيقُولون: يا رسول الله تخلّف فلان فيقول: «دعوه إنْ يكُ فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم، وإنْ يكُ غيرَ ذٰلك فقد أراحكم الله منه»حتى قيل: يا رسول الله تخلّف أبو ذرّ وأبطأ به بعيره، فقال: «دعوه إن يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»فتلوم أبو ذر بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازله، ونظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله: إن هذا الرجل ماش على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «كنُ أبا ذر»فلمّا تأمّله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»قال: فضرب [٤] ضربه، وسار أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا

---

(١) الضِّح: (بالكسر): الشمس.

(٢) سقط في ط.

(٣) الخضيب: المخضوبة. الصرمة: جماعة النخل. صفايا: كثيرة الحمل؛ البسر: الثمر قبل أن يطيب، وتحمما: أي أخذ في الإرطاب فاسود.

(٤) بياض في الأصل في النسختين ولعلها: فضرب الدهر ضربه. وكان مسير، إلى الربذة مبعداً في خلافة عثمان وقصته مشهورة وحكاية وفاته هذه مبسوطة في الجزء الأول من حلية الأولياء.

متّ فاغسلاني وكفّناني من الليل، ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمرّون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر فاستهل ابن مسعود يبكي وقال: صدق رسول الله يرحم الله أبا ذر: «**يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده**»، فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه[١]. إسناده حسن ولم يخرجوه. قال الإمام أحمد: **حدثنا** عبد الرزّاق، أخبَرَنَا معمر، أخبرنا عبد الله بن محمّد بن عقيل في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [سورة التوبة: ١١٧]. قال: خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وخرجوا في حرّ شديد، فأصابهم في يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها، فكان ذلك عُسْرة في الماء، وعسرة في النفقة، وعسرة في الظهر، قال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عتبة بن أبي عتبة، عن نافع بن جبير، عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدّثنا عن شأن ساعة العُسْرة فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى أن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصدِّيق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، فقال: «**أوتحبُّ ذلك؟**» قال: نعم! قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت[٢] السماء فأطلّت، ثم سَكَبتْ، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر، إسناده جيّد ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقد ذكر ابن إسحاق[٣] عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه: أن هذه القصة كانت وهم بالحجر، وأنهم قالوا لرجل معهم منافق: ويحك هل بعد هذا من شيء؟! فقال: سحابة مارة، وذكر أن ناقة رسول الله ﷺ ضلّت فذهبوا في طلبها فقال رسول الله ﷺ لعُمارة بن حزم الأنصاري - وكان عنده -: «**إن رجلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنه نبي، ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله لا أعلم إلاّ ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها هي في الوادي، قد حبستها شجرة بزمامها**» فانطلقوا فجاؤوا بها، فرجع عمارة إلى رُحله فحدّثهم عما جاء رسول الله ﷺ من خبر الرجل، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة: إنما قال ذلك زيد بن اللصيت[٤] وكان في رحل عمارة قبل أن يأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول: إن في رحلي لداهية وأنا لا أدري، اخرج عني يا عدو الله فلا تصحبني، فقال بعض الناس: إن زيداً

---

(١) أجنه: دفنه.

(٢) قالت أي استعدت وتهيأت. القاموس.

(٣) في ط: ساحاق.

(٤) كذا في الأصلين وفي التيمورية: الصلت، وفي الإصابة لصيت وقيل لصيب. وفي ابن هشام: اللصيت وقيل لصيب، ومثله في ابن جرير بالباء.

تاب، وقال بعضهم: لم يزل متهماً بشر[١] حتى هلك.

قال الحافظ البيهقي: وقد روينا من حديث ابن مسعود شبيهاً بقصة الراحلة، ثم روي من حديث الأعمش، وقد رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري ـ شكّ الأعمش ـ قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنُنحرُ نواضحنا فأكلنا وادّهنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا» فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قلّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعلّ الله أن يجعل فيها البركة، فقال رسول الله: «نعم!» فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة، ويجيء الآخر بكف من التمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلاّ ملؤوها، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيُحجب عن الجنّة»[٢] ورواه مسلم عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش به. ورواه الإمام أحمد من حديث سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة به، ولم يذكر غزوة تبوك، بل قال: كان في غزوة غزاها.

[ذكر][٣] مروره ﷺ في ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود وصرحتهم بالحِجر

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحِجْر نزلها واستقى الناسُ من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من مياهها شيئاً، ولا تتوضؤوا منه للصّلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً» هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد.
وقال الإمام أحمد: حدّثنا يعمر بن بشر، حدّثنا عبد الله بن المبارك، أَخْبَرَنَا معمر عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله عن أبيه: أن رسول الله ﷺ لما مرّ بالحِجْر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم» وتقنّع بردائه وهو على الرحل[٤]. ورواه البخاري من حديث عبد الله بن المبارك، وعبد الرزّاق، كلاهما عن معمر بإسناده نحوه. وقال مالك عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلاّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم»[٥]. ورواه البخاري من حديث مالك، ومن حديث

(١) كذا في الحلبية، وفي المصرية: لم يزل مصراً.
(٢) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٤٥، وأحمد في المسند ٢/٤٢١، ٤٢٢، ٣/١١.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ١٧، والمغازي باب ٨٠، وأحمد في المسند ٢/٦٦.
(٥) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٥٣، والمغازي باب ٨٠، والتفسير باب ٢، سورة الحجر، ومسلم في

سليمان بن بلال، كلاهما عن عبد اللّه بن دينار. ورواه مسلم من وجه آخر عن عبد اللّه بن دينار نحوه.

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا عبد الصَّمد، حدّثنا صخر ـ هو ابن جويرية ـ عن نافع، عن ابن عمر قال: نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحِجْر، عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا [فقال]: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم»[(١)] وهذا الحديث إسناده على شرط الصحيحين من هذا الوجه، ولم يخرجوه، وإنما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن عياض، عن أَبي ضمرة، عن عُبَيد اللَّه بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر به. قال البخاري: وتابعه أسامة عن عُبَيد اللَّه. ورواه مسلم من حديث شعيب بن إِسحاق عن عُبَيد اللَّه عن نافع به. وقال الإمام أَحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا معمر عن عبد اللّه بن عثمان بن خثيم، عن أَبي الزبير، عن جابر قال: لما مر رسول الله بالحِجْر قال: «لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح فكانت تردَ من هذا الفج[(٢)] وتصدر من هذا الفجّ، فعتوا عن أمر ربّهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله مَنْ تحت أديم السماء منهم إِلاّ رجلاً واحداً كان في حرم الله» قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «هو أَبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»[(٣)] إسناده صحيح ولم يخرجوه. وقال الإمام أَحمد: حدّثنا يزيد بن هارون، أَخْبَرَنَا المسعودي، عن إسماعيل بن واسط، عن محمّد بن أَبي كبشة الأنماري، عن أَبيه قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إِلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنودي في الناس الصلاة جامعة، قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم» فناداه رجل: نعجب منهم؟ قال: «أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسدّدوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً»[(٤)] إسناده حسن ولم يخرجوه. وقال يونس بن بكير، عن ابن إِسحاق، حدَّثني عبد اللّه بن أَبي بكر ابن حزم، عن العبّاس بن سهل بن سعد الساعدي ـ أَو عن العبّاس بن سعد الشك منّي ـ أن رسول الله ﷺ حين مّر بالحِجْر ونزلها استقى الناس من بئرها، فلما راحوا منها قال رسول الله

= الزهد والرقائق حديث ٣٨، وأحمد في المسند ٢/ ٧٢، ١١٣.

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ١٧، ومسلم في الزهد والرقائق حديث ٤٠، وأحمد في المسند ١١٧/٢.

(٢) في التيمورية: ترد من هذا الوجه وتصدر .. الخ. حققها محمود الإمام.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٩٦/٣ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٣١/٤.

ﷺ للناس: «لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضؤوا منه للصّلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم اللّيلة إلاً ومعه صاحب له» ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلاً رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته، فإنه خنق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى ألقته بجبل طيىء، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «ألم أنهكم أن يخرج رجل إلاً ومعه صاحب له» ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ من تبوك، وفي رواية زياد عن ابن إسحاق أن طيئاً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين رجع إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبد اللّه بن أبي بكر أن العبّاس بن سهل سمّى له الرجلين، لكنّه استكتمه إيّاهما فلم يحدّثني بهما. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا وهيب بن خالد، ثنا عمرو بن يَحْيَىٰ عن العبّاس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبي حميد الساعدي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، حتى جئنا وادي القرى، فإذا امرأة في حديقة لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أخرصوا» فخرص القوم، وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق[1]، وقال رسول الله ﷺ للمرأة: «احصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله» قال: فخرج حتى قدم تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومنّ فيها رجل، فمن كان له بعير فليوثق عقاله» قال أبو حميد: فعقلناها، فلما كان من الليل هبّت علينا ريح شديدة، فقام فيها رجل فألقته في جبل طيىء، ثم جاء رسول الله ملك إيلة فأهدى لرسول الله بغلة بيضاء، وكساه رسول الله برداً، وكتب له يجيرهم[2] ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جئنا وادي القرى قال للمرأة: «كم جاءت حديقتك؟» قالت عشرة أوسق، خرص رسول الله، فقال رسول الله: «إني متعجل فمن أحب منكم أن يتعجّل فليفعل» قال: فخرج رسول الله وخرجنا معه حتى إذا أوفى على المدينة قال: «هذه طابة». فلما رأى أحداً قال: «هذا أحد[3] يحبّنا ونحبّه، ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «خير دور الأنصار بنو النجّار، ثم دار بني عبد الأشهل، ثم دار بني ساعدة، ثم في كل دور الأنصار خير»[4]. وأخرجه البخاري ومسلم من غير وجه عن عمرو بن يَحْيَىٰ به نحوه. وقال الإمام مالك رحمه الله عن أبي الزبير، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة: أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، فكان يجمع بين الظُّهر والعَصْر، وبين المغرب والعشاء، قال فأخّر الصلاة يوماً، ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل ثم خرج فصلّى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتونها حتى يضحي ضحى النهار فمن جاءها

---

(١) الوسق: كيل وهو عبارة عن ستين صاعاً.

(٢) في الأصول الثلاثة يخبرهم، والتصحيح عن ابن هشام.

(٣) في التيمورية: هذا جبل.

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة باب ٥٤، ومسلم في الفضائل حديث ١١، وأحمد في المسند ٥/٤٢٤، ٤٢٥.

فلا يمسّ من مائها شيئاً حتى آتي» قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئاً»، قالا: نعم فسبّهما! وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع [في شيء][(١)]، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ يوشك إنْ طالتْ بكَ حياةٌ أنْ ترى ما ها هنا قد مُلىء جِناناً»[(٢)] أخرجه مسلم من حديث مالك به.

ذكر خطبته عليه السَّلام إلى تبوك إلى نخلة هناك

روى الإمام أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمّد المؤدب[(٣)] وحجاج ابن محمّد ثلاثتهم عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي الخطاب، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشرّ الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه، أو على ظهر بعيره، أو على قدميه، حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه»[(٤)] ورواه النسائي عن قتيبة، عن الليث به، وقال أبو الخطاب: لا أعرفه.

وروى البيهقي من طريق يعقوب بن محمّد الزهري، عن عبد العزيز بن عمران: حدّثنا مصعب بن عبد الله عن منظورُ بن جميل بن سنان[(٥)] أخبرني أبي سمعت عقبة بن عامر الجهني: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فاسترقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح، قال: «ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر» فقال: يا رسول الله ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك، قال: فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيد، ثم صلّى وسار بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أيّها النّاس أمّا بعد؛ فإنّ أصدقَ الحديثِ كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملّة إبراهيم، وخير السنن سنّة محمّد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها[(٦)] وشرّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشرّ العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وشرّ

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ١٠، ومالك في قصر الصلاة في السفر حديث ٢.

(٣) كذا في الأصلين وفي التيمورية: المؤذن وهو خطأ.

(٤) أخرجه النسائي في الجهاد باب ٨، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧، ٤١، ٤٢.

(٥) في التيمورية: ابن يسار.

(٦) كذا في المصرية. وفسرها في النهاية بالفرائض التي عزم الله بفعلها، وفي الحلبية: عوارفها.

المعذرة حين يحضر الموت، وشرّ الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلاّ دبراً، ومن الناس من لا يذكر الله إلاّ هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عزّ وجلّ، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من حثاء جهنم والشّعر من إبليس، والخمر جمّاع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشرّ المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وُعِظ بغيره، والشقيّ من شقي في بطن أمّه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشرُّ الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألى على الله يكذبه، ومن يستغفره يغفر له، ومن يعفّ يعفّ الله عنه، ومن يكظم يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله، ومن يبتغي السمعة يسمّع الله به، ومن يصبر يضّعف الله له، ومن يعص الله يعذّبه الله، اللّهمّ اغفر لي ولأمّتي، اللّهمّ اغفر لي ولأمّتي، اللّهمّ اغفر لي ولأمتي» قالها ثلاثاً ثم قال: «أستغفر الله لي ولكم» . وهذا حديث غريب وفيه نكارة، وفي إسناده ضعف، والله أعلم بالصواب. وقال أبو داود: ثنا أحمد بن سعيد الهمداني وسليمان بن داود. قالا: أَخْبَرَنَا ابن وهب، أخبرني معاوية عن سعيد بن غزوان، عن أبيه: أنه نزل بتبوك وهو حاج، فإذا رجل مقعد، فسألته عن أمره فقال: سأحدّثك حديثاً فلا تحدّث به ما سمعت أني حيّ، إن رسول الله ﷺ نزل بتبوك إلى نخلة فقال: «هذه قبلتنا» ثم صلّى إليها، قال: فأقبلت وأنا غلام أسعى حتى مررت بينه وبينها، فقال: «قطع صلاتنا قطع الله أثره» . [قال: فما قمت عليها إلى يومي هذا[1] . ثم رواه أبو داود من حديث سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن مولى ليزيد بن نمران، عن يزيد بن نمران. قال: رأيت بتبوك مقعداً فقال: مررت بين يدي رسول الله ﷺ وأنا على حمار وهو يصلي فقال: «اللهم اقطع أثره» فما مشيت عليها بعد». وفي رواية: «قطع صلاتنا قطع الله أثره»][2] .

[ذكر][3] الصلاة على معاوية بن أبي معاوية[4] إن صح الخبر [في ذلك][5]

روى البيهقي من حديث يزيد بن هارون، أَخْبَرَنَا العلاء أبو محمّد الثقفي، قال: سمعت أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء ولها شعاع ونور لم

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١١، وأحمد في المسند ٥/٣٧٦، ٣٧٧.
(٢) ما بين المعقوفين لم يرد في الحلبية.
(٣) سقط في ط.
(٤) كذا ورد في الأصول الثلاثة: معاوية بن أبي معاوية، وفي الإصابة: معاوية بن معاوية ولعل كنية أبيه أبو معاوية.
(٥) سقط في ط.

أرها طلعت فيما مضى، فأتى جبريل رسول الله فقال: «يا جبريل ما لي أرى الشمس اليوم طلعت ببيضاء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى» قال: ذلك أن معاوية ابن أبي معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلّون عليه قال: «ومِمَّ ذاك؟» قال: بكثرة قراءته قل هو الله أحد بالليل والنهار، وفي ممشاه وفي قيامه وقعوده، فهل لك[١] رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلّي عليه؟ قال: «نعم!» قال: فصلى عليه ثم رجع.

وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة، والناس يسندون أمرها إلى العلاء بن زيد هذا وقد تكلّموا فيه.

ثم قال البيهقي: أَخْبَرَنَا علي بن أحمد بن عبدان، أَخْبَرَنَا أحمد بن عُبَيد الصفّار، حدّثنا هاشم بن علي، أخبرنا عثمان بن الهيثم، حدّثنا محبوب بن هلال عن عطاء بن أَبي ميمون، عن أنس قال: جاء جبريل فقال: يا محمّد مات معاوية بن أَبي معاوية المزني، أفتحب أن تصلي عليه؟ قال: «نعم!» فضرب بجناحه فلم يبق من شجرة ولا أكمة إلاّ تضعضعت له، قال: فصلّى وخَلْفه صفّان من الملائكة في كل صفّ سبعون ألف ملك، قال قلت: «يا جبريل بما نال هذه المنزلة من الله؟» قال: بحبّه قل هو الله أحد يقرؤها قائماً وقاعداً، وذاهباً وجائياً، وعلى كل حال.

قال عثمان: فسألت أَبي أين كان النّبيّ ﷺ؟ قال: بغزوة تبوك بالشام، ومات معاوية بالمدينة، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلّى عليه. وهذا أيضاً منكر من هذا الوجه.

قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك

قال الإمام أحمد: حدّثنا إسحاق بن عيسى، حدّثنا يَحْيَىٰ بن سليم عن عبد الله بن عثمان ابن خيثم عن سعيد بن أَبي راشد قال: لقيت[٢] التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص[٣] وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ العقد أو قرب، فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟ قال: بلى! قدم رسول الله تبوك فبعث دِحْية الكلبي إلى هرقل، فلما أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها، ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم؟ وقد أرسل إليّ يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا، أَو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب لتؤخذن[٤]؛ فهلمّ فلنتّبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا: تدعونا[٥] إلى أن نذر النصرانية أَو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز، فلما ظن أنهم إن

(١) في ط: تلك.
(٢) كذا بالمصرية والتيمورية وفي الحلبية: رأيت.
(٣) كذا في المصرية والتيمورية. وفي الحلبية: بمصر.
(٤) كذا بالأصلين، وفي التيمورية: لتؤخذن.
(٥) سقط في ط.

خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رقأهم[١] ولم يكد، وقال: إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم، ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب قال: ادع لي رجلاً حافظاً للحديث، عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاء بي فدفع إليّ هرقل كتاباً فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفته إليّ التي كتب بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل، وانظر في ظهره هل به شيء يريبك. قال: فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكاً، فإذا هذا جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: ها هو ذا، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه، فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: «مِمَّنْ أنت» فقلت: أنا أخو تنوخ قال: «هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملّة أبيكم إبراهيم؟» قلت: إني رسول قوم، وعلى دين قوم، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين، يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى والله ممزقه وممزّق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرّقها والله مُخرّقه ومخرّق[٢] ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير» قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي، فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جنب سيفي ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية فإذا في كتاب صاحبي تدعوني إلى جنّة عرضها السموات والأرض أُعدّت للمتقين، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار» قال: فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال: «إن لك حقاً وإنك لرسول، فلو وُجدتْ عندنا جائزة جوّزناك بها، إنا سفر مُرْمِلون» قال: فناداه رجل من طائفة الناس قال أنا أجوّزه، ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلّة صفورية فوضعها في حجري، قلت: من صاحب الجائزة؟ قيل لي: عثمان، ثم قال رسول الله ﷺ: «أيكم يُنزلُ هذا الرجل؟» فقال فتى من الأنصار: أنا، فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس، ناداني رسول الله فقال: «تعالَ يا أخا تَنوخ» فأقبلت أهوي حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحلّ حبوته عن ظهره وقال: «ها هنا امْضِ لما أُمرتَ به» فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحمحمة[٣] الضخمة[٤]. هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به تفرّد به الإمام أحمد.

---

(١) في النهاية: رقأ الدمع: سكن، ورفأ بالفاء: التأم وقرب.

(٢) في التيمورية: فحرقها تحرق ملكه.

(٣) كذا في الأصلين، وفي التيمورية: مثل النجمة، وليراجع.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٤١، ٤٤٢، ٤/ ٧٤، ٧٥.

مصالحته[١] عليه السَّلام ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح [وهو مخيم على تبوك][٢] قبل رجوعه من تبوك

قال ابن إسحاق: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أَيْلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح وأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم، وكتب ليُحَنَّة بن رؤبة وأهل إيلة:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أَمَنَة من الله ومحمّد النبي رسول الله ليُحَنَّة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمّة الله ومحمّد النبي ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حَدَثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيّب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحلّ أن يمنعوا ماء يَردونه، ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر. زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق بعد هذا؛ وهذا كتاب جُهَيم بن الصلت وَشَرَحْبيل ابن حَسَنة بإذن رسول الله.

قال يونس عن ابن إسحاق: وكتب لأهل جرباء وأذرح:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمّد النبيّ رسول الله لأهل جرباء وأذرح، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمّد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب، ومائة أوقية طيبة، وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين. قال: وأعطى النّبيّ ﷺ أهل أيلة برده مع كتابه أماناً لهم، قال: فاشتراه بعد ذلك أَبو العبّاس عبد اللّه بن محمّد بثلاثمائة دينار.

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أُكَيْدِر دُومة، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من بني كنانة كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً، وقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنّكَ ستجده يَصيد البقر» فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته، وباتت البقر تحكّ بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له: حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم[٣]، فلما خرجوا تلقّتهم خيل النّبيّ ﷺ فأخذته، وقتلوا أخاه، وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، قال:

(١) في التيمورية: كتابه ص ليحنة...
(٢) سقط في ط.
(٣) المطارد: ج مطرد على وزن مفعل؛ وهو رمح قصير يطرد به، وقيل يطرد به الوحش (اللسان).

فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أنس بن مالك قال: رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبّون منه فقال رسول الله ﷺ: **«أتعجبون مِنْ هذا [فوالذي نفسي بيَده] لَمَناديلُ سعدِ بنِ معاذٍ في الجنّة أحسن من هذا»**.

قال ابن إسحاق: ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ حقن له دمه، فصالحه على الجزية، ثم خلّى سبيله فرجع إلى قريته، فقال رجل من بني طيىء يقال له بجير ابن بجرة في ذلك:

تبارَكَ سائقُ البقراتِ إنّي ... رأيتُ اللهَ يَهدي كلَّ هادِ

فمن يكُ حائداً عن ذي تَبوكٍ ... فإنّا قد أُمِرْنا بالجهادِ

وقد حكى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال لهذا الشاعر: **«لا يفضضِ الله فاكَ»** فأتت عليه سبعون سنة ما تحرك له فيها ضرس ولا سن. وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة: أن رسول الله ﷺ بعث خالداً مرجعه من تبوك في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر دومة، فذكر نحو ما تقدّم إلاّ أنه ذكر أنه ماكره حتى أنزله من الحصن، وذكر أنه قدم مع أكيدر إلى رسول الله ثمانمائة من السبي، وألف بعير، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، وذكر أنه لما سمع عظيم أيلة يحنّة بن رؤبة بقضية أكيدر دومة أقبل قادماً إلى رسول الله ﷺ يصالحه، فاجتمعا عند رسول الله ﷺ بتبوك فالله أعلم. وروى يونس بن بكير عن سعد بن أوس، عن بلال بن يَحْيَىٰ: أن أبا بكر الصدِّيق كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دومة الجندل، فالله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة لم يجاوزها، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة، قال: وكان في الطريق ماء يخرج من وشل[1] يروي الراكب والراكبين، والثلاثة بواد يقال له: وادي المشقق، فقال رسول الله ﷺ: **«من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه»** قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: **«من سبقنا إلى هذا الماء؟»** فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان، فقال: **«أو لم أنههم أن يستقوا منه حتى آتيه»**، ثم لعنهم ودعا عليهم، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما أن له حساً كحسّ الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه، فقال رسول الله ﷺ: **«لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمعنّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه»**.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن إبراهيم بن الحارث التّيمي، أن عبد اللّه بن مسعود

(١) الوشل: حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً، وهو أيضاً القليل من الماء.

كان يحدّث قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فتبعتها أنظر إليها، قال: فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر، وإذا عبد اللّه ذو البِجَادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله في حفرته، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وإذا هو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما» فدلّياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: «اللّهمّ إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه» قال يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. قال ابن هشام: إنما سمي ذو البِجَادين لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيّقوا عليه حتى خرج من بينهم، وليس عليه إلاّ بجاد ـ وهو الكساء الغليظ ـ فشقّه باثنين فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ فسمي ذا البجادين[١].

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أُكَيْمة الليثي عن ابن أخي أَبي رُهْم الغِفَاري أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ـ وكان من أصحاب الشجرة ـ يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر وألقى الله عليّ النعاس وطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة النبيّ ﷺ فيفزعني دنوّها منه مخافة أن أصيب رجله في الغرز، فطفقت أحوّز راحلتي عنه حتى غلبتني عيني في بعض الطريق، فزاحمت راحلتي راحلته ورجله في الغرز، فلم أستيقظ إلاّ بقوله: «حسّ» فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فقال: «سر» فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمّن تخلف عنه من بني غفار فأخبره به. فقال: وهو يسألني: «ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط[٢] الذين لا شعر في وجوههم؟» فحدّثته بتخلّفهم، قال: «فما فعل النفر السود الجعاد القصار» قال قلت: والله ما أعرف هؤلاء منا قال: «بلى الذين لهم نعم بشبكة شدخ[٣]» فتذكّرتهم في بني غفار، فلم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم، كانوا حلفاء فينا، فقلت: يا رسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا. فقال رسول الله ﷺ: «ما منع أحد أولئك حين تخلّف أن يحمل على بعير من إبله امرءاً نشيطاً في سبيل الله، إن أعز أهلي عليّ أن يتخلّف عني المهاجرون والأنصار وغفار وأسلم».

قال ابن لهيعة عن أَبي الأسود، عن عروة بن الزبير قال: لما قفل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة، هَمّ جماعة من المنافقين بالفتك به، وأن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق، فأخبر بخبرهم، فأمر الناس بالمسير من الوادي وصعد هو العقبة، وسلكها معه أولئك النفر وقد تلثّموا، وأمر رسول الله ﷺ عمّار بن ياسر وحُذَيْفة بن اليمان أن يمشيا معه، عمّار آخذ بزمام الناقة، وحُذَيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوهم، فغضب رسول الله وأبصر حُذَيْفة غضبه، فرجع إليهم ومعه محجن[٤] فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه، فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أظهر على ما أضمروه من الأمر العظيم، فأسرعوا حتى خالطوا الناس،

---

(١) أورد له أبو نعيم في الحلية ترجمة وافية.

(٢) الثطاط بالثاء المثلثة جمع ثط وهو الذي لا لحية له، عن السهيلي، وفي «الأصل» الشطاط.

(٣) شبكة شدخ اسم ماء لأسلم من بني غفار بالحجاز.

(٤) المحجن: العصا المعوجة الرأس.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة، ووقفوا ينتظرون الناس، ثم قال رسول الله ﷺ لحُذَيْفة: «هل عرفت هؤلاء القوم؟» قال: ما عرفت إلاّ رواحلهم في ظلمة الليل حين غشيتهم، ثم قال: «علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب؟» قالا: لا، فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا[١] عليه وسمّاهم لهما، واستكتمهما ذلك؟ فقالا: يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم؟ فقال: «أكره أن يتحدّث الناس أن محمّداً يقتل أصحابه»[٢] وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصّة إلاّ أنه ذكر أن النبيّ ﷺ إنما أعلم بأسمائهم حُذَيْفة بن اليمان وحده، وهذا هو الأشبه، والله أعلم. ويشهد له قول أَبي الدرداء لعلقمة صاحب ابن مسعود: أليس فيكم - يعني أهل الكوفة - صاحب السواد والوساد - يعني ابن مسعود - أليس فيكم صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره - يعني حُذَيْفة - أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمّد - يعني عماراً - وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنّه قال لحذيفة: أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ قال: لا ولا أبرىء بعدك أحداً - يعني حتى لا يكون مفشياً سرّ النبيّ ﷺ -.

قلت: وقد كانوا أربعة عشر رجلاً، وقيل كانوا اثني عشر رجلاً، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حُذَيفة بن اليمان فجمعهم له فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من أمرهم، وبما تمالؤوا عليه. ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم قال: وفيهم أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

وروى البيهقي من طريق محمّد بن مسلمة عن أَبي إسحاق، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أَبي البختري، عن حذيفة بن اليمان قال: كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به، وعمّار يسوق الناقة - أو أنا أسوق وعمّار يقود به - حتى إذا كنا بالعقبة، إذا باثني عشر رجلاً قد اعترضوه فيها، قال: فأنبهت رسول الله ﷺ، فصرخ بهم فولّوا مدبرين، فقال لنا رسول الله: «هل عرفتم القوم؟» قلنا: لا يا رسول الله قد كانوا متلثمين، ولكنّا قد عرفنا الركاب، قال: «هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟» قلنا: لا، قال: «أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه منها» قلنا: يا رسول الله أو لا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال: «لا، أكره أن يتحدّث العرب بينها أن محمّداً قاتل لقومه، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم» ثم قال: «اللّهمّ ارمهم بالدُّبَيْلَة»[٣] قلنا: يا رسول الله وما الدبيلة؟ قال: «هي شهابٌ من نارٍ تَقَعُ على نياطِ[٤] قلبِ أحدِهِمَ فَيَهلَك» . وفي صحيح مسلم من طريق شعبة عن قتادة، عن أَبي نضرة، عن قيس بن عبادة. قال: قلت لعمّار أرأيتم صنيعكم هذا فيما كان من أمر عليّ، أرأي رأيتموهُ أم شيء عهده إليكم رسول الله؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) تمالؤوا: اجتمعوا على فعل السوء.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤٥٣، ٤٥٤.

(٣) الدبيلة: خراج أو دقل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه.

(٤) النياط: جمع أنوطة ونوط: عرق غليظ متصل بالقلب فإذا اقطع مات صاحبه.

«في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سم الخياط»[١]. وفي رواية من وجه آخر عن قتادة: «إن في أمّتي اثني عشر منافقاً لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سم الخِياط، ثمانية منهم يكفيكهم الدُّبيلة، سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم»[٢]. قال الحافظ البيهقي: وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر - أو خمسة عشر - وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذّر ثلاثة أنهم قالوا: ما سمعنا المُنادي ولا علمنا بما أراد. وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده قال: حدّثنا يزيد - هو ابن هارون - أخبَرَنا الوليد بن عبد اللّه بن جميع، عن أبي الطفيل. قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى إن رسول الله ﷺ آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حُذَيْفة ويسوقه عمّار إذ أقبل رهط متلثّمون على الرواحل، فغشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «قد قد» حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي، فلما هبط ورجع عمّار قال: «يا عمار هل عرفت القوم؟» قال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثّمون قال: «هل تدري ما أرادوا؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه» قال: فسارّ عمّار رجلاً من أصحاب النّبيّ ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله، وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقين حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[٣].

قصة مسجد الضرار

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٧ - ١١٠] وقد تكلمنا على تفسير ما يتعلّق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد. وذكر ابن إِسحاق كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله، وكيفية أمر رسول الله ﷺ بخرابه مرجعه من تبوك، قبل دخوله المدينة، ومضمون ذلك أن طائفة من المنافقين بنوا صورة مسجد قريباً من مسجد قباء، وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر

---

(١) أخرجه مسلم في المنافقين حديث ٩، وأحمد في المسند ٥/ ٣٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في المنافقين حديث ١٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٥٣، ٤٥٤.

والعناد، فعصم الله رسوله ﷺ من الصلاة فيه، وذلك أنه كان على جناح سفر إلى تبوك، فلما رجع منها فنزل بذي أوان - مكان بينه وبين المدينة ساعة - نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد، وهو قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حاربَ الله ورسوله من قبل﴾ الآية. أما قوله ضراراً فلأنهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء، وكفراً بالله لا للإيمان به، وتفريقاً للجماعة عن مسجد قباء، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وهو أبو عامر الراهب الفاسق قبّحه الله، وذلك أنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبى عليه؛ ذهب إلى مكّة فاستنفرهم. فجاؤوا عام أُحُد، فكان من أمرهم ما قدّمناه، فلمّا لم ينهض أمره، ذهب إلى ملك الروم قيصر ليستنصره على رسول الله ﷺ، وكان أبو عامر على دين هِرَقل ممن تنصّر معهم من العرب، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاَّ غروراً، فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كل حين. فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة، وباطنه دار حرب، ومقرّ لمن يفد من عند أبي عامر الراهب، ومجمع لمن هو على طريقتهم من المنافقين. ولهذا قال تعالى: ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾. ثم قال﴿وليحلفنّ﴾ أي الذين بنوه ﴿إن أردنا إلاَّ الحسنى﴾ أي إنما أردنا ببنائه الخير. قال الله تعالى: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ ثم قال الله تعالى إلى رسوله: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ فنهاه عن القيام فيه لئلا يقرر أمره، ثم أمره وحثّه على القيام في المسجد ﴿الذي أُسس على التقوى من أول يوم﴾ وهو مسجد قباء، لما دلّ عليه السياق والأحاديث الواردة في الثناء على تطهير أهله، مشيرة إليه، وما ثبت في صحيح مسلم من أنه مسجد رسول الله ﷺ لا ينافي ما تقدّم، لأنه إذا كان مسجد قباء أسّس على التقوى من أول يوم، فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى، وأثبت في الفضل منه وأقوى، وقد أشبعنا القول في ذلك في التفسير ولله الحمد. والمقصود أن رسول الله ﷺ لما نزل بذي أوان، دعا مالك بن الدُخْشَم ومَعنْ بن عَدِيّ - أو أخاه عاصم بن عدي - رضي الله عنهما، فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرقاه بالنار، فذهبا فحرّقاه بالنار، وتفرّق عنه أهله.

قال ابن إسحاق: وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً وهم: خِذام بن خالد - وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد - وثَعلبة بن حاطب، ومعتِّب بن قُشَير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعبّاد بن حُنَيف أخو سهل بن حُنَيف، وجارية بن عامر، وابناه مُجَمّع وزيد، ونَبْتَل بن الحارث، وبخرج وهو إلى بني ضُبَيعة، وبِجاد بن عثمان وهو من بني ضُبيَعة، ووديعة ابن ثابت وهو إلى بني أمية.

قلت: وفي غزوة تبوك هذه صلّى رسول الله ﷺ خلف عبد الرَّحمٰن بن عوف صلاة الفجر، أدرك معه الركعة الثانية منها، وذلك أن رسول الله ﷺ ذهب يتوضأ ومعه المغيرة بن شعبة فأبطأ على الناس، فأقيمت الصلاة، فتقدم عبد الرَّحمٰن بن عوف، فلما سلّم الناس أعظموا ما وقع فقال لهم رسول الله ﷺ: «أحسنتم وأصبتم»[1] وذلك فيما رواه البخاري رحمه

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨١، ومسلم في الصلاة حديث ١٠٥.

الله قائلاً: حدّثنا. وقال البخاري: حدّثنا أَحمد بن محمّد، حدّثنا عبد اللّه بن المبارك، أَخْبَرَنَا حميد الطويل عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاَّ كانوا معكم» فقالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة حبسهم العذر»[1] تفرّد به من هذا الوجه. قال البخاري: حدّثنا خالد بن مخلد، حدّثنا سليمان، حدَّثني عمرو بن يَحْيَىٰ عن العبّاس بن سهل بن سعد، عن أَبي حميد قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة، وهذا أُحد جبل يحبنا ونحبّه»[2] ورواه مسلم من حديث سليمان بن بلال به ونحوه. وقال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، حدّثنا سفيان عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقى رسول الله ﷺ إلى ثنيّة الوداع، مقدمه من غزوة تبوك[3]. ورواه أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال البيهقي: أَخْبَرَنَا أَبو نصر بن قتادة، أَخْبَرَنَا أَبو عمرو بن مطر، سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنيّات الوداع
وَجَب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

قال البيهقي: وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة، لا أنه لما قدم المدينة من ثنيّات الوداع عند مقدمه من تبوك والله أعلم. فذكرناه ها هنا أيضاً.

قال البخاري رحمه الله: حديث كعب بن مالك رضي الله عنه:

حدَّثني يَحْيَىٰ بن بكير، حدّثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن كعب بن مالك: أن عبد اللّه بن كعب بن مالك ـ وكان قائد كعب من بنيه حين عمي ـ قال: سمعت كعب بن مالك يحدّث حين تخلّف عن قصّة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلّفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلّف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حتى تواثبنا[4] على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر حين تخلّفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة، ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلاَّ ورى بغيرها،

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨١.
(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب ٣، ومناقب الأنصار باب ٧، والمغازي باب ٨١، ومسلم في الحج حديث ٥٠٣، والفضائل حديث ١١.
(٣) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٩٦، والمغازي باب ٨٢، وأبو داود في الجهاد باب ١٧٦، والترمذي في الجهاد باب ٣٨.
(٤) كذا في الأصلين. وفي البخاري: تواثقنا.

حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً وعدداً وعداداً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهّبوا أهبة غَزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيّب إِلاَّ ظن أن يستخفي له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ [تلك الغزوة] حين طابت الثمار والظلال، وتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهّز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتدّ بالناس الجدّ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت أتجهّز بعد يوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم ـ وليتني فعلت ـ فلم يقدّر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إِلاَّ رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سَلَمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إِلاَّ خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: قال: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همّي، وطفقت أتذكّر الكذب وأقول بماذا أخرج غداً من سخطه، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلّ قادماً، زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، فكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكّل سرائرهم إِلى الله عزّ وجلّ، فجئته فلما سلّمت عليه تبسّم تبسّم المغضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك» فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ـ ولقد أعطيت جدلاً ـ ولكني والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكنّ الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدّثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، ووالله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» فقمت فثار رجال من بني سَلَمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما عَلِمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إِلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان، قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: مَنْ هما، قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين

صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلّف، فاجتنبنا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكّرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبُّ القوم وأجْلَدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلّمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، وأقول في نفسي هل حرّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا، ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ـ وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ ـ فسلّمت عليه، فوالله ما ردّ علي السلام فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتولّيت حتى تسورت الجدار. قال: وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّني على كعب بن مالك؟ فطفق[1] الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان [في سرقة من حرير] فإذا فيه:

أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسيك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمّمت بها التنور فسجرته[2] بها، فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: [إن][3] رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه، قال: **«لا ولكن لا يقربك»** قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان، إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما استأذن هلال ابن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب، قال: فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا، فلما صلّيت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عزّ وجلّ قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع [يقول] بأعلى صوته: يا كعب أبشر، فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلّى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشّروننا، وذهب قِبَل صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ

---

(١) طفق: شرع ـ بدأ.
(٢) سجر: اشعن.
(٣) سقط في ط.

فرساً، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشّرني نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عُبَيد اللّه يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه. قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجّاني بالصدق، وإن من توبتي ألاّ أتحدّث إلاّ صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما أبلاني، ما شهدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٩] فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبُوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، قال الله تعالى: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٩٥] قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم[1] واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ ليس الذي ذكر الله مما خلفنا من الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منهم[2]، وهذا رواه مسلم من طريق الزهري بنحوه. وهكذا رواه محمّد بن إسحاق عن الزهري مثل سياق البخاري، وقد سقناه في التفسير من مسند الإمام أحمد، وفيه زيادات يسيرة ولله الحمد والمنّة.

ذكر أقوام تخلفوا من العصاة غير هؤلاء

قال علي بن طلحة الوالبي عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ

(١) كذا في الأصلين وفي ابن هشام: فعذرهم.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٩، ومسلم في التوبة حديث ٥٣، وأحمد في المسند ٦/ ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠.

خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٢] قال: كانوا عشرة رهط تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فلما حضروا رجوعه أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، فلما مرّ بهم رسول الله قال: «من هؤلاء؟» قالوا: أبا لبابة وأصحاب له تخلّفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله عزّ وجلّ هو الذي يطلقهم، رغبوا عني وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين» فلما أن بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا. فأنزل الله عزّ وجل ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية. وعسى من الله واجب فلما أنزلت أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم، فجاؤوا بأموالهم وقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدّق بها عنّا واستغفر لنا. فقال: «ما أمرت أن آخذ أموالكم» فأنزل الله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٣-١٠٦] وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري فارجئوا حتى نزل قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [سورة التوبة: ١١٧] إلى آخرها. وكذا رواه عطية بن سعيد العوفي، عن ابن عبّاس بنحوه.

وقد ذكر سعيد بن المسيب ومجاهد و محمّد بن إسحاق قصّة أبي لبابة، وما كان من أمره يوم بني قريظة، وربط نفسه حتى تيب عليه، ثم إنه تخلّف عن غزوة تبوك فربط نفسه أيضاً حتى تاب الله عليه، وأراد أن ينخلع من ماله كلّه صدقة، فقال له رسول الله ﷺ: «يكفيك من ذلك الثلث» قال مجاهد وابن إسحاق: وفيه نزل ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية. قال سعيد بن المسيب: ثم لم يُرَ منه بعد ذلك في الإسلام إلاّ خيراً رضي الله عنه وأرضاه.

قلت: ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه، واقتصروا على أنه كان كالزعيم لهم كما دلّ عليه سياق ابن عبّاس والله أعلم. وروى الحافظ البيهقي من طريق أبي أحمد الزبيري، عن سفيان الثوري، عن سَلَمة بن كُهَيل، عن عَيّاض بن عَيّاض، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إن منكم منافقين فمن سمّيت فليقم، قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان» حتى عدّ ستة وثلاثين، ثم قال: «إن فيكم ـ أو إن منكم ـ منافقين فسلوا الله العافية» قال: فمرّ عمر برجل متقنّع وقد كان بينه وبينه معرفة فقال: ما شأنك؟ فأخبره بما قال رسول الله ﷺ، فقال: بعداً لك سائر اليوم.

قلت: كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام؛ مأمورون مأجورون كعلي بن أبي طالب ومحمّد بن مَسْلمة، وابن أم مكتوم، ومعذورون وهم الضعفاء والمرضى، والمقلّون وهم البكاؤن، وعصاة مذنبون وهم الثلاثة، أبو لبابة وأصحابه المذكورون، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون.

[ذكر][١] ما كان من الحوادث بعد رجوعه عليه السلام [إلى المدينة][٢] ومنصرفه من تبوك

قال الحافظ البيهقي: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء، أَخْبَرَنَا أبو العباس محمّد بن يعقوب، حدّثنا أبو البختري عبد الله بن شاكر حدّثنا زكريا بن يَحْيَىٰ، حدّثنا عم أَبي زَحْر[٣] بن حصن عن جده حميد بن منهب قال: سمعت جدي خُرَيم بن أوس بن حارثة بن لام يقول: هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك، فسمعت العبّاس بن عبد المطّلب يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك! فقال رسول الله ﷺ: «قل لا يفضض الله فاك» فقال:

مِن قَبْلِها طِبْتَ في الظلال وفي ... مُسْتَودع حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَر ... أنت ولا نطفة ولا عَلَقُ
بل نطفة تركبُ السفين وقد ... أُلْجِم نَسْراً وأهله الغَرَقُ
تنقل مِنْ صالب إلى رَحِم ... إذا مضى عالم بدا طَبَقُ
حتى احتوى بيتك المهيمنُ من ... خِنْدَفٍ علياءَ تحتها النُّطُقُ[٤]
وأنت لمّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأر ... ضُ فضاءت بنورك الأُفُقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي الـ ... ـنور وسبل الرشاد نخترق

ثم رواه البيهقي من طريق أخرى عن أَبي السكن زكريا بن يَحْيَىٰ الطائي، وهو في جزء له مروي عنه. قال البيهقي وزاد: ثم قال رسول الله ﷺ: «هذه الحيرة البيضاء رفعت لي، وهذه الشيماء بنت نفيلة[٥] الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود» فقلت: يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهي لي؟ قال: «هي لك» قال: ثم كانت الردّة فما ارتدّ أحد من طيّىء، وكنا نقاتل من يلينا من العرب على الإسلام، فكنا نقاتل قيساً وفيها عيينة بن حصن، وكنا نقاتل بني أسد وفيهم طلحة بن خويلد، وكان خالد ابن الوليد يمدحنا، وكان فيما قال فينا:

جزى الله عنا طيئاً في ديارها ... بمعترك الأبطال خير جزاء
هموا أهل رايات السماحة والندى ... إذا ما الصبا أَلْوَتَ بكل خَباء
هموا ضَرَبوا قيساً على الدين بعدما ... أجابوا مُنادي ظلمةٍ وعماء

قال: ثم سار خالد إلى مُسَيْلمة الكذّاب فسرنا معه، فلما فرغنا من مُسَيْلمة أقبلنا إلى

---

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.
(٣) في الأصل زجر (بالجيم)، والتصحيح من الإصابة.
(٤) النطق: جمع نطاق، وهو قطعة من ثوب يشد بها الوسط.
(٥) في الأصل: بقيلة (بالباء) والتصحيح عن الإصابة.

ناحية البصرة، فلقينا هرمز بكاظمة في جيش هو أكبر من جمعنا، ولـم يكن أحد من العجم[١] أعدى للعرب والإسلام من هرمز، فخرج إليه خالد ودعاه إلى البراز فبرز له فقتله خالد، وكتب يخبره إلى الصّدّيق فنفله سلبه، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم، وكانت الفرس إذا شرف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمائة ألف درهم، قال: ثم قفلنا على طريق الطفّ إلى الحيرة، فأوّل من تلقانا حين دخلناها الشيماء بنت نفيلة كما قال رسول الله ﷺ على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، فتعلّقت بها وقلت هذه وهبها لي رسول الله ﷺ، فدعاني خالد عليها بالبيّنة فأتيته بها، وكانت البيّنة محمّد بن مسلمة ومحمّد بن بشير الأنصاري، فسلّمها إلي، فنزل إليّ أخوها عبد المسيح يريد الصلح فقال: بعنيها، فقلت: لا أنقصها والله عن عشرة مائة درهم، فأعطاني ألف درهم وسلّمتها إليه، فقيل لو قلت مائة ألف لدفعها إليك، فقلت ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مائة.

قدوم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ في رمضان من سنة تسع

تقدم أن رسول الله ﷺ لما ارتحل عن ثقيف سُئِل أن يدعو عليهم، فدعا لهم بالهداية، وقد تقدّم أن رسول الله ﷺ حين أسلم مالك بن عوف النّضري أنعم عليه وأعطاه وجعله أميراً على من أسلم من قومه، فكان يغزو بلاد ثقيف ويضيّق عليهم حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام، وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود عن صخر بن العيلة الأحمسي أنه لم يزل بثقيف حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله ﷺ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله ﷺ له في ذلك.

وقال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد من ثقيف، وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم أتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ـ كما يتحدّث قومه ـ: **«إنهم قاتلوك»** وعرف رسول الله أن فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم، فلما أشرف على عِلّيّة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله، فتزعم بنو مالك أنه قتل رجل منهم يقال له: أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك، ويزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عتاب يقال له: وهب بن جابر، فقيل لعُروة: ما ترى في دينك[٢]؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلاّ ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: **«إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه»** وهكذا ذكر موسى بن

---

(١) في الحلبية: ولم يكن أحد من العرب.

(٢) في دينك: أحسبه تصحيف ديتك، وفي ابن هشام: ما ترى في دمك.

عقبة قصة عروة، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجّة أَبي بكر الصدّيق، وتابعه أَبو بكر البيهقي في ذلك وهذا بعيد، والصحيح أن ذلك قبل حجّة أَبي بكر كما ذكره ابن إِسحاق والله أعلم.

قال ابن إِسحاق: ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا؛ فائتمروا فيما بينهم وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخي بني علاج، فائتمروا بينهم، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك؛ وهم الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب، وعثمان بن أَبي العاص، وأوس بن عوف أخو بني سالم، ونمير بن خرشة بن ربيعة. وقال موسى بن عقبة: كانوا بضعة عشر رجلاً فيهم كنانة بن عبد ياليل - وهو رئيسهم - وفيهم عثمان بن أَبي العاص، وهو أصغر الوفد. قال ابن إِسحاق: فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة؛ ألفوا المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رآهم ذهب يشتدّ ليبشّر رسول الله بقدومهم، فلقيه أَبو بكر الصدِّيق فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البيعة والإسلام إن شرط لهم رسول الله شروطاً، ويكتبوا كتاباً في قومهم، فقال أَبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك لا تسبقني إِلى رسول الله حتى أكون أنا أحدّثه، ففعل المغيرة، فدخل أَبو بكر فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم، ثم خرج المغيرة إِلى أصحابه فروح الظهر معهم، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا إِلاّ بتحية الجاهلية، ولما قدموا على رسول الله ضربت عليهم قبة في المسجد، وكان خالد بن سعيد ابن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله. فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم، وهو الذي كتب لهم كتابهم. قال: وكان مما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية [1] ثلاث سنين، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألّفوا سفهاءهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى إِلاّ أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة ليهدماها، وسألوه مع ذلك أن لا يصلّوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم فقال: **«أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه»** فقالوا: سنؤتيكها وإن كانت دناءة.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا محمّد بن مسلمة عن حميد، عن الحسن، عن عثمان بن أَبي العاص: أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يحشروا [2] ولا يعشروا ولا يجبوا ولا يستعمل عليهم غيرهم، فقال رسول الله ﷺ: **«لكم أن لا تحشروا ولا تجبوا ولا يستعمل عليكم غيركم ولا خير في دين لا ركوع فيه»** [3] وقال عثمان بن أَبي العاص: يا رسول الله علّمني القرآن واجعلني إمام قومي. وقد رواه أَبو داود من حديث أَبي داود الطيالسي عن حمّاد بن سلمة، عن

(١) الطاغية: هي اللات.
(٢) أي لا يندبون إلى المغازي، ولا تضرب عليهم البعوث.. الخ.
(٣) أخرجه أبو داود في الخراج باب ٢٦، وأحمد في المسند ٢١٨/٤.

حميد به. وقال أبو داود: حدّثنا الحسن بن الصباح، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدَّثني إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه، عن وهب: سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت قال: اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «**سيتصدّقون ويجاهدون إذا أسلموا**»(١).

قال ابن إسحاق: فلما أسلموا وكتب لهم [كتابهم](٢) أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص - وكان أحدثهم سناً - لأن الصدّيق قال: يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقّه في الإسلام وتعلم القرآن وذكر موسى بن عقبة: أن وفدهم كانوا إذا أتوا رسول الله خلّفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله ﷺ فسأله عن العلم، فاستقرأه القرآن، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكر الصدّيق، فلم يزل دأبه حتى فقه في الإسلام، وأحبّه رسول الله ﷺ حباً شديداً.

قال ابن إسحاق: حدَّثني سعيد بن أبي هند عن مُطَرف بن عبد اللّه بن الشّخير عن عثمان ابن أبي العاص. قال: كان من آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيف قال: «**يا عثمان تجوّز في الصلاة، وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة**». وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حماد بن سلمة، أَخْبَرَنَا سعيد [بن](٣) الجريري عن أبي العلاء، عن مطرف، عن عثمان بن أبي العاص. قال: قلت: يا رسول الله اجعلني إمام قومي، قال: «**أنت إمامهم فاقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً**»(٤) رواه أبو داود والترمذي من حديث حمّاد بن سَلَمة به؛ ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن إسماعيل بن علية، عن محمّد بن إسحاق كما تقدم.

وروى أحمد عن عفّان عن وهب، وعن معاوية بن عمرو، عن زائدة، كلاهما عن عبد اللّه بن عثمان بن خثيم، عن داود بن أبي عاصم، عن عثمان بن أبي العاص أن آخر ما فارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال: «**إذا صلّيت بقوم فخفّف بهم حتى وقّت لي أقرأ باسم ربك الذي خلق، وأشباهها من القرآن**»(٥).

وقال أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن عمرو بن مرة، سمعت سعيد بن المسيب قال: حدّث عثمان بن أبي العاص. قال: آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «**إذا أممت قوماً فخفّف بهم الصلاة**»(٦) ورواه مسلم عن محمّد بن مثنى وبندار، كلاهما عن محمّد ابن جعفر، عن عبد ربه. وقال أحمد: حدّثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن بن

---

(١) أخرجه أبو داود في الخراج باب ٢٦.

(٢) سقط في ط. (٣) سقط في ط.

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٤٠، والنسائي في الأذان باب ٣٢، وابن ماجه في الإقامة باب ٤٨، وأحمد في المسند ٤/ ٢٢.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢١٨.

(٦) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ١٨٧، وأحمد في المسند ٤/ ٢٢.

يعلى الطائفي، عن عبد الله بن الحكم: أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول: استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، فكان آخر ما عهد إلي أن قال: «**خفّف عن الناس الصلاة**»[(١)] تفرّد به من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدّثنا يَحْيَىٰ بن سعيد، أَخْبَرَنَا عمرو بن عثمان، حدَّثني موسى ـ هو ابن طلحة ـ أن عثمان بن أَبي العاص حدّثه: أن رسول الله ﷺ أمره أن يؤم قومه ثم قال: «**من أمّ قوماً فليخفّف بهم، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة، فإذا صلّى وحده فليصلّ كيف شاء**»[(٢)] ورواه مسلم من حديث عمرو بن عثمان به.

وقال أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن النعمان بن سالم، سمعت أشياخاً من ثقيف قالوا: حدّثنا عثمان بن أَبي العاص أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**وأمّ قومك وإذا أممت قوماً فخفّف بهم الصلاة، فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة**»[(٣)].

وقال أحمد: حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن الجريري، عن أَبي العلاء بن الشخير: أن عثمان قال: يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: «**ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أنت حسسته فتعوّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً**» قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني[(٤)]. ورواه مسلم من حديث سعيد الجريري به.

وروى مالك وأحمد ومسلم وأهل السنن من طرق عن نافع بن جبير بن مطعم، عن عثمان ابن أَبي العاص: أنه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده فقال له: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرّات أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر**» وفي بعض الروايات ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم[(٥)].

وقال أَبو عبد الله بن ماجه: حدّثنا محمّد بن يسار، ثنا محمّد بن عبد الله الأنصاري، حدَّثني عيينة بن عبد الرَّحمٰن ـ وهو ابن جوشن[(٦)] ـ حدَّثني أَبي عن عثمان بن أَبي العاص. قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ابن أبي العاص؟**» قلت: نعم! يا رسول الله! قال: «**ما جاء بك؟**» قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ١٨٦، وأحمد في المسند ٤/٢١٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢١.

(٤) أخرجه مسلم في السلام حديث ٦٨، وأحمد في المسند ٤/٢١٦.

(٥) أخرجه مسلم في السلام ٦٧، وأبو داود في الطب باب ٢٩، وابن ماجه في الطب باب ٣٦، ومالك في العين حديث ٩، وأحمد في المسند ٤/٢١٧.

(٦) في ط: جوش.

ما أصلي قال: «**ذاك الشيطان أدن**» فدنوت منه فجلست على صدور قدمي، قال فضرب صدري بيده وتفل في فمي وقال: «**اخرج عدو الله**» فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال: «**الْحق بعملك**». قال: فقال عثمان: فلعمري ما أحسبه خالطني بعد[1]. تفرّد به ابن ماجه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عيسى بن عبد الله عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي، عن بعض وفدهم قال: كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من شهر رمضان بفطورنا وسحورنا، فيأتينا بالسحور فإنا لنقول إنا لنرى الفجر قد طلع؟ فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسحّر لتأخير السحور، ويأتينا بفطرنا وإنا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلّها بعد، فيقول ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجَفْنة فيلقم منه.

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرّحمٰن بن يعلى الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده أوس بن حذيفة، قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبّة له، كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدّثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام، فأكثر ما يحدّثنا ما لقي من قومه من قريش، ثم يقول: «**لا آسي وكنا مستضعفين مستذلّين بمكة، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال**[2] عليهم ويدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا: لقد أبطأتَ علينا الليلة؟ فقال: «**إنه طرأ عليَّ جزئي**[3] **من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمّه**» قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يجزئون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشر، وثلاث عشرة. وحزب المفصل وحده[4] لفظ أبو داود.

قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين؛ بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدّم أبا سفيان فأبى ذلك عليه أبو سفيان، وقال: ادخل أنت على قومك، وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرِم، فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه بني معتب دونه، خشية أن يُرمى أو يصاب، كما أصيب عروة ابن مسعود، قال: وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها ويقلن:

لنبكين دفاع، أسلمها الرضاع، لم يحسنوا المَصَاع[5]

قال ابن إسحاق: ويقول أبو سفيان: والمغيرة يضربها بالفأس وآهاً لك آهاً لك، فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها، أرسل إلى أبي سفيان فقال: إن رسول الله قد أمرنا أن نقضي

(١) أخرجه ابن ماجه في الطب باب ٤٦.
(٢) ندال: نتنصر ويكون لنا الأمر.
(٣) كذا في الحلبية، وفي التيمورية: طرأ علي حزبي من القرآن.
(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٣٢٦، وابن ماجه في الإقامة باب ١٧٨، وأحمد في المسند ٤/٩.
(٥) في السهيلي: إذ كرهوا المصاع، أي أسلمها اللئام حين كرهوا القتال والمصاع الضرب.

عن عروة بن مسعود وأخيه الأسود بن مسعود، والد قارب بن الأسود دينهما من مال الطاغية يقضي ذلك عنهما.

قلت: كان الأسود قد مات مشركاً ولكن أمر رسول الله بذلك تأليفاً وإكراماً لولده قارب ابن الأسود رضي الله عنه. وذكر موسى بن عقبة أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلاً، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن، فسألوه عن الربا والزنا والخمر، فحرّم عليهم ذلك كلّه، فسألوه عن الربة ما هو صانع بها؟ قال: **«اهدموها»** قالوا: هيهات لو تعلم الربة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها، فقال عمر بن الخطاب: ويحك يا ابن عبد ياليل ما أجهلك، إنما الربة حجر. فقالوا: إنا لم نأتك يا ابن الخطّاب، ثم قالوا: يا رسول الله تول أنت هدمها أما نحن فإنا لن نهدمها أبداً، فقال: **«سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها»** فكاتبوه على ذلك واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم، فلما جاؤوا قومهم تلقوهم فسألوهم ما وراءكم؟ فأظهروا الحزن وأنهم إنما جاؤوا من عند رجل فظّ غليظ قد ظهر بالسيف، يحكم ما يريد، وقد دوّخ العرب، قد حرّم الربا والزنا والخمر، وأمر بهدم الربة، فنفرت ثقيف، وقالوا: لا نطيع لهذا أبداً، قال: فتأهبوا للقتال وأعدوا السلاح، فمكثوا على ذلك يومين ـ أو ثلاثة ـ ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب، فرجعوا وأنابوا وقالوا ارجعوا إليه فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه، قالوا: فإنا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه فافهموا القضية واقبلوا عافية الله، قالوا: فلم كتمتمونا هذا أولاً؟ قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم ومكثوا أياماً، ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمّر عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبة، فعمدوا إلى اللات وقد استكفت ثقيف رجالها ونساءها والصبيان حتى خرج العواتق[1] من الحجال، ولا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة، فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين ـ يعني المعول ـ وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين ثم سقط يركض برجله، فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا: أبعد الله المغيرة قتلته الربة، وقالوا لأولئك من شاء منكم فليقترب، فقام المغيرة فقال: والله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم إنه ضرب الباب فكسره، ثم علا سورها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوّوها بالأرض، وجعل سادنها يقول: ليغضبنّ الأساس فليخسفن بهم، فلما سمع المغيرة قال لخالد: دعني أحفر أساسها فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها، وبهتت عند ذلك ثقيف، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فقسم أموالها من يومه، وحمدوا الله تعالى على إعزاز[2] دينه ونصرة رسوله.

قال ابن إسحاق: وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: **«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد النبي رسول الله إلى المؤمنين إن عضاه وج[3] وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيئاً**

---

(١) العواتق: جمع عاتق. وهي الفتاة أول إدراكها. (٢) في ط: اعتزاز.

(٣) وج: هي أرض الطائف وحرم عضاهه وشجره على غير أهله كتحريم المدينة ومكة حكاه السهيلي.

من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، وإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبي محمّداً وإن هذا أمر النبي محمّد» ، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمّد بن عبد اللّه فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمّد رسول الله.

وقد قال الإمام أَحمد: حدّثنا عبد اللّه بن الحارث ـ من أهل مكة مخزومي ـ حدّثني محمّد ابن عبد اللّه بن انسان ـ وأثنى عليه خيراً ـ عن أبيه، عن عروة بن الزبير قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من ليّة[١] . حتى إذا كنا عند السدرة، وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن حذوها فاستقبل محبساً ببصره ـ يعني وادياً ـ ووقف حتى اتفق الناس كلّهم ثم قال: «إن صيد وجّ وعضاهه[٢] حزم محرَّمٌ لله» وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً[٣] ، وقد رواه أبو داود من حديث محمّد ابن عبد اللّه بن انسان الطائفي، وقد ذكره ابن حبان في ثقاته. وقال ابن معين: ليس به بأس. تكلّم فيه بعضهم، وقد ضعّف أحمد والبخاري وغيرهما هذا الحديث، وصحّحه الشافعي وقال بمقتضاه والله أعلم.

[ذكر][٤] موت عبد اللّه بن أُبَيّ قبّحه الله

قال محمّد بن إسحاق: حدَّثني الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد. قال: دخل رسول الله ﷺ على عبد اللّه بن أُبَيّ يعوده في مرضه الذي مات فيه، فلما أن عرف فيه الموت قال رسول الله ﷺ: «أما والله إن كنت لأنهاك عن حبّ يهود» فقال: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فمه؟. وقال الواقدي: مرض عبد اللّه بن أُبَيّ في ليال بقين من شوال، ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة، فكان رسول الله يعوده فيها، فلما كان اليوم الذي مات فيه، دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه فقال: «قد نهيتك عن حبّ يهود» فقال: قد أبغضهم أسعد ابن زرارة فما نفعه؟ ثم قال: يا رسول الله ليس هذا بحين عتاب، هو الموت فاحضر غسلي وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفنّي فيه، وصلِّ عليّ واستغفر لي، ففعل ذلك به رسول الله ﷺ. وروى البيهقي من حديث سالم بن عجلان عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس نحواً مما ذكره الواقدي فالله أعلم. وقد قال إسحاق بن راهويه: قلت لأبي أسامة أحدثكم عُبَيد اللّه عن نافع، عن ابن عمر قال: لما توفي عبد اللّه بن أُبَيّ ابن سلول جاء ابنه عبد اللّه إلى رسول الله ﷺ وسأله أن يعطيه قميصه ليكفّنه فيه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ يصلّي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال: يا رسول الله تصلّي عليه وقد نهاك الله عنه، فقال رسول الله: «إن ربّي خيّرني فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم﴾ وسأزيد على السبعين» فقال: إنه منافق أتصلي عليه؟ فأنزل الله

---

(١) لية: (بتشديد الياء وكسر اللام) من نواحي الطائف.
(٢) العضاه: ج عضه؛ شجر له شوك.
(٣) أخرجه أبو داود في الحج باب ٩٥، وأحمد في المسند ١/ ١٦٥ .
(٤) سقط في ط.

عزّ وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة: ٨٤] فأقرّ به أبو أسامة وقال نعم[١]! وأخرجاه في الصحيحين من حديث أبي أسامة، وفي رواية للبخاري وغيره قال عمر: فقلت[٢]: يا رسول الله تصلي عليه وقد قال في يوم كذا وكذا، وقال في يوم كذا كذا وكذا!! فقال: «**دعني يا عمر فإني بين خيرتين، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت**» ثم صلّى عليه، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ الآية. قال عمر: فعجبت بعد [ذلك][٣] من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم[٤]. وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، سمع جابر بن عبد اللّه يقول: أتى رسول الله ﷺ قبر عبد اللّه بن أبَيّ بعدما أدخل حفرته، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه - أو فخذيه - ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه فالله أعلم[٥]. وفي صحيح البخاري بهذا الإسناد مثله وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأة لما كان كسى العبّاس قميصاً حين قدم المدينة، فلم يجدوا قميصاً يصلح له إلاّ قميص عبد اللّه بن أُبَيّ[٦]. وقد ذكر البيهقي ها هنا قصة ثعلبة بن حاطب وكيف افتتن بكثرة المال ومنعه الصدقة، وقد حرّرنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة التوبة: ٧٥] الآية.

فصل

قال ابن إسحاق: وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ. وقال حسّان بن ثابت رضي الله عنه يعدّد أيام الأنصار مع رسول الله ﷺ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه، قال ابن هشام: وتروى لابنه عبد الرَّحمٰن بن حسّان:

ألست خيرَ معدٍّ كلّها نفراً ... ومعشراً إن هُمُوا عُمّوا وإن حصلوا
قوم هموا شهدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما آلوا[٧] وما خَذَلوا
وبايعوه فلم ينكث به أحدٌ ... منهم ولم يك في إيمانه دخل[٨]
ويوم صبّحهم في الشّعب من أُحُد ... ضربٌ رصينٌ كحرّ النار مشتعل
ويوم ذي قَرَد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خانوا وما نكلوا
وذا العشيرة جاسُوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البيضُ والأسل[٩]

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ١٢، سورة براءة، ومسلم في المنافقين حديث ٣، وأحمد في المسند ١/ ١٦.
(٢) في ط: تقتل.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٢٢، واللباس باب ٨، ومسلم في المنافقين حديث ٢.
(٥) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٤٢.
(٦) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٧٧.
(٧) آلوا: قصروا.
(٨) الدخل: الشك.
(٩) الأسل: الرماح.

ويــوم وَدّانَ أجـلـوا أهـلـه رَقَـصـاً بـالـخيل حتى نهانا الحَزَنُ[١] والجبل
ولـيـلـةً طـلـبـوا فـيـهـا عـدوّهـم لله والله يَـجْـزيـهـم بـمـا عـمـلـوا
ولـيـلـة بـحُـنَـيـن جـالـدوا مـعـه فـيـهـا يَـعلّهـم[٢] في الحرب إذ نهلوا
وغـزوة يـومَ نَـجْـد ثـمّ كـان لـهـم مـع الـرسـول بـهـا الأَسْـلاب والـنَّـفَـل
وغـزوةَ الـقـاع فـرّقـنـا الـعـدوّ بـه كـمـا يـفـرّق دون الـمَـشْـرب الـرسـل
ويـوم بـويـع كـانـوا أهـلَ بَـيْـعـتـه عـلـى الـجِـلاد فـآسوه ومـا عَـدَلـوا
وغـزوة الـفـتـح كـانـوا فـي سـريّـتـه مـرابـطـيـن فـمـا طـاشـوا ومـا عَـجِـلـوا
ويـوم خَـيْـبـر كـانـوا فـي كـتـيـبـتـه يـمـشـون كـلّـهـم مُـسْـتَـبْـسـل بـطـل
بـالـبـيـض تُـرْعـش فـي الايـمـان عـاريـةً تَـعْـوَجّ بـالـضـرب أحـيـانـاً وتـعـتـدل
ويـومَ سـار رسـول الله مـحـتـسـبـاً إلـى تـبـوك وهـم رايـاتـه الأول
وسـاسـة الـحـرب إن حـرب بـدت لـهـم حـتـى بـدا لـهـم الإقـبـال فـالـقَـفَـل[٣]
أولـئـك الـقـوم أنـصـار الـنـبـي وهـم قـومـي أصـيـر إلـيـهـم حـيـن أتّـصـل
مـاتـوا كـرامـاً ولـم تـنـكـث عـهـودهـم وقـتـلـهـم فـي سـبـيـل الله إذ قـتـلـوا

ذكر بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الحجّ سنة تسع ونزول سورة براءة

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ في رمضان كما تقدّم بيانه مبسوطاً. قال: [ثم][٤] أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حجّهم، وأهل الشرك على منازلهم مع حجّهم لم يصدوا بعد عن البيت، ومنهم من له عهد مؤقت إلى أمد، فلما خرج أبو بكر رضي الله عنه بمن معه من المسلمين وفصل عن البيت، أنزل الله عزّ وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ إلى قوله ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة: ١ - ٣] إلى آخر القصة. ثم شرع ابن إسحاق يتكلّم على هذه الآيات، وقد بسطنا الكلام عليها في التفسير ولله الحمد والمنّة، والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث علياً رضي الله عنه بعد أبي بكر الصدّيق ليكون معه، ويتولى عليّ بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين، نيابة عن رسول الله ﷺ

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض.
(٢) يعلّهم: أي يكررها عليهم.
(٣) القفل: الرجوع.
(٤) سقط في ط.

لكونه ابن عمّه من عصبته.

قال ابن إسحاق: **حدَّثني** حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف، عن أبي جعفر محمّد بن علي أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه ليقيم للناس الحجّ، قيل له: يا رسول الله ﷺ لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال: **«لا يؤدي عني إلاّ رجل من أهل بيتي»**ثم دعا علي بن أبي طالب فقال: **«اخرج بهذه القصّة من صدر براءة، وأذّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ألا إنه لا يدخل الجنّة كافر، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدّته»**فخرج علي ابن أبي طالب على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر الصدّيق، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحجّ والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلاّ أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد، فهو له إلى مدّته، فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ. وهذا مرسل من هذا الوجه. وقد قال البخاري: باب حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس سنة تسع، حدّثنا سليمان بن داود أبو الربيع، حدّثنا فليح عن الزهري، عن حميد بن عبد الرَّحمٰن، عن أبي هريرة: أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعثه في الحجّة التي أمّره عليها النّبيّ ﷺ قبل حجّة الوداع، في رهط يؤذّن في الناس أن لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوفن في البيت عريان [1].

وقال البخاري في موضع آخر: **حدّثنا** عبد اللّه بن يوسف، ثنا الليث، حدَّثني عقيل عن ابن شهاب، أخبرني حميد بن عبد الرَّحمٰن: أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر الصدِّيق في تلك الحجّة في المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذّنون بمنى أن لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان. قال حميد: ثم أردف النّبيّ ﷺ بعلي فأمره أن يؤذّن ببراءة قال أبو هريرة: فأذّن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة أن لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان [2]. وقال البخاري في كتاب الجهاد: **حدّثنا** أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرَّحمٰن: أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر الصدِّيق فيمن يؤذّن يوم النحر بمنى؛ لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ويوم الحجّ الأكبر يوم النحر، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس العمرة الحجّ الأصغر، فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحجّ عام حجّة الوداع الذي حجّ فيه رسول الله ﷺ مشرك [3]. ورواه مسلم من طريق الزهري به نحوه.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير باب ٣، سورة براءة.

(٣) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة باب ١٦، ومسلم في الحج حديث ٤٣٥.

وقال الإمام أَحمد: **حدّثنا** محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن مغيرة، عن الشعبي، عن محرز بن أَبي هريرة، عن أبيه. قال: كنت مع علي بن أَبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ فقال: ما كنتم تنادون؟ قالوا: كنا ننادي أنه لا يدخل الجنّة إلاَّ مؤمن، ولا يطوف في البيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله ـ أَو أمده ـ إِلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسولُه، ولا يحجّ هذا البيت بعد العام مشرك. قال فكنت أنادي حتى صَحِلَ صوتي[١][٢]. وهذا إسناد جيّد. لكن فيه نكارة من جهة قول الراوي إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجله إِلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهر، ومن ليس له أمد بالكليّة فله تأجيل أربعة أشهر، بقي قسم ثالث وهو من له أمد يتناهى إِلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول، فيكون أجله إِلى مدّته وإن قلّ، ويحتمل أن يقال: إنه يؤجّل إِلى أربعة أشهر لأنه أولى ممن ليس له عهد بالكلية، والله تعالى أعلم.

وقال الإمام أَحمد: **حدّثنا** عفان، ثنا حماد عن سماك، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ بعث براءة مع أَبي بكر، فلما بلغ ذا الحليفة قال: **«لا يبلغها إِلاَّ أنا أَو رجل من أهل بيتي»** فبعث بها مع علي بن أَبي طالب[٣]. وقد رواه الترمذي من حديث حمّاد بن سلمة، وقال: حسن غريب، من حديث أنس. وقد روى عبد اللّه بن أحمد عن لوين، عن محمّد بن جابر، عن سمّاك، عن حلس عن علي أن رسول الله ﷺ لما أردف أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة رجع أَبو بكر فقال: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال: **«لا ولكن جبريل جاءني فقال: لا يؤدي عنك إِلاَّ أنت أَو رجل منك»**[٤]. وهذا ضعيف الإسناد، ومتنه فيه نكارة والله أعلم.

وقال الإمام أَحمد: **حدّثنا** سفيان عن أَبي إِسحاق عن زيد بن يثيع ـ رجل من همدان ـ قال: سألنا علياً بأي شيء بعثت يوم بعثه رسول الله ﷺ مع أَبي بكر في الحجّة؟ قال: بأربع؛ لا يدخل الجنّة إلاَّ نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إِلى مدته، ولا يحجّ المشركون بعد عامهم هذا[٥]. وهكذا رواه الترمذي من حديث سفيان ـ هو ابن عيينة ـ عن أَبي إِسحاق السبيعي، عن زيد بن يثيع، عن علي به، وقال: حسن صحيح. ثم قال: وقد رواه شعبة عن أَبي إِسحاق فقال عن زيد [بن أثيل][٦]، ورواه الثوري عن أَبي إِسحاق، عن بعض أصحابه، عن علي.

قلت: ورواه ابن جرير من حديث معمر عن أَبي إِسحاق، عن الحارث، عن علي. وقال

---

(١) صحل صوتي: أي بح.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٩٩.
(٣) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب ١٠، سورة التوبة، وأحمد في المسند ٣/ ٢١٢.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٥١.
(٥) أخرجه الترمذي في الحج باب ٤٤، وأحمد في المسند ١/ ٧٩.
(٦) سقط في ط.

ابن جرير، حدّثنا محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد، أَخْبَرَنَا حيوة بن شريح، أَخْبَرَنَا ابن صخر: أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول: سألت علي بن أبي طالب عن يوم الحجّ الأكبر فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحجّ، وبعثني معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة، فخطب الناس يوم عرفة، فلما قضى خطبته التفت إليّ فقال: قم يا علي فأدّ رسالة رسول الله ﷺ، فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة، ثم صدرنا فأتينا مِنَى فرميت الجمرة ونحرت البدنة، ثم حلقت رأسي وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضوراً كلّهم خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم عَرَفة، فطفت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم. قال علي: فمن ثم أخال حسبتم أنه يوم النحر، ألا وهو يوم عرفة. وقد تقصينا [الكلام][1] على هذا المقام في التفسير، وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار في ذلك مبسوطاً بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة.

قال الواقدي: وقد كان خرج مع أبي بكر من المدينة ثلاثمائة من الصحابة منهم عبد الرَّحمٰن بن عوف، وخرج أبو بكر معه بخمس بدنات، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة، ثم أردفه بعلي، فلحقه بالعرج[2] فنادى ببراءة أمام الموسم.

فصل

كان في هذه السنة ـ أعني في سنة تسع ـ من الأمور الحادثة غزوة تبوك في رجب كما تقدّم بيانه. قال الواقدي وفي رجب منها مات النجاشي صاحب الحبشة، ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس. وفي شعبان منها ـ أي من هذه السنة ـ توفّيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ فغسلتها أسماء بنت عُمَيس، وصفيّة بنت عبد المطّلب، وقيل غسلها نسوة من الأنصار فيهن أم عطية.

قلت: وهذا ثابت في الصحيحين[3]، وثبت في الحديث أيضاً أنه عليه السلام لما صلّى عليها وأراد دفنها قال: «**لا يدخله أحد قارف الليلة أهله**» فامتنع زوجها عثمان لذلك، ودفنها أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه[4] [ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولى ذلك ممن يتبرع بالحفر والدفن من الصحابة كأبي عبيدة وأبي طلحة ومن شابههم فقال: «**لا يدخل قبرها إلاّ من لم يقارف أهله من هؤلاء**» إذ يبعد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، هذا بعيد والله أعلم][5]، وفيها صالح ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح وصاحب دومة الجندل كما تقدم إيضاح ذلك كلّه في مواضعه. وفيها هدم مسجد الضرار الذي بناه جماعة المنافقين صورة مسجد وهو دار حرب في الباطن فأمر به عليه السلام فحرق. وفي رمضان منها قدم وفد ثقيف

(١) سقط في ط.
(٢) العرج: قرية جامعة في واد من نواحي الطائف، وقيل واد به.
(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب ١٧، ومسلم في الجنائز حديث ٤١.
(٤) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٧٢، وأحد في المسند ٣/١٢٦.
(٥) ما بين المعقوفين لم يرد في المصرية وسقط في أ.

فصالحوا عن قومهم ورجعوا إليهم بالأمان وكسرت اللات كما تقدم. وفيها توفي عبد اللّه بن أُبَيّ ابن سلول رأس المنافقين لعنه الله في أواخرها، وقبله بأشهر توفي معاوية بن معاوية الليثي - أَو المزني - وهو الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك إن صحّ الخبر في ذلك. وفيها حجّ أَبو بكر رضي الله عنه بالناس عن إذن رسول الله ﷺ له في ذلك. وفيها كان قدوم عامة وفود أحياء العرب، ولذلك تسمّى سنة تسع سنة الوفود، وها نحن نعقد لذلك كتاباً برأسه اقتداء بالبخاري وغيره.

كتاب الوفود

الوارِدين إلى رسول الله ﷺ

قال محمّد بن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، قال ابن هشام: حدّثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع وأنها كانت تسمى سنة الوفود، قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تربّص بأسلامها أمر هذا الحي من قريش، لأن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديتهم، وأهل البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكّة ودانت له قريش ودوّخها الإسلام، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ، ولا عداوته، فدخلوا في دين الله كما قال عزّ وجلّ أفواجاً يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣] أي فاحمد الله على ما ظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً، وقد قدمنا حديث عمرو بن مسلمة قال: كانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر ـ أي قومي ـ بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبيّ حقاً، قال: صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن لكم أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً [1]، وذكر تمام الحديث وهو في صحيح البخاري.

قلت: وقد ذكر محمّد بن إسحاق ثم الواقدي والبخاري ثم البيهقي بعدهم من الوفود ما هو متقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع، بل وعلى فتح مكة. وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الحديد: ١٠] وتقدم قوله ﷺ يوم الفتح: «**لا هجرة ولكن جهاد ونية**»[2] فيجب التمييز بين السابق من هؤلاء الوافدين على زمن الفتح ممن يعد وفوده هجرة، وبين اللاحق لهم بعد الفتح ممن وعد الله خيراً وحسنى، ولكن ليس في ذلك كالسابق له في الزمان والفضيلة والله أعلم. على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود قد تركوا فيما أوردوه أشياء لم يذكروها

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في الصيد باب ١٠، والجهاد باب ١، ١٩٤، ومسلم في الحج حديث ٤٤٥، والإمارة حديث ٨٥، وأبو داود في الجهاد باب ٢، والترمذي في السير باب ٣٣، والنسائي في البيعة باب ١٥، وأحمد في المسند ١/ ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٥.

ونحن نورد بحمد الله ومنّه ما ذكروه وننبّه على ما ينبغي التنبيه عليه من ذلك، ونذكر ما وقع لنا مما أهملوه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد قال محمّد بن عمر الواقدي: **حدّثنا** كثير بن عبد اللّه المزني عن أبيه، عن جدّه. قال: **كان** أول من وفد على رسول الله ﷺ من مضر أربعمائة من مزينة وذاك في رجب سنة خمس، فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرة في دارهم وقال: **«أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم»** فرجعوا إلى بلادهم، ثم ذكر الواقدي عن هشام بن الكلبي بإسناده: أن أول من قدم من مزينة خزاعي بن عبد نهم، ومعه عشرة من قومه، فبايع رسول الله ﷺ على إسلام قومه، فلما رجع إليهم لم يجدهم كما ظنّ فيهم فتأخّروا عنه. فأمر رسول الله ﷺ حسّان بن ثابت أن يعرض بخزاعي من غير أن يهجوه، فذكر أبياتاً فلما بلغت خزاعياً شكى ذلك إلى قومه، فجمعوا له وأسلموا معه، وقدم بهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله ﷺ لواء مزينة ـ وكانوا يومئذ ألفاً ـ إلى خزاعيّ هذا، قال: وهو أخو عبد اللّه ذو البجادين[1].

وقال البخاري رحمه الله: **باب وفد بني تميم:**

حدّثنا أبو نعيم، **حدّثنا** سفيان عن أبي صخرة، عن صفوان بن محرز المازني، عن عمران بن حصين. قال: أتى نفر من بني تميم إلى النبيّ ﷺ فقال: **«اقبلوا البشرى يا بني تميم»** قالوا: يا رسول الله قد بشّرتنا فاعطنا، فرئي ذلك في وجهه ثم جاء نفر من اليمن فقال: **«اقبلوا البشرى إذْ لم يقبلها بنو تميم»** قالوا: قبلنا يا رسول الله[2].

ثم قال البخاري: **حدّثنا** إبراهيم بن موسى، حدّثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبره عن ابن أبي مليكة، أن عبد اللّه بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم[3] على النبيّ ﷺ فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلاّ خلافي فقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ حتى انقضت[4]. ورواه البخاري أيضاً من غير وجه عن ابن أبي مليكة بألفاظ أخر، وقد ذكرنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ﴾ الآية.

وقال محمّد بن إسحاق: ولما قدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب قدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي، في أشراف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس، والزبرقان ابن بدر التميمي ـ أحد بني سعد ـ وعمرو بن الأهتم، والحبحاب[5] بن يزيد، ونعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم أخو بني سعد في وفد عظيم من بني تميم. قال ابن

---

(١) في الحلبية: ذو النجادين.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٧.

(٣) في ط: تمم.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٧، والتفسير سورة الحجرات باب ١، ٢.

(٥) في الحلبية: الحجاب، وفي التيمورية: الحجاب، وفي ابن إسحاق: الحتحات.

إسحاق: ومعهم عُيَيْنة بن حصن بن حُذَيْفة بن بدر الفزاري، وقد كان الأقرع بن حابس وعُيَينة شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنين والطائف، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم، ولما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمّد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم فقالوا: يا محمّد جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قد أذنت لخطيبكم فليقل» فقام عطارد ابن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن، وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّة أهل المشرق وأكثره عدداً، وأيسره عدّة. فمن مثلنا في الناس، ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم، فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكن نخشى(١) من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف [بذلك] أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شمّاس أخي بني الحارث بن الخزرج: «قم فأجب الرجل في خطبته» فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلاّ من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خيرته رسولاً أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتاباً وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحساباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم. فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكِرام فلا حَيٌّ يعادلنا ... مِنّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البيَعُ(٢)

وكم قَسَرنا من الأحياء كلّهم ... عند النِّهاب وفضلُ العزِّ يُتَّبع

ونحنُ يُطْعِم عند القَحْط مُطْعِمُنا ... من الشِّواء إذا لم يؤنَس القَزَع(٣)

بما ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هوياً(٤) ثم نصطنع

فننحر الكوم عُبْطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أُنزلوا شَبِعوا(٥)

فما ترانا إلى حي نفاخرهم ... إلاّ استفادوا وكانوا الرأس تقتطع

فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تُستمع

(١) كذا في الأصلين وفي ابن هشام: ولكنا نحيا.
(٢) البيع: ج بيعة؛ وهي مواضع الصلوات والعبادات.
(٣) القزع: السحاب الرقيق.
(٤) هوياً: سراعاً.
(٥) الكوم: ج كوماء: الناقة العظيمة السنام، وعبطا: أي من غير علّة.

إنــا أبــيـنــا ولــم يــأبــى لــنــا أحــدٌ إنـا كـذلـك عـنـد الـفـخـرِ نَـرْتَـفِـعُ

قال ابن إسحاق: وكان حسّان بن ثابت غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ:

فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال: أعرضت في قوله وقلت على نحو ما قال، فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت: «**قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال**». فقال حسان:

إن الـذوائـب[1] مـن فِـهْـر وإخـوتـهـم قـد بَـيّـنـوا سُـنّـةً لـلـنـاس تُـتّـبـع

يـرضـى بـهـا كـل مـن كـانـت سـريـرتـه تـقـوى الإلـه وكـل الـخـيـر يـصـطـنـع

قـوم إذا حـاربـوا ضـرّوا عـدوّهـم أو حـاولـوا الـنـفـع فـي أشـيـاعـهـم نـفـعـوا

سَـجِـيّـة تـلـك مـنـهـم غـيـر مُـحْـدثـة إنّ الـخـلائِـقَ - فـاعـلـم - شـرّهـا الـبِـدَع

إنْ كـان فـي الـنّـاسِ سـبّـاقـون بَـعْـدَهُـمُ فـكـلُّ سَـبْـق لأدنـى سَـبْـقِـهِـم تَـبَـعَ

لا يَـرْقَـعُ الـنّـاسُ مـا أَوْهَـتْ[2] أكـفّـهـم عـنـد الـدّفـاع ولا يُـوهـون مـا رقـعـوا

إن سـابـقـوا الـنـاس يـومـاً فـاز سَـبْـقُـهُـم أو وازنـوا أهـل مـجـدٍ بـالـنـدى مَـتَـعَـوا[3]

أعِـفّـة ذُكِـرَت فـي الـوحـي عِـفّـتـهـم لا يـطـمـعـون ولا يُـرْدِيـهـم طَـمَـع

لا يـبـخـلـون عـلـى جـار بـفَـضْـلِـهِـم ولا يـمـسُّـهُـم مـن مَـطْـمَـع طَـبـع

إذا نَـصَـبْـنـا لـحـيٍّ لـم نَـدِبُّ لـهـمْ كـمـا يـدبّ إلـى الـوحـشـيّـة الـذُّرع[4]

نـسـمـو إذا الـحـرب نـالـتـنـا مـخـالـبـهـا إذا الـزعـانـف مـن أظـفـارهـا خَـشَـعـوا[5]

لا يـفـخـرون إذا نـالـوا عـدوّهـم وإن أُصـيـبـوا فـلا خَـوَرٌ ولا هَـلَـع[6]

كـأنّـهـم فـي الـوغـى والـمـوت مُـكْـتَـنِـعٌ أُسْـدٌ بِـحَـلْـيـةٍ فـي أرسـاغـهـا فَـدَع[7]

خُـذْ مـنـهـم مـا أتـوا عَـفْـواً إذا غَـضِـبـوا ولا يـكـن هـمّـك الأمـرَ الـذي مَـنـعـوا

فـإنّ فـي حـربـهـم - فـاتـرك عـداوتـهـم - شـراً يُـخَـاضُ عـلـيـه الـسـمُّ والـسَّـلَـعُ[8]

أكْـرِم بـقـوم رسـولُ الله شـيـعـتُـهـم إذا تـفـاوتـت الأهـواءُ والـشِّـيَـعُ

---

(١) الذوائب: السادة، وأصله من ذوائب المرأة، وهي غدائرها التي تعلو الرأس.

(٢) ما أوهت: ما هدوت.

(٣) كذا في الحلبية وفي التيمورية قنعوا، وفي ابن هشام متعوا.

(٤) نصبنا: أظهرنا العداوة ولم نسرها. والذرع: ولد البقرة الوحشية.

(٥) نسمو: ننهض. والزعانف: أطراف الناس وأتباعهم.

(٦) الخور: الضعف. والهلع: الخوف والجزع.

(٧) مكتنع: دان. وحلية: مأسدة باليمن والأرساغ: ج رسغ، وهو موضع القيد من الرجل وفدع: اعوجاج إلى ناحية.

(٨) السلع: نبات مسموم.

أهدي لهم مِدحتي قلبٌ يؤازره فيما أحب لسانٌ حائكٌ صَنَعُ
فإنهم أفضل الأحياء كلّهم إن جدّ في الناس جِدّ القول أو شمعوا[١]

وقال ابن هشام: وأخبرني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبرقان لما قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال:

أتيناك كيما يَعْلَمَ الناسَ فَضْلنا إذا اختلفوا عند احتِضَار المواسم
بأنّا فروعُ الناس في كل مَوْطِنِ وأن ليس في أرض الحِجَازِ كدارم
وأنا نذود المُعْلِمين إذا انتَخَوْا ونضربُ رأسَ الأصْيَدِ المتَفَاقِم[٢]
وأنّ لنا المِرْبَاعَ[٣] في كلّ غارة تَغِيرُ بنجد أو بأرضِ الأعاجم

قال فقام حسّان فأجابه فقال:

هل المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدَى وجاهُ الملوكِ واحتمال العَظَائم
نَصَرْنا وآوينا النبيَّ محمّداً على أنْف راضٍ من مَعَدّ وراغِمِ
بحيٍّ حَريدٍ أصلُهُ وثراؤه بجابية الجَوْلان وَسْط الأعاجِمِ
نصرناه لما حلّ بين بيوتنا بأسيافنا من كل باغٍ وظالم
جعلنا بنينا دُونه وبناتِنا وطِبْنا له نَفْساً بفيء المغانم
ونحن ضربنا الناسَ حتى تتابعوا على دينه بالمرهَفَاتِ الصوارم
ونحن وَلَدنا من قريش عظيمُها ولدنا نبيّ الخيرِ من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إن فخرَكُم يَعُودُ وبالاً عند ذكر المكارم
هَبِلْتُم علينا تفخرون وأنتم لنا خَوَلٌ من بين ظِئْر وخادِمِ
فإن كنتُم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تُقْسَموا في المقَاسِم
فلا تجعلوا لله نداً وأسْلِموا ولا تَلْبَسُوا زياً كزي الأعاجم

قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا لمؤتي له[٤] لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا. قال: فلما فرغ القوم أسلموا وجوّزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم، وكان عمرو ابن الأهتم قد خلفه القوم في رحالهم وكان أصغرهم سناً، فقال قيس بن عاصم - وكان يبغض

---

(١) في «الأصل» سمعوا بالسين المهملة وما أثبتناه من «أ»وهو موافق لابن هشام وفسر السهيلي: شمعوا: اضحكوا.
(٢) الأصيد: المائل العنق تيهاً، والفقم: الرجل الفهم الذي يتغلب على الخصوم.
(٣) المرباع: الأرض الذي ينبت في أول الربيع، أو هو ربع الغنيمة أو الناقة التي تلد في الربيع.
(٤) لمؤتي له: لموفق له.

عمرو بن الأهتم - يا رسول الله إنه كان رجل منا في رحالنا وهو غلام حدث وأزرى به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، قال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوه:

ظَلَلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء[1] تَشْتُمُني عند الرسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

سُدْناكم سؤدداً رَهْواً وسؤددكم بادٍ نواجِذُهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ[2]

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان، حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا حمّاد بن زيد، عن محمّد بن الزبير الحنظلي. قال: قدم على رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم. فقال لعمرو بن الأهتم: «**أخبرني عن الزبرقان، فأما هذا فلست أسألك عنه**» وأراه كان قد عرف قيساً، قال: فقال مطاع في أدنيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: قد قال ما قال وهو يعلم أني أفضل مما قال، قال فقال عمرو: والله ما علمتك إلاّ زبر المروءة، ضيق العطن، أحمق الأب، لئيم الخال، ثم قال: يا رسول الله قد صدقت فيهما جميعاً، أرضاني فقلت بأحسن ما أعلم فيه، وأسخطني فقلت بأسوء ما أعلم. قال فقال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان سحراً**» وهذا مرسل من هذا الوجه.

قال البيهقي: وقد روي من وجه آخر موصولاً: أنبأنا أبو جعفر كامل بن أحمد المستملي، ثنا محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عثمان البغدادي، ثنا محمّد بن عبد الله ابن الحسن العلاّف ببغداد، حدّثنا علي بن حرب الطائي، أنبأنا أبو سعد بن الهيثم بن محفوظ، عن أبي المقوم يَحْيَىٰ بن يزيد الأنصاري، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس. قال: جلس إلى رسول الله ﷺ قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم التميميون، ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله أنا سيّد تميم والمطاع فيهم والمجاب، أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم، وهذا يعلم ذلك - يعني عمرو بن الأهتم - قال عمرو بن الأهتم: إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أدنيه. فقال الزبرقان: والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال، وما منعه أن يتكلّم إلاّ الحسد، فقال عمرو بن الأهتم: أنا أحسدك فوالله إنك للئيم الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مضيع في العشيرة، والله يا رسول الله لقد صدقتُ فيما قلت أولاً، وما كذبت فيما قلت آخراً، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً. فقال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان سحراً**» وهذا إسناد غريب جداً.

[وقد ذكر الواقدي سبب قدومهم وهو أنه كانوا قد جهّزوا السلاح على خزاعة، فبعث إليهم رسول الله ﷺ عُيَيْنة بن بدر في خمسين ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري، فأسر منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً فقدم رؤساهم بسبب أسرائهم ويقال: قدم منهم تسعين - أو ثمانين - رجلاً في ذلك منهم عطارد، والزبرقان، وقيس بن عاصم، وقيس بن

---

(١) الهلباء: يريد دبره، من الهلب، وهو الخشين من الشعر.

(٢) الرهو: المتسع. والنواجذ: الأسنان، ومقع على الذنب: جالس على إليته، ضام ساقيه، ممر ذنبه خلفه. والخبر ذكره ابن هشام في السيرة (١٦٨/٤ - ١٧٤).

الحارث، ونعيم بن سعد، والأقرع بن حابس، ورباح بن الحارث، وعمرو بن الأهتم، فدخلوا المسجد وقد أذّن بلال الظهر، والناس ينتظرون رسول الله ﷺ ليخرج إليهم، فعجّل هؤلاء فنادوه من وراء الحجرات، فنزل فيهم ما نزل، ثم ذكر الواقدي خطيبهم وشاعرهم وأنه عليه الصلاة والسلام أجازهم على كل رجل اثني عشر أوقية ونشاً، إلاَّ عمرو بن الأهتم فإنما أعطي خمس أواق لحداثة سنّه، والله أعلم][1].

قال ابن إسحاق: ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [سورة الحجرات: ٤ ـ ٥] قال ابن جرير: حدّثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي، حدّثنا الفضل ابن موسى، عن الحسين بن واقد، عن أبي إسحاق، عن البراء في قوله ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾. قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إن حمدي زين، وذمي شين. فقال: «ذاك الله عزّ وجلّ» وهذا إسناد جيّد متصل. وقد روي عن الحسن البصري وقتادة مرسلاً عنهما، وقد وقع تسمية هذا الرجل فقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا وهيب، ثنا موسى بن عقبة، عن أبي سلمة، عن عبد الرَّحمٰن، عن الأقرع بن حابس: أنه نادى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد يا محمّد، وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه. فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين. فقال: «ذاك الله عزّ وجلّ»[2].

[فصل][3] حديث في فضل بني تميم

قال البخاري: حدّثنا زهير بن حرب، حدّثنا جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة. قال: لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: «**هم أشد أمتي على الدجّال**» وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: «**أعتيقها فإنها من ولد إسماعيل**» وجاءت صدقاتهم فقال: «**هذه صدقات قوم ـ أو قومي ـ**»[4] وهكذا رواه مسلم عن زهير بن حرب به.

[وهذا الحديث يرد على قتادة ما ذكره صاحب الحماسة وغيره من شعر من ذمّهم حيث يقول:

تميم بطُرُقِ اللؤم أَهْدى من القطا ... ولو سلكتْ طرق الرّشاد لضلّت

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة ... رأته تميم من بعيد لولّت][5]

---

(١) ما بين المعقوفين تأخر في المصرية إلى آخر الفصل.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٨٨.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه البخاري في العتق باب ١٣، والمغازي باب ٦٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٩٨.
(٥) ما بين المعقوفين لم يرد في المصرية.

وفد بني عبد القيس

ثم قال البخاري بعد وفد بني تميم: **باب وفد عبد القيس**.

حدّثنا إِسحاق، حدّثنا أَبو عامر العقدي، حدّثنا قرّة عن أَبي حمزة قال: قلت لابن عباس: إن لي جرّة ينتبذ لي فيها فأشربه حلواً في جرّ، إن أكثرت منه فجالست القوم فأطلت الجلوس خشيت أن أفتضح؟ فقال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال: **«مرحباً بالقوم غير خزايا ولا الندامى»** فقال: يا رسول الله إنا بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلاّ في الشهر الحرام فحدّثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنّة، وندعوا به من ورائنا. قال: **«آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع؛ الإيمان بالله هل تدرون ما الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلاّ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس، وأنهاكم عن أربع؛ ما ينتبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت»**[1]. وهكذا رواه مسلم من حديث قرّة بن خالد عن أَبي حمزة، وله طرق في الصحيحين عن أَبي حمزة. وقال أَبو داود الطيالسي في مسنده، حدّثنا شعبة، عن أَبي حمزة، سمعت ابن عباس يقول: إن وفد عبد القيس لما قدم على رسول الله ﷺ قال: **«ممن القوم؟»** قالوا: من ربيعة. قال: **«مرحباً بالوفد غير الخزايا ولا الندامى»** فقالوا: يا رسول الله: إنا حيّ من ربيعة، وإنا نأتيك شقة بعيدة، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحيّ من كفّار مُضَر، وإنّا لا نصل إليك إلاّ في شهر حرام، فمرنا بأمر فَصْل ندعوا إليه مَنْ وراءنا وندخل به الجنّة. فقال رسول الله ﷺ: **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغانم الخمس، وأنهاكم عن أربع؛ عن الدباء**[2] **والحنتم**[3] **والنقير**[4] **والمزفت - وربما قال والمقير - فاحفظوهن وادعوا إليهن مَنْ وراءكم»**[5] وقد أخرجاه صاحبا الصحيحين من حديث شعبة بنحوه، وقد رواه مسلم من حديث سعيد بن أَبي عروبة، عن قتادة، عن أَبي نضرة، عن أَبي سعيد بحديث قصتهم بمثل هذا السياق، وعنده أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبد القيس: **«إن فيك لخلّتين يحبهما الله عزّ وجلّ؛ الحلم والأناة»**[6] وفي رواية: **«يحبّهما الله ورسوله»** فقال: يا رسول الله [تخلقتهما أم جبلني الله عليهما؟ فقال: **«بل جبلك الله عليهما»** فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبّهما الله ورسوله][7].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٩، ومسلم في الإيمان حديث ٢٥.
(٢) الدباء: القرع.
(٣) الحنتم: جرار حمر كانت تحمل إلى المدينة فيها الخمر.
(٤) النقير أصل خشبة ينقر فيعمل فيه النبيذ.
(٥) أخرجه البخاري في الإيمان باب ٤٠، والعلم باب ٢٥، ومسلم في الإيمان حديث ٢٤، وأحمد في المسند ١/٢٢٨.
(٦) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٢٦.
(٧) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٠٥، ٢٠٦.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدّثنا مطر بن عبد الرَّحمٰن، سمعت هند بنت الوازع، أنها سمعت الوازع يقول: أتيت رسول الله ﷺ والأشجّ المنذر بن عامر ـ أو عامر بن المنذر ـ ومعهم رجل مصاب، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم، فأتوا رسول الله ﷺ فقبّلوا يده، ثم نزل الأشجّ فعقل راحلته، وأخرج عيبته ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم أتى رواحلهم، فعقلها فأتى رسول الله ﷺ فقال: «يا أشج إن فيك خصلتين يحبّهما الله عزّ وجلّ ورسوله؛ الحلم والأناة» فقال: يا رسول الله أنا تخلقتهما أو جبلني الله عليهما؟ فقال: «بل الله جبلك عليهما». قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبّهما الله عزّ وجلّ ورسوله. فقال الوازع: يا رسول الله إن معي خالاً لي مصاباً، فادع الله له فقال: «أين هو آتيني به» قال فصنعت مثل ما صنع الأشجّ ألبسته ثوبيه وأتيته، فأخذ من ورائه يرفعها حتى رأينا بياض إبطه. ثم ضرب بظهره فقال: «اخرج عدو الله» فولّى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح [1].

وروى الحافظ البيهقي من طريق هود بن عبد اللّه بن سعد، أنه سمع جدّه مَزْيَدة العبدي. قال: بينما رسول الله ﷺ يحدّث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق» فقام عمر فتوجّه نحوهم، فتلقى ثلاثة عشر راكباً، فقال: من القوم؟ فقالوا: من بني عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد التجارة؟ قالوا: لا، قال: أما أن النّبيّ ﷺ قد ذكركم آنفاً فقال خيراً، ثم مشوا معه حتى أتوا النّبيّ ﷺ فقال عمر للقوم: وهذا صاحبكم الذي تريدون، فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم فمنهم من مشى، ومنهم من هرول، ومنهم من سعى حتى أتوا رسول الله ﷺ، فأخذوا بيده فقبّلوها، وتخلّف الأشجّ في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبّلها، فقال النّبيّ ﷺ: «إن فيك خلّتين يحبّهما الله ورسوله». قال: جبل جبلت أم تخلقاً مني، قال: «بل جبل». فقال: الحمد الله الذي جبلني على ما يحبّ الله ورسوله.

وقال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حَنش أخو عبد القيس، قال ابن هشام: وهو الجارود بن بشر بن المعلّى في وفد عبد القيس، وكان نصرانياً، قال ابن إسحاق وحدّثني من لا أتهم عن الحسن [2] قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلّمه فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه، ورغّبه فيه، فقال: يا محمّد إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه» قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه». قال: يا رسول الله إن بيننا وبين بلادنا ضوالاً من ضوالّ الناس، أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا، قال: لا إياك وإياها، فإنما تلك حرّق النار قال: فخرج الجارود راجعاً إلى قومه، وكان حسن الإسلام صلباً على دينه حتى هلك، وقد أدرك الرّدة فلما رجع من قومه من كان

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٦٠.

(٢) في ابن هشام: عن الحسين.

أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر، قام الجارود فتشهّد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، واكفّر من لم يشهد. وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدي فأسلم فحسن إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردّة أهل البحرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البَحْرين. ولهذا روى البخاري من حديث إبراهيم بن طهمان، عن أبي حمزة، عن ابن عباس. قال: أول جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بحوّانا من البحرين[١].

وروى البخاري عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ أخّر الركعتين بعد الظهر بسبب وفد عبد القيس حتى صلاّهما بعد العصر في بيتها[٢].

قلت: لكن في سياق ابن عباس ما يدلّ على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة، لقولهم وبيننا وبينك هذا الحي من مضر لا نصل إليك إلاّ في شهر حرام والله أعلم.

قصة ثمامة ووفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذّاب [لعنه الله][٣]

قال البخاري: **باب وفد بني حنيفة وقصّة ثمامة بن أثال:**

حدّثنا عبد اللّه بن يوسف، حدّثنا اللّيث بن سعد، حدّثني سعيد بن أبي سعيد، سمع أبا هريرة قال: بعث النّبيّ ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثُمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: **«ما عندك يا ثمامة»؟** قال: عندي خير يا محمّد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فتركه حتى كان الغدّ ثم قال له: **«ما عندك يا ثمامة»؟** فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى بعد الغدّ فقال: **«ما عندك يا ثمامة»؟** فقال: عندي ما قلت لك. فقال: **«أطلقوا ثمامة»** فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد. فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، يا محمّد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العُمْرة فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت؟ قال: لا! ولكن أسلمت مع محمّد ﷺ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها النّبيّ ﷺ[٤]. وقد رواه البخاري في موضع آخر، ومسلم وأبو داود والنسائي، كلّهم عن قتيبة، عن الليث به.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٩. (٣) سقط في ط.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٠، والخصومات باب ٧، والصلاة باب ٨٢، ومسلم في الجهاد حديث ٥٩، وأبو داود في الجهاد باب ١٢٤، والنسائي في الطهارة باب ١٢٧.

وفي ذكر البخاري هذه القصّة في الوفود نظر، وذلك أن ثمامة لم يفد بنفسه، وإنما أسر وقدم به في الوثاق، فربط بسارية من سواري المسجد، ثم في ذكره مع الوفود سنة تسع نظر آخر، وذلك أن الظاهر من سياق قصّته أنها قبيل الفتح، لأن أهل مكة عيّروه بالإسلام، وقالوا: أصبوت! فتوعّدهم بأنه لا يفد إليهم من اليمامة حبّة حنطة ميرة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، فدلّ على أنّ مكة كانت إذ ذاك دار حرب، لم يسلم أهلها بعد والله أعلم. ولهذا ذكر الحافظ البيهقي قصّة ثمامة بن أثال قبل فتح مكة وهو أشبه، ولكن ذكرناه ها هنا اتباعاً للبخاري رحمه الله. وقال البخاري: حدّثنا أبو اليمان، ثنا شعيب عن عبد اللّه بن أبي حسين، ثنا نافع بن جبير، عن ابن عباس. قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمّد الأمر من بعده اتبعته، وقدم في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مُسَيْلمة في أصحابه. فقال له: **«لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي رأيت فيه ما أريت، وهذا ثابت يجيبك عني»** ثم انصرف عنه. قال ابن عبّاس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك الذي رأيت فيه ما أريت، فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحي إليّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأوّلتهما كذّابين يخرجان بعدي، أحدهما الأسود العنسي والآخر مسيلمة»**[1]. ثم قال البخاري: حدّثنا إسحاق بن نصر، ثنا عبد الرزّاق، أخبرني معمر عن هشام بن أمية أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أنا نائم أُتِيتُ بخزائن الأرض، فَوُضِعَ في كفيّ سواران من ذهب، فَكَبُرا عليّ، فأوحِيَ إليّ أنْ أنفُخهما، فنفختهما فذهبا فأوّلتُهما الكذّابَيْن اللذين أنا بينهما؛ صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة»**[2].

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن محمّد الجرمي، ثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا أبي عن صالح، عن ابن عُبَيْدة عن نشيط ـ وكان في [موضع][3] آخر اسمه عبد اللّه ـ أن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة. قال: بلغنا أن مُسَيْلمة الكذّاب قدم المدينة فنزل في دار بنت الحارث، وكان تحته بنت الحارث بن كريز، وهي أم عبد اللّه بن الحارث[4] بن كريز، فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت ابن قيس بن شمّاس، وهو الذي يقال له خطيب رسول الله ﷺ، وفي يد رسول الله ﷺ قضيب، فوقف عليه فكلّمه فقال له مسيلمة: إن شئتَ خليتَ بينك وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك. فقال رسول الله ﷺ: **«لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه وإني لأراك الذي رأيت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس بن شماس، وسيجيبك عني»** فانصرف رسول الله ﷺ. قال عبد اللّه: سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ الذي ذكر، فقال ابن عباس: ذكر لي أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٠، والمناقب باب ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٠.

(٣) سقط في ط.

(٤) في البخاري: أم عبد الله بن عامر بن كريز.

«بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما، فأذن لي فنفختهما فطارا فأولتهما كذّابين [يخرجان]»فقال عُبَيد الله: أحدهما العنسي الذي قتله] [١]فيروز باليمن، والآخر مسيلمة الكذّاب [٢].

وقال محمّد بن إسحاق: قدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب ـ وقال ابن هشام: هو مسيلمة بن ثمامة ويكنى: أبا سمامة، وقال أبو القاسم السهيلي: [هو] [٣]مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هماز بن ذهل بن الزول بن حنيفة، ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون، وكان قد تسمّى بالرحمان، فكان يقال له: رحمان اليمامة، وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة، وكان يعرف أبواباً من النيرجات، فكان يُدخل البيضة إلى القارورة، وهو أول من فعل ذلك، وكان يقصّ جناح الطير ثم يصله، ويدعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب منها.

قلت: وسنذكر أشياء من خبره عند [ذكر] [٤]مقتله لعنه الله.

قال ابن إسحاق: وكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بني النجّار.

قال [السهيلي] [٥]: هي زينب، وقيل كبشة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس، كان مسيلمة قد تزوجها قديماً ثم فارقها فلهذا نزلوا في دارها قال ابن إسحاق: فحدَّثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه معه عسيب [٦]من سعف النخل في رأسه خوصات، فلما أنتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلّمه وسأله فقال له رسول الله ﷺ: «لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه»قال ابن إسحاق: وحدَّثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة، أن حديثه كان على غير هذا. وزعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلّفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركائبنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «أما أنه ليس بشرِّكم مكاناً»أي لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذي يريد رسول الله ﷺ، قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وجاؤوا مُسَيْلمة بما أعطاه رسول الله ﷺ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذّب لهم. وقال: إني قد أشركت في الأمر معه، وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما إنه ليس بشرّكم مكاناً، ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم السجعات، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا. وأحلّ لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي. فأصفقت [٧]معه بنو حنيفة على

---

(١) ما بين المعقوفين من البخاري
(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧١.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) سقط في ط.
(٦) العسيب: قضيب من النخل.
(٧) أصفقت: أي اجتمعت معه.

ذلك. قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان. وذكر السهيلي وغيره أن الرَّحال بن عنفوة - واسمه نهار بن عنفوة - وكان قد أسلم وتعلّم شيئاً من القرآن، وصحب رسول الله ﷺ مدّة، وقد مرّ عليه رسول الله ﷺ وهو جالس مع أبي هريرة وفرات بن حيّان فقال لهم: «أحدكم ضرسه في النار مثل أحد» فلم يزالا خائفين حتى ارتدّ الرحال مع مُسَيْلمة وشهد له زوراً أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر معه، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن، فادعاه مُسَيْلمة لنفسه، فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة، وقد قتله زيد بن الخطّاب يوم اليمامة كما سيأتي. قال السهيلي: وكان مؤذن مُسَيْلمة يقال له حُجَير، وكان مدبّر الحرب بين يديه محكم بن الطفيل، وأضيف إليهم سجاح، وكانت تكنى أم صادر، تزوّجها مُسَيْلمة وله معها أخبار فاحشة، واسم مؤذّنها زُهَير بن عمرو، وقيل جنبة بن طارق، ويقال: إن شبث بن ربعي أذّن لها أيضاً، ثم أسلم وقد أسلمت هي أيضاً أيام عمر بن الخطّاب فحسن إسلامها، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وقد كان مُسَيْلمة بن حبيب كتب إلى رسول الله ﷺ من مُسَيْلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله؛ سلام عليك أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، فإن لنا نصف الأمر، ولقريش نصف الأمر، ولكن قريشاً قوم لا يعتدون. فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب، فكتب إليه رسول الله ﷺ؛ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين. قال: وكان ذلك في آخر سنة عشر - يعني ورود هذا الكتاب - قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق، فحدَّثني سعد ابن طارق، عن سلمة بن نعيم بن مسعود، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين جاءه رسولا مُسَيْلمة الكذّاب بكتابه يقول لهما: «وأنتما تقولان مثل ما يقول؟» قالا: نعم! فقال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما. وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد اللّه بن مسعود. قال: جاء ابن النواحة وابن أثال رسولين لمُسَيْلمة الكذّاب إلى رسول الله ﷺ. فقال لهما: «أتشهدان أني رسول الله» فقالا: نشهد أن مُسَيْلمة رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «آمنت بالله ورسله، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما» قال عبد اللّه بن مسعود: فمضت السنّة بأن الرسل لا تقتل. قال عبد اللّه: فأما ابن أثال فقد كفاه الله، وأما ابن النواحة فلم يزل في نفسي منه حتى أمكن الله منه. قال الحافظ البيهقي: أما ثمامة ابن أثال فإنه أسلم، وقد مضى الحديث في إسلامه. وأما ابن النواحة فأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزني أنبأنا أبو عبد اللّه محمّد بن يعقوب، ثنا محمّد بن عبد الوهّاب، ثنا جعفر بن عون، أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم. قال: جاء رجل إلى عبد اللّه بن مسعود فقال: إني مررت ببعض مساجد بني حنيفة، وهم يقرؤون قراءة ما أنزلها الله على محمّد ﷺ؛ والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً. قال: فأرسل إليهم عبد اللّه فأتى بهم وهم سبعون رجلاً، ورأسهم عبد اللّه بن النواحة، قال فأمر به عبد اللّه فقتل، ثم قال: ما كنا بمحرزين الشيطان من هؤلاء، ولكن نحوزهم إلى الشام لعلّ الله أن يكفيناهم. وقال الواقدي: كان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلاً، عليهم

سلمى بن حنظلة، وفيهم الرحال بن عنفوة، وطلق بن علي، وعلي بن سنان، ومُسَيْلمة بن حبيب الكذّاب، فأنزلوا في دار مسلمة بنت الحارث، وأجريت على الضيافة، فكانوا يؤتون بغداء وعشاء مرّة خبزاً ولحماً، ومرّة خبزاً ولبناً، ومرة خبزاً، ومرّة خبزاً وسمناً، ومرّة تمراً ينزلهم. فلما قدموا المسجد أسلموا وقد خلّفوا مُسَيْلمة في رحالهم، ولما أرادوا الانصراف أعطاهم جوائزهم خمس أواق من فضة، وأمر لمُسَيْلمة بمثل ما أعطاهم لما ذكروا أنه في رحالهم فقال: «**أما إنه ليس بشرّكم مكاناً**» فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه، فقال: إنما قال ذلك لأنه عرف أن الأمر لي من بعده، وبهذه الكلمة تشبّث قبّحه الله، حتى ادعى النبوة. قال الواقدي: وقد كان رسول الله ﷺ بعث معهم بأداوة فيها فضل طهوره، وأمرهم أن يهدموا بيعتهم وينضحوا هذا الماء مكانه. ويتخذوه مسجداً، ففعلوا. وسيأتي ذكر مقتل الأسود العنسي في آخر حياة رسول الله ﷺ، ومقتل مُسَيْلمة الكذّاب في أيام الصدّيق، وما كان من أمر بني حنيفة إن شاء الله تعالى.

وفد أَهل نجران

قال البخاري: حدّثنا عباس بن الحسين، ثنا يَحْيَىٰ بن آدم، عن إسرائيل، عن أَبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة. قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلاّ رجلاً أميناً، فقال: «**لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حقّ أمين**» فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ. فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمينُ هٰذه الأمة**»[١] وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث شعبة عن أَبي إسحاق به. وقال الحافظ أَبو بكر البيهقي: أنبأنا أَبو عبد الله الحافظ، وأَبو سعيد محمّد بن موسى بن الفضل قالا: ثنا أَبو العباس محمّد بن يعقوب، ثنا أَحمد بن عبد الجبّار، ثنا يونس بن بكير، عن سلمة بن يشوع، عن أبيه، عن جدّه - قال يونس: وكان نصرانياً فأسلم - أن رسول الله ﷺ كتب إلى نجران قبل أن ينزل عليه ﴿طس﴾ سليمان[٢]؛ باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

من محمّد النبي رسول الله إلى أسقف نجران أسلم أنتم[٣] فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٢، والآحاد باب ١، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٥٥، وأحمد في المسند ٥/٣٩٨، ٤٠٠.

(٢) يريد سورة التي فيها الآية الكريمة: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

(٣) كذا في الأصل والصواب: اسلم تسلم، وفي الدلائل: إن أسلمتم فإني أحمد إليكم الله.

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه قطع به وذعر به ذعراً شديداً، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ـ وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأتهم[١] ولا السيد ولا العاقب ـ فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوّة، فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوّة رأي، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأي وجهدت لك، فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى شرحبيل فجلس ناحيته، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حِمْيَر، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف تنح فاجلس فتنحى فجلس ناحيته، وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض، من بني الحارث بن كعب، أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف فتنحى، فجلس ناحيته، فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمع حين ضرب بالناقوس، ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله وطول الوادي، مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله ابن شرحبيل الأصبحي، وجبار بن فيض الحارثي، فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ، قال: فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلّموا عليه، فلم يرّد عليهم السلام، وتصدّوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلّمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفّان وعبد الرَّحمٰن بن عوف، وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس. فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرَّحمٰن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلّمنا عليه فلم يردّ سلامنا، وتصدّينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان ولعبد الرَّحمٰن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه، ففعلوا فسلّموا فرّد سلامهم. ثم قال: **«والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرّة الأولى، وأن إبليس لمعهم»**، ثم ساءلهم وساءلوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا ما تقول في عيسى فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى ليسرّنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى»** فأصبح الغد وقد أنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية ﴿إِنَّ مَثَلَ

---

(١) كذا في الأصل، وفي ابن هشام: الأبهم بالباء وجعله ابن السيد.

عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٩ ـ ٦١]. فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدّة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلاّ عن رأيي، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً متقوياً فكنا أول العرب طعن في عيبته، وردّ عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا أدنى العرب منهم جواراً، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلاّ هلك، فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً[1] أبداً، فقالا له: أنت وذاك، قال: فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك فقال: «وما هو»؟ فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فما حكمك فينا فهو جائز، فقال رسول الله ﷺ: «لعل وراءك أحد يثرب عليك؟» فقال شرحبيل: سل صاحبيّ، فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلاّ عن رأي شرحبيل فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمّد النبي الأمّي رسول الله لنجران أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل عليهم، وترك ذلك كله على ألفيّ حلّة في كل رجب ألف حلّة، وفي كل صفر ألف حلّة، وذكر تمام الشروط. إلى أن قال: شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة، وكتب حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران، ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمّه من النسب، يقال له: بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران، إذ كبت ببشر ناقته فتعّس بشر، غير أنه لا يكنى عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعست نبياً مرسلاً، فقال له بشر: لا جرم والله لا أحلّ عنها عقداً حتى آتي رسول الله ﷺ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه، فقال له: افهم عني إنما قلت هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يروا أنا أخذنا حقّه أو رضينا بصوته، أو نجعنا[2] لهذا الرجل بما لم تنجع به العرب، ونحن أعزهم وأجمعهم داراً فقال له بشر: لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بشر ناقته وهو مولي الأسقف ظهره وارتجز يقول:

إليك تغدو قلقاً وضينها ... مُعْترضاً في بطنها جنينها

---

(١) شططاً: بعداً عن الحق.

(٢) نجعنا: الناجع طلب الكلأ في مواضعه وماء ناجع: أي مريء ونجع الطعام في الإنسان هنأ آكله واستمرأه وصلح عليه. ونجعنا هنا على التشبيه بمعنى قصدناه واستمرأناه.

مــخــالــفــاً ديــن الــنــصــارى ديــنــهــا

حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك. قال: ودخل الوفد نجران فأتى الراهب بن أبي شمر الزبيدي، وهو في رأس صومعته فقال له: إن نبياً بعث بتهامة، فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله ﷺ، وأنه عرض عليهم الملاعنة فأبوا، وإن بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم، فقال الراهب: أنزلوني وإلاّ ألقيت نفسي من هذه الصومعة قال: فأنزلوه فأخذ معه هدية وذهب إلى رسول الله ﷺ منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء وقعب وعصا. فأقام مدّة عند رسول الله ﷺ يسمع الوحي، ثم رجع إلى قومه، ولم يقدّر له الإسلام، ووعد أنه سيعود فلم يقدّر له حتى توفي رسول الله ﷺ، وأن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيّد والعاقب، ووجوه قومه، فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه، وكتب للأسقف هذا الكتاب، ولأَسَاقفة نجران بعده: بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد النبي للأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، جوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك، جوار الله ورسوله أبداً ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين وكتب المغيرة بن شعبة.

وذكر محمّد بن إسحاق أن وفد نصارى نجران كان ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم، وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأتهم[1] وأبو حارثة بن علقمة وأوس ابن الحارث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس، وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثة منهم وهم: العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلاّ عن رأيه، والسيد وكان ثمالهم[2] وصاحب رحلهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وخيرهم، وكان رجل من العرب من بكر بن وائل، ولكن دخل في دين النصرانية فعظّمته الروم، وشرّفوه، وبنوا له الكنائس ومولوه وخدموه لما يعرفون من صلأبته في دينهم، وكان مع ذلك يعرف أمر رسول الله ﷺ، ولكن صدّه الشرف والجاه من اتباع الحق. وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدَّثني بريدة بن سفيان، عن ابن البيلماني عن كرز[3] بن علقمة. قال: قدم وفد نصارى نجران ستون راكباً منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب والسيد وأبو حارثة أحد بني بكر ابن وائل، أسقفهم وصاحب مدارستهم، وكانوا قد شرّفوه فيهم ومولوه وأكرموه، وبسطوا عليه الكرامات وبنوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما توجّهوا من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز: تعس الأبعد ـ يريد رسول الله ﷺ ـ. فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست فقال له

(١) تقدم عن ابن هشام أنه الأبهم (بالباء).

(٢) الثمال: الملجأ والغياث قاله في النهاية.

(٣) سمّاه ابن هشام كوز بن علقمة في جميع المواضع.

كرز: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره، فقال له كرز: وما يمنعك وأنت تعلم هذا؟ فقال له: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرّفونا ومّولونا وأخدمونا، وقد أبوا إلاّ خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، قال: فأضمر عليها منه أخوه كرز حتى أسلم بعد ذلك. وذكر ابن إسحاق أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان، وقد حانت صلاة العصر فقاموا يصلون إلى المشرق. فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فكان المتكلّم لهم أبا حارثة ابن علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدر من سورة آل عمران والمباهلة، فأبوا ذلك، وسألوا أن يرسل معهم أميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجرّاح كما تقدم في رواية البخاري، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسير سورة آل عمران ولله الحمد والمنة.

وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن مقيس [لعنهما الله][١]

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن مقيس بن جزء بن خالد وجبار[٢] بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم، وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا أبا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم. قال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد: إن قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف، فلما قدموا على رسول الله ﷺ. قال عامر ابن الطفيل: يا محمّد خالني قال: «**لا والله حتى تؤمن بالله وحده**» قال: يا محمّد خالني، قال: وجعل يكلّمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئاً، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمّد خالني، قال: «**لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له**» فلما أبى عليه رسول الله ﷺ. قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فلما ولّى قال رسول الله ﷺ: «**اللّهمّ اكفني عامر بن الطفيل**» فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل لأربد: أين ما كنت أمرتك به، والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسي منك، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبا لك لا تعجل عليّ والله ما هممت بالذي أمرتني به إلاّ دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف. وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله عزّ وجلّ على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر أغدة[٣] كغدة البكر[٤] في بيت امرأة من

---

(١) سقط في ط.

(٢) في الأصل حيان.

(٣) الغدة: داء يصيب البعير فيموت منه، وهو شبيه بالذبحة التي تصيب الإنسان.

(٤) البكر: الفتي من الإبل، وإنما تأسف عامر إن لم يمت مقتولاً، كما يتأسف الشجعان وتأسف أيضاً على موته في بيت امرأة من بني سلول، لأن بني سلول قبيل موصوف عندهم باللؤم، وليس ذلك للؤم أصولهم، لأن مكانهم من قومهم مشهور، وإنما هو شيء غلب عليهم كما غلب على محارب وباهلة.

بني سلول؟ قال ابن هشام: ويقال: أغدة كغدة الإبل وموت في بيت سلولية؟ وروى الحافظ البيهقي من طريق الزبير بن بكار: حدثتني فاطمة بنت عبد العزيز بن موءلة عن أبيها، عن جدها، موءلة بن حميل[1] قال: أتى عامر بن الطفيل رسول الله ﷺ فقال له: **«يا عامر أسلم»** فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر، قال: **«لا»** ثم قال: أسلم فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر، قال: لا فولى وهو يقول: والله يا محمّد لأملأنها عليك خيلاً جرداً، ورجالاً مرداً، ولأربطنّ بكلّ نخلة فرساً. فقال رسول الله ﷺ: **«اللّهمّ اكفني عامراً وأهدِ قومه»**. فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذته غدة في حلقه، فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول: غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية، فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً. وذكر الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في الاستيعاب في أسماء الصحابة موءلة هذا فقال هو موءلة بن كثيف الضبابي الكلابي العامري، من بني عامر بن صعصعة، أتى رسول الله ﷺ وهو ابن عشرين سنة فأسلم، وعاش في الإسلام مائة سنة، وكان يدعى ذا اللسانين من فصاحته، روى عنه ابنه عبد العزيز، وهو الذي روى قصّة عامر بن الطفيل غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

قال الزبير بن بكار: **حدثتني** ظميا بنت عبد العزيز بن مَوْءَلة بن كثيف بن حميل بن خالد ابن عمرو بن معاوية، وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قالت: حدثني أبي عن أبيه، عن موءلة أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم وهو ابن عشرين سنة، وبايع رسول الله ﷺ ومسح يمينه وساق إبله إلى رسول الله ﷺ فصدقها بنت لبون، ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله ﷺ وعاش في الإسلام مائة سنة، وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته. قلت: والظاهر أن قصّة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح، وإن كان ابن إسحاق والبيهقي قد ذكراها بعد الفتح، وذلك لما رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، أنبأنا محمّد بن إسحاق، أنبأنا معاوية ابن عمرو، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي، عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة، عن أنس في قصّة بئر معونة، وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان خال أنس بن مالك، وغدره بأصحاب بئر معونة، حتى قتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية كما تقدم. قال الأوزاعي قال يَحْيَىٰ: فمكث رسول الله ﷺ يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً: **«اللّهمّ أكفني عامر بن الطفيل بما شئت، وابعث عليه ما يقتله»**، فبعث الله عليه الطاعون. وروي عن همام، عن إسحاق بن عبد اللّه، عن أنس في قصة ابن ملحان قال: وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ويكون لي أهل الوبر وأكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، قال: فطُعِن في بيت امرأة فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة من بني فلان ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه.

قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين وَارَوْه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين، فلما

(١) في القاموس: موءلة بن كثيف بن حمل. وفي الإصابة: ابن جميل.

قدموا أتاهم قومهم: فقالوا: وما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله الآن، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما. قال ابن إسحاق: وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه فقال لبيد يبكي أربد:

ما أن تعري[1] المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد[2]
فعين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام النساء في كبد
إن يشغبوا لا يبال شغبهم ... أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب وفي حلاوته ... مر لصيق الأحشاء والكبد[3]
وعين هلا بكيت أربد إذ ... ألوت رياح الشتاء بالعضد[4]
وأصبحت لاقحاً مصرمة ... حتى تجلت غوابر[5] المدد
أشجع من ليث غابة لحم ... ذو نهمة في العلا ومنتقد
لا تبلغ العين كل نهمتها ... ليلة تمسي الجياد كالقدد[6]
الباعث النوح في مآتمه ... مثل الظباء الأبكار بالجرد
فجعني البرق والصواعق بالفا ... رس يوم الكريهة النجد
والحارب الجابر الحريب إذا ... جاء نكيباً وإن يعد يعد[7]
يعفو على الجهد والسؤال كما ... ينبت غيث الربيع ذو الرصد
كل بني حرة مصيرهم ... قل وإن كثروا من العدد
إن يغبطوا يهبطوا وإن ... أمروا يوماً فهم للهلاك والنفد

وقد ذكر[8] ابن إسحاق عن لبيد أشعاراً كثيرة في رثاء أخيه لأمه أربد بن قيس، تركناها اختصاراً واكتفاء بما أوردناه والله الموفق للصواب.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: فأنزل الله عزّ

---

(١) في الأصل: تعزى بالزاي، وفي ابن هشام بالراء وفي الخشني بالدال المهملة، وقال: معناه هنا تترك.
(٢) أربد اسم علم، والحتوف: المنايا، والنوء: النجم والمطر.
(٣) الأريب: العاقل الداعي.
(٤) العضد: الشجر ذهبت الريح بأوراقه، يريد عند الجذب وتبدل الأشعار.
(٥) المصرّمة: التي لا لبن لها، والغوابر: البقايا.
(٦) القدد: ج قدة وهي السير بقطع من الجلد يشبه به الخيل بالسير في النحول والضعف.
(٧) الحارب والحريب: السالب والمسلوب، والنكيب: المنكوب المصاب.
(٨) في ط: روى.

وجل في عامر وأربد ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ٨. ١١] يعني محمّداً ﷺ ثم ذكر أربد وقتله فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [سورة الرعد: ١١ـ١٣].

قلت: وقد تكلّمنا على هذه الآيات الكريمات في سورة الرعد ولله الحمد والمنّة، وقد وقع لنا إسناد ما علّقه ابن هشام رحمه الله، فروينا من طريق الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير، حيث قال: حدّثنا مسعدة بن سعد العطّار، حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدّثني عبد العزيز بن عمران، حدّثني عبد الرّحمٰن وعبد اللّه ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما، عن عطاء بن يسار، عن ابن عبّاس: أن أربد بن قيس بن جزء بنٌ خالد بن جعفر بن كلاب، وعامر بن الطفيل بن مالك، قدما المدينة على رسول الله ﷺ فانتهيا إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه: فقال عامر بن الطفيل: يا محمّد ما تجعل لي إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم**». قال عامر: أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك. فقال رسول الله ﷺ: «**ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل**». قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر. قال رسول الله ﷺ: «**لا**» فلما قفا من عنده، قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فقال رسول الله ﷺ: «**يمنعك الله**» فلما خرج أربد وعامر قال عامر: يا أربد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف، فإن الناس إذا قتلت محمّداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدّيّة، ويكرهوا الحرب، فسنعطيهم الديّة، قال أربد: افعل. فأقبلا راجعين إليه، فقال عامر: يا محمّد قم معي أكلّمك، فقام معه رسول الله ﷺ [جلياً إلى الجدار][1]، ووقف معه رسول الله ﷺ يكلّمه، وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف، فلم يستطع سل السيف، فأبطأ أربد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع فانصرف عنهما، فلما خرج أربد وعامر من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كانا بالحرّة حرّة واقم، نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير فقالا: اشخصا يا عدوا الله لعنكما الله، فقال عامر: من هذا يا سعد؟ قال: أسيد بن حضير الكتائب، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم، أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالحرة أرسل الله قرحة فأخذته، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول: غدة كغدة الجمل في بيت سلولية يرغب [عن] أن يموت في بيتها، ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليه راجعاً، فأنزل الله فيهما ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ إلى قوله ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ يعني

(١) سقط في ط.

محمّداً ﷺ، ثم ذكر أربد وما قتله به، فقال: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ الآية، وفي هذا السياق دلالة على ما تقدم [من] قصة عامر وأربد، وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه والله أعلم. وقد تقدم وفود الطفيل بن عامر الدوسي رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بمكة وإسلامه، وكيف جعل الله له نوراً بين عينيه، ثم سأل الله فحوّله له إلى طرف سوطه، وبسطنا ذلك هنالك فلا حاجة إلى إعادته ها هنا كما صنع البيهقي وغيره.

قدوم ضمام بن ثعلبة [على رسول الله ﷺ][١] وافداً على قومه [بني سعد بن بكر][٢]

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن الوليد بن نويفع[٣] عن كريب، عن ابن عباس. قال: بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ ، فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر، ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه. فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أنا ابن عبد المطلب»** فقال: يا محمّد، قال: **«نعم»**!. قال: يا ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك. قال: **«لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك»** فقال: أنشدك إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: **«اللّهمّ نعم!»** قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال: **«اللّهمّ نعم!»** قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: **«نعم!»** قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة، والصيام، والحجّ، وشرائع الإسلام كلّها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمّداً رسول الله وسأؤدي هذه الفرائض واجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنّة»** قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم [على قومه][٤] فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلّم أن قال بئست اللاّت والعزّى. فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون. فقال: ويلكم إنهما والله لا يضرّان ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه. وإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله. وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه. قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً. قال: يقول ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[٥].

---

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.
(٣) في ط: تويفع. (٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٢٣، وأحمد في المسند ١/ ٢٦٤، ٢٦٥.

وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهري، عن أبيه، عن ابن إسحاق فذكره، وقد روى هذا الحديث أبو داود من طريق سلمة بن الفضل، عن محمّد بن إسحاق، عن سلمة بن كهيل، ومحمّد بن الوليد بن نويفع، عن كريب، عن ابن عباس بنحوه، وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح لأن العزّى خرّبها خالد بن الوليد أيام الفتح.

وقد قال الواقدي: حدَّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن كريب، عن ابن عباس. قال: بعثت بنو سعد بن بكر في رجب سنة خمس ضمام ابن ثعلبة، وكان جلداً أشعر ذا غدارتين وافداً إلى رسول الله ﷺ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فسأله فأغلظ [له][1] في المسألة، سأله عمّن أرسله وبما أرسله؟ وسأله عن شرائع الإسلام، فأجابه رسول الله ﷺ في ذلك كلّه، فرجع إلى قومه مسلماً قد خلع الأنداد، فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلاً مسلماً، وبنوا المساجد وأذنوا بالصلاة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم بن القاسم، ثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن ثابت، عن أنس بن مالك. قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمّد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق!»، قال: فمن خلق السموات؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: «نعم!» قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم!» قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك الله آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم!» قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سنتنا؟ قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم!» قال: وزعم رسولك أن علينا حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدق»، قال: ثم ولّى فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهنّ شيئاً ولا أنقص عليهنّ شيئاً. فقال النبيّ ﷺ: «**إن صدق ليدخلن الجنّة**»[2].

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما بأسانيد وألفاظ كثيرة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقد رواه مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، وعلقه البخاري من طريقه، وأخرجه من وجه آخر بنحوه. فقال الإمام أحمد: حدّثنا حجاج، ثنا ليث، حدَّثني سعيد بن أبي سعيد عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، أنه سمع أنس بن مالك يقول:

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في العلم باب ٦، ومسلم في الإيمان حديث ١٠، والترمذي في الزكاة باب ٢، والنسائي في الصيام باب ١، وأحمد في المسند ١٩٣/٣.

بينا نحن عند رسول الله ﷺ جلوس في المسجد دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال: أيكم محمّد؟ ورسول الله ﷺ متكىء بين ظهرانيهم قال: فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء. فقال الرجل: يا ابن عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ: **«قد أجبتك»**، فقال الرجل: يا محمّد إني سائلك فمشتدّ عليك في المسألة فلا تجد عليّ في نفسك، فقال: **«سل ما بدا لك»**. فقال الرجل: أسألك بربّك وربّ من كان قبلك الله أرسلك إلى الناس كلّهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«اللّهمّ نعم!»** [قال: فأنشدك الله آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس اليوم والليلة؟ فقال: **«اللّهمّ نعم»**] [قال: فأنشدك الله][١]. الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم نعم»** [قال: أنشدك الله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة [من أغنيائنا][٢] فتقسمها على فقرائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم نعم»**]. قال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر[٣].

وقد رواه البخاري عن عبد اللّه بن يوسف عن الليث بن سعد، عن سعيد المقبري به، وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن الليث به. والعجب أن النسائي رواه من طريق آخر عن الليث قال: حدَّثني ابن عجلان وغيره من أصحابنا عن سعيد المقبري، عن شريك، عن أنس بن مالك، فذكره، وقد رواه النسائي أيضاً من حديث عُبَيد اللّه العمري، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، فلعلّه عن سعيد المقبري من الوجهين جميعاً.

فصل

وقد قدمنا ما رواه الإمام أحمد عن يَحْيَىٰ بن آدم، عن حفص بن غياث، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، في قدوم ضماد الأزدي على رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وإسلامه وإسلام قومه كما ذكرنا مبسوطاً بما أغنى عن إعادته ها هنا ولله الحمد والمنّة.

وفد طيىء مع زيد الخيل رضي الله عنه

[وهو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب، أبو مكنف الطائي، وكان من [أحسن][٤] العرب وأطوله رحلاً. وسمي زيد الخيل لخمس أفراس كُنّ له. قال السهيلي: ولهنّ أسماء لا يحضرني الآن حفظها.

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء وفيهم زيد الخيل وهو سيّدهم، فلما انتهوا إليه كلّموه وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا، فحسن إسلامهم. وقال

---

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه البخاري في العلم باب ٦، وأبو داود في الصلاة باب ٢٣، والنسائي في الصيام باب ١، وابن ماجه في الإقامة باب ١٩٤.

(٤) سقط في ط.

رسول الله ﷺ كما حدّثني من لا أتهم من رجال طيىء، ما ذكر رجلٌ من العرب بفضل، ثم جاءني، إلاّ رأيته دون ما يقال فيه، إلاّ زيد الخيل، فإنه لم يبلغ الذي فيه، ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له فيد وأرضين معه، وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله ﷺ: «إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال» وقد سمّاها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى، وغير أم مَلْدم [بفتح الميم وكسرها] ـ لم يثبته ـ قال ابن إسحاق: فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى فمات بها، ولما أحس بالموت قال:

أمرتحلٌ قومي المشارق غُدوةً ... وأُتركُ في بيت بفَردة منجدِ

ألا ربّ يوم لو مرضتُ لعادني ... عوائدُ من لم يَبْرَ منهنّ يجهد

قال: ولما مات عمدت امرأته بجهلها وقلّة عقلها ودينها إلى ما كان معه من الكتب فحرقتها بالنار. قلت: وقد ثبت في الصحيح عن أَبي سعيد أن علي بن أَبي طالب بعث إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في تربتها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة زيد الخيل، وعلقمة بن علاثة، والأقرع بن حابس، وعتبة بن بدر[(١)] الحديث، وسيأتي ذكره في بعث علي إلى اليمن إن شاء الله تعالى.

قصة عدي بن حاتم الطائي

قال البخاري في الصحيح وفد طيىء وحديث عدي بن حاتم: حدّثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أَبو عوانة، ثنا عبد الملك بن عمير، عن عمرو بن حريث، عن عدي بن حاتم. قال: أتينا عمر بن الخطّاب في وفد، فجعل يدعو رجلاً رجلاً يسمّيهم. فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ نكروا. فقال عدي: لا أبالي إذاً[(٢)]، وقال ابن إسحاق: وأما عدي بن حاتم فكان يقول فيما بلغني: ما رجل من العرب كان أشدّ كراهة لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع[(٣)] وكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبا لك أعدد لي من إبلي أجمالاً ذللاً سماناً فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمّد قد وطىء هذه البلاد فآذني ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمّد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٦، والمغازي باب ٦١، والتوحيد باب ٢٣، وأحمد في المسند ٦٨/٣، ٧٢، ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٦.

(٣) بالمرباع: أي آخذ ربع الغنائم، لأني سيدهم.

فقالوا هذه جيوش محمّد. قال: قلت: فقرب إلي أجمالي فقرّبها، فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت: الحق بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الحوشية وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها، وتخالفني خيل رسول الله ﷺ فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس بها، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة. فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك. قال: «ومن وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله، قالت: ثم مضى وتركني حتى إذا كان الغد، مرّ بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست، فأشار إليّ رجل خلفه أن قومي فكلّميه. قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك. فقال ﷺ: «**قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني**»، فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن كلّميه فقيل لي علي ابن أبي طالب، قالت: وأقمت حتى قدم من بلي أو قضاعة قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام، قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي، فنظرت إلى ظعينة تصوّب إلى قومنا، قال فقلت: ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ استحلت تقول القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك؟ قال قلت: أي أخيّة لا تقولي إلاّ خيراً، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت، قال: ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل، قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تزل في عزّ اليمن وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي، قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلّمت عليه. فقال: «**مَنْ الرجل؟**» فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته، تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقذفها إليّ فقال: «**اجلس على هذه**» قال قلت: بل أنت فاجلس عليها. قال: «**بل أنت**» فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، قال: قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «**إيه يا عدي بن حاتم ألم تكن ركوسياً**»[1] قال قلت: بلى! قال: «**أو لم تكن تسير في قومك بالمِرْباع**» قال: قلت: بلى! قال: «**فإن ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك**» قال: قلت: أجل! والله. قال: وعرفت أنه نبيّ مرسل يعلم ما يُجهل، ثم قال: «**لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخولٍ في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد**

---

(١) الركوسية: هو دين بين النصارى والصائبين ذكره في النهاية تفسيراً لهذا الخبر.

من يأخذه، ولعلّك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه إنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم». قال: فأسلمت، قال: فكان عدي يقول مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكوننّ وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه. هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذا السياق بلا إسناد، وله شواهد من وجوه أخر. فقال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة، سمعت سمّاك بن حرب، سمعت عباد بن حبيش يحدّث عن عدي بن حاتم. قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بعقرب[1] فأخذوا عمتي وناساً، فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ قال: فصفّوا له. قالت: يا رسول الله بان الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمنّ عليّ منّ الله عليك. فقال: «ومن وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «الذي فرّ من الله ورسوله»، قالت: فمنّ عليّ، فلما رجع ورجل إلى جنبه ـ ترى أنه عليّ ـ قال: سليه حملاناً، قال: فسألته فأمر لها، قال عدي: فأتتني فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها، وقالت: إيته راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه. قال: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي، فذكر قربهم منه، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر. فقال له: «يا عدي بن حاتم ما أفرّك؟ أفرك أن يقال: لا إله إلاّ الله، فهل من إله إلاّ الله، ما أفرك؟ أفرّك أن يقال: الله أكبر، فهل شيء هو أكبر من الله عزّ وجلّ؟»، فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر، وقال: «إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى» قال: ثم سألوه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل، ارتضخ امرؤ بصاع ببعض صاع بقبضة ببعض قبضة»؛ قال شعبة ـ وأكثر علمي أنه قال: «بتمرة بشق تمرة ـ وإنّ أحدكم لاقى الله فقائل؛ ما أقول ألم أجعلك سميعاً بصيراً، ألم أجعل لك مالاً وولداً فماذا قدّمت، فينظر من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئاً، فما يتقي النار إلاّ بوجهه، فاتقوا الله ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوه فبكلمة لينة، إني لا أخشى عليكم الفاقة، لينصرنكم الله وليعطينكم ـ أو ليفتحنّ عليكم ـ حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب، إن أكثر ما يخاف السرق على ظعنيتها»[2]. وقد رواه الترمذي من حديث شعبة وعمرو بن أبي قيس، كلاهما عن سمّاك، ثم قال: حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث سمّاك. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدّثنا يزيد، أنبأنا هشام بن حسّان عن محمّد بن سيرين، عن أبي عبيدة ـ هو ابن حذيفة ـ عن رجل. قال: قلت لعدي بن حاتم: حديث بلغني عنك أحبّ أن أسمعه منك قال: نعم! لمّا بلغني خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم ـ وفي رواية حتى

---

(١) كذا في الأصل ولعلها عقرباء: قرية في غوطة دمشق، ومكان باليمامة.
(٢) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب ٢، من سورة فاتحة الكتاب، وأحمد في المسند ٣٧٨/٤، ٣٧٩.

قدمت على قيصر ـ قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه، قال قلت: والله لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرّني، وإن كان صادقاً علمت.

قال: فقدمت فأتيته، فلمّا قدمت قال الناس: عدي بن حاتم؟ فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: **«يا عدي بن حاتم أسلم تسلم»** ثلاثاً، قال قلت: إني على دين. قال: **« أنا أعلم بدينك منك»**، فقلت: أنت تعلم بديني مني؟ قال: **«نعم! ألست من الركوسية، وأنت تأكل مرباع قومك؟»** قلت: بلى! قال: **«هذا لا يحلّ لك في دينك»**. قال: نعم! فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، قال: **«أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوّة لهم، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟»** قلت: لم أرها وقد سمعت بها، قال: **«فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحنّ كنوز كسرى بن هرمز»**؛ قال: قلت كنوز ابن هرمز؟ قال: **«نعم! كسرى بن هرمز، وليبذلنّ المال حتى لا يقبله أحد»**. قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة [تأتي] من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله ﷺ قد قالها[١]. ثم قال أحمد: **حدّثنا** يونس بن محمّد، حدّثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمّد بن سيرين، عن أبي عبيدة بن حذيفة، عن رجل. وقال حمّاد وهشام عن محمّد بن أبي عبيدة ولم يذكر عن رجل. قال: كنت أسأل الناس عن حديث عدي بن حاتم وهو إلى جنبي، ولا أسأله قال: فأتيته فسألته فقال: نعم! فذكر الحديث[٢]. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: **أنبأنا** أبو عمرو الأديب، أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني الحسن بن سفيان، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا النضر بن شميل، أنبأنا إسرائيل، أنبأنا سعد الطائي، أنبأنا محل بن خليفة، عن عدي بن حاتم. قال: بينا أنا عند النبيّ ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، وأتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل. قال: **«يا عدي بن حاتم هل رأيت الحيرة؟»** قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: **«فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلاّ الله عزّ وجلّ»** . قال: قلت في نفسي: فإن ذعّار طيىء ـ الذين سعروا البلاد ـ ولئن طالت بك حياة لنفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملء كفّه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم القيامه[٣] ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ جهنّم، وينظر عن شماله فلا يرى إلاّ جهنم، قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، فإن لم تجدوا شق تمرة فبكلمة طيبة»** قال عدي: فقد رأيت الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلاّ الله عزّ وجلّ، وكنت فيمن افتتح

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٥٧.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٥٨.
(٣) في ط: بلقاه.

كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم ﷺ[1]. وقد رواه البخاري عن محمّد بن الحكم، عن النضر بن شميل به بطوله. وقد رواه من وجه آخر عن سعدان بن بشر، عن سعد أَبي مجاهد الطائي، عن محل بن خليفة، عن عدي به. ورواه الإمام أَحمد والنسائي من حديث شعبة، عن سعد أَبي مجاهد الطائي به. وممن روى هذه القصة عن عدي، عامر بن شرحبيل الشعبي فذكر نحوه. وقال: لا تخاف إِلاَّ الله والذئب على غنمها. وثبت في صحيح البخاري من حديث شعبة، وعند مسلم من حديث زهير بن معاوية، كلاهما عن أَبي إِسحاق، عن عبد اللّه بن معقل بن مقرن المزني، عن عدي بن حاتم. قال قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»** ولفظ مسلم: **«من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشقّ تمرة فليفعل»**[2] طريق أخرى فيها شاهد لما تقدّم، وقد قال الحافظ البيهقي: أنبأنا أَبو عبد اللّه الحافظ ، حدَّثني أَبو بكر بن محمّد بن عبد اللّه بن يوسف، ثنا أَبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي، ثنا ضرار بن صرد، ثنا عاصم بن حميد، عن أَبي حمزة الثمالي، عن عبد الرَّحمٰن بن جندب، عن كميل بن زياد النخعي. قال: قال علي بن أَبي طالب: يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في خير، عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً، لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدلّ على سبيل النجاح، فقام إليه رجل فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! وما هو خير منه، لما أُتي بسبايا طيىء وقفت جارية حمراء لعساء دلفاء عيطاء شمّاء الأنف معتدلة القامة والهامة، درماء الكعبين، خدلة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، مصقولة المتنين. قال: فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبن إلى رسول الله ﷺ يجعلها في فيئي، فلما تكلّمت أنسيت جمالها من فصاحتها. فقالت: يا محمّد إن رأيت أن تخلي عنّا ولا تُشمِت بنا أحياء العرب، فإني ابنة سيّد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفش السلام، ولم يردّ طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء، فقال رسول الله ﷺ: **«يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه، خلّوا عنها، فإنا أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق»**. فقام أَبو بردة بن نيار. فقال: يا رسول الله تحب مكارم الأخلاق[3] فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يدخل أحد الجنّة إِلاَّ بحسن الخلق»**. هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جداً، عزيز المخرج، وقد ذكرنا ترجمة حاتم طيء [في][4] أيام الجاهلية عند ذكرنا من مات من أعيان المشهورين فيها،

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥، والزكاة باب ٩، والنسائي في الزكاة باب ٦٣، وأحمد في المسند ٢٥٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة باب ١٠، ومسلم في الزكاة حديث ٦٦، وأحمد في المسند ٣٧٧/٤.

(٣) كذا في الأصلين.

(٤) سقط في ط.

وما كان يسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان، إلاَّ أن نفع ذلك في الآخرة معذوق بالإيمان، وهو ممن لم يقل يوماً من الدهر ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين. وقد زعم الواقدي أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب في ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طيء، فجاء معه بسبايا فيهم أخت عدي بن حاتم، وجاء معه بسيفين كانا في بيت الصنم، يقال لأحدهما الرسوب والآخر المخذم، كان الحارث بن أبي إسحاق[1] قد نذرهما لذلك الصنم.

[قال البخاري رحمه الله][2]: قصة دوس والطفيل بن عمرو.

حدّثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن ابن ذكوان ـ هو عبد اللّه بن زياد. عن عبد الرّحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت وعصت وأبت، فادع الله عليهم. فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اهد دوساً وأت بهم»**[3]. انفرد به البخاري من هذا الوجه، ثم قال: حدّثنا محمّد بن العلاء، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا إسماعيل عن قيس، عن أبي هريرة قال: لما قدمت على النّبيّ ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلة من طولها وعنائها ... على أنها من دَارَةِ الكُفْرِ نَجَّت

وأبق لي غلام في الطريق، فلما قدمت على النّبيّ ﷺ وبايعته، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام، فقال لي النّبيّ ﷺ: يا أبا هريرة هذا غلامك، فقلت: هو حرّ لوجه الله عزّ وجلّ، فأعتقته[4] انفرد به البخاري من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم؛ وهذا الذي ذكره البخاري من قدوم الطفيل بن عمرو، فقد كان قبل الهجرة، ثم إن قدر قدومه بعد الهجرة، فقد كان قبل الفتح لأن دوساً قدموا ومعهم أبو هريرة، وكان قدوم أبي هريرة ورسول الله ﷺ محاصر خيبر، ثم ارتحل أبو هريرة حتى قدم على رسول الله ﷺ خَيْبر بعد الفتح، فرضخ لهم شيئاً من الغنيمة، وقد قدّمنا ذلك كلّه مطولاً في مواضعه.

قال البخاري رحمه الله:

قدوم الأشعريين وأهل اليمن

ثم روى من حديث شعبة عن سليمان بن مهران الأعمش، عن ذكوان أبي صالح السمان، عن أبي هُرَيْرة، عن النّبيّ ﷺ قال: **«أتاكم أهل اليمن هم أرقّ أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»**[5] ورواه مسلم من حديث شعبة، ثم رواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ. قال: **«أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً**

(١) كذا في الأصل. وفي التيمورية: ابن أبي إسحاق.
(٢) سقط في ط.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٥.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٥.
(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٤، ومسلم في الإيمان حديث ٩١.

وأرق أفئدة. الفقه يمان، والحكمة يمانية»[1] ثم روى عن إسماعيل، عن سليمان، عن ثور، عن أبي المغيث، عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان يمان، والفتنة ها هنا، ها هنا يطلع قرن الشيطان»[2] ورواه مسلم عن شعيب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة. ثم روى البخاري من حديث شعبة عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان ها هنا ـ وأشار بيده إلى اليمن ـ، والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان، ربيعة ومضر»[3] وهكذا رواه البخاري أيضاً، ومسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو. ثم روى من حديث سفيان الثوري عن أبي صخرة جامع بن شداد، [ثنا صفوان بن محرز عن عمران بن حصين. قال: جاءت بنو تميم إلى رسول الله ﷺ فقال: «ابشروا يا بني تميم» فقالوا: أما إذا بشّرتنا فأعطنا، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ]، فجاء ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» فقالوا: قبلنا يا رسول الله[4]. وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث الثوري به، وهذا كلّه مما يدل على فضل وفود أهل اليمن، وليس فيه تعرّض لوقت وفودهم، ووفد بني تميم، وإن كان متأخراً قدومهم لا يلزم من هذا أن يكون مقارناً لقدوم الأشعريين، بل الأشعريين متقدّم وفدهم على هذا، فإنهم قدموا صحبة أبي موسى الأشعري في صحبة جعفر بن أبي طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبشة، وذلك كلّه حين فتح رسول الله ﷺ خَيْبر كما قدّمناه مبسوطاً في موضعه، وتقدّم قوله ﷺ: «والله ما أدري بأيهما أسرّ أبقدوم جعفر أو بفتح خَيبر» والله سبحانه وتعالى أعلم. قال البخاري:

قصة عمان والبحرين

حدّثنا قتيبة بن سعيد، ثنا سفيان، سمع محمّد بن المنكدر، سمع جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا» ثلاثاً فلم يقدم مال البحرين حتى قُبض رسول الله ﷺ، فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى من كان له عند النبيّ ﷺ دين أو عدة فليأتني، قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن رسول الله ﷺ قال: «لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً» قال: فأعرض عني، قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني، ثم أتيته فلم يعطني، ثم أتيته الثالثة، فلم يعطني، فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطني وإما أن تبخل عني، قال: قلت: تبخل عني، قال: وأي داء أدوأ من البخل، قالها ثلاثاً ما منعتك من مرّة إلاّ وأنا

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٤، ومسلم في الإيمان حديث ٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٤، وبدء الخلق باب ١٥، ومسلم في الإيمان حديث ٨١.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٤، والترمذي في المناقب باب ٧٣، وأحمد في المسند ٤/٤٣١، ٤٣٢.

أريد أن أعطيك[١]، وهكذا رواه البخاري ها هنا، وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد، عن سفيان ابن عيينة به؛ ثم قال البخاري بعده وعن عمرو، عن محمّد بن علي، سمعت جابر بن عبد الله يقول: جئته فقال لي أبو بكر: عدّها فعددتها فوجدتها خمسمائة، فقال: خذ مثلها مرّتين، وقد رواه البخاري أيضاً عن علي بن المديني، عن سفيان هو ابن عيينة، عن عمرو بن دينار عن محمّد بن علي أبي جعفر الباقر، عن جابر، كروايته له عن قتيبة.

ورواه أيضاً هو ومسلم من طرق أخر عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن محمّد بن علي، عن جابر بنحوه؛ وفي رواية أخرى له أنه أمره فحثى بيديه من دراهم فعدّها فإذا هي خمسمائة، فأضعفها له مرّتين، يعني فكان جملة ما أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم.

وفود فروة بن مسيك المرادي أحد رؤساء قومه [إلى رسول الله ﷺ][٢]

قال ابن إسحاق: وقدم فروة بن مسيك المرادي مفارقاً لملوك كندة، ومباعداً لهم، إلى رسول الله ﷺ وقد كان بين قومه مراد وبين همدان وقعة قبيل الإسلام أصابت همدان من قومه حتى أثخنوهم، وكان ذلك في يوم يقال له: الرّدْم، وكان الذي قاد همدان إليهم الأجدع بن مالك، قال ابن هشام: ويقال مالك بن خُرَيم الهمداني. قال ابن إسحاق: فقال فروة بن مسيك في ذلك اليوم:

مررنَ على لفَات وهنّ خُوصٌ ... يُنازِعن الأعنّة ينتحينا[٣]
فإن نَغْلِب فغلاّبون قِدْماً ... وإن نُغْلَب فغيرُ مغلّبينا
وما إن طبّنا جُبْن ولكن ... مَنَايانا وطُعْمَةُ آخرينا
كذاك الدهر دولتُه سِجَالٌ ... تكرّ صروفُه حيناً فحِينا
فبينا ما نُسرّ به ونَرْضى ... ولو لُبِسَت غَضَارته سِنينا
إذا انقلبت به كرّات دهر ... فألفى في الأولى غُبطوا طحينا[٤]
فمن يُغْبَط بريْب الدّهر منهم ... يَجِدْ ريبَ الزمان له خَؤونا
فلو خَلَد الملوك إذاً خلدنا ... ولو بقي الكرام إذاً بقينا
فأفنى ذلكم سَرَواتِ قومي[٥] ... كما أفنى القرونَ الأولينا

قال ابن إسحاق: ولما توجّه فروة بن مسيك إلى رسولِ الله ﷺ مفارقاً ملوك كندة قال:

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٣، والكفالة باب ٣، والشهادات باب ٢٨، ومسلم في الفضائل حديث ٦٠، ٦١، وأحمد في المسند ٣/٣٠٧، ٣٠٨.
(٢) سقط في ط.
(٣) لُفات: من ديار مراد، ولِفات (بالكسر): موضع بين مكة والمدينة.
(٤) كرات الدهر: عودته مرة بعد أخرى، وغبطوا: تمنوا ما لديه من نعمة.
(٥) سروات القوم: أشرافهم.

لـمـا رأيـت مـلـوك كـنـدة أعـرضـت كـالـرجـل خـان الـرِجْـلَ عِـرْقُ نـسـائـهـا[١]

قـرّبْـتُ راحِـلَـتـي أؤمُ مـحـمّـداً أرجـو فـواضـلـهـا وحـسـن ثـرائـهـا[٢]

قال: فلما انتهى فروة إلى رسول الله ﷺ قال له: ـ فيما بلغني ـ يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم. فقال: يا رسول الله من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلاّ خيراً» واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زبيد

قال ابن إسحاق: وقد كان عمرو بن معدي كرب قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس إنك سيّد قومك وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمّد قد خرج بالحجاز يقال إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما تقول فإنه لن يخفى علينا، إذا لقيناه أتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه قيس ذلك وسفّه رأيه، فركب عمرو بن معدي كرب حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وصدّقه، وآمن به، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً وقال: خالفني وترك أمري ورائي. فقال عمرو ابن معدي كرب في ذلك:

أمـرتُـكَ يـوم ذي صَـنْـعـاءَ أمـراً بـادِيـاً رُشْـدُه

أمـرتـك بـاتـقـاء الله والـمـعـروف تَـتّـعِّـدُه

خـرجـت مـن الـمُـنَـى مـثـلَ الـحـمـيّـر غـرّه وَتَـدُه

تـمـنـانـي عـلـى فـرس عـلـيـه جـالـسـاً أسَـدُه

عـلـيّ مُـفَـاضَـةٌ[٣] كـالـنّـهـي[٤] أخـلـص مـاءَه جَـدَدُه[٥]

تـردّ الـرمـح مُـنْـثَـنـي الـسـنـان عـوائـراً قَـصَـدُه[٦]

فـلـو لاقـيـتـنـي لـلـقـيـتَ لـيـثـاً فـوقـه لِـبَـدَه

تـلاقـي شَـنْـبَـثـاً شَـثْـنَ الـبـراثـنِ نـاشِـزاً كَـتَـدُه[٧]

---

(١) عرق النساء: عرق يصيب الرجل بالألم الشديد.
(٢) في التيمورية: فواضله.
(٣) مفاضة: الدرع.
(٤) النهي: الغدير.
(٥) الجدد: وجه الأرض.
(٦) العوائر: متطايرة؛ والقصد ج قصده وهي تكسر في الرمح.
(٧) الشنبث: الأسد، والشثن: الغليظ الأصابع، وناشز: مرتفع والكتد: ما بين الكتفين.

يسامي القِرْن إن قِرْنٌ تيممه فيعتضده
فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيحطمه فيخضمه[1] فيزدرده
ظلومُ الشرك فيما أحـ ـرزت أنيابُه ويدُه

قال ابن اسحاق: فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زُبَيْد وعليهم فروة بن مُسيك، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدّ عمرو بن معدي كرب فيمن ارتد، وهجا فروة بن مسيك فقال:

وجدنا مُلك فروة شرّ مُلك حمارٌ سافَ مُنْخَرُه بِثَفْر[2]
وكنت إذا رأيت أبا عُمَير ترى الحُوْلاء[3] من خُبْثٍ وغَدْر

قلت: ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه، وشهد فتوحات كثيرة في أيام الصدّيق، وعمر الفاروق، رضي الله عنهما، وكان من الشجعان المذكورين، والأبطال المشهورين، والشعراء المجيدين، توفي سنة إحدى وعشرين بعد ما شهد فتح نهاوند، وقيل بل شهد القادسّية وقتل يومئذٍ. قال أبو عمرو بن عبد البر: وكان وفوده إلى رسول الله ﷺ سنة تسع، وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدي. قلت: وفي كلام الشافعي ما يدل عليه فالله أعلم. قال يونس عن ابن إسحاق: وقد قيل إن عمرو بن معدي كرب لم يأت النبي ﷺ وقد قال في ذلك:

إنني بالنبي موقنة نفسـ ـي وإن لم أر النبي عيانا
سيّد العالمين طراً وأدنا هم إلى الله حين بان مكانا
جاء بالناموس من لَدُن الله و كان الأمينُ فيه المعانا
حكمةٌ بعد حكمةٍ وضياءً فاهتدينا بنورها مَنْ عَمانا
وركبنا السبيل حين ركبنـ ـاه جديداً بِكُرْهِنَا ورضانا
وعَبَدْنا الإله حقاً وكنّا للجهالات نَعْبُدُ الأوثانا
وائتلفنا به وكنّا عدواً فرجعنا به معاً إخوانا
فعليه السلام والسلام منّا حيث كنا من البلاد وكانا
إن نكن لم نر النبيَّ فإنّا قد تبعنا سبيلَهُ إيمانا

---

(١) يخضمه: يمضغه.
(٢) ساف: شم، والثفر في البهائم بمنزلة الرحم من الإنسان.
(٣) الحولاء: (بضم الحاء وكسرها وفتح الواو): جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أعراس وعروق وخطوط خضر وحمر.

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كِندة، فحدثني الزهري أنه قدم في ثمانين راكباً من كِندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده قد رَجّلوا جُممهم[١]، وتكحّلوا، عليهم جبب الحَبْرة قد كفّفوها بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال لهم: «**ألم تسلموا**»؟ قالوا: بلى! قال: «**فما بال هذا الحرير في أعناقكم**»، قال: فشقّوه منها فألقوه، ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار، قال: فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «**ناسبوا بهذا النسب العبّاس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث**»، وكانا تاجرين إذ أشاعا في العرب فسئلا ممن أنتما قالا: نحن بنو آكل المرار، يعني ينسبان إلى كِندة ليعزا في تلك البلاد، لأن كندة كانوا ملوكاً، فاعتقدت كِندة أن قريشاً منهم، لقول عباس وربيعة نحن بنو آكل المرار، وهو الحارث بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي ـ ويقال ابن كندة ـ ثم قال رسول الله ﷺ لهم. «**لا نحن بنو النّضر بن كنانة، لا نقفوا أمّنا ولا ننتفي من أبينا**». فقال لهم الأشعث بن قيس: والله يا معشر كِندة لا أسمع رجلاً يقولها إلاّ ضربته ثمانين. وقد روي هذا الحديث متصلاً من وجه آخر، فقال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، حدثني عقيل بن طلحة، وقال عفان في حديثه: أنبأنا عقيل بن طلحة السّلميّ عن مسلم بن هَيْضم، عن الأشعث بن قيس أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد كِنْدة ـ قال [عفان][٢] ـ لا يروني [أني] أفضلهم، قال: قلت يا رسول الله: أنا ابن عمّ إنكم منّا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**نحن بنو النّضر بن كنانة، لا نقفوا أمّنا ولا ننتفي من أبينا**». قال: وقال الأشعث: فوالله لا أسمع أحداً نفى قريشاً من النّضر بن كنانة إلاّ جلدته الحد[٣]. وقد رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، وعن محمد بن يحيى، عن سليمان بن حرب. وعن هارون بن حيّان عن عبد العزيز بن المغيرة، ثلاثتهم عن حمّاد بن سلمة به نحوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُرَيج بن النعمان، حدثنا هشيم، أنبأنا مجالد عن الشعبي، حدثنا الأشعث بن قيس. قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كِنْدة فقال لي: «**هل لك من ولد**» قلت: غلام وُلِد لي في مخرجي إليك من ابنة حمد، ولوددت أن مكانه شبع[٤] القوم. قال: «**لا تقولنّ ذلك، فإن فيهم قرّة عين، وأجراً إذا قبضوا، ثم ولئن قلت ذاك إنهم لمجبنة محزنة إنهم لمجبنة محزنة**»[٥].

---

(١) الجمم: ج جمة، وهي مجتمع شعر الناصية الذي يصل إلى المنكبين.

(٢) في الحلبية: عثمان، وفي التيمورية عفان، وأحسبه: ابن مسلم بن عبد الله الأنصاري. وهو من رواة حماد ابن سلمة ومن شيوخ أحمد والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الحدود باب ٣٧، وأحمد في المسند ٥/ ٢١٢.

(٤) في الأصلين: سبع القوم. والتصحيح من المسند.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢١١.

تفرّد به أحمد وهو حديث حسن جيد الإسناد.

قدوم أعشى بني مازن على النبي ﷺ

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني العبّاس بن عبد العظيم العنبري، ثنا أبو سلمة عُبَيْد ابن عبد الرحمن الحنفي قال: حدثني الجُنَيد بن أمينُ بن ذروة بن نضلة بن طريف بن نهصل الحرمازي، حدّثني أبي أمين عن أبيه ذروة، عن أبيه نضلة: أن رجلاً منهم يقال له: الأعشى، واسمه: عبد الله الأعور كانت عنده امرأة يقال لها: معاذة، خرج في رجب يمير أهله من هجر، فهربت امرأته بعده ناشزاً عليه، فعاذت برجل منهم يقال له: مطرف بن نهشل بن كعب بن قميثع ابن ذلف بن أهضم بن عبد الله بن الحرماز[1] فجعلها خلف ظهره، فلما قدم لم يجدها في بيته، وأخبر أنها نشزت عليه، وأنها عاذت بمطرف بن نهشل، فأتاه فقال: يا ابن عم أعندك امرأتي معاذة فادفعها إليّ، قال: ليست عندي، ولو كانت عندي لم ادفعها إليك، قال: وكان مطرف أعزّ منه، قال: فخرج الأعشى حتى أتى النبيّ ﷺ فعاذ به فأنشأ يقول:

يا سيّد الناس وديّان العرب ... إليك أشكو ذُرْبَةً من الذُّرَبْ[2]
كالذئبة العنساء في ظلّ السَّرَبْ ... خرجتُ ابغيها الطعام في رَجَبْ
فخلفتني بنزاعٍ وهَرَبْ ... اخلفتِ الوَعْدَ ولطّتْ بالذَّنَبْ[3]
وقَذَفَتْني بين عَصْرٍ مُؤْتَشَبْ ... وهنْ شرُّ غالبٍ لمنْ غَلَبْ[4]

فقال النبي ﷺ عند ذلك: «وهنّ شر غالب لمن غلب». فشكى إليه امرأته وما صنعت به، وأنها عند رجل مُنهم يقال له: مطرف بن نهشل، فكتب له النبي ﷺ إلى مطرف، انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه، فأتاه كتاب النبيّ ﷺ فقرىء عليه فقال لها: يا معاذة هذا كتاب النبي ﷺ فيك، فأنا دافعك إليه، فقلت: خُذْ لي عليه العَهْد والميثاق، وذمة نبيّه أن لا يعاقبني فيما صنعت، فأخذ لها ذلك عليه، ودفعها مطرف إليه فانشأ يقول:

لعَمرُكَ ما حبّي معاذة بالذي ... يغيّره الواشي ولا قِدَمُ العَهْدِ
ولا سُوء ما جَاءَتْ به إذ ازالها ... غُواةُ الرجال إذ يناجونها بعَدْي[5]

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش بعدهم

قال ابن إسحاق: وقدم صرد بن عبد الله الأزدي على رسول الله ﷺ في وفد من الأزد فأسلم وحسن إسلامه، وأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن

(١) في الإصابة: مطرف بن بهعلة بن كعب بن قشع بن دلف بن أهضم.
(٢) الذربة: السليطة اللسان.
(٣) لطت بالذنب: جعلته بين فخذيها عند العدو.
(٤) المؤتشب: الملتف المشتبك. والعصر: اليابس من عيدان الشجر.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٠٢.

أسلم من يليه من أهل الشِّرْك من قبائل اليمن، فذهب فحاصر جُرَش وبها قبائل من اليمن، وقد صوّت إليهم خثعم حين سمعوا بمسيره إليهم، فأقام عليهم قريباً من شهر، فامتنعوا فيها منه، ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريباً من جبل يقال له شكر، فظنّوا أنه قد ولّى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، فعطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً، وقد كان أهل جرش بعثوا منهم رجلين إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة، فبينما هما عنده بعد العصر، إذ قال: «بأي بلاد الله شكر»، فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كَشر وكذلك تسميه أهل جرش، فقال: «إنه ليس بكشر ولكنه شكر». قالا: فما شأنه يا رسول الله، فقال: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن» قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما ويحكما إن رسول الله ﷺ الآن لينعى إليكما قومكما، فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما فقاما إليه فسألاه ذلك فقال: «اللهم ارفع عنهم» فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله ﷺ وجاء وفد أهل جُرَش بمن بقي منهم، حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحسن إسلامهم، وحمى لهم حول قريتهم.

قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ

قال الواقدي: وكان ذلك في رمضان سنة تسع. قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله كتاب ملوك حِمْير ورسلهم بإسلامهم مقدمه من تبوك، وهم الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل[1] ذي رعين، ومعافر وهمدان، وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله، فكتب إليهم رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم ابن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان، أما بعد ذلكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، فإنه قد وقع نبأ رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به وخبّرنا ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبي ﷺ وصفيّه، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين، وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب[2] نصف العشر، وأن في الإبل في الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين تبيع جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين، فإنه من المؤمنين

(١) قيل: ج أقيال، وهو لقب، وهو ملك الذي دون الملك الأكبر.
(٢) الغرب: الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد الثور.

له ما لهم وعليه ما عليهم، وله ذمّة الله وذمّة رسوله، وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يردّ عنها، وعليه الجزية على كل حالم ذكر وأنثى حُرّ أو عبد دينار واف من قيمة المعافريّ أو عرضه ثياباً، فمن أدى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله، أما بعد فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذ أتاك رسلي فأوصيكم بهم خيراً، معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك ابن مرّة وأصحابهم، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم، وأبلغوها رسلي، وإن أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبن إلاّ راضياً، أما بعد فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم أن مالك بن مرة الرهاوي قد حدّثني أنك أسلمت من أول حِمْيَر، وقتلت المشركين، فابشر بخير، وآمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإن رسول الله هو مولى غنيّكم وفقيركم، وأن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته، وإنما هي زكاة يزكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وإن مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب فآمركم به خيراً، وأني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، فآمركم بهم خيراً فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا عمارة عن ثابت، عن أنس بن مالك، أن مالك ذي يزن أهدى إلى رسول الله ﷺ حلّة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً وثلاثة وثلاثين ناقة[١] ورواه أبو داود عن عمرو بن عون الواسطي، عن عمارة بن زاذان الصيدلاني، عن ثابت البناني، عن أنس به. وقد رواه الحافظ البيهقي. ها هنا ـ حديث كتاب عمرو بن حزم، فقال: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، يفقّه أهلها ويعلّمهم السنة، ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتاباً وعهداً وأمره فيه أمره، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهداً من رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كلّه، فإن الله مع الذين اتقوه والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلّم الناس القرآن ويفقّههم في الدين، وأن ينهى الناس، فلا يمسّ أحد القرآن إلاّ وهو طاهر، وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين لهم في الحق، ويشتدّ عليهم في الظلم، فإن الله حرّم الظلم ونهى عنه فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٨، ١٩] وأن يبشّر الناس بالجنة، وبعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يتفقّهوا في الدين، ويعلّم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه، وما أمره الله به، والحجّ الأكبر الحجّ، والحج الأصغر العمرة، وأن ينهى الناس أن يصلي الرجل في ثوب واحد صغير، إلاّ أن يكون واسعاً، فيخالف بين طرفيه على

(١) أخرجه أبو داود في اللباس باب ٦، وأحمد في المسند ٣/ ٢٢١.

عاتقيه، وينهى أن يحتبي الرجل في ثوب واحد، ويفضي بفرجه إلى السماء، ولا ينقض شعر رأسه إذا عفى في قفاه، وينهى الناس إن كان بينهم هيج أن يدعو إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعى إلى العشائر والقبائل فليعطفوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء، وجوههم وأيديهم إلى المرافق، وأرجلهم إلى الكعبين، وأن يمسحوا رؤوسهم كما أمرهم الله عزّ وجلّ، وأمروا بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود، وأن يغلس بالصبح، وأن يهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مبدرة، والمغرب حين يقبل الليل، لا تؤخّر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله ما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار فيما سقى المغل[١] وفيما سقت السماء العشر، وما سقى الغرب فنصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي عشرين أربع شياهُ، وفي أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين، فمن زاد فهو خير له، ومن أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه، فدان دين الإسلام، فإنه من المؤمنين له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغير عنها، وعلى كل حالم ذكر وأنثى حرّ أو عبد دينار واف، أو عَرَضَه من الثياب، فمن أدى ذلك فإن له ذمّة الله ورسوله، ومن منع ذلك فإنه عدو الله ورسوله والمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته»[٢].

قال الحافظ البيهقي: وقد روى سليمان بن داود عن الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جدّه هذا الحديث موصولاً بزيادات كثيرة، ونقصان عن بعض ما ذكرناه في الزكاة والدّيات وغير ذلك.

قلت: ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في سننه مطولاً، وأبو داود في كتاب المراسيل، وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه في السنن ولله الحمد والمنة، وسنذكر بعد الوفود بعث النبي ﷺ الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس وأخذ صدقاتهم وأخماسهم، معاذ بن جبل وأبو موسى وخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قدوم جرير بن عبد الله البجلي وإسلامه

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو قَطَن، حدثني يونس عن المغيرة بن شبل. قال قال جرير:

(١) كذا في المصرية. وفي الحلبية: المعل (بالعين المهملة)، وكلاهما خطأ، وفي الخراج يحيى بن آدم: البعل (بالباء والعين المهملة). وفي بعض روايات هذا الكتاب العين كما تقدم ولعل ذلك الصواب.

(٢) أخرجه النسائي في القسامة باب ٤٦، ٤٧.

لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، ثم حللت عيبتي[١]، ثم لبست حلّتي، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله هل ذكرني رسول الله ﷺ قال: نعم! ذكرك بأحسن الذكر بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته، وقال: «**يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذي يَمَنٍ، إلاّ أنَّ على وجهه مسحة ملك**»، قال جرير: فحمدت الله عزّ وجلّ على ما أبلاني، قال أبو قطن: فقلت له: سمعته منه أو سمعته من المغيرة بن شبل. قال: نعم[٢]! ثم رواه الإمام أحمد عن أبي نعيم وإسحاق بن يوسف، وأخرجه النسائي من حديث الفضل بن موسى ثلاثتهم عن يونس عن أبي إسحاق السبيعي، عن المغيرة بن شبل ـ ويقال ابن شبيل ـ عن عوف البجلي الكوفي، عن جرير بن عبد الله وليس له عنه غيره. وقد رواه النسائي عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بقصّته: «**يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مسحة ملك**» الحديث وهذا على شرط الصحيحين. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد، ثنا إسماعيل، عن قيس، عن جرير. قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلاّ تبسّم في وجهي[٣]. وقد وراه الجماعة إلاّ أبا داود من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم عنه. وفي الصحيحين زيادة وشكوت إلى رسول الله ﷺ أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري. وقال: «**اللهم ثبتّه واجعله هادياً مهدياً**»[٤]. ورواه النسائي عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل، عن قيس عنه، وزاد فيه ـ يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مسحة ملك، فذكر نحو ما تقدم.

قال الحافظ البيهقي: **أنبأنا** أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عمرو وعثمان بن أحمد السّماك، حدثنا الحسن بن سلام السواق، حدثنا محمد بن مقاتل الخراساني، حدثنا حصين بن عمر الأحمسي، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ـ أو قيس بن أبي حازم ـ عن جرير بن عبد الله. قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: يا جرير لأي شيء جئت؟ قلت: أسلم على يديك يا رسول الله، قال: فألقى علي كساء، ثم أقبل على أصحابه فقال: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**» ثم قال: «**يا جرير أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة**»، ففعلت ذلك، فكان بعد ذلك لا يراني إلاّ تبسم في وجهي، هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله. قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة

(١) العيبة: وعاء من أدم يكون فيه المتاع.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٦٢، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٣٥، والترمذي في المناقب باب ٤١، وأحمد في المسند ٤/٣٥٨.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب باب ٦٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٣٥.

والنصح لكل مسلم[1]. وأخرجاه في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد به، وهو في الصحيحين من حديث زياد بن علاثة عن جرير به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا زائدة، ثنا عاصم عن سفيان يعني - أبا وائل - عن جرير. قال قلت: يا رسول الله اشترط عليّ فأنت أعلم بالشرط قال: «أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح المسلم، وتبرأ من الشرك»[2] ورواه النسائي من حديث شعبة عن الأعمش، عن أبي وائل، عن جرير، وفي طريق أخرى عن الأعمش، عن منصور، عن أبي وائل، عن أبي نخيلة، عن جرير به فالله أعلم. ورواه أيضاً عن محمد بن قدامة، عن جرير، عن مغيرة، عن أبي وائل والشعبي، عن جرير به؛ ورواه عن جرير عبد الله بن عميرة، رواه أحمد منفرداً به، وابنه عُبَيْد الله بن جرير أحمد أيضاً منفرداً به، وأبو جميلة وصوابه نخيلة، ورواه أحمد والنسائي؛ ورواه أحمد أيضاً عن غندر، عن شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، عن رجل، عن جرير فذكره، والظاهر أن هذا الرجل هو أبو نخيلة البجلي، والله أعلم. وقد ذكرنا بعث النبي ﷺ له حين أسلم إلى ذي الخلصة، بيت كان يعبده خثعم وبجيلة، وكان يقال له الكعبة اليمانية، يضاهون به الكعبة التي بمكة، ويقولون للتي ببكة الكعبة الشامية، ولبيتهم الكعبة اليمانية، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلصة»، فحينئذٍ شكى إلى النبي ﷺ أنه لا يثبت على الخيل، فضرب بيده الكريمة في صدره حتى أثرت فيه وقال: «اللهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً». فلم يسقط بعد ذلك عن فرس، ونفر إلى ذي الخلصة في خمسين ومائة راكب من قومه من أحمس، فخرّب ذلك البيت وحرّقه، حتى تركه مثل الجمل الأجرب، وبعث إلى النبي ﷺ بشيراً يقال له: أبو أرطأة، فبشّره بذلك، فبرك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات[3]، والحديث مبسوط في الصحيحين وغيرهما كما قدّمناه بعد الفتح استطراداً بعد ذكر تخريب بيت العزّى على يدي خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ والظاهر أن إسلام جرير رضي الله عنه كان متأخراً عن الفتح بمقدار جيد. فإن الإمام أحمد قال: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة بن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن مجاهد، عن جرير بن عبد الله البجلي. قال: إنما أسلمت بعد ما أنزلت المائدة، وأنا رأيت رسول الله ﷺ: يمسح بعد ما أسلمت[4]. تفرّد به أحمد، وهو إسناد جيّد اللهم إلاّ أن يكون منقطعاً بين مجاهد وبينه، وثبت في الصحيحين أن أصحاب عبد الله بن مسعود كان يعجبهم حديث جرير في مسح الخف، لأن إسلام جرير إنما كان بعد نزول

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب ٤٢، ومواقيت الصلاة باب ٣، ومسلم في الإيمان حديث ٩٨، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٥.

(٢) أخرجه النسائي في البيعة باب ١٦، ١٧، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٦٢، والأدب باب ٦٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٣٥، وابن ماجه في المقدمة باب ١١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٦٣.

المائدة[١]، وسيأتي في حجّة الوداع أن رسول الله ﷺ قال له: «استنصت الناس يا جرير»[٢]، وإنما أمره بذلك لأنه كان صبياً، وكان ذا شكل عظيم، كانت نعله طولها ذراع، وكان من أحسن الناس وجهاً، وكان مع هذا من أغضّ الناس طرفاً. ولهذا روينا في الحديث الصحيح عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فقال أطرق بصرك[٣].

وفادة وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي بن هنيد أَحد ملوك اليمن على رسول الله ﷺ

قال أَبو عمر بن عبد البر: كان أحد أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، ويقال إن رسول الله ﷺ بشّر أصحابه قبل قدومه به، وقال: «يأتيكم بقية أبناء الملوك»، فلما دخل رحّب به وأدناه من نفسه، وقرّب مجلسه وبسط له رداءه. وقال: «اللّهمّ بارك في وائل وولده وولد ولده». واستعمله على الأقيال من حضرموت، وكتب معه ثلاث كتب؛ منها كتاب إلى المهاجر بن أَبي أمية، وكتاب إلى الأقيال والعياهلة، وأقطعه أرضاً، وأرسل معه معاوية بن أَبي سفيان. فخرج معه راجلاً فشكى إليه حر الرمضاء فقال: انتعل ظل الناقة، فقال: وما يغني عني ذلك لو جعلتني ردفاً. فقال له وائل: اسكت فلست من أرداف الملوك، ثم عاش وائل بن حجر حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين، فعرفه معاوية فرحّب به وقرّبه وأدناه، وأذكره الحديث وعرض عليه جائزة سنيّة فأبى أن يأخذها، وقال: أعطها من هو أحوج إليها مني.

وأورد الحافظ البيهقي بعض هذا وأشار إلى أن البخاري في التاريخ روى في ذلك شيئاً. وقد قال الإمام أَحمد: حدّثنا حجّاج، أنبأنا شعبة عن سمّاك بن حرب، عن علقمة ابن وائل، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أقطعه أرضاً قال: وأرسل معي معاوية أن أعطيها إياه ـ أو قال: أعلمها إياه ـ قال فقال معاوية: أردفني خلفك، فقلت: لا تكون من أرداف الملوك، قال فقال: أعطني نعلك، فقلت انتعل ظلّ الناقة، قال: فلما استخلف معاوية أتيته فأقعدني معه على السرير، فذكّرني الحديث ـ قال سمّاك ـ فقال: وددت أني كنت حملته بين يدي[٤]. وقد رواه أَبو داود والترمذي من حديث شعبة وقال الترمذي: صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٢٥، ومسلم في الطهارة حديث ٧٢، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦١.

(٢) أخرجه البخاري في العلم باب ٤٣، والمغازي باب ٧٧، والفتن باب ٨، ومسلم في الإيمان حديث ١١٨، والنسائي في التحريم باب ٢٩، وابن ماجه في الفتن باب ٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٣.

(٣) أخرجه مسلم في الأدب حديث ٤٥، وأبو داود في النكاح باب ٤٤، والترمذي في الأدب باب ٢٨، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٨، ٣٦١.

(٤) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة باب ٣٦، والترمذي في الأحكام باب ٣٩، وأحمد في المسند ٦/ ٣٩٩.

وفادة لقيط بن عامر بن المنتفق أَبي رزين العقيلي إِلى رسول الله ﷺ

قال عبد اللّه ابن الإمام أحمد: كتب إِليّ إِبراهيم بن حمزة بن محمّد بن حمزة بن مصعب ابن الزبير الزبيري: كتبت إِليك بهذا الحديث، وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إِليك، فحدّث بذلك عني. قال: حدّثني عبد الرَّحمٰن بن المغيرة الحزامي، حدّثني عبد الرَّحمٰن بن عياش السمعي الأنصاري القبائي من بني عمرو بن عوف، عن دلهم بن الأسود بن عبد اللّه بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي، [عن أبيه عن عمّه لقيط بن عامر قال دلهم: وحدّثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط، أن لقيطاً خرج وافداً إِلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق][1] قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة، انسلاخ رجب، فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً. فقال: «أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ، ألا لاسمعكم ألا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله، ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أَو يلهيه الضلال، ألا إني مسؤول هل بلّغت، ألا فاسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا» (قال) فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب، فضحك لعمر الله وهزّ رأسه وعلم أني ابتغي لسقطه. فقال: «ضنّ ربّك عزّ وجلّ بمفاتيح خمس من الغيب، لا يعلمها إِلاّ الله» وأشار بيده، قلت: وما هي؟ قال: «علم المنيّة قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنيّ حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمون وعلم ما في غد، وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مسنتين[2] فيظل يضحك قد علم أن غيركم إِلى قريب» . قال لقيط: قلت لن نعدم من ربّ يضحك خيراً ـ وعلم يوم الساعة. قلنا: يا رسول الله علّمنا مما لا يعلم الناس، ومما تعلم، فإنّا من قبيل لا يصدّقون تصديقنا أحد، من مذحج التي تربو علينا، وخثعم التي توالينا[3] وعشيرتنا التي نحن منها قال: «تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيّكم، ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة لعمر إِلهك ما تدع على ظهرها من شيء إِلاّ مات، والملائكة الذين مع ربّك فأصبح ربّك عزّ وجلّ يطوف بالأرض، وقد خلت عليه البلاد، فأرسل ربّك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إِلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميّت إِلاّ شقت القبر عنه، حتى تخلقه من عند رأسه، فيستوي جالساً فيقول ربك عزّ وجلّ مهيم ـ لما كان فيه ـ فيقول يا ربّ أمس اليوم فلعهده بالحياة يتحسبه حديثاً بأهله» قلت: يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تفرّقنا الرياح والبلى والسباع. فقال: «أنبئك بمثل ذلك

---

(١) ما بين المعقوفين لم يرد إلا في الحلبية.
(٢) الأزل: الشدة وفي مسند أحمد آزلين آدلين مشفقين.
(٣) في مسند أحمد: دلتنا.

في آلاء الله الأرض، أشرفت عليها وهي مدرة بالية، فقلت: لا تحيء أبداً، ثم أرسل ربّك عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شرية[١] واحدة، فلعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء[٢] ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم». قال: قلت: يا رسول الله وكيف ونحن ملء الأرض وهو عزّ وجلّ شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه، فقال: «أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة، لا تضارون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونهما ويريانكم، لا تضارون في رؤيتهما». قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربّنا إذا لقيناه؟ قال: «تعرضون عليه بادية له صحائفكم لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربّك عزّ وجلّ بيده غرفة من الماء، فينضح قبلكم بها، فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أحدكم منها قطرة، فأمّا المسلم فتدع على وجهه مثل الريطة[٣] البيضاء وأما الكافر فتخطمه بمثل الحمم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيّكم وينصرف على أثره الصالحون، فتسلكون جسراً من النار، فيطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس، فيقول ربّك عزّ وجلّ أوانه[٤] فتطلعون على حوض الرسول على أظماء والله ناهلة عليها، ما رأيتها قطّ، فلعمر إلهك لا يبسط واحد منكم يده إلاّ وقع عليها قدح يطهّره من الطوف[٥] والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً» قال: قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟ قال: «مثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض، وواجهته الجبال». قال: قلت: يا رسول الله فبم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا. قال: «الحَسَنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلاّ أن يعفو». قال: قلت: يا رسول الله أما الجنّة وأما النار. قال: «لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلاّ يسير الراكب بينهما سبعين عاماً [وإن للجنة لثمانية أبواب ما منها بابان إلاّ يسير الراكب بينهما سبعين عاماً]». قلت: يا رسول الله فعلام نطلع من الجنّة قال: «على أنهار من عسل مصفّى، وأنهار من كأس ما بها من صداع، ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهّرة». قلت: يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهنّ مصلحات، قال: «الصالحات للصالحين تلذّونهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذّونكم غير أن لا توالد». قال لقيط: قلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه [فلم يجبه النبيّ ﷺ] قلت: يا رسول الله علام أبايعك فبسط [النبي] يده وقال: «على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك، وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره». [قال: قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب فقبض النبيّ ﷺ يده وبسط أصابعه وظن أني مشترط شيئاً لا يعطينيه. قال: قلت: نحل منها حيث شئنا

---

(١) الشرية: الحنظلة الخضراء.

(٢) الأصواء: القبور.

(٣) الريطة: المنديل.

(٤) كذا في الأصلين والمسند مع علامة التوقف. والأوان: الحين والزمان في الحلبية: أصماء، والمصرية: أظما، والمسند أظمأ.

(٥) الطوف: الحدث. وجميع الألفاظ المفسرة فيه من النهاية.

ولا يجني منها امرؤ إلاَّ على نفسه، فبسط يده وقال: «ذلك لك، تحلّ حيث شئت، ولا تجني عليك إلاَّ نفسك»، قال: فانصرفنا عنه. ثم قال: «إن هذين من أتقى الناس لعمر إلهك في الأولى والآخرة» فقال له كعب بن الحدارية أحد بني كلاب منهم: يا رسول الله بنو المنتفق أهل ذلك منهم؟ قال: فانصرفنا وأقبلت عليه]، وذكر تمام الحديث إلى أن قال فقلت: يا رسول الله هل لأحد ممن مضى خير في جاهليته قال: فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال: فلكأنه وقع حر بين جلدتي وجهي ولحمي مما قال، لأني على رؤوس الناس فهممت أن أقول، وأبوك يا رسول الله، ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ قال: «وأهلي لعمر الله، ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك، فقل أرسلني إليك محمّد فابشرك بما يسوءك تجرّ على وجهك وبطنك في النار». قال: قلت: يا رسول الله ما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلاَّ إياه، وقد كانوا يحسبون أنهم مصلحون. قال: «ذلك بأن الله يبعث في آخر كل سبع أمم - يعني نبياً - فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»(١). هذا حديث غريب جداً وألفاظه في بعضها نكارة، وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور، وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة، وسيأتي في كتاب البعث والنشور إن شاء الله تعالى(٢).

وفادة زياد بن الحارث [الصدائي](٣) رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي: أَخْبَرَنَا أبو أحمد الأسداباذي، أنبأنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدّثنا أبو [علي [بن](٤) بشر بن موسى حدّثنا أبو عبد الرَّحمٰن المقرىء عن عبد الرَّحمٰن بن زياد ابن أنعم، حدَّثني زياد بن نعيم الحضرمي، سمعت زياد بن الحارث الصدائي يحدّث. قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام، فأُخبرت أنه قد بعث جيشاً إلى قومي، فقلت: يا رسول الله اردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. فقال لي: «اذهب فردّهم» فقلت: يا رسول الله إن راحلتي قد كلّت، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فردّهم، قال الصدائي: وكتبت إليهم كتاباً فقدم وفدهم بإسلامهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك»، فقلت: بل الله هداهم للإسلام فقال: «أفلا أؤمّرك عليهم» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فكتب لي كتاباً أمّرني»، فقلت: يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم، قال: «نعم!» فكتب لي كتاباً آخر، قال الصدائي: وكان ذلك في بعض أسفاره، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم، ويقولون أخذنا بشيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «أوَ فَعَل ذلك؟» قالوا: نعم! فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأنا فيهم فقال:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٣ - ١٤.

(٢) سائر ما بين الأقواس في هذا الخبر زيادة من مسند أحمد ٤/١٣، ٨١٤.

(٣) سقط في ط.

(٤) سقط في ط.

«لا خير في الإمارة لرجل مؤمن»، قال الصدائي: فدخل قوله في نفسي، ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله أعطني، فقال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن». فقال السائل: أعطني من الصدقة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره، حتى حكم هو فيها، فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك» قال الصدائي: فدخل ذلك في نفسي أني غني وأني سألته من الصدقة، قال: ثم إن رسول الله اعتشى[1] من أول الليل، فلزمته وكنت قريباً، فكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون منه، ولم يبق معه أحد غيري، فلما كان أوان صلاة الصبح أمرني فأذّنت، فجعلت أقول أقيم يا رسول الله فجعل ينظر ناحية المشرق إلى الفجر، ويقول: «لا» حتى إذا طلع الفجر، نزل فتبرّز ثم انصرف إليّ وهو متلاحق أصحابه، فقال: «هل من ماء يا أخا صداء؟» قلت: لا إلاَّ شيء قليل لا يكفيك، فقال: «اجعله في إناء ثم ائتني به»، ففعلت، فوضع كفّه في الماء، قال: فرأيت بين أصبعين من أصابعه عيناً تفور، فقال رسول الله ﷺ: «لولا أني أستحي من ربيّ عزّ وجلّ لسقينا واستقينا ناد في أصحابي من له حاجة في الماء» فناديت فيهم، فأخذ من أراد منهم شيئاً ثم قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة، فأراد بلال أن يقيم، فقال له رسول الله: «إن أخا صداء أذّن ومن أذّن فهو يقيم». قال الصدائي: فأقمت، فلما قضى رسول الله الصلاة أتيته بالكتابين، فقلت: يا رسول الله اعفني من هذين. فقال: : «ما بدا لك؟» فقلت: سمعتك يا رسول الله تقول: لا خير في الإمارة لرجل مؤمن، وأنا أؤمن بالله وبرسوله. وسمعتك تقول للسائل: «من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صداع في الرأس وداء في البطن»، وسألتك وأنا غني. فقال: «هو ذاك، فإن شئت فاقبل، وإن شئت فدع»، فقلت: أدع، فقال لي رسول الله: «فدلني على رجل أؤمّره عليكم» فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه، فأمّره عليهم، ثم قلنا: يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قلّ ماؤها فتفرّقنا على مياه حولنا، فقد أسلمنا وكل من حولنا عدو، فادع الله لنا في بئرنا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرّق! فدعا سبع حصيات فعركهن بيده ودعا فيهن، ثم قال: «اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فالقوا واحدة واحدة واذكروا الله». قال الصدائي: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها ـ يعني البئر ـ[2]. وهذا الحديث له شواهد في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه. وقد ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ كان بعث بعد عمرة الجعرانة قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة إلى بلاد صداء فيوطئها، فبعثوا رجلاً منهم فقال: جئتك لتردّ عن قومي الجيش، وأنا لك بهم، ثم قدم وفدهم خمسة عشر رجلاً، ثم رأى منهم حجّة الوداع مائة رجل، ثم روى الواقدي عن الثوري، عن عبد الرَّحمٰن بن زياد بن أنعم، عن زياد بن نعيم، عن زياد بن الحارث الصدائي قصّته في الأذان.

(١) اعتشى: أي سار وقت العشاء.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٣٠، والترمذي في الصلاة باب ٣٢، وابن ماجه في الأذان باب ٣، وأحمد في المسند ٤/ ١٦٩.

وفادة الحارث بن حسّان البكري إلى رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد: حدّثنا زيد بن الحباب، حدَّثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي، حدّثنا عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن الحارث البكري. قال: خرجت أشكو العلاء ابن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمررت بالربذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها. فقالت: يا عبد الله إن لي إلى رسول الله حاجة، فهل أنت مبلّغي إليه، قال: فحملتها فأتيت المدينة، فإذا المسجد غاصّ بأهله، وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلّد السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً. قال: فجلست فدخل منزله، أو قال رحله، فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت فسلّمت فقال: «هَل كانَ بَينكم وَبَين تميم شيء»؟ قلت: نعم! وكانت الدائرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها، فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب، فأذِن لها فدخلت. فقلت: يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت[1] وأخذتها الحمية وقالت: يا رسول الله أين يضطر مضرك، قال: قلت: إن مثلي ما قال الأول معزاء حملت حتفَها هذه، ولا أشعر أنها كانت لي خصماً أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. قالت هي: وما وافد عاد؟ وهي أعلم بالحديث منه، ولكن تستطعمه. قلت: إن عاداً قحطوا فبعثوا وافداً لهم يقال له: قيل، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنّيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال: اللّهمّ إنك تعلم لم أجيء إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللّهمّ اسقِ عاداً ما كنت تسقيه. فمرّت به سحابات سود، فنودي منها اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها: خذها رماداً رمدداً، لا تبقي من عاد أحداً. قال: فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلاّ بقدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال - أبو وائل وصدق - وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا: لا يكن كوافد عاد[2].

وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي المنذر سلاّم بن سليمان به. ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن الحارث البكري، ولم يذكر أبا وائل، وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن الحارث، والصواب عن عاصم عن أبي وائل، عن الحارث كما تقدم.

وفادة عبد الرَّحمٰن بن أبي عقيل مع قومه

قال أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله إسحاق بن محمّد بن يوسف السوسي، أنبأنا أبو جعفر محمّد بن محمّد بن عبد الله البغدادي، أنبأنا علي بن الجعد [ثنا] عبد العزيز، ثنا أحمد ابن يونس، ثنا زهير، ثنا أبو خالد يزيد الأسدي، ثنا عون بن أبي جحيفة عن عبد الرَّحمٰن بن

(١) استوفزت: استعجلت.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجهاد باب ٢٠، وأحمد في المسند ٣/ ٤٨١، ٤٨٢.

علقمة الثقفي، عن عبد الرَّحمٰن بن أَبي عقيل. قال: انطلقت في وفد إِلى رسول الله ﷺ فأتيناه، فأنخنا بالباب وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فلما دخلنا وخرجنا فما في الناس رجل أحبّ إلينا من رجل دخلنا عليه. قال فقال قائل منا: يا رسول الله ألا سألت ربّك ملكاً كملك سليمان، قال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «**فلعلّ صاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان، إن الله عزّ وجل لم يبعث نبياً إلاّ أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذها دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمّتي يوم القيامة**»

قدوم طارق بن عبد اللّه وأصحابه

روى الحافظ البيهقي من طريق أَبي خباب الكلبي، عن جامع بن شداد المحاربي، حدَّثني رجل من قومي يقال له: طارق بن عبد اللّه. قال: إني لقائم بسوق ذي المجاز ، إذ أقبل رجل عليه جبّة وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا**»، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وهو يقول: يا أيها الناس إنه كذّاب فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله، قال: قلت: من هذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا: هذا عمّه عبد العزّى، قال: فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار[1] من تمرها، فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلت: لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه، إذا رجل في طمرين فسلّم علينا وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة، قال: وأين تريدون؟ قلنا: نريد هذه المدينة. قال: ما حاجتكم منها؟ قلنا: نمتار من تمرها، قال: ومعنا ظعينة[2] لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم فقال: أتبيعوني جملكم هذا؟ قلنا: نعم! بكذا وكذا صاعاً من تمر، قال: فما استوضعنا مما قلنا شيئاً، وأخذ بخطام الجمل وانطلق، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا: ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن يعرف ولا أخذنا له ثمناً، قال: تقول المرأة التي معنا والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه شقّة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم، إذ أقبل الرجل فقال [أنا] رسول الله إليكم، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا، فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا فاستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فدخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس، فأدركنا من خطبته وهو يقول: «**تصدّقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى، أمّك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك**»، إذ أقبل رجل من بني يربوع أو قال: رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية. فقال: «**إن أباً لا يجني على ولد**[3] - ثلاث مرات -»[4]. وقد روى النسائي فضل الصدقة منه عن يوسف بن عيسى، عن الفضل بن موسى، عن يزيد بن زياد ابن أَبي الجعد، عن جامع بن شداد، عن طارق بن عبد اللّه المحاربي ببعضه. ورواه الحافظ

(١) نمتار: نتزود ونشتري.
(٢) الظعينة: الراحلة.
(٣) كذا في المصرية. وفي الحلبية على والد.
(٤) أخرجه النسائي في القسامة باب ٤١.

البيهقي أيضاً عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن يزيد ابن زياد، عن جامع بن طارق بطوله كما تقدم؛ وقال فيه فقالت الظعينة: لا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه.

قدوم وافد فروة بن عمرو الجذامي صاحب بلاد معان بإسلامه [على رسول الله ﷺ][1] وأظن ذلك إما بتبوك أو بعدها

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجُذامي، ثم النُّفَاثي إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم. فقال في محبسه ذلك:

طرقتْ سليمى مَوهِناً أصحابي ... والرومُ بين الباب والقِرْوَان[2]
صدّ الخيالُ وساءه ما قد رأى ... وهممتُ أن أُغفِي وقد أبكاني
لا تَكحلنّ العين بعدي إثمداً ... سَلْمى ولا تدين للإتيان[3]
ولقد علمت أبا كُبَيشة أنني ... وسطَ الأعزّة لا يحص لساني[4]
فلئن هلكتُ لتفقدُنّ أخاكم ... ولئن بقيت لتعرفنّ مكاني
ولقد جمعت أجلّ ما جمع الفتى ... من جَوْدَةٍ وشجاعةٍ وبيان

قال: فلما أجمعت الروم على صلبه على ماء لهم يقال له: عفرى بفلسطين. قال:

ألا هل أتى سَلْمى بأن حليلها ... على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحلُ أمّها ... يشدّ به أطرافها بالمناجل

قال: وزعم الزهري أنهم لما قدّموه ليقتلوه قال:

بلّغ سراة المسلمين بأنني ... سَلْم لربي أعظُمي ومَقامي

قال ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه.

---

(١) سقط في ط.
(٢) القِروان: جمع قِرو: هو حوض تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب.
(٣) كذا في الحلبية وابن هشام، وفي المصرية: يدمن للإتيكان.
(٤) يحص لساني: يمنع ويسفه كلامه.

قدوم تميم الدّاري على رسول الله ﷺ وإخباره إياه بأمر الجساسة[١] وما سمع [من الدجال][٢] في خروج النّبيّ ﷺ وإيمان من آمن به

أَخْبَرَنَا أَبو عبد اللّه سهل بن محمّد بن نصرويه المروزي بنيسابور، أنبأنا أبو بكر محمّد بن أحمد بن الحسن القاضي، أنبأنا أبو سهل أحمد بن محمّد بن زياد القطّان، حدّثنا يَحْيَىٰ بن جعفر بن الزبير، أنبأنا وهب بن جرير حدّثنا أَبي، سمعت غيلان بن جرير يحدّث عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس. قالت: قدم على رسول الله ﷺ تميم الدّاري، فأخبر رسول الله ﷺ أنه ركب البحر فتاهت به سفينته، فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء، فلقي إنساناً يجرّ شعره، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الجساسة قالوا: فأخبرنا قال: لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة، فدخلناها فإذا رجل مقيّد، فقال: من أنتم؟ قلنا ناس من العرب، قال: ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم؟ قلنا: قد آمن به الناس واتبعوه وصدّقوه. قال: ذلك خير لهم، قال: أفلا تخبروني عن عين زغر[٣] ما فعلت؟ فأخبرناه عنها، فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار، ثم قال: ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد؟ فأخبرناه أنه قد أطعم، فوثب مثلها، ثم قال: أما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت البلاد كلّها غير طيبة. قالت: فأخرجه رسول الله ﷺ فحدّث الناس فقال: «هذه طيبة وذاك الدجّال»[٤]. وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي، عن فاطمة بنت قيس، وقد أورد له الإمام أحمد شاهداً من رواية أبي هريرة وعائشة أم المؤمنين، وسيأتي هذا الحديث بطرقه وألفاظه في كتاب الفتن. وذكر الواقدي وفد الدارس من لخم وكانوا عشرة.

وفد بني أسد

وهكذا ذكر الواقدي: أنه قدم على رسول الله ﷺ في أول سنة تسع وفد بني أسد، وكانوا عشرة؛ منهم ضرار بن الأزْوَر، ووابصة بن معبد، وطُلَيحة بن خُويلد الذي ادعى النبوة بعد ذلك، ثم أسلم وحسن إسلامه، ونفادة بن عبد اللّه بن خلف[٥]. فقال له رئيسهم حضرمي بن عامر: يا رسول الله، أتيناك تتدرع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثاً. فنزل فيهم ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٧﴾ [سورة الحجرات: ١٧]. وكان فيهم قبيلة يقال لهم: بنو الرنية فغيّر اسمهم، فقال [لهم][٦]:

---

(١) سميت بالجساسة لتجسسها الأخبار للدجال، وعن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن.

(٢) سقط في ط.

(٣) عين زغر: قرية بمشارف الشام.

(٤) أخرجه مسلم في الفتن حديث ١١٩، وأبو داود في الملاحم باب ٢٣، والترمذي في الفتن باب ٦٦، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٥) في الإصابة ذكره بالفاء كما هنا، ثم قال: يأتي بالقاف وترجمه بالقاف أي سماه نقادة.

(٦) سقط في ط.

أنتم بنو الرشدة، وقد استهدى رسول الله ﷺ من نفادة بن عبد الله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب وللحلب، من غير أن يكون لها ولد معها، فطلبها فلم يجدها إلاّ عند ابن عمّ له، فجاء بها فأمره رسول الله ﷺ بحلبها فشرب منها وسقاه سؤره، ثم قال: «اللهم بارك فيها وفيمن منحها». فقال: يا رسول الله وفيمن جاء بها فقال: «وفيمن جاء بها»[١].

وفد بني عبس

ذكر الواقدي: أنهم كانوا تسعة نفر وسمّاهم الواقدي فقال لهم النّبيّ ﷺ: «أنا عاشركم» وأمر طلحة بن عُبَيد اللّه فعقد لهم لواء، وجعل شعارهم يا عشرة، وذكر أن رسول الله ﷺ سألهم عن خالد بن سنان العبسي الذي قدّمنا ترجمته في أيام الجاهلية، فذكروا أنه لا عقب له، وذكر أن رسول الله ﷺ بعثهم يرصدون عيراً لقريش قدمت من الشام، وهذا يقتضي تقدّم وفادتهم على الفتح والله أعلم.

وفد بني فزارة

قال الواقدي: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن عمر الجُمْحي عن أَبي وجَزْة السعدي. قال: لما رجع رسول الله من تبوك وكان سنة تسعة، قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم: خارجة بن حصن، والحارث بن قيس بن حصن، وهو أصغرهم على ركاب عجاف، فجاؤوا مقرّين بالإسلام، وسألهم رسول الله عن بلادهم. فقال أحدهم: يا رسول الله أسنتت[٢] بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جناتنا وغرث[٣] عيالنا، فادع الله لنا، فصعد رسول الله المنبر ودعا فقال: «اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك واحي بلدك الميت، اللّهمّ اسقنا غيثاً مغيثاً مرياً مريعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار، اللّهمّ اسقنا سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا هدم، ولا غرق، ولا محق، اللّهمّ اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء». قال: فمطرت فما رأوا السماء سبتاً فصعد رسول الله المنبر فدعا فقال: «اللّهمّ حوالينا ولا علينا، على الآكام والظراب وبطون الأودية[٤] ومنابت الشجر»، فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب.

وفد بني مرّة

قال الواقدي: إنهم قدموا سنة تسع عند مرجعه من تبوك، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً منهم الحارث بن عوف، فأجازهم عليه السلام بعشر أواق من فضّة، وأعطى الحارث بن عوف ثنتي عشرة أوقية، وذكروا أن بلادهم مجدبة فدعا لهم. فقال: «اللّهمّ اسقهم الغيث». فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مطرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ٨، وأحمد في المسند ٥/٧٧.
(٢) اسنتت: أي أصابتها السنة التي أجدبت.
(٣) غرث: جاع.
(٤) في ط: الأدوية.

وفد بني ثعلبة

قال الواقدي: حدَّثني موسى بن محمّد بن إبراهيم عن رجل من بني ثعلبة، عن أبيه. قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ثمان، قدمنا عليه أربعة نفر فقلنا: نحن رسل مَنْ خلفنا من قومنا، وهم يقرّون بالإسلام، فأمر لنا بضيافة، وأقمنا أياماً ثم جئناه لنودّعه فقال لبلال: «أجزهم كما تجيز الوفد»، فجاء ببقر[1] من فضّة، فأعطى كل رجل منا خمس أواق، وقال: ليس عندنا دراهم، وانصرفنا إلى بلادنا.

وفادة بني محارب

قال الواقدي: حدَّثني محمّد بن صالح عن أَبي وجزة السعدي. قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجّة الوداع، وهم عشرة نفر فيهم: سواء بن الحارث، وابنه خُزَيمة بن سواء، فأنزلوا دار رملة بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء، فأسلموا وقالوا: نحن على مَنْ وراءنا، ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظّ ولا أغلظ على رسول الله منهم، وكان في الوفد رجل منهم، فعرفه رسول الله ﷺ فقال: الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك. فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله عزّ وجلّ» ومسح رسول الله وجه خُزَيمة بن سواء فصارت غرّة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفد وانصرفوا إلى بلادهم.

وفد بني كلاب

ذكر الواقدي: أنهم قدموا سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً؛ منهم: لبيد بن ربيعة الشاعر، وجبّار بن سلمى، وكان بينه وبين كعب بن مالك خلّة، فرحّب به وأكرمه وأهدى إليه، وجاؤوا معه إلى رسول الله ﷺ فسلّموا عليه بسلام الإسلام، وذكروا له أن الضحّاك بن سفيان الكلابي سار فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله التي أمره الله بها، ودعاهم إلى الله فاستجابوا له، وأخذ صدقاتهم من أغنيائهم فصرفها على فقرائهم.

وفد بني رؤاس من كلاب[2]

ذكر الواقدي: أن رجلاً يقال له: عمرو بن مالك بن قيس بن بجيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، قدم على رسول الله ﷺ فأسلم ثم رجع إلى قومه، فدعاهم إلى الله فقالوا: حتى نصيب من بني عقيل مثل ما أصابوا منا، فذكر مقتلة كانت بينهم، وأن عمرو بن مالك هذا قتل رجلاً من بني عَقيل، قال: فشددت يدي في غلّ وأتيت رسول الله ﷺ وبلغه ما صنعت، فقال: لئن أتاني لأضرب ما فوق الغل من يده، فلما جئت سلّمت فلم يردّ عليّ السّلام، وأعرض، فأتيته عن يمينه فأَعرض عني، فأتيته عن يساره فأعرض عني، فأتيته من قبل

---

(١) ببقر: من التبقر، أي التوسع، والبقر: قدر كبير واسع.

(٢) في التيمورية: رواس بن كلاب.

وجهه فقلت: يا رسول الله إن الرّب عزّ وجلّ ليرتضى فيرضى فارض عني رضي الله عنك. قال: «قد رضيت».

وفد بني عقيل بن كعب

ذكر الواقدي: أنهم قدموا على رسول الله ﷺ فأقطعهم العقيق - عقيق بني عقيل - وهي أرض فيها نخيل وعيون، وكتب بذلك كتاباً: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمّد رسول الله ربيعاً ومطرفاً وأنساً، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وطاعوا، ولم يعطهم حقاً لمسلم». فكان الكتاب في يد مطرف. قال: وقدم عليه أيضاً لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل، وهو أبو رزين، فأعطاه ماء يقال له النظيم، وبايعه على قومه، وقد قدمنا قدومه وقصته وحديثه بطوله ولله الحمد والمنة.

وفد بني قشير بن كعب

وذلك قبل حجّة الوداع، وقبل حُنَين: فذكر فيهم؛ قرّة بن هُبَيرة بن [عامر بن] سلمة الخير بن قشير، فأسلم فأعطاه رسول الله ﷺ وكساه برداً، وأمره أن يلي صدقات قومه فقال قرة حين رجع:

حباها رسول الله إذ نزلت به ... وأمكنها من نائل غير مُنْفِد

فأضحت بروض الخَضْر وهي حثيثة ... وقد انجحت حاجاتها من محمّد

عليها فتى لا يَرْدِف الذّم رحله ... يُروّى لأمر العاجز المتردّدِ(١)

وفد بني البكاء

ذكر أنهم قدموا سنة تسع، وأنهم كانوا ثلاثين رجلاً؛ فيهم: معاوية بن ثور(٢) بن معاوية ابن عبادة بن البكاء، وهو يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ابن له يقال له بشر، فقال: يا رسول الله إني أتبرّك بمسّك، وقد كبرت وابني هذا برٌّ بي فامسح وجهه، فمسح رسول الله ﷺ وجهه وأعطاه أعنزاً عفراً، وبرّك عليهن، فكانوا لا يصيبهم بعد ذلك قحط ولا سنة. وقال محمّد بن بشر بن معاوية في ذلك:

وأبي الذي مسحَ الرسولُ برأسِهِ ... ودعا له بالخير والبَرَكات

أعطاه أحمدُ إذ أتاه أعنزاً ... عَفراً نواجِلَ لَسْنَ بالُلحيّات

يملأن وفد الحيّ كل عشيّة ... ويعود ذاك المليء بالغدوات

بورِكْنَ مِنْ مَنْحٍ وبُورِكَ مانِحاً ... وعليه مِني ما حييت صلاتي

---

(١) أورد الأبيات في الإصابة وفيها: تروك لأمر العاجز المتردد.

(٢) في الحلبية: ابن مور، وفي المصري: دور.

وفد كنانة

روى الواقدي بأسانيده: أن واثلة بن الأسقع الليثي قدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهّز إلى تبوك، فصلّى معه الصبح، ثم رجع إلى قومه فدعاهم وأخبرهم عن رسول الله ﷺ. فقال أبوه: والله لا أحملك أبداً، وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجهّزته حتى سار مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وهو راكب على بعير لكعب بن عجرة، وبعثه رسول الله ﷺ مع خالد إلى أُكَيْدِر دَوْمَة، فلما رجعوا عرض واثلة على كعب بن عجرة ما كان شارطه عليه من سهم [في][1] الغنيمة، فقال له كعب: إنما حملتك لله عزّ وجلّ.

وفد أشجع

ذكر الواقدي: أنهم قدموا عام الخندق وهم مائة رجل ورئيسهم مسعود بن رخَيلة فنزلوا شعب سلع فخرج إليهم رسول الله وأمر لهم بأحمال التمر، ويقال بل قدموا بعدما فرغ من بني قريظة وكانوا سبع مائة رجل فوادعهم ورجعوا ثم أسلموا بعد ذلك.

وفد باهلة

قدم رئيسهم مطرف بن الكاهن بعد الفتح فأسلم. وأخذ لقومه أماناً وكتب له كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام، كتبه عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

وفد بني سليم

قال: وقدم على رسول الله ﷺ رجل من بني سليم يقال له: قيس بن نشبة[2]، فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه، ووعى ذلك كلّه[3]، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم، ورجع إلى قومه بني سليم فقال: سمعت ترجمة الروم، وهينمة فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكهّان، وكلام مقاول حِمْيَر، فما يشبه كلام محمّد شيئاً من كلامهم، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه، فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا رسول الله ﷺ بقديد وهم سبع مائة. ويقال: كانوا ألفاً وفيهم: العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم فأسلموا، وقالوا: أجعلنا في مقدّمتك واجعل لواءنا أحمر وشعارنا مقدّماً ففعل ذلك بهم. فشهدوا معه الفتح والطائف وحُنَيناً، وقد كان راشد بن عبد ربّه السلمي يعبد صنماً فرآه يوماً وثعلبان يبولان عليه فقال:

أَرَبٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم شدّ عليه فكسره، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال له رسول الله ﷺ: **«ما اسمك؟»** قال: غاوي بن عبد العزّى. فقال: **«بل أنت راشد بن عبد ربّه»**، وأقطعه موضعاً-يقال

(١) سقط في ط.
(٢) كذا في الأصول، وقوله: رجل من بني سليم. والذي في الإصابة: قيس بن نشبة السلمي.
(٣) في الأصل: ودعا ذلك كله، ولعل الضحيح ما كتبناه.

له: رهاط، فيه عين تجري يقال لها: عين الرسول، وقال: هو خير بني سليم، وعقد له على قومه وشهد الفتح وما بعدها.

وفد بني هلال بن عامر

وذكر في وفدهم: عبد عوف بن أصرم فأسلم وسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وقُبَيصة بن مُخارق الذي له حديث في الصدقات، وذكر في وفد بني هلال زياد بن عبد الله بن مالك بن نجير بن الهدم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر، فلما دخل المدينة يمم منزل خالته ميمونة بنت الحارث، فدخل عليها، فلما دخل رسول الله ﷺ منزله رآه فغضب ورجع. فقالت: يا رسول الله إنه ابن أختي فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد، فصلى الظهر ثم أدنى زياداً فدعا له، ووضع يده على رأسه ثم حدرها على طرف أنفه، فكانت بنو هلال تقول ما زلنا نتعرف البركة في وجه زياد. وقال الشاعر لعلي بن زياد:

إنّ الذي مسح الرسولُ برأسه ... ودعا له بالخير عند المَسْجِد
أعني زياداً لا أريدُ سِواءَهُ ... مِنْ عابر أو متهم أو مُنْجِد
ما زال ذاك النور في عرنينه ... حتى تبوأ بيته في مُلْحِد[1]

وفد بني بكر بن وائل

ذكر الواقدي: أنهم لما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن قس بن ساعدة. فقال: ليس ذاك منكم ذاك رجل من إياد تحنّف في الجاهلية فوافى عكاظ والناس مجتمعون، فكلّمهم بكلامه الذي حفظ عنه. قال: وكان في الوفد بشير ابن الخصاصية وعبد الله بن مرثد، وحسّان بن خوط. فقال رجل من ولد حسان:

أنا وَحَسّانُ بن خَوطٍ وأبي ... رسول بَكْر كلّها إلى النبي

وفد بني تغلب[2]

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى، عليهم صلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث؛ فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن لا يضيعوا أولادهم في النصرانية، وأجار المسلمين منهم.

وفادات أهل اليمن: وفد تُجيب

ذكر الواقدي أنهم قدموا سنة تسع، وأنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً، فأجازهم أكثر ما أجاز غيرهم، وأن غلاماً منهم قال له رسول الله ﷺ: «ما حاجتك» فقال: يا رسول الله ادع الله يغفر

---

(١) العرنين: الأنف والشمم، واللحد: القبر.
(٢) كذا في الحلبية: وفي التيمورية: بني ثعلبة.

لي ويرحمني ويجعل غنائي في قلبي. فقال: «اللهمّ اغفر له وارحمه، واجعل غناه في قلبه» فكان بعد ذلك من أزهد الناس.

وفد خولان

ذكر أنهم كانوا عشرة، وأنهم قدموا في شعبان سنة عشر، وسألهم رسول الله ﷺ عن صنمهم الذي كان يقال له: عم أنس، فقالوا أبدلناه خيراً منه، ولو قد رجعنا لهدمناه، وتعلّموا القرآن والسنن، فلما رجعوا هدموا الصنم، وأحلوا ما أحل الله وحرّموا ما حرّم الله.

وفد جعفي

ذكر أنهم كانوا يحرّمون أكل القلب، فلما أسلم وفدهم أمرهم رسول الله ﷺ بأكل القلب، وأمر به فشوي، وناوله رئيسهم وقال: لا يتم إيمانكم حتى تأكلوه، فأخذه ويده ترعد فأكله وقال:

على أني أكلت القلب كرهاً وترعد حين مسته بناني

[بسم الله الرحمن الرحيم][1]

فصل في قدوم وفد الأزد على رسول الله ﷺ

ذكر أَبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أَبو موسى المديني من حديث أَحمد بن أَبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني قال: حدَّثني علقمة بن مرثد بن سويد الأزدي قال: حدَّثني أَبي عن جدّي عن سويد بن الحارث. قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ، فلما دخلنا عليه وكلّمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزيّنا فقال: «ما أنتم؟» قلنا: مؤمنون فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم» قلنا خمس عشرة خصلة؛ خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلّقنا[2] بها في الجاهلية فنحن عليها، إلاّ أن تكره منها شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: «ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟» قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: «وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها؟» قلنا أمرتنا أن نقول: لا إله إِلاّ الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. فقال: «وما الخمسة التي تخلّقتم بها في الجاهلية؟». قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضى بمرّ القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء. فقال رسول الله ﷺ: «حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء» ثم قال: «وأنا أزيدكم خمساً فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما

---

(١) عن الحلبية فقط.

(٢) تخلقنا بها: أي انطبعنا عليها فأصبحت من أخلاقنا.

تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون». فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيّته وعملوا بها.

ثم ذكر: وفد كندة

وأنهم كانوا بضعة عشر راكباً عليهم: الأشعث بن قيس، وأنه أجازهم بعشر أواق، وأجاز الأشعث ثنتي عشرة أوقية وقد تقدم.

وفد الصدف

قدموا في بضعة عشر راكباً، فصادفوا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر، فجلسوا ولم يسلّموا فقال: «**أمسلمون أنتم؟**» قالوا: نعم! قال: «**فهلا سلّمتم**» فقاموا قياماً فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فقال: «**وعليكم السلام، اجلسوا**» فجلسوا وسألوا رسول الله ﷺ عن أوقات الصلوات.

وفد خشين

قال: وقدم أَبو ثعلبة الخشني ورسول الله يتجهز[1] إلى خَيْبر، فشهد معه خيبر، ثم قدم بعد ذلك بضعة عشر رجلاً منهم فأسلموا.

وفد بني سعد

ثم ذكر وفد بني سعد هذيم وبلي وبهراء وبني عُذْرة وسلامان وجُهَينة وبني كلب والجرميين. وقد تقدم حديث عمرو بن سلمة الجرمي في صحيح البخاري.

وذكر: وفد الأزد وغسّان والحارث بن كعب وهمدان وسعد العشيرة وقيس. ووفد الدّاريين والزهاويين وبني عامر والمسجع وبَجِيلة وخَثْعم وحضرموت. وذكر فيهم وائل بن حجر، وذكر فيهم الملوك الأربعة: حميداً ومخوساً ومشرجاً وأبضعة. وقد ورد في مسند أحمد نعتهم مع أخيهم الغمر، وتكلّم الواقدي كلاماً فيه طول.

وذكر وفد أزد عُمان وغافق وبارق ودوس وثمالة والحدار وأسلم وجذام ومَهَرة وحِمْيرة ونَجران وحَيْسان. وبسط الكلام على هذه القبائل يطول جداً، وقد قدمنا بعض ما يتعلّق بذلك وفيما أوردناه كفاية والله أعلم. ثم قال الواقدي:

وافد السباع

حدّثني شعيب بن عبادة عن عبد المطلب بن عبد اللّه بن حنطب قال: بينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه، أقبل ذئب فوقف بين يديه فعوى. فقال رسول الله ﷺ: «**هذا وافد**

(١) في ط: يجهز.

السباع إليكم! فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره، وإن أحببتم تركتموه وتحذّرتم منه، فما أخذ فهو رزقه». قالوا: يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء، فأومأ إليه النبيّ ﷺ بأصابعه الثلاث أي خالسهم فولى وله عسلان. وهذا مرسل من هذا الوجه، ويشبه هذا الذئب الذئب الذي ذكر في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن هارون، أنبأنا القاسم بن الفضل الحراني، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري. قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبها الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ، فقال: يا عجباً ذئب مقع على ذنبه يكلّمني كلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك، محمّد رسول الله ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للأعرابي: أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: **«صدق والذي نفس محمّد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلّم السباع الإنس، وتكلّم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده»**[١]. وقد رواه الترمذي عن سفيان ابن وكيع بن الجراح عن أبيه، عن القاسم بن الفضل به، وقال: حسن غريب صحيح لا نعرفه إلاّ من حديث القاسم بن الفضل به، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث، وثقه يَحْيَىٰ وابن مهدي.

قلت: وقد رواه الإمام أحمد أيضاً: حدّثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب هو ابن أبي حمزة، حدَّثني عبد الله بن أبي الحسين، حدَّثني مهران، أنبأنا أبو سعيد الخدري، حدّثه، فذكر هذه القصّة بطولها بأبسط من هذا السياق. ثم رواه أحمد: حدّثنا أبو النضر، ثنا عبد الحميد بن بهرام[٢]، ثنا شهر قال: وحدّث أبو سعيد فذكره، وهذا السياق أشبه والله أعلم، وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

فصل

وقد تقدم ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة، وقد تقصّينا الكلام في ذلك [أيضاً][٣] عند قوله تعالى في سورة الأحقاف ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] فذكرنا ما ورد من الأحاديث في ذلك، والآثار، وأوردنا حديث سواد بن قارب الذي كان كاهناً فأسلم. وما رواه عن رئيه الذي كان يأتيه بالخبر حين أسلم حين قال له:

عجبتُ للجنّ وأنجاسها ... وشدّها العيس بأحلاسها[٤]

تهوي إلى مكّة تبغي الهُدى ... ما مؤمن الجنّ كأرجاسها

(١) أخرجه الترمذي في الفتن باب ١٩، وأحمد في المسند ٣/ ٨٤، ٨٨، ٨٩.

(٢) في ط: هبرام.

(٣) سقط في ط.

(٤) الحلس: ما يوضع على الدابة تحت الرحل أو السرج.

فانهض إلى الصّفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رَاسِها

ثم قوله:

عجبتُ للجنّ وتَطْلابها وشدّها العيسَ بأقتابها[1]
تَهْوي إلى مكّة تبغي الهُدَى ليس قداماها كأذنابها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينَيْك إلى بابها

ثم قوله:

عجبتُ للجنّ وتخبارها وشدّها العيس بأكوارها[2]
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ليس ذوو الشرّ كأخيارها
فانهض إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنو الجن ككفّارها

وهذا وأمثاله مما يدل على تكرار وفود الجن إلى مكّة، وقد قرّرنا ذلك هنالك بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق.

وقد أورد الحافظ أبو بكر البيهقي ها هنا حديثاً غريباً جداً، بل منكراً أو موضوعاً، ولكن مخرجه عزيز أحببنا أن نورده كما أورده، والعجب منه، فإنه قال في دلائل النبوة: باب قدوم هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس، على النبي ﷺ وإسلامه.

أَخْبَرَنَا أبو الحسن محمّد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله، أنبأنا أبو نصر محمّد بن حمدويه بن سهل القاري المروزي، ثنا عبد اللّه بن حمّاد الآملي، ثنا محمّد بن أبي معشر، أخبرني أبي عن نافع، عن ابن عمر. قال: قال عمر رضي الله عنه: بينا نحن قعود مع النّبيّ ﷺ على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا، فسلّم على النّبيّ ﷺ، فردّ ثم قال: «نغمة جنّ وغمغمتهم من أنت؟» قال: أنا هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس. فقال النّبيّ ﷺ: «فما بينك وبين إبليس إلاَّ أبوان، فكم أتى لك من الدهر» قال: قد أفنيت الدنيا عمرها إلاَّ قليلاً، ليالي قتل قابيل هابيل كنت غلاماً ابن أعوام أفهم الكلام، وأمر بالآكام، وآمر بإفساد الطعام، وقطيعة الأرحام. فقال رسول الله ﷺ: «بئس عمل الشيخ المتوسّم، والشاب المتلوّم» قال: ذرني من الترداد إني تائب إلى الله عزّ وجلّ، إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني، وقال: لا جرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قال قلت: يا نوح إني كنت ممن اشترك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم، فهل تجد لي عندك توبة؟ قال: يا هام همّ بالخير وافعله ، قبل الحسرة والندامة، إني قرأت فيما أنزل الله عليّ أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغ أمره ما بلغ إلاَّ تاب الله عليه، قم فتوضأ واسجد لله سجدتين، قال: ففعلت من ساعتي ما أمرني به. فناداني ارفع رأسك، فقد نزلت توبتك من السماء، فخررت لله ساجداً، قال: وكنت مع هود، في

---

(١) القتب: الرحل الصغير.

(٢) الكور: الرحل وهو ما يوضع على ظهر الجمل.

مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، فقال: لا جرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قال: وكنت مع صالح في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني، وقال: أنا على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وكنت أزور يعقوب، وكنت مع يوسف في المكان الأمين، وكنت ألقى إلياس في الأودية، وأنا ألقاه الآن، وإني لقيت موسى بن عمران فعلّمني من التوراة، وقال: إن لقيت عيسى ابن مريم فأقره مني السلام. وإني لقيت عيسى ابن مريم، فأقرأته عن موسى السلام، وإن عيسى قال: إن لقيت محمّداً ﷺ فأقره مني السلام، فأرسل رسول الله ﷺ عينيه فبكى، ثم قال: وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا، وعليك السلام يا هام بأدائك الأمانة. قال: يا رسول الله افعل بي ما فعل موسى، إنه علّمني من التوراة، قال: فعلّمه رسول الله ﷺ: إذا وقعت الواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كوّرت، والمعوذتين، وقل هو الله أحد، وقال: **«ارفع إلينا حاجتك يا هامة، ولا تدع زيارتنا»** . قال عمر: فقبض رسول الله ﷺ ولم يعد إلينا، فلا ندري الآن أحيّ هو أم ميت؟ ثم قال البيهقي: ابن أبي معشر هذا قد روى عنه الكبار إلاّ أن أهل العلم بالحديث يضعّفونه. وقد روي هذا الحديث من وجه آخر هو أقوى منه والله أعلم(١) .

سنة عشر من الهجرة

باب بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران **«وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم»** . فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام، وكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ كما أمره رسول الله إن هم أسلموا ولم يقاتلوا. ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمّد النبي رسول الله من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. **أما بعد** يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم، وعلّمتهم معالم الإسلام، وكتاب الله وسنّة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما

(١) إلى هنا آخر الجزء الثالث من نسخة المؤلف عن الحلبية.

أمرني رسول الله، وبعثت فيهم ركباناً: يا بني الحارث أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأعلّمهم معالم الإسلام وسنّة النّبيّ ﷺ، حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**. من محمّد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارثَ بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلَهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشّرهم وأنذرهم وأقبل، وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحصين ذو الغصّة، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجّل، وعبد اللّه بن قراد الزّيادي، وشدادّ بن عُبَيد اللّه القَناني، وعمرو بن عبد اللّه الضبابي. فلما قدموا على رسول الله ﷺ ورآهم قال: «**ممن هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟**»قيل: يا رسول الله هؤلاء بنو الحارث ابن كعب، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلّموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلاّ الله. فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله**» ثم قال: «**أنتم الذين إذا زجروا استقدموا**»فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الثانية، ثم الثالثة فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الرابعة. قال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله! نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرات. فقال رسول الله ﷺ: «**لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم**» فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً! قال: «**فمن حمدتم؟**»قالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**صدقتم**» ثم قال: «**بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟**»قالوا: لم نك نغلب أحداً، قال: «**بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم**» قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نتفرّق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «**صدقتم**»ثم أمّر عليهم قيس بن الحصين.

قال ابن إسحاق: ثم رجعوا إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذي القعدة، قال: ثم بعث إليهم بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم ليفقّههم في الدين، ويعلّمهم السنّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره أمره. ثم أورده ابن إسحاق. وقد قدّمناه في وفد ملوك حِمْيَر من طريق البيهقي، وقد رواه النسائي نظير ما ساقه محمّد بن إسحاق بغير إسناد.

بعث رسول الله ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجّة الوداع ويدعونهم إلى الله [عزّ وجل][١]

قال البخاري: **باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجّة الوداع.**

حدّثنا موسى، ثنا أبو عوانة، ثنا عبد الملك عن أبي بردة، قال: بعث النبيّ ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال: واليمن مخلافان. ثم قال: «**يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تُنفّرا**» وفي رواية: «**وتطاوعا ولا تختلفا**»، وانطلق كلّ واحد منهما إلى عمله، قال: وكان كلّ واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس إليه، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد اللّه بن قيس أيم[٢] هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل، قال: إنما جيء به لذلك، فأنزل قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل ثم نزل. فقال: يا عبد اللّه كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه[٣] تفوقاً، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فاحتسب نومتي كما احتسب قومتي[٤]. انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه، ثم قال البخاري: ثنا إسحاق، ثنا خالد عن الشيباني، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري. أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع بها، فقال: ما هي؟ قال: البتع والمِزر، فقلت لأبي بردة: ما البتع؟ قال: نبيذ العسل، والمِزْر نبيذ الشعير. فقال: «**كل مسكر حرام**»[٥] رواه جرير وعبد الواحد عن الشيباني، عن أبي بردة. ورواه مسلم من حديث سعيد بن أبي بردة.

وقال البخاري: **حدّثنا** حبان، أنبأنا عبد اللّه عن زكريا بن أبي إسحاق، عن يَحْيَىٰ بن عبد اللّه بن صيفي، عن أبي معبد مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق [دعوة]**[٦]

---

(١) سقط في ط.

(٢) كذا في الأصل كما في البخاري. وفي التيمورية: اثم هذا.

(٣) أتفوقه: أي ألازم قراءته ليلاً نهاراً، شيئاً بعد شيء، وحيناً بعد حين، مأخوذ من الفواق وهو ما بين الحَلْبتين من الوقت للناقة لأنها تُحلب ثم تترك سويعة يتركها الفصل لتدر ثم تحلب.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٠.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٠، ومسلم في الأشربة حديث ٧٠.

(٦) سقط في ط.

المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[١]. وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، ثنا صفوان، حدَّثني راشد بن سعد عن عاصم بن حميد السكوني، عن معاذ بن جبل. قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلّك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»، فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا»[٢] ثم رواه عن أبي اليمان عن صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عاصم بن حميد السكوني: أن معاذ لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته؛ فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلّك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ. فقال: «لا تبك يا معاذ للبكاء أو إن، البكاء من الشيطان»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو المغيرة، ثنا صفوان، حدَّثني أبو زياد يَحْيَىٰ بن عُبَيد الغساني، عن يزيد بن قطيب، عن معاذ أنه كان يقول: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «لعلك أن تمر بقبري ومسجدي، فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم، يقاتلون على الحقّ مرّتين؛ فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك، ثم يفيئون[٤] إلى الإسلام حتى تبادر المرأة زوجها والولد والده والأخ أخاه، فانزل بين الحيين السكون والسكاسك»[٥].

وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذاً رضي الله عنه لا يجتمع بالنّبيّ ﷺ بعد ذلك؛ وكذلك وقع فإنه أقام باليمن حتى كانت حجّة الوداع، ثم كانت وفاته عليه السلام بعد أحد وثمانين يوماً من يوم الحجّ الأكبر. فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن معاذ؛ أنه لما رجع من اليمن قال: يا رسول الله رأيت رجالاً باليمن يسجد بعضهم لبعض، أفلا نسجد لك قال: «لو كنت آمر بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[٦] وقد رواه أحمد عن ابن نمير، عن الأعمش، سمعت أبا ظبيان يحدّث عن رجل من الأنصار، عن معاذ بن جبل قال: أقبل معاذ من اليمن فقال: يا رسول الله إني رأيت رجالاً. فذكر معناه. فقصد دار على رجل منهم، ومثله لا يحتج به، لا سيّما وقد خالفه غيره ممن يعتدّ به، فقالوا: لما قدم معاذ من الشام كذلك رواه.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٠، والزكاة باب ٤١، ٦٣، ومسلم في الإيمان حديث ٢٩، ٣٠، وأبو داود في الزكاة باب ٥، والترمذي في الزكاة باب ٦، والنسائي في الزكاة ١، وابن ماجه في الزكاة باب ١، والدارمي في الزكاة باب (في فضل الزكاة)، وأحمد في المسند ١/ ٢٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في المسند ٥/ ٢٣٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٥.

(٤) يفيئون: يرجعون.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٥.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨.

وقال أَحمد: **حدثنا** إبراهيم بن مهدي، ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرَّحمٰن بن أَبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل. قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلاَّ الله»**[١] وقال أَحمد: ثنا وكيع، ثنا سفيان عن حبيب بن أَبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ. أن رسول الله ﷺ قال: **«يا معاذ أَتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن»**[٢] قال وكيع: وجدته في كتابي عن أَبي ذر، وهو السماع الأول، وقال سفيان مرة عن معاذ[٣]. ثم قال الإمام أَحمد: **حدّثنا** إسماعيل عن ليث، عن حبيب بن أَبي ثابت، عن ميمون بن أَبي شبيب، عن معاذ. أنه قال: يا رسول الله أوصني، فقال: **«اتق الله حيثما كنت»**، قال: زدني قال: **«اتبع السيئة الحسنة تمحها»**، قال: زدني قال: **«خالق**[٤] الناس بخلق حسن»[٥]. وقد رواه الترمذي في جامعه عن محمود بن غيلان عن وكيع، عن سفيان الثوري به، وقال: حسن. قال شيخنا في الأطراف[٦]، وتابعه فضيل بن سليمان عن ليث بن أَبي سليم، عن الأعمش، عن حبيب به، وقال أحمد: **حدثنا** أبو اليمان، ثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرَّحمٰن بن جُبَيْر بن نفير الحضرمي، عن معاذ بن جبل. قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: **«لا تشرك بالله شيئاً، وإن قتلت وحرقت، ولا تَعُقنَّ وإن أمراك أن تخرج من مالك وأهلك، ولا تتركنّ صلاة مكتوبة متعمّداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربنّ خمراً فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية فإن بالمعصية يحلّ سخط الله، وإيّاك والفرار من الزحف، وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأحبّهم في الله عزّ وجلّ»**[٧] وقال الإمام أَحمد: **حدثنا** يونس، ثنا بقية عن السري ابن ينعم، عن شُرَيح، عن مسروق، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن. قال: **«إياك والتّنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»**[٨] وقال أَحمد: **حدثنا** سليمان بن داود الهاشمي، ثنا أَبو بكر - يعني ابن عياش - ثنا عاصم عن أَبي وائل، عن معاذ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل حالم ديناراً، أو عدله من المعافر[٩]، وأمرني أن آخذ من كل أَربعين بقرة مسنة، ومن كل ثلاثين بقرة تبيعاً حولياً، وأمرني فيما سقت السماء العشر، وما سقي بالدوالي نصف العشر[١٠] وقد رواه أَبو داود من حديث أَبي معاوية، والنسائي من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٤٢. (٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٢٨.

(٣) المسند ٥/٢٢٨. (٤) خالق: عاشر. عامل.

(٥) أخرجه الترمذي في البر والصلة باب ٥٥، وأحمد في المسند ٥/٢٢٨.

(٦) أي تحفة الأشراف في معرفة الأطراف للإمام المزي رحمه الله.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٣٨.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٤٣.

(٩) المعافر: ما يطحن من الحبوب، والعفار: الطحين الناعم.

(١٠) أخرجه أبو داود في الزكاة باب ٥، والترمذي في الزكاة باب ٥، والنسائي في الزكاة باب ٨، وابن ماجه في الزكاة باب ١٢، وأحمد في المسند ٥/٢٣٣.

حديث محمّد بن إسحاق عن الأعمش كذلك.

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن معاذ
وقال أحمد: ثنا معاوية عن عمرو وهارون بن معروف، قالا: ثنا عبد الله بن وهب عن حيوة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سَلَمة بن أسامة، عن يَحْيَىٰ بن الحَكَم. أن معاذاً قال: بعثني رسول الله ﷺ أصدق أهل اليمن، فأمرني أن آخذ من البقر من كل ثلاثين تبيعاً، قال هارون - والتبيع الجذع أو جذعة - ومن كل أربعين مسنة؛ فعرضوا عليّ أن آخذ ما بين الأربعين والخمسين، وما بين الستين والسبعين، وما بين الثمانين والتسعين، فأبيت ذلك. وقلت لهم: أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فقدمت فأخبرت النبيّ ﷺ فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين تبيعاً ومن كل أربعين مسنة، ومن الستين تبيعين، ومن السبعين مسنة وتبيعاً، ومن الثمانين مسنتين، ومن التسعين ثلاثة أتباع، ومن المائة مسنة وتبيعين، ومن العشرة ومائة مسنتين وتبيعاً، ومن العشرين ومائة ثلاث مسنات أو أربعة أتباع، قال: وأمرني رسول الله ﷺ أن لا آخذ فيما بين ذلك شيئاً إلاَّ أن يبلغ مسنة أو جذع، وزعم أن الأوقاص [1]لا فريضة فيها [2]، وهذا من إفراد أحمد، وفيه دلالة على أنه قدم بعد مصيره إلى اليمن على رسول الله ﷺ، والصحيح أنه لم يَر النّبيّ ﷺ بعد ذلك كما تقدّم في الحديث.
وقد قال عبد الرزّاق: أنبأنا معمّر عن الزهري، عن أُبَيّ بن كعب بن مالك. قال: كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سَمْحاً من خير شباب قومه، لا يسأل شيئاً إلاَّ أعطاه، حتى كان عليه دين أغلق ماله، فكلّم رسول الله في أن يكلّم غرماءه ففعل. فلم يضعوا له شيئاً، فلو ترك لأحد بكلام أحد لترك لمعاذ بكلام رسول الله ﷺ، قال: فدعاه رسول الله فلم يبرح أن باع ماله وقسمه بين غرمائه. قال: فقام معاذ ولا مال له، قال: فلما حجّ رسول الله بعث معاذاً إلى اليمن، قال: فكان أول من تجر في هذا المال معاذ، قال: فقدم على أبي بكر الصدّيق من اليمن وقد توفي رسول الله ﷺ، فجاء عمر فقال: هل لك أن تطيعني فتدفع هذا المال إلى أبي بكر، فإن أعطاكه فاقبله، قال فقال معاذ: لم أدفعه إليه وإنما بعثني رسول الله ليجبرني، فلما أبى عليه انطلق عمر إلى أبي بكر فقال: أرسل إلى هذا الرجل فخذ منه ودع له. فقال أبو بكر: ما كنت لأفعل إنما بعثه رسول الله ليجبره، فلست آخذ منه شيئاً. قال: فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال: ما أرى إلاَّ فاعل الذي قلت إني رأيتني البارحة في النوم - فيما يحسب عبد الرزاق قال - أجرّ إلى النار، وأنت آخذ بحجزتي [3]، قال: فانطلق إلى أبي بكر بكل شيء جاء به، حتى جاءه بسوطه، وحلف له أنه لم يكتمه شيئاً. قال فقال أبو بكر رضي الله عنه: هو لك لا آخذ منه شيئاً. وقد رواه أبو ثور عن معمر، عن الزهري عن عبد الرّحمٰن بن كعب بن مالك، فذكره إلاَّ أنه قال: حتى إذا كان عام فتح مكة، بعثه رسول الله ﷺ على طائفة من اليمن أميراً، فمكث حتى قبض رسول الله، ثم قدم في خلافة أبي بكر، وخرج إلى

---

(١) الأوقاص: واحدها: الوَقَص في الصدقة وهو ما بين الفريضتين وكذا الشَّنَق وبعض العلماء يجعل الوقص في البقر خاصة، والشَّنَق في الإبل خاصة.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٤٠.
(٣) الحجزات: جمع حجزة وحجزات: موضع شد الإزار من وسط الإنسان.

الشام. قال البيهقي: وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ استخلفه بمكة مع عتاب بن أُسَيْد ليعلّم أهلها، وأنه شهد غزوة تبوك؛ فالأشبه أن بعثه إلى اليمن كان بعد ذلك، والله أعلم. ثم ذكر البيهقي لقصّة منام معاذ شاهداً من طريق الأعمش عن أَبي وائل، عن عبد اللّه، وأنه كان من جملة ما جاء به عبيد فأتى بهم أبا بكر، فلما ردّ الجميع عليه رجع بهم، ثم قام يصلي فقاموا كلّهم يصلّون معه، فلما انصرف. قال: لمن صليتم؟ قالوا: لله، قال: فأنتم له عتقاء، فأعتقهم.

وقال الإمام أَحمد: حدثنا محمّد بن جعفر، ثنا شعبة عن أَبي عون، عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص، عن معاذ، أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن قال: **«كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟»** قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: **«فإن لم يكن في كتاب الله»**، قال: فسنّة رسول الله ﷺ، قال: **«فإن لم يكن في سنّة رسول الله»**، قال: اجتهد وإني لا آلو. قال: فضرب رسول الله صدري ثم قال: **«الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله»**[1]. وقد رواه أَحمد عن وكيع، عن عفان، عن شعبة بإسناده ولفظه. وأخرجه أَبو داود والترمذي من حديث شعبة به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه إلاّ أنه من طريق محمّد بن سعد بن حسّان ـ وهو المصلوب أحد الكذّابين ـ عن عبادة بن نسي عن عبد الرّحمٰن بن غنم عن معاذ به نحوه.

وقد روى الإمام أَحمد عن محمّد بنُ جعفر، ويَحْيَىٰ بن سعيد، عن شعبة، عن عمرو بن أَبي حكيم، عن عبد اللّه بن بريدة، عن يَحْيَىٰ بن معمر، عن أَبي الأسود الدئلي. قال: كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه في يهودي مات، وترك أخاً مسلماً. فقال معاذ: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الإسلام يزيد ولا ينقص»** فورّثه[2]، ورواه أَبو داود من حديث ابن بريدة به. وقد حكي هذا المذهب عن معاوية بن أَبي سفيان، ورواه عن يَحْيَىٰ بن معمر القاضي، وطائفة من السلف، وإليه ذهب إسحاق بن راهويه، وخالفهم الجمهور، ومنهم الأئمة الأربعة وأصحابهم محتجّين بما ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر»**[3] والمقصود أن معاذاً رضي الله عنه كان قاضياً للنبي ﷺ باليمن، وحاكماً في الحروب، ومصدّقاً إليه تدفع الصدقات كما دل عليه حديث ابن عباس المتقدّم، وقد كان بارزاً للناس يصلي بهم الصلوات الخمس، كما قال البخاري: حدّثنا سليمان ابن حرب، ثنا شعبة عن حبيب بن أَبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عمرو بن ميمون، أن معاذاً لما قدم اليمن صلّى بهم الصبح فقرأ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [سورة النساء: ١٢٥]

---

(١) أخرجه أبو داود في الأقضية باب ١١، والترمذي في الأحكام باب ٣، وابن ماجه في المقدمة باب ٨، وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢.

(٢) أخرجه أبو داود في الفرائض باب ١٠، وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٠.

(٣) أخرجه البخاري في الفرائض باب ٢٦، ومسلم في الفرائض حديث ١، وأبو داود في الفرائض باب ١٠، والترمذي في الفرائض باب ١٥، ومالك في الفرائض حديث ١٠، وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٠.

فقال رجل من القوم: لقد قرّت عين إبراهيم[١]. انفرد به البخاري ثم قال البخاري:

باب بعث رسول الله ﷺ علي بن أَبي طالب وخالد بن الوليد إِلى اليمن قبل حجّة الوداع

حدّثنا أَحمد بن عثمان، ثنا شُرَيح بن مسلمة، ثنا إبراهيم بن يوسف بن أَبي إِسحاق، حدَّثني أَبي، عن أَبي إِسحاق، سمعت البراء بن عازب قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد ابن الوليد إِلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، قال: مُرْ أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبلْ[٢] فكنت فيمن عقب معه، قال: فغنمت أواقي ذات عدد[٣]، انفرد به البخاري من هذا الوجه، ثم قال البخاري: حدّثنا محمّد بن بشار، ثنا روح بن عبادة، ثنا علي بن سويد بن منجوف عن عبد اللّه بن بريدة، عن أبيه قال: بعث النّبيّ ﷺ علياً إِلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً فأصبح وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا تَرى إِلى هذا؟ فلمّا قدمنا على النّبيّ ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «يا بريدة! تبغض علياً؟» فقلت: نعم! فقال: «لا تبغضه فإِن له في الخمس أكثر من ذلك»[٤]. انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه.

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا يَحْيَىٰ بن سعيد، ثنا عبد الجليل قال: انتهيت إِلى حلقة فيها أَبو مجلز وابنا بريدة فقال عبد اللّه بن بريدة: حدَّثني أبو بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبّه إِلاَّ على بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصحبه إِلاَّ على بغضه علياً، قال: فأصبنا سبياً، قال: فكتب إِلى رسول الله ﷺ ابعث إِلينا من يخمّسه، قال: فبعث إِلينا علياً، وفي السبي وصيفة من أفضل السبي. قال: فخمّس وقسم فخرج ورأسه يقطر فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ فقال: ألم تروا إِلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإِني قسمت وخمّست فصارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت النّبيّ ﷺ، ثم صارت في آل عليّ ووقعت بها، قال: فكتب الرجل إِلى نبي الله ﷺ فقلت: ابعثني فبعثني مصدقاً، فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب فقال: «أتبغض علياً» قال: قلت: نعم؟ قال: «فلا تبغضه وإِن كنت تحبه فازدد له حباً فوالذي نفس محمّد بيده لنصيب آل علي[٥] في الخمس أفضل من وصيفة» قال: فما كان من الناس أحد بعد قول النّبيّ ﷺ أحب إِليّ من عليّ. قال عبد اللّه بن بريدة: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٠.
(٢) كذا بالأصل وقد أوردها بالتيمورية: فليقفل.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦١.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦١، وأحمد في المسند ٥/٣٥٩.
(٥) كذا في المصرية، وفي التيمورية: آل محمد.

النّبيّ ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة[١]. تفرّد به بهذا السياق عبد الجليل بن عطية الفقيه أَبو صالح البصري، وثقه ابن معين وابن حبان. وقال البخاري: إنما يهم في الشيء بعد الشيء.
وقال محمّد بن إِسحاق: ثنا أبان بن صالح عن عبد اللّه بن نيار [٢]الأسلمي ، عن خاله عمرو بن شاس الأسلمي، وكان من أصحاب الحُدَيْبية. قال: كنت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، فجفاني عليّ بعض الجفاء، فوجدت في نفسي عليه، فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله جالس في المسجد، فلما رآني أنظر إلى عينيه، نظر إليّ حتى جلست إليه، فلما جلست إليه قال: «**إنه والله يا عمرو ابن شاس لقد آذيتني**» فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أعوذ بالله والإسلام أن أوذي رسول الله. فقال: «**من آذى علياً فقد آذاني**»[٣] وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن ابن إِسحاق، عن أبان عن الفضل بن معقل بن سنان، عن عبد اللّه بن نيار، عن خاله عمرو بن شاس، فذكره بمعناه.

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا محمّد بن عبد اللّه الحافظ، أنبأنا أَبو إِسحاق المولى، ثنا عُبَيْدة بن أَبي السفر، سمعت إبراهيم بن يوسف بن أَبي إِسحاق، عن أبيه، عن أبي إِسحاق، عن البراء: أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم [إلى الإسلام][٤] فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً إلاَّ رجلاً كان ممن مع خالد، فأحبّ أن يعقب مع علي فليعقب معه. قال البراء: فكنت فيمن عقب مع عليّ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، ثم تقدّم فصلّى بنا عليٌّ، ثم صفّنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: «**السلام على همدان السلام على همدان**»[٥].

قال البيهقي: رواه البخاري مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف. وقال البيهقي: أَخْبَرَنَا أَبو الحسين محمّد بن الفضل القطان، أنبأنا أَبو سهل بن زياد القطان، ثنا إسماعيل بن أَبي أويس، حدّثني أَخي عن سليمان بن بلال، عن سعد بن إِسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمّته زينب بنت كعب بن عجرة، عن أَبي سعيد الخدري. أنه قال: بعث رسول الله علي بن أبي طالب إلى اليمن. قال أَبو سعيد: فكنت فيمن خرج معه، فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا ـ وكنا قد رأينا في إبلنا خللاً ـ فأبى علينا وقال: إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين. قال: فلما فرغ عليّ وانطفق من اليمن راجعاً، أمّر علينا إنساناً وأسرع هو، وأدرك

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٥٩.
(٢) في المصرية: هان، والتيمورية: مار.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٨٣.
(٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦١.

الحجّ، فلما قضى حجّته قال له النبيّ ﷺ: «ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم» قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان عليّ منعنا إياه ففعل، فلما عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت، ورأى أثر الركب قدّم الذي أمّره ولامه. فقلت: أما ان لله عَليّ لئن قدمت المدينة لأذكرنّ لرسول الله، ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق. قال: فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ، فلما رآني وقف معي ورحّب بي وساءلني وساءلته. وقال: متى قدمت؟ فقلت: قدمت البارحة، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ فدخل، وقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد. فقال: «ائذن له» فدخلت فحيّيت رسول الله وحيّاني، وأقبل عليّ وسألني عن نفسي وأهلي، وأحفى المسألة فقلت: يا رسول الله ما لقينا من عليّ من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق، فاتئد رسول الله وجعلت أنا أعدّد ما لقينا منه، حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله على فخذي، وكنت منه قريباً وقال: «يا سعد بن مالك ابن الشهيد مه بعض قولك لأخيك عليّ، فوالله لقد علمت أنه أحسن في سبيل الله» . قال: فقلت في نفسي: ثكلتك أمك سعد بن مالك ـ ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم، ولا أدري لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية[١] . وهذا إسناد جيد على شرط النسائي، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة.

وقد قال يونس عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني يَحيَىٰ بن عبد الله بن أَبي عمر عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: إنما وجد[٢] جيش عليّ بن أبي طالب الذين كانوا معه باليمن لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلاً، وتعجّل إلى رسول الله ﷺ، قال: فعمد الرجل فكسى كل رجل حلّة، فلما دنوا خرج عليهم عليّ يستلقيهم، فإذا عليهم الحلل. قال عليّ: ما هذا؟ قالوا: كسانا فلان. قال: فما دعاك إلى هذا قبل أن تقدم على رسول الله فيصنع ما شاء، فنزع الحُلل منهم، فلما قدموا على رسول الله اشتكوه لذلك، وكانوا قد صالحوا رسول الله، وإنما بعث علياً إلى جزية موضوعة.

قلت: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي، وذلك أن علياً سبقهم لأجل الحجّ، وساق معه هدياً، وأهلّ بإهلال النبي ﷺ، فأمره أن يمكث حراماً، وفي رواية البراء بن عازب أنه قال له: إني سقت الهدي وقرنت. والمقصود أن علياً لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة، واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه، وعليّ معذور فيما فعل، لكن اشتهر الكلام فيه في الحجيج. فلذلك والله أعلم لما رجع رسول الله ﷺ من حجّته وتفرّغ من مناسكه، ورجع إلى المدينة، فمرّ بغدير خُمْ قام في الناس خطيباً، فبرأ ساحة عليّ ورفع من قدره، ونبّه على فضله ليزيل ما وقر في نفوس كثير من الناس، وسيأتي هذا مفصّلاً في موضعه إن شاء الله وبه الثقة.

وقال البخاري: حدثنا قتيبة، ثنا عبد الواحد عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة، حدَّثني عبد

(١) أخرجه أحمد في المسند ٨٦/٣.

(٢) في «التيمورية» وجّه وهو تصحيف، ووجد هنا بمعنى غضب.

الرَّحمٰن بن أَبي نعم، سمعت أبا سعيد الخدري يقول: بعث عليّ بن أَبي طالب إِلى النَّبيّ ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تُحصّل[1] من ترابها. قال فقسمها بين أربعة؛ بين عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة يعني ابن علاثة وإما عامر بن الطفيل. فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النَّبيّ ﷺ فقال: «ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً». قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمّر الإزار. فقال: [يا رسول الله اتق الله! فقال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولّى الرجل. قال خالد بن الوليد][2]: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا لعله أن يكون يصلي»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «إنه يخرج من ضئضئي[3] هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» ـ أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود»[4] ـ. وقد رواه البخاري في مواضع أخر من كتابه، ومسلم في كتاب الزكاة من صحيحه من طرق متعددة إِلى عمارة بن القعقاع به.

ثم قال الإمام أَحمد: حدثنا يَحْيَىٰ عن الأعمش عن عمرو بن مرّة، عن أَبي البختري، عن عليّ. قال: بعثني رسول الله ﷺ إِلى اليمن وأنا حديث السن، قال: فقلت: تبعثني إِلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء. قال: «إن الله سيهدي لسانك ويثبّت قلبك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين[5]. ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش به.

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا أسود بن عامر، ثنا شريك عن سمّاك، عن حنش، عن عليّ. قال: بعثني رسول الله ﷺ إِلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله تبعثني إِلى قوم أسنّ مني، وأنا حدث لا أبصر القضاء. قال: فوضع يده على صدري وقال: «اللهمّ ثبّت لسانه وأهدِ قلبه، يا عليّ إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبيّن لك» قال: فما اختلف عليّ قضاء بعد ـ أو ما أشكل علي قضاء بعد[6] ـ. ورواه أَحمد أيضاً وأَبو داود من طرق عن شريك، والترمذي من حديث زائدة، كلاهما عن سمّاك بن حرب، عن حنش بن المعتمر، وقيل ابن ربيعة الكناني[7] الكوفي عن عليّ به.

---

(١) لم تحصل: أي لم تخلص.
(٢) ما بين المعقوفين من التيمورية.
(٣) الضئضيء: الأصل.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦١، وأحاديث الأنبياء باب ٦، والتوحيد باب ٢٣، ومسلم في الزكاة حديث ١٤٣، وأحمد في المسند ٣/٦٨، ٧٣.
(٥) أخرجه ابن ماجه في الأحكام باب ١، وأحمد في المسند ١/٨٣، ٨٤.
(٦) أخرجه أبو داود في الأقضية باب ٦، والترمذي في الأحكام باب ٥، وأحمد في المسند ١/٩٦، ١١١، ١٤٩.
(٧) في الخلاصة: أو ابن ربيعة بن المعتمر الكناني أو المعتمر الكوفي عن علي.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن الأجلح، عن الشعبي، عن عبد اللّه بن أبي الخليل، عن زيد بن أرقم: أن نفراً وطؤوا امرأة في طهر فقال علي لاثنين: أتطيبان نفساً لذا فقالا: لا، فأقبل على الآخرين فقال: أتطيبان نفساً لذا[١]؟ فقالا: لا! فقال: أنتم شركاء متشاكسون. فقال: إني مقرع بينكم، فأيكم قرع أغرمته ثلثي الديّة وألزمته الولد، قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «لا أعلم إلاّ ما قال عليّ»[٢].

وقال أحمد: حدثنا شُرَيح بن النعمان، ثنا هشيم، أنبأنا الأجلح عن الشعبي، عن أبي الخليل، عن زيد بن أرقم: أن علياً أتى في ثلاثة نفر إذ كان في اليمن اشتركوا في ولد، فأقرع بينهم فضمن الذي أصابته القرعة ثلثي الدية وجعل الولد له. قال زيد بن أرقم: فأتيت النّبيّ ﷺ فأخبرته بقضاء عليّ، فضحك حتى بدت نواجذه[٣]. ورواه أبو داود عن مسدد، عن يَحْيَىٰ القطان، والنسائي عن عليّ بن حجر، عن عليّ بن مسهر، كلاهما عن الأجلح بن عبد اللّه، عن عامر الشعبي، عن عبد اللّه بن الخليل، وقال النسائي في رواية عبد اللّه بن أبي الخليل، عن زيد بن أرقم. قال: كنت عند النّبيّ ﷺ فجاء رجل من أهل اليمن فقال: إن ثلاثة نفر أتوا علياً يختصمون في ولد وقعوا على امرأة في طهر واحد، فذكر نحو ما تقدم. وقال: فضحك النّبيّ ﷺ[٤]؛ وقد روياه أعني أبا داود والنسائي من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل، عن الشعبي عن أبي الخليل أو ابن الخليل عن عليّ قوله: فأرسله ولم يرفعه[٥] . وقد رواه الإمام أحمد أيضاً عن عبد الرزّاق، عن سفيان الثوري، عن الأجلح، عن الشعبي، عن عبد خير، عن زيد بن أرقم، فذكر نحو ما تقدم[٦]. وأخرجه أبو داود والنسائي جميعاً عن حنش بن أصرم، وابن ماجه عن إسحاق بن منصور، كلاهما عن عبد الرزّاق، عن سفيان الثوري، عن صالح الهمداني، عن الشعبي، عن عبد خير، عن زيد بن أرقم به.

قال شيخنا في الأطراف: لعلّ عبد خير هذا هو عبد اللّه بن الخليل، ولكن لم يضبط الراوي اسمه.

قلت: فعلى هذا يقوى الحديث وإن كان غيره كان أجود لمتابعته له، لكن الأجلح ابن عبد اللّه الكندي فيه كلام ما، وقد ذهب إلى القول بالقرعة في الأنساب الإمام أحمد وهو من أفراده.

وقال الإمام أحمد: ثنا أبو سعيد، حدثنا إسرائيل، ثنا سماك، عن حنش، عن عليّ قال:

---

(١) كذا في المصرية. وفي التيمورية: اتطيبان نفساً.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٧٤.

(٣) أخرجه أبو داود في الطلاق باب ٣٢، والنسائي في الطلاق باب ٥٠، وأحمد في المسند ٤/ ٣٧٤.

(٤) أخرجه النسائي في الطلاق باب ٥٠، وأحمد في المسند ٤/ ٣٧٤.

(٥) أخرجه أبو داود في الطلاق باب ٣٢، والنسائي في الطلاق باب ٥٠.

(٦) أخرجه أبو داود في الطلاق باب ٣٢، والنسائي في الطلاق باب ٥٠، وابن ماجه في الأحكام باب ٢٠، وأحمد في المسند ٤/ ٣٧٣.

بعثني رسول الله إلى اليمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زبية للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون إذْ سقط رجل فتعلّق بآخر، ثم تعلّق آخر بآخر حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربة فقتله وماتوا من جراحتهم كلّهم. فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم عليّ على تعبية ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حيّ، إني أقضي بينكم قضاء، إن رضيتم فهو القضاء، وإلاّ أحجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النّبيّ ﷺ، فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حقّ له، اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الديّة وثلث الديّة ونصف الديّة والدية كاملة، فللأول الربع، لأنه هلك، والثاني ثلث الدية، والثالث نصف الدية، والرابع الدية، فأبوا أن يرضوا، فأتوا النّبيّ ﷺ وهو عند مقام إبراهيم، فقصّوا عليه القصّة. فقال: «**أنا أحكم بينكم**»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن عليًا قضى علينا، فقصّوا عليه القصّة، فأجازه رسول الله ﷺ[1].

ثم رواه الإمام أحمد أيضاً عن وكيع، عن حمّاد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن حنش عن عليّ فذكره.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٧٧.

كتاب حجة الوداع في سنة عشر
ويقال لها: حجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع

لأنه عليه الصلاة والسلام ودّع الناس فيها ولم يحج بعدها، وسمّيت حجّة الإسلام لأنه عليه السلام لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حجّ قبل الهجرة مرّات قبل النبوّة وبعدها. وقد قيل إن فريضة الحجّ نزلت عامئذ، وقيل سنة تسع، وقيل سنة ست، وقيل قبل الهجرة، وهو غريب، وسمّيت حجّة البلاغ لأنه عليه السلام بلّغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلاّ وقد بيّنه عليه السلام، فلما بيّن لهم شريعة الحج ووضّحه وشرحه أنزل الله عزّ وجلّ عليه وهو واقف بعرفة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

وسيأتي إيضاح لهذا كلّه، والمقصود ذكر حجّته عليه السلام كيف كانت، فإنّ النقلة اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً جداً بحسب ما وصل إلى كل منهم من العلم، وتفاوتوا في ذلك تفاوتاً كثيراً لا سيما من بعد الصحابة رضي الله عنهم، ونحن نورد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ما ذكره الأئمة في كتبهم من هذه الروايات، ونجمع بينهما جمعاً يثلج قلب من تأمّله وأنعم النظر فيه، وجمع بين طريقتي الحديث وفهم معانيه إن شاء الله، وبالله الثقة وعليه التكلان، وقد اعتنى الناس بحجّة رسول الله ﷺ اعتناءً كثيراً من قدماء الأئمة ومتأخريهم، وقد صنّف العلامة أبو محمّد بن حزم الأندلسي رحمه الله مجلداً في حجّة الوداع أجاد في أكثره، ووقع له فيه أوهام سننبّه عليها في مواضعها وبالله المستعان.

باب بيان أنه عليه السلام لم يحج من المدينة إلاّ حجّة واحدة، وإنه اعتمر قبلها ثلاث عمر

كما رواه البخاري ومسلم عن هدبة، عن همام، عن قتادة، عن أنس. قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلّهم في ذي القعدة إلاّ التي في حجّته[1]؛ الحديث. وقد رواه يونس بن بكير عن عمر بن ذر، عن مجاهد، عن أبي هريرة مثله، وقال سعيد[2] بن منصور عن الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، عمرة في شوال، وعمرتين في ذي القعدة[3]، وكذا رواه ابن بكير عن مالك، عن هشام

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، ومسلم في الحج حديث ٢١٧.

(٢) في ط: سعد.

(٣) أخرجه أبو داود في الحج باب ٨٠، ومالك في الحج حديث ٥٥، ٥٦.

ابن عروة. وروى الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أن رسول الله اعتمر ثلاث عمر كلّهم في ذي القعدة[1]. وقال أحمد: ثنا أبو النضر، ثنا داود - يعني العطّار - عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: اعتمر رسول الله أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة ألتي مع حجّته[2]. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث داود العطّار وحسّنه الترمذي.

وقد تقدم هذا الفصل عند عمرة الجعرانة. وسيأتي في فصل من قال إنه عليه السلام حجّ قارناً وبالله المستعان. فالأولى؛ من هذه العمر عمرة الحُدَيْبية التي صدّ عنها. ثم بعدها عمرة القضاء، ويقال عمرة القصاص، ويقال عمرة القضيّة. ثم بعدها عمرة الجعرانة مرجعه من الطائف حين قسم غنائم حُنَين، وقد قدّمنا ذلك كله في مواضعه، والرابعة عمرته مع حجّته، وسنبين اختلاف الناس في عمرته هذه مع الحجّة، هل كان متمتعاً بأن أوقع العمرة قبل الحجّة وحلّ منها، أو منعه من الإحلال منها سوقه الهدي، أو كان قارناً لها مع الحجّة كما نذكره من الأحاديث الدالة على ذلك، أو كان مفرداً[3] لها عن الحجّة بأن أوقعها بعد قضاء الحجّة. قال: وهذا هو الذي يقوله من يقول بالإفراد كما هو المشهور عن الشافعي، وسيأتي بيان هذا عند ذكرنا إحرامه ﷺ كيف كان مفرداً أو متمتعاً أو قارْناً.

قال البخاري: حدثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير، ثنا أبو إسحاق، حدّثني زيد بن أرقم أن النبيّ ﷺ غزا تسع عشر غزوة، وأنه حجّ بعدما هاجر حجّة واحدة قال أبو إسحاق وبمكة أخرى[4] وقد رواه مسلم من حديث زهير، وأخرجاه من حديث شعبة. زاد البخاري وإسرائيل ثلاثتهم عن أبي إسحاق عمرو بن عبد اللّه السبيعي عن زيد به، وهذا الذي قال أبو إسحاق من أنه عليه السلام حجّ بمكة حجّة أخرى، أي أراد أنه لم يقع منه بمكة إلاّ حجة واحدة، كما هو ظاهر لفظه، فهو بعيد. فإنه عليه السلام كان بعد الرسالة يحضر مواسم الحجّ، ويدعو الناس إلى الله ويقول: «مَنْ رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلّغ كلام ربّي عزّ وجلّ» حتى قيّض الله جماعة الأنصار يلقونه ليلة العقبة أي عشية يوم النحر عند جمرة العقبة ثلاث سنين متتاليات، حتى إذا كانوا آخر سنة بايعوه ليلة العقبة الثانية، وهي ثالث اجتماعه لهم به، ثم كانت بعدها الهجرة إلى المدينة كما قدمنا ذلك مبسوطاً في موضعه والله أعلم.

وفي حديث جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جابر بن عبد اللّه. قال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة تسع سنين لم يحجّ، ثم أذن في الناس بالحجّ، فاجتمع بالمدينة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٨٠.

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك باب ٨٠، والترمذي في الحج باب ٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٢١.

(٣) في ط: منفرداً.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ١، ٧٧، ومسلم في الحج حديث ٢١٨، والجهاد حديث ١٤٤، وأحمد في المسند ٤/ ٣٧٠.

بشر كثير، فخرج رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة أو لأربع، فلما كان بذي الحُليفة صلّى ثم استوى على راحلته، فلما أخذت به في البيداء لبّى وأهللنا لا ننوي إلاّ الحجّ[١]. وسيأتي الحديث بطوله، وهو في صحيح مسلم، وهذا لفظ البيهقي من طريق أحمد بن حنبل، عن إبراهيم بن طهمان، عن جعفر بن محمّد به.

باب [تاريخ][٢] خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع بعدما استعمل عليها أبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي، ويقال سباع بن عرفطة الغفاري حكاهما [عبد الملك][٣] بن هشام

قال محمّد بن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة من سنة عشر تجهّز للحجّ، وأمر الناس بالجهاز له، فحدّثني عبد الرّحمٰن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمّد، عن عائشة زوج النّبيّ ﷺ قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وهذا إسناد جيد، وروى الإمام مالك في موطئه عن يَحْيَىٰ بن سعيد الأنصاري، عن عمرة، عن عائشة، ورواه الإمام أحمد عن عبد الله بن نمير، عن يَحْيَىٰ بن سعيد الأنصاري، [عن عمرة][٤] عنها، وهو ثابت في الصحيحين وسنن النسائي وابن ماجه، ومصنّف ابن أبي شيبة من طرق عن يَحْيَىٰ بن سعيد الأنصاري، عن عمرة، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله لخمس بقين من ذي القعدة لا نرى إلاّ الحجّ[٥]، الحديث بطوله كما سيأتي. وقال البخاري: حدّثنا محمّد بن أبي بكر المقدمي، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عقبة، أخبرني كريب عن ابن عباس. قال: انطلق النّبيّ ﷺ من المدينة بعدما ترجّل وادّهن ولبس إزاره ورداءه، ولم ينه عن شيء من الأردية[٦] ولا الأزر[٧] إلاّ المزعفرة[٨] التي تردع الجلد[٩] فأصبح بذي الحُلَيفة، ركب راحلته حتى استوى على البيداء، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة، فقدم مكة لخمس خلون من ذي الحجة[١٠] تفرّد به البخاري فقوله ـ وذلك لخمس بقين من ذي القعدة ـ إن

---

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧، وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٠.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ١٢٤، ومسلم في الحج حديث ١٢٥، والنسائي في المناسك باب ٧٧، وابن ماجه في المناسك باب ٤١، ومالك في الحج حديث ١٧٩، وأحمد في المسند ٦/ ١٩٤.
(٦) الأردية: الألبسة.
(٧) الأزر: جمع إزار، وهو الملحفة، وما يؤتزر به.
(٨) المزعفرة: المصبوغة بالزعفران.
(٩) تردع الجلد: تغير لونه إلى صفرة.
(١٠) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٣.

أراد به صبيحة يومه بذي الحليفة صح قول ابن حزم[١] في دعواه أنه ﷺ خرج من المدينة يوم الخميس، وبات بذي الحُلَيفة ليلة الجمعة، وأصبح بها يوم الجمعة وهو اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة، وإن أراد ابن عبّاس بقوله وذلك لخمس من ذي القعدة يوم انطلاقه عليه السلام من المدينة بعدما ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه، كما قالت عائشة وجابر، أنهم خرجوا من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة، بَعُدَ قول ابن حزم وتعذّر المصير إليه، وتعيّن القول بغيره، ولم ينطبق ذلك إلاّ على يوم الجمعة إن كان شهر ذي القعدة كاملاً، ولا يجوز أن يكون خروجه عليه السلام من المدينة، كان يوم الجمعة لما روى البخاري: حدّثنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، ثنا أيوب عن أَبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: صلى رسول الله ﷺ ونحن معه الظهر بالمدينة أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء، حمد الله عزّ وجلّ، وسبّح ثم أهلّ بحجّ وعمرة[٢]. وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة عن حمّاد بن زيد، عن أيوب، عن أَبي قلابة، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحُلَيفة ركعتين[٣]. وقال أَحمد: حدّثنا عبد الرَّحمٰن عن سفيان، عن محمّد - يعني ابن المنكدر - وإبراهيم بن ميسرة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين[٤]. ورواه البخاري عن أَبي نعيم عن سفيان الثوري به، وأخرجه مسلم وأَبو داود والنسائي من حديث سفيان بن عيينة عن محمّد بن المنكدر[٥]، وإبراهيم بن ميسرة، عن أنس به. وقال أَحمد: ثنا محمّد بن بكير، ثنا ابن جُرَيج عن محمّد بن المنكدر[٦]، عن أنس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ بالمدينة الظهر أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بذي الحليفة حتى أصبح، فلما ركب راحلته واستوت به أهلّ[٧]. وقال أَحمد: حدثنا يعقوب، ثنا أَبي عن محمّد بن إِسحاق، حدّثني محمّد بن المنذر التيمي، عن أنس بن مالك الأنصاري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر في مسجده بالمدينة أربع ركعات، ثم صلّى بنا العصر بذي الحُلَيفة ركعتين، آمناً لا يخاف في حجّة الوداع[٨]. تفرّد به أَحمد من هذين الوجهين الآخرين، وهما على شرط الصحيح، وهذه ينفي كون خروجه عليه السلام يوم الجمعة قطعاً، ولا يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس كما قال ابن حزم، لأنه كان يوم الرابع والعشرين من

---

(١) في المصرية: قول ابن إسحاق.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في المسافرين حديث ١٠، والنسائي في الصلاة باب ١٧.

(٤) أخرجه البخاري في تقصير الصلاة باب ٥، ومسلم في المسافرين حديث ١١، وأبو داود في الصلاة باب ٢٧١، والنسائي في الصلاة باب ١١، وأحمد في المسند ٣/ ١٧٧.

(٥) في ط: المنذر.

(٦) في ط: المنذر.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٧٨.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٣٧.

ذي القعدة لأنه لا خلاف أن أول ذي الحجّة كان يوم الخميس، لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه السلام وقف بعرفة يوم الجمعة، وهو تاسع ذي الحجة بلا نزاع، فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي القعدة لبقي في الشهر ست ليال، قطعاً ليلة الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، فهذه ست ليال. وقد قال ابن عبّاس وعائشة وجابر أنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة وتعذّر أنه يوم الجمعة لحديث أنس، فتعين على هذا أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم السبت، وظنّ الراوي أن الشهر يكون تاماً، فاتفق في تلك السنة نقصانه، فانسلخ يوم الأربعاء، واستهل شهر ذي الحجّة ليلة الخميس، ويؤيّده ما وقع في رواية جابر لخمس بقين أو أربع، وهذا التقرير على هذا التقدير لا محيد عنه، ولا بدّ منه والله أعلم.

باب صفة خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة للحجّ

قال البخاري: حدّثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا أنس بن عياض عن عُبَيد اللّه هو ابن عمر، عن نافع، عن عبد اللّه بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق المعرَّس[1] وأن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشجرة، وإذا رجع صلى بذي الحُلَيفة ببطن الوادي، وبات حتى يصبح[2]. تفرّد به البخاري من هذا الوجه. وقال الحافظ أبو بكر البزّار: وجدت في كتابي عن عمرو بن مالك، عن يزيد بن زريع، عن هشام، عن عروة، عن ثابت، عن ثمامة، عن أنس. أن النبي ﷺ: حجّ على رحل رثٌ وتحته قطيفة، وقال: «حجّة لا رياء فيها ولا سمعة». وقد علقه البخاري في صحيحه، فقال: وقال محمّد بن أبي بكر المقدمي: حدّثنا يزيد بن زريع، عن عروة، عن ثابت، عن ثمامة قال: حجّ أنس على رحل رث، ولم يكن شحيحاً، وحدّث أن رسول الله ﷺ حجّ على رحل وكانت زاملته[3]. هكذا ذكره البزّار والبخاري معلّقاً مقطوع الإسناد من أوله، وقد أسنده الحافظ البيهقي في سننه فقال أنبأنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ المقرىء، أنبأنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن إسحاق، ثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا محمّد بن أبي بكر، ثنا يزيد بن زريع فذكره.

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده من وجه آخر، عن أنس بن مالك. فقال: حدّثنا عليّ بن الجعد، أنبأنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: حجّ رسول الله ﷺ على رحل رثّ وقطيفة تساوي - أو لا تساوي - أربعة دراهم. فقال: «اللهم حجّة لا رياء فيها»[4]. وقد رواه الترمذي في الشمائل من حديث أبي داود الطيالسي، وسفيان الثوري، وابن

---

(١) الشجرة والمعرس: موضعان معروفان على طريق مكة المدينة؛ وكل من الشجرة والمعرس على ستة أميال من المدينة، والمعرس أقرب.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ١٥.

(٣) الزاملة: الدابة.

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ٤٧، وابن ماجه في المناسك باب ٤.

ماجه، من حديث وكيع بن الجرّاح، ثلاثتهم عن الربيع بن صبيح به؛ وهو إسناد ضعيف من جهة يزيد بن أبان الرقاشي، فإنه غير مقبول الرواية عند الأئمة. وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم، ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه. قال: صدرت مع ابن عمر، فمرت بنا رفقة يمانية ورحالهم الأدم، وخطم إبلهم الخرز[١]. فقال عبد الله: من أحبّ أن ينظر إلى أشبه رفقة وردت العام برسول الله ﷺ وأصحابه، إذ قدموا في حجّة الوداع فلينظر إلى هذه الرفقة[٢]. ورواه أبو داود عن هناد، عن وكيع، عن إسحاق، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن ابن عمر. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو طاهر الفقيه، وأبو زكريا بن أبي إسحاق، وأبو بكر بن الحسن، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: ثنا أبو العباس هو الأصم، أنبأنا محمّد بن عبد الله بن الحكم، أنبأنا سعيد بن بشير القرشي، حدّثنا عبد الله بن حكيم الكناني - رجل من أهل اليمن من مواليهم - عن بشر بن قدامة الضبابي. قال: أبصرت عيناي حبيبي رسول الله ﷺ واقفاً بعرفات مع الناس على ناقة له حمراء قصواء، تحته قطيفة بولانية وهو يقول: «اللهم اجعلها حجّة غير رياء ولا مناً[٣] ولا سمعة». والناس يقولون هذا رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الله بن إدريس، ثنا ابن إسحاق عن يَحْيَىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه. أن أسماء بنت أبي بكر قالت: خرجنا مع النبيّ ﷺ حجّاجاً حتى أدركنا بالعرج، نزل رسول الله ﷺ فجلست عائشة إلى جنب رسول الله ﷺ، وجلست إلى جنب أبي، وكانت زمالة[٤] رسول الله ﷺ وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر، فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه، فطلع عليه وليس معه بعيره. فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضللته البارحة، فقال أبو بكر: بعير واحد تضلّه فطفق يضربه، ورسول الله ﷺ يبتسم ويقول: «انظروا إلى هذا المحرم وما يصنع»[٥]. وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل، ومحمّد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، وأخرجه ابن ماجه[٦] عن أبي بكر بن أبي شيبة، ثلاثتهم عن عبد الله بن إدريس به. فأما الحديث الذي رواه أبو بكر البزّار في مسنده قائلاً: حدّثنا إسماعيل بن حفص، ثنا يَحْيَىٰ بن اليمان، ثنا حمزة الزيّات عن حمران بن أعين، عن أبي الطفيل عن أبي سعيد. قال: حجّ النبيّ ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة قد ربطوا أوساطهم ومشيهم خلط الهرولة. فإنه حديث منكر ضعيف الإسناد، وحمزة بن حبيب الزيات ضعيف، وشيخه متروك الحديث. وقد قال البزار: لا يروى إلاّ من هذا الوجه، وإن كان إسناده حسناً عندنا، ومعناه أنهم كانوا في عمرة إن

---

(١) الخرز: نبات من النجيل منظوم من أعلاه إلى أسفله.

(٢) أخرجه أبو داود في اللباس باب ٤٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٢٠.

(٣) كذا في المصرية، وفي التيمورية: ولا هما، ولم أقف على صحته، وفي ترجمة بشر من الإصابة: اللهم غير رياء ولا سمعة.

(٤) الزمالة: المركوب والأداة، وما كان معهما في السفر.

(٥) أخرجه أبو داود في الحج باب ٣٠، وابن ماجه في المناسك باب ٢١، وأحمد في المسند ٦/ ٣٤٤.

(٦) في ط: جامه.

ثبت الحديث، لأنه عليه السلام إنما حجّ حجّة واحدة، وكان راكباً وبعض أصحابه مشاة.

قلت: ولم يعتمر النبيّ ﷺ في شيء من عمره ماشياً لا في الحديبية، ولا في القضاء، ولا الجعرانة، ولا في حجة الوداع، وأحواله عليه السلام أشهر وأعرف من أن تخفى على الناس، بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله، والله أعلم.

فصل

تقدم أنه عليه السلام صلى الظهر بالمدينة أربعاً، ثم ركب منها إلى الحليفة وهي وادي العقيق، فصلى بها العصر ركعتين، فدلّ على أنه جاء الحليفة نهاراً في وقت العصر، فصلى بها العصر قصراً، وهي من المدينة على ثلاثة أميال، ثم صلّى بها المغرب والعشاء، وبات بها حتى أصبح، فصلى بأصحابه وأخبرهم أنه جاءه الوحي من الليل بما يعتمده في الإحرام؛ كما قال الإمام أحمد: حدّثنا يَحْيَىٰ بن آدم، ثنا زهير عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد اللّه بن عمر، عن عبد اللّه بن عمر، عن النبيّ ﷺ: أنه أتى في المعرس من ذي الحليفة، فقيل له: إنك ببطحاء مباركة[1]. وأخرجاه في الصحيحين من حديث موسى بن عقبة به. وقال البخاري: حدّثنا الحميدي، ثنا الوليد وبشر بن بكر. قالا: ثنا الأوزاعي، ثنا يَحْيَىٰ، حدّثني عكرمة أنه سمع ابن عباس أنه سمع عمر يقول: سمعت رسول الله بوادي العقيق يقول: **«أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجّة»**[2] تفرّد به دون مسلم، فالظاهر أن أمره عليه السلام بالصلاة في وادي العقيق، هو أمر بالإقامة به، إلى أن يصلي صلاة الظهر، لأن الأمر إنما جاءه في الليل، وأخبرهم بعد صلاة الصبح، فلم يبق إلاّ صلاة الظهر، فأمر أن يصليها هنالك، وأن يوقع الإحرام بعدها ولهذا قال: **«أتاني الليلة آت من ربي عزّ وجلّ، فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجّة»**، وقد احتجّ به على الأمر بالقران في الحجّ، وهو من أقوى الأدلّة على ذلك كما سيأتي بيانه قريباً، والمقصود أنه عليه السلام أمر بالإقامة بوادي العقيق إلى صلاة الظهر، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، فأقام هنالك، وطاف على نسائه في تلك الصبيحة، وكنّ تسع نسوة، وكلّهن خرج معه، ولم يزل هنالك حتى صلى الظهر كما سيأتي في حديث أبي حسان الأعرج، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بذي الحليفة، ثم أشعر بدنته، ثم ركب فأهلّ[3] وهو عند مسلم. وهكذا قال الإمام أحمد: حدّثنا روح، ثنا أشعث - هو ابن عبد الملك عن الحسن، عن أنس ابن مالك، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر، ثم ركب راحلته، فلما علا شرف البيداء أهلّ[4].

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ١٦، ومسلم في الحج حديث ٤٣٤، وأحمد في المسند ٢/ ٩٠.
(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ١٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٤.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٠٥.
(٤) أخرجه أبو داود في المناسك باب ٢١، والنسائي في المناسك باب ٢٥، ٥٦، ١٤٣، وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٧.

ورواه أَبو داود عن أَحمد بن حنبل، والنسائي عن إِسحاق بن راهويه، عن النضر بن شميل، عن أشعث بمعناه؛ وعن أَحمد بن الأزهر عن محمّد بن عبد اللّه الأنصاري، عن أشعث أتم منه، وهذا فيه ردّ على ابن حزم، حيث زعم أن ذلك في صدر النهار، وله أن يعتضد بما رواه البخاري من طريق أيوب عن رجل، عن أنس: أن رسول الله ﷺ بات بذي الحليفة حتى أصبح، فصلى الصبح، ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البيداء أهلّ بعمرة وحج [١]، ولكن في إسناده رجل مبهم، والظاهر أنه أبو قلابة والله أعلم. قال مسلم في صحيحه: حدّثنا يَحْيَىٰ بن حبيب الحارثي، ثنا خالد - يعني ابن الحارث - ثنا شعبة عن إبراهيم بن محمّد بن المنتشر، سمعت أَبي يحدّث عن عائشة، أنها قالت: كنت أطيب رسول الله ﷺ ثم يطوف على نسائه، ثم يصبح محرماً ينضح طيباً [٢].

وقد رواه البخاري من حديث شعبة، وأخرجاه من حديث أَبي عوانة، زاد مسلم ومسعر وسفيان بن سعيد الثوري، أربعتهم عن إبراهيم بن محمّد بن المنتشر به. وفي رواية لمسلم عن إبراهيم بن محمّد بن المنتشر، عن أبيه قال: سألت عبد اللّه بن عمر عن الرجل يتطيّب ثم يصبح محرماً. قال: ما أحب أني أصبح محرماً أنضح طيباً، لأن أطلى القطران أحبّ إليّ من أن أفعل ذلك. فقالت عائشة: أنا طيّبت رسول الله عند إحرامه، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرماً [٣]. وهذا اللفظ الذي رواه مسلم يقتضي أنه كان ﷺ يتطيّب قبل أن يطوف على نسائه، ليكون ذلك أطيب لنفسه وأحب إليهنّ، ثم لما اغتسل من الجنابة وللإحرام تطيّب أيضاً للإحرام طيباً آخر. كما رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرَّحمٰن بن أَبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، أنه رأى رسول الله ﷺ تجرّد لإهلاله واغتسل [٤]. وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الإمام أَحمد: حدّثنا زكريا بن عدي، أنبأنا عُبَيد اللّه بن عمرو عن عبد اللّه بن محمّد بن عقيل، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بخطمي وأشنان [٥] ودهنه بشيء من زيت غير كثير [٦]. الحديث تفرّد به أَحمد.

وقال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن يوسف، أنبأنا مالك عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: كنت أطيّب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يحرم، ولحلّه قبل أن يطوف بالبيت [٧]. وقال مسلم: حدّثنا عبد بن حميد، أنبأنا محمّد بن أَبي بكر، أنبأنا ابن جريج، أخبرني عمر بن عبد اللّه بن عروة، أنه سمع عروة والقاسم يخبرانه عن عائشة قالت: طيّبت

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٧.
(٢) أخرجه البخاري في الغسل باب ١٢، ١٤، ومسلم في الحج حديث ٤٧.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٧.
(٤) أخرجه الترمذي في الحج باب ١٦.
(٥) خطمي وأشنان: نوعان من النبات.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٦/٧٨.
(٧) أخرجه البخاري في الحج باب ١٨.

رسول الله بيدي بذريرة[1] في حجّة الوداع للحل والإحرام[2]. وروى مسلم من حديث سفيان ابن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: طيّبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين لحرمه حين أحرم، ولحلّه قبل أن يطوف بالبيت.

[وقال أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي رحمه الله: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عثمان بن عروة، سمعت أبي يقول: سمعت عائشة تقول: طيّبت رسول الله ﷺ لحرمه ولحلّه، قلت لها: بأي طيب؟ قالت: بأطيب الطيب[3]. وقد رواه مسلم من حديث سفيان ابن عيينة، وأخرجه البخاري من حديث وهب عن هشام بن عروة، عن أخيه عثمان، عن أبيه عن عروة، عن عائشة به][4].

وقال مسلم: حدَّثني أحمد بن منيع ويعقوب الدورقي، قالا: ثنا هشيم، أنبأنا منصور عن عبد الرّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: كنت أطيّب النّبيّ ﷺ قبل أن يحرم ويحل ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت، بطيب فيه مسك[5]. وقال مسلم: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب [وأبو سعيد الأشج] قالا: ثنا وكيع، ثنا الأعمش عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كأني أنظر إلى وبيص[6] المسك في مفرق رسول الله ﷺ وهو يلبّي[7]. ثم رواه مسلم من حديث الثوري، وغيره عن الحسن بن عُبَيد اللّه، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: كأني أنظر إلى وبيص المسك في مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم[8]. ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري، ومسلم من حديث الأعمش، كلاهما عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود عنها، وأخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة عن الحكم ابن إبراهيم، عن الأسود عن عائشة.

وقال أبو داود الطيالسي: أنبأنا أشعث عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. قالت: كأني أنظر إلى وبيص الطيب في أصول شعر رسول الله ﷺ وهو محرم.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا حمّاد بن سلمة عن إبراهيم النخعي، عن الأسود، عن عائشة. قالت: كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق النّبيّ ﷺ بعد أيام وهو محرم[9].

وقال عبد اللّه بن الزبير الحميدي: حدثنا سفيان بن عيينة، ثنا عطاء بن السائب، عن إبراهيم النخعي، عن الأسود، عن عائشة قالت: رأيت الطيب في مفرق رسول الله بعد ثالثة

---

(١) ذريرة: نوع من الطيب.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣١، ٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في اللباس باب ٧٩، ومسلم في الحج حديث ٣٦. وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٣٠.

(٤) ما بين المعقوفين سقط في ط.

(٥) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٦، وأحمد في المسند ٦/ ١٨٦.

(٦) وبص يبص وبيصاً: الشيء لمع وتألق.

(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤١، وأحمد في المسند ٦/ ٢٠٧.

(٨) أخرجه البخاري في الحج باب ١٨، والغسل باب ١٤، واللباس باب ٧٠، ومسلم في الحج حديث ٤٢، ٤٥، وأحمد في المسند ٦/ ٣٨، ١٩١.

(٩) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٢٤.

وهو محرم[١]. فهذه الأحاديث دالة على أنه عليه السلام تطيّب بعد الغسل، إذ لو كان الطيب قبل الغسل لذهب به الغسل، ولما بقي له أثر، ولا سيّما بعد ثلاثة أيام من يوم الإحرام.

وقد ذهب طائفة من السلف منهم: ابن عمر إلى كراهة التطيّب عند الإحرام، وقد روينا هذا الحديث من طريق ابن عمر عن عائشة، فقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو الحسين بن بشران ـ ببغداد ـ أنبأنا أبو الحسن عليّ بن محمّد المصري، ثنا يَحْيَىٰ بن عثمان بن صالح، ثنا عبد الرَّحمٰن بن أبي العمر، ثنا يعقوب بن عبد الرَّحمٰن، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، عن عائشة. أنها قالت: طيبت رسول الله ﷺ بالغالية الجيّدة عند إحرامه. وهذا إسناد غريب، عزيز المخرج، ثم انه عليه السلام لبد رأسه ليكون أحفظ لما فيه من الطيب، وأصون له من استقرار التراب والغبار. قال مالك عن نافع عن ابن عمر: ان حفصة زوج النّبيّ ﷺ قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك. قال: «إني لبدت رأسي، وقلّدت هديي، فلا أحل حتى أنحر»[٢]. وأخرجاه في الصحيحين من حديث مالك وله طرق كثيرة عن نافع.

قال البيهقي: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم[٣]، أنبأنا يَحْيَىٰ [بن محمد بن يحيى][٤]، ثنا عُبَيد اللّه بن عمر القواريري، ثنا عبد الأعلى، ثنا محمّد بن إسحاق عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ لبد رأسه بالعسل. وهذا إسناد جيد. ثم إنه عليه السلام أشعر الهدي[٥] وقلده وكان معه بذي الحليفة. قال الليث عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه: تمتّع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بالعمرة إلى الحجّ، وأهدى، فساق معه الهدي من ذي الحليفة[٦]. وسيأتي الحديث بتمامه وهو في الصحيحين، والكلام عليه إن شاء الله. وقال مسلم: حدّثنا محمّد بن المثنى، ثنا معاذ بن هشام، هو الدستوائي، حدَّثني أبي عن قتادة، عن أبي حسان، عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ لما أتى ذا الحليفة دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن، وسلت الدم، وقلّدها نعلين، ثم ركب راحلته[٧]. وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن قتادة، وهذا يدلّ على أنه عليه السلام تعاطى هذا الإشعار والتقليد بيده الكريمة في

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ١٢٦، واللباس باب ٦٩، ومسلم في الحج حديث ١٧٦، وأبو داود في الحج باب ٢٤، والنسائي في المناسك باب ٤٠، ٦٧، وابن ماجه في المناسك باب ٧٢، ومالك في الحج حديث ١٨٠، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٣.

(٣) في ط: الحاكم.

(٤) سقط في ط.

(٥) أشعر الهدي: الإشعار هو جرح الهدي في صفحة سنامها اليمنى بحربة أو سكين أو حديدة أو نحوها، وأصل الإشعار والشعور: الإعلام والعلامة: وإشعار الهدي لكونه علامة له، ليعلم أنه هدي.

(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ١٠٤، ومسلم في الحج حديث ١٧٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٣٩، ١٤٠.

(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٠٥، وأبو داود في باب ١٥، والترمذي في الحج باب ٦٧، والنسائي في المناسك باب ٦٤، وابن ماجه في المناسك باب ٩٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٨٠.

هذه البدنة(١)، وتولى إشعار بقية الهدي وتقليده غيره، فإنه قد كان هَدْي [معه](٢) كثير، إما مائة بدنة، أو أقل منها بقليل، وقد ذبح بيده الكريمة ثلاثاً وستين بدنة، وأعطى علياً فذبح ما غبر(٣)، وفي حديث جابر أن علياً قدم من اليمن ببدن للنبيّ ﷺ، وفي سياق ابن إسحاق: أنه عليه السلام أشرك علياً في بُدْنه والله أعلم. وذكر غيره أنه ذبح هو وعليّ يوم النحر مائة بدنة، فعلى هذا يكون قد ساقها معه من ذي الحليفة، وقد يكون اشترى بعضها بعد ذلك وهو محرم.

باب بيان الموضع الذي أهلّ منه عليه السلام واختلاف الناقلين لذلك وترجيح الحق في ذلك

تقدم الحديث الذي رواه البخاري من حديث الأوزاعي، عن يَحْيَىٰ بن أبي كثير، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر. سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: «أتاني آتٍ من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة»(٤). وقال البخاري باب الإهلال عند مسجد ذي الحليفة: حدّثنا عليّ بن عبد اللّه، ثنا سفيان، ثنا موسى بن عقبة، سمعت سالم ابن عبد اللّه؛ وحدّثنا عبد اللّه بن مسلمة، ثنا مالك عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد اللّه، أنه سمع أباه يقول: ما أهلّ رسول الله ﷺ إلاّ من عند المسجد ـ يعني مسجد ذي الحليفة(٥) ـ. وقد رواه الجماعة إلاّ ابن ماجه من طرق عن موسى بن عقبة، وفي رواية لمسلم عن موسى بن عقبة، عن سالم ونافع وحمزة بن عبد اللّه بن عمر، ثلاثتهم عن عبد اللّه بن عمر فذكره. وزاد فقال: لبيك. وفي رواية لهما من طريق مالك عن موسى بن عقبة، عن سالم قال: قال عبد اللّه ابن عمر: بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها على رسول الله ﷺ، أهلّ رسول الله من عند المسجد(٦) وقد روي عن ابن عمر خلاف هذا كما يأتي في الشقّ الآخر، وهو ما أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك عن سعيد المقبري، عن عبيد بن جريج، عن ابن عمر، فذكر حديثاً فيه أن عبد اللّه قال: وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله ﷺ يُهل حتى تنبعث به راحلته(٧).

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يعقوب، حدّثنا أبي عن ابن إسحاق، حدّثني خصيف بن عبد الرَّحمٰن الجزري، عن سعيد بن جبير؛ قال: قلت لعبد اللّه بن عباس: يا أبا العباس عجباً لاختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في إهلال رسول الله ﷺ حين أوجب. فقال: إني لأعلم

---

(١) البدنة: الناقة أو البقرة.
(٢) سقط في ط.
(٣) ما غبر: أي ما بقي.
(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ١٦، والحرث والمزارعة باب ١٦.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٠، ومسلم في الحج حديث ٢٠، وأبو داود في الحج باب ٢١، والترمذي في الحج باب ٨، والنسائي في المناسك باب ٥٦، وأحمد في المسند ٢/ ١٥٤.
(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٠، ومسلم في الحج حديث ٢٣، وأحمد في المسند ٢/ ٦٦.
(٧) أخرجه البخاري في اللباس باب ٣٧، ومسلم في الحج حديث ٢٥، وأحمد في المسند ٢/ ٦٦.

الناس بذلك، إنما كانت من رسول الله ﷺ حجّة واحدة، فمن هناك اختلفوا، خرج رسول الله ﷺ حاجاً، فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه، أوجب في مجلسه، فأهلّ بالحجّ حين فرغ من ركعتيه، فسمع ذلك منه قوم فحفظوا عنه، ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهلّ وأدرك ذلك منه أقوام، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالاً[١]، فسمعوه حين استقلّت به ناقته يهلّ[٢]، فقالوا: إنما أهلّ رسول الله حين استقلت به ناقته، ثم مضى رسول الله فلما علا شرف البيداء، أهلّ وأدرك ذلك منه أقوام، فقالوا: إنما أهلّ رسول الله حين علا شرف البيداء، وايم الله لقد أوجب في مُصلاّه، وأهلّ حين استقلت به ناقته، وأهلّ حين علا شرف البيداء. فمن أخذ بقول عبد اللّه بن عباس أنه أهلّ في مصلاّه إذا فرغ من ركعتيه[٣]. وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن عبد السّلام بن حرب، عن خصيف به نحوه وقال الترمذي: حسن غريب، لا نعرف أحد رواه غير عبد السلام كذا قال. وقد تقدّم رواية الإمام أحمد له من طريق محمّد بن إسحاق عنه ـ وكذلك رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم، عن القطيعي، عن عبد اللّه بن أحمد، عن أبيه، ثم قال خصيف الجزري غير قوي، وقد رواه الواقدي بإسناد له عن ابن عباس. قال البيهقي: إلاّ أنه لا ينفع متابعة الواقدي، والأحاديث التي وردت في ذلك عن عمر وغيره مسانيدها قوية ثابتة، والله تعالى أعلم.

قلت: فلو صحّ هذا الحديث لكان فيه جمع لما بين الأحاديث من الاختلاف، وبسط لعذر من نقل خلاف الواقع، ولكن في إسناده ضعف. ثم قد روي عن ابن عباس وابن عمر [خلاف][٤] ما تقدّم عنهما كما سننبه عليه ونبيّنه؛ وهكذا ذكر من قال: أنه عليه السّلام أهلّ حين استوت به راحلته. قال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، ثنا هشام بن يوسف، أنبأنا ابن جريج، حدّثني محمّد بن المنكدر عن أنس بن مالك. قال: صلى النّبيّ ﷺ بالمدينة أربعاً، وبذي الحليفة ركعتين، ثم بات حتى أصبح بذي الحليفة، فلما ركب راحلته واستوت به أهلّ[٥]. وقد رواه البخاري ومسلم وأهل السنن من طرق عن محمّد بن المنكدر، وإبراهيم بن ميسرة عن أنس وثابت في الصحيحين من حديث مالك عن سعيد المقبري عن عُبَيْد بن جُرَيج، عن ابن عمر. قال: وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله يهلّ حتى تنبعث به راحلته[٦]. وأخرجاه في الصحيحين من رواية ابن وهب عن يونس، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه. أن رسول الله كان يركب راحلته بذي الحليفة، ثم يهلّ حين تستوي به قائمة[٧]. وقال البخاري: باب من أهلّ حين استوت به راحلته: حدّثنا أبو عاصم، ثنا ابن جريج، أخبرني صالح بن كيسان، عن نافع،

---

(١) أرسالاً: جماعات.
(٢) أهل: رفع صوته بالتلبية.
(٣) أخرجه الترمذي في الحج باب ٩، والنسائي في المناسك باب ٥٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٦٠.
(٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٤، وأبو داود في الحج باب ٢١.
(٦) تقدم الحديث مع تخريجه قبل قليل.
(٧) أخرجه البخاري في الحج باب ٢، ومسلم في الحج حديث ٢١.

عن ابن عمر. قال: أهلّ النّبيّ ﷺ حين استوت به راحلته قائمة[١]. وقد رواه مسلم والنسائي من حديث ابن جُرَيج به. وقال مسلم: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عليّ بن مسهر عن عُبَيد اللَّه، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كان رسول الله ﷺ إذا وضع رجله في الغرز[٢] وانبعثت به راحلته قائمة أهلّ من ذي الحليفة[٣]. انفرد به مسلم من هذا الوجه، وأخرجاه من وجه آخر عن عُبَيد اللَّه بن عمر، عن نافع عنه[٤]. ثم قال البخاري: **باب الإهلال مستقبل القبلة.**

قال أبو معمر: حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا أيوب عن نافع. قال: كان ابن عمر إذا صلى الغداة بذي الحليفة أمر براحلته فرحلت، ثم ركب فإذا استوت به استقبل القبلة قائماً، ثم يلبّي حتى يبلغ الحرم، ثم يمسك حتى إذا جاء ذا طوى، بات به حتى يصبح، فإذا صلى الغداة اغتسل، وزعم أن رسول الله ﷺ فعل ذلك، ثم قال تابعه إسماعيل عن أيوب في الغسل[٥]. وقد علّق البخاري أيضاً هذا الحديث في كتاب الحج عن محمّد بن عيسى، عن حماد بن زيد، وأسنده فيه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي، عن إسماعيل هو ابن علية. ورواه مسلم عن زهير ابن حرب، عن إسماعيل وعن أبي الربيع الزهراني وغيره، عن حمّاد بن زيد، ثلاثتهم عن أيوب، عن أبي تميمة السختياني به. ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن إسماعيل ابن علية به.

ثم قال البخاري: حدّثنا سليمان أبو الربيع، ثنا فليح عن نافع قال: كان ابن عمر إذا أراد الخروج إلى مكة ادّهن بدهن ليس له رائحة طيّبة، ثم يأتي مسجد ذي الحليفة فيصلي، ثم يركب، فإذا استوت به راحلته قائمة أحرم، ثم قال هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل[٦]. تفرّد به البخاري من هذا الوجه.

وروى مسلم عن قتيبة، عن حاتم بن إسماعيل، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن أبيه قال: بيداؤكم هذه التي تكذبون على رسول الله ﷺ، فيها والله ما أهلّ رسول الله ﷺ إلاّ من عند الشجرة حين قام به بعيره[٧]. وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى وهذه الروايات عنه، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد، ولكن بعدما ركب راحلته واستوت به على البيداء، يعني الأرض، وذلك قبل أن يصل إلى المكان المعروف بالبيداء.

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٨، ومسلم في الحج حديث ٢٨، والنسائي في المناسك باب ٥٦، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦.

(٢) الغرز: ركاب كور البعير إذا كان من جلد أو خشب، وقيل هو الكور مطلقاً. (صحيح مسلم بشرح النووي: ج٨/ ٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٥٣.

(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٩، ٣٨، ومسلم في الحج حديث ٢٢٦، ٢٢٧، وأبو داود في الحج باب ٤٥، وأحمد في المسند ٢/ ١٤.

(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٩.

(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٤.

ثم قال البخاري في موضع آخر: حدّثنا محمّد بن أبي بكر المقدمي، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عقبة، حدّثني كريب عن عبد اللّه بن عباس قال: انطلق النّبيّ ﷺ من المدينة بعدما ترجّل وادّهن، ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه، ولم ينه عن شيء من الأردية والأزر تلبس إلاً المزعفرة التي تردع على الجلد، فأصبح بذي الحليفة ركب راحلته حتى استوى على البيداء، أهلّ هو وأصحابه، وقلّد بدنه، وذلك لخمس بقين من ذي الحجة. فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحلّ [من أجل][1] بدنه، لأنه قلّدها، لم تزل بأعلى مكة عند الحجون، وهو مهلّ بالحجّ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها، حتى رجع من عرفة، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم يقصروا من رؤوسهم، ثم يحلوا، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلّدها، ومن كانت معه امرأته فهي له حلال والطيب والثياب[2].
انفرد به البخاري.

وقد روى الإمام أحمد: عن بهز بن أسد، وحجاج وروح بن عبادة، وعفان بن مسلم، كلّهم عن شعبة، قال: أخبرني قتادة، قال: سمعت أبا حسان الأعرج الأجرد، وهو مسلم بن عبد اللّه البصري، عن ابن عباس قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر بذي الحليفة، ثم دعا ببدنته فأشعر صفحة سنامها الأيمن، وسلت الدم عنها، وقلّدها نعلين، ثم دعا براحلته، فلما استوت على البيداء أهلّ بالحج[3]. ورواه أيضاً عن هشيم، أنبأنا أصحابنا منهم شعبة، فذكر نحوه؛ ثم رواه الإمام أحمد أيضاً عن روح، وأبي داود الطيالسي، ووكيع بن الجراح، كلّهم عن هشام الدستوائي، عن قتادة به نحوه. ومن هذا الوجه رواه مسلم في صحيحه، وأهل السنن في كتبهم، فهذه الطرق عن ابن عباس من أنه عليه السلام أهلّ حين استوت به راحلته، أصحّ وأثبت من رواية خصيف الجزري عن سعيد بن جُبَير عنه والله أعلم.

وهكذا الرواية المثبّتة المفسّرة أنه أهلّ حين استوت به الراحلة، مقدّمة على الأخرى لاحتمال أنه أحرم من عند المسجد حين استوت به راحلته، ويكون رواية ركوبه الراحلة فيها زيادة علم على الأخرى، والله أعلم. ورواية أنس في ذلك سالمة عن المعارض، وهكذا رواية جابر بن عبد اللّه في صحيح مسلم من طريق جعفر الصادق، عن أبيه، عن أبي الحسين زين العابدين، عن جابر في حديثه الطويل الذي سيأتي: أن رسول الله ﷺ أهلّ حين استوت به راحلته سالمة عن المعارض والله أعلم. وروى البخاري من طريق الأوزاعي: سمعت عطاء عن جابر بن عبد اللّه: أن إهلال رسول الله ﷺ من ذي الحليفة حين استوت به راحلته؛ فأما الحديث الذي رواه محمّد بن إسحاق بن يسار عن أبي الزناد، عن عائشة بنت سعد. قالت قال

---

(١) سقط في ط.
(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٣.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٠٥، وأبو داود في الحج باب ١٥، والترمذي في الحج باب ٦٧، والنسائي في المناسك باب ٦٤، وابن ماجه في المناسك باب ٩٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٨٠، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٧٢.

سعد: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ طريق الفرع أهلّ إذا استقلت به راحلته، وإذا أخذ طريقاً أخرى أهلّ إذا علا على شرف البيداء[١]. فرواه أبو داود والبيهقي من حديث ابن إسحاق، وفيه غرابة ونكارة، والله أعلم. فهذه الطرق كلّها دالة على القطع، أو الظنُّ الغالب أنه عليه السَّلام أحرم بعد الصلاة، وبعدما ركب راحلته وابتدأت به السير، زاد ابن عمر في روايته وهو مستقبل القبلة.

باب بسط البيان لما أحرم به عليه السَّلام في حجته هذه من الإفراد أو[٢] التمتع [أو القران][٣] وذكر الأحاديث الواردة بأنه عليه السَّلام كان مفرداً

رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك. قال أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي: **أنبأنا** مالك عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرد الحجّ[٤]. ورواه مسلم عن إسماعيل، عن أبي أويس ويَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، عن مالك. ورواه الإمام أحمد عن عبد الرَّحمٰن بن مهدي، عن مالك به. وقال أحمد: **حدّثنا** إسحاق بن عيسى، حدَّثني المنكدر بن محمّد عن ربيعة بن أبي عبد الرَّحمٰن، عن القاسم بن محمّد، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرد الحج[٥].

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** شريح، ثنا ابن أبي الزناد عن أبيه، عن عروة، عن عائشة؛ وعن علقمة بن أبي علقمة عن أمه، عن عائشة. وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أَفرَدَ الحجّ[٦]. تفرّد به أحمد من هذه الوجوه عنها.

وقال الإمام أحمد: **حدَّثني** عبد الأعلى بن حمّاد قال: قرأتُ على مالك بن أنس عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أَفرَدَ الحجّ[٧]. وقال: **حدّثنا** روح، ثنا مالك عن أبي الأسود محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن نوفل - وكان يتيماً في حجر عروة - عن عروة بن الزبير، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرَدَ الحجّ[٨]. ورواه ابن ماجه عن أبي مصعب، عن مالك كذلك. ورواه النسائي عن قتيبة، عن مالك، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أهلَّ بالحج[٩]. وقال أحمد أيضاً: حدّثنا عبد الرَّحمٰن عن مالك، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فمنّا من أهلّ بالحجّ، ومنّا من أهلّ بالعمرة، ومنّا من أهلّ بالحجّ والعمرة، وأهلّ رسول الله ﷺ بالحجّ؛ فأما من أهلّ بالعمرة

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٢١.
(٢) في ط: و. (٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٢٢، وأبو داود في الحج باب ٢٣، والترمذي في الحج باب ١٠، وابن ماجه في المناسك باب ٣٧، ومالك في الحج حديث ٣٧، ٣٨، وأحمد في المسند ٦/ ٣٦.
(٥) المسند ٦/ ١٠٧. (٦) المسند ٦/ ١٠٧.
(٧) المسند ٦/ ٢٤٣.
(٨) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب ٣٧، وأحمد في المسند ٦/ ٢٤٤.
(٩) أخرجه النسائي في المناسك باب ٤٨.

فأحلّوا حين طافوا بالبيت وبالصفا والمروة، وأمّا من أهلّ بالحجّ أو بالحجّ والعمرة، فلم يحلّوا إلى يوم النحر[١]؛ وهكذا رواه البخاري عن عبد الله ابن يوسف، والقعيني، وإسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، عن مالك به. وقال أحمد: حدّثنا سفيان عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أهلّ رسول الله ﷺ بالحجّ، وأهلّ ناس بالحجّ والعمرة، وأهلّ ناس بالعمرة[٢]. ورواه مسلم عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة به نحوه. فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد، ثنا عبد العزيز بن محمّد، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر الناس في حجّة الوداع فقال: «من أحب أن يبدأ بعمرة قبل الحجّ فليفعل»، وأفرد رسول الله ﷺ الحجّ ولم يَعْتَمِر[٣]. فإنه حديث غريب جداً، تفرّد به أحمد بن حنبل، وإسناده لا بأس به، ولكن لفظه فيه نكارة شديدة، وهو قوله: فلم يعتمر. فإن أريد بهذا أنه لم يعتمر من الحجّ ولا قبله، هو قول من ذهب إلى الإفراد، وإن أريد أنه لم يعتمر بالكليّة لا قبل الحجّ ولا معه ولا بعده، فهذا مما لا أعلم أحداً من العلماء قال به، ثم هو مخالف لما صحّ عن عائشة وغيرها، من أنه ﷺ اعتمر أربع عمر كلّهن في ذي القعدة إلاّ التي مع حجّته. وسيأتي تقرير هذا في فصل القران مستقصى والله أعلم[٤].

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد قائلاً في مسنده: حدّثنا روح، ثنا صالح بن أبي الأخضر، ثنا ابن شهاب أن عروة أخبره: أن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: أهلّ رسول الله بالحجّ والعمرة في حجّة الوداع، وساق معه الهدي، وأهلّ[٥] ناس معه بالعمرة وساقوا الهدي، وأهلّ ناس بالعمرة ولم يسوقوا هدياً. قالت عائشة: وكنت ممن أهلّ بالعمرة، ولم أسق هدياً، فلما قدم رسول الله ﷺ [قال]: «من كان منكم أهلّ بالعمرة فساق الهدي فليطف بالبيت وبالصفا والمروة، ولا يحلّ منه شيء حرم منه، حتى يقضي حجّه وينحر هديه يوم النحر، ومن كان منكم أهلّ بالعمرة ولم يسق معه هدياً فليطف بالبيت وبالصفا والمروة، ثم ليقصّر وليحلّل، ثم ليهلّ بالحجّ وليهد، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحجّ، وسبعة إذا رجع إلى أهله». قالت عائشة: فقدّم رسول الله الحجّ الذي خاف فوته وأخّر العمرة[٦]. فهو حديث من أفراد الإمام أحمد، وفي بعض ألفاظه نكارة، ولبعضه شاهد في الصحيح، وصالح بن أبي الأخضر ليس من علية أصحاب الزهري، لا سيما إذا خالفه غيره كما ههنا في بعض ألفاظ سياقه هذا. وقوله: فقدم الحجّ الذي يخاف فوته، وأخّر العمرة، لا يلتئم مع أول الحديث أهلّ بالحجّ والعمرة، فإن أراد أنه أهلّ بهما في الجملة وقدم أفعال الحجّ، ثم بعد فراغه أهلّ بالعمرة كما يقوله من

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ومسلم في الحج حديث ١١٨، وأحمد في المسند ٦/ ٣٦.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ١١٤، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٩٢.
(٤) في ط: العم.
(٥) في ط: وأقل.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٤٣.

ذهب إلى الافراد، فهو مما نحن فيه ههنا، وإن أراد أنه أخَر العمرة بالكليّة بعد إحرامه بها، فهذا لا أعلم أحداً من العلماء صار إليه، وإن أراد أنه المنفي [(١)] بأفعال الحجّ عن أفعال العمرة، ودخلت العمرة في الحج، فهذا قول من ذهب إلى القران، وهم يؤولون قول من روى أنه عليه الصلاة والسلام أفرد الحجّ، أي أفرد أفعال الحجّ، وإن كان قد نوى معه العمرة، قالوا: لأنه قد روى القران كل من روى الإفراد، كما سيأتي بيانه والله تعالى أعلم.

رواية جابر بن عبد الله في الإفراد. قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله. قال: أهلّ رسول الله ﷺ في حجّته بالحج [(٢)]. إسناده جيد على شرط مسلم. ورواه البيهقي عن الحاكم، وغيره عن الأصم، عن أحمد ابن عبد الجبّار، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر. قال: أهلّ رسول الله في حجّته بالحجّ ليس معه عمرة، وهذه الزيادة غريبة جداً، ورواية الإمام أحمد بن حنبل أحفظ والله أعلم. وفي صحيح مسلم من طريق جعفر بن محمّد عن أبيه، عن جابر. قال: وأهللنا بالحجّ لسنا نعرف العمرة [(٣)]. وقد روى ابن ماجه عن هشام بن عمّار عن الدراوردي وحاتم بن إسماعيل، كلاهما عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر: أن رسول الله ﷺ أفرد الحجّ [(٤)]، وهذا إسناد جيّد. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهّاب الثقفي، ثنا حبيب - يعني المعلم - عن عطاء، حدّثني جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ أهلّ هو وأصحابه بالحجّ ليس مع أحد منهم هدي إلاَّ النّبيّ ﷺ وطلحة [(٥)]؛ وذكر تمام الحديث وهو في صحيح البخاري بطوله كما سيأتي عن محمّد بن المثنى، عن عبد الوهّاب.

رواية عبد الله بن عمر للإفراد. قال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل بن محمّد، ثنا عباد - يعني ابن عباد - حدَّثني عُبَيد اللَّه بن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر. قال: أَهْلَلْنا مع النّبيّ ﷺ بالحجّ مفرداً [(٦)]. ورواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عون، عن عباد بن عباد، عن عُبَيد اللَّه بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أهلّ بالحجّ مفرداً [(٧)].

وقال الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا الحسن بن عبد العزيز ومحمّد بن مسكين. قالا: ثنا بشر بن بكر، ثنا سعيد بن عبد العزيز بن زيد بن أسلم، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أهل بالحجّ - يعني مفرداً - إسناده جيد ولم يخرجوه.

رواية ابن عباس للإفراد. روى الحافظ البيهقي من حديث روح بن عبادة، عن شعبة، عن

(١) في ط: المقضي.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣١٥.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.
(٤) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب ٣٧.
(٥) أخرجه البخاري في العمرة باب ٦، وأحمد في المسند ٣/ ٣٠٥.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٩٧.
(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٨٤.

أيوب، عن أَبي العالية البراء، عن ابن عبّاس. أنه قال: أهلّ رسول الله ﷺ بالحجّ، فقدم لأربع مضين من ذي الحجّة، فصلى بنا الصبح بالبطحاء. ثم قال: من شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها[1]. ثم قال: رواه مسلم عن إبراهيم بن دينار، عن ابن روح، وتقدّم من رواية قتادة عنْ أَبي حسّان الأعرج، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر بذي الحليفة، ثم أتى ببدنة فأشعر صفحة سنامها الأيمن، ثم أتى براحلته فركبها فلما استوت به على البيداء أهلّ بالحج[2]، وهو في صحيح مسلم أيضاً.

وقال الحافظ أَبو الحسن الدارقطني: حدّثنا الحسين بن إسماعيل، ثنا أَبو هشام، ثنا أَبو بكر بن عياش، ثنا أَبو حصين عن عبد الرَّحمٰن بن الأسود، عن أَبيه. قال: حججت مع أَبي بكر فجرد، ومع عمر فجرد، ومع عثمان فجرد، تابعه الثوري عن أَبي حصين، وهذا إنما ذكرناه ههنا لأن الظاهر أن هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم، إنما يفعلون هذا عن توقيف، والمراد بالتجريد ههنا الإفراد والله أعلم. وقال الدارقطني: حدّثنا أَبو عُبَيد اللّٰه القاسم بن إسماعيل ومحمّد بن مخلد. قالا: ثنا عليّ بن محمّد بن معاوية الرزاز، ثنا عبد اللّٰه بن نافع، عن عبد اللّٰه ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: أن النّبيّ ﷺ استعمل عتاب ابن أُسَيْد على الحجّ فأفرد، ثم استعمل أبا بكر سنة تسع فأفرد الحجّ، ثم حجّ النّبيّ ﷺ سنة عشر فأفرد الحج، ثم توفي رسول الله ﷺ واستخلف أَبو بكر، فبعث عمر فأفرد الحجّ، ثم حجّ أَبو بكر فأفرد الحج، وتوفي أَبو بكر واستخلف عمر فبعث عبد الرَّحمٰن بن عوف فأفرد الحجّ، ثم حجّ فأفرد الحجّ، ثم حصر عثمان فأقام عبد اللّٰه بن عبّاس للناس فأفرد الحجّ. في إسناده عبد اللّٰه بن عمر العمري، وهو ضعيف لكن قال الحافظ البيهقي: له شاهد بإسناد صحيح.

ذكر ما قاله أنه ﷺ حجّ متمتعاً

قال الإمام أَحمد: حدّثنا حجّاج، ثنا ليث، حدَّثني عقيل عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد اللّٰه أن عبد اللّٰه بن عمر قال: تمتّع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بالعمرة إلى الحجّ، وأهلّ فساق الهدي من ذي الحليفة، وبدأ رسول الله ﷺ فأهلّ بالعمرة، ثم أهلّ بالحجّ، وكان من الناس من أهدى فساق الهدي من ذي الحليفة ومنهم من لم يهد. فلما قدم رسول الله ﷺ مكة قال للناس: «من كان منكم أهدى فإنه لا يحلّ من شيء حرم منه حتى يقضي حجّه، ومن لم يكن أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة، وليقصر وليحلّل ثم ليهلّ بالحجّ، وليهد فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام وسبعة إذا رجع إلى أهله». وطاف رسول الله ﷺ حين قدم مكّة، استلم [الحجر] أول شيء، ثم خبّ[3] ثلاثة أشواط من السبع، ومشى أربعة أطواف، ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين، ثم سلّم فانصرف، فأتى الصفا، فطاف بالصفا

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٠٠.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٠٥.

(٣) خب: نقل أيمانه وأيساره في العدو.

والمروة، ثم لم يحلل من شيء حرّم منه حتى قضى حجّه، ونحر هديه يوم النحر، وأفاض فطاف بالبيت، وفعل مثل ما فعل رسول الله ﷺ من أهدى فساق الهدي من الناس[١].

قال الإمام أَحمد: وحدّثنا حجاج، ثنا ليث، حدَّثني عقيل عن ابن شهاب، عن عروة ابن الزبير: أن عائشة أخبرته عن رسول الله ﷺ في تمتّعه بالعمرة إلى الحجّ، وتمتع الناس معه[٢] بمثل الذي أخبرني سالم بن عبد الله، عن عبد الله، عن رسول الله ﷺ، وقد روى هذا الحديث البخاري عن يَحْيَىٰ بن بكير، ومسلم وأبو داود عن عبد الملك بن شعيب، عن الليث، عن أبيه، والنسائي عن محمّد بن عبد الله بن المبارك المخرمي عن حجين بن المثنى، ثلاثتهم عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله. وهذا الحديث من المشكلات على كل من الأقوال الثلاثة، أما قول الإفراد ففي هذا إثبات عمرة، إما قبل الحجّ أو معه، وإما على قول التمتّع الخاص، فلأنه ذكر أنه لم يحلّ من إحرامه بعدما طاف بالصفا والمروة. وليس هذا شأن المتمتع، ومن زعم أنه إنما منعه من التحلّل سوق الهدي كما قد يفهم من حديث ابن عمر عن حفصة أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلّوا من العمرة، ولم تحلّ أنت من عمرتك، فقال: «إني لبدت رأسي، وقلّدت هديي فلا أحلّ حتى أنحر»[٣]. فقولهم بعيد لأن الأحاديث الواردة في إثبات القِران تردّ هذا القول وتأبى كونه عليه السلام إنما أهلّ أولاً بعمرة ثم بعد سعيه بالصفا والمروة أهلّ بالحجّ، فإن هذا على هذه الصفة لم ينقله أحد بإسناد صحيح، بل ولا حسن ولا ضعيف.

وقوله في هذا الحديث: تمتع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بالعمرة إلى الحجّ، إن أريد بذلك التمتّع الخاص، وهو الذي يحلّ منه بعد السعي، فليس كذلك، فإن في سياق الحديث ما يرده، ثم في إثبات العمرة المقارنة لحجّه عليه السلام ما يأباه، وإن أريد به التمتع العام دخل فيه القران وهو المراد.

وقوله: وبدأ رسول الله ﷺ فأهلّ بالعمرة، ثم أهلّ بالحجّ، إن أريد به بدأ بلفظ العمرة على لفظ الحجّ بأن قال لبيك اللّهمّ عمرة وحجاً، فهذا سهل ولا ينافي القران، وإن أريد به أنه أهلّ بالعمرة أولاً ثم أدخل عليها الحجّ متراخ، ولكن قبل الطواف قد صار قارناً أيضاً، وإن أريد به أنه أهلّ بالعمرة، ثم فرغ من أفعالها تحلّل أو لم يتحلّل بسوق الهدي، كما زعمه زاعمون، ولكنه أهلّ بحج بعد قضاء مناسك العمرة وقبل خروجه إلى منى، فهذا لم ينقله أحد من الصحابة كما قدمنا، ومن ادعاه من الناس فقوله مردود لعدم نقله ومخالفته الأحاديث الواردة في إثبات القران كما سيأتي، بل والأحاديث الواردة في الإفراد كما سبق والله أعلم. والظاهر والله أعلم أن حديث الليث هذا عن عقيل، عن الزهري، عن سالم،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٣٩، ١٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في الحيض باب ١٨، ومسلم في الحج حديث ١١٢، وأبو داود في الحج باب ٢٤، والنسائي في المناسك باب ٥٠، وأحمد في المسند ٢/ ١٤٠.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه.

عن ابن عمر، يروى من الطريق الأخرى عن ابن عمر حين أفرد الحجّ، ومن محاصرة الحجّاج لابن الزبير، فقيل له إن الناس كائن بينهم شيء فلو أخّرت الحجّ عامك هذا. فقال: إذاً أفعل كما فعل النّبيّ ﷺ يعني زمن حصر عام الحُدَيْبية، فأحرم بعمرة من ذي الحليفة، ثم لما علا شرف البيداء قال: ما أرى أمرهما إلاّ واحداً، فأهلّ بحجّ معها، فاعتقد الراوي أن رسول الله ﷺ هكذا فعل سواء، بدأ فأهلّ بالعمرة، ثم أهلّ بالحجّ، فرووه كذلك، وفيه نظر لما سنبينه، وبيان هذا في الحديث الذي رواه عبد اللّه بن وهب: أخبرني مالك بن أنس وغيره أن نافعاً حدّثهم أن عبد اللّه بن عمر خرج في الفتنة معتمراً، وقال: إن صددت عن البيت صنعنا كما صنع رسول الله ﷺ. فخرج فأهلّ بالعمرة وسار حتى إذا ظهر على ظاهر البيداء التفت إلى أصحابه فقال: ما أمرهما إلاّ واحد، أشهدكم أني قد أوجبت الحجّ مع العمرة، فخرج حتى جاء البيت فطاف به وطاف بين الصفا والمروة سبعاً لم يزد عليه، ورأى أن ذلك مجزياً عنه وأهدى[١]. وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث مالك. وأخرجاه من حديث عُبَيد اللّه عن نافع به. ورواه عبد الرزّاق عن عُبَيد اللّه، وعبد العزيز بن أبي رواد عن نافع به نحوه؛ وفيه ثم قال في آخره: هكذا فعل رسول الله ﷺ. وفيما رواه البخاري حيث قال: حدّثنا قتيبة، ثنا ليث عن نافع: أن ابن عمر أراد الحجّ عام نزل الحجّاج بابن الزبير، فقيل له: إن الناس كائن بينهم قتال، وإنّا نخاف أن يصدوك. قال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، إذاً أصنع كما صنع رسول الله ﷺ، إني أشهدكم أني قد أوجبت عمرة. ثم خرج حتى إذا كان بظاهر البيداء قال: ما أرى شأن الحجّ والعمرة إلاّ واحداً، أشهدكم أني أوجبت حجاً مع عمرتي، فأهدى هدياً اشتراه بقديد[٢]، ولم يزد على ذلك، ولم ينحر، ولم يحلّ من شيء حرم منه، ولم يحلق، ولم يقصّر حتى كان يوم النحر، فنحر وحلق، ورأى أن قد قضى طواف الحجّ والعمرة بطوافه الأول. وقال ابن عمر: كذلك فعل رسول الله ﷺ[٣].

وقال البخاري: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا ابن علية، عن أيوب، عن نافع: أن ابن عمر دخل [عليه] ابنه عبد اللّه بن عبد اللّه وظهره في المدار[٤] فقال: إني لا آمن أن يكون العام بين الناس قتال فيصدّوك عن البيت، فلو أقمت. قال: قد خرج رسول الله ﷺ فحال كفّار قريش بينه وبين البيت، فإن يحل بيني[٥] وبينه أفعل كما فعل رسول الله ﷺ. فقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، إذاً أصنع كما صنع رسول الله ﷺ إني أشهدكم أني قد أوجبت مع عمرتي

(١) أخرجه البخاري في المحصر باب ٤، والمغازي باب ٢٥، ومسلم في الحج حديث ١٨٠، ومالك في الحج حديث ٩٩، وأحمد في المسند ٢/٦٣.
(٢) قديد: موضع قرب مكة.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ٧٧.
(٤) المدار: من المدر وهو الطين.
(٥) في ط: بني.

حجاً، ثم قدّم فطاف لهما طوافاً واحداً[1]. وهكذا رواه البخاري عن أَبي النعمان، عن حماد بن زيد، عن أيوب بن أَبي تميمة السختياني، عن نافع به. ورواه مسلم من حديثهما عن أيوب به. فقد اقتدى ابن عمر رضي الله عنه برسول الله ﷺ في التحلّل عند حصر العدو، والاكتفاء بطواف واحد عن الحجّ والعمرة، وذلك لأنه كان قد أَحرم أولاً بعمرة ليكون متمتعاً فخشي أن يكون حَصْر، فجمعهما، وأدخل الحجّ قبل العمرة قبل الطواف، فصار قارناً[2]، وقال: ما أرى أمرهما إلاّ واحداً - يعني لا فرق بين أن يحصر الإنسان عن الحجّ أَو العمرة أَو عنهما - فلما قدم مكة اكتفى عنهما بطوافه الأول كما صرّح به في السياق الأول الذي أفردناه، وهو قوله: ورأى أن قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول. قال ابن عمر: كذلك فعل رسول الله ﷺ - يعني أنه اكتفى عن الحجّ والعمرة بطواف واحد - يعني بين الصفا والمروة، وفي هذا دلالة على أن ابن عمر روى القران، ولهذا روى النسائي عن محمّد بن منصور، عن سفيان بن عيينة، عن أيوب بن موسى، عن نافع: أن ابن عمر قرن الحجّ والعمرة فطاف طوافاً واحداً[3]، ثم رواه النسائي[4] عن عليّ بن ميمون الرقي، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أمية، وأيوب بن موسى، وأيوب السختياني، وعبد اللّه بن عمر أربعتهم عن نافع: أن ابن عمر أتى ذا الحليفة فأهلّ بعمرة، فخشي أن يصدّ عن البيت. فذكر تمام الحديث من إدخاله الحجّ على العمرة وصيرورته قارناً.

والمقصود أن بعض الرواة لما سمع قول ابن عمر: إذًا أصنع كما صنع رسول الله ﷺ، وقوله كذلك فعل رسول الله ﷺ. اعتقد أن رسول الله ﷺ بدأ فأهلّ بالعمرة ثم أهلّ بالحجّ فأدخله عليها قبل الطواف، فرواه بمعنى ما فهم، ولم يرد ابن عمر ذلك وإنما أراد ما ذكرناه والله أعلم بالصواب، ثم بتقدير أن يكون أهلّ بالعمرة أولاً، ثم أدخل عليها الحجّ قبل الطواف، فإنه يصير قارناً لا متمتعاً التمتع الخاص، فيكون فيه دلالة لمن ذهب إِلى أفضلية التمتع، والله تعالى أعلم. وأما الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: حدّثنا موسى بن إسماعيل، ثنا همام عن قتادة، حدَّثني مطرف عن عمران. قال: تمتعنا على عهد النبيّ ﷺ ونزل القران، قال رجل برأيه ما شاء[5]. فقد رواه مسلم عن محمّد بن المثنى، عن عبد الصَّمد بن عبد الوارث، عن همّام، عن قتادة به، والمراد به المتعة التي أعمّ من القران، والتمتّع الخاص، ويدلّ على ذلك ما رواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أَبي عروبة عن قتادة، عن مطرف، عن عبد اللّه ابن الشخير، عن عمران بن الحصين: أن رسول الله ﷺ جمع بين حجّ وعمرة، وذكر تمام الحديث. وأكثر السلف يطلقون المتعة على القران كما قال البخاري: حدّثنا قتيبة، ثنا حجاج

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٧٧، ١٠٥، ومسلم في الحج حديث ١٨٣.
(٢) قارناً: جامعاً، وقرن الشيء بالشيء جمع بينهما.
(٣) أخرجه النسائي في المناسك باب ١٤٤.
(٤) كتاب المناسك باب ١٤٤.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٦، ومسلم في الحج حديث ١٦٨.

ابن محمّد الأعور عن شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن المسيّب. قال: اختلف عليّ وعثمان رضي الله عنهما وهما بعسفان في المتعة، فقال عليّ: ما تريد إلى أن تنهى عن أمر فعله رسول الله ﷺ، فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أهلّ بهما جميعاً[١]. ورواه مسلم من حديث شعبة أيضاً عن الحكم بن عيينة، عن عليّ بن الحسين، عن مروان بن الحكم، عنهما به. وقال عليّ: ما كنت لأدع سنّة رسول الله ﷺ بقول أحد من الناس. ورواه مسلم من حديث شعبة أيضاً عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عنهما. فقال له عليّ: لقد علمت إنما تمتعنا مع رسول الله ﷺ؟ قال: أجل! ولكنا كنا خائفين[٢].

وأما الحديث الذي رواه مسلم من حديث غندر عن شعبة، وعن عُبَيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن شعبة، عن مسلم بن مخراق المقبري، سمع ابن عبّاس يقول: أهلّ رسول الله ﷺ بعمرة وأهلّ أصحابه بحجّ فلم يحل رسول الله ولا من ساق الهدي من أصحابه وحلّ بقيتهم[٣]. فقد رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، وروح بن عبادة عن شعبة، عن مسلم المقبري، عن ابن عبّاس. قال: أهلّ رسول الله ﷺ بالحجّ[٤] - وفي رواية أبي داود - أهل رسول الله وأصحابه بالحجّ فمن كان منهم لم يكن له متعة هدي حلّ، ومن كان معه هدي لم يحلّ، الحديث. فإن صححنا الروايتين جاء القران، وإن توقفنا في كل منهما وقف الدليل، وإن رجّحنا رواية مسلم في صحيحه في رواية العمرة، فقد تقدّم عن ابن عبّاس أنه روى الإفراد، وهو الإحرام بالحجّ، فتكون هذه زيادة على الحجّ فيجيء القول بالقران لا سيما وسيأتي عن ابن عباس ما يدلّ على ذلك. وروى مسلم من حديث غندر ومعاذ بن معاذ عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد عن ابن عباس: أن رسول الله قال: هذه عمرة استمتعنا بها، فمن لم يكن معه هدي فليحل الحلّ كلّه، فقد دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة[٥]، وروى البخاري عن آدم بن أبي أياس ومسلم من حديث غندر، كلاهما عن شعبة، عن أبي جمرة قال: تمتعت فنهاني ناس، فسألت ابن عباس فأمرني بها، فرأيت في المنام كأن رجلاً يقول [لي] حج مبرور ومتعة متقبلة. فأخبرت ابن عبّاس فقال: الله أكبر سنّة أبي القاسم، صلوات الله وسلامه عليه[٦]، والمراد بالمتعة ههنا القران. وقال القعيني وغيره عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن محمّد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، أنه حدّثه أنه سمع سعد بن أبي وقاص، والضحّاك بن قيس عام حجّ معاوية بن أبي سفيان يذكر التمتع بالعمرة إلى الحجّ. فقال الضحاك: لا يصنع ذلك إلاّ من جهل أمر الله. فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي، فقال

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ومسلم في الحج حديث ١٥٩.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٥٨.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٩٦.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٩٤.
(٥) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٠٣.
(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ومسلم في الحج حديث ٢٠٤.

الضحاك: فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها. فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه[(١)]. ورواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن مالك، وقال الترمذي: صحيح. وقال عبد الرزَّاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك كلاهما عن سليمان التيمي: حدَّثني غنيم ابن قيس، سألت سعد بن أبي وقّاص عن التمتع بالعمرة إلى الحجّ قال: فعلتها مع رسول الله ﷺ، وهذا يومئذ كافر في العُرش[(٢)] - يعني مكة - ويعني به معاوية. ورواه مسلم من حديث شعبة، وسفيان الثوري ويَحْيَىٰ بن سعيد، ومروان الفزاري، أربعتهم عن سليمان التيمي، سمعت غنيم بن قيس سألت سعداً عن المتعة فقال: قد فعلناها، وهذا يومئذ كافر بالعرش[(٣)]. وفي رواية يَحْيَىٰ بن سعيد - يعني معاوية - وهذا كلّه من باب إطلاق التمتع على ما هو أعم من التمتع الخاص، وهو الإحرام بالعمرة والفراغ منها، ثم الإحرام بالحجّ ومن القران، بل كلام سعد فيه دلالة على إطلاق التمتع على الاعتمار في أشهر الحجّ، وذلك أنهم اعتمروا ومعاوية بعد كافر بمكة قبل الحجّ، أما عمرة الحديبية أو عمرة القضاء وهو الأشبه، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية أسلم مع أبيه ليلة الفتح، وروينا أنه قصّر من شعر النّبيّ ﷺ بمشقص[(٤)] في بعض عمره، وهي عمرة الجعرانة لا محالة والله أعلم.

ذكر حجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارناً

رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد تقدم ما رواه البخاري من حديث أبي عمرو الأوزاعي: سمعت يَحْيَىٰ بن أبي كثير عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: **«أتاني آت من ربي عزّ وجلّ فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجّة»**[(٥)]. وقال الحافظ البيهقي: **أنبأنا** عليّ بن أحمد بن عمر بن حفص المقبري ببغداد، أنبأنا أحمد بن سليمان قال: قرىء على عبد الملك ابن محمّد وأنا أسمع: حدّثنا أبو زيد الهَرَويّ، ثنا عليّ بن المبارك، ثنا يَحْيَىٰ بن أبي كثير، ثنا عكرمة، حدَّثني ابن عباس، حدَّثني عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبرائيل عليه السّلام وأنا بالعقيق فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك ركعتين، وقل عمرة في حجّة، فقد دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة»**. ثم قال البيهقي: رواه البخاري عن أبي زيد الهَرَويّ. وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، ثنا سيار عن أبي وائل، أن رجلاً كان نصرانياً يقال له الصَّبّي ابن معبد، فأراد الجهاد فقيل له: ابدأ بالحجّ فأتى الأشعري فأمره أن يهلّ بالحجّ والعمرة جميعاً ففعل، فبينما هو يلبي إذ مرّ بزيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة. فقال أحدهما لصاحبه: لهذا

---

(١) أخرجه الترمذي في الحج باب ١٢، والنسائي في المناسك باب ٥٠، ومالك في الحج حديث ٦٠.

(٢) العرش: بيوت مكة، قال أبو عبيد: سميت مكة عُرشاً لأنها عيدان تنصب وتظلل؛ قال: ويقال لها عروش؛ واحدها عرش، ومن قال: عرش: واحدها عريش.

(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٦٤، وأحمد في المسند ١/ ١٨١.

(٤) المشقص: نصل عريض وطويل.

(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ١٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٤.

أضلّ من بعير أهله، فسمعها الصبي، فكَبر ذلك عليه، فلما قدم أتى عمر بن الخطاب فذكر ذلك له. فقال له عمر: هديت لسنّة نبيك ﷺ. قال: وسمعته مرّة أخرى يقول وفّقت لسنّة نبيك ﷺ[١]. وقد رواه الإمام أحمد عن يَحْيَىٰ بن سعيد القطان، عن الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل، عن الصبي بن معبد، عن عمر بن الخطاب فذكره. وقال: إنهما لم يقولا شيئاً، هديت لسنّة نبيّك ﷺ[٢]. ورواه عن عبد الرزّاق عن سفيان الثوري، عن منصور، عن أبي وائل به. ورواه أيضاً عن غندر، عن شعبة، عن الحكم، عن أبي وائل، وعن سفيان بن عيينة، عن عبدة بن أبي لبابة، عن أبي وائل. قال: قال الصبي بن معبد كنت رجلاً نصرانياً، فأسلمت فأهللت بحجّ وعمرة فسمعني زيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة وأنا أهلّ بهما. فقالا: لهذا أضل من بعير أهله، فكأنما حملٌ عليّ بكلمتهما جبل، فقدمت على عمر فأخبرته، فأقبل عليهما فلامهما، وأقبل عليّ فقال: هديت لسنّة النّبيّ ﷺ[٣]. قال عبدة: قال أبو وائل: كثيراً ما ذهبت أنا [و]مسروق إلى الصبيّ بن معبد نسأله عنه، وهذه أسانيد جيّدة على شرط الصحيح. وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن أبي وائل شقيق بن سلمة به. وقال النسائي في كتاب الحجّ من سننه: حدّثنا محمّد بن عليّ بن الحسن بن شقيق، ثنا أبي عن جمرة السكري، عن مطرف، عن سلمة بن كهيل، عن طاوس، عن ابن عبّاس، عن عمر. أنه قال: والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله، وقد فعلها النّبيّ ﷺ[٤]. إسناد جيد.

رواية أميري المؤمنين عثمان وعليّ رضي الله عنهما. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** محمّد بن جعفر، ثنا شعبة [عن عمرو بن مرة][٥]، عن سعيد بن المسيب. قال: اجتمع عليّ وعثمان بعَسْفان، وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال عليّ: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه. فقال عثمان: دعنا منك[٦]. هكذا رواه الإمام أحمد[٧] مختصراً. وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن المسيب. قال: اختلف عليّ وعثمان وهما بعسفان في المتعة. فقال عليّ: ما تريد إلى أين تنهى عن أمر فعله رسول الله ﷺ، فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أهلّ بهما جميعاً[٨]، وهكذا لفظ البخاري. وقال البخاري: ثنا محمّد بن يسار، ثنا غندر عن شعبة، عن الحكم، عن عليّ بن الحسين، عن مروان بن الحكم. قال: شهدت عثمان وعليّاً وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٤.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧.
(٣) أخرجه أبو داود في المناسك باب ٢٤، والنسائي في المناسك باب ٤٩، وابن ماجه في المناسك باب ٣٨، وأحمد في المسند ١/ ١٤، ٢٥، ٣٧، ٥٣.
(٤) أخرجه النسائي في المناسك باب ٥٠.
(٥) سقط في ط.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٣٦.
(٧) في ط: الأحمد.
(٨) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ومسلم في الحج حديث ١٥٩.

رأى عليّ أهلّ بهما، لبّيك بعمرة وحجّ. قال: ما كنت لأدع سنّة النّبيّ ﷺ لقول أحد[1]. ورواه النسائي من حديث شعبة به، ومن حديث الأعمش عن مسلم البطين، عن عليّ بن الحسين به.
وقال الإمام أحمد: ثنا محمّد بن جعفر، [حدثنا][2] شعبة عن قتادة. قال: قال عبد اللّه بن شقيق: كان عثمان ينهى عن المتعة، وعليّ يأمر بها. فقال عثمان لعليّ: إنك لكذا وكذا. ثم قال عليّ: لقد علمت[3] أنا تمتعنا مع رسول الله ﷺ. قال: أجل ولكنا كنّا خائفين[4]. ورواه مسلم من حديث شعبة، فهذا اعتراف من عثمان رضي الله عنه بما رواه عليّ رضي الله عنهما، ومعلوم أن علياً رضي الله عنه أحرم عام حجّة الوداع بإهلال كإهلال النّبيّ ﷺ، وكان قد ساق الهدي، وأمره عليه السّلام أن يمكث حراماً، وأشركه النّبيّ ﷺ في هديه كما سيأتي بيانه.
وروى مالك في الموطأ عن جعفر بن محمّد عن أبيه، أن المقداد بن الأسود دخل على عليّ بن أبي طالب بالسقيا وهو ينجع بكراتٍ له دقيقاً وخبطاً[5]. فقال: هذا عثمان بن عفان ينهى عن أن يقرن بين الحجّ والعمرة، فخرج عليّ وعلى يده أمر الدقيق والخبط - ما أنسى أثر الدقيق والخبط على ذراعيه - حتى دخل على عثمان. فقال: أنت تنهى أن يقرن بين الحجّ والعمرة. فقال عثمان: ذلك رأيي، فخرج عليّ مغضباً وهو يقول: لبّيك اللّهمّ لبيك بحجّة وعمرة معاً[6]. وقد قال أبو داود في سننه: حدثنا يَحْيَىٰ بن معين، ثنا حجّاج، ثنا يونس عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: كنت مع عليّ حين أمّره رسول الله ﷺ على اليمن، فذكر الحديث في قدوم عليّ. قال عليّ: فقال لي رسول الله ﷺ: «كيف صنعت؟» قال: قلت: إنما أهللت بإهلال النّبيّ ﷺ. قال: إني قد سقت الهدي وقرنت[7]. وقد رواه النسائي من حديث يَحْيَىٰ بن معين بإسناده، وهو على شرط الشيخين، وعلّله الحافظ البيهقي بأنه لم يذكر هذا اللفظ في سياق حديث جابر الطويل، وهذا التعليل فيه نظر لأنه قد روى القران من حديث جابر ابن عبد اللّه كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

وروى ابن حبان في صحيحه عن عليّ بن أبي طالب. قال: خرج رسول الله ﷺ من المدينة وخرجت أنا من اليمن. وقلت لبّيك بإهلال كإهلال النبي. فقال النبي ﷺ: «فإني أهللت بالحجّ والعمرة جميعاً».

رواية أنس بن مالك رضي الله عنه. وقد رواه عنه جماعة من التابعين ونحن نوردهم

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، والنسائي في المناسك باب ٤٩.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: عامت.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٥٨، وأحمد في المسند ١/٩٧.
(٥) ينجع: يسقي، والبكرات: الإبل الفتية. والخبط: ورق الشجر ينفض ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق وغيره، ثم تسقاه الإبل.
(٦) أخرجه مالك في الحج حديث ٤٠.
(٧) أخرجه أبو داود في الحج باب ٢٤، والنسائي في المناسك باب ٤٩، ٥٢.

مرتّبين على حروف المعجم:

بكر بن عبد الله المزني عنه. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** هشيم، ثنا حميد الطويل، [أنبأنا][(١)] بكر بن عبد الله المزني. قال: سمعت أنس بن مالك يحدّث، قال: سمعت رسول الله ﷺ يلبّي بالحجّ والعمرة جميعاً، فحدثت بذلك ابن عمر. فقال: لبى بالحج وحده، فلقيت أنَساً فحدّثته بقول ابن عمر. فقال: ما تعدونا إلاّ صبياناً. سمعت رسول الله ﷺ يقول: لبيك عمرة وحجاً[(٢)]. ورواه البخاري عن مسدد، عن بشر بن المفضل، عن حميد به. وأخرجه مسلم عن شريح بن يونس، عن هشيم به. وعن أمية بن بسطام عن يزيد بن زريع، عن حبيب ابن الشهيد، عن بكر بن عبد الله المزنيّ، به.

ثابت البناني عن أنس. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** وكيع عن ابن أبي ليلى، عن ثابت، عن أنس أن النّبيّ ﷺ قال: «**لبيك بعمرة وحجة معاً**»[(٣)]. تفرّد به من هذا الوجه الحسن البصري عنه. قال الإمام أحمد: ثنا روح، ثنا أشعث عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ وأصحابه قدموا مكة وقد لبوا بحجّ وعمرة. فأمرهم رسول الله ﷺ بعدما طافوا بالبيت وبالصفا والمروة، أن يحلّوا وأن يجعلوها عمرة، فكأن القوم هابوا ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**لولا أني سقت هدياً لأحللت**»، فأحلّ القوم وتمتعوا[(٤)]. وقال الحافظ أبو بكر البزار: **حدّثنا** الحسن بن قزعة، ثنا سفيان بن حبيب، ثنا أشعث عن الحسن، عن أنس: أن النّبيّ ﷺ أهلّ هو وأصحابه بالحجّ والعمرة، فلما قدموا مكة طافوا بالبيت وبالصفا والمروة، أمرهم رسول الله ﷺ أن يحلوا فهابوا ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**أحلوا فلولا أن معي الهدي لأحللت**». فحلوا حتى حلوا إلى النساء. ثم قال البزار: لا نعلم رواه عن الحسن إلاّ أشعث بن عبد الملك.

حميد بن تيرويه الطويل عنه. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** يَحْيَىٰ عن حميد، سمعت أنساً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لبيك بحجّ وعمرة وحجّ**»[(٥)]. هذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولا أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه، لكن رواه مسلم عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ عن هشيم، عن يَحْيَىٰ بن أبي إسحاق، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد، أنهم سمعوا أنس بن مالك. قال: سمعت رسول الله ﷺ أهلّ بهما جميعاً: «**لبيك عمرة وحجاً، لبيك عمرة وحجاً**»[(٦)]. وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** يعمر بن يسر، ثنا عبد الله، أنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك. قال: ساق رسول الله ﷺ بدناً كثيرة وقال: «**لبيك بعمرة وحج**»، وإني لعند فخذ

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦١، ومسلم في الحج حديث ١٨٥، وأحمد في المسند ٣/٢٩٩، ٣٠٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٨٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٤٢.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٨٢.

(٦) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢١٤، وأحمد في المسند ٣/٩٩.

ناقته اليسرى[١]. تفرّد به أحمد من هذا الوجه أيضاً.

حميد بن هلال العدوي البصري عنه. قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: **حدّثنا** محمّد ابن المثنى، ثنا عبد الوهّاب عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك. وحدثناه سلمة بن شبيب[٢]، ثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمر عن أيوب، عن أبي قلابة وحميد بن هلال عن أنس. قال: إني ردف أبي طلحة، وإن ركبته لتمسّ ركبة رسول الله ﷺ وهو يلبي بالحجّ والعمرة. وهذا إسناد جيّد قوي على شرط الصحيح، ولم يخرجوه. وقد تأوّله البزار على أن الذي كان يلبي بالحجّ والعمرة أبو طلحة، قال: ولم ينكر عليه النبيّ ﷺ. وهذا التأويل فيه نظر، ولا حاجة إليه لمجيء ذلك من طرق عن أنس، كما مضى وكما سيأتي، ثم عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى، وهو في هذه الصورة أقوى دلالة والله أعلم، وسيأتي في رواية سالم بن أبي الجعد عن أنس صريح الردّ على هذا التأويل.

زيد بن أسلم عنه. قال الحافظ أبو بكر البزار: **رَوَى** سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك: **أن النبيّ ﷺ أهلّ** بحجّ وعمرة. حدّثناه الحسن بن عبد العزيز الجروي، ومحمّد بن مسكين. قالا: **حدّثنا** بشر بن بكر عن سعيد بن عبد العزيز، عن زيد بن أسلم، عن أنس. **قلت**: وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه. وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي بأبسط من هذا السياق. فقال: **أنبأنا** أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، قالا: ثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، أنبأنا العباس بن الوليد ابن يزيد، أخبرني أبي، ثنا شعيب بن عبد العزيز عن زيد بن أسلم وغيره. أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: بِمَ أهلّ رسول الله ﷺ؟ قال ابن عمر: أهلّ بالحجّ فانصرف، ثم أتاه من العام المقبل. فقال: بِمَ أهلّ رسول الله؟ قال: ألم تأتني عام أول. قال: بلى! ولكن أنس بن مالك يزعم أنه قرن، قال ابن عمر: إن أنس بن مالك كان يدخل على النساء وهنّ مكشّفات الرؤوس، وإني كنت تحت ناقة رسول الله ﷺ يمسّني لعابها أسمعه يلبي بالحجّ.

سالم بن أبي الجعد الغطفاني الكوفي عنه. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** يَحْيَىٰ بن آدم، ثنا شريك عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك، يرفعه إلى النبيّ ﷺ: أنه جمع بين الحجّ والعمرة فقال: لبيك بعمرة وحجة معاً[٣]، حسن ولم يخرجوه. وقال الإمام أحمد: **حدثنا** عفان، ثنا أبو عوانة، [ثنا][٤] عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد، عن سعد مولى الحسن بن عليّ. قال: خرجنا مع عليّ فأتينا ذا الحليفة. فقال علي: إني أريد أن أجمع بين الحجّ والعمرة، فمن أراد ذلك فليقل كما أقول، ثم لبّى قال: لبيك بحجّة وعمرة معاً. قال وقال سالم: وقد أخبرني أنس بن مالك. قال: والله إن رِجْلي لتمس رِجْل رسول الله ﷺ، وإنه ليهلّ بهما

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٦٦.

(٢) في ط: سبب.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٨٠.

(٤) سقط في ط.

جميعاً[١] . وهذا أيضاً إسناد جيّد من هذا الوجه، ولم يخرجوه، وهذا السياق يرد على الحافظ البزار ما تأوّل به حديث حميد بن هلال، عن أنس كما تقدم والله أعلم.

سليمان بن طرخان التيمي عنه. قال الحافظ أبو بكر البزار: **حدّثنا** يَحْيَىٰ بن حبيب بن عربي، ثنا المعتمر بن سليمان، سمعت أبي يُحدّث عن أنس بن مالك. قال: سمعت النّبيّ ﷺ يلبي بهما جميعاً. ثم قال البزار: لم يروه عن التيمي إلاّ ابنه المعتمر، ولم يسمعه إلاّ من يَحْيَىٰ ابن حبيب العربي عنه. قلت وهو على شرط الصحيح ولم يخرجوه.

سويد بن حجير عنه. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** محمّد بن جعفر، ثنا شعبة عن أبي قزعة سويد بن حجير، عن أنس بن مالك. قال: كنت رديف أبي طلحة فكانت ركبة أبي طلحة تكاد أن تصيب ركبة رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يهلّ بهما[٢] . وهذا إسناد جيّد تفرّد به أحمد، ولم يخرجوه وفيه ردّ على الحافظ البزار صريح.

عبد اللّه بن زيد أبو قلابة الجرمي عنه. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** عبد الرزّاق، أنبأنا معمر عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس، قال: كنت رديف أبي طلحة وهو يساير النّبيّ ﷺ. قال: فإن رِجْلي لتمسّ غرز النبي ﷺ فسمعته يلبي بالحجّ والعمرة معاً[٣] . وقد رواه البخاري من طرق عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال: صلى ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب راحلته حتى استوت به على البيداء حمد الله وسبّح وكبّر، وأهلّ بحجّ وعمرة، وأهلّ الناس بهما جميعاً[٤] . وفي رواية له: كنت رديف أبي طلحة، وإنهم ليصرخون بهما جميعاً الحجّ والعمرة[٥] . وفي رواية له عن أيوب، عن رجل، عن أنس. قال: ثم بات حتى أصبح، فصلى الصبح ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البيداء أهلّ بعمرة وحجّ[٦] .

عبد العزيز بن صهيب. تقدمت روايته عنه مع رواية حميد الطويل عنه عند مسلم.

عليّ بن زيد بن جدعان عنه، قال الحافظ أبو بكر البزار: **حدّثنا** إبراهيم بن سعيد، ثنا عليّ بن حكيم عن شريك، عن عليّ بن زيد، عن أنس: أن رسول الله ﷺ لبّى بهما جميعاً. هذا غريب من هذا الوجه، ولم يخرجه أحد من أصحاب السنن وهو على شرطهم.

قتادة بن دعامة السدوسي عنه، قال الإمام أحمد: **حدّثنا** بهز وعبد الصّمد المعني. قالا: أَخْبَرَنَا همام بن يَحْيَىٰ، ثنا قتادة. قال: **سألت** أنس بن مالك قلت: كم حجّ النّبيّ ﷺ؟ قال: حجّة واحدة واعتمر أربع مرات، عمرته زمن الحديبية، وعمرته في ذي القعدة من المدينة،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٨٠.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٧١.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٦٤.
(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٧، ١١٩.
(٥) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٢٦.
(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٧، ١١٩.

وعمرته من الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم غنيمة حُنَين، وعمرته مع حجّته[١]. وأخرجاه في الصحيحين من حديث همام بن يَحْيَىٰ به.

مصعب بن سليم الزبيري مولاهم عنه، قال الإمام أَحمد: حدّثنا وكيع، ثنا مصعب ابن سليم، سمعت أنس بن مالك يقول: أهل رسول الله ﷺ بحجّة وعمرة[٢]، تفرّد به أَحمد.

يَحْيَىٰ بن إِسحاق الحضرمي عنه، قال الإمام أَحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا يَحْيَىٰ بن إِسحاق، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد الطويل عن أنس، أنهم سمعوه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يلبّي بالحجّ والعمرة جميعاً [يقول][٣]: «لبيك عمرة وحجاً، لبيك عمرة وحجاً»[٤]، وقد تقدم أن مسلماً رواه عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، عن هشيم به. وقال الإمام أَحمد أيضاً: ثنا عبد الأعلى عن يَحْيَىٰ، عن أنس. قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة قال: فسمعته يقول: «لبيك عمرة وحجاً»[٥].

أَبو الصيقل عنه، قال الإمام أَحمد: حدّثنا حسن، ثنا زهير. وحدّثنا أَحمد بن عبد الملك، ثنا زهير عن أَبي إِسحاق، عن أَبي أسماء الصيقل، عن أنس بن مالك. قال: خرجنا نصرخ بالحجّ، فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعلها عمرة. وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة، ولكني سقت الهَدْي وقرنت الحجّ بالعمرة»[٦]. ورواه النسائي[٧] عن هناد، عن أَبي الأحوص، عن أَبي إِسحاق، عن أَبي أسماء الصيقل، عن أنس بن مالك. قال: سمعت رسول الله ﷺ يلبي بهما.

أَبو قدامة الحنفي، ويقال إن اسمه: محمّد بن عبيد عن أنس. قال الإمام أَحمد[٨]: حدّثنا روح بن عبادة، حدّثنا شعبة عن يونس بن عبيد، عن أَبي قدامة الحنفي. قال: قلت لأنس: بأي شيء كان رسول الله ﷺ يلبّي؟ فقال: سمعته سبع مرات يلبي بعمرة وحجّة، تفرّد به الإمام أَحمد، وهو إسناد جيد قوي ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة، وروى ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك. قال: كان رسول الله ﷺ قرن بين الحج والعمرة، وقرن القوم معه. وقد أورد الحافظ البيهقي بعض هذه الطرق عن أنس بن مالك، ثم شرع يعلّل ذلك بكلام فيه نظر، وحاصله أنه قال: والاشتباه وقع لأنس لا لمن دونه، ويحتمل أن يكون سمعه رسول الله ﷺ يعلّم غيره كيف يهلّ بالقران لا أنه يهلّ بهما عن نفسه والله أعلم. قال: وقد روي ذلك عن

---

(١) أخرجه البخاري في العمرة باب ٣، ومسلم في الحج حديث ٢١٧، وأحمد في المسند ٣/ ١٣٤.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٨٣.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢١٤، وأحمد في المسند ٣/ ٩٩.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٨٧.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٤٨، ٢٦٦.
(٧) كتاب المناسك باب ٤٩.
(٨) المسند ٣/ ١٤٢.

غير أنس بن مالك، وفي ثبوته نظر؛ قلت: ولا يخفى ما في هذا الكلام من النظر الظاهر لمن تأمّله، وربما أنه كان تَرْكُ هذا الكلام أولى منه، إذ فيه تطرّق احتمال إلى حفظ الصحابي مع تواتره عنه، كما رأيت آنفاً، وفتح هذا يفضي إلى محذور كبير والله تعالى أعلم.

حديث البراء بن عازب في القران، قال الحافظ أبو بكر البيهقي: **أنبأنا** أبو الحسين بن بشران، أنبأنا عليّ بن محمّد المصري، حدّثنا أبو غسان مالك بن يَحْيَىٰ، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر كلّهن في ذي القعدة. فقالت عائشة: لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التي حجّ معها. قال البيهقي: ليس هذا بمحفوظ، قلت سيأتي بإسناد صحيح إلى عائشة نحوه.

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني: **حدّثنا** أبو بكر بن أبي داود، ومحمّد بن جعفر بن رميس، والقاسم بن إسماعيل أبو عبيد، وعثمان بن جعفر اللّبان وغيرهم. قالوا: حدّثنا أحمد بن يَحْيَىٰ الصوفي، ثنا زيد بن حباب، ثنا سفيان الثوري عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله. قال: **حج النبيّ ﷺ ثلاث حجج حجّتين قبل أن يهاجر، وحجّة قرن معها عمرة**[1].

وقد روى هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن سعيد الثوري به، وأما الترمذي فرواه عن عبد الله بن أبي زياد، عن زيد بن حباب، عن سفيان به. ثم قال: غريب من حديث سفيان، لا نعرفه إلاّ من حديث زيد بن الحباب. ورأيت عبد الله بن عبد الرّحمٰن يعني الرازي، روى هذا الحديث في كتبه عن عبد الله بن أبي زياد، وسألت محمّداً عن هذا فلم يعرفه، ورأيته لا يعده محفوظاً. قال: وإنما روى عن الثوري، عن أبي إسحاق، عن مجاهد مرسلاً.

وفي السنن الكبرى للبيهقي قال أبو عيسى الترمذي: سألت محمّد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال: هذا حديث خطأ وإنما روي هذا عن الثوري مرسلاً. قال البخاري: وكان زيد بن الحباب إذا روى خطأ ربّما غلط في الشيء، وأما ابن ماجه فرواه عن القاسم بن محمّد بن عباد المهلّبي عن عبد الله بن داود الخريبي عن سفيان به، وهذه طريق لم يقف عليها الترمذي ولا البيهقي، وربّما ولا البخاري، حيث تكلم في زيد ابن الحباب ظاناً أنه انفرد به، وليس كذلك والله أعلم.

طريق أخرى عن جابر، قال أبو عيسى الترمذي: **حدّثنا** ابن أبي عمر حدّثنا أبو معاوية عن حجاج، عن أبي الزبير، عن جابر. أن رسول الله ﷺ قرن الحج والعمرة، وطاف لهما طوافاً واحداً[2]. ثم قال: هذا حديث حسن، وفي نسخة صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه عن جابر قال: لم يطف النبيّ ﷺ إلاّ طوافاً واحداً لحجّه ولعمرته. قلت: حجّاج هذا هو ابن

---

(١) أخرجه الترمذي في الحج باب ٦، وابن ماجه في المناسك باب ٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الحج باب ١٠٢.

أرطاة. وقد تكلّم فيه غير واحد من الأئمة، ولكن قد روي من وجه آخر عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد اللّه أيضاً، كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدّثنا مقدم بن محمّد، حدّثني عمي القاسم بن يَحْيَىٰ بن مقدم، عن عبد الرَّحمٰن بن عثمان بن خيثم، عن أبي الزبير، عن جابر. أن رسول الله ﷺ قدم فقرن بين الحجّ والعمرة، وساق الهدي. وقال رسول الله ﷺ: «من لم يقلّد الهدي فليجعلها عمرة». ثم قال البزار: وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن جابر إلاّ من هذا الوجه بهذا الإسناد، انفرد بهذه الطريق البزار في مسنده، وإسنادها غريبة جداً وليس في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم.

رواية أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه. قال الإمام أحمد: **حدّثنا أبو** معاوية ثنا حجاج ـ هو ابن أرطاة ـ عن الحسن بن سعد، عن ابن عباس. قال: أخبرني أبو طلحة أن رسول الله ﷺ جمع[1] بين الحجّ والعمرة[2]. ورواه ابن ماجه عن عليّ بن محمّد، عن أبي معاوية بإسناده ولفظه، أن رسول الله ﷺ قرن بين الحجّ والعمرة[3]. الحجّاج بن أرطاة فيه ضعف والله أعلم.

رواية سراقة بن مالك بن جعشم. قال الإمام أحمد: **حدّثنا** مكي بن إبراهيم، ثنا داود ـ يعني ابن سويد ـ سمعت عبد الملك الزراد. يقول: سمعت النزال بن سبرة صاحب عليّ يقول: سمعت سراقة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة»**. قال: وقرن رسول الله ﷺ في حجّة الوداع[4].

رواية سعد بن أبي وقّاص، عن النبيّ ﷺ أنه تمتع بالحجّ إلى العمرة وهو القران. قال الإمام مالك عن ابن شهاب، عن محمّد بن عبد اللّه بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، أنه حدّثه أنه سمع سعد بن أبي وقّاص، والضحّاك بن قيس عام حجّ معاوية بن أبي سفيان يذكر التمتع بالعمرة إلى الحجّ. فقال الضحاك: لا يصنع ذلك إلاّ من جهل أمر الله. فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي. فقال الضحّاك: فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها، فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه[5]. ورواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن مالك به. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. وقال الإمام أحمد: ثنا يَحْيَىٰ بن سعيد، ثنا سليمان ـ يعني التيمي ـ حدّثني غنيم. قال: سألت ابن أبي وقّاص عن المتعة فقال: فعلناها، وهذا كافر بالعرش ـ يعني معاوية[6] ـ هكذا رواه مختصراً. وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان ابن سعيد الثوري، وشعبة، ومروان الفزاري، ويَحْيَىٰ بن سعيد القطان، أربعتهم عن سليمان بن

(١) في ط: جميع.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٨.
(٣) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب ٣٨.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٧٥.
(٥) أخرجه الترمذي في الحج باب ١٢، والنسائي في المناسك باب ٥٠، ومالك في الحج حديث ٦٠.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ١/١٨١.

طرخان التيمي، سمعت غنيم بن قيس، سألت سعد بن أبي وقاص عن المتعة؟ فقال: قد فعلناها، وهذا يومئذ كافر بالعرش[١]. قال يَحْيَىٰ بن سعيد في روايته ـ يعني معاوية ـ ورواه عبد الرزّاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك، كلاهما عن سليمان التيمي، عن غنيم بن قيس، سألت سعداً عن التمتع بالعمرة إلى الحجّ. فقال: فعلتها مع رسول الله ﷺ وهذا يومئذ كافر بالعرش ـ يعني مكة ويعني به معاوية ـ وهذا الحديث الثاني أصحّ إسناداً، وإنما ذكرناه اعتضاداً لا اعتماداً، والأول صحيح الإسناد، وهذا أصرح في المقصود من هذا والله أعلم.

رواية عبد الله بن أبي أوفى، قال الطبراني: **حدّثنا** سعيد بن محمّد بن المغيرة المصري، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا يزيد بن عطاء عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى. قال: إنما جمع رسول الله ﷺ بين الحجّ والعمرة لأنه علم أنه لم يكن حاجاً بعد ذلك العام.

رواية عبد الله بن عباس في ذلك. قال الإمام أحمد: **حدثنا** أبو النضر، ثنا داود ـ يعني القطّان ـ عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر: عمرة الحُدَيْبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجته[٢]. وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن داود بن عبد الرَّحمٰن العطّار المكي، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس به وقال الترمذي: حسن غريب، ورواه الترمذي عن سعيد بن عبد الرَّحمٰن، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة مرسلاً. ورواه الحافظ البيهقي من طريق أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز البغوي، عن الحسن بن الربيع، وشهاب بن عبّاد، كلاهما عن داود بن عبد الرَّحمٰن العطّار فذكره. وقال: الرابعة التي قرنها مع حجته. ثم قال أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز ليس أحد يقول في هذا الحديث عن ابن عبّاس إلاّ داود بن عبد الرَّحمٰن، ثم حكى البيهقي عن البخاري أنه قال داود بن عبد الرَّحمٰن صدوق إلاّ أنه ربما يهم في الشيء. وقد تقدّم ما رواه البخاري من طريق ابن عبّاس عن عمر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بوادي العقيق: **«أتاني آت من ربّي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة»**[٣] فلعل هذا مستند ابن عباس فيما حكاه والله أعلم.

رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قد تقدم فيما رواه البخاري ومسلم من طريق الليث عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر. أنه قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأهدى فساق الهدي من ذي الحليفة، وبدأ رسول الله ﷺ فأهلّ بالعمرة، ثم أهلّ بالحجّ[٤]، وذكر تمام الحديث في عدم إحلاله بعد السعي، فعلم كما قررناه أولاً أنه عليه السّلام لم يكن متمتعاً التمتع الخاص وإنما كان قارناً لأنه حكى أنه عليه السّلام لم يكن متمتعاً،

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٦٤.

(٢) أخرجه أبو داود في الحج باب ٨٠، والترمذي في الحج باب ٧، وابن ماجه في المناسك باب ٥٠، وأحمد في المسند ١/ ٣٢١.

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٦، والاعتصام باب ١٦.

(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ١٠٤، ومسلم في الحج حديث ١٧٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٣٩، ١٤٠.

اكتفى بطواف واحد بين الصفا والمروة عن حجّه وعمرته. وهذا شأن القارن على مذهب الجمهور كما سيأتي بيانه والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدّثنا أبو خيثمة، ثنا يَحْيَىٰ بن يمان عن سفيان، عن عُبَيد اللّه، عن نافع، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ طاف طوافاً واحداً لإقرانه لم يحل بينهما، واشترى من الطريق - يعني الهدي - وهذا إسناد جيّد رجاله كلّهم ثقات[١]، إلاّ أن يَحْيَىٰ بن يمان وإن كان من رجال مسلم في أحاديثه عن الثوري نكارة شديدة والله أعلم، ومما يرجّح أن ابن عمر أراد بالإفراد الذي رواه إفراد أفعال الحجّ لا الإفراد الخاص الذي يصير إليه أصحاب الشافعي، وهو الحجّ، ثم الاعتمار بعده في بقية ذي الحجّة، قول الشافعي: أنبأنا مالك عن صدقة بن يسار، عن ابن عمر. أنه قال: لأن أعتمر قبل الحجّ وأهدي أحبّ إليّ من أن أعتمر بعد الحجّ في ذي الحجّة[٢].

رواية عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما، قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - حدّثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ إنما قرن خشية أن يصدّ عن البيت، وقال: إن لم يكن حجّة فعمرة[٣]، وهذا حديث غريب سنداً ومتناً، تفرّد بروايته الإمام أحمد. وقد قال أحمد في يونس بن الحارث الثقفي: هذا كان مضطرب الحديث، وضعّفه، وكذا ضعّفه يَحْيَىٰ بن معين في رواية عنه والنسائي، وأما من حيث المتن فقوله إنما قرن رسول الله ﷺ خشية أن يصد عن البيت فمن الذي كان يصدّه عليه السّلام عن البيت، وقد أطّد الله له[٤] الإسلام وفتح البلد الحرام، وقد نودي برحاب مِنًى أيام الموسم في العام الماضي أن لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان، وقد كان معه عليه السّلام في حجّة الوداع قريب من أربعين ألفاً فقوله: خشية أن يصدّ عن البيت، وما هذا بأعجب من قول أمير المؤمنين عثمان لعليّ بن أبي طالب حين قال له عليّ: لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله ﷺ. فقال: أجل ولكنا كنا خائفين، ولست أدري علامَ يحمل هذا الخوف من أي جهة كان؟ إلاّ أنه تضمن رواية الصحابي لما رواه، وحمله على معنى ظنّه، فما رواه صحيح مقبول، وما اعتقده ليس بمعصوم فيه، فهو موقوف عليه، وليس بحجّة على غيره، ولا يلزم منه ردّ الحديث الذي رواه: هكذا قول عبد اللّه بن عمرو. لو صحّ السند إليه والله أعلم.

رواية عمران بن حصين رضي الله عنه، قال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، وحجّاج قالا: ثنا شعبة عن حميد بن هلال، سمعت مطرفاً قال: قال لي عمران بن حصين: إني محدّثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به إن رسول الله ﷺ قد جمع بين حجّته وعمرته، ثم لم ينه عنه حتى مات، ولم ينزل قرآن فيه يحرّمه، وأنه كان يسلم عليّ، فلما اكتويت[٥] أمسك عني

---

(١) في ط: ثقاة.

(٢) أخرجه مالك في الحج حديث ٦١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢١٤.

(٤) أطد له: أي ثبته وأيده.

(٥) اكتوى: حرق جلده بحديد، وكوى نفسه.

فلما تركته عاد إليّ[١]. وقد رواه مسلم عن محمّد بن المثنى، ومحمّد ابن يسار، عن غندر، عن عُبَيد اللّه بن معاذ، عن أبيه، والنسائي عن محمّد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث، ثلاثتهم عن شعبة، عن حميد بن هلال، عن مطرف، عن عمران به، ورواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أَبي عروبة عن قتادة، عن مطرف بن عبد اللّه بن الشخير، عن عمران بن الحصين، أن رسول الله ﷺ جمع بين حجّ وعمرة[٢] الحديث. قال الحافظ أَبو الحسن الدارقطني حديث شعبة عن حميد بن هلال، عن مطرف صحيح، وأما حديثه عن قتادة عن مطرف، فإنما رواه عن شعبة كذلك بقية بن الوليد. وقد رواه غندر وغيره عن سعيد بن أَبي عروبة، عن قتادة. قلت: وقد رواه أيضاً النسائي في سننه عن عمرو بن عليّ الفلاّس، عن خالد ابن الحارث، عن شعبة، وفي نسخة عن سعيد بدل شعبة، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران ابن الحصين، فذكره والله أعلم. وثبت في الصحيحين من حديث همّام عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن الحصين قال: تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ ثم لم ينزل قرآن يحرّمه، ولم ينه عنها حتى مات رسول الله ﷺ[٣].

رواية الهرماس بن زياد الباهلي، قال عبد اللّه ابن الإمام أَحمد: **حدّثنا** عبد اللّه بن عمران ابن عليّ أَبو محمّد من أهل الري، وكان أصله أصبهاني: حدّثنا يَحْيَىٰ بن الضريس، حدّثنا عكرمة بن عمّار عن الهرماس. قال: كنت ردف[٤] أَبي فرأيت النّبيّ ﷺ وهو على بعير وهو يقول: «**لبيك بحجة وعمرة معاً**»[٥] وهذا على شرط السنن ولم يخرجوه.

رواية حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها، قال الإمام أَحمد: **حدّثنا** عبد الرَّحمٰن عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة أنها قالت للنبي ﷺ: ما لك لم تحل من عمرتك؟ قال: «**إني لبدت رأسي وقلدت هَدْيي، فلا أحل حتى أنحر**»[٦] وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك وعُبَيد اللّه بن عمر، زاد البخاري وموسى بن عقبة، زاد مسلم وابن جريج كلّهم عن نافع، عن ابن عمر به. وفي لفظهما أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك؟ فقال: «**إني قلدت هَدْيي ولبّدت رأسي فلا أحل حتى أنحر**»[٧] وقال الإمام أَحمد أيضاً: حدّثنا شعيب بن أَبي حمزة. قال: قال نافع: كان عبد اللّه بن عمر يقول: أخبرتنا حفصة زوج النّبيّ ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجّة الوداع. فقالت له فلانة: ما يمنعك أن تحل. قال: «**إني لبدت رأسي وقلدت هَدْيي**

---

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٦٨، والنسائي في المناسك باب ٤٩، وأحمد في المسند ٤/ ٤٢٧.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٦٨.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٦، ومسلم في الحج حديث ١٧٠، وأحمد في المسند ٤/ ٤٢٩.
(٤) كنت ردف أبي: أي راكباً خلفه.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٨٥.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٨٤.
(٧) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ١٢٦، واللباس باب ٦٩، ومسلم في الحج حديث ١٧٦، ومالك في الحج حديث ١٨٠، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٣.

فلست أحلّ حتى أنحر هديي»[1] وقال أحمد أيضاً: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا أبي عن أبي إسحاق، حدّثني نافع عن عبد الله بن عمر، عن حفصة بنت عمر أنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة. قلنا: فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا؟ قال: «إني أهديت ولبدت فلا أحل حتى أنحر هَدْيي»[2] ثم رواه أحمد عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة فذكره[3]، فهذا الحديث فيه أن رسول الله ﷺ كان متلبساً بعمرة، ولم يحل منها، وقد علم بما تقدم من أحاديث الإفراد أنه كان قد أهل بحج أيضاً فدل مجموع ذلك أنه قارن مع ما سلف من رواية من صرح بذلك والله أعلم.

رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. قال البخاري: حدّثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة زوج النّبيّ ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فأهللنا بعمرة. ثم قال النّبيّ ﷺ: «من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعاً»، فقدمت مكة وأنا حائض، فلم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «انقضي رأسك[4] وامتشطي وأهلّي بالحج، ودعي العمرة»، ففعلت فلما قضيت الحجّ أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر إلى التنعيم فاعتمرت. فقال: «هذه مكان عمرتك» قالت: فطاف الذين كانوا أهلّوا بالعمرة بالبيت، وبين الصفا والمروة، ثم حلّوا، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من مِنًى، وأما الذين جمعوا الحجّ والعمرة، فإنما طافوا طوافاً واحداً[5]. وكذلك رواه مسلم من حديث مالك، عن الزهري فذكره. ثم رواه عن عبد بن حميد، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجّة الوداع فأهللت بعمرة، ولم أكن سقت الهَدْي فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه هَدْي فليهل بالحجّ مع عمرته، لا يحلّ حتى يحلّ منهما جميعاً»[6]، وذكر تمام الحديث كما تقدم. والمقصود من إيراد هذا الحديث ههنا قوله ﷺ «من كان معه هَدْي فليهلّ بحجّ وعمرة». ومعلوم أنه عليه السّلام قد كان معه هدي، فهو أول وأولى من ائتمر بهذا، لأن المخاطب داخل في عموم متعلّق خطابه على الصحيح. وأيضاً فإنها قالت: وأما الذين جمعوا الحجّ والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً، يعني بين الصفا والمروة. وقد روى مسلم عنها: أن رسول الله ﷺ إنما طاف بين الصفا والمروة طوافاً واحداً، فعلم من هذا أنه كان قد جمع بين الحجّ والعمرة. وقد روى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٨٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٨٥.

(٣) المسند ٦/ ٢٨٥.

(٤) انقضي رأسك: قال ابن حجر: يحتمل أن يكون لأجل الغسل لتهل بالحج، لا سيما إن كانت ملبدة فتحتاج إلى نقض الضفر، أما الامتشاط فلعل المراد به تسريحها شعرها بأصابعها برفق حتى لا يسقط منه شيء ثم تضفره كما كان.

(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٣١، ومسلم في الحج حديث ١١١.

(٦) أخرجه مسلم في الحج حديث ١١٣.

مسلم من حديث حمّاد بن زيد، عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: فكان الهدي مع النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر وذوي اليسار[١]، وأيضاً فإنها ذكرت أن رسول الله ﷺ لم يتحلّل من النسكين، فلم يكن متمتعاً، وذكرت أنها سألت رسول الله ﷺ أن يعمرها[٢] من التنعيم. وقالت: يا رسول الله ينطلقون بحجّ وعمرة، وأنطلق بحجّ فبعثها مع أخيها عبد الرَّحمٰن ابن أبي بكر فأعمرها من التنعيم، ولم يذكر أنه عليه السَّلام اعتمر بعد حجّته فلم يكن مفرداً. فعلم أنه كان قارناً لأنه كان باتفاق الناس قد اعتمر في حجّة الوداع والله أعلم. وقد تقدم ما رواه الحافظ البيهقي من طريق يزيد بن هارون، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن البراء ابن عازب أنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر كلّهن في ذي القعدة، فقالت عائشة: لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التي حجّ معها وقال البيهقي في الخلافيات: أَخْبَرَنَا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنبأنا أبو محمّد بن حبان[٣] الأصبهاني، أنبأنا إبراهيم بن شريك، أنبأنا أحمد ابن يونس، ثنا زهير، ثنا أبو إسحاق عن مجاهد، قال: سئل ابن عمر: كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ فقال: مرتين، فقالت عائشة: لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى العمرة التي قرنها مع حجّة الوداع. ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا بأس به، لكن فيه إرسال ـ مجاهد لم يسمع من عائشة في قول بعض المحدّثين، قلت: كان شعبة ينكره، وأما البخاري ومسلم فإنهما أثبتاه والله أعلم. وقد روي من حديث القاسم بن عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر، وعروة بن الزبير وغير واحد عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان معه الهَدْي عام حجّة الوداع، وفي إعمارها من التنعيم ومصادقتها له منهبطاً على أهل مكة، وبيتوته بالمحصب حتى صلّى الصبح بمكة، ثم رجع إلى المدينة. وهذا كله مما يدلّ على أنه عليه السَّلام لم يعتمر بعد حجّته تلك، ولم أعلم أحداً من الصحابة نقله. ومعلوم أنه لم يتحلّل بين النسكين، ولا روى أحد أنه عليه السَّلام بعد طوافه بالبيت وسعيه بين الصفا والمروة حلق ولا قصّر ولا تحلّل، بل استمر على إحرامه باتفاق، ولم ينقل أنه أهلّ بحج لمّا سار إلى مِنَى، فعلم أنه لم يكن متمتعاً. وقد اتفقوا على أنه عليه السَّلام اعتمر عام حجّة الوداع، فلم يتحلّل بين النسكين ولا أنشأ إحراماً للحجّ، ولا اعتمر بعد الحجّ فلزم القران، وهذا مما يعسر الجواب عنه والله أعلم. وأيضاً فإن رواية القران مثبتة لما سكت عنه أو نفاه من روى الافراد والتمتع، فهي مقدمة عليها كما هو مقرر في علم الأصول، وعن أبي عمران أنه حجّ مع مواليه. قال: فأتيت أم سلمة فقلت: يا أم المؤمنين إني لم أحجّ قط، فأيهما أبدأ بالعمرة أم بالحجّ؟ قالت: ابدأ بأيهما شئت. قال: ثم أتيت صفيّة أم المؤمنين فسألتها فقالت لي مثل ما قالت لي، ثم جئت أم سَلَمة فأخبرتها بقول صفية فقالت لي أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا آل محمّد من حجّ منكم فليهلّ بعمرة في حجّة»[٤]،

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٢١.
(٢) عمرها: من العمرة في الحج.
(٣) في المصرية: ابن حسان.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢٩٧، ٢٩٨.

رواه ابن حبان في صحيحه وقد رواه ابن حزم في حجّة الوداع من حديث الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم عن أبي عمران، عن أم سَلَمة به.

فصل

إن قيل: قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه السَّلام أفرد الحج، ثم رويتم عن هؤلاء بأعيانهم وعن غيرهم أنه جمع بين الحجّ والعمرة فما الجمع من ذلك[١] فالجواب: أن رواية من روى أنه أفرد الحجّ محمولة على أنه أفرد أفعال الحجّ، ودخلت العمرة فيه نيّة وفعلاً ووقتاً، وهذا يدلّ على أنه اكتفى بطواف الحجّ وسعيه عنه وعنها، كما هو مذهب الجمهور في القارن، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، حيث ذهب إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين، واعتمد على ما روي في ذلك عن عليّ بن أبي طالب وفي الإسناد إليه نظر. وأما من روى التمتع ثم روى القران، فقد قدمنا الجواب عن ذلك بأن التمتع في كلام السلف أعم من التمتع الخاص والقران بل ويطلقونه على الاعتمار في أشهر الحج: وإن لم يكن معه حجّ. كما قال سعد بن أبي وقاص: تمتعنا مع رسول الله ﷺ وهذا ـ يعني معاوية ـ يومئذ كافر بالعرش ـ يعني بمكة ـ وإنما يريد بهذا إحدى العمرتين، إما الحُدَيْبية أو القضاء، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية قد أسلم لأنها كانت بعد الفتح، وحجّة الوداع بعد ذلك سنة عشر، وهذا بيّن واضح والله أعلم.

فصل

إن قيل: فما جوابها عن الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي في مسنده. حدّثنا هشام عن قتادة، عن أبي سيح الهنائي، واسمه صفوان بن خالد: أن معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ: أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن صَفَفِ النمور[٢]، قالوا: اللهم نعم! قال: وأنا أشهد قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب إلاَّ مقطعاً، قالوا: اللهم نعم! قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى أن يقرن بين الحجّ والعمرة، قالوا: اللهم لا! قال: والله إنها لمعهن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا همام عن قتادة عن أبي سيح الهنائي قال: كنت في ملإٍ من أصحاب رسول الله ﷺ عند معاوية فقال معاوية: أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود النمور أن يركب عليها، قالوا: اللهم نعم! قال: وتعلمون أنه نهى عن لباس الذهب إلاَّ مقطعاً، قالوا: اللهم نعم! قال: وتعلمون أنه نهى عن الشرب في آنية الذهب والفضة، قالوا: اللهم نعم! قال: وتعلمون أنه نهى عن المتعة ـ يعني متعة الحجّ ـ قالوا: اللهم لا[٣]!.

---

(١) هكذا في النسخ، ولعلها: بين ذلك.

(٢) صفف: ج صفة، وهي ما يفرش تحت السرج.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٩٢.

وقال أَحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، ثنا سعيد عن قتادة، عن أَبي سيح الهنائي، أنه شهد معاوية وعنده جمع من أصحاب النّبيّ ﷺ فقال لهم معاوية: أتعلمون أن رسول الله نهى عن ركوب جلود النمور قالوا: نعم! قال: تعلمون أن رسول الله نهى عن لبس الحرير، قالوا: اللهم نعم! قال: أتعلمون أن رسول الله نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة قالوا: اللهم نعم! قال: أتعلمون أن رسول الله نهى عن جمع بين حجّ وعمرة قالوا: اللّهم لا! قال: فوالله إنها لمعهن[1]. وكذا رواه حمّاد بن سلمة عن قتادة، وزاد: ولكنكم نسيتم، وكذا رواه أشعث بن نزار، وسعيد بن أَبي عروبة، وهمام عن قتادة بأصله. ورواه مطر الورّاق وبهيس بن فهدان عن أَبي سيح، في متعة الحجّ. فقد رواه أَبو داود والنسائي من طرق عن أَبي سيح الهنائي به، وهو حديث جيّد الإسناد، ويستغرب منه رواية معاوية رضي الله عنه، النهي عن الجمع بين الحجّ والعمرة، ولعل أصل الحديث النهي عن المتعة، فاعتقد الراوي أنها متعة الحجّ، وإنما هي متعة النساء، ولم يكن عند أولئك الصحابة رواية في النهي عنها، أو لعلّ النهي عن الاقران في التمر كما في حديث ابن عمر، فاعتقد الراوي أن المراد القران في الحجّ وليس كذلك، أو لعل معاوية رضي الله عنه قال: إنما قال أتعلمون أنه نهى عن كذا، فبناه بما لم يسم فاعله، فصرح الراوي بالرفع إِلى النّبيّ ﷺ، ووهم في ذلك، فإن الذي كان ينهى عن متعة الحج إنما هو عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن نهيه عن ذلك على وجه التحريم والحتم كما قدمنا، وإنما كان ينهى عنها لتفرّد عن الحجّ بسفر آخر ليكثر زيارة البيت، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يهابونه كثيراً، فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً، وكان ابنه عبد اللّه يخالفه فيقال له: إن أباك كان ينهى عنها، فيقول: لقد خشيت أن يقع عليكم حجارة من السماء قد فعلها رسول الله ﷺ أفسنّة رسول الله تتبع، أم سنّة عمر بن الخطاب، وكذلك كان عثمان بن عفّان رضي الله عنه ينهى عنها، وخالفه عليّ بن أَبي طالب كما تقدّم. وقال: لا أدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس. وقال عمران بن حصين: تمتعنا مع رسول الله ﷺ، ثم لم ينزل قرآن يحرّمه، ولم ينه عنها رسول الله ﷺ حتى مات[2]، أخرجاه في الصحيحين. وفي صحيح مسلم عن سعد أنه أنكر على معاوية إنكاره المتعة، وقال قد فعلناها مع رسول الله ﷺ، وهذا يومئذ كافر بالعرش يعني معاوية أنه كان حين فعلوها مع رسول الله ﷺ كافراً بمكة يومئذ. قلت: وقد تقدّم أنه عليه السّلام حجّ قارناً بما ذكرناه من الأحاديث الواردة في ذلك، ولم يكن بين حجّة الوداع وبين وفاة رسول الله ﷺ إِلاّ أحد وثمانون يوماً، وقد شهد الحجّة ما ينيف عن أربعين ألف صحابي قولاً منه وفعلاً، فلو كان قد نهى عن القران في الحجّ الذي شهده منه الناس، لم ينفرد به واحد من الصحابة، ويردّه عليه جماعة منهم ممن سمع منه، ولم يسمع، فهذا كلّه مما يدلّ على أن هذا هكذا ليس محفوظاً عن معاوية رضي الله عنه والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود في اللباس باب ٤٢، والحج باب ٢٣، والنسائي في الفرع والعتيرة باب ٧، والترمذي في اللباس باب ٣٢، وأحمد في المسند ٩٨/٤، ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٦، ومسلم في الحج حديث ١٧٠، وأحمد في المسند ٤٢٩/٤.

وقال أَبو داود: حدّثنا أَحمد بن صالح، ثنا ابن وهب، أخبرني حيوة، أخبرني أَبو عيسى الخراساني عن عبد اللّه بن القاسم الخراساني، عن سعيد بن المسيّب، أن رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ أتى عمر بن الخطّاب فشهد أنه سمع رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحجّ[1] وهذا الإسناد لا يخلو عن نظر، ثم إن كان هذا الصحابيّ عن معاوية، فقد تقدّم الكلام على ذلك ولكن في هذا النهي عن المتعة لا القران. وإن كان في غيره فهو مشكل في الجملة لكن لا على القران والله أعلم.

ذكر مستند من قال: أنه عليه الصلاة والسلام أطلق الإحرام ولم يعين حجاً ولا عمرة أولاً، ثم بعد ذلك صرفه إلى معين، وقد حكي عن الشافعي أنه الأفضل، إلاّ أنه قول ضعيف. قال الشافعي رحمه الله: أنبأنا سفيان، أنبأنا ابن طاوس، وإبراهيم بن ميسرة، وهشام بن حجير، سمعوا طاوساً يقول: خرج رسول الله ﷺ من المدينة لا يسمي حجاً ولا عمرة، ينتظر القضاء، فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم من أهلّ بالحجّ، ولم يكن معه هَدْي أن يجعلها عمرة. وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهَدْي ولكن لبّدت رأسي، وسقت هَدْيي فليس لي محل إلاّ محل هَدْيي» فقام إليه سراقة بن مالك. فقال: يا رسول الله اقضِ لنا قضاء، كأنما ولدوا اليوم أعمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد. فقال رسول الله ﷺ: «بل للأبد دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة» قال: فدخل عليّ من اليمن فسأله النبيّ ﷺ بمَ أهللت؟ فقال: أحدهما لبّيك إهلال النبيّ ﷺ، وقال الآخر: لبيك حجّة النبيّ ﷺ، وهذا مرسل طاوس وفيه غرابة، وقاعدة الشافعي رحمه الله أنه لا يقبل المرسل بمجرده حتى يعتضد بغيره، اللّهمّ إلاّ أن يكون عن كبار التابعين كما عوّل عليه كلامه في الرسالة، لأن الغالب أنهم لا يرسلون إلاّ عن الصحابة والله أعلم. وهذا المرسل ليس من هذا القبيل بل هو مخالف للأحاديث المتقدّمة، كلّها أحاديث الإفراد وأحاديث التمتع، وأحاديث القران وهي مسندة صحيحة، كما تقدم فهي مقدمة عليه ولأنها مثبتة أمراً نفاه هذا المرسل، والمثبت مقدم على النافي لو تكافئا، فكيف والمسند صحيح والمرسل من حيث لا ينهض حجّة لانقطاع سنده والله تعالى أعلم. وقال الحافظ أَبو بكر البيهقي: أنبأنا أَبو عبد اللّه الحافظ، أنبأنا أَبو العباس الأصم، حدّثنا العباس بن محمّد الدوري، حدّثنا محاضر، حدّثنا الأعمش عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر حجاً ولا عمرة، فلما قدمنا أمرنا أن نحلّ، فلما كانت ليلة النفر حاضت صفيّة بنت حيي[2]. فقال النبيّ ﷺ: «حَلْقى عقرى[3] ما أراها إلاّ حابستكم». قال: «هل كنت طفت يوم النحر» قالت: نعم! قال: «فانفري». قالت

---

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٢٣.

(٢) في ط: حي.

(٣) حلقى عقرى: هكذا يرويه المحدثون بالألف التي هي ألف التأنيث، ويكتبونه بالياء ولا ينونونه قال النووي وقال أبو عبيد: معنى عقرى: عقرها الله تعالى، يعني عقر جسدها وأصابها بوجع في حلقها، وقال: إنما هو عقراً وحلقاً وهذا على مذهب العرب في الدعاء على الشيء من غير إرادة وقوعه، وعقرى تجيء نعتاً وهي لا تجوز في الدعاء.

قلت: يا رسول الله إني لم أكن أهللت قال: «فاعتمري من التنعيم» قال: فخرج معها أخوها، قالت: فلقينا مدلجاً. فقال: موعدكنّ كذا وكذا، هكذا رواه البيهقي. وقد رواه البخاري عن محمّد قيل هو ابن يَحْيَىٰ الذهلي، عن محاضر بن المورع به، إلاّ أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلاّ الحجّ[١]، وهذا أشبه بأحاديثها المتقدمة، ولكن روى مسلم عن سويد بن سعيد، عن عليّ بن مسهر، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر حجاً ولا عمرة[٢] وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث منصور عن إبراهيم، عن الأسود، عنها. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ ولا نرى إلاّ أنه الحجّ[٣]، وهذا أصح وأثبت والله أعلم. وفي رواية لها من هذا الوجه خرجنا نلبي ولا نذكر حجاً ولا عمرة، وهو محمول على أنهم لا يذكرون ذلك مع التلبية، وإن كانوا قد سمّوه حال الإحرام كما في حديث أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لبّيك اللّهمّ حجاً وعمرة». وقال أنس: وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً. فأما الحديث الذي رواه مسلم من حديث داود بن أبي هند، عن أَبي نضرة، عن جابر وأَبي سعيد الخدري. قالا: قدمنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصرخ بالحج صراخاً[٤]، فإنه حديث مشكل على هذا والله أعلم.

ذكر تلبية رسول الله ﷺ

قال الشافعي: أَخْبَرَنَا مالك عن نافع، عن عبد اللّه بن عمر: أن تلبية رسول الله ﷺ: **«لبيك اللهم لبيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لك لا شريك لك»** وكان عبد اللّه بن عمر يزيد فيها: لبّيك اللهم وسعديك، والخير في يديك لبّيك، والرغباء إليك والعمل[٥]. ورواه البخاري عن عبد اللّه بن يوسف، ومسلم عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، كلاهما عن مالك به.

وقال مسلم: حدّثنا محمّد بن عبّاد، حدّثنا حاتم بن إسماعيل عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد اللّه بن عمر عن نافع مولى عبد اللّه بن عمر وحمزة بن عبد اللّه بن عمر، عن عبد اللّه بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهلّ؛ فقال: **«لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لك لا شريك لك»**. قالوا: وكان عبد اللّه يقول هذه تلبية رسول الله. قال نافع: وكان عبد اللّه يزيد مع هذا لبّيك لبّيك لبّيك، وسعديك والخير بيديك [لبّيك] والرغباء إليك والعمل[٦]. حدّثنا محمّد

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ١٥١.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٢٩.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ومسلم في في الحج حديث ١٢٨، وأحمد في المسند ٦/ ١٢٢.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢١٢، وأحمد في المسند ٣/ ٥.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٦، ومسلم في الحج حديث ١٩، ومالك في الحج حديث ٢٨.
(٦) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٠.

ابن المثنى، حدّثنا يَحْيَىٰ بن سعيد عن عُبَيد اللّه أخبرني نافع عن ابن عمر قال: تلقفت التلبية من رسول الله ﷺ فذكر بمثل حديثهم: حدَّثني رملة بن يَحْيَىٰ، أَخْبَرَنَا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب. قال: قال سالم بن عبد اللّه بن عمر: أخبرني عن أبيه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يهل ملبّياً يقول: «**لبّيك اللّهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**» لا يزيد على هؤلاء الكلمات، وإن عبد اللّه بن عمر كان يقول: كان رسول الله ﷺ يركع بذي الحليفة ركعتين فإذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهلّ بهؤلاء الكلمات. وقال عبد اللّه بن عمر: كان عمر بن الخطاب يهلّ بإهلال النّبيّ ﷺ من هؤلاء الكلمات وهو يقول: لبّيك اللّهمّ لبّيك، وسعديك والخير في يديك لبّيك والرغباء إليك والعمل[1]. هذا لفظ مسلم، وفي حديث جابر من التلبية كما في حديث ابن عمر، وسيأتي مطولاً قريباً رواه مسلم منفرداً به.

وقال البخاري بعد إيراده من طريق مالك عن نافع، عن ابن عمر ما تقدّم: حدّثنا محمّد ابن يوسف، ثنا سفيان عن الأعمش، عن عمارة، عن أبي عطية، عن عائشة. قالت: إني لأعلم كيف كان النّبيّ ﷺ يلبّي: «**لبّيك اللّهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك**» تابعه أبو مُعاوية عن الأعمش، وقال شعبة: أَخْبَرَنَا سليمان، سمعت خيثمة عن أبي عطية، سمعت عائشة[2] تفرّد به البخاري. وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الرّحمٰن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن سليمان بن مهران الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن أبي عطية الوادي، عن عائشة فذكر مثل ما رواه البخاري سواء، ورواه أحمد عن أبي معاوية، وعبد اللّه بن نمير عن الأعمش، كما ذكره البخاري سواء، ورواه أيضاً عن محمّد بن جعفر، وروح بن عبادة عن شعبة، عن سليمان بن مهران الأعمش به. كما ذكره البخاري وكذلك رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة سواء.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن فضيل، حدّثنا الأعمش عن عمارة بن عمير، عن أبي عطية. قال قالت عائشة: إني لأعلم كيف كان رسول الله ﷺ يلبّي. قال: ثم سمعتها تلبّي. فقالت: لبّيك اللّهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. فزاد في هذا السياق وحده والملك لا شريك لك[3]. وقال البيهقي: أَخْبَرَنَا الحاكم، أنبأنا الأصم، ثنا محمّد بن عبد اللّه بن عبد الحكم، أنبأنا ابن وهب، أخبرني عبد العزيز بن عبد اللّه ابن أبي سلمة، أن عبد اللّه بن الفضل حدّثه عن عبد الرّحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة أنه قال: كان من تلبية رسول الله ﷺ: «**لبّيك إله الحق**»[4]. وقد رواه النسائي عن قتيبة، عن حميد بن عبد الرّحمٰن، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعليّ بن

---

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢١.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٢٦، وأحمد في المسند ٦/ ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٢.

(٤) أخرجه النسائي في المناسك باب ٥٤، وابن ماجه في المناسك باب ١٥.

محمّد، كلاهما عن وكيع، عن عبد العزيز به. قال النسائي: ولا أعلم أحداً أسنده عن عبد الله ابن الفضل إلاّ عبد العزيز، ورواه إسماعيل بن أمية مرسلاً. وقال الشافعي: أنبأنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج، أخبرني حميد الأعرج عن مجاهد. أنه قال: كان النبيّ ﷺ يظهر من التلبية لبّيك اللّهم لبّيك فذكر التلبية. قال: حتى إذا كان ذات يوم والناس يصرفون عنه كأنه أعجبه ما هو فيه، فزاد فيها: «لبّيك إن العيش عيش الآخرة». قال ابن جريج: وحسبت أن ذلك يوم عرفة. هذا مرسل من هذا الوجه.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: **أَخْبَرَنَا** عبد الله الحافظ، أخبرني أبو أَحمد يوسف بن محمّد بن محمّد بن يوسف، حدّثنا محمّد بن إِسحاق بن خزيمة، ثنا نصر بن عليّ الجهضمي، ثنا محبوب بن الحسن، ثنا داود عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خطب بعرفات فلما قال: «لبّيك اللّهمّ لبّيك». قال: «إنما الخير خير الآخرة». وهذا إسناد غريب، وإسناده على شرط السنن، ولم يخرجوه.

وقال الإمام أَحمد: **حدّثنا** روح، ثنا أسامة بن زيد، حدَّثني عبد اللّه بن أَبي لبيد عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«أمرني جبرائيل برفع الصوت في الإهلال فإنه من شعائر الحج»**[1]. تفرّد به أَحمد وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم، عن محمّد بن عبد اللّه بن عبد الحكم، عن ابن وهب، عن أسامة بن زيد، عن محمّد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان، وعبد اللّه بن أَبي لبيد عن المطلب عن أَبي هريرة، عن رسول الله ﷺ فذكره وقد قال عبد الرزّاق: أَخْبَرَنَا الثوري عن ابن أَبيَ لبيد، عن المطلب بن حنطب، عن خلاّد، عن السائب، عن زيد بن خالد. قال: جاء جبريل إِلى النّبيّ ﷺ فقال: مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها شعار الحج[2]. وكذا رواه ابن ماجه عن عليّ بن محمّد، عن وكيع، عن الثوري به. وكذلك رواه شعبة وموسى بن عقبة عن عبد اللّه بن أَبي لبيد به.

وقال الإمام أَحمد: **حدّثنا** وكيع، ثنا سليمان عن عبد اللّه بن أَبي لبيد، عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب، عن خلاّد بن السائب، عن زيد بن خالد الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ: **«جاءني جبرائيل فقال: يا محمّد مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها شعار الحج»**[3]. قال شيخنا أَبو الحجّاج المزّي في كتابه الأطراف: وقد رواه معاوية عن هشام وقبيصة عن سفيان الثوري، عن عبد اللّه بن أَبي لبيد، عن المطلب، عن خلاّد بن السائب، عن أبيه، عن زيد بن خالد به. وقال أَحمد: ثنا سفيان بن عيينة عن عبد اللّه بن أَبي بكر، عن عبد الملك بن أَبي بكر بن الحارث بن هشام، عن خلاّد بن السائب بن خلاّد، عن أبيه، عن النّبيّ ﷺ قال: **«أتاني جبرائيل فقال: مُر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالإهلال»**[4]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٥.
(٢) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب ١٦.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٩٢.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٥٥.

وقال أحمد: قرأت على عبد الرَّحمٰن بن مهدي عن مالك، وحدّثنا روح، ثنا مالك يعني ابن أنس، عن عبد اللّه بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم، عن عبد اللّه بن أبي بكر بن عبد الرَّحمٰن بن الحارث بن هشام، عن خلاّد بن السائب الأنصاري، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبرائيل فأمرني أن آمر أصحابي ـ أو من معي ـ أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإهلال»[١] ـ يريد أحدهما، وكذلك رواه الشافعي عن مالك، ورواه أبو داود عن القعنبي عن مالك به. ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث ابن جريج، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن عبد اللّه بن أبي بكر به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحافظ البيهقي: ورواه ابن جريج قال: كتب إليّ عبد اللّه بن أبي بكر فذكره، ولم يذكر أبا خلاّد في إسناده، قال: والصحيح رواية مالك وسفيان بن عيينة عن عبد اللّه بن أبي بكر، عن عبد الملك، عن خلاّد بن السائب، عن أبيه، عن النّبيّ ﷺ كذلك، قال البخاري وغيره كذا قال. وقد قال الإمام أحمد[٢] في مسنده: حدّثنا السائب بن خلاّد بن سويد أبي سهلة الأنصاري، ثنا محمّد بن بكر، أنبأنا ابن جريج. وثنا روح، ثنا ابن جريج. قال: كتب إليّ عبد اللّه بن أبي بكر محمّد بن عمرو بن حزم عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرَّحمٰن بن الحارث بن هشام، عن خلاّد بن السائب الأنصاري، عن أبيه السائب بن خلاد. أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبرائيل فقال: إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية والإهلال». وقال روح بالتلبية أو الإهلال. قال: لا أدري أينا وهل أنا أو عبد اللّه أو خلاّد في الإهلال أو التلبية، هذا لفظ أحمد في مسنده. وكذلك ذكره شيخنا في أطرافه عن ابن جريج كرواية مالك وسفيان بن عيينة فالله أعلم.

فصل في إيراد حديث جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه في حجّة رسول الله ﷺ وهو وحده منسك مستقل

رأينا أن إيراده ههنا أنسب لتضمّنه التلبية وغيرها كما سلف، وما سيأتي فنورد طرقه وألفاظه ثم نتبعه بشواهده من الأحاديث الواردة في معناه وبالله المستعان. قال الإمام أحمد: حدّثنا يَحْيَىٰ بن سعيد، ثنا جعفر بن محمّد، حدّثني أبي قال: أتينا جابر بن عبد اللّه وهو في بني سَلِمة، فسألناه عن حجّة رسول الله ﷺ فحدّثنا أن رسول الله ﷺ مكث في المدينة تسع سنين لم يحجّ، ثم أذن في الناس أن رسول الله ﷺ حاج في هذا العام. قال: فنزل المدينة بشرٌ كثير، كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ ويفعل ما يفعل، فخرج رسول الله ﷺ لخمس[٣] بقين من ذي القعدة، وخرجنا معه حتى إذا أتى ذا الحليفة نفست أسماء بنت عميس بمحمّد بن

---

(١) أخرجه أبو داود في المناسك باب ٢٦، ومالك في الحج حديث ٣٤، وأحمد في المسند ٥٦/٤، والترمذي في الحج باب ١٥، والنسائي في المناسك باب ٥٥، وابن ماجه في المناسك باب ١٦.

(٢) المسند ٥٦/٤.

(٣) في المسند: لعشر.

أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي[١] ثم استثفري بثوب[٢]، ثم أهلّي»، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أهلّ بالتوحيد: لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. ولبّى الناس، والناس يزيدون ذا المعارج ونحوه من الكلام، والنّبيّ ﷺ يسمع فلم يقل لهم شيئاً فنظرت مد بصري بين يدي رسول الله ﷺ من راكب وماش ومن خلفه كذلك وعن يمينه مثل ذلك، وعن شماله مثل ذلك. قال جابر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملناه، فخرجنا لا ننوي إلاّ الحجّ حتى إذا أتينا الكعبة، فاستلم نبي الله ﷺ الحجر الأسود، ثم رمل ثلاثة ومشى أربعة، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم، فصلّى خلفه ركعتين ثم قرأ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: ١٢٥]. قال أحمد: وقال أبو عبد الله ـ يعني جعفر ـ فقرأ فيهما بالتوحيد، وقل يا أيها الكافرون، ثم استلم الحجر وخرج إلى الصفا ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٥٨]. ثم قال: «نبدأ بما بدأ[٣] الله به» فرقي على الصفا حتى إذا نظر إلى البيت كبّر. ثم قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له [له] الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلاّ الله وحده أنجز وعده وصدق وعده وهزم ـ أو غلب ـ الأحزاب وحده. ثم دعا ثم رجع إلى هذا الكلام، ثم نزل حتى إذا أنصبت قدماه في الوادي رمل حتى إذا صعد مشى، حتى إذا أتى المروة فرقي عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا، فلما كان السابع عند المروة. قال: «**يا أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهَدْي ولجعلتها عمرة، فمن لم يكن معه هَدْي فليحلّ وليجعلها عمرة**». فحلّ الناس كلّهم، فقال سراقة بن مالك بن جعشم وهو في أسفل الوادي: يا رسول الله ألِعَامنا هذا أم للأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه فقال: «**للأبد**» ثلاث مرات. ثم قال: «**دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة**». قال: وقدم عليّ من اليمن بهَدْي وساق رسول الله ﷺ معه من هَدْي المدينة هدياً، فإذا فاطمة قد حلّت ولبست ثياباً صبيغاً[٤] واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت: أمرني به أبي. قال: قال عليّ بالكوفة: قال جعفر: قال إلى هذا الحرف، لم يذكره جابر فذهبت محرشاً[٥] أستفتي رسول الله ﷺ في الذي ذكرت فاطمة، قلت: إن فاطمة لبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، وقالت: أمرني أبي. قال: صدقت صدقت أنا أمرتها به. وقال جابر، وقال لعليّ: «**بِمَ أهللت**»؟ قال: قلت: اللّهم إني أهلّ بما أهلّ به رسولك، قال ومعي الهَدْي، قال: «**فلا تحلّ**». قال: وكان جماعة الهَدْي الذي أتى به عليّ من اليمن، والذي أتى به رسول

---

(١) في ط: اغتلسي.

(٢) في المسند: واستذفري: والاستثفار هو أن تشد في وسطها شداً، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها.

(٣) في ط: بلدأ.

(٤) كذا في الأصل: ولعله ثوباً صبيغاً.

(٥) محرشاً: قال النووي: التحريش: الإغراء، والمراد هنا أن يذكر له ما يقتضي عتابها.

الله ﷺ مائة، فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثاً وستين، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر[١] وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم قال رسول الله ﷺ: «قد نحرت ههنا ومِنَى كلّها منحر»، ووقف بعَرَفة فقال: «وقفت ههنا، وعرفة كلّها موقف»، ووقف بالمزدلفة وقال: «وقفت ههنا والمزدلفة كلّها موقف»[٢]. هكذا أورد الإمام أحمد هذا الحديث وقد اختصر آخره جداً. ورواه الإمام مسلم بن الحجّاج في المناسك من صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله فذكره. وقد أعلمنا على الزيادات المتفاوتة من سياق أحمد ومسلم إلى قوله عليه السّلام لعليّ «صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج». قال: قلت: اللّهمّ إني أهلّ بما أهلّ به رسولك ﷺ. قال [عليّ]: فإن معي الهَدْي. قال: «فلا تحلّ» قال: فكان جماعة الهَدْي الذي قدم به عليّ من اليمن والذي أتى به رسول الله ﷺ مائة. قال: فحلّ الناس كلّهم وقصروا إلاّ النبيّ ﷺ ومن كان معه هَدْي، فلما كان يوم التروية توجّهوا إلى مِنَى، فأهلّوا بالحجّ، وركب رسول الله ﷺ فصلّى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبّة له من شعر، فضربت له بنَمِرة[٣] فسار رسول الله ﷺ ولا تشكّ قريش إلاّ أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عَرَفة، فوجد القبّة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فَرُحِلَتْ له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إنّ دماءَكم وأموالَكم حَرامٌ عليكم كحرمةِ يومِكمْ هٰذا، في شهركم هٰذا، في بلدِكم هذا، ألا كلُّ شيء من أمرِ الجاهلية تَحتَ قدمي موضوع، ودماءُ الجاهليةِ موضوعةٌ، وإنَّ أولَ دم أضعُ من دمائنا دمَ ابن[٤] ربيعةَ بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سَعْد فقتلته هُذَيْل. ورباء الجاهليةِ موضوع، وأول ربا أضعه من ربانا رِبا العبّاس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كلّه، واتّقوا الله في النساء، فإنّكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهم أن لا يوطئْنَ فرشَكُم أحداً تكرهونَه، فإنْ فعلنَ ذلك فاضربوهن ضرباً غيرَ مبرِّح، ولهنَّ عليكم رزقُهنّ وكسوتُهُنّ بالمعروف، وقد تركتُ فيكم ما لمْ تضِلّوا بعدَه إنِ اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون» قالوا: نشهد أنكَ قد بلّغت ونصحت وأدّيت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويَنْكُتُها إلى النّاس: «اللّهمّ اشْهَد اللّهمّ اشهد» ثلاث مرات، ثم أذّن ثم أقام فصلّى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصوى إلى الصخرات[٥]

---

(١) ما غبر: أي ما بقي. وغبر أيضاً: مضى وهو من الأضداد.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) نمرة: موضع بجوار عرفات، وليس من عرفات.

(٤) قال السهيلي: اسمه آدم وقيل تمام.

(٥) الصخرات: هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات.

وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، حتى غاب القرص، وأردف أسامة بن زيد خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شَنَقَ لِلقصواء الزمامَ حتى أنَّ رأسَها ليَصيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، ويقول بيده اليمنى: «أيُّها النّاسُ! السَّكينةُ السَّكينةُ» كلّما أتى حبلاً من الحبال[١] أرخى لها قليلاً حتى تصعَد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ولم يسبّح بينهما شيئاً، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حتى تبيّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعا فحمد الله وكبّره وهلّله ووحّده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، ودفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن العبّاس، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض، وسيماً، فلما دفع رسول الله ﷺ مرّت ظعن بجرين، فطفق الفضل ينظر إليهنّ، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحوّل الفضل يده إلى الشقّ الآخر، فحوّل رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى إذا أتى بطن محسر، فحرّك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة منها حصى الخذف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر، وأشركه في هَدْيه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله ﷺ فافاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب وهم يستقون على زمزم، فقال: **«انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم»**. فناولوه دلواً فشرب منه[٢]. ثم رواه مسلم عن عمر بن حفص، عن أبيه، عن جعفر بنِ محمّد، عن أبيه، عن جابر فذكره بنحوه. وذكر قصّة أَبي سنان[٣] وأنه كان يدفع بأهل الجاهلية على حمار عُري، وأن رسول الله ﷺ قال: **«نحرت ههنا ومِنَى كلّها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت ههنا وعرفة كلّها موقف، ووقفت ههنا وجمع كلّها موقف»**[٤].

وقد رواه أَبو داود بطوله عن النفيلي وعثمان بن أبي شيبة، وهشام بن عمّار، وسليمان بن عبد الرّحمٰن، وربّما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشيء، أربعتهم عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفرِ بنحو من رواية مسلم، وقد رمزنا لبعض زياداته عليه، ورواه أَبو داود أيضاً والنسائي عن يعقوب بن إبراهيم، عن يَحْيَىٰ بن سعيد القطّان، عن جعفر به، ورواه النسائي أيضاً عن محمّد ابن المثنى، عن يَحْيَىٰ بن سعيد ببعضه عن إبراهيم بن هارون البلخي، عن حاتم بن إسماعيل ببعضه.

---

(١) حبلاً من الحبال، والحبل: التل اللطيف من الرمل الضخم.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.

(٣) في صحيح مسلم: أبي سيارة

(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٨، وأبو داود في المناسك باب ٥٧، والنسائي في المناسك باب ٤٦، ٥١.

ذكر الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وهو ذاهب من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته

قال البخاري: باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النّبيّ ﷺ:

حدّثنا محمّد بن أبي بكر المقدمي، قال: ثنا فضيل بن سليمان قال: ثنا موسى بن عقبة. قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها، ويحدّث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النّبيّ ﷺ يصلي في تلك الأمكنة. وحدَّثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يصلي في تلك الأمكنة، وسألت سالماً فلا أعلمه إلاّ وافق نافعاً في الأمكنة كلّها، إلاّ أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء[١] قال: حدّثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا أنس بن عياض قال: ثنا موسى بن عقبة عن نافع: أن عبد اللّه أخبره أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر، وفي حجّته حين حجّ تحت سمرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق، أو في حجّ أو عمرة، هبط من بطن واد، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية، فعرّس[٢] ثمّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة، ولا على الأكمة التي عليها المسجد، كان ثَمّ خليجٌ يصلي عبد اللّه عنده في بطنه كثب، كان رسول الله ﷺ ثمّ يصلي، فدحى السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد اللّه يصلي فيه[٣]، وأن عبد اللّه بن عمر حدَّثه أن النّبيّ ﷺ صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء، وقد كان عبد اللّه يعلم المكان الذي كان صلى فيه النّبيّ ﷺ يقول: ثمّ عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر، أو نحو ذلك[٤]، وأن ابن عمر كان يصلي إلى العرق[٥] الذي عند منصرف الروحاء، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف، وأنت ذاهب إلى مكة، وقد ابتنى ثَمّ مسجد، فلم يكن عبد اللّه يصلي في ذلك المسجد، كان يتركه عن يساره ووراءه، ويصلي أمامه إلى العرق نفسه، وكان عبد اللّه يروح من الروحاء فلا يصلي الظهر حتى يأتي ذلك المكان، فيصلي فيه الظهر، وإذا أقبل من مكّة فإن مرّ به قبل الصبح بساعة أو من آخر السحر، عرّس حتى يصلي بها الصبح[٦]، وأن عبد اللّه حدَّثه أن النّبيّ ﷺ كان ينزل تحت

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٨٩.
(٢) عرّس: قال الخطابي: التعريس: نزول استراحة لغير إقامة، وأكثر ما يكون في آخر الليل.
(٣) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ٨٩
(٤) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ٨٩.
(٥) العرق: قال أبو عبيد البكري: هو عرق الظبية.
(٦) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ٨٩.

سرحة ضخمة دون الرويثة[١] عن يمين الطريق، ووجاه الطريق في مكان بطح سهل حتى يفضي من أكمة دوين يريد الرويثة بميلين، وقد انكسر أعلاها، فانثنى في جوفها وهي قائمة على ساق، وفي ساقها كثب كثيرة[٢]. وأن عبد الله بن عمر حدَّثه أن النبيّ ﷺ صلى في طرف تلعة من وراء العرج[٣] وأنت ذاهب إلى هضبة، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة على القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق، عند سلمات الطريق بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة، فيصلي الظهر في ذلك المسجد[٤]. وان عبد الله بن عمر حدَّثه أن رسول الله ﷺ نزل عند سرحات عن يسار الطريق في مسيل دون هرشى[٥] ذلك المسيل لاصق بكراع هرشى، بينه وبين الطريق قريب من غلوة، وكان عبد الله يصلي إلى سرحة، هي أقرب السرحات إلى الطريق، وهي أطولهن[٦]. وأن عبد الله بن عمر حدَّثه أن رسول الله ﷺ كان ينزل في المسيل الذي في أدنى مرّ الظهران، قبل المدينة حين يهبط من الصفراوات[٧]، ينزل في بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ليس بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق إلاّ رمية بحجر[٨]، وان عبد الله بن عمر حدَّثه أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي طَوَى، ويبيت حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة، ومصلى رسول الله ﷺ ذلك على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بنى ثَمّ ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة[٩]. وأن عبد الله حدَّثه أن رسول الله ﷺ استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بنى ثَمّ يسار المسجد بطرف الأكمة[١٠]، ومصلى النبيّ ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء، تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم تصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة[١١]. تفرّد البخاري رحمه الله بهذا الحديث بطوله وسياقه، إلاّ أن مسلماً روى منه عند قوله في آخره وأن عبد الله بن عمر حدَّثه أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي طَوَى إلى آخر الحديث عن محمّد بن إسحاق المسيبي، عن أنس بن عياض، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر فذكره. وقد رواه الإمام أحمد بطوله عن

(١) الرويثة: قرية جامعة بينها وبين المدينة سبعة عشر فرسخاً.
(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ٨٩.
(٣) العرج: قرية جامعة بينها وبين الرويثة ثلاثة عشر أو أربعة عشر ميلاً.
(٤) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ٨٩.
(٥) هرشى: جبل على ملتقى طريق المدينة والشام قريب الجحفة، وكراع هرشى: طرفها.
(٦) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٨٩.
(٧) الصفراوات: مكان بعد مرّ الظهران مفردها صفراء.
(٨) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٨٩.
(٩) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ٨٩.
(١٠) الأكمة: التل المرتفع.
(١١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٨٩، ومسلم في الحج حديث ٢٢٨، ٢٢٩، وأحمد في المسند ٢/ ٨٧.

أَبي قرّة موسى بن طارق، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر به نحوه. وهذه الأماكن لا يعرف اليوم كثير منها أَو أكثرها لأنه قد غيّر أسماء أكثر هذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هناك، فإن الجهل قد غلب على أكثرهم. وإنما أوردها البخاري رحمه الله في كتابه لعلّ أحداً يهتدي إليها بالتأمّل والتفرّس والتوسم، أَو لعل أكثرها أَو كثيراً منها كان معلوماً في زمان البخاري، والله تعالى أعلم.

باب دخول النّبيّ ﷺ إلى مكة شرّفها الله عزّ وجلّ

قال البخاري: حدّثنا مسدد، ثنا يَحْيَىٰ بن عبد اللّه، حدَّثني نافع عن ابن عمر. قال: بات النّبيّ ﷺ بذي طَوًى حتى أصبح، ثم دخل مكة وكان ابن عمر يفعله[١]. ورواه مسلم من حديث يَحْيَىٰ بن سعيد القطّان به. وزاد حتى صلّى الصبح، أَو قال: حتى أصبح[٢]. وقال مسلم: ثنا أَبو الربيع الزهراني، ثنا حمّاد عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، كان لا يقدم مكّة إلاّ بات بذي طَوًى، حتى يصبح ويغتسل، ثم يدخل مكة نهاراً، ويذكر عن النّبيّ ﷺ أنه فعله[٣]. ورواه البخاري من حديث حمّاد بن زيد عن أيوب به. ولهما من طريق أخرى عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، كان إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية، ثم يبيت بذي طَوًى[٤] وذكره. وتقدم آنفاً ما أخرجاه من طريق موسى بن عقبة عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يبيت بذي طوى حتى يصبح، فيصلي الصبح حين يقدم مكة، ومصلى رسول الله ﷺ عند أكمة غليظة، وأن رسول الله ﷺ استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بنى ثَمّ يسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلى رسول الله ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء، يدع من الأكمة عشرة أذرع أَو نحوها، ثم يصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة. أخرجاه في الصحيحين. وحاصل هذا كله أنه عليه السّلام لما انتهى في مسيره إلى ذي طوى وهو قريب من مكة، متاخم للحرم، أمسك عن التلبية لأنه قد وصل إلى المقصود، وبات بذلك المكان حتى أصبح فصلى هنالك الصبح في المكان الذي وصفه بين فرضتي الجبل الطويل هنالك. ومن تأمّل هذه الأماكن المشار إليها بعين البصيرة عرفها معرفة جيدة، وتعين له المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ. ثم اغتسل صلوات الله وسلامه عليه لأجل دخول مكة، ثم ركب ودخلها نهاراً جهرة علانية من الثنية العليا التي بالبطحاء[٥]. ويقال كذا ليراه الناس ويشرف عليهم، وكذلك دخل منها يوم الفتح كما ذكرناه، قال مالك عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ دخل مكة من الثنية العليا، وخرج

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٩، وأحمد في المسند ٢/١٦.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٢٦.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٢٧.
(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٨، ١٤٩، وأحمد في المسند ٢/٤٨.
(٥) البطحاء والأبطح: هي بجنب المحصب وهذه الثنية ينحدر منها إلى مقابر المدينة.

من الثنية السفلى[١]، أخرجاه في الصحيحين من حديثه، ولهما من طريق عُبَيد الله بن عمر عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ دخل مكة من الثنية العليا التي في البطحاء، وخرج من الثنية السفلى[٢]. ولهما أيضاً من حديث هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة مثل ذلك. ولما وقع بصره عليه السَّلام على البيت. قال ما رواه الشافعي في مسنده: أَخْبَرَنَا سعيد بن سالم، عن ابن جريج: أن النّبيّ ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال: «اللّهمّ زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من شرّفه وكرّمه، ممن حجّه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً». قال الحافظ البيهقي: هذا منقطع وله شاهد مرسل عن سفيان الثوري، عن أبي سعيد الشامي، عن مكحول. قال: كان النّبيّ ﷺ إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبّر وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، فحيّنا ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً، وزد من حجّه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً». وقال الشافعي: أنبأنا سعيد بن سالم عن ابن جريج قال: حدّثت عن مقسم، عن ابن عبّاس، عن النّبيّ ﷺ. قال: «ترفع الأيدي في الصلاة وإذا رأى البيت وعلى الصفا والمروة وعشية عَرَفة، وبجمع، وعند الجمرتين، وعلى الميت». قال الحافظ البيهقي: وقد رواه محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، وعن نافع، عن ابن عمر مرة موقوفاً عليهما، ومرّة مرفوعاً إلى النّبيّ ﷺ دون ذكر الميت. قال: وابن أبي ليلى هذا غير قوي. ثم أنه عليه السَّلام دخل المسجد من باب بني شيبة. قال الحافظ البيهقي: روينا عن ابن جريج، عن عطاء ابن أبي رباح قال: يدخل المحرم من حيث شاء. قال: ودخل النّبيّ ﷺ من باب بني شيبة، وخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا. ثم قال البيهقي: وهذا مرسل جيد. وقد استدل البيهقي على استحباب دخول المسجد من باب بني شيبة بما رواه من طريق أبي داود الطيالسي، ثنا حماد بن سلمة وقيس بن سلام، كلّهم عن سمّاك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، عن عليّ رضي الله عنه. قال: لما انهدم البيت بعد جَرْهُم، بنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه فاتّفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شَيْبة، فأمر رسول الله ﷺ بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه وقد ذكرنا هذا مبسوطاً في باب بناء الكعبة قبل البعثة. وفي الاستدلال على استحباب الدخول من باب بني شيبة بهذا نظر والله أعلم.

صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه

قال البخاري: حدّثنا أصبغ بن الفرج عن ابن وهب، أخبرني عمرو بن محمّد عن محمّد ابن عبد الرَّحمٰن. قال: ذكرت لعروة قال: أخبرتني عائشة: أن أول شيء بدأ به حين قدم النّبيّ

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٤٠، ومالك في الحج حديث ٦.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٤١، ومسلم في الحج ٢٢٣، ٢٢٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٤، ٢٩، ٦/ ٤٠.

ﷺ أنه توضأ ثم طاف، ثم لم تكن عمرة، ثم حجّ أبو بكر وعمر مثله. ثم حججت مع أبي الزبير، فأول شيء بدأ به الطواف. ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلونه. وقد أخبرتني أمي أنها أهلّت هي وأختها والزبير وفلان وفلان بعمرة، فلما مسحوا الركن حلّوا[1]. هذا لفظه. وقد رواه في موضع آخر عن أحمد بن عيسى ومسلم عن هارون بن سعيد ثلاثتهم عن ابن وهب به. وقولها ثم لم تكن عمرة يدل على أنه عليه السلام لم يتحلّل بين النسكين، ثم كان أول ما ابتدأ به عليه السلام استلام الحجر الأسود قبل الطواف، كما قال جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً.

وقال البخاري: ثنا محمّد بن كثير، ثنا سفيان عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عابس ابن ربيعة، عن عمر أنه جاء إلى الحجر فقبّله، وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك[2].

ورواه مسلم عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، وأبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب. وابن أبي نمير جميعاً عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر يقبّل الحجر ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن عبيد وأبو معاوية. قالا: حدّثنا الأعمش عن إبراهيم ابن عابس بن ربيعة. قال: رأيت عمر أتى الحجر فقال: أما والله لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله قبّلك ما قبّلتك، ثم دنا فقبّله[3]. فهذا السياق يقتضي أنه قال ما قال، ثم قبّله بعد ذلك بخلاف سياق صاحبي الصحيح، فالله أعلم. وقال أحمد: ثنا وكيع ويَحْيَىٰ، واللفظ لوكيع عن هشام، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب أتى الحجر فقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبّلك ما قبّلتك، وقال: ثم قبّله[4]. وهذا منقطع بين عروة بن الزبير، وبين عمر. وقال البخاري أيضاً: ثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا محمّد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال للركن: أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك فاستلمه. ثم قال: وما لنا والرمل، إنما كنا راءينا به المشركين، ولقد أهلكهم الله. ثم قال: شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا نحبّ أن نتركه[5]. وهذا يدلّ على أن الاستلام تأخّر عن القول.

وقال البخاري: حدّثنا أحمد بن سنان، ثنا يزيد بن هارون، ثنا ورقاء، ثنا زيد بن أسلم

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٣، ٧٨، ومسلم في الحج حديث ١٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٠، ومسلم في الحج حديث ٢٥١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٦، ٤٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٥٤.

(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٧.

عن أبيه. قال: رأيت عمر بن الخطّاب قبّل الحجر، وقال: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك[١].

وقال مسلم بن الحجاج: ثنا حرملة، حدّثنا ابن وهب، أخبرني يونس هو - ابن يزيد الأيلي - وعمرو - هو - ابن دينار. وحدّثنا هارون بن سعيد الايلي، أنبأنا ابن وهب، أخبرني عمرو عن ابن شهاب، عن سالم: أن أباه حدّثه أنه قال: قبّل عمر بن الخطّاب الحجر ثم قال: أما والله لقد علمت أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك[٢]. زاد هارون في روايته قال عمرو: وحدَّثني بمثلها زيد بن أسلم عن أبيه أسلم - يعني - عن عمر به. وهذا صريح في أن التقبيل يقدم على القول فالله أعلم. وقال الإمام أحمد: ثنا عبد الرزّاق، أنبأنا عبد اللّه عن نافع، عن ابن عمر: أن عمر قبّل الحجر. ثم قال: قد علمت أنك حجر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك[٣]. هكذا رواه الإمام أحمد. وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن محمّد بن أبي بكر المقدمي، عن حمّاد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر قبّل الحجر وقال: لأني لأقبّلك، وإني لأعلم أنك حجر ولكني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك[٤]. ثم قال مسلم: ثنا خلف بن هشام والمقدمي وأبو كامل وقتيبة، كلّهم عن حمّاد قال خلف: ثنا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، عن عبد اللّه بن سرجس. قال: رأيت الأصلع - يعني - عمر يقبّل الحجر ويقول: والله إني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر، وأنك لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك[٥]. وفي رواية المقدمي وأبي كامل، رأيت الأصلع، وهذا من أفراد مسلم دون البخاري، وقد رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد اللّه بن سرجس به. ورواه أحمد أيضاً عن غندر، عن شعبة، عن عاصم الأحول به. وقال الإمام أحمد: ثنا عبد الرَّحمٰن بن مهدي عن سفيان، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة، قال: رأيت عمر يقبّل الحجر ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولكني رأيت أبا القاسم ﷺ بك حفياً[٦][٧]. ثم رواه أحمد عن وكيع، عن سفيان الثوري به. وزاد فقبّله والتزمه، وهكذا رواه مسلم من حديث عبد الرَّحمٰن بن مهدي بلا زيادة. ومن حديث وكيع بهذه الزيادة قبّل الحجر والتزمه. وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفياً[٨].

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٠.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٤٨.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٤.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٤٩.
(٥) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٥٠، وأحمد في المسند ١/ ٣٤، ٣٥، ٥٠، ٥١.
(٦) في ط: خفياً.
(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٥٢، وأحمد في المسند ١/ ٣٩.
(٨) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٥٤.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا وهيب، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس: أن عمر بن الخطاب أكبَّ على الركن وقال: إني لأعلم أنك حجر، ولو لم أرَ حبيبي ﷺ قبّلك واستلمك ما استلمتك ولا قبّلتك ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١] وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه. وقال أبو داود الطيالسي: ثنا جعفر بن عثمان القرشي من أهل مكة، قال: رأيت محمّد بن عباد بن جعفر قبّل الحجر، وسَجَد عليه. ثم قال: رأيت خالك ابن عبّاس قبّله وسجد عليه. وقال ابن عبّاس: رأيت عمر ابن الخطاب قبّله وسجد عليه. ثم قال عمر: لو لم أر النبي ﷺ قبّله ما قبّلته[1].

وهذا أيضاً إسناد حسن، ولم يخرجه إلاّ النسائي[2] عن عمرو بن عثمان، عن الوليد بن مسلم، عن حنظلة بن أبي سفيان، عن طاوس، عن ابن عباس، عن عمر فذكر نحوه. وقد روى هذا الحديث عن عمر الإمام أحمد أيضاً من حديث يعلى بن أمية عنه. وأبو يعلى الموصلي في مسنده من طريق هشام بن حشيش[3] بن الأشقر عن عمر. وقد أوردنا ذلك كلّه بطرقه وألفاظه وعزوه وعلله في الكتاب الذي جمعناه في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد والمنّة. وبالجملة فهذا الحديث مروي من طرق متعددة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي تفيد القطع عند كثير من أئمة هذا الشأن، وليس في هذه الروايات أنه عليه السّلام سجد على الحجر إلاّ ما أشعر به، رواية أبي داود الطيالسي عن جعفر بن عثمان، وليست صريحة في الرفع. ولكن رواه الحافظ البيهقي من طريق أبي عاصم النبيل، ثنا جعفر بن عبد الله. قال: رأيت محمّد بن عباد بن جعفر قبّل الحجر وسجد عليه، ثم قال: رأيت خالك ابن عباس قبّله وسجد عليه. وقال ابن عباس: رأيت عمر قبّله وسجد عليه. ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا ففعلت.

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عبدان، أنبأنا الطبراني، أنبأنا أبو الزنباع، ثنا يَحْيَىٰ بن سليمان الجعفي، ثنا يَحْيَىٰ بن يمان، ثنا سفيان بن أبي حسين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: رأيت رسول الله ﷺ سجد على الحجر. قال الطبراني: لم يروه عن سفيان إلاّ يَحْيَىٰ بن يمان. وقال البخاري: ثنا مسدد، ثنا حمّاد عن الزبير بن عربي، قال: سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر. قال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبّله، قال: أرأيت إن زحمت أرأيت إن غلبت؟ قال: اجعل أرأيت باليمن. رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبّله[4]، تفرّد به دون مسلم.

وقال البخاري: حدّثنا مسدد، ثنا يَحْيَىٰ عن عُبَيد اللّه، عن نافع، عن ابن عمر قال: ما تركت استلام هذين الركنين في شدّة ولا رخاء منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما، فقلت لنافع:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٢١.
(٢) كتاب المناسك باب ١٤٨.
(٣) في جميع النسخ ابن حشيش ولعله عن حشيش... الخ.
(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٠.

أكان ابن عمر يمشي بين الركنين؟ قال: إنما كان يمشي ليكون أيسر لاستلامه[١]. وروى أبو داود والنسائي من حديث يَحْيَىٰ بن سعيد القطان، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة[٢].

وقال البخاري: حدثنا أبو الوليد، ثنا ليث عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه. قال: لم أرَ النبيّ ﷺ يستلم من البيت إلاّ الركنين اليمانيين[٣]. ورواه مسلم عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، وقتيبة عن الليث بن سعد به. وفي رواية عنه أنه قال: ما أرى النبيّ ﷺ ترك استلام الركنين الشاميين إلاّ أنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم[٤].

وقال البخاري، وقال محمّد بن بكر: أنبأنا ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، عن أبي الشعثاء أنه قال: ومن يتقي شيئاً من البيت. وكان معاوية يستلم الأركان فقال له ابن عباس: إنه لا يستلم هذان الركنان، فقال له: ليس من البيت شيء مهجوراً، وكان ابن الزبير يستلمهن كلّهن[٥]. انفرد بروايته البخاري رحمه الله تعالى.

وقال مسلم في صحيحه: حدّثني أبو الطاهر، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن قتادة بن دعامة حدّثه أن أبا الطفيل البكري، حدّثه أنه سمع ابن عبّاس يقول: لم أر رسول الله ﷺ يستلم غير الركنين اليمانيين[٦]. انفرد به مسلم. فالذي رواه ابن عمر موافق لما قاله ابن عبّاس أنه لا يستلم الركنان الشاميان لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم، لأن قريشاً قصّرت بهم النفقة، فأخرجوا الحجر من البيت حين بنوه كما تقدم بيانه. وودّ النبيّ ﷺ أن لو بناه فتمّمه على قواعد إبراهيم ولكن خشي من حداثة عهد الناس بالجاهلية فتنكره قلوبهم، فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناها على ما أشار إليه ﷺ كما أخبرته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصدّيق. فإن كان ابن الزبير استلم الأركان كلّها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحسن جداً، وهو والله المظنون به.

وقال أبو داود: حدّثنا مسدد، ثنا يَحْيَىٰ عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كلّ طوافه[٧].. ورواه النسائي عن محمّد بن المثنى، عن يَحْيَىٰ، وقال النسائي: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ثنا يَحْيَىٰ بن سعيد القطّان عن ابن جريج، عن يَحْيَىٰ بن عبيد، عن أبيه، عن عبد الله بن السائب.

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٧.
(٢) أخرجه أبو داود في المناسك باب ٤٨، والنسائي في المناسك باب ١٥٦.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٩، ومسلم في الحج حديث ٢٤٢.
(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ١٠.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٩.
(٦) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٤٣.
(٧) أخرجه أبو داود في الحج باب ٤٨، والنسائي في المناسك باب ١٥٦.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الركن اليماني والحجر ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[١] [سورة البقرة: ٢٠١] ورواه أبو داود عن مسدد، عن عيسى بن يونس، عن ابن جريج به.

وقال الترمذي: حدّثنا محمود بن غيلان، ثنا يَحْيَىٰ بن آدم، ثنا سفيان عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر. قال: لما قدم النّبيّ ﷺ مكة دخل المسجد فاستلم الحجر، ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم أتى المقام فقال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: ١٢٥] فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت، ثم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه، ثم خرج إلى الصفا أظنه قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[٢] [سورة البقرة: ١٥٨] هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم. وهكذا رواه إسحاق بن راهويه عن يَحْيَىٰ بن آدم. ورواه الطبراني عن النسائي وغيره، عن عبد الأعلى بن واصل، عن يَحْيَىٰ ابن آدم به.

ذكر رمله[٣] عليه الصلاة والسلام في طوافه واضطباعه

قال البخاري: حدّثنا أصبغ بن الفرج، أخبرني ابن وهب عن يونس، عن ابن شهاب، عن سالم عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يخب[٤] ثلاثة أشواط من السبع[٥]. ورواه مسلم عن أبي الطاهر بن السرح، وحرملة كلاهما عن ابن وهب به. وقال البخاري: حدثنا محمّد بن سلام، ثنا شريح بن النعمان، ثنا فليح عن نافع، عن ابن عمر. قال: سعى النّبيّ ﷺ ثلاثة أشواط، ومشى أربعة في الحج والعمرة تابعه الليث. حدَّثني كثير بن فرقد عن نافع، عن ابن عمر، عن النّبيّ ﷺ[٦] انفرد به البخاري. وقد روى النسائي عن محمّد وعبد الرَّحمٰن ابني عبد اللّه بن عبد الحكم، كلاهما عن شعيب بن الليث، عن أبيه الليث بن سعد، عن كثير بن فرقد، عن نافع، عن ابن عمر به. وقال البخاري: حدّثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، ثنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن عبد اللّه ابن عمر. أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحجّ أو العمرة أول ما يقدم سعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة، ثم سجد سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة[٧] ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة. وقال البخاري: حدّثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا أنس عن عُبَيد اللّه بن عمر، عن

---

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٥٢، وأحمد في المسند ٣/ ٤١١.
(٢) أخرجه الترمذي في الحج باب ٣٣، والنسائي في المناسك باب ١٤٩.
(٣) رمل يرمل رملاً: أسرع في مشيته.
(٤) يخب الرمل والخبب بمعنى واحد، وهو إسراع المشي مع تقارب الخطا ولا يثب وثباً.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٦، ومسلم في الحج حديث ٢٣٢.
(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٧، والنسائي في المناسك باب ١٥٣.
(٧) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٣، ومسلم في الحج حديث ٢٣١.

نافع، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يخبّ ثلاثة أطواف ويمشي أربعة، وأنه كان يسعى ببطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة[١]. ورواه مسلم من حديث عُبَيد الله بن عمر، قال مسلم: أنبأنا عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا عُبَيد الله عن نافع، عن ابن عمر. قال: رمل رسول الله ﷺ من الحجر إلى الحجر ثلاثاً ومشى أربعاً[٢]. ثم رواه من حديث سليم بن أخضر عن عُبَيد الله بنحوه. وقال مسلم أيضاً: حدَّثني أبو طاهر، حدَّثني عبد الله بن وهب، أخبرني مالك وابن جريج عن جعفر ابن محمّد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله. أن رسول الله ﷺ رمل ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر. وقال عمر بن الخطاب فيم الرملان[٣]! والكشف عن المناكب، وقد أطد الله الإسلام ونفى الكفر ومع ذلك لا نترك شيئاً كنا نفعله مع رسول الله ﷺ[٤]. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي من حديث هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم، عن أبيه عنه. وهذا كلّه ردّ على ابن عبّاس ومن تابعه من أن المرسل ليس بسنّة، لأن رسول الله إنما فعله لما قدم هو وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني في عمرة القضاء ـ وقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم[٥] حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلّها إلاّ خشية الإبقاء عليهم[٦]. وهذا ثابت عنه في الصحيحين وتصريحه لعذر سببه في صحيح مسلم أظهر، فكان ابن عبّاس ينكر وقوع الرمل في حجّة الوداع. وقد صحّ بالنقل الثابت كما تقدم بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر، ولم يمش ما بين الركنين اليمانيين لزوال تلك العلّة المشار إليها وهي الضعف. وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عبّاس أنهم رملوا في عمرة الجعرانة واضطبعوا[٧] وهو ردّ عليه، فإن عمرة الجعرانة لم يبق في أيامها خوف لأنها بعد الفتح كما تقدم. رواه حمّاد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة، فرملوا بالبيت واضطبعوا ووضعوا أرديتهم تحت آباطهم وعلى عواتقهم[٨]. ورواه أبو داود من حديث حمّاد بنحوه. ومن حديث عبد الله بن خثيم عن أبي الطفيل، عن ابن عبّاس به، فأما الاضطباع في حجّة الوداع فقد قال قبيصة والفريابي عن سفيان الثوري، عن ابن

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٣.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٣٣، ٢٣٤.
(٣) في التيمورية: فيم الرمل.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٣٦، وأبو داود في الحج باب ٥١، وابن ماجه في المناسك باب ٢٩، وأحمد في المسند ١/ ٤٥.
(٥) وهن: ضعف.
(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٥، ومسلم في الحج حديث ٢٤٠.
(٧) الاضطباع: أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على يساره، ويبدي منكبه الأيمن ويغطي الأيسر، سمي به لإبداء أحد الضبعين.
(٨) أخرجه أبو داود في الحج باب ٥٠، ٥١.

جريج، عن عبد الحميد بن جُبَير بن شيبة، عن يعلى بن أمية، عن أمية. قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت مضطبعاً[١]. رواه الترمذي من حديث الثوري وقال: حسن صحيح. وقال أبو داود: حدثنا محمّد بن كثير، ثنا سفيان عن ابن جريج، عن ابن يعلى، عن أبيه. قال: طاف رسول الله مضطبعاً برداء أخضر[٢]. وهكذا رواه الإمام أحمد عن وكيع، عن الثوري، عن ابن جريج، عن ابن يعلى، عن أبيه أن النّبيّ ﷺ لما قدم طاف بالبيت وهو مضطبع ببرد له أخضر[٣]. وقال جابر في حديثه المتقدم: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً. ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت، فذكر أنه صلى ركعتين قرأ فيهما ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فإن قيل: فهل كان عليه السّلام في هذا الطواف راكباً أو ماشياً؟ فالجواب أنه قد ورد نقلان قد يظنّ أنهما متعارضان، ونحن نذكرهما ونشير إلى التوفيق بينهما، ورفع اللبس عند من يتوهّم فيهما تعارضاً، وبالله التوفيق وعليه الاستعانة وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال البخاري رحمه الله: حدّثنا أحمد بن صالح، ويَحْيَىٰ بن سليمان قالا: ثنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه، عن ابن عبّاس. قال: طاف النّبيّ ﷺ على بعيره في حجّة الوداع يستلم الركن بمحجن[٤]. وأخرجه بقية الجماعة إلاّ الترمذي من طرق عن ابن وهب. قال البخاري: تابعه الدراوردي عن ابن أخي الزهري، عن عمه، وهذه المتابعة غريبة جداً. وقال البخاري: حدثنا محمّد بن المثنى، ثنا عبد الوهّاب، ثنا خالد الحذّاء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: طاف النّبيّ ﷺ بالبيت على بعير، كلّما أتى الركن أشار إليه[٥]. وقد رواه الترمذي من حديث عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثقفي، وعبد الوارث، كلاهما عن خالد بن مهران الحذّاء، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: طاف رسول الله ﷺ على راحلته، فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه[٦]. وقال: حسن صحيح.

ثم قال البخاري: حدثنا مسدد، ثنا خالد بن عبد اللّه، عن خالد الحذّاء عن عكرمة، عن ابن عباس قال: طاف النّبيّ ﷺ بالبيت على بعير، فلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبّر[٧]. تابعه إبراهيم بن طهمان عن خالد الحذّاء. وقد أسند هذا التعليق ها هنا في كتاب الطواف عن عبد اللّه بن محمّد، عن أبي عامر، عن إبراهيم بن طهمان به.

---

(١) أخرجه الترمذي في الحج باب ٣٦.
(٢) أخرجه أبو داود في الحج باب ٥٠.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٢٣.
(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٨، ومسلم في الحج حديث ٢٥٣، وأبو داود في الحج باب ٤٩، والنسائي في المناسك باب ١٥٩ وابن ماجه في المناسك باب ٢٨.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٦٤.
(٦) أخرجه الترمذي في الحج باب ٤٠.
(٧) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٢.

وروى مسلم عن الحكم بن موسى، عن شُعَيب بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ طاف في حجّة الوداع حول الكعبة على بعير يستلم الركن كراهية أن يضرب عنه الناس[١]. فهذا إثبات أنه عليه السّلام طاف في حجّة الوداع على بعير، ولكن حجّة الوداع كان فيها ثلاثة أطواف: الأول طواف القدوم، والثاني طواف الإفاضة، وهو طواف الفرض، وكان يوم النحر، والثالث طواف الوداع، فلعل ركوبه ﷺ كان في أحد الآخرين أو في كليهما. فأما الأول وهو طواف القدوم فكان ماشياً فيه. وقد نصّ الشافعي على هذا كلّه والله أعلم وأحكم. والدليل على ذلك ما قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه السنن الكبير: أَخْبَرَنَا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرني أبو بكر محمّد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى، ثنا الفضل ابن محمّد بن المسيب، ثنا نعيم بن حمّاد، ثنا عيسى بن يونس، عن محمّد بن إسحاق هو - ابن يسار رحمه الله - عن أبي جعفر، وهو محمّد بن عليّ بن الحسين، عن جابر بن عبد اللّه قال: دخلنا مكة عند ارتفاع الضحى، فأتى النّبيّ ﷺ باب المسجد، فأناخ راحلته، ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه، وفاضت عيناه بالبكاء، ثم رمل ثلاثاً ومشى أربعاً حتى فرغ، فلما فرغ قبّل الحجر ووضع يده عليه ومسح بهما وجهه. وهذا إسناد جيد.

فأما ما رواه أبو داود: حدّثنا مسدد، ثنا خالد بن عبد اللّه، ثنا يزيد بن أبي زياد عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ قدم مكة وهو يشتكي، فطاف على راحلته، فلما أتى على الركن استلمه بمحجن، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين[٢]. تفرّد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف. ثم لم يذكر أنه في حجّة الوداع، ولا ذكر أنه في الطواف الأوّل من حجّة الوداع، ولم يذكر ابن عبّاس في الحديث الصحيح عنه عند مسلم. وكذا جابر: أن النّبيّ ﷺ ركب في طوافه لضعفه، وإنما ذكر لكثرة الناس وغشيانهم له، وكان لا يحب أن يضربوا بين يديه كما سيأتي تقريره قريباً إن شاء الله. ثم هذا التقبيل الثاني الذي ذكره ابن إسحاق في روايته بعد الطواف، وبعد ركعتيه أيضاً ثابت في صحيح مسلم من حديث جابر. قال: فيه بعد ذكر صلاة ركعتي الطواف، ثم رجع إلى الركن فاستلمه[٣].

وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وابن نمير جميعاً، عن أبي خالد، قال أبو بكر: حدّثنا أبو خالد الأحمر عن عُبَيد اللّه، عن نافع، قال: رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده، ثم قبّل يده قال: وما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله[٤]. فهذا يحتمل أنه رأى رسول الله ﷺ في بعض الطوافات أو في آخر استلام فعل هذا لما ذكرنا. أو أن ابن عمر لم يصل إلى الحجر لضعف كان به، أو لئلا يزاحم غيره فيحصل لغيره أذى به. وقد قال رسول الله ﷺ لوالده ما رواه أحمد في مسنده: حدّثنا وكيع، ثنا سفيان عن أبي يعفور

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٥٦.
(٢) أخرجه أبو داود في الحج باب ٤٩.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٤٦.

العَبْدي. قال: سمعت شيخاً بمكة في إمارة الحجّاج يحدّث عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ قال له: «يا عمر إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلاَّ فاستقبله وكبّر»[١]. وهذا إسناد جيد لكن راويه عن عمر مبهم لم يسم، والظاهر أنه ثقة جليل. فقد رواه الشافعي عن سفيان بن عيينة، عن أبي يعفور العبدي، واسمه وقدان: سمعت رجلاً من خزاعة حين قُتِل ابن الزبير، وكان أميراً على مكة يقول: قال رسول الله ﷺ لعمر: «يا أبا حفص إنك رجل قوي فلا تزاحم على الركن، فإنك تؤذي الضعيف، ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلاَّ فكبّر وامض». قال سفيان بن عيينة: هو عبد الرَّحمٰن بن الحارث، كان الحجّاج استعمله عليها منصرفه منها حين قتل ابن الزبير. قلت: وقد كان عبد الرَّحمٰن هذا جليلاً نبيلاً، كبير القدر، وكان أحد النفر الأربعة الذين ندبهم عثمان بن عفّان في كتابة المصاحف التي نفذها إلى الآفاق، ووقع على ما فعله الإجماع والاتفاق.

ذكر طوافه عليه السلام بين الصفا والمروة

روى مسلم في صحيحه عن جابر في حديثه الطويل المتقدم بعد ذكره طوافه عليه السَّلام بالبيت سبعاً، وصلاته عند المقام ركعتين. قال: ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به». فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره، وقال: «لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلاَّ الله أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه في الوادي رمل حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة، فرقي عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا[٢].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عمر بن هارون البلخي أبو حفص، ثنا ابن جريج عن بعض بني يعلى بن أمية، عن أبيه. قال: رأيت النبيّ ﷺ مضطبعاً بين الصفا والمروة ببرد له نجراني[٣].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يونس، ثنا عبد اللّه بن المؤمل، عن عمر بن عبد الرَّحمٰن، ثنا عطية، عن حبيبة بنت أبي تجراة قالت: دخلت دار حصين في نسوة من قريش[٤] والنبيّ ﷺ يطوف بين الصفا والمروة قالت: وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السعي، وهو يقول لأصحابه: «اسعوا إن الله كتب عليكم السعي»[٥].

وقال أحمد أيضاً: حدّثنا شريح، ثنا عبد اللّه بن المؤمل، ثنا عطاء بن أبي رباح عن صفية

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٢٣.

(٤) وفي نسخة: من قيس.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٢١.

بنت شيبة، عن حبيبة بنت أَبي تجراة قالت: رأيت النّبيّ ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه، وهو وراءهم، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي، يكور به إزاره وهو يقول: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»[١]. تفرّد به أَحمد. وقد رواه أَحمد أيضاً عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن واصل مولى أَبي عيينة، عن موسى بن عبيدة، عن صفية بنت شيبة. أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النّبيّ ﷺ بين الصفا والمروة يقول: «كتب عليكم السعي فاسعوا»[٢]. وهذه المرأة هي حبيبة بنت أبي تجراة المصرّح بذكرها في الإسنادين الأولين. وعن أم ولد شيبة ابن عثمان أنها أبصرت النّبيّ ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول: «لا يقطع الأبطح إلاّ شدّاً»[٣]. رواه النسائي والمراد بالسعي ها هنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة، ومنها إليها، وليس المراد بالسعي ههنا الهرولة والإسراع، فإن الله لم يكتبه علينا حتماً بل لو مشى الإنسان على هينة في السبع الطوافات بينهما، ولم يرمل في المسيل أجزأه ذلك عند جماعة العلماء، لا نعرف بينهم اختلافاً في ذلك. وقد نقله الترمذي رحمه الله عن أهل العلم. ثم قال: ثنا يوسف ابن عيسى، ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب، عن كثير بن جهمان قال: رأيت ابن عمر يمشي في المسعى، فقلت: أتمشي في السعي بين الصفا والمروة فقال: لئن سعيت، فقد رأيت رسول الله ﷺ يسعى، ولئن مشيت لقد رأيت رسول الله ﷺ يمشي، وأنا شيخ كبير[٤]. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. وقد روى سعيد بن جُبَير عن ابن عبّاس نحو هذا. وقد رواه أَبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عطاء بن السائب، عن كثير بن جهمان السلمي الكوفي، عن ابن عمر، فقال ابن عمر إنه شاهد الحالين منه ﷺ يحتمل شيئين أحدهما أنه رآه يسعى في وقت ماشياً لم يمزجه برمل فيه بالكلية، والثاني أنه رآه يسعى في بعض الطريق ويمشي في بعضه، وهذا له قوّة، لأنه قد روى البخاري ومسلم من حديث عُبَيد اللّه بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة[٥]. وتقدم في حديث جابر أنه عليه السّلام: نزل من الصفا، فلما انصبّت قدماه في الوادي، رمل حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة، وهذا هو الذي تستحبّه العلماء قاطبة، أن الساعي بين الصفا والمروة ـ وتقدم في حديث جابر ـ يستحب له أن يرمل في بطن الوادي في كل طوافه في بطن المسيل الذي بينهما، وحددوا ذلك بما بين الأميال الخضر، فواحد مفرد من ناحية الصفا مما يلي المسجد، واثنان مجتمعان من ناحية المروة مما يلي المسجد أيضاً. وقال بعض العلماء: ما بين هذه الأميال اليوم أوسع من بطن المسيل الذي رمل فيه رسول الله ﷺ فالله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/٤٢١، ٤٢٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/٤٣٧.

(٣) أخرجه النسائي في المناسك باب ١٧٧، وأحمد في المسند ٦/٤٠٤.

(٤) أخرجه أبو داود في الحج باب ٥٦، والترمذي في الحج باب ٣٩، والنسائي في المناسك باب ١٧٤، وابن ماجه في المناسك باب ٤٣.

(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٣، ومسلم في الحج حديث ٢٣٠.

وأما قول محمّد بن حزم في الكتاب الذي جمعه في حجّة الوداع، ثم خرج عليه السَّلام إلى الصفا فقرأ «﴿إن الصفا من شعائر الله﴾ أبدأ بما بدأ الله به»، فطاف بين الصفا والمروة أيضاً سبعاً راكباً على بعير، يخب ثلاثاً ويمشي أربعاً، فإنه لم يتابع على هذا القول، ولم يتفوّه به أحد قبله من أنه عليه السَّلام خبّ ثلاثة أشواط بين الصفا والمروة، ومشى أربعاً، ثم مع هذا الغلط الفاحش لم يذكر عليه دليلاً بالكليّة، بل لما انتهى إلى موضع الاستدلال عليه، قال: ولم نجد عدد الرَّمَل بين الصفا والمروة منصوصاً، ولكنه متّفق عليه هذا لفظه. فإن أراد بأن الرمل في الثلاث التطوافات الأول على ما ذكر متفق عليه، فليس بصحيح بل لم يقله أحد، وإن أراد أن الرمل في الثلاث الأول في الجملة متفق عليه، فلا يجدي له شيئاً، ولا يحصل له شيئاً مقصوداً، فإنهم كما اتفقوا على الرمل في الثلاث الأول في بعضها على ما ذكرناه، كذلك اتفقوا على استحبابه في الأربع الأخر أيضاً. فتخصيص ابن حزم الثلاث الأول باستحباب الرمل فيها مخالف لما ذكره العلماء والله أعلم. وأما قول ابن حزم أنه عليه السَّلام كان راكباً بين الصفا والمروة، فقد تقدم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يسعى بطن المسيل أخرجاه. وللترمذي عنه: إن أسعى فقد رأيت رسول الله يسعى، وإن مشيت فقد رأيت رسول الله يمشي. وقال جابر: فلما انصبت قدماه في الوادي رمل حتى إذا صعد مشى رواه مسلم. وقالت حبيبة بنت أبي تجراة: يسعى يدور به إزاره من شدة السعي، رواه أحمد. وفي صحيح مسلم عن جابر كما تقدم أنه رقي على الصفا حتى رأى البيت. وكذلك على المروة. وقد قدمنا من حديث محمّد ابن إسحاق عن أبي جعفر الباقر، عن جابر: أن رسول الله ﷺ أناخ بعيره على باب المسجد، يعني حتى طاف، ثم لم يذكر أنه ركبه حال ما خرج إلى الصفا، وهذا كله مما يقتضي أنه عليه السَّلام سعى بين الصفا والمروة ماشياً، ولكن قال مسلم: ثنا عبد بن حميد ثنا محمّد ـ يعني ابن بكر ـ أنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد اللّه يقول: طاف النّبيّ ﷺ في حجة الوداع على راحلته بالبيت، وبين الصفا والمروة على بعير ليراه الناس، وليشرف وليسألوه، فإن الناس غشوه، ولم يطف النّبيّ ﷺ ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلاّ طوافاً واحداً[1]. ورواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عليّ بن مسهر، وعن عليّ بن خشرم، عن عيسى بن يونس، وعن محمّد بن حاتم، عن يَحْيَىٰ بن سعيد، كلّهم عن ابن جريج به. وليس في بعضها وبين الصفا والمروة. وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل، عن يَحْيَىٰ ابن سعيد القطان، عن ابن جُرَيج، أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد اللّه يقول: طاف النّبيّ ﷺ في حجّة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة[2]. ورواه النسائي عن الفلاس، عن يَحْيَىٰ، وعن عمران بن يزيد، عن سعيد بن إسحاق، كلاهما عن ابن جُرَيج به. فهذا محفوظ من حديث ابن جُرَيج وهو مشكل جداً، لأن بقية الروايات عن جابر وغيره، تدل على أنه عليه السَّلام كان ماشياً بين الصفا والمروة، وقد تكون رواية أبي الزبير عن جابر لهذه

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٥٥.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٥٤، وأبو داود في الحج باب ٤٩، والنسائي في المناسك باب ١٧٣.

الزيادة، وهي قوله وبين الصفا والمروة مقحمة أَو مدرجة ممن بعد الصحابي والله أعلم. أَو أنه عليه السّلام طاف بين الصفا والمروة بعض الطوفان على قدميه، وشوهد منه ما ذكر، فلما ازدحم الناس عليه وكثروا، ركب كما يدلّ عليه حديث ابن عبّاس الآتي قريباً، وقد سلم ابن حزم أن طوافه الأول بالبيت كان ماشياً، وحمل ركوبه في الطواف على ما بعد ذلك، وادعى أنه كان راكباً في السعي بين الصفا والمروة قال: لأنه لم يطف بينهما إلاّ مرّة واحدة، ثم تأوّل قول جابر حتى إذا انصبت قدماه في الوادي رمل بأنه لم يصدّق ذلك، وإن كان راكباً فإنه إذا انصب بعيره فقد انصب كلّه، وانصبت قدماه مع سائر جسده. قال: وكذلك ذكر الرمل يعني به رمل الدابة براكبها، وهذا التأويل بعيد جداً والله أعلم.

وقال أَبو داود: حدّثنا أَبو سلمة موسى، ثنا حماد، أنبأنا أَبو عاصم الغنوي عن أَبي الطُفَيل قال: قلت لابن عبّاس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك من سنّته قال: صدقوا وكذبوا، فقلت: ما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا رمل رسول الله، وكذبوا ليس بسنّة: إنّ قريشاً قالت زمن الحديبية: دعوا محمّداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف، فلما صالحوه على أن يحجّوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قعيقعان فقال رسول الله لأصحابه: **«ارملوا بالبيت ثلاثاً وليس بسنّة»**. قالت: يزعم قومك أن رسول الله طاف بين الصفا والمروة على بعير وأن ذلك سنّة، قال: صدقوا وكذبوا، قلت: ما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا قد طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على بعير، وكذبوا ليست بسنّة، كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ﷺ ولا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه، وليروا مكانه، ولا تناله أيديهم[١]. هكذا رواه أَبو داود، وقد رواه مسلم عن أَبي كامل، عن عبد الواحد بن زياد، عن الجريري، عن أَبي الطفيل، عن ابن عبّاس فذكر فضل الطواف بالبيت بنحو ما تقدم. ثم قال: قلت لابن عبّاس: أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكباً أسنّة هو فإن قومك يزعمون أنه سنّة؟ قال: صدقوا وكذبوا. قلت: فما قولك صدقوا وكذبوا؟ قال: إن رسول الله كثر عليه الناس يقولون هذا محمّد، هذا محمّد! حتى خرج العواتق من البيوت، وكان رسول الله لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه الناس ركب. قال ابن عباس: والمشي والسعي أفضل[٢]. هذا لفظ مسلم، وهو يقتضي أنه إنما ركب في أثناء الحال. وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والله أعلم، وأما ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال: ثنا محمّد بن رافع، ثنا يَحْيَىٰ بن آدم، ثنا زهير عن عبد الملك بن سعيد، عن أَبي الطفيل قال: قلت لابن عباس أراني قد رأيت رسول الله ﷺ قال: فصفه لي قلت: رأيته عند المروة على ناقة، وقد كثر الناس عليه فقال ابن عباس: ذاك رسول الله ﷺ إنهم كانوا لا يضربون عنه ولا يكرهون[٣]. فقد تفرّد به مسلم، وليس فيه دلالة على أنه عليه السّلام

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٥١، وأحمد في المسند ١/ ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٧٣.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٣٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٦٩.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٣٩.

سعى بين الصفا والمروة راكباً إذ لم يقيّد ذلك بحجّة الوداع، ولا غيرها، وبتقدير أن يكون ذلك في حجّة الوداع، فمن الجائز أنه عليه السّلام بعد فراغه من السعي وجلوسه على المروة، وخطبته الناس، وأمره إياهم من لم يسق الهدي منهم أن يفسخ الحجّ إلى العمرة، فحلّ الناس كلّهم إلاّ من ساق الهَدْي كما تقدم في حديث جابر. ثم بعد هذا كله أتى بناقته فركبها وسار إلى منزله بالأبطح كما سنذكره قريباً. وحينئذ رآه أبو الطفيل عامر بن واثلة البكري، وهو معدود في صغار الصحابة. قلت: قد ذهب طائفة من العراقيين كأبي حنيفة وأصحابه والثوري، إلى أن القارن يطوف طوافين، ويسعى سعيين، وهو مروي عن عليّ وابن مسعود ومجاهد والشعبي. ولهم أن يحتجّوا بحديث جابر الطويل، ودلالة على أنه سعى بين الصفا والمروة ماشياً، وحديثه هذا أن النبيّ ﷺ سعى بينهما راكباً على تعداد الطواف بينهما، مرّة ماشياً، ومرّة راكباً. وقد روى سعيد بن منصور في سند عن عليّ رضي الله عنه، أنه أهلّ بحجة وعمرة، فلما قدم مكة طاف بالبيت وبالصفا والمروة لعمرته، ثم عاد فطاف بالبيت وبالصفا والمروة لحجّته، ثم أقام حراماً إلى يوم النحر هذا لفظه. ورواه أبو ذر الهرويّ في مناسكه عن عليّ، أنه جمع بين الحجّ والعمرة، فطاف لهما طوافين، وسعى لهما سعيين، وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل. وكذلك رواه البيهقي والدارقطني والنسائي في خصائص علي، فقال البيهقي في سننه: أنبأنا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنبأنا عليّ بن عمر الحافظ، أنبأنا أبو محمّد بن صاعد، ثنا محمّد بن زنبور، ثنا فضيل بن عياض عن منصور، عن إبراهيم، عن مالك بن الحارث أو منصور، عن مالك بن الحارث، عن أبي نصر قال: لقيت علياً وقد أهللت بالحجّ وأهلّ هو بالحجّ والعمرة، فقلت: هل أستطيع أن أفعل كما فعلت؟ قال: ذلك لو كنت بدأت بالعمرة، قلت: كيف أفعل إذا أردت ذلك؟ قال: تأخذ إداوة من ماء فتفيضها عليك، ثم تهلّ بهما جميعاً، ثم تطوف لهما طوافين، وتسعى لهما سعيين، ولا يحلّ لك حرام دون يوم النحر. قال منصور: فذكرت ذلك لمجاهد قال: ما كنا نفيء إلاّ بطواف واحد، فأما الآن فلا نفعل.

قال الحافظ البيهقي: وقد رواه سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وشعبة عن منصور، فلم يذكر فيه السعي. قال: وأبو نصر هذا مجهول، وإن صح فيحتمل أنه أراد طواف القدوم، وطواف الزيارة. قال: وقد روي بأسانيد أُخر عن عليّ مرفوعاً وموقوفاً، ومدارها على الحسن بن عمارة، وحفص بن أبي داود، وعيسى بن عبد اللّه، وحمّاد بن عبد الرَّحمٰن، وكلّهم ضعيف لا يحتجّ بشيء مما رووه في ذلك والله أعلم. قلت: والمنقول في الأحاديث الصحاح خلاف ذلك، فقد قدّمنا عن ابن عمر في صحيح البخاري[1] أنه أهلّ بعمرة، وأدخل عليها الحجّ، فصار قارناً، وطاف لهما طوافاً واحداً بين الحجّ والعمرة، وقال: هكذا فعل رسول الله ﷺ.

قد روى الترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث الدراوردي عن عُبَيد اللّه، عن نافع، عن ابن عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: «من جمع بين الحجّ والعمرة طاف لهما طوافاً واحداً،

(١) كتاب الحج باب ٧٧.

وسعى لهما سعياً واحداً»[١]. قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب. قلت: إسناده على شرط مسلم. وهكذا جرى لعائشة أم المؤمنين فإنها كانت ممن أهلّ بعمرة لعدم سوق الهَدْي معها، فلما حاضت أمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتهلّ بحجّ مع عمرتها، فصارت قارنة، فلما رجعوا من مِنًى طلبت أن يعمرها من بعد الحجّ، فأعمرها تطييباً لقلبها كما جاء مصرحاً به في الحديث. وقد قال الإمام أبو عبد اللّه الشافعي: أنبأنا مسلم - هو ابن خالد - الزنجي، عن ابن جريج، عن عطاء أن رسول الله قال لعائشة: «**طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجّك وعمرتك**»[٢]. وهذا ظاهره الإرسال، وهو مسند في المعنى بدليل ما قال الشافعي أيضاً: أَخْبَرَنَا ابن عيينة عن ابن أَبي نجيح، عن عطاء، عن عائشة، عن النّبيّ ﷺ قال الشافعي: وربما قال سفيان عن عطاء، عن عائشة، وربما قال: عن عطاء: أن النّبيّ ﷺ قال لعائشة فذكره.

قال الحافظ البيهقي: ورواه ابن أَبي عمر عن سفيان بن عيينة موصولاً. وقد رواه مسلم من حديث وهيب عن ابن طاوس، عن ابن عباس، عن أبيه، عن عائشة بمثله. وروى مسلم من حديث ابن جريج أخبرني أَبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: دخل رسول الله على عائشة وهي تبكي فقال: «**ما لك تبكين**»؟ قالت: أبكي ان الناس حلّوا ولم أحلّ، وطافوا بالبيت ولم أطف، وهذا الحجّ قد حضر قال: «**إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم، فاغتسلي وأهلي بحجّ**»، قالت: ففعلت ذلك، فلما طهرت قال: «**طوفي بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم قد حللت من حجّك وعمرتك**». قالت: يا رسول الله إني أجد في نفسي من عمرتي أني لم أكن طفت حتى حججت قال: «**اذهب بها يا عبد الرَّحمٰن فأعمرها من التنعيم**»[٣]. وله من حديث ابن جُرَيج أيضاً: أخبرني أَبو الزبير، سمعت جابراً قال: لم يطف النّبيّ ﷺ وأصحابه بين الصفا والمروة إلاّ طوافاً واحداً[٤]، وعند أصحاب أَبي حنيفة رحمه الله أن النّبيّ ﷺ وأصحابه الذين ساقوا الهَدْي، كانوا قد قرنوا بين الحجّ والعمرة كما دلّ عليه الأحاديث المتقدمة والله أعلم. وقال الشافعي: أنبأنا إبراهيم ابن محمّد عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ قال في القارن: يطوف طوافين ويسعى سعيين، قال الشافعي، وقال بعض الناس: طوافان وسعيان، واحتج فيه برواية ضعيفة عن عليّ قال جعفر: يروي عن عليّ قولنا رويناه عن النّبيّ ﷺ لكن قال أَبو داود ثنا هارون بن عبد اللّه ومحمّد بن رافع. قالا: ثنا أَبو عاصم عن معروف يعني ابن خربوذ المكي، حدّثنا أَبو الطفيل قال: رأيت النّبيّ ﷺ يطوف بالبيت على راحلته يستلم الركن بمحجن، ثم يقبّله، زاد محمّد بن رافع، ثم خرج إلى الصفا والمروة فطاف سبعاً على راحلته[٥]، وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث أَبي داود الطيالسي، عن معروف بن خربوذ به، بدون الزيادة التي ذكرها محمّد بن رافع، وكذلك رواه عُبَيد اللّه بن موسى عن معروف

---

(١) أخرجه الترمذي في الحج باب ١٠٢، وابن ماجه في المناسك باب ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٣٢. (٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٣٦.

(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٠.

(٥) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٥٧، وأبو داود في الحج باب ٤٩.

بدونها، ورواه الحافظ البيهقي عن أبي سعيد بن أبي عمرو، عن الأصم، عن يَحْيَىٰ بن أبي طالب، عن يزيد بن أبي حكيم، عن يزيد بن مالك، عن أبي الطفيل، بدونها فالله أعلم. وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو بكر بن الحسن، وأبو زكريا بن أبي إسحاق قالا: ثنا أبو جعفر محمّد ابن عليّ بن رحيم، ثنا أحمد بن حازم، أنبأنا عُبَيد اللّه بن موسى، وجعفر بن عون قالا: أنبأنا أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد اللّه بن عمار، قال: رأيت رسول الله ﷺ يسعى بين الصفا والمروة على بعير، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك. وقال البيهقي: كذا قالا. وقد رواه جماعة غير أيمن فقالوا: يرمي الجمرة يوم النحر، قال: ويحتمل أن يكونا صحيحين، قلت: رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع، وقرار[1] بن تمام، وأبي قرّة موسى بن طارف قاضي أهل اليمن، وأبي أحمد محمّد بن عبد اللّه الزُبَيْري، ومعتمر بن سليمان عن أيمن بن نابل الحبشي، أبي عمران المكي نزيل عسقلان، مولى أبي بكر الصدِّيق، وهو ثقة جليل من رجال البخاري، عن قدامة بن عبد اللّه بن عمار الكلابي: أنه رأى رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر من بطن الوادي، على ناقة صَهْباء، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك[2]. وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن مروان بن معاوية، وأخرجه النسائي عن إسحاق بن راهويه، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن وكيع، كلاهما عن أيمن بن نابل، عن قدامة. كما رواه الإمام أحمد، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فصل

قال جابر في حديثه: حتى إذا كان آخر طوافه عند المروة قال: «**إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لم أسق الهَدْي**»[3]. رواه مسلم، ففيه دلالة على من ذهب إلى أن السعي بين الصفا والمروة أربعة عشر، كل ذهاب وإياب يحسب مرّة. قاله جماعة من أكابر الشافعية. وهذا الحديث رُدٌّ عليهم، لأن آخر الطواف عن قولهم يكون عند الصفا لا عند المروة، ولهذا قال أحمد في روايته في حديث جابر: فلما كان السابع عند المروة، قال: «**أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لم أسق الهَدْي، وجعلتها عمرة، فمن لم يكن معه هَدْي فليحلّ، وليجعلها عمرة**»، فحلّ الناس كلّهم[4]. وقال مسلم: فحلّ الناس كلّهم وقصّروا، إلاّ النبيّ ﷺ ومن كان معه هَدْي.

فصل

روى أمره عليه السّلام لمن لم يسق الهَدْي بفسخ الحجّ إلى العمرة، خلق من الصحابة

(١) في ط: قران.
(٢) أخرجه الترمذي في الحج باب ٦٥، والنسائي في المناسك باب ٢٢٠، وابن ماجه في المناسك باب ٦٦، وأحمد في المسند ٣/ ٤١٢، ٤١٣.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٢٠.

يطول ذكرنا لهم ها هنا وموضع سرد ذلك كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله. وقد اختلف العلماء في ذلك فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي: كان ذلك من خصائص الصحابة، ثم نسخ جواز الفسخ لغيرهم، وتمسكوا بقول أبي ذر رضي الله عنه، لم يكن فسخ الحجّ إلى العمرة إلاَّ لأصحاب محمّد ﷺ. رواه مسلم[1].

وأما الإمام أحمد فردّ ذلك. وقال: قد رواه أحد عشر صحابياً، فأين تقع هذه الرواية من ذلك، وذهب رحمه الله إلى جواز الفسخ لغير الصحابة. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما بوجوب الفسخ على كل من لم يسق الهَدْي، بل عنده أنه يحلّ شرعاً إذا طاف بالبيت، ولم يكن ساق هدياً صار حلالاً بمجرد ذلك، وليس عنه النسك إلاَّ القران لمن ساق الهَدْي أو المتع[2] لمن لم يسق فالله أعلم. قال البخاري: ثنا أبو النعمان، ثنا حمّاد بن زيد عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء، عن جابر، وعن طاوس، عن ابن عباس. قالا: قدم النّبيّ ﷺ وأصحابه صبح رابعة من ذي الحجّة يهلّون بالحجّ، لا يخلطه شيء، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها[3] عمرة، وأن نحلّ إلى نسائنا، ففشت تلك المقالة. قال عطاء: قال جابر: فيروح أحدنا إلى مِنَى وذكره يقطر منياً. قال جابر - بكفه - فبلغ النّبيّ ﷺ فقال: «بلغني أن قوماً يقولون كذا وكذا، والله لأنا أبر وأتقى لله منهم، ولو أني استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهَدْي لأحللت»، فقام سراقة بن جعشم فقال: يا رسول الله هي لنا أو للأبد، فقال: «بل للأبد»[4].

قال مسلم: حدثنا قتيبة، ثنا الليث، هو ابن سعد عن أبي الزبير، عن جابر أنه قال: أقبلنا مهلّين مع رسول الله بحجّ مفرد، وأقبلت عائشة بعمرة حتى إذا كنا بسرف عركت[5] حتى إذا قدمنا طفنا بالكعبة والصفا والمروة، وأمرنا رسول الله ﷺ أن يحلّ منا من لم يكن معه هَدْي. قال: فقلنا حلّ ماذا قال «الحلّ كلّه»، فواقعنا النساء وتطيبنا بالطيب، ولبسنا ثياباً وليس بيننا وبين عرفة إلاَّ أربع ليال[6]، فهذان الحديثان فيهما التصريح بأنه عليه السلام قدم مكة عام حجّة الوداع لصبح رابعة ذي الحجّة، وذلك يوم الأحد حين ارتفع النهار وقت الضحاء، لأن أول ذي الحجّة تلك السنة كان يوم الخميس بلا خلاف، لأن يوم عرفة منه كان يوم الجمعة بنصّ حديث عمر بن الخطاب الثابت في الصحيحين كما سيأتي. فلما قدم عليه السلام يوم الأحد رابع الشهر بدأ كما ذكرنا بالطواف بالبيت، ثم بالسعي بين الصفا والمروة، فلما انتهى طوافه بينهما عند المروة أمر من لم يكن معه هَدْي أن يحلّ من إحرامه حتماً، فوجب ذلك عليهم لا محالة، ففعلوه، وبعضهم متأسف لأجل أنه عليه السّلام لم يحلّ من إحرامه لأجل

(١) كتاب الحج حديث ١٦٠.
(٢) في ط: التمتع.
(٣) في ط: فجعلناه.
(٤) أخرجه البخاري في الشركة باب ١٥.
(٥) عركت: حاضت.
(٦) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٣٦.

سوقه الهَدْي، وكانوا يحبون موافقته عليه السَّلام، والتأسي به، فلما رأى ما عندهم من ذلك قال لهم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهَدْي ولجعلتها عمرة». أي لو أعلم أن هذا ليشقّ عليكم لكنت تركت سوق الهَدْي حتى أحلّ كما أحللتم، ومن ها هنا تتضح الدلالة على أفضلية التمتع كما ذهب إليه الإمام أحمد أخذاً من هذا، فإنه قال: لا أشك أن رسول الله ﷺ كان قارناً، ولكن التمتّع أفضل لتأسّفه عليه، وجوابه أنه عليه السَّلام لم يتأسّف على التمتع لكونه أفضل من القران في حق من ساق الهَدْي، وإنما تأسّف عليه لئلا يشق على أصحابه في بقائه على إحرامه، وأمره لهم بالإحلال، ولهذا والله أعلم لما تأمل الإمام أحمد هذا السرّ نصّ في رواية أخرى عنه على أن التمتع أفضل في حق من لم يسق الهَدْي، لأمره عليه السَّلام من لم يسق الهَدْي من أصحابه [بالتمتّع][1]، وأن القران أفضل في حق من ساق الهَدْي، كما اختار الله عزّ وجلّ لنبيّه، صلوات الله وسلامه عليه في حجّة الوداع، وأمره له بذلك كما تقدم والله أعلم.

فصل

ثم سار صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة وأمره بالفسخ لمن لم يسق الهَدْي، والناس معه، حتى نزل بالأبطح شرقي مكة، فأقام هنالك بقية يوم الأحد ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء حتى صلى الصبح من يوم الخميس كلّ ذلك يصلي بأصحابه هنالك ولم يعد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها. قال البخاري[2]: باب من لم يقرب الكعبة، ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع بعد الطواف الأوّل، حدّثنا محمّد بن أبي بكر، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عقبة قال: أخبرني كريب عن عبد اللّه بن عبّاس قال: قدم النّبيّ ﷺ مكة فطاف سبعاً، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها، حتى رجع من عرفة انفرد به البخاري.

فصل

وقدم ـ في هذا الوقت ورسول الله ﷺ منيخ بالبطحاء خارج مكة ـ عليّ من اليمن، وكان النّبيّ ﷺ قد بعثه كما قدمنا إلى اليمن أميراً بعد خالد بن الوليد رضي الله عنهما، فلما قدم وجد زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ قد حلّت كما حلّ أزواج رسول الله ﷺ والذين لم يسوقوا الهَدْي، واكتحلت ولبست ثياباً صبيغاً، فقال: من أمرك بهذا؟ قالت: أبي، فذهب محرشاً عليها إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أنها حلّت ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، وزعمت أنك أمرتها بذلك يا رسول الله فقال: «صدقت صدقت صدقت». ثم قال له رسول الله ﷺ: «بم أهللت حين أوجبت الحجّ؟» قال: بإهلال كإهلال النّبيّ ﷺ. قال: «فإن معي الهَدْي فلا تحلّ»، فكان جماعة الهَدْي الذي جاء به عليّ من اليمن، والذي أتى به رسول الله ﷺ من المدينة، واشتراه في الطريق مائة من الإبل، واشتركا في الهدي جميعاً، وقد تقدم هذا كلّه في صحيح مسلم

---

(١) سقط في ط.

(٢) كتاب الحج باب ٧٠.

رحمه الله. وهذا التقرير يرد الرواية التي ذكرها الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله من حديث عكرمة، عن ابن عباس. أن علياً تلقى النبيّ ﷺ إلى الجحفة والله أعلم. وكان أبو موسى في جملة من قدم مع عليّ، ولكنه لم يسق هدياً فأمره رسول الله ﷺ بأن يحلّ بعد ما طاف للعمرة وسعى، ففسخ حجّه إلى العمرة، وصار متمتعاً، فكان يفتي بذلك في أثناء خلافة عمر بن الخطاب، فلما رأى عمر بن الخطاب أن يفرد الحجّ عن العمرة، ترك فتياه مهابة لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأرضاه. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، أنبأنا سفيان عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه. قال: رأيت بلالاً[1] يؤذن ويدور ويتبع فاه ها هنا وها هنا، وأصبعاه في أذنيه[2]. قال: ورسول الله ﷺ في قبّة له حمراء أراها من أدم. قال: فخرج بلال بين يديه بالعنزة[3] فركزها، فصلى رسول الله ﷺ. قال عبد الرزّاق: وسمعته بمكة قال: بالبطحاء يمرّ بين يديه الكلب والمرأة والحمار، وعليه حلّة حمراء كأني أنظر إلى بريق ساقيه قال سفيان: نراها حبرة[4]. وقال أحمد: ثنا وكيع، ثنا سفيان عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه. قال: أتيت النبيّ ﷺ بالأبطح وهو في قبة له حمراء، فخرج بلال بفضل وضوئه، فمن ناضح ونائل. قال: فأذّن بلال، فكنت أتتبع فاه هكذا وهكذا ـ يعني يميناً وشمالاً ـ قال: ثم ركزت له عنزة فخرج رسول الله ﷺ وعليه جبّة له حمراء، أو حلّة حمراء، وكأني أنظر إلى بريق ساقيه، فصلى بنا إلى عنزة الظهر، أو العصر، ركعتين، تمرّ المرأة والكلب والحمار لا يمنع، ثم لم يزل يصلي ركعتين حتى أتى المدينة. وقال مرّة: فصلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين[5]، وأخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوريّ. وقال أحمد أيضاً: ثنا محمّد بن جعفر، ثنا شعبة وحجّاج عن الحكم، سمعت أبا جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ وصلى الظهر ركعتين، وبين يديه عنزة، وزاد فيه عون عن أبيه، عن أبي جحيفة، وكان يمر من ورائنا الحمار والمرأة. قال حجّاج في الحديث ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم. قال: فأخذت يده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك[6]. وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة بتمامه.

فصل

فأقام عليه السلام بالأبطح كما قدمنا يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء. وقد حلّ الناس إلاّ من ساق الهَدْي، وقدم في هذه الأيام عليّ بن أبي طالب من اليمن بمن معه من المسلمين وما معه من الأموال، ولم يعد عليه السّلام إلى الكعبة بعدما طاف بها، فلما

(١) في ط: بلال. (٢) في ط: أذنه.
(٣) العنزة: رُمَيح بين العصا والرمح فيه زج. (٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٠٨.
(٥) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٩، ومسلم في الصلاة حديث ٢٤٩، وأحمد في المسند ٤/٣٠١، ٣٠٩.
(٦) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٣، ومسلم في الصلاة حديث ٢٥٢، وأحمد في المسند ٤/٣٠٩.

أصبح عليه السلام يوم الخميس صلى بالأبطح الصبح من يومئذ وهو يوم التروية[١] ويقال له: يوم مِنًى لأنه يسار فيه إليها. وقد روي أن النبيّ ﷺ خطب قبل هذا اليوم. ويقال للذي قبله فيما رأيته في بعض التعاليق يوم الزينة، لأنه يزين فيه البدن بالجلال ونحوها، فالله أعلم.

قال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنبأنا أحمد بن محمّد بن جعفر الجلودي، ثنا محمّد بن إسماعيل بن مهران، ثنا محمّد بن يوسف، ثنا أبو قرّة عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم التروية خطب الناس، فأخبرهم بمناسكهم، فركب عليه السّلام قاصداً إلى مِنًى قبل الزوال، وقيل بعده، وأحرم الذين كانوا قد حلّوا بالحجّ من الأبطح حين توجّهوا إلى مِنًى، وانبعثت رواحلهم نحوها. قال عبد الملك عن عطاء، عن جابر بن عبد اللّه: قدمنا مع رسول الله ﷺ فأحللنا حتى كان يوم التروية، وجعلنا مكة منّا بظهر، لبّينا بالحجّ. ذكره البخاري تعليقاً[٢] مجزوماً. وقال مسلم[٣]: ثنا محمّد بن حاتم، ثنا يَحْيَىٰ بن سعيد عن ابن جريج: أخبرني أبو الزبير عن جابر. قال: أمرنا رسول الله ﷺ لما أحللنا أن نحرم إذا توجّهنا إلى مِنًى. قال: وأهللنا من الأبطح. وقال عبيد بن جريج لابن عمر: رأيتك إذا كنت بمكة أهلّ الناس إذا رأوا الهلال، ولم تهلّ أنت حتى يوم التروية. فقال: لم أر النّبيّ ﷺ يهلّ حتى تنبعث به راحلته. رواه البخاري[٤] في جملة حديث طويل. قال البخاري: وسئل عطاء عن المجاوز مِنًى يلبي بالحجّ؟ فقال: كان ابن عمر يلبي يوم التروية إذا صلى الظهر واستوى على راحلته.

قلت: هكذا كان ابن عمر يصنع إذا حجّ معتمراً يحلّ من العمرة، فإذا كان يوم التروية لا يلبّي حتى تنبعث به راحلته متوجهاً إلى مِنًى، كما أحرم رسول الله ﷺ من ذي الحليفة بعدما صلى الظهر، وانبعثت به راحلته، لكن يوم التروية لم يصل النّبيّ ﷺ الظهر بالأبطح، وإنما صلاها يومئذ بِمِنًى، وهذا مما لا نزاع فيه.

قال [البخاري][٥]: **باب أين يصلي الظهر يوم التروية:**

حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، ثنا إسحاق الأزرق، ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع. قال: سألت أنس بن[٦] مالك قال قلت: أخبرني بشيء عقلت[٧] من رسول الله ﷺ أين يصلي الظهر والعصر يوم التروية؟ قال: بمنًى قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال: بالأبطح. ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤك[٨]، وقد أخرجه بقية الجماعة إلاّ ابن ماجه من طرق عن إسحاق بن

(١) يوم التروية: هو اليوم الثامن من ذي الحجة؛ سمي بالتروية لأنهم كانوا يروون فيها إبلهم ويتروون من الماء، لأن تلك الأماكن لم تكن إذ ذاك فيها آبار ولا عيون ماء.

(٢) كتاب الحج باب ٨٢.

(٣) كتاب الحج حديث ١٣٩.

(٤) تعليقاً، كتاب الحج باب ٨٢.

(٥) سقط في ط.

(٦) في ط: نبت.

(٧) في ط: علقت.

(٨) أخرجه البخاري في الحج باب ٨٣، ١١٦، ومسلم في الحج حديث ٣٣٦، وأبو داود في المناسك باب ٥٩، وأحمد في المسند ٣/ ١٠٠.

يوسف الأزرق، عن سفيان الثوري به. وكذلك رواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به. وقال الترمذي: حسن صحيح، يستغرب من حديث الأزرق عن الثوري.

ثم قال البخاري[(١)]: أنبأنا عليّ سمع أبا بكر بن عياش، ثنا عبد العزيز بن رفيع. قال: لقيت أنس بن مالك، وحدَّثني إسماعيل بن أبان، ثنا أبو بكر بن عيّاش عن عبد العزيز. قال: خرجت إلى مِنَى يوم التروية فلقيت أنساً ذاهباً على حمار، فقلت: أين صلى النّبيّ ﷺ هذا اليوم الظهر؟ فقال: انظر حيث يصلي أمراؤك فصلِّ. وقال أحمد[(٢)]: حدّثنا أسود بن عامر، ثنا أبو كدينة عن الأعمش، عن الحكم[(٣)]، عن مقسم، عن ابن عبّاس. أن رسول الله ﷺ صلى خمس صلوات بمنى. وقال أحمد أيضاً: حدّثنا أسود بن عامر، ثنا أبو محياة يَحْيَىٰ بن يعلى التيمي، عن الأعمش، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس. أن النّبيّ ﷺ صلى الظهر يوم التروية بمنى، وصلى الغداة يوم عرفة بها[(٤)]. وقد رواه أبو داود[(٥)] عن زهير بن حرب، عن أحوص، عن جواب، عن عمّار بن رزيق، عن سليمان بن مهران الأعمش به. ولفظه صلّى رسول الله ﷺ الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى[(٦)]. وأخرجه الترمذي عن الأشجّ عن عبد اللّه بن الأجلح، عن الأعمش بمعناه. وقال: ليس هذا مما عدّه شعبة فيما سمعه الحكم عن مقسم. وقال الترمذي: ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبد اللّه بن الأجلح عن إسماعيل بن مسلم، عن عطاء، عن ابن عبّاس قال: صلى بنا رسول الله بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم غدا إلى عرفات[(٧)]. ثم قال: وإسماعيل بن مسلم قد تكلّم فيه. وفي الباب عن عبد اللّه بن الزبير وأنس بن مالك.

وقال الإمام أحمد [حدثنا][(٨)] عمن رأى النّبيّ ﷺ أنه راح إلى مِنَى يوم التروية وإلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يظلّل به رسول الله ﷺ ـ يعني من الحر[(٩)] ـ تفرّد به أحمد. وقد نص الشافعي على أنه عليه السّلام ركب من الأبطح إلى منى بعد الزوال، ولكنه إنما صلّى الظهر بمِنى فقد يستدل له بهذا الحديث والله أعلم. وتقدم في حديث جعفر بن محمّد عن أبيه، عن جابر. قال: فحلَّ الناس كلّهم وقصّروا إلاّ النّبيّ ﷺ ومن كان معه هَدْي، فلما كان يوم التروية توجّهوا إلى مِنى، فأهلّوا بالحجّ، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة له من شعر فضربت له [بنمرة][(١٠)]، فسار رسول الله ﷺ ولا تشكّ قريش إلاّ أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عَرَفة، فوجد القبّة قد ضربت له

(١) كتاب الحج باب ٨٣.
(٢) المسند ١/٢٩٧.
(٣) في ط: الحكيم.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٩٧.
(٥) كتاب الحج باب ٥٩.
(٦) في ط: الظهر يوم عرفة بمنى.
(٧) أخرجه الترمذي في الحج باب ٥٠.
(٨) سقط في ط: وفي التيمورية بياض بين أحمد وبين عمن.
(٩) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٦٨.
(١٠) سقط في ط.

بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس. وقال: «إنّ دماءكم وأموالَكم حرامٌ عليكم كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي، ودماءُ الجاهلية موضوعةٌ، وإنّ أول دم أضع من دمائنا دمَ ابن ربيعة بن الحارث ـ وكان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هُذَيل ـ. وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا العبّاس بن عبد المطلب، فإنّه موضوع كلّه، واتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحد تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت. فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس، «اللّهمّ اشهد اللّهمّ اشهد اللّهمّ اشهد» ثلاث مرات.

وقال أبو عبد الرَّحمٰن النسائي: أنبأنا عليّ بن حجر عن مغيرة، عن موسى بن زياد بن حُذيم بن عمرو السعدي، عن أبيه، عن جده. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع: «اعلموا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا كحرمة بلدكم هذا». وقال أبو داود باب الخطبة على المنبر بعَرَفة: حدّثنا هناد عن ابن أَبي زائدة، ثنا سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم، عن رجل من بني ضمرة، عن أبيه أَو عمّه، قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو على المنبر بعَرَفة[1]، وهذا الإسناد ضعيف. لأن فيه رجلاً مبهماً، ثم تقدم في حديث جابر الطويل أنه عليه السّلام خطب على ناقته القصواء. ثم قال أَبو داود[2]: حدثنا مسدد، ثنا عبد اللّه بن داود عن سلمة بن نبيط، عن رجل من الحي، عن أبيه نبيط: أنه رأى رسول الله ﷺ واقفاً بعرفة على بعير أحمر يخطب. وهذا فيه مبهم أيضاً. ولكن حديث جابر شاهد له. ثم قال أَبو داود[3]: حدّثنا هناد بن السري، وعثمان ابن أَبي شيبة، قالا: ثنا وكيع عن عبد المجيد بن أَبي عمرو، قال: حدَّثني العداء بن خالد بن هوذة، وقال هناد عن عبد المجيد: حدَّثني خالد بن العداء بن هوذة، قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس يوم عَرَفة على بعير قائماً في الركابين. قال أَبو داود[4]: رواه ابن العلاء عن وكيع، كما قال هناد. وحدّثنا عباس بن عبد العظيم، ثنا عثمان بن عمر، ثنا عبد المجيد أَبو عمرو عن العداء بن خالد بمعناه. وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بعرفات: من لم يجد نعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل للمحرم[5]. وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني يَحْيَىٰ بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير عن أبيه عباد. قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو بعَرَفة ربيعة بن أمية بن

---

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٢.
(٢) كتاب الحج باب ٦٢.
(٣) كتاب الحج باب ٦٢.
(٤) كتاب الحج باب ٦٢.
(٥) أخرجه البخاري في جزاء الصيد باب ١٥، ومسلم في الحج حديث ٤، وأحمد في المسند ١/٢٢١.

خلف. قال [يقول له] رسول الله ﷺ قل أيها الناس إن رسول الله يقول: «**هل تدرون أي شهر هذا**»، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول: «**قل لهم إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا**». ثم يقول: «**قل أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي بلد هذا؟**». وذكر تمام الحديث.

وقال محمّد بن إسحاق: **حدَّثني** ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب، عن عمرو[1] ابن خارجة. قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة في حاجة فبلغته، ثم وقفت تحت ناقته وإن لعابها ليقع على رأسي فسمعته يقول: «**أيها الناس إن الله أدى [إلى]**[2] كل ذي حقّ حقّه، وإنه لا يجوز وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً»[3]. ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قتادة عن شهر بن حوشب، عن عبد الرَّحمٰن بن غنم، عن عمرو بن خارجة به. وقال الترمذي: حسن صحيح. قلت: وفيه اختلاف على قتادة والله أعلم. وسنذكر الخطبة التي خطبها عليه السَّلام بعد هذه الخطبة يوم النحر، وما فيها من الحكم والمواعظ والتفاصيل والآداب النبويّة إن شاء الله. قال البخاري باب التلبية والتكبير إذا غدا من مِنَى إلى عَرَفة: **حدّثنا** عبد اللّه بن يوسف، أنبأنا مالك عن محمّد بن أبي بكر الثقفي، أنه سأل أنس بن مالك وهما غاديان من مِنَى إلى عَرَفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ؟ فقال: كان يهلّ منا المُهِل فلا ينكر عليه، ويكبّر المكبّر منا فلا ينكر عليه[4]. وأخرجه مسلم من حديث مالك وموسى بن عقبة، كلاهما عن محمّد بن أبي بكر بن عوف بن رباح الثقفي الحجازي، عن أنس به.

وقال البخاري: **حدّثنا** عبد اللّه بن مسلمة، ثنا مالك عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد اللّه: أن عبد الملك بن مروان. كتب إلى الحجّاج بن يوسف أن يأتم بعبد اللّه بن عمر في الحجّ فلما كان يوم عَرَفة، جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس ـ أو زالت الشمس ـ فصاح عند فسطاطه[5] أين هذا فخرج إليه. فقال ابن عمر: الرواح فقال: الآن؟ قال: نعم! فقال: أنظرني حتى أفيض عليّ ماءً، فنزل ابن عمر حتى خرج فسار بيني وبين أبي، فقلت: إن كنت تريد أن تصيب السنّة اليوم فأقصر الخطبة، وعجّل الوقوف. فقال ابن عمر: صدق[6]. ورواه البخاري أيضاً عن القعنبي عن مالك، وأخرجه النسائي من حديث أشهب وابن وهب عن مالك.

---

(١) في ط: عمر.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه الترمذي في الوصايا باب ٥، والنسائي في الوصايا باب ٥، وابن ماجه في الوصايا باب ٦، وأحمد في المسند ٤/١٨٦، ١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٨٦، ومسلم في الحج حديث ٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) الفسطاط: البيت من الشعر.

(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٠، والنسائي في المناسك باب ١٩٦، ٢٠٠.

ثم قال البخاري[1] بعد روايته هذا الحديث. وقال الليث: حدَّثني عقيل عن ابن شهاب، عن سالم: أن الحجّاج عام نزل بابن الزبير سأل عبد اللّه كيف تصنع في هذا الموقف؟ فقال: إن كنت تريد السنّة فهجّر[2] بالصلاة يوم عَرَفة، فقال ابن عمر: صدق، إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنّة، فقلت لسالم: أفعل ذلك رسول الله ﷺ؟ فقال: هل تبتغون بذلك إلاّ سنّة.

وقال أَبو داود[3]: حدّثنا أَحمد بن حنبل، ثنا يعقوب، ثنا أَبي عوف عن ابن إِسحاق، عن نافع، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ غدا من مِنَى حين صلى الصبح صبيحة يوم عَرَفة، فنزل بنمرة، وهي منزل الإمام الذي ينزل به بعَرَفة، حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله ﷺ مهجراً، فجمع بين الظهر والعصر. وهكذا ذكر جابر في حديثه بعدما أورد الخطبة المتقدمة قال: ثم أَذّن بلال، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلِ بينهما شيئاً. وهذا يقتضي أنه عليه السّلام خطب أولاً ثم أقيمت الصلاة، ولم يتعرّض للخطبة الثانية. وقد قال الشافعي: أنبأنا إبراهيم بن محمّد وغيره عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، وعن جابر في حجّة الوداع. قال: فراح النّبيّ ﷺ إلى الموقف بعَرَفة فخطب الناس الخطبة الأولى، ثم أذّن بلال، ثم أخذ النّبيّ ﷺ في الخطبة الثانية ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان، ثم أقام بلال فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر. قال البيهقي: تفرّد به إبراهيم بن محمّد بن أبي يَحْيَىٰ. قال مسلم عن جابر: ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة[4]. وقال البخاري: حدثنا يَحْيَىٰ بن سليمان، عن ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير، عن كريب، عن ميمونة: أن الناس شكوا في صيام النّبيّ ﷺ فأرسلت إليه بحلاب، وهو واقف في الموقف فشرب منه والناس ينظرون[5]. وأخرجه مسلم عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب به. وقال البخاري: أنبأنا عبد اللّه بن يوسف، أنبأنا مالك عن النضر، مولى عمر بن عُبَيد اللّه، عن عُمَير مولى ابن عبّاس، عن أم الفضل بنت الحارث، أن ناساً تماروا عندها يوم عَرَفة في صوم النّبيّ ﷺ فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه[6]. ورواه مسلم من حديث مالك أيضاً. وأخرجاه من طرق أخر عن أَبي النضر به. قلت: أم الفضل هي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وقصتهما واحدة والله أعلم. وصحّ إسناد الإرسال إليها لأنه من عندها اللّهمّ إلاّ أن يكون بعد ذلك أَو تعدّد الارسال

(١) كتاب الحج باب ٨٩.
(٢) أي صلِّ بالعاجرة: وهي شدة الحر..
(٣) كتاب الحج باب ٦٠.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.
(٥) أخرجه البخاري في الصوم باب ٦٥، ومسلم في الصيام حديث ١١٢.
(٦) أخرجه البخاري في الصوم باب ٦٥، ومسلم في الصيام حديث ١١٠.

من هذه، ومن هذه، والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، ثنا أيوب قال: لا أدري أسمعته من سعيد بن جُبَير، أم عن بنيه عنه. قال: أتيت على ابن عباس وهو بعَرَفة وهو يأكل رماناً. وقال: أفطر رسول الله ﷺ بعَرَفة، وبعثت إليه أم الفضل بلبن فشربه[١].

وقال أحمد: حدّثنا وكيع، ثنا ابن أبي ذئب عن صالح مولى التؤمة، عن ابن عباس: أنهم تماروا في صوم النّبيّ ﷺ يوم عَرَفة، فأرسلت أم فضل إلى رسول الله بلبن فشربه[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزّاق وأبو بكر قالا: أنبأنا ابن جريج قال: قال عطاء: دعا عبد اللّه بن عباس الفضل بن عباس إلى الطعام يوم عَرَفة، فقال إني صائم، فقال عبد اللّه: لا تصم فإن رسول الله قرّب إليه حلاب[٣] فيه لبن يوم عَرَفة فشرب منه، فلا تصم فإن الناس مستنّون بكم. وقال ابن بكير وروح ان الناس يستنون بكم[٤]. وقال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حمّاد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن[٥] جُبَير، عن ابن عبّاس قال: بينا رجل واقف مع النّبيّ ﷺ بعَرَفة إذ وقع عن راحلته، فوقصته[٦] أو قال: فأوقصته، فقال النّبيّ ﷺ «اغسلوه بماء وسدر وكفّنوه في ثوبين، ولا تمسّوه طيباً ولا تخمّروا رأسه، ولا تحنّطوه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبّياً»[٧]. ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حمّاد بن زيد.

وقال النسائي: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه، أَخْبَرَنَا وكيع، أنبأنا سفيان الثوري عن بكير بن عطاء، عن عبد الرَّحمٰن بن يَعمر الديلي، قال: شهدت رسول الله ﷺ بعَرَفة وأتاه أناس من أهل نجد، فسألوه عن الحجّ فقال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة» فمن أدرك ليلة عَرَفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجّه[٨]. وقد رواه بقية أصحاب السنن من حديث سفيان الثوري، زاد النسائي وشعبة عن بكير بن عطاء به. وقال النسائي: أنبأنا قتيبة، أنبأنا سفيان عن عمرو بن دينار، أخبرني عمرو بن عبد اللّه بن صفوان: أن يزيد بن شيبان قال: كنا وقوفاً بعرفة مكاناً بعيداً من الموقف، فأتانا ابن مربع الأنصاري فقال: إني رسول رسول الله إليكم يقول لكم: كونوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم[٩]. وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٥٩/١.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٤٤/١.
(٣) الحلاب: الإناء الذي يحلب به.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/١.
(٥) في ط: بين.
(٦) وقص: دق عنقه.
(٧) أخرجه البخاري في جزاء الصيد باب ٢٠، ومسلم في الحج حديث ٩٤.
(٨) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٩، والترمذي في الحج باب ٥٧، والنسائي في المناسك باب ٢٠٣، وابن ماجه في المناسك باب ٥٧.
(٩) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٣، والترمذي في الحج باب ٥٣، والنسائي في المناسك باب ٢٠٢، وابن ماجه في المناسك باب ٥٥، وأحمد في المسند ١٣٧/٤.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، ولا نعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار. وابن مربع اسمه زيد بن مربع الأنصاري، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد. قال: وفي الباب عن عليّ وعائشة وجُبَير بن مُطْعم، والشريد بن سُوَيد: وقد تقدم من رواية مسلم عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «وقفت ها هنا وعَرَفة كلها موقف»[١]، زاد مالك في موطئه وارفعوا عن بطن عرفة[٢][٣].

فصل فيما حفظ من دعائه عليه السَّلام وهو واقف بعَرَفة

قد تقدم أنه عليه السَّلام أفطر يوم عَرَفة، فدلّ على أن الإفطار هناك أفضل من الصيام لما فيه من التقوي على الدعاء، لأنه المقصود الأهمّ هناك، ولهذا وقف عليه السلام وهو راكب على الراحلة من لدن الزوال، إلى أن غربت الشمس. وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده عن حوشب بن عقيل، عن مهدي الهجري، عن عكرمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن صوم يوم عَرَفة بعرفة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرَّحمٰن بن مهدي، ثنا حوشب بن عقيل، حدَّثني مهدي المحاربي، حدَّثني عكرمة مولى ابن عباس قال: دخلت على أبي هريرة في بيته فسألته عن صوم يوم عَرَفة بعرفات. فقال: نهى رسول الله ﷺ عن صوم عرفة بعرفات[٤]. وقال عبد الرَّحمٰن مرة عن مهدي العبدي: وكذلك رواه أحمد عن وكيع، عن حوشب، عن مهدي العبدي، فذكره، وقد رواه أبو داود عن سليمان بن حرب عن حوشب. والنسائي عن سليمان بن معبد، عن سليمان بن حرب به. وعن الفلاس عن ابن مهدي به. وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعليّ بن محمّد، كلاهما عن وكيع، عن حوشب.

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا [أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، ثنا][٥] أبو أسامة الكلبي، ثنا حسن بن الربيع، ثنا الحارث بن عُبَيد عن حوشب[٦] بن عقيل، عن مهدي الهجري، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: نهى النّبيّ ﷺ عن صوم يوم عَرَفة بعرفة. قال البيهقي: كذا قال الحارث بن عُبَيْد، والمحفوظ عن عكرمة عن أبي هريرة. وروى أبو حاتم محمّد بن حبان البستي في صحيحه عن عبد الله بن عمرو، أنه سئل عن صوم يوم عَرَفة فقال: حججت مع رسول الله فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، وأنا فلا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه.

قال الإمام مالك عن زياد بن أبي زياد، مولى ابن عبّاس، عن طلحة بن عُبَيد الله بن كريز

---

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٩.
(٢) كذا في الأصل، ولعله بطن عرنة فإنه من عرفة.
(٣) أخرجه مالك في الحج حديث ١٦٦، وفيه: وارتفعوا عن بطن عرنة.
(٤) أخرجه أبو داود في الصوم باب ٦٢، وابن ماجه في الصيام باب ٤٠، وأحمد في المسند ٢/٣٠٤، ٤٤٦.
(٥) ما بين المعقوفين سقط في ط.
(٦) في ط: وحشب.

أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الدعاء يوم عَرَفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له**»[١]. قال البيهقي: هذا مرسل. وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولاً وإسناده ضعيف.

وقد روى الإمام أحمد والترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده. أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الدعاء يوم عَرَفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»[٢]. وللإمام أحمد أيضاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جدّه. قال: كان أكثر دعاء النبيّ ﷺ يوم عرفة: «**لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»[٣]. وقال أبو عبد اللّه بن منده: أنبأنا أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري، ثنا أحمد بن داود بن جابر الأحمسي، ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي، ثنا فرج بن فضالة، عن يَحْيَىٰ بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحَمد وهو على كل شيء قدير**».

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد يعني ابن عبد ربه الجرجسي، ثنا بقية بن الوليد، حدَّثني جُبَيْر بن عمرو القرشي عن أَبي سعيد الأنصاري، عن أَبي يَحْيَىٰ مولى آل الزبير بن العوّام، عن الزبير بن العوّام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٨] «**وأنا على ذلك من الشاهدين يا ربّ**»[٤].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في مناسكه: حدثنا الحسن بن مثنى بن معاذ العنبري، ثنا عفان بن مسلم، ثنا قيس بن الربيع عن الأغرّ بن الصباح، عن خليفة، عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والأنبياء قبلي عشية عرفة لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».

وقال الترمذي[٥] في الدعوات: حدثنا محمّد بن حاتم المؤدّب، ثنا عليّ بن ثابت، ثنا قيس بن الربيع، وكان من بني أسد عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن عليّ رضي الله عنه، قال: كان أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ يوم عَرَفة في الموقف: «**اللهم لك الحمد كالذي نقول وخير مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ولك ربّ تراثي، أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر. اللهمّ إني أعوذ بك من شرّ ما تهب به الريح**». ثم قال: غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي. وقد رواه الحافظ البيهقي من

---

(١) أخرجه مالك في القرآن حديث ٣٢، والحج حديث ٢٤٦.
(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ١٢٢.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢١٠.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٦٦.
(٥) كتاب الدعوات باب ٨٧.

طريق موسى بن عُبَيْدة عن أخيه عبد اللّه بن عبيدة، عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أكثر دعاء من كان قبلي ودعائي يوم عَرَفة أن أقول: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللّهمّ اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي قلبي نوراً. اللهم اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، اللّهمّ إني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر، وشر فتنة القبر، وشر ما يلج في الليل، وشرّ ما يلج في النهار، وشر ما تهب به الرياح، وشر بوائق الدهر**». ثم قال: تفرّد به موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وأخوه عبد اللّه لم يدرك عليّاً.

وقال الطبراني في مناسكه: **حدّثنا** يَحْيَىٰ بن عثمان النصري، ثنا يَحْيَىٰ بن بكير، ثنا يَحْيَىٰ ابن صالح الأيلي عن إسماعيل بن أمية، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عبّاس قال: كان فيما دعا به رسول الله ﷺ في حجّة الوداع: «**اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته، وذلّ لك جسده ورغم لك أنفه. اللّهمّ لا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين ويا خير المعطين**».

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** هشيم، أنبأنا عبد الملك، ثنا عطاء. قال: قال أسامة بن زيد: كنت رديف النبيّ ﷺ بعرفات فرفع يديه يدعو فمالت [به][1] ناقته فسقط خطامها قال: فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى[2]. وهكذا رواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم. وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو عبد اللّه محمّد بن يعقوب، ثنا عليّ بن الحسن، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز، ثنا ابن جريج عن حسين بن عبد اللّه الهاشمي، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: رأيت رسول الله ﷺ يدعو بعَرَفة يداه إلى صدره كاستطعام المسكين.

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: **حدّثنا** عبد القاهر بن السري، حدَّثني ابن كنانة بن العباس بن مرداس عن أبيه، عن جده عباس بن مرداس، أن رسول الله ﷺ دعا عشية عَرَفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأوحى الله إليه إني قد فعلت إلاّ ظلم بعضهم بعضاً، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها، فقال: «**يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم**» فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله تعالى إني قد غفرت لهم. فتبسّم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تتبسّم فيها. قال: «**تبسّمت من عدو الله إبليس إنه لما علم أن الله عزّ وجلّ قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور، ويحثو**[3] التراب على رأسه»[4].

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه النسائي في المناسك باب ٢٠٢، وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٩.

(٣) يحثو: يضع.

(٤) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب ٥٦، وأحمد في المسند ٤/ ١٤، ١٥.

ورواه أَبو داود السجستاني في سننه عن عيسى بن إبراهيم البركي وأَبي الوليد الطيالسي كلاهما عن عبد القاهر بن السري، عن ابن كنانة بن عباس بن مرداس، عن أبيه، عن جده مختصراً. ورواه ابن ماجه عن أيوب بن محمّد الهاشمي بن عبد القاهر بن السري، عن عبد اللّه بن كنانة ابن عبّاس، عن أبيه، عن جده به مطولاً.

ورواه ابن جرير في تفسيره عن إسماعيل بن سيف العجلي، عن عبد القاهر بن السري، عن ابن كنانة يقال له أبو لبابة، عن أبيه، عن جدّه العباس بن مرداس فذكره.

وقال الحافظ أَبو القاسم الطبراني: **حدثنا** إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمر عمن سمع قتادة يقول: ثنا جلاس بن عمرو، عن عبادة بن الصامت. قال: قال رسول الله ﷺ يوم عرفة: «**أيها الناس إن الله تطوّل عليكم في هذا اليوم، فغفر لكم إلاَّ التبعات**[١] فيما بينكم، ووهب مسيئكم لمحسنكم. وأعطى محسنكم ما سأل. فادفعوا بسم الله». فلما كانوا بجمع قال: «**إن الله قد غفر لصالحكم وشفع لصالحيكم في طالحيكم، تنزل الرحمة فتعمهم ثم تفرق الرحمة في الأرض فتقع على كل تائب**[٢] **ممن حفظ لسانه ويده. وإبليس وجنوده على جبال عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم؛ فإذا نزلت الرحمة دعا هو وجنوده بالويل والثبور، كنت أستفرهم حقباً من الدهر** [ ][٣] المغفرة فغشيتهم، فيتفرقون يدعون بالويل والثبور».

ذكر ما نزل على رسول الله من الوحي [المنيف][٤] في هذا الموقف [الشريف][٥]

قال الإمام أَحمد: **حدّثنا** جعفر بن عون، ثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم، عن طارق ابن شهاب. قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣] فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عَرَفة في يوم جمعة[٦]. ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح، عن جعفر بن عون. وأخرجه أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قيس بن مسلم به.

---

(١) التبعات: ما يتبع المال من نوائب الحقوق، وهو من ثبوت الرجل بحقي، والتبيع: الذي يتبعك بحق يطالبك به، والمعنى أن الله تعالى يغفر الذنوب كلها إلا حقوق الآدميين المتعلقة بالذمة ليطالب بها حقاً.

(٢) في ط: نائب.

(٣) بياض بالأصل ولعله: خوف المغفرة.

(٤) سقط في ط.

(٥) سقط في ط.

(٦) أخرجه البخاري في الإيمان باب ٣٣، والمغازي باب ٧٧، والاعتصام باب ٩٦، ومسلم في التفسير حديث ٥، والترمذي في التفسير، باب ١، من سورة المائدة، والنسائي في المناسك باب ١٩٤، والإيمان باب ١٨، وأحمد في المسند ١/ ٢٨.

ذكر إفاضته عليه السَّلام من عرفات إلى المشعر الحرام

قال جابر في حديثه الطويل: فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً قليلاً حين غاب القرص، فأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق ناقته القصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رجله، ويقول بيده اليمنى: «**أيها الناس السكينة السكينة**»!! كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً، حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبّح بينهما شيئاً[١]. رواه مسلم. وقال البخاري باب السير إذا دفع من عَرَفة: حدّثنا عبد اللّه بن يوسف، أنبأنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: سئل أسامة وأنا جالس كيف كان النّبيّ ﷺ يسير في حجّة الوداع حين دفع. قال: كان يسير العنق[٢] فإذ وجد فجوة نصّ. قال هشام: والنصّ فوق العنق[٣]. ورواه الإمام أحمد وبقية الجماعة إلاّ الترمذي من طرق عدة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد. وقال الإمام أحمد: ثنا يعقوب، ثنا أبي عن ابن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد. قال: كنت رديف رسول الله ﷺ عشية عَرَفة. قال: فلما وقعت الشمس دفع رسول الله ﷺ فلما سمع حطمة الناس خلفه. قال: «**رويداً أيها الناس عليكم السكينة إن البر ليس بالإيضاع**»[٤]. قال: فكان رسول الله ﷺ إذا التحم عليه الناس أعنق[٥] وإذا وجد فرجة نص[٦]، حتى أتى المزدلفة فجمع فيها بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة[٧]. ثم رواه الإمام أحمد من طريق محمّد بن إسحاق، حدَّثني إبراهيم بن عقبة عن كريب، عن أسامة بن زيد، فذكر مثله. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، ثنا حماد عن قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد قال: أفاض رسول الله ﷺ من عَرَفة وأنا رديفه، فجعل يكبح[٨] راحلته حتى إن ذفراها[٩] ليكاد يصيب قادمة الرحل. ويقول: «**يا أيها الناس عليكم السكينة والوقار، فإن البر ليس في إيضاع الإبل**»[١٠]. وكذا رواه عن عفّان عن حمّاد بن سلمة به. ورواه النسائي من حديث حمّاد بن سلمة به. ورواه مسلم عن زهير بن حرب، عن يزيد بن هارون، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن عبّاس، عن أسامة بنحوه. قال: وقال أسامة: فما زال يسير على هينة حتى أتى جمعاً.

---

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧. (٢) العنق: هو السير بين الإبطاء والإسراع.

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٢، والجهاد باب ١٣٦، ومسلم في الحج حديث ٢٨٣، ٢٨٤، وأبو داود في الحج باب ٦٤، والنسائي في المناسك باب ٢٠٥، ٢١٤، وابن ماجه في المناسك باب ٥٨، وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٥، ٢١٠.

(٤) الإيضاع: حمل البعير على سرعة السير. (٥) أعنق: أسرع.

(٦) نص الناقة: استحثها. (٧) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٠١، ٢٠٢.

(٨) كبح الشيء: حد من نشاطه. (٩) ذفرى البعير، أصل أذنه.

(١٠) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٨٢، والنسائي في المناسك باب ٢٠٣، وأحمد في المسند ٥/ ٢٠١، ٢٠٧.

وقال الإمام أحمد[١]: **حدّثنا** أحمد بن الحجّاج، ثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب، عن شعبة، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد. أنه ردف رسول الله ﷺ يوم عَرَفة حتى دخل الشعب، ثم أهراق الماء وتوضأ، ثم ركب ولم يصلّ.

وقال الإمام أحمد[٢]: **حدثنا** عبد الصمد، ثنا همام عن قتادة، عن عروة، عن الشعبي، عن أسامة بن زيد أنه حدَّثه. قال: كنت رديف رسول الله ﷺ حين أفاض من عَرَفات، فلم ترفع راحلته رجلها غادية حتى بلغ جمعاً. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن إبراهيم بن عقبة، عن كريب، عن ابن عبّاس، أخبرني أسامة بن زيد: أن النّبيّ ﷺ أردفه من عرفة، فلما أتى الشعب نزل قبال، ولم يقل أهراق الماء فصببت عليه فتوضأ وضوءاً خفيفاً، فقلت: الصلاة؟ فقال: **«الصلاة أمامك»**. قال: ثم أتى المزدلفة فصلّى المغرب، ثم حلوا رحالهم ثم صلّى العشاء[٣]. كذا رواه الإمام أحمد عن كريب، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد فذكره. ورواه النسائي عن الحسين بن حرب عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن عقبة، ومحمّد بن أبي حرملة، كلاهما عن كريب، عن ابن عباس، عن أسامة. قال شيخنا أبو الحجّاج المزي في أطرافه: والصحيح كُريب عن أسامة.

وقال البخاري: **حدّثنا** عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك عن موسى بن عقبة، عن كريب، عن أسامة بن زيد. أنه سمعه يقول: دفع رسول الله ﷺ من عَرَفة فنزل الشعب، فبال ثم توضأ، فلم يسبغ الوضوء، فقلت له: الصلاة، فقال: **«الصلاة أمامك»**. فجاء المزدلفة فتوضأ فأسبغ، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت الصلاة فصلى العشاء ولم يصل بينهما[٤]. وهكذا رواه البخاري أيضاً عن القعنبي، ومسلم عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، والنسائي عن قتيبة، عن مالك، عن موسى بن عقبة به. وأخرجاه من حديث يَحْيَىٰ بن سعيد الأنصاري، عن موسى بن عقبة أيضاً. ورواه مسلم من حديث إبراهيم بن عقبة ومحمّد بن عقبة، عن كريب كنحو رواية أخيهما موسى بن عقبة عنه. وقال البخاري أيضاً: **حدثنا** قتيبة، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمّد بن أبي حرملة عن كريب، عن أسامة بن زيد أنه قال: ردفت رسول الله ﷺ، فلما بلغ رسول الله ﷺ الشعب الأيسر الذي دون المزدلفة، أناخ فبال، ثم جاء فصببت عليه الوضوء فتوضأ وضوءاً خفيفاً. فقلت: الصلاة يا رسول الله؟ قال: **«الصلاة أمامك»**، فركب رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة، فصلى ثم ردف الفضل رسول الله ﷺ غداة جمع. قال كريب: فأخبرني عبد الله بن عباس عن الفضل: أن رسول الله ﷺ لم يزل يلبي حتى بلغ الجمرة[٥]. ورواه مسلم عن قتيبة، ويَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، ويَحْيَىٰ بن أيوب، وعليّ بن

---

(١) المسند ٥/ ٢٠٦. (٢) المسند ٥/ ٢٠٦.

(٣) أخرجه النسائي في المواقيت باب ٥٠، وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٠.

(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٣، ٩٥، ومسلم في الحج حديث ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، والنسائي في المناسك باب ٢٠٦.

(٥) أخرجه النسائي في الحج باب ٩٣، ومسلم في الحج حديث ٢٦٦.

حجر، أربعتهم عن إسماعيل بن جعفر به.

وقال الإمام أحمد: **حدثنا** وكيع، ثنا عمر بن ذر عن مجاهد، عن أسامة بن زيد. أن رسول الله أردفه من عَرَفة. قال: فقال الناس: سيخبرنا صاحبنا ما صنع. قال فقال أسامة: لما دفع من عرفة فوقف كف رأس راحلته حتى أصاب رأسها واسطة الرحل، أو كاد يصيبه، يشير إلى الناس بيده السكينة السكينة السكينة!! حتى أتى جمعاً، ثم أردف الفضل بن عباس قال فقال الناس: سيخبرنا[1] صاحبنا بما صنع رسول الله، فقال الفضل: لم يزل يسير سيراً ليناً كسيره بالأمس، حتى أتى على وادي محسر، فدفع فيه حتى استوت به الأرض[2].

وقال البخاري: **حدثنا** سعيد بن أبي مريم، ثنا إبراهيم بن سويد، حدّثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب[3]، أخبرني سعيد بن جبير مولى والبة الكوفي، حدَّثني ابن عباس. أنه دفع النبيّ ﷺ يوم عرفة، فسمع النبيّ ﷺ وراءه زجراً شديداً، وضرباً للإبل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: **«أيها الناس عليكم بالسكينة! فإن البر ليس بالإيضاع»**[4] تفرد به البخاري من هذا الوجه. وقد تقدم رواية الإمام أحمد ومسلم والنسائي، هذا من طريق عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد فالله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل بن عمر، ثنا المسعودي عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس. قال: لما أفاض رسول الله من عرفات أوضع الناس، فأمر رسول الله منادياً ينادي: أيها الناس ليس البر بإيضاع الخيل ولا الركاب. قال: فما رأيت من رافعة يديها غادية حتى نزل جمعاً[5]. وقال الإمام أحمد[6]: **حدّثنا** حسين وأبو نعيم. قالا: ثنا إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع، قال: حدَّثني من سمع ابن عباس يقول: لم ينزل رسول الله ﷺ من عرفات وجمع إلاّ أريق الماء.

وقال الإمام أحمد[7]: **حدّثنا** يزيد بن هارون، أَخْبَرَنَا عبد الملك عن أنس بن سيرين، قال: كنت مع ابن عمر بعرفات: فلما كان حين راح رحت معه، حتى الامام فصلى معه الأولى والعصر، ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى انتهينا إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي، فقال غلامه الذي يمسك راحلته إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبيّ ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضي حاجته. وقال البخاري[8]: ثنا موسى، ثنا جويرية عن نافع. قال: كان عبد الله بن عمر يجمع بين المغرب والعشاء بجمع، غير أنه يمر بالشعب الذي أخذه رسول الله ﷺ

(١) في ط: ينخرنا.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٠٨.
(٣) المطلب: هو ابن عبد الله بن حنطب.
(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٤، ومسلم في الحج حديث ٢٨٢، والنسائي في المناسك باب ٢٠٣، وأحمد في المسند ٥/٢٠١، ٢٠٧.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٥١.
(٦) المسند ١/٢٧٣.
(٧) المسند ٢/١٣١.
(٨) كتاب الحج باب ٩٣.

فيدخل فينتقص ويتوضأ ولا يصلي حتى يجيء جمعاً، تفرّد به البخاري[١] رحمه الله من هذا الوجه. وقال البخاري: ثنا آدم بن أبي ذئب عن الزهري، عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر. قال: جمع النّبيّ ﷺ المغرب والعشاء بجمع كلّ واحدة منهما بإقامة، ولم يسبّح بينهما ولا على إثر واحدة منهما. ورواه مسلم[٢] عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، عن مالك، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعاً. ثم قال مسلم[٣]: حدَّثني حرملة حدَّثني ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، أن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عمر أخبره أن أباه قال: جمع رسول الله بين المغرب والعشاء بجمع ليس بينهما سجدة، فصلى المغرب ثلاث ركعات، وصلى العشاء ركعتين، فكان عبد اللّه يصلي بجمع كذلك حتى لحق بالله. ثم روى مسلم من حديث شعبة عن الحكم، وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جُبَير: أنه صلى المغرب بجمع والعشاء بإقامة واحدة. ثم حدّث عن ابن عمر أنه صلّى مثل ذلك. وحدّث ابن عمر أن رسول الله ﷺ صنع مثل ذلك[٤]. ثم رواه من طريق الثوري عن سلمة عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عمر. قال: جمع رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء بجمع، صلى المغرب ثلاثاً، والعشاء ركعتين بإقامة واحدة[٥]. ثم قال مسلم: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عبد اللّه بن جُبَير، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق. قال: قال سعيد بن جُبَيْر: أفضنا مع ابن عمر حتى أتينا جمعاً، فصلى بنا المغرب والعشاء بإقامة واحدة، ثم انصرف، فقال: هكذا صلى بنا رسول الله ﷺ في هذا المكان[٦].

وقال البخاري: حدثنا خالد بن مخلد، ثنا سليمان بن بلال، حدَّثني يَحْيَىٰ بن سعيد، حدَّثني عدي بن ثابت، حدَّثني عبد اللّه بن يزيد الخطمي، حدَّثني أبو يزيد الأنصاري: أن رسول الله ﷺ جمع في حجّة الوداع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة[٧]. ورواه البخاري أيضاً في المغازي عن القعنبي عن مالك. ومسلم من حديث سليمان بن بلال والليث بن سعد، ثلاثتهم عن يَحْيَىٰ بن سعيد الأنصاري، عن عدي بن ثابت. ورواه النسائي أيضاً عن الفلاس، عن يَحْيَىٰ القطان، عن شعبة، عن عدي بن ثابت به. ثم قال البخاري باب من أذن وأقام لكل واحدة منهما. حدّثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير بن حرب، ثنا أبو إسحاق، سمعت عبد الرَّحمٰن بن يزيد يقول: حجّ عبد اللّه فأتينا المزدلفة حين الأذان بالعتمة، أو قريباً من ذلك، فأمر رجلاً فأذن وأقام ثم صلى المغرب، وصلى بعدها ركعتين، ثم دعا بعشائه فتعشّى، ثم أمر رجلاً فأذّن وأقام. قال عمرو: ـ لا أعلم الشك إلاّ من زهير، ثم صلى العشاء ركعتين، فلما طلع الفجر قال: إن النّبيّ ﷺ كان لا يصلي هذه الساعة إلاّ هذه الصلاة في هذا المكان من هذا اليوم. قال عبد اللّه: هما صلاتان

---

(١) كتاب الحج باب ٩٦.
(٢) كتاب الحج حديث ٢٧٦.
(٣) كتاب الحج حديث ٢٨٧.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٨٨.
(٥) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٩١.
(٦) أخرجه مسلم في حديث ٢٩٠.
(٧) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٦، والمغازي باب ٧٧، ومسلم في الحج حديث ٢٨٥، والنسائي في المناسك باب ٢٠٧.

تحولان عن وقتهما صلاة المغرب بعدما يأتي الناس المزدلفة، والفجر حين يبزغ الفجر. قال: رأيت النّبيّ ﷺ يفعله[1] وهذا اللفظ وهو قوله والفجر حين يبزغ الفجر أبين وأظهر من الحديث الآخر الذي رواه البخاري عن حفص بن عمر بن غياث، عن أبيه، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرَّحمٰن، عن عبد اللّه بن مسعود. قال: ما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة بغير ميقاتها إلاّ صلاتين جمع بين المغرب والعشاء وصلاة الفجر قبل ميقاتها[2]. ورواه مسلم من حديث أبي معاوية وجرير عن الأعمش به. وقال جابر في حديثه: ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حتى تبيّن له الصبح بأذان وإقامة. وقد شهد معه هذه الصلاة عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائي[3]. قال الإمام أحمد: ثنا هشيم، ثنا ابن أبي خالد وزكريا عن الشعبي، أخبرني عروة بن مضرس. قال: أتيت النّبيّ ﷺ وهو بجمع فقلت: يا رسول الله جئتك من جبلي طيىء، أتعبت نفسي وأنضيت[4] راحلتي، والله ما تركت من جبل إلاّ وقفت عليه، فهل لي من حجّ؟ فقال: «من شهد معنا هذه الصلاة ـ يعني صلاة الفجر بجمع، ووقف معنا حتى يفيض منه وقد أفاض قبل ذلك من عَرَفات ليلاً أو نهاراً، فقد تمّ حجّه وقضى تفثه»[5][6].

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً وأهل السنن الأربعة من طرق عن الشعبي، عن عروة بن مضرس، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فصل

وقد كان رسول الله ﷺ قدّم طائفة من أهله بين يديه من الليل، قبل حطمة الناس من المزدلفة إلى مِنًى.

قال البخاري[7]: باب من قدم ضعفة أهله بالليل، فيقفون بالمزدلفة ويدعون، ويقدم إذا غاب القمر.

حدّثنا يَحْيَىٰ بن بكير، حدثنا الليث عن يونس، عن ابن شهاب. قال: قال سالم: كان عبد اللّه بن عمر يقدم ضعفة أهله فيقفون عند المشعر الحرام بليل، فيذكرون الله ما بدا لهم، ثم يدفعون قبل أن يقف الإمام، وقبل أن يدفع، فمنهم من يقدم مِنًى لصلاة الفجر، ومنهم من يقدم بعد ذلك، فإذا قدموا رموا الجمرة. وكان ابن عمر يقول: أرخص في أولئك رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٩، ومسلم في الحج حديث ٢٩٢.

(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.

(٤) النضو: الضعيف المهزول.

(٥) التفث: الشعث وما كان من نحو قص الأظافر والشارب، وحلق العانة وغير ذلك.

(٦) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٩، والترمذي في الحج باب ٥٧، والنسائي في المناسك باب ٢١١، وابن ماجه في المناسك باب ٥٧، وأحمد في المسند ٤/ ١٥.

(٧) كتاب الحج باب ٩٨.

حدّثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: بعثني رسول الله ﷺ من جمع بليل.

وقال البخاري: حدّثنا عليّ بن عبد اللّه، ثنا سفيان، أخبرني عبد اللّه بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول: أنا ممن قدم النبيّ ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله. وروى مسلم من حديث ابن جُرَيْج، أخبرني عطاء، عن ابن عباس. قال: بعث بي رسول الله ﷺ من جمع بسحر مع ثقله[1].

وقال الإمام أحمد: ثنا سفيان الثوري، ثنا سلمة بن كهيل عن الحسن العرني عن ابن عبّاس قال: قدّمنا رسول الله أغيلمة بني عبد المطلب على حراتنا فجعل يلطح[2] أفخاذنا بيده، ويقول «أبني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس». قال ابن عبّاس: ما أخال أحداً يرمي الجمرة حتى تطلع الشمس[3]. وقد رواه أحمد أيضاً عن عبد الرَّحمٰن بن مهدي، عن سفيان الثوري فذكره. وقد رواه أبو داود عن محمّد بن كثير، عن الثوري به. والنسائي عن محمّد بن عبد اللّه ابن يزيد عن سفيان بن عيينة، عن سفيان الثوري به. وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعليّ بن محمّد، كلاهما عن وكيع، عن مسعر، وسفيان الثوري، كلاهما عن سلمة بن كهيل به. وقال أحمد: ثنا يَحْيَىٰ بن آدم، ثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس. قال: مرّ بنا رسول الله ليلة النحر وعلينا سواد من الليل، فجعل يضرب أفخاذنا ويقول: «أبني أفيضوا[4] لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس»[5]. ثم رواه الإمام أحمد من حديث المسعودي، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس. قال: قدم رسول الله ﷺ ضعفة أهله من المزدلفة بليل، فجعل يوصيهم أن لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس[6].

وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا الوليد بن عقبة، ثنا حمزة الزيات بن حبيب عن عطاء، عن ابن عبّاس. قال: كان رسول الله ﷺ يقدم ضعفة أهله بغلس[7] ويأمرهم - يعني أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس[8] -. وكذا رواه النسائي عن محمود بن غيلان، عن بشر ابن السري، عن سفيان، عن حبيب. قال الطبراني: وهو ابن أبي ثابت عن عطاء، عن ابن عبّاس، فخرج حمزة الزيات من عهدته، وجاد إسناد الحديث والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣٠٣.
(٢) يلطح (بالحاء المهملة): الضرب بالكف وليس بالشديد.
(٣) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٦، والنسائي في المناسك باب ٢٢٢، وابن ماجه في المناسك باب ٦٢، وأحمد في المسند ١/ ٣١١، ٣٤٣.
(٤) افيضوا: اندفعوا منه وتفرقوا.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٢٦.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٢٦.
(٧) الغلس: ظلمة آخر الليل.
(٨) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٦، والنسائي في المناسك باب ٢٢٢.

وقد قال البخاري: ثنا مسدد عن يَحْيَىٰ، عن ابن جريج، حدَّثني عبد الله مولى أسماء، عن أسماء، أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة، فقامت تصلي فصلت ساعة، ثم قالت: يا بني هل غاب القمر قلت: لا، فصلّت ساعة، ثم قالت: هل غاب القمر؟ قلت: نعم! قالت: فارتحلوا فارتحلنا فمضينا حتى رمت الجمرة، ثم رجعت فصلّت الصبح في منزلها، فقلت لها: يا هنتاه، ما أرانا إلاَّ قد غلسنا فقالت: يا بني إن رسول الله ﷺ أذن للظعن[(١)]. ورواه مسلم من حديث ابن جريج به، فإن كانت أسماء بنت الصدِّيق رمت الجمار قبل طلوع الشمس كما ذكر ها هنا عن توقيف، فروايتها مقدمة على رواية ابن عبّاس، لأن إسناد حديثها أصحّ من إسناد حديثه، اللّهمّ إلاَّ أن يقال إن الغلمان أخفّ حالاً من النساء وأنشط، فلهذا أمر الغلمان بأن لا يرموا قبل طلوع الشمس، وأذن للظعن في الرمي قبل طلوع الشمس، لأنهم أثقل حالاً وأبلغ في التستر والله أعلم. وإن كانت أسماء لم تفعله عن توقيف، فحديث ابن عبّاس مقدّم على فعلها. لكن يقوي الأول قول أبي داود: ثنا محمّد بن خلال الباهلي، ثنا يَحْيَىٰ عن ابن جريج، أخبرني عطاء، أخبرني مخبر عن أسماء، أنها رمت الجمرة بليل، قلت: إنا رمينا الجمرة بليل، قالت: إنا كنا نصنع هذا على عهد النّبيّ ﷺ[(٢)].

وقال البخاري: حدثنا أبو نعيم، ثنا أفلح بن حميد، عن القاسم عن محمّد، عن عائشة، قالت: نزلنا المزدلفة فاستأذنت النّبيّ ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة بطيئة، فأذن لها، فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا نحن حتى أصبحنا، ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحبّ إلي من مفروح به[(٣)]. وأخرجه مسلم عن القعنبي، عن أفلح بن حميد به. وأخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة به. وقال أبو داود: ثنا هارون بن عبد الله، ثنا ابن أبي فديك عن الضحّاك - يعني ابن عثمان - عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. أنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ بأم سَلَمة ليلة النحر، فرمت الجمرة قبل الفجر، ثم مضت فأفاضت، وكان ذلك اليوم الذي يكون رسول الله ﷺ. قال أبو داود - يعني عندها -. انفرد به أبو داود[(٤)]، وهو إسناد جيّد قوي، رجاله ثقات.

ذكر تلبيته عليه السَّلام بالمزدلفة

قال مسلم[(٥)]: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو الأحوص عن حصين، عن كثير بن مدرك، عن عبد الرَّحمٰن بن يزيد. قال: قال عبد الله ونحن بجمع سمعت الذي أنزلت عليه

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٨، ومسلم في الحج حديث ٢٩٧.
(٢) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٦.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٨، ومسلم في الحج حديث ٢٩٣، ٢٩٦.
(٤) كتاب الحج باب ٦٦.
(٥) كتاب الحج حديث ٢٦٩.

سورة البقرة يقول في هذا المقام، «لبّيك اللّهمّ لبيك»

فصل في وقوفه عليه السَّلام بالمشعر الحرام ودفعه من المزدلفة قبل طلوع الشمس وإيضاعه في وادي مُحَسِّرٌ

قال الله تعالى ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [سورة البقرة: ١٩٨] الآية.

وقال جابر في حديثه: فصلى الفجر حين تبيّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعا الله عزّ وجلّ وكبّره وهلّله ووحّده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، ودفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عبّاس وراءه[١].

وقال البخاري: ثنا حجّاج بن منهال، ثنا شعبة عن ابن إسحاق قال سمعت عمرو بن ميمون يقول: شهدت عمر يصلي[٢] بجمع الصبح، ثم وقف، فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون أشرق ثُبَير، وإن رسول الله ﷺ أفاض قبل أن تطلع الشمس[٣]. وقال البخاري: ثنا عبد اللّه بن رجاء، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عبد الرَّحمٰن بن يزيد. قال: خرجت مع عبد اللّه إلى مكة، ثم قدمنا جمعاً فصلى صلاتين، كل صلاة وحدها بأذان وإقامة، والعشاء بينهما، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر. قائل يقول: طلع الفجر وقائل يقول: لم يطلع الفجر. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن هاتين الصلاتين حولتا عن وقتهما في هذا المكان المغرب**»، فلا تقدم الناس جمعاً حتى يقيموا وصلاة الفجر هذه الساعة، ثم وقف حتى أسفر. ثم قال: لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب السنّة، فلا أدري أقوله كان أسرع أَو دفع عثمان، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر[٤].

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنبأنا أبو عبد اللّه محمّد بن يعقوب الشيباني، ثنا يَحْيَىٰ بن محمّد بن يَحْيَىٰ، ثنا عبد الرَّحمٰن بن المبارك العبسي، ثنا عبد الوارث بن سعيد عن ابن جريج، عن محمّد بن قيس بن مخرمة، عن المسوّر بن مخرمة. قال: خطبنا رسول الله بعرفة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من ها هنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال، مثل عمائم الرجال على رؤوسها، هَدْينا مخالف لهَدْيهم. وكان يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها، هَدْينا مخالف لهَدْيهم**». قال: ورواه عبد اللّه بن إدريس عن ابن جريج، عن محمّد بن قيس بن مخرمة مرسلاً.

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.
(٢) في ط: صلى.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٠٠.
(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٩٩.

وقال الإمام أحمد [١]: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان، سمعت الأعمش عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ أفاض من المزدلفة قبل طلوع الشمس، وقال البخاري [٢]: حدثنا زهير بن حرب، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي عن يونس الايلي، عن الزهري، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عباس: أن أسامة كان ردف النّبيّ ﷺ من عَرَفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى مِنًى. قال: فكلاهما قال: لم يزل النّبيّ ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة. ورواه ابن جُرَيج عن عطاء، عن ابن عباس. وروى مسلم من حديث الليث بن سعد عن أبي الزبير، عن أبي معبد، عن ابن عبّاس، عن الفضل بن عباس. وكان رديف رسول الله ﷺ أنه قال في عشية عَرَفة وغداة جمع للناس حين دفعوا، عليكم بالسكينة وهو كافّ ناقته حتى دخل محسراً وهو من مِنى. قال: عليكم بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة. قال: ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى رمى الجمرة [٣].

وقال الحافظ البيهقي باب الإيضاع في وادي محسر: أَخبَرَنَا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرني أَبو عمرو المقري وأبو بكر الورّاق، أنبأنا الحسن بن سفيان، ثنا هشام بن عمّار وأبو بكر ابن أَبي شيبة. قالا: ثنا حاتم بن إسماعيل، ثنا جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر في حجّ النّبيّ ﷺ. قال: حتى إذا أتى محسراً، حرّك قليلاً [٤]. رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة. ثم روى البيهقي من حديث سفيان الثوري عن أبي الزبير، عن جابر. قال: أفاض رسول الله ﷺ وعليه السكينة، وأمرهم بالسكينة وأوضع في وادي محسر، وأمرهم أن يرموا الجمار بمثل حصى الخذف. وقال: «خذوا عني مناسككم لعلّي لا أراكم بعد عامي هذا». ثم روى البيهقي من حديث الثوري عن عبد الرّحمٰن بن الحارث، عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن عُبَيد اللّه بن أبي رافع، عن عليّ: أن رسول الله ﷺ أفاض من جمع، حتى أتى محسراً، فقرع ناقته حتى جاوز الوادي فوقف، ثم أردف الفضل، ثم أتى الجمرة فرماها. هكذا رواه مختصراً.

وقد قال الإمام أَحمد: حدّثنا أبو أحمد محمّد بن عبد اللّه الزبيري، ثنا سفيان بن عبد الرّحمٰن بن الحارث بن عياش بن أَبي ربيعة، عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن عُبَيد اللّه بن أَبي رافع، عن عليّ. قال: وقف رسول الله ﷺ بعَرَفة فقال: «إن هذا الموقف، وعَرَفة كلّها موقف»، وأفاض حين غابت الشمس وأردف أسامة فجعل يعنق على بعيره، والناس يضربون يميناً وشمالاً لا يلتفت إليهم. ويقول: «السكينة أيها الناس»، ثم أتى جمعاً فصلى بهم الصلاتين المغرب والعشاء. ثم بات حتى أصبح، ثم أتى قزح [٥] فوقف على قزح فقال: «هذا الموقف، وجمع كلّها موقف»، ثم سار حتى أتى محسراً فوقف عليه فقرع دابته فخبّت حتى

(١) المسند ١/ ٢٣١.
(٢) كتاب الحج باب ١٠١.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٦٨.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.
(٥) قزح: جبل بالمزدلفة.

جاز الوادي ثم حبسها، ثم أردف الفضل وسار حتى أتى الجمرة فرماها، ثم أتى المنحر. فقال: هذا المنحر ومِنَى كلّها منحر. قال: واستفتته جارية شابة من خَثْعم. فقالت: إني أبي شيخ كبير قد أفند[١] وقد أدركته فريضة الله في الحجّ، فهل يجزىء عنه أن أؤدي عنه؟ قال: «**نعم! فأدي عن أبيك**». قال: ولوى عنق الفضل فقال له العبّاس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمّك؟ قال: «**رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما**». قال: ثم جاءه رجل فقال: يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر. قال: «**انحر ولا حرج**». ثم أتاه آخر، فقال: يا رسول الله إني أفضت قبل أن أحلق، قال: «**احلق أو قصّر ولا حرج**». ثم أتى البيت فطاف، ثم أتى زمزم فقال: «**يا بني عبد المطلب سقايتكم، ولولا أن يغلبكم الناس عليها لنزعت معكم**»[٢]. وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن يَحْيَىٰ بن آدم، عن سفيان الثوري. ورواه الترمذي عن بندار، عن أبي أحمد[٣] الزبيري. وابن ماجه عن عليّ بن محمّد، عن يَحْيَىٰ بن آدم. وقال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه من حديث عليّ إلاّ من هذا الوجه. قلت: وله شواهد من وجوه صحيحة مخرجة في الصحاح وغيرها، فمن ذلك قصّة الخثعمية، وهو في الصحيحين من طريق الفَضْل، وتقدمت في حديث جابر، وسنذكر من ذلك ما تيسّر. وقد حكى البيهقي بإسناد عن ابن عبّاس أنه أنكر الإسراع في وادي محسر؛ وقال: إنما كان ذلك من الأعراب. قال: والمثبّت مقدّم على النافي، قلت: وفي ثبوته عنه نظر والله أعلم. وقد صحّ ذلك عن جماعة من الصحابة عن رسول الله، وصحّ من صنيع الشيخين أبي بكر وعمر أنهما كانا يفعلان ذلك، فروى البيهقي عن الحاكم عن النجّاد وغيره، عن أبي عليّ محمّد بن معاذ بن المستهل المعروف بدران، عن القعنبي، عن أبيه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن المسوّر بن مخرمة أن عمر كان يوضع ويقول:

إليك تعدوا قلقاً وضينها[٤] مخالف دين النصارى دينها

ذكر رميه عليه السَّلام جمرة العقبة وحدها يوم النحر وكيف رماها ومتى رماها؟ ومن أي موضع رماها؟ وبكم رماها؟ وقطعه التلبية حين رماها

قد تقدم من حديث أسامة والفضل وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، أنه عليه السَّلام لم يزل يلبّي حتى رمى جمرة العقبة. وقال البيهقي: أنبأنا الإمام أبو عثمان، أنبأنا أبو طاهر بن خزيمة، أنبأنا جدي ـ يعني إمام الأئمة ـ محمّد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا عليّ بن

(١) أفند: إذا تكلم بالفند والفند الكذب ثم قالوا للشيخ إذا هرم قد أفند لأنه يتكلم بالخوف.

(٢) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٥، والترمذي في الحج باب ٥٤، وابن ماجه في المناسك باب ٢٥، وأحمد في المسند ١/ ٧٥، ٧٦.

(٣) في ط: أحمد.

(٤) الوضين: حزام الرحل، والقلق المتسع، كناية عن هزال الناقة.

حجر، ثنا شريك عن عامر بن شقيق، عن أَبي وائل، عن عبد اللّه. قال: رمقت النّبيّ ﷺ فلم يزل يلبّي حتى رمى جمرة العقبة بأول حصاة. وبه عن ابن خزيمة، ثنا عمر بن حفص الشيباني، ثنا حفص بن غياث، ثنا جعفر بن محمّد عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن ابن عبّاس، عن الفضل. قال: أفضت مع رسول الله من عَرَفات، فلم يزل يلبّي حتى رمى جمرة العقبة، يكبّر مع كل حصاة، ثم قطع التلبية مع آخر حصاة. قال البيهقي: وهذه زيادة غريبة ليست في الروايات المشهورة عن ابن عبّاس، عن الفضل، وإن كان ابن خزيمة قد اختارها.

وقال محمّد بن إِسحاق: حدَّثني أبان بن صالح عن عكرمة. قال: أفضت مع الحسين بن عليّ، فما أزال أسمعه يلبّي حتى رمى جمرة العقبة، فلما قذفها أمسك. فقلت: ما هذا؟ فقال: رأيت أَبي عليّ بن أَبي طالب يلبّي حتى رمى جمرة العقبة، وأخبرني أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك. وتقدم من حديث الليث عن أَبي الزبير، عن أَبي معبد، عن ابن عبّاس، عن أخيه الفضل. أن النّبيّ ﷺ أمر الناس في وادي محسر بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة. رواه مسلم[١]. وقال أَبو العالية عن ابن عبّاس: حدَّثني الفضل، قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة يوم النحر: «هات فالقط لي حصاً»، فلقطت له حصيات مثل حصى الخذف، فوضعهن في يده فقال: «بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». رواه البيهقي، وقال جابر في حديثه حتى أتى بطن محسر، فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات، يكبّر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي. رواه مسلم[٢].

وقال البخاري: وقال جابر رضي الله عنه: رمى النّبيّ ﷺ يوم النحر ضحى، ورمى بعد ذلك بعد الزوال[٣]. وهذا الحديث الذي علّقه البخاري أسنده مسلم من حديث ابن جريج، أخبرني أَبو الزبير، سمع جابراً. قال: رمى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحر ضحى، وأما بعد فإذا زالت الشمس[٤]. وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم، عن عبد الرَّحمٰن بن يزيد. قال: رمى عبد اللّه من بطن الوادي فقلت: يا أبا عبد الرَّحمٰن إن ناساً يرمونها من فوقها. فقال: والذي لا إله غيره هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة[٥] لفظ البخاري. وفي لفظ له من حديث شعبة عن الحكم، عن إبراهيم، عن عبد الرَّحمٰن، عن عبد اللّه بن مسعود: أنه أتى الجمرة الكبرى، فجعل البيت عن يساره، ومِنًى عن يمينه، ورمى بسبع. وقال: هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة[٦].

---

(١) كتاب الحج حديث ٢٦٨.
(٢) كتاب الحج حديث ١٤٧.
(٣) أخرجه البخاري تعليقاً في الحج باب ١٣٤.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣١٤.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣٥، ومسلم في في الحج حديث ٣٠٥.
(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣٥.

ثم قال البخاري[١] باب من رمى الجمار بسبع يكبّر مع كل حصاة، قاله ابن عمر عن النّبيّ ﷺ، وهذا إنما يعرف في حديث جابر من طريق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر كما تقدّم أنه أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات، يكبّر مع كل حصاة منها، مثل حصى الخذف. وقد روى البخاري في هذه الترجمة من حديث الأعمش عن إبراهيم، عن عبد الرَّحْمٰن بن يزيد، عن عبد اللّه بن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي بسبع حصيات، يكبّر مع كل حصاة. ثم قال: من ها هنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

وروى مسلم[٢] من حديث ابن جُرَيج: أخبرني أَبو الزبير، سمع جابر بن عبد اللّه. قال: رأيت رسول الله يرمي الجمرة بسبع مثل حصى الخذف. وقال الإمام أَحمد: حدثنا يَحْيَىٰ بن زكريا، ثنا حجاج عن الحكم، عن أَبي القاسم ـ يعني مقسماً ـ عن ابن عباس. أن النّبيّ ﷺ رمى الجمرة، جمرة العقبة يوم النحر راكباً[٣]. ورواه الترمذي عن أَحمد بن منيع، عن يَحْيَىٰ بن زكريا بن أَبي زائدة، وقال: حسن. وأخرجه ابن ماجه عن أَبي بكر بن أَبي شيبة، عن أَبي خالد الأحمر، عن الحجّاج بن أرطاة به.

وقد روى أَحمد وأَبو داود وابن ماجه والبيهقي من حديث يزيد بن زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أمه أم جندب الأزدية. قالت: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمار من بطن الوادي وهو راكب يكبّر مع كل حصاة، ورجل من خلفه يستره، فسألت عن الرجل فقالوا: الفضل بن عباس، فازدحم الناس. فقال النّبيّ ﷺ: «يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، وإذا رميتم الجمرة فارموه بمثل حصى الخذف»[٤]. لفظ أَبي داود، وفي رواية له قالت: رأيته عند جمرة العقبة راكباً، ورأيت بين أصابعه حجراً، فرمى ورمى الناس، ولم يقم عندها[٥]. ولابن ماجه[٦] قالت: رأيت رسول الله ﷺ يوم النحر عند جمرة العقبة وهو راكب على بغلة. وذكر الحديث، وذكر البغلة ها هنا غريب جداً. وقد روى مسلم[٧] في صحيحه من حديث ابن جريج، أَخبرني أَبو الزبير، سمعت جابر بن عبد اللّه يقول: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر، ويقول «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحجّ بعد حجتي هذه». وروى مسلم[٨] أيضاً من حديث زيد بن أَبي أنيسة، عن يَحْيَىٰ بن الحصين، عن جدّته أم الحصين، سمعتها تقول: حججت مع رسول الله ﷺ حجّة الوداع، فرأيته حين رمى جمرة العقبة

(١) كتاب الحج باب ١٣٨.
(٢) كتاب الحج حديث ٣١٣.
(٣) أخرجه الترمذي في الحج باب ٦٣، وابن ماجه في المناسك باب ٦٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٣٢.
(٤) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٨، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧٦.
(٥) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٨.
(٦) كتاب الحج باب ٦٣.
(٧) كتاب الحج حديث ٣١٠.
(٨) كتاب الحج حديث ٣١١، ٣١٢.

وانصرف وهو على راحلته يوم النحر، وهو يقول: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلّي لا أحجّ بعد حجتي هذه». وفي رواية قالت: حججت مع رسول الله حجّة الوداع، فرأيت أسامة وبلالاً أحدهما آخذ بخطام ناقة النبيّ ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحرّ حتى رمى جمرة العقبة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد محمّد بن عبد اللّه الزبيري، ثنا أيمن بن نابل، ثنا قدامة بن عبد اللّه الكلابي. أنه رأى رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر، على ناقة له صهباء، لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك[1]. ورواه أحمد أيضاً عن وكيع، ومعتمر بن سليمان، وأبي قرّة موسى بن طارق الزبيدي، ثلاثتهم عن أيمن بن نائل به. ورواه أيضاً عن أبي قرة، عن سفيان الثوري، عن أيمن. وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث وكيع به. ورواه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن مروان بن معاوية، عن أيمن بن نائل به. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا نوح بن ميمون، ثنا عبد اللّه - يعني العُمَري - عن نافع، قال كان ابن عمر يرمي جمرة العقبة على دابته يوم النحر، وكان لا يأتي سائرها بعد ذلك إلاّ ماشياً. وزعم أن النبيّ ﷺ كان لا يأتيها ماشياً ذاهباً وراجعاً[2]. ورواه أبو داود عن القعنبي عن عبد اللّه العُمَري به.

فصل

قال جابر: ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى عليّاً فنحر ما غَبَر، وأشركه في هَدْيه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر، فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها وسنتكلّم على هذا الحديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: ثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمر عن حميد الأعرج، عن محمّد ابن إبراهيم التّيْمي، عن عبد الرَّحمٰن بن معاذ، عن رجل من أصحاب النّبيّ ﷺ قال: خطب النّبيّ ﷺ بمِنَى ونزلهم منازلهم فقال: «لينزل المهاجرون ها هنا»، وأشار إلى ميمنة القبلة، «والأنصار ها هنا»، وأشار إلى ميسرة القبلة. «ثم لينزل الناس حولهم». قال: وعلّمهم مناسكهم، ففتحت أسماع أهل مِنَى حتى سمعوه في منازلهم. قال: فسمعته يقول: «ارموا الجمرة بمثل حصى الخذف»[3]. وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل إلى قوله «ثم لينزل الناس حولهم». وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الصَّمد بن عبد الوارث، عن أبيه، وأبو داود عن مسدد، عن عبد الوارث، وابن ماجه من حديث ابن المبارك، عن عبد الوارث، عن حميد بن قيس الأعرج، عن محمّد بن إبراهيم التيمي، عن عبد الرَّحمٰن بن معاذ التيمي قال: خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمِنَى، ففتحت أسماعنا حتى كأنا نسمع ما يقول[4] الحديث. ذكر جابر بن

---

(١) أخرجه الترمذي في الحج باب ٦٥، والنسائي في المناسك باب ٢٢٠، وابن ماجه في المناسك باب ٦٦، وأحمد في المسند ٣/٤١٢، ٤١٣.

(٢) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٨، وأحمد في المسند ٢/١٣٨.

(٣) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٠، وأحمد في المسند ٤/٦١.

(٤) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٤، والنسائي في المناسك باب ١٨٩، وأحمد في المسند ٤/٦١.

عبد اللّه أن رسول الله ﷺ أشرك عليّ بن أبي طالب في الهَدْي، وأن جماعة الهَدْي الذي قدم به عليّ من اليمن والذي جاء به رسول الله ﷺ مائة من الإبل، وأن رسول الله ﷺ نحر بيده الكريمة ثلاثاً وستين بدنة. قال ابن حبان وغيره: وذلك مناسب لعمره عليه السلام، فإنه كان ثلاثاً وستين سنة. وقد قال الإمام أحمد: ثنا يَحْيَىٰ بن آدم، ثنا زهير، ثنا محمّد بن عبد الرّحمٰن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس. قال: نحر رسول الله ﷺ في الحجّ مائة بدنة، نحر منها بيده ستين، وأمر ببقيتها فنحرت. وأخذ من كل بدنة بضعة، فجمعت في قدر فأكل منها وحسى من مرقها. قال: ونحر يوم الحُدَيْبية سبعين، فيها جمل أبي جهل، فلما صدّت عن البيت حنّت كما تحنّ إلى أولادها[1]. وقد روى ابن ماجه بعضه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعليّ بن محمّد عن وكيع، عن سفيان الثوري، عن ابن أبي ليلى به. وقال الإمام أحمد: ثنا يعقوب، ثنا أبي عن محمّد بن إسحاق، حدّثني رجل عن عبد اللّه بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جَبْر، عن ابن عبّاس. قال: أهدى رسول الله ﷺ في حجّة الوداع مائة بدنة، نحر منها ثلاثين بدنة بيده؛ ثم أمر علياً فنحر ما بقي منها. وقال «قسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس، ولا تعطينّ جزاراً منها شيئاً، وخذ لنا من كل بعير جدية من لحم، واجعلها في قدر واحدة، حتى نأكل من لحمها، ونحسو من مرقها» ففعل[2]. وثبت في الصحيحين من حديث مجاهد عن ابن أبي ليلى، عن عليّ. قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بدنه، وأن أتصدّق بلحومها وجلودها وأجلتها، وأن لا أعطي الجزار منها شيئاً، وقال: «نحن نعطيه من عندنا»[3]. وقال أبو داود: ثنا محمّد بن حاتم، ثنا عبد الرّحمٰن بن مهدي، ثنا عبد اللّه بن المبارك عن حرملة بن عمران، عن عبد اللّه بن الحارث الأزدي، سمعت عرفة بن الحارث الكندي. قال: شهدت رسول الله ﷺ وأتى بالبدن فقال: «ادع لي أبا حسن»، فدعي له عليّ. فقال: «خذ بأسفل الحربة»، وأخذ رسول الله ﷺ بأعلاها، ثم طعنا بها البدن، فلما فرغ ركب بغلته وأردف عليّاً. تفرّد به أبو داود[4]، وفي إسناده ومتنه غرابة والله أعلم. وقال الإمام أحمد[5]: حدّثنا أحمد بن الحجّاج: أنبأنا عبد اللّه، أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم، عن أبي القاسم - يعني مقسماً - عن ابن عباس. قال: رمى رسول الله ﷺ جمرة العقبة، ثم ذبح ثم حلق. وقد ادعى ابن حزم أنه ضحى عن نسائه بالبقر، وأهدى بمِنًى بقرة، وضحى هو بكبشين أملحين.

صفة حلقه رأسه الكريم عليه [من ربه][6] أفضل الصلاة والتسليم

قال الإمام أحمد[7]: حدثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمر عن الزهري، عن سالم، عن ابن

(١) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب ٨٤، وأحمد في المسند ١/ ٣١٤، ٣١٥.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٦٠.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٢٠، ١٢١، ومسلم في الحج حديث ٣٤٨.
(٤) كتاب الحج باب ١٩.
(٥) المسند ١/ ٢٥٠.
(٦) سقط في ط.
(٧) المسند ٢/ ٨٩.

عمر. أن رسول الله ﷺ حلق في حجّته. ورواه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - عن عبد الرزّاق. وقال البخاري: ثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، قال: قال نافع: كان عبد اللّه بن عمر يقول: حلق رسول الله ﷺ في حجّته[(١)]. ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة، عن نافع به. وقال البخاري: ثنا عبد اللّه بن محمّد بن أسماء، ثنا جويرية بن أسماء، عن نافع أن عبد اللّه ابن عمر. قال: حلق رسول الله ﷺ وطائفة من أصحابه وقصّر بعضهم[(٢)]. ورواه مسلم من حديث الليث عن نافع به وزاد، قال عبد اللّه قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلّقين» مرّة أو مرّتين. قالوا: يا رسول الله والمقصّرين؟ قال: «والمقصّرين»[(٣)]. وقال مسلم: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع وأبو داود الطيالسي عن يَحْيَىٰ بن الحصين، عن جدّته، أنها سمعت رسول الله في حجّة الوداع دعا للمحلّقين ثلاثاً وللمقصّرين مرّة، ولم يقل وكيع في حجّة الوداع[(٤)]. وهكذا روى هذا الحديث مسلم من حديث مالك وعبد اللّه[(٥)] عن نافع، عن ابن عمر، وعمارة عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، والعلاء بن عبد الرَّحمٰن عن أبيه، عن أبي هريرة. وقال مسلم: ثنا يَحْيَىٰ ابن يَحْيَىٰ، ثنا حفص بن غياث، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أنس بن مالك. أن رسول الله ﷺ أتى مِنَى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمِنَى ونحر. ثم قال للحلاّق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس[(٦)]. وفي رواية أنه حلق شقّه الأيمن، فقسّمه بين الناس من شعرة وشعرتين، وأعطى شقه الأيسر لأبي طلحة. وفي رواية له أنه أعطى الأيمن لأبي طلحة، وأعطاه الأيسر وأمره أن يقسّمه بين الناس. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سليمان بن حرب، ثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ والحلاّق يحلقه، وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن يقع شعرة إلاّ في يد رجل[(٧)]. انفرد به أحمد.

فصل

ثم لبس عليه السّلام ثيابه وتطيّب بعدما رمى جمرة العقبة، ونحر هَدْيه، وقبل أن يطوف بالبيت طيّبته عائشة أم المؤمنين. قال البخاري: ثنا عليّ بن عبد اللّه بن المديني، ثنا سفيان - هو ابن عيينة - ثنا عبد الرَّحمٰن بن القاسم بن محمّد، وكان أفضل أهل زمانه. أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول: إنه سمع عائشة تقول: طيّبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين حين أحرم، ولحلّه حين أحلّ قبل أن يطوف، وبسطت يديها[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ١٢٧، ومسلم في الحج حديث ٣٢٢.
(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ١٢٧.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣١٦.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١.
(٥) كذا في نسخة الدار، وفي التيمورية: عبيد الله.
(٦) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣٢٣، ٣٢٤ .
(٧) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٣٣.
(٨) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٣.

وقال مسلم[١]: ثنا يعقوب الدورقي وأحمد بن منيع. قالا: ثنا هشيم، أنبأنا منصور عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: كنت أطيّب رسول الله ﷺ قبل أن يحرم، ويحلّ يوم النحر قبل أن يطوف بالبيت، بطيب فيه مسك. وروى النسائي من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: طيّبت رسول الله لحرمه حين أحرم، ولحلّه بعدما رمى جمرة العقبة قبل أن يطوف بالبيت[٢].

وقال الشافعي: **أنبأنا** سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن سالم. قال: قالت عائشة: أنا طيّبت رسول الله لحلّه وإحرامه. ورواه عبد الرزّاق عن معمر عن الزهري، عن سالم، عن عائشة فذكره. وفي الصحيحين من حديث ابن جُرَيْج: أخبرني عمر بن عبد اللّه بن عروة أنه سمع عروة والقاسم يخبرا عن عائشة. أنها قالت: طيّبت رسول الله بيدي بذريرة في حجّة الوداع للحلّ والإحرام[٣]. ورواه مسلم من حديث الضحّاك بن عثمان عن أبي الرحال، عن أمه عمرة، عن عائشة به.

وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل، عن الحسن العوفي، عن ابن عباس، أنه قال: إذا رميتم الجمرة فقد حللتم من كل شيء كان عليكم حراماً إلاَّ النساء، حتى تطوفوا بالبيت. فقال رجل: والطيب يا أبا العبّاس؟ فقال له: إني رأيت رسول الله ﷺ يضمخ رأسه بالمسك أفطيب هو أم لا؟ وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني أبو عُبَيْدة عن عبد اللّه بن زمعة، عن أبيه وأمه زينب بنت أم سَلَمة، عن أم سَلَمة قالت: كانت الليلة التي يدور فيها رسول الله ﷺ ليلة النحر، فكان رسول الله عندي، فدخل وهب بن زمعة ورجل من آل أبي أميّة متقمّصين. فقال لهما رسول الله ﷺ: «أفضتما؟» قالا: لا. قال: «فانزعا قميصكما» فنزعاهما. فقال له وهب: ولِمَ يا رسول الله؟ فقال: «هذا يوم أرخص لكم فيه إذا رميتم الجمرة، ونحرتم هدياً، إن كان لكم فقد حللتم من كل شيء حرّمتم منه، إلاَّ النساء، حتى تطوفوا بالبيت، فإذا رميتم ولم تفيضوا صرتم حرماً كما كنتم أول مرّة حتى تطوفوا بالبيت»[٤]. وهكذا رواه أبو داود عن أحمد ابن حنبل، ويَحْيَـىٰ بن معين، كلاهما عن ابن أبي عدي، عن ابن إسحاق فذكره. وأخرجه البيهقي عن الحاكم، عن أبي بكر بن أبي إسحاق، عن أبي المثنى العَنْبري، عن يَحْيَـىٰ بن معين، وزاد في آخره: قال أبو عبيدة: وحدثتني أم قيس بنت محصن، قالت: خرج من عندي عكاشة بن محصن في نفر من بني أسد متقمّصين عشية يوم النحر، ثم رجعوا إلينا عشياً وقمصهم على أيديهم يحملونها فسألتهم فأخبروها بمثل ما قال رسول الله ﷺ لوهب بن زمعة وصاحبه، وهذا الحديث غريب جداً، لا أعلم أحداً من العلماء قال به.

---

(١) كتاب الحج حديث ٤٦.

(٢) أخرجه النسائي في المناسك باب ٤١.

(٣) أخرجه البخاري في اللباس باب ٨١، ومسلم في الحج حديث ٣٥، ٣٨.

(٤) أخرجه أبو داود في الحج باب ٨٣.

ذكر إفاضته ﷺ إلى البيت العتيق

قال جابر: ثم ركب رسول الله ﷺ إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم. فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن تغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم»، فناولوه دلواً فشرب منه[1]. رواه مسلم؛ ففي هذا السياق ما يدلّ على أنه عليه السَّلام ركب إلى مكة قبل الزوال، فطاف بالبيت، ثم لما فرغ صلى الظهر هناك. وقال مسلم أيضاً: أَخْبَرَنَا محمّد بن رافع، أنبأنا عبد الرزّاق، أنبأنا [عُبَيد اللّه بن عمر عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر، ثم رجع فصلى الظهر][2] بمِنَى[3]. وهذا خلاف حديث جابر، وكلاهما عند مسلم، فإن عللنا بهما أمكن أن يقال: إنه عليه السَّلام صلى الظهر بمكة، ثم رجع إلى مِنَى فوجد الناس ينتظرونه، فصلى بهم والله أعلم. ورجوعه عليه السَّلام إلى مِنَى في وقت الظهر ممكن لأن ذلك الوقت كان صيفاً، والنهار طويل، وإن كان قد صدر منه عليه السلام أفعال كثيرة في صدر هذا النهار، فإنه دفع فيه من المزدلفة بعدما أسفر الفجر جداً، ولكنه قبل طلوع الشمس، ثم قدم مِنَى فبدأ برمي جمرة العقبة بسبع حصيات. ثم جاء، فنحر بيده ثلاثاً وستين بدنة، ونحر عليّ بقية المائة، ثم أخذت من كل بدنة بضعة، ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت، فأكل من ذلك اللحم، وشرب من ذلك المرق. وفي غبون[4] ذلك حلق رأسه عليه السلام وتطيب، فلما فرغ من هذا كلّه ركب إلى البيت، وقد خطب عليه السلام في هذا اليوم خطبة عظيمة، ولست أدري أكانت قبل ذهابه إلى البيت، أو بعد رجوعه منه إلى مِنَى فالله أعلم.

والقصد أنه ركب إلى البيت فطاف به سبعة أطواف راكباً، ولم يطف بين الصفا والمروة كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر وعائشة رضي الله عنهما. ثم شرب من ماء زمزم، ومن نبيذ تمر من ماء زمزم. فهذا كلّه مما يقوي قول من قال: إنه عليه السَّلام صلى الظهر بمكة، كما رواه جابر. ويحتمل أنه رجع إلى مِنَى في آخر وقت الظهر، فصلى بأصحابه بمِنَى الظهر أيضاً. وهذا هو الذي أشكل على ابن حزم، فلم يدر ما يقول فيه، وهو معذور لتعارض الروايات الصحيحة فيه والله أعلم.

وقال أبو داود[5]: حدثنا عليّ بن بحر وعبد اللّه بن سعيد المعني، قالا: ثنا أبو خالد الأحمر، عن محمّد بن إسحاق، عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالي أيام

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ١٤٧.
(٢) سقط في ط.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣٣٥.
(٤) يريد (غضون ذلك) أي في أثناء ذلك.
(٥) كتاب الحج باب ٧٨.

التشريق، يرمي الجمرة إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات، يكبّر مع كل حصاة. قال ابن حزم: فهذا جابر وعائشة قد اتفقا على أنه عليه السّلام صلى الظهر يوم النحر بمكة، وهما والله أعلم أضبط لذلك من ابن عمر. كذا قال وليس بشيء، فإن رواية عائشة هذه ليست ناصة[1] أنه عليه السّلام صلى الظهر بمكة، بل محتملة إن كان المحفوظ في الرواية حتى صلى الظهر، وإن كانت الرواية حين صلى الظهر وهو الأشبه، فإن ذلك دليل على أنه عليه السّلام صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب إلى البيت، وهو محتمل والله سبحانه وتعالى أعلم. وعلى هذا فيبقى مخالفاً لحديث جابر، فإن هذا يقتضي أنه صلى الظهر بمنى قبل أن يركب إلى البيت، وحديث جابر يقتضي أنه ركب إلى البيت قبل أن يصلي الظهر وصلاّها بمكة.

وقد قال البخاري وقال أبو الزبير عن عائشة وابن عباس: أخّر النّبيّ ﷺ - يعني طواف الزيارة إلى الليل - وهذا والذي علّقه البخاري، فقد رواه الناس من حديث يَحْيَىٰ بن سعيد، وعبد الرَّحمٰن بن مهدي، وفرج بن ميمون عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن عائشة وابن عبّاس: أن النّبيّ ﷺ أخّر الطواف يوم النحر إلى الليل[2]. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث سفيان به. وقال الترمذي: حسن.

وقال الإمام أحمد[3]: حدّثنا محمّد بن عبد اللّه، ثنا سفيان عن أبي الزبير، عن عائشة وابن عمر: أن رسول الله ﷺ زار ليلاً. فإن حمل هذا على أنه أخّر ذلك إلى ما بعد الزوال، كأنه يقول إلى العشي صحّ ذلك. وأما إن حمل على ما بعد الغروب فهو بعيد جداً، ومخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة من أنه عليه السّلام طاف يوم النحر نهاراً، وشرب من سقاية زمزم. وأما الطواف الذي ذهب في الليل إلى البيت بسببه، فهو طواف الوداع. ومن الرواة من يعبّر عنه بطواف الزيارة كما سنذكره إن شاء الله؛ أو طواف زيارة محضة قبل طواف الوداع، وبعد طواف الصدر الذي هو طواف الفرض. وقد ورد حديث سنذكره في موضعه، أن رسول الله كان يزور البيت كل ليلة من ليالي مِنًى، وهذا بعيد أيضاً والله أعلم. وقد روى الحافظ البيهقي من حديث عمرو بن قيس، عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله أذن لأصحابه فزاروا البيت يوم النحر ظهيرة، وزار رسول الله ﷺ مع نسائه ليلاً. وهذا حديث غريب جداً أيضاً، وهذا قول طاوس وعروة بن الزبير: أن رسول الله ﷺ أخّر الطواف يوم النحر إلى الليل. والصحيح من الروايات، وعليه الجمهور أنه عليه السّلام طاف يوم النحر بالنهار، والأشبه أنه كان قبل الزوال، ويحتمل أن يكون بعده والله أعلم.

والمقصود أنه عليه السّلام لما قدم مكة طاف بالبيت سبعاً وهو راكب، ثم جاء زمزم وبنو عبد المطلب يستقون منها ويسقون الناس، فتناول منها دلواً فشرب منه وأفرغ عليه منه. كما قال

---

(١) ناصة: أي منصوصة بالكتابة أو الرواية.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في الحج باب ١٢٩، وأبو داود في الحج باب ٨٣، والترمذي في الحج باب ٨٠، وابن ماجه في المناسك باب ٧٧، وأحمد في المسند ٦/ ٢١٥.

(٣) المسند ٢/ ٥٠.

مسلم: أَخْبَرَنَا محمّد بن منهال الضرير، ثنا يزيد بن زريع، ثنا حميد الطويل، عن بكر بن عبد الله المزني، سمع ابن عباس يقول وهو جالس معه عند الكعبة: قدم النّبيّ ﷺ على راحلته، وخلفه أسامة، فأتيناه بإناء فيه نبيذ فشرب [منه][1] وسقى فضله أسامة. وقال: **«أحسنتم وأجملتم هكذا فاصْنعوا»**. قال ابن عبّاس: فنحن لا نريد أن نغيّر ما أمر به رسول الله ﷺ. وفي رواية عن بكر أن أعرابياً قال لابن عباس: ما لي أرى بني عمكم يسقون اللبن والعسل، وأنتم تسقون النبيذ، أمن حاجة بكم أم من بخل؟ فذكر له ابن عبّاس هذا الحديث[2]. وقال أحمد: حدّثنا روح، ثنا حماد عن حميد، عن بكر، عن عبد اللّه: أن أعرابياً قال لابن عباس: ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل، وآل فلان يسقون اللبن، وأنتم تسقون النبيذ. أمِن بخل بكم أم حاجة؟ فقال ابن عبّاس: ما بنا بخل ولا حاجة، ولكن رسول الله ﷺ جاءنا وردیفه أسامة بن زيد، فاستسقى فسقيناه من هذا ـ يعني نبيذ السقاية ـ فشرب منه وقال: **«أحسنتم هكذا فاصنعوا»**[3]. ورواه أحمد عن روح ومحمّد بن بكر عن ابن جريج، عن حسين بن عبد اللّه بن عُبَيد اللّه بن عبّاس، وداود بن عليّ بن عبد اللّه بن عبّاس عن ابن عبّاس، فذكره.

وروى البخاري[4] عن إسحاق بن سليمان عن خالد عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله جاء إلى السقاية فاستقى، فقال العبّاس: يا فضل اذهب إلى أمك فأتِ رسول الله بشراب من عندها. فقال: **«اسقني»**! فقال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه. قال: **«اسقني»**! فشرب منه، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها. فقال: **«اعملوا فإنكم على عمل صالح»**. ثم قال: **«لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه ـ يعني عاتقه ـ وأشار إلى عاتقه»**. وعنده من حديث عاصم عن الشعبي: أن ابن عباس قال: سقيت النّبيّ ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم. قال عاصم: فحلف عكرمة ـ ما كان يومئذ إلاّ على بعير. وفي رواية ناقته.

وقال الإمام أَحمد: **حدثنا هشيم**[5]، ثنا يزيد بن أَبي زياد عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت وهو على بعير، واستلم الحجر بمحجن كان معه. قال: وأتى السقاية فقال: **«اسقوني»**! فقالوا: إن هذا يخوضه الناس، ولكنا نأتيك به من البيت. فقال: **«لا حاجة لي فيه، اسقوني مما يشرب الناس»**[6]. وقد روى أَبو داود عن مسدد، عن خالد الطحان، عن يزيد بن أَبي زياد، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: قدم رسول الله مكة ونحن نستقي، فطاف على راحلته[7]، الحديث. وقال الإمام أَحمد[8]: **حدّثنا** روح وعفان. قالا: ثنا

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣٤٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧٢.

(٤) كتاب الحج باب ٧٥، ٧٦.

(٥) في ط: هشم.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٤، ٢١٥.

(٧) أخرجه أبو داود في الحج باب ٤٩.

(٨) المسند ١/ ٣٧٢.

حمّاد عن قيس، وقال عفّان في حديثه: أنبأنا قيس عن مجاهد، عن ابن عبّاس. أنه قال: جاء النّبيّ ﷺ إلى زمزم، فنزعنا له دلواً فشرب، ثم مجّ فيه ثم أفرغناها في زمزم. ثم قال: «**لولا أن تغلبوا عليها لنزعت بيدي**» انفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم.

فصل

ثم إنه ﷺ لم يعد الطواف بين الصفا والمروة مرّة ثانية، بل اكتفى بطوافه الأول. كما روى مسلم في صحيحه[1] من طريق ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، سمعت جابر بن عبد الله يقول: لم يطف النّبيّ ﷺ وأصحابه بين الصفا والمروة إلاّ طوافاً واحداً.

قلت: والمراد بأصحابه ها هنا الذين ساقوا الهَدْي وكانوا قارنين. كما ثبت في صحيح مسلم[2] أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: ـ وكانت أدخلت الحجّ على العمرة، فصارت قارنة ـ: «**يكفيك طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة لحجّك وعمرتك**». وعند أصحاب الإمام أحمد أن قول جابر وأصحابه عام في القارنين والمتمتّعين. ولهذا نص الإمام أحمد على أن المتمتع يكفيه طواف واحد عن حجّه وعمرته، وإن تحلّل بينهما تحلّل. وهو قول غريب مأخذه ظاهر عموم الحديث والله أعلم. وقال أصحاب أبي حنيفة في المتمتع كما قال المالكية والشافعية، إنه يجب عليه طوافان وسعيان حتى طردت الحنفية ذلك في القارن، وهو من إفراد مذهبهم، أنه يطوف طوافين ويسعى سعيين، ونقلوا ذلك عن عليّ موقوفاً. وروي عنه مرفوعاً إلى النّبيّ ﷺ، وقد قدمنا الكلام على ذلك كلّه عند الطواف، وبيّنا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للأحاديث الصحيحة والله أعلم.

فصل

ثم رجع عليه السَّلام إلى مِنًى بعدما صلى الظهر بمكة، كما دلّ عليه حديث جابر. وقال ابن عمر: رجع فصلى الظهر بمنى، رواهما مسلم كما تقدم قريباً، ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة وبمنى والله أعلم. وتوقف ابن حزم في هذا المقام، فلم يجزم فيه بشيء، وهو معذور لتعارض النقلين الصحيحين فيه فالله أعلم. وقال محمّد بن إسحاق عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى مِنًى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرات إذا زالت الشمس، كلّ جمرة بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة. ورواه أبو داود[3] منفرداً به. وهذا يدلّ على أن ذهابه عليه السَّلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال. وهذا ينافي حديث ابن عمر قطعاً، وفي منافاته لحديث جابر نظر والله أعلم.

---

(١) كتاب الحج حديث ٢٦٥.

(٢) كتاب الحج حديث ١٣٣.

(٣) كتاب الحج باب ٧٨.

فصل

وقد خطب رسول الله ﷺ في هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة، تواترت بها الأحاديث، ونحن نذكر منها ما يسّره الله عز وجل. قال البخاري باب الخطبة أيام مِنَى: حدّثنا عليّ بن عبد اللّه، ثنا يَحْيَىٰ بن سعيد، ثنا فضيل بن غزوان، ثنا عكرمة عن ابن عبّاس. أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام. قال: «فأي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام. قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا» . قال: فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: «اللّهم هل بلّغت، اللّهمّ قد بلّغت» ، قال ابن عبّاس: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته ـ«فليبلّغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[(١)] . ورواه الترمذي عن الفلاس، عن يَحْيَىٰ القطان به. وقال: حسن صحيح. وقال البخاري أيضاً: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، ثنا أبو عامر، ثنا قرة، عن محمّد بن سيرين، أخبرني عبد الرَّحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه، ورجل أفضل في نفسي من عبد الرَّحمٰن، حميد بن عبد الرَّحمٰن عن أَبي بكرة رضي الله عنه. قال: خطبنا النّبيّ ﷺ يوم النحر فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه. قال: «أليس هذا يوم النحر؟» قلنا: بلى! قال: «أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه. قال: «أليس ذو الحجّة؟» قلنا: بلى! قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه. قال: «أليس بالبلد الحرام؟» قلنا: بلى! قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربّكم، ألا هل بلّغت» ؟ قالوا: نعم! [قال][(٢)] : «اللّهمّ اشهد فليبلّغ الشاهد الغائب، فرُبَّ مبلّغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[(٣)] ورواه البخاري ومسلم من طرق عن محمد بن سيرين به. ورواه مسلم من حديث عبد اللّه بن عون، عن ابن سيرين، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه فذكره. وزاد في آخره ثم انكفأ إلى كَبْشين أملحين، فذبحهما وإلى جُذَيعة من الغنم فقسمها بيننا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، أنبأنا أيوب عن محمّد بن سيرين، عن أبي بكرة. أن رسول الله ﷺ خطب في حجّته فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثني [عشر][(٤)] شهراً، منها أربعة حرم؛ ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» . ثم قال: «ألا أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه. قال: «أليس هذا يوم النحر؟» قلنا:

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٣٠.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣٢، والمغازي باب ٧٧، ومسلم في القسامة حديث ٣٠.

(٤) سقط في ط.

بلى! ثم قال: «أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى! ثم قال: «أي بلد هذا؟» قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «أليست البلدة؟» قلنا: بلى! قال: «فإن دماءكم وأموالكم ـ لأحسبه ـ قال: وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلّغت. ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعلّ من يبلّغه يكون أوعى له من بعض من سمعه»[١]. هكذا وقع في مسند الإمام أحمد عن محمّد بن سيرين عن أبي بكرة. وهكذا رواه أبو داود عن مسدد[٢]؛ والنسائي عن عمرو بن زرارة، كلاهما عن إسماعيل ـ وهو ابن علية ـ عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي بكرة به. وهو منقطع لأن صاحبا الصحيح أخرجاه من غير وجه عن أيوب وغيره، عن محمّد بن سيرين، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه به.

وقال البخاري أيضاً: حدّثنا محمّد بن المثنى، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عاصم بن محمّد ابن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر. قال: قال النّبيّ ﷺ بمنى: «أتدرون أي يوم هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن هذا يوم حرام، أفتدرون أي بلد هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «بلد حرام». قال: «أفتدرون أي شهر هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهر حرام». قال: «فإن الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[٣]. وقد أخرجه البخاري في أماكن متفرقة من صحيحه. وبقية الجماعة إلاّ الترمذي، من طرق عن محمّد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن جدّه عبد الله بن عمر، فذكره قال البخاري وقال هشام بن الغاز: أخبرني نافع عن ابن عمر، وقف النّبيّ ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجّة التي حجّ بهذا. وقال: «هذا يوم الحجّ الأكبر»، فطفق النّبيّ ﷺ يقول: «اللّهمّ اشهد» وودع الناس، فقالوا: هذه حجّة الوداع[٤]. وقد أسند هذا الحديث أبو داود عن مؤمل بن الفضل، عن الوليد بن مسلم. وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار، عن صدقة بن خالد، كلاهما عن هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشي أبي العبّاس[٥] الدمشقي به. وقيامه عليه السّلام بهذه الخطبة عند الجمرات يحتمل أنه بعد رميه الجمرة يوم النحر، وقبل طوافه. ويحتمل أنه بعد طوافه ورجوعه إلى مِنًى ورميه بالجمرات، لكن يقوي الأول ما رواه النسائي حيث قال: حدّثنا عمرو بن هشام الحراني، ثنا محمّد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة، عن يَحْيَىٰ بن حصين الأحمسي عن جدّته أم حصين، قالت: حججت في حجة

---

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٦٨، وأحمد في المسند ٥/ ٣٧.

(٢) في ط: مسدور.

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣٢، ومسلم في الإيمان حديث ١١٩، وأبو داود في السنة باب ١٦، والنسائي في التحريم باب ٢٩، وابن ماجه في الفتن باب ١٩، وأحمد في المسند ٢/ ٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣٢، وأبو داود في الحج باب ٦٧، وابن ماجه في المناسك باب ٧٦.

(٥) في الخلاصة: أبي عبد الله الدمشقي.

النّبيّ ﷺ فرأيت بلالاً آخذاً بقود راحلته، وأسامة بن زيد رافع عليه ثوبه يظلّله من الحرّ، وهو محرم حتى رمى جمرة العقبة. ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وذكر قولاً كثيراً[١]. وقد رواه مسلم من حديث زيد بن أبي أنيسة، عن يَحْيَىٰ بن الحصين، عن جدّته أم الحصين، قالت: حججت مع رسول الله حجة الوداع، فرأيت أسامة وبلالاً أحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله، والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة. قالت فقال رسول الله قولاً كثيراً. ثم سمعته يقول: **«إن أمر عليكم عبد مجدع[٢]** ـ حسبتها ـ قالت: **أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»**[٣].

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا محمّد بن عُبَيد اللّه، ثنا الأعمش عن أَبي صالح ـ وهو ـ ذكوان السمّان عن جابر. قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر فقال: **«أي يوم أعظم حرمة؟»** قالوا: يومنا هذا. قال: **«أي شهر أعظم حرمة؟»** قالوا: شهرنا هذا. قال: **«أي بلد أعظم حرمة؟»** قالوا: بلدنا هذا. قال: **«فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، هل بلّغت؟»** قالوا: نعم. قال: **«اللهم اشهد»**[٤]. انفرد به أَحمد من هذا الوجه، وهو على شرط الصحيحين. ورواه أَبو بكر بن أَبي شيبة عن أَبي معاوية، عن الأعمش به. وقد تقدم حديث جعفر بن محمّد عن أبيه، عن جابر في خطبته عليه السَّلام يوم عَرَفة فالله أعلم. قال الإمام أَحمد: ثنا عليّ بن بحر، ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش، عن أَبي صالح، عن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع، فذكر معناه. وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمّار، عن عيسى بن يونس به. وإسناده على شرط الصحيحين فالله أعلم. وقال الحافظ أَبو بكر البزار، حدّثنا أَبو هشام، ثنا حفص عن الأعمش، عن أَبي صالح، عن أَبي هريرة وأَبي سعيد. أن رسول الله ﷺ خطب فقال: **«أي يوم هذا؟»** قالوا: يوم حرام. قال: **«فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»**. ثم قال البزار: رواه أَبو معاوية عن الأعمش، عن أَبي صالح، عن أَبي هريرة وأَبي سعيد. وجمعهما لنا أَبو هشام عن حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أَبي صالح، عن أَبي هريرة وأَبي سعيد قلت: وتقدّم رواية أَحمد له عن محمّد بن عبيد الطنافسي عن الأعمش، عن أَبي صالح، عن جابر بن عبد اللّه، فلعلّه عند أَبي صالح عن الثلاثة والله أعلم. وقال هلال بن يساف عن سلمة ابن قيس الأشجعي. قال: قال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع: **«إنما هن أربع، لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، ولا تزنوا ولا تسرقوا»**. قال: فما أنا بأشحّ عليهن مني حين سمعتهن من رسول الله ﷺ[٥]. وقد رواه أَحمد والنسائي من

---

(١) أخرجه النسائي في المناسك باب ٢٢٠.
(٢) مجدع: مقطوع الأنف.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣١١.
(٤) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب ٨٤، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٢.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٣٩.

حديث منصور عن هلال بن يساف. وكذلك رواه سفيان بن عيينة والثوري عن منصور.

وقال ابن حزم في حجّة الوداع: **حدّثنا** أحمد بن عمر بن أنس العذري، ثنا أبو ذر عبد الله ابن أحمد الهَرَويّ الأنصاري، ثنا أحمد بن عبدان الحافظ بالأهواز، ثنا سهل بن موسى بن شيرزاد، ثنا موسى بن عمرو بن عاصم، ثنا أبو العوام، ثنا محمّد بن جحادة عن زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك. قال: شهدت رسول الله في حجّة الوداع وهو يخطب وهو يقول: **«أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك»**، قال: فجاء قوم فقالوا: يا رسول الله قبلنا بنو يربوع فقال رسول الله ﷺ: **«لا تجني نفس على أخرى»**، ثم سأله رجل نسي أن يرمي الجمار. فقال: **«ارم ولا حرج»**. ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله نسيت الطواف، فقال: **«طف ولا حرج»**. ثم أتاه آخر حلق قبل أن يذبح قال: **«اذبح ولا حرج»**. فما سألوه يومئذ عن شيء إلاَّ قال لا حرج لا حرج. ثم قال: **«قد أذهب الله الحرج إلاَّ رجلاً اقترض امرأ مسلماً فذلك الذي حرج وهلك»**. وقال: **«ما أنزل الله داء إلاَّ أنزل له دواء إلاَّ الهرم»**[(1)]. وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن بعض هذا السياق من هذه الطريق. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** حجّاج، حدَّثني شعبة عن عليّ بن مدرك، سمعت أبا زرعة يحدّث عن جرير، وهو جدّه، عن النبيّ ﷺ قال في حجّة الوداع: **«يا جرير استنصت الناس»** ثم قال في خطبته: **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»**[(2)]. ثم رواه أحمد عن غندر وعن ابن مهدي، كلّ منهما عن شعبة به. وأخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به. وقال أحمد: ثنا ابن نمير، ثنا إسماعيل عن قيس، قال: بلغنا أن جريراً قال: قال رسول الله ﷺ: **«استنصت الناس»**، ثم قال عند ذلك: **«لا أعرفن بعدما أرى ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»**[(3)]. ورواه النسائي من حديث عبد الله بن نمير به.

وقال النسائي: ثنا هناد بن السري عن أبي الأحوص، عن ابن غرقدة، عن سليمان بن عمرو، عن أبيه. قال: شهدت رسول الله في حجّة الوداع يقول: **«أيها الناس»** ثلاث مرات **«أي يوم هذا»**؟ قالوا: يوم الحج الأكبر. قال: **«فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، ولا يجني جان على والده، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبد في بلدكم هذا ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى، ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية يوضع لكم رؤوس أموالكم، لا تَظلمون ولا تُظلمون»**. وذكر تمام الحديث.

وقال أبو داود[(4)]: باب من قال يخطب يوم النحر: **حدّثنا** هارون بن عبد الله، ثنا هشام

---

(١) أخرجه أبو داود في الطب باب ١، والترمذي في الطب باب ٢، وابن ماجه في الطب باب ١، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في العلم باب ٤٣، والمغازي باب ٧٧، ومسلم في الإيمان حديث ١١٨، والنسائي في التحريم باب ٢٩، وأحمد في المسند ٤/٣٥٨، ٣٦٦.

(٣) أخرجه النسائي في التحريم باب ٢٩، وأحمد في المسند ٤/٣٦٦.

(٤) كتاب الحج باب ٧٢.

ابن عبد الملك، ثنا عكرمة - هو ابن عمار - ثنا الهرماس بن زياد الباهلي قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس على ناقته العضباء يوم الأضحى بمنى. ورواه أحمد[١] والنسائي من غير وجه عن عكرمة بن عمار، عن الهرماس. قال: كان أبي مردفي، فرأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى يوم النحر على ناقته العضباء. لفظ أحمد وهو من ثلاثيات المسند ولله الحمد. ثم قال أبو داود[٢]: ثنا مؤمل بن الفضل الحراني، ثنا الوليد، ثنا ابن جابر، ثنا سليم بن عامر، سمعت أبا أمامة يقول: سمعت خطبة رسول الله ﷺ بمنى يوم النحر. وقال الإمام أحمد[٣]: ثنا عبد الرَّحمٰن عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر الكلاعي. سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو يومئذ على الجدعاء، واضع رجليه في الغرز يتطاول ليسمع الناس. فقال بأعلى صوته: «**ألا تسمعون**»؟ فقال رجل من طوائف الناس: يا رسول الله ماذا تعهد إلينا فقال: «**اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا إذا أمرتم، تدخلوا جنّة ربكم**» فقلت: يا أبا أمامة مثل من أنت يومئذ. قال: أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة، أزاحم البعير أزحزحه قدماً لرسول الله ﷺ. ورواه أحمد أيضاً عن زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، وأخرجه الترمذي عن موسى بن عبد الرَّحمٰن الكوفي، عن زيد بن الحباب. وقال: حسن صحيح.

قال الإمام أحمد: ثنا أبو المغيرة، ثنا إسماعيل بن عباس، ثنا شرحبيل بن مسلم الخولاني، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصيّة لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، وحسابهم على الله. ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة، لا تنفق امرأة من بيتها إلاّ بإذن زوجها**». فقيل: يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: «**ذاك أفضل أموالنا**». ثم قال رسول الله: «**العارية مؤدّاة، والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم**»[٤]. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث إسماعيل بن عياش، وقال الترمذي: حسن.

ثم قال أبو داود رحمه الله باب متى يخطب يوم النحر: **حدّثنا** عبد الوهّاب بن عبد الرحيم الدمشقي، ثنا مروان عن هلال بن عامر المزني، حدَّثني رافع بن عمرو المزني. قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعليّ يعبّر عنه، والناس بين قائم وقاعد[٥]. ورواه النسائي عن دحيم، عن مروان الفزاري به.

وقال الإمام أحمد[٦]: **حدّثنا** أبو معاوية، ثنا هلال بن عامر المزني، عن أبيه. قال: رأيت رسول الله يخطب الناس بمنى على بغلة وعليه بُرُد أحمر. قال: ورجل من أهل بدر بين يديه

---

(١) المسند ٥/ ٧.
(٢) كتاب الحج باب ٧٢.
(٣) المسند ٥/ ٢٥١.
(٤) أخرجه أبو داود في الحج باب ١٨، والترمذي في الوصايا باب ٥، وابن ماجه في الصدقات باب ٥، وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٧.
(٥) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٣.
(٦) المسند ٣/ ٤٧٨.

يعبر عنه. قال: فجئت حتى أدخلت يدي بين قدمه وشراكه. قال: فجعلت أعجب من بَرْدها. حدّثنا محمّد بن عبيد، ثنا شيخ من بني فزارة عن هلال بن عامر المزني، عن أبيه. قال: رأيت رسول الله على بغلة شهباء وعليّ يعبر عنه[١]. ورواه أبو داود من حديث أبي معاوية عن هلال ابن عامر. ثم قال أبو داود باب ما يذكر الإمام في خطبته بمنى: حدّثنا مسدد، ثنا عبد الوارث عن حميد الأعرج، عن محمّد بن إبراهيم التيمي، عن عبد الرَّحمٰن بن معاذ التيمي. قال: خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلّمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار، فوضع السباحتين ثم قال: حصى الخذف. ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد، وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد، ثم نزل الناس بعد ذلك[٢]. وقد رواه أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه. وأخرجه النسائي من حديث ابن المبارك، عن عبد الوارث كذلك. وتقدم رواية الإمام أحمد له عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن محمّد بن إبراهيم التيمي، عن عبد الرَّحمٰن بن معاذ، عن رجل من الصحابة فالله أعلم. وثبت في الصحيحين من حديث ابن جُرَيج عن الزهري، عن عيسى بن طلحة، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بينا هو يخطب يوم النحر، فقام إليه رجل فقال: كنت أحسب أن كذا وكذا، قبل كذا وكذا. ثم قام آخر فقال: كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا. فقال رسول الله ﷺ: **«افعل ولا حرج»**[٣]. وأخرجاه من حديث مالك. زاد مسلم ويونس عن الزهري به. وله ألفاظ كثيرة ليس هذا موضع استقصائها. ومحلّه كتاب الأحكام، وبالله المستعان وفي لفظ الصحيحين. قال: فما سُئِل رسول الله ﷺ في ذلك اليوم عن شيء قدّم وإِلاّ أخّر، إِلاّ قال: **«افعل ولا حرج»**.

فصل

ثم نزل عليه السَّلام بمِنًى حيث المسجد اليوم فيما يقال، وأنزل المهاجرين يمنته والأنصار يسرته والناس حولهم من بعدهم. وقال الحافظ البيهقي: **أنبأنا** أبو عبد اللّه الحافظ، أنبأنا عليّ بن محمّد بن عقبة الشيباني بالكوفة، ثنا إبراهيم بن إِسحاق الزهري، ثنا عُبَيد اللّه بن موسى، أنبأنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر، عن يوسف بن ماهك، عن أم مسيكة، عن عائشة. قال: قيل يا رسول الله ألا نبني لك بمنى بناء يظلّك. قال: **«لا منى مناخ من سبق»**. وهذا إسناد لا بأس به، وليس هو في المسند ولا في الكتب الستة من هذا الوجه. وقال أبو داود: ثنا أبو بكر محمّد بن خلاد الباهلي، ثنا يَحْيَىٰ عن ابن جريج أو أبو حريز الشك من يَحْيَىٰ أنه سمع عبد الرَّحمٰن بن فروخ يسأل ابن عمر قال: إنا نتبايع [بأموال الناس فيأتي أحدنا

---

(١) المسند ٣/٤٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٤، والنسائي في المناسك باب ١٨٩، وأحمد في المسند ٤/٦١.

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣١، ومسلم في الحج حديث ٣٢٧، ٣٣٠، وأحمد في المسند ٢/١٩٢.

مكة فيبيت على المال، فقال: أما رسول الله ﷺ فبات بمنى وظل[1]. انفرد به أبو[2] داود. ثم قال أبو داود: ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا ابن نمير وأبو أسامة، عن عُبَيد اللّه، عن نافع، عن ابن عمر قال: استأذن العبّاس رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي مِنَى من أجل سقايته، فأذن له[3]، وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث عبد اللّه بن نمير، زاد البخاري وأبي ضمرة أنس ابن عياض، زاد مسلم وأبي أسامة حمّاد بن أسامة. وقد علقه البخاري عن أبي أسامة وعقبة بن خالد، كلّهم عن عُبَيد اللّه بن عمر به. وقد كان ﷺ يصلي بأصحابه بمنى ركعتين كما ثبت عنه ذلك في الصحيحين من حديث ابن مسعود، وحارثة بن وهب رضي الله عنهما. ولهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن سبب هذا القصر النسك، كما هو قول طائفة من المالكية وغيرهم. قالوا: ومن قال: إنه عليه السّلام كان يقول بمنى لأهل مكة: أتمّوا فإنا قوم سفر، فقد غلط إنما قال ذلك رسول الله ﷺ عام الفتح، وهو نازل بالأبطح كما تقدّم والله أعلم. وكان ﷺ يرمي الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام مِنَى بعد الزوال، كما قال جابر فيما تقدم ماشياً، كما قال ابن عمر فيما سلف، كل جمرة بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة. ويقف عند الأولى وعند الثانية يدعو الله عزّ وجلّ ولا يقف عند الثالثة. قال أبو داود: حدثنا عليّ بن بحر وعبد اللّه بن سعيد المعني قالا: ثنا أبو خالد الأحمر، عن محمّد بن إسحاق، عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى منى فمكث بها أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات ويكبّر مع كل حصاة، ويقف عند الأولى والثانية فيطيل المقام، ويتضرّع ويرمي الثالثة لا يقف عندها. انفرد به أبو داود[4]. وروى البخاري من غير وجه، عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر. أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبّر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم ثم يسهل فيقوم مستقبل القبلة طويلاً، ويدعو ويرفع يديه ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال، فيسهل فيقوم مستقبل القبلة ويدعو ويرفع يديه ويقوم طويلاً، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف فيقول: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله[5]. وقال وبرة بن عبد الرَّحمٰن: قام ابن عمر عند العقبة بقدر قراءة سورة البقرة. وقال أبو مجلز: حزرت قيامه بعد قراءة سورة يوسف، ذكرْهما البيهقي. وقال الإمام أحمد[6]: حدّثنا سفيان بن عيينة عن عبد اللّه بن أبي بكر، عن أبيه، عن أبي القداح، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ رخص للرعاء أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً، وقال أحمد[7]: حدثنا محمّد بن أبي بكر، أنبأنا روح، ثنا ابن جريج، أخبرني محمّد بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو عن أبيه، عن أبي القداح ابن عاصم بن عدي، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ أرخص للرعاء أن يتعاقبوا فيرموا يوم النحر ثم

---

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٥.
(٢) ما بين المعقوفين: سقط في ط.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٣٣، ومسلم في الحج حديث ٣٤٦، وأبو داود في الحج باب ٧٥.
(٤) كتاب الحج باب ٧٨.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٠.
(٦) المسند ٥/ ٤٥٠.
(٧) المسند ٥/ ٤٥٠.

يدعوا يوماً وليلة ثم يرموا الغد. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرَّحمٰن، ثنا مالك عن عبد الله ابن بكر عن أبيه، عن أبي القداح بن عاصم بن عدي، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ رخص لرعاء الإبل في البيتوتة بمنى حتى يرمون يوم النحر، ثم يرمون يوم النحر، ثم يرمون الغد أو من بعد الغد ليومين، ثم يرمون يوم النفر[١]. وكذا رواه عن عبد الرزَّاق عن مالك بنحوه. وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث مالك، ومن حديث سفيان بن عيينة به. قال الترمذي: ورواية مالك أصحّ، وهو حديث حسن صحيح.

فصل فيما ورد من الأحاديث الدالة على أنه عليه السلام خطب الناس بمنى في اليوم الثاني من أيام التشريق وهو أوسطها

قال أبو داود باب أي يوم يخطب: حدّثنا محمّد بن العلاء، أنبأنا ابن المبارك عن إبراهيم ابن نافع، عن ابن أبي نجيح[٢]، عن أبيه، عن رجلين من بني بكر. قالا: رأينا رسول الله ﷺ يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهي خطبة رسول الله ﷺ التي خطبها[٣] بمنى. انفرد به أبو داود[٤]، ثم قال أبو داود: ثنا محمّد بن بشار، ثنا أبو عاصم، ثنا ربيعة بن عبد الرَّحمٰن بن حصين، حدثتني جدّتي سراء بنت نبهان - وكانت ربّة بيت في الجاهلية -. قالت: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الرؤوس فقال: «أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: «أليس أوسط أيام التشريق». انفرد به أبو داود[٥]. قال أبو داود: وكذلك قال عم أبي حرّة[٦] الرقاشي أنه خطب أوسط أيام التشريق، وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد متصلاً مطولاً، فقال: ثنا عثمان، ثنا حماد بن سلمة، أنبأنا عليّ بن زيد، عن أبي حرّة الرقاشي عن عمّه. قال: كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس. فقال: «يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم؟» قالوا: في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام. قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى أن تلقونه». ثم قال: «اسمعوا مني تعيشوا، ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا، إنه لا يحلّ مال امرء مسلم إلاَّ بطيب نفس منه، ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل. ألا إن كل ربا في الجاهلية موضوع، وإن الله قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض»، ثم

---

(١) أخرجه أبو داود في الحج باب ٧٨، والترمذي في الحج باب ١٠٨، والنسائي في المناسك باب ٢٢٥، وابن ماجه في المناسك باب ٦٧، وأحمد في المسند ٥/ ٤٥٠.

(٢) في ط: نجيع.

(٣) في ط: خطب.

(٤) في الأصل: أبو حمزة، والتصحيح عن أبي داود والخلاصة.

(٥) كتاب الحج باب ٧١.

(٦) كتاب الحج باب ٧١.

قـرأ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٣٦] **«ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكنه في التحريش بينكم، واتقوا الله في النساء، فإنهن عندكم عوان**[١] لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإن لهنّ عليكم حقاً ولكم عليهنّ حق، أن لا يوطئن فرشكم أحد غيركم، ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه. فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها»، وبسط يده وقال: **«ألا هل بلّغت! ألا هل بلّغت!»** ثم قال: **«ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه ربّ مبلغ أسعد من سامع»**. قال حميد: قال الحسن: حين بلغ هذه الكلمة: قد والله بلغوا أقواماً كانوا أسعد به[٢]. وقد روى أبو داود في كتاب النكاح[٣] من سننه عن موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد بن جدعان عن أبي حرّة الرقاشي - واسمه حنيفة - عن عمّه ببعضه في النشوز. قال ابن حزم: جاء أنه خطب يوم الرؤوس وهو اليوم الثاني من يوم النحر بلا خلاف عن أهل مكة، وجاء أنه أوسط أيام التشريق، فيحتمل على أن أوسط بمعنى أشرف، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. وهذا المسلك الذي سلكه ابن حزم بعيد والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا الوليد بن عمرو بن مسكين، ثنا أبو همام محمّد بن الزبرقان، ثنا موسى بن عبيدة عن عبد اللّه بن دينار، وصدقة بن يسار عن عبد اللّه بن عمر، قال: نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ بمنى وهو في أوسط أيام التشريق في حجّة الوداع ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرحلت له، ثم ركب فوقف للناس بالعقبة فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله.

ثم قال: «أما بعد أيها الناس فإن كل دم كان في الجاهلية فهو هدر، وإن أول دمائكم أهدر دم ربيعة بن الحارث[٤]، كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل. وكل ربا في الجاهلية فهو موضوع، وإن أول رباكم أضع ربا العباس بن عبد المطلب، أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض: وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر، منها أربعة حُرُم رجب - مضر - الذي بين جمادى وشعبان، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٣٦] الآية ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [سورة التوبة: ٣٧] **كانوا يحلّون صفراً عاماً، ويحرّمون المحرم عاماً، ويحرّمون صفر عاماً، ويحلّون المحرم عاماً، فذلك النّسِيءُ. يا أيها الناس من كان عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان، وقد يرضى عنكم بمحقرات الأعمال، فاحذروه على دينكم بمحقرات**

---

(١) عوان: أسرى.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٧٢، ٧٣.

(٣) باب ٤٣.

(٤) كذا في الأصل، وتقدم أنه ابن ربيعة.

الأعمال، أيها الناس إن النساء عندكم عوان، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، لكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يعصينكم في معروف، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، فإن ضربتم فاضربوا ضرباً غير مبرح. ولا يحلّ لامرء من مال أخيه إلاّ ما طابت به نفسه، يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلّوا، كتاب الله فاعملوا به، أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام. قال: «أي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام. قال: «فإن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة هذا اليوم، في هذا البلد وهذا الشهر، ألا ليبلّغ شاهدكم غائبكم، لا نبيّ بعدي ولا أمة بعدكم»، ثم رفع يديه فقال: «اللّهمّ اشهد».

حديث [فيه أن][1] رسول الله ﷺ [كان][2] يزور البيت [في][3] كل ليلة من ليالي منى

قال البخاري يذكر عن أبي حسّان، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ كان يزور البيت في أيام مِنَى[4]، هكذا ذكره معلقاً بصيغة التمريض. وقد قال الحافظ البيهقي: أخبرناه أبو الحسن ابن عبدان، أنبأنا أحمد بن عُبَيْد الصفّار، ثنا العُمَري، أنبأنا ابن عرعرة فقال: دفع إلينا معاذ بن هشام كتاباً قال سمعته من أبي، ولم يقرأه قال: فكان فيه عن قتادة، عن أبي حسان، عن ابن عبّاس. أن رسول الله ﷺ كان يزور البيت كل ليلة ما دام بمِنَى. قال: وما رأيت أحداً واطأه عليه قال البيهقي: وروى الثوري في الجامع عن طاوس، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يفيض كل ليلة - يعني ليالي مِنَى - وهذا مرسل.

فصل

اليوم السادس من ذي الحجّة.

قال بعضهم: يقال له: **يوم الزينة** لأنه يزين فيه البدن بالجلال وغيرها، واليوم السابع يقال له: **يوم التروية** لأنه يتروون فيه من الماء، ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده، واليوم الثامن يقال له: **يوم مِنَى** لأنهم يرحلون فيه من الأبطح إلى مِنَى، واليوم التاسع يقال له: **يوم عَرَفة** لوقوفهم فيه بها، واليوم العاشر يقال له: **يوم النحر** ويوم الأضحى ويوم الحجّ الأكبر، واليوم الذي يليه يقال له: **يوم القرّ** لأنهم يقرّون فيه، ويقال له: يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحي، وهو أول أيام التشريق، وثاني أيام التشريق يقال له: يوم النفر الأول لجواز النفر فيه، وقيل: هو اليوم الذي يقال له يوم الرؤوس، واليوم الثالث من أيام

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه البخاري تعليقاً في الحج باب ١٢٩.

التشريق يقال له: يوم النفر الآخر. قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٣] الآية. فلما كان يوم النفر الآخر، وهو اليوم الثالث من أيام التشريق، وكان يوم الثلاثاء، ركب رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فنفر بهم من مِنًى، فنزل المحصب وهو واد بين مكة ومِنًى، فصلى به العصر. كما قال البخاري: حدّثنا محمّد بن المثنى، ثنا إسحاق بن يوسف، ثنا سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رُفَيْع. قال: سألت أنس بن مالك: أخبرني بشيء عقلته[١] عن رسول الله ﷺ أين صلى الظهر يوم التروية؟ قال: بمنى. قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال: بالأبطح، افعل كما يفعل امراؤك[٢]. وقد روي أنه ﷺ صلّى الظهر يوم النفر بالأبطح وهو المحصب فالله أعلم.

قال البخاري: حدّثنا عبد المتعال بن طالب، ثنا ابن وهب، أَخْبَرَني عمرو بن الحارث أن قتادة حدّثه أن أنس بن مالك حدّثه عن النبي ﷺ: أنه صلى الظهر والعصر والعشاء، ورقد رقدة في المحصب ثم ركب إلى البيت فطاف به[٣]. قلت ـ يعني طواف الوداع ـ.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن عبد الوهّاب، ثنا خالد بن الحارث. قال: سئل عُبَيد الله عن المحصب: فحدّثنا عُبَيد الله عن نافع قال: نزل بها رسول الله ﷺ، وعمر وابن عمر، وعن نافع: أن ابن عمر كان يصلي بها ـ يعني المحصب ـ والظهر والعصر أحسبه قال: والمغرب قال خالد: لا أشك في العشاء، ثم يهجع[٤] هجعة، ويذكر ذلك عن النّبيّ ﷺ[٥]. وقال الإمام أحمد: ثنا نوح بن ميمون أنبأنا عبد الله عن نافع، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان نزلوا المحصب[٦]، هكذا رأيته في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله العُمَرِيّ، عن نافع. وقد روى الترمذي هذا الحديث عن إسحاق بن منصور، وأخرجه ابن ماجه عن محمّد بن يَحْيَىٰ، كلاهما عن عبد الرزّاق، عن عُبَيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كان رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ينزلون الأبطح[٧]. قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة وأبي رافع وابن عباس، وحديث ابن عمر حسن غريب، وإنما نعرفه من حديث عبد الرزّاق عن عُبَيد الله بن عمر به. وقد رواه مسلم عن محمّد بن مَهْران الرازي عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبطح[٨]. ورواه مسلم أيضاً من حديث صخر بن جويرية، عن نافع عن ابن عمر:

---

(١) هذا عن التيمورية، وفي الأصل: غفلته.
(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٦.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٦.
(٤) هجع: نام.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٨.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٢/١٣٨.
(٧) أخرجه الترمذي في الحج باب ٨١، وابن ماجه في المناسك باب ٧١، وأحمد في المسند ٢/٨٩.
(٨) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣٣٧.

أنه كان ينزل المحصب[١]. وكان يصلي الظهر يوم النفر بالحصبة. قال نافع: قد حصب رسول الله ﷺ والخلفاء بعده[٢].

وقال الإمام أحمد[٣]: حدّثنا يونس، ثنا حماد ـ يعني ابن سلمة ـ عن أيوب وحميد عن بكر ابن عبد الله، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء، ثم هجع هجعة، ثم دخل ـ يعني مكة ـ فطاف بالبيت. ورواه أحمد أيضاً عن عفان، عن حماد، عن حميد، عن بكر، عن ابن عمر، فذكره؛ وزاد في آخره: وكان ابن عمر يفعله[٤]، وكذلك رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل. وقال البخاري: حدثنا الحميدي، ثنا الوليد، ثنا الأوزاعي، حدَّثني الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ من الغد يوم النحر بمنى: **«نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»** ـ يعني بذلك المحصب[٥] ـ الحديث. ورواه مسلم عن زهير بن حرب، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي [به][٦] فذكر مثله سواء.

وقال الإمام أحمد[٧]: حدثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمر عن الزهري، عن عليّ بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد. قال: قلت: يا رسول الله أين تنزل غداً ـ في حجّته؟ـ قال: **«وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟»** ثم قال: **«نحن نازلون غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة ـ يعني المحصب ـ حيث قاسمت قريشاً على الكفر»**، وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم ـ يعني حتى يسلموا إليهم رسول الله. ثم قال عند ذلك: **«لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم»** قال الزهري ـ والخيف ـ الوادي. أخرجاه من حديث عبد الرزّاق، وهذان الحديثان فيهما دلالة على أنه عليه السّلام قصد النزول في المحصب مراغمة، لما كان تمالىء عليه كفّار قريش لما كتبوا الصحيفة في مصارمة بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ كما قدمنا بيان ذلك في موضعه. وكذلك نزله عام الفتح، فعلى هذا يكون نزوله سنّة مرغباً فيها، وهو أحد قولي العلماء. وقد قال البخاري: ثنا أبو نعيم أنبأنا سفيان عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: إنما كان منزلاً ينزله النبيّ ﷺ ليكون أسمح لخروجه ـ يعني الأبطح[٨] ـ. وأخرجه مسلم من حديث هشام به، ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل، عن يَحْيَىٰ بن سعيد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: إنما نزل رسول الله ﷺ المحصّب ليكون أسمح لخروجه، وليس بسنّة، فمن شاء نزله ومن شاء لم ينزله[٩].

---

(١) في التيمورية: أنه كان يرى المحصب سنة.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣٣٨.
(٣) المسند ٢/١٢٤.
(٤) أخرجه أبو داود في الحج باب ٨٧، وأحمد في المسند ٢/١٠٠.
(٥) أخرجه البخاري في الحج باب ٤٥، ومسلم في الحج حديث ٣٤٤.
(٦) سقط في ط.
(٧) المسند ٥/٢٠٢، ٢٠٣.
(٨) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٧، ومسلم في الحج حديث ٣٣٩.
(٩) أخرجه أبو داود في الحج باب ٨٧.

وقال البخاري: حدّثنا عليّ بن عبد الله، ثنا سفيان. قال: قال عمرو عن عطاء، عن ابن عبّاس قال: ليس التحصيب بشيء، إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ[١]. ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان، وهو ابن عيينة به. وقال أبو داود: حدثنا أحمد ابن حنبل وعثمان بن أبي شيبة ومسدد المعني قالوا: ثنا سفيان، ثنا صالح بن كيسان عن سليمان بن يسار، قال: قال أبو رافع: لم يأمرني يعني رسول الله ﷺ أن أنزله، ولكن ضربت [قبته] فيه فنزله. قال مسدد: وكان على ثقل النبيّ ﷺ وقال عثمان - يعني الأبطح[٢] -. ورواه مسلم عن قتيبة وأبي بكر وزهير بن حرب، عن سفيان بن عيينة به. والمقصود أن هؤلاء كلّهم اتفقوا على نزول النبيّ ﷺ في المحصّب لمّا نفر من مِنى، ولكن اختلفوا فمنهم من قال لم يقصد نزوله، وإنما نزله اتفاقاً ليكون أسمح لخروجه، ومنهم من أشعر كلامه بقصده عليه السّلام نزوله، وهذا هو الأشبه، وذلك أنه عليه السلام أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، وكانوا قبل ذلك ينصرفون من كل وجه كما قال ابن عبّاس، فأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت - يعني طواف الوداع -. فأراد عليه السّلام أن يطوف هو ومن معه من المسلمين بالبيت طواف الوداع، وقد نفر من مِنَى قريب الزوال، فلم يكن يمكنه أن يجيء البيت في بقية يومه ويطوف به ويرحل إلى ظاهر مكة من جانب المدينة، لأن ذلك قد يتعذر على هذا الجم الغفير، فاحتاج أن يبيت قبل مكة، ولم يكن منزل أنسب لمبيته من المحصّب الذي كانت قريش قد عاقدت بني كنانة على بني هاشم وبني المطلب فيه، فلم يبرم الله لقريش أمراً بل كبتهم وردّهم خائبين، وأظهر الله دينه ونصر نبيّه وأعلى كلمته، وأتمّ له الدين القويم، وأوضح به الصراط المستقيم، فحجّ بالناس وبيّن لهم شرائع الله وشعائره، وقد نفر بعد إكمال المناسك، فنزل في الموضع الذي تقاسمت قريش فيه على الظلم والعدوان والقطيعة، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وهجع هجعة، وقد كان بعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرّحمٰن ليعمرها من التنعيم، فإذا فرغت أتته، فلما قضت عمرتها ورجعت أذن في المسلمين بالرحيل إلى البيت العتيق. كما قال أبو داود: حدّثنا وهب بن بقية، ثنا خالد عن أفلح، عن القاسم، عن عائشة قالت: أحرمت من التنعيم بعمرة، فدخلت فقضيت عمرتي وانتظرني رسول الله ﷺ بالأبطح حتى فرغت وأمر الناس بالرحيل. قالت: وأتى رسول الله ﷺ البيت فطاف به ثم خرج[٣]. وأخرجاه في الصحيحين من حديث أفلح بن حميد، ثم قال أبو داود: ثنا محمّد بن بشار، ثنا أبو بكر - يعني الحنفي - ثنا أفلح عن القاسم [عنها] - يعني عائشة - قالت: خرجت معه، يعني رسول الله ﷺ، [في] النفر الآخر ونزل المحصّب. قال أبو داود: فذكر ابن يسار[٤] بعثها إلى التنعيم قالت: ثم جئت سحراً، فأذن في الصحابة بالرحيل، فارتحل فمر بالبيت[٥] قبل صلاة الصبح، فطاف به

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٧، ومسلم في الحج حديث ٣٤١.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣٤٢، وأبو داود في الحج باب ٨٧.
(٣) أخرجه البخاري في العمرة باب ٩، ومسلم في الحج حديث ١٢٣، وأبو داود في الحج باب ٨٦.
(٤) في ط: بشار. (٥) في التيمورية: فارتحلنا فنزلنا البيت قبل..

حين خرج، ثم انصرف متوجهاً إلى المدينة[١]. ورواه البخاري عن محمّد بن يسار[٢] به.

قلت: والظاهر أنه عليه السّلام صلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه، وقرأ في صلاته تلك بسورة ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [سورة الطور: ١ ـ ٦] السورة بكمالها. وذلك لما رواه البخاري حيث قال: حدّثنا إسماعيل، حدّثني مالك عن محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن نوفل، عن عروة بن الزبير، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سَلَمة زوج النّبيّ ﷺ. قالت: شكوت إلى رسول الله أني أشتكي، قال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة»، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي حينئذ إلى جنب البيت، وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور[٣]. وأخرجه بقية الجماعة إلاَّ الترمذي من حديث مالك بإسناد نحوه. وقد رواه البخاري من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب، عن أم سلمة: أن رسول الله قال وهو بمكة وأراد الخروج ولم تكن أم سَلَمة طافت وأرادت الخروج فقال لها: «إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون» فذكر الحديث[٤]. فأما ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ: أمرها أن توافي معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة[٥]، فهو إسناد كما ترى على شرط الصحيحين، ولم يخرجه أحد من هذا الوجه بهذا اللفظ، ولعلّ قوله يوم النحر غلط من الراوي أو من الناسخ، وإنما هو يوم النفر، ويؤيده ما ذكرناه من رواية البخاري والله أعلم. والمقصود أنه عليه السّلام لما فرغ من صلاة الصبح طاف بالبيت سبعاً، ووقف في الملتزم بين الركن الذي فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة فدعا الله عزّ وجلّ وألزق جسده بجدار الكعبة. قال الثوري عن المثنى بن الصبّاح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه. قال: رأيت رسول الله ﷺ يلزق وجهه وصدره بالملتزم. المثنى ضعيف.

فصل

ثم خرج عليه السلام من أسفل مكةٍ كما قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ دخل مكة من أعلاها وخرج من أسفلها[٦]. أخرجاه. وقال ابن عمر: دخل رسول الله ﷺ: من الثنية العليا التي بالبطحاء، وخرج من الثنية السفلى[٧]. رواه البخاري ومسلم، وفي لفظ دخل من

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٣، وأبو داود في الحج باب ٨٦.

(٢) في ط: بشار.

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ٦٤، ومسلم في الحج حديث ٢٥٨، وأبو داود في المناسك باب ٤٩، والنسائي في المناسك باب ١٣٨، وابن ماجه في المناسك باب ٣٤ وأحمد في المسند ٦/ ٢٩٠، ٣١٩.

(٤) أخرجه البخاري في الحج باب ٧١.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٩١.

(٦) أخرجه البخاري في الحج باب ٤١، ومسلم في الحج حديث ٢٢٤.

(٧) أخرجه البخاري في الحج باب ٤١، ومسلم في الحج حديث ٢٢٣.

كَدَاء[١]، وخرج من كُدَي.

وقد قال الإمام أحمد: **حدّثنا** محمّد بن فضيل، ثنا أجلح بن عبد الله عن أبي الزبير، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ من مكة عند غروب الشمس، فلم يصل حتى أتى سَرِف وهي على تسعة أميال من مكة[٢] وهذا غريب جداً، وأجلح فيه نظر، ولعل هذا في غير حجّة الوداع، فإنه عليه السّلام كما قدمنا طاف بالبيت بعد صلاة الصبح، فماذا أخّره إلى وقت الغروب. هذا غريب جداً، اللّهمّ إلاّ أن يكون ما ادعاه ابن حزم صحيحاً من أنه عليه السّلام رجع إلى المحصّب من مكة بعد طوافه بالبيت طواف الوداع، ولم يذكر دليلاً على ذلك إلاّ قول عائشة حين رجعت من اعتمارها من التنعيم فلقيته بصعدة، وهو مهبط على أهل مكة أو منهبطه، وهو مصعد. قال ابن حزم: الذي لا شك فيه أنها كانت مصعدة من مكة، وهو منهبط لأنها تقدّمت إلى العمرة وانتظرها حتى جاءت، ثم نهض عليه السّلام إلى طواف الوداع، فلقيها منصرفه إلى المحصّب من مكة.

وقال البخاري: **باب من نزل بذي طوى إذا رجع من مكة**. وقال محمّد بن عيسى: حدّثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر. أنه كان إذا أقبل بات بذي طوى حتى إذا أصبح دخل، وإذا نفر مرّ بذي طوى، وبات بها حتى يصبح، وكان يذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك[٣]. هكذا ذكر هذا معلّقاً بصيغة الجزم، وقد أسنده هو ومسلم من حديث حمّاد بن زيد به، لكن ليس فيه ذكر المبيت بذي طوى في الرجعة فالله أعلم.

فائدة عزيزة، فيها أن رسول الله ﷺ استصحب معه من ماء زمزم شيئاً. قال الحافظ أبو عيسى الترمذي: **حدّثنا** أبو كريب، ثنا خلاد بن يزيد الجَعْفي، ثنا زُهَير بن معاوية عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله[٤]، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

وقال البخاري[٥]: **حدثنا** محمّد بن مقاتل، أَخْبَرَنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ ثنا موسى ابن عقبة، عن سالم ونافع، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو من الحجّ أو من العمرة، يبدأ فيكبّر ثلاث مرات، ثم يقول: **«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»**. والأحاديث في هذا كثيرة ولله الحمد والمنة.

---

(١) كداء وكدى: يعني بهما أنه اخترق مكة من أعلاها إلى أسفلها، والكدة: الأرض الغليظة.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٠٥.
(٣) أخرجه البخاري في الحج باب ١٤٩، ومسلم في الحج حديث ٢٢٧.
(٤) أخرجه الترمذي في الحج باب ١١٥.
(٥) كتاب المغازي باب ٢٩.

فصل

في إيراد الحديث الدال على أنه عليه السَّلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجّة الوداع قريب من الجُحفة ـ يقال له غدير خَم ـ.

فبيّن فيها فضل عليّ بن أبي طالب وبراءة عرضه مما كان تكلّم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً، والصواب كان معه في ذلك، ولهذا لما تفرّغ عليه السَّلام من بيان المناسك، ورجع إلى المدينة بيّن ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة عامئذ، وكان يوم الأحد بغدير خُمّ تحت شجرة هناك، فبيّن فيها أشياء. وذكر من فضل عليّ وأمانته وعدله وقُرْبه إليه، ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه. ونحن نورد عيون الأحاديث الواردة في ذلك ونبيّن ما فيها من صحيح وضعيف بحول الله وقوّته وعونه، وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وساق الغثّ والسمين والصحيح والسقيم، على ما جرت به عادة كثير من المحدّثين، يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه. وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة. ونحن نورد عيون ما رُوي في ذلك مع إعلامنا أنه لا حظ للشيعة فيه، ولا متمسّك لهم ولا دليل لما سنبيّنه وننبّه عليه، فنقول وبالله المستعان.

قال محمّد بن إسحاق ـ في سياق حجّة الوداع ـ حدَّثني يَحْيَىٰ بن عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن ابن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة. قال: لما أقبل عليّ من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة، تعجّل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسى كل رجل من القوم حلّة من البز الذي كان مع عليّ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل. قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس. قال: ويلك! انزع قبل أن ينتهي به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحُلل من الناس، [فردّها][1] في البزّ، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم. قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمّد بن كعب بن عُجْرة، عن عمّته زينب بنت كعب ـ وكانت عند أبي سعيد الخدري ـ عن أبي سعيد. قال: اشتكى الناس علياً، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعته يقول: «أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله [من أن يشكى]» ورواه الإمام أحمد من حديث محمّد بن إسحاق به، وقال: «إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله»[2].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا الفضل بن دكين، ثنا ابن أبي غنية[3]، عن الحكم عن سعيد

---

(١) سقط في ط.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٨٦.
(٣) في التيمورية: ابن أبي عتبة، وفي الأصل: عينة (بالياء ثم النون) والتصحيح عن الخلاصة.

ابن جُبَيْر، عن ابن عبّاس، عن بريدة قال: غزوت مع عليّ اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله يتغيّر. فقال: **«يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»** قلت: بلى يا رسول الله! قال: **«من كنت مولاه فعليّ مولاه»**[١] وكذا رواه النسائي عن أبي داود الحرّاني، عن أبي نعيم الفضل بن دكين، عن عبد الملك بن أبي غنية بإسناده نحوه. وهذا إسناد جيّد قوي. رجاله كلهم ثقات.

وقد روى النسائي في سننه عن محمّد بن المثنّى، عن يَحْيَىٰ بن حماد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم. قال: لما رجع رسول الله من حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقُمِمْنَ[٢] ثم قال: **«كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يَردا علي الحوض»**، ثم قال: **«الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن»**، ثم أخذ بيد عليّ فقال: **«من كنت مولاه فهذا وليه، اللّهم والِ من والاه وعاد من عاداه»** فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه[٣]، تفرّد به النسائي من هذا الوجه.

قال شيخنا أبو عبد اللّه الذهبي: وهذا حديث صحيح. وقال ابن ماجه: حدّثنا عليّ بن محمد، [أنا][٤] أبو الحسين، أنبأنا حمّاد بن سلمة عن عليّ بن زيد بن جدعان، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب. قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع التي حجّ فنزل في الطريق، فأمر الصلاة جامعة فأخذ بيد عليّ فقال: **«ألستُ بأولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»** قالوا: بلى! قال: **«ألست بأولى بكل مؤمن من نفسه؟»** قالوا: بلى! قال: **«فهذا ولي مَنْ أنا مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه»**[٥]. وكذا رواه عبد الرزّاق عن معمر، عن عليّ بن زيد بن جدعان، عن عدي، عن البراء وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي، والحسن بن سفيان: ثنا هدبة، ثنا حماد ابن سلمة عن عليّ بن زيد، وأبي هارون، عن عدي بن ثابت، عن البراء. قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع، فلما أتينا على غدير خُم كشح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، ونودي في الناس الصلاة جامعة، ودعا رسول الله ﷺ علياً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال: **«ألست أولى بكل امرء من نفسه؟»** قالوا: بلى! قال: **«فإن هذا مولى من أنا مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»** فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. ورواه ابن جرير عن أبي زرعة عن موسى بن إسماعيل، عن حمّاد بن سَلَمة، عن عليّ بن زيد، وأبي هارون العبدي ـ وكلاهما ضعيف ـ عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب به.

---

(١) أخرجه النسائي في الفضائل باب ٤٢، والخصائص باب ٨١، ٨٢، وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٧.
(٢) كذا في الأصل: (فقممن)، وفي التيمورية: فعممن.
(٣) أخرجه النسائي في الفضائل باب ٤٥، والخصائص باب ٩٣.
(٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨١.

وروى ابن جرير هذا الحديث من حديث موسى بن عثمان الحضرمي ـ وهو ضعيف جداً ـ عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء وزيد بن أرقم فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا ابن نمير، ثنا عبد الملك عن أبي عبد الرحيم الكندي، عن زاذان أبي عمر قال: سمعت علياً بالرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله ﷺ يوم غدير خُم وهو يقول ما قال؟ قال: فقام اثنا عشر رجلاً، فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ وهو يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[1] تفرّد به أحمد وأبو عبد الرحيم هذا لا يعرف. وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه حديث عليّ بن حكيم الأودي: أَخبَرَنا شريك عن أَبي إِسحاق، عن سعيد بن وهب، وعن زيد بن يثيغ قال: نشد عليّ الناس في الرحبة مَنْ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال إِلاّ قام؟ قال: فقام من قبل سعيد ستة، ومن قبل زيد ستة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعليّ يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى! قال: «اللّهمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه»[2] قال عبد الله: وحدّثني عليّ بن حكيم، أنا شريك عن أَبي إِسحاق، عن عمرو ذي أمر، مثل حديث أَبي إِسحاق، يعني عن سعيد وزيد وزاد فيه: «وانصر من نصره واخذل من خذله»[3] قال عبد الله: وحدّثنا عليّ، ثنا شريك عن الأعمش، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، عن النبيّ ﷺ مثله[4]. وقال النسائي في كتاب خصائص عليّ[5]: حدّثنا الحسين بن حرب، ثنا الفضل بن موسى، عن الأعمش، عن أَبي إِسحاق، عن سعيد بن وهب. قال: قال عليّ في الرحبة: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: «إنّ الله وليّ المؤمنين، ومن كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره» وكذلك رواه شعبة عن أَبي إِسحاق، وهذا إسناد جيّد، ورواه النسائي أيضاً من حديث إسرائيل عن أَبي إِسحاق، عن عمرو ذي أمر. قال: نشد عليّ الناس بالرحبة، فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه. اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه. وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره» ورواه ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عبد الرزّاق، عن إسرائيل، عن أَبي إِسحاق، عن زيد بن وهب، وعبد خير عن عليّ. وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عُبَيد اللّه بن موسى وهو شيعي ثقة، عن فطر بن خليفة، عن أَبي إسحاق، عن زيد بن وهب وزيد بن يثيغ، وعمرو ذي أمر: أن علياً أنشد الناس بالكوفة وذكر الحديث[6].

وقال عبد اللّه بن أحمد: حدّثني عُبَيد اللّه بن عمر القواريري، ثنا يونس بن أرقم، ثنا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٨٤.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١١٨/١.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١١٨/١.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١١٨/١.
(٥) كتاب الخصائص باب ٨٢.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ١١٨/١.

يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى: شهدت علياً في الرحبة ينشد الناس فقال: أشهد الله من سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**» لما قام فشهد. قال عبد الرَّحمٰن: فقام اثنا عشر رجلاً بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم: «**ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم**» فقلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه**»[1] إسناد ضعيف غريب.

وقال عبد اللّه بن أحمد: حدّثنا أحمد بن عمير الوكيعي، ثنا زيد بن الحباب، ثنا الوليد ابن عقبة بن ضرار القيسي، أنبأنا سمّاك عن عبيد بن الوليد القيسي قال: دخلت على عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى، فحدَّثني أنه شهد علياً في الرحبة قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غدير خم إلاّ قام، ولا يقوم إلاّ من قد رآه، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «**اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**» فقام إلاّ ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته[2]. وروي أيضاً عن عبد الأعلى بن عامر التغلبي وغيره عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى به. وقال ابن جرير: ثنا أحمد بن منصور، ثنا أبو عامر العقدي، وروى ابن أبي عاصم عن سليمان الغلابي، عن أبي عامر العقدي، ثنا كثير بن زيد، حدَّثني محمّد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن عليّ: أن رسول الله حضر الشجرة بخم فذكر الحديث وفيه: «**من كنت مولاه فإن علياً مولاه**» وقد رواه بعضهم عن أبي عامر، عن كثير، عن محمّد بن عمر بن عليّ، عن عليّ منقطعاً. وقال إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف، عن مسعر، عن طلحة بن مصرف، عن عميرة بن سعد: أنه شهد علياً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم، فقام[3] اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه**» وقد رواه عُبَيد اللّه بن موسى عن هاني بن أيوب، وهو ثقة، عن طلحة بن مصرف به.

وقال عبد اللّه بن أحمد: حدَّثني حجّاج بن الشاعر، ثنا شبابة، ثنا نعيم بن حكيم، حدَّثني أبو مريم ورجل من جلساء عليّ، عن عليّ. أن رسول الله ﷺ قال يوم غدير خم: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**» قال: فزاد الناس بعد ـ والِ من والاه وعادِ من عاداه[4]. روى أبو داود بهذا السند حديث المخرج.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسين بن محمّد وأبو نعيم المعني. قالا: ثنا قطن عن أبي الطفيل. قال: جمع عليّ الناسَ في الرحبة ـ يعني رحبة مسجد الكوفة ـ فقال: أنشد الله كل من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذ

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/١١٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/١١٩.

(٣) في ط: فقال.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/١٥٢.

بيده فقال للناس: «أتعلمون أني أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: نعم! يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه» قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم. فقلت له: إني سمعت علياً يقول: كذا وكذا. قال: فما تنكر؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له[1]. هكذا ذكره الإمام أحمد في مسند زَيْد بن أَرْقم رضي الله عنه. ورواه النسائي من حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم به، وقد تقدم. وأخرجه الترمذي[2] عن بندار، عن غندر، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، سمعت أبا الطفيل يحدّث عن أَبي سُرَيحة ـ أو زَيْد بن أرقم ـ شكّ شعبة. أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». ورواه ابن جرير عن أحمد بن حازم، عن أبي نعيم، عن كامل أَبي العلاء، عن حبيب بن أَبي ثابت، عن يَحْيَىٰ بن جعدة، عن زيد بن أرقم.

وقال الإمام أَحمد[3]: حدّثنا عفان، ثنا أَبو عوانة عن المغيرة، عن أَبي عبيد، عن ميمون أَبي عبد اللّه. قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله منزلاً يقال له وادي خُم، فأمر بالصلاة فصلاّها بهجير. قال: فخطبنا وظلّ رسول الله بثوب على شجرة ستره من الشمس. فقال: «ألستم تعلمون ـ أَو ألستم تشهدون ـ أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى! قال: «فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه». ثم رواه أَحمد[4] عن غندر، عن شعبة، عن ميمون أَبي عبد اللّه، عن زيد بن أرقم إلى قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». قال ميمون: حدّثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه». وهذا إسناد جيّد رجاله ثقات على شرط السنن. وقد صحّح الترمذي بهذا السند حديثاً في الريث. وقال الإمام أَحمد[5]: ثنا يَحْيَىٰ بن آدم، ثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي، عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى عليّ بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب. قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فهذا مولاه». قال رباح: فلما مضوا تبعتهم فسألت: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار منهم أَبو أيوب الأنصاري.

وقال الإمام أَحمد[6]: حدثنا حنش عن رباح بن الحارث. قال: رأيت قوماً من الأنصار قدموا على عليّ في الرحبة فقال: مَنْ القوم؟ فقالوا: مواليك يا أمير المؤمنين، فذكر معناه هذا لفظه، وهو من إفراده. وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن عثمان أبو الجوزاء، ثنا محمّد بن خالد ابن عثمة، ثنا موسى بن يعقوب الزمعي، وهو صدوق، حدّثني مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد، سمعت أباها يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجحفة وأخذ بيد عليّ فخطب. ثم قال: «أيها الناس إني وليكم!» قالوا: صدقت! فرفع يد عليّ فقال: «هذا وليي والمؤدي عني وإن الله موالي من والاه، ومعادي من عاداه». قال شيخنا الذهبي: وهذا حديث حسن غريب.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٧٠.
(٢) كتاب المناقب باب ١٩.
(٣) المسند ٤/ ٣٧٢.
(٤) المسند ٤/ ٣٧٢، ٣٧٣.
(٥) المسند ٥/ ٤١٩.
(٦) المسند ٥/ ٤١٩.

ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أَبي كبير، عن مهاجر بن مسمار، فذكر الحديث وأنه عليه السَّلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر بردّ من كان تقدم فخطبهم الحديث.
وقال أَبو جعفر بن جرير الطبري في الجزء الأول من كتاب غدير خم - قال شيخنا أَبو عبد الله الذهبي: وجدته في نسخة مكتوبة عن ابن جرير - حدّثنا محمود بن عوف الطائي، ثنا عُبَيد الله ابن موسى، أنبأنا إسماعيل بن كشيط عن جميل بن عمارة، عن سالم بن عبد الله بن عمر، قال ابن جرير: أحسبه قال: عن عمر، وليس في كتابي سمعت رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عليّ: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه». وهذا حديث غريب. بل منكر وإسناده ضعيف، قال البخاري في جميل بن عمارة: هذا فيه نظر. وقال المطلب بن زياد عن عبد الله بن محمّد بن عقيل: سمع جابر بن عبد الله يقول: كنا بالجحفة بغدير خُم، فخرج علينا رسول الله ﷺ من خباء أَو فسطاط، فأخذ بيد عليّ. فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». قال شيخنا الذهبي: هذا حديث حسن. وقد رواه ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وغيره، عن أَبي سَلَمة بن عبد الرَّحمٰن، عن جابر بنحوه.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يَحْيَىٰ بن آدم وابن أَبي بكير. قالا: ثنا إسرائيل عن أَبي إِسحاق، عن حبشي بن جنادة. قال-يَحْيَىٰ بن آدم، وكان قد شهد حجّة الوداع. قال:- قال رسول الله ﷺ: «عليّ مني وأنا منه، ولا يؤدي عني إلاَّ أنا أَو عليّ»[1]. وقال ابن أَبي بكير «لا يقضي عني ديني إلاَّ أنا أَو عليّ»[2]. وكذا رواه أحمد أيضاً عن أَبي أحمد الزبيري عن إسرائيل، قال الإمام أحمد: وحدّثناه الزبيري، ثنا شريك عن أَبي إِسحاق، عن حبشي بن جنادة مثله. قال فقلت لأبي إِسحاق: أين سمعت منه؟ قال: وقف علينا على فرس في مجلسنا في جبانة السبيع[3]. وكذا رواه أَحمد عن أسود بن عامر، ويَحْيَىٰ بن آدم عن شريك. ورواه الترمذي عن إسماعيل بن موسى عن شريك، وابن ماجه عن أَبي بكر بن أَبي شيبة، وسويد بن سعيد، وإسماعيل بن موسى، ثلاثتهم عن شريك به. ورواه النسائي عن أَحمد بن سليمان، عن يَحْيَىٰ ابن آدم، عن إسرائيل به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. ورواه سليمان بن قرم - وهو متروك - عن أَبي إِسحاق، عن حبشي بن جنادة: سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه». وذكر الحديث.

وقال الحافظ أَبو يعلى الموصلي: حدثنا أَبو بكر بن أَبي شيبة، أنبأنا شريك عن أَبي يزيد الأودي، عن أبيه. قال: دخل أَبو هريرة المسجد فاجتمع الناس إليه، فقام إليه شاب. فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه» قال: نعم! ورواه ابن جرير عن أَبي كريب عن شاذان عن شريك به. تابعه إدريس الأودي عن أخيه أَبي يزيد، واسمه داود بن يزيد به. ورواه ابن جرير أيضاً من حديث إدريس،

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٦٤.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٦٤.
(٣) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٢٠، وابن ماجه في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ٤/ ١٦٥.

وداود، عن أبيهما، عن أَبي هُرَيرة فذكره. فأما الحديث الذي رواه ضَمْرة عن ابن شَوْذب، عن مطر الورّاق، عن شهر بن حوشب، عن أَبي هريرة. قال: لما أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [سورة المائدة: ٣]. قال أَبو هريرة: وهو يوم غدير خُم، من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستين شهراً. فإنه حديث منكر جداً، بل كذب لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة يوم عَرَفة. ورسول الله ﷺ واقف بها كما قدمنا، وكذا قوله إن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم يعدل صيام ستين شهراً لا يصح، لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً، هذا باطل.

وقد قال شيخنا الحافظ أَبو عبد اللّه الذهبي بعد إيراده هذا الحديث: هذا حديث منكر جداً. ورواه حَبْشون الخلاّل، وأَحمد بن عبد اللّه بن أَحمد النيري، وهما صدوقان عن عليّ بن سعد الرملي، عن ضمرة. قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأَبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية. قال: وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله ﷺ قاله، وأما اللّهمّ والِ من والاه فزيادة قوية الإسناد، وأما هذا الصوم فليس بصحيح، ولا والله ما نزلت هذه الآية إلاّ يوم عَرَفة قبل غدير خم بأيام، والله تعالى أعلم.

وقال الطبراني: حدّثنا عليّ بن إِسحاق الوزير الأصبهاني، حدّثنا عليّ بن محمّد المقدمي، حدّثنا محمّد بن عمر بن عليّ المقدمي، حدّثنا عليّ بن محمّد بن يوسف بن شبان ابن مالك بن مسمع، حدّثنا سهل بن حنيف بن سهل بن مالك، أخي كعب بن مالك عن أبيه، عن جدّه. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من حجّة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «**أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط، فاعرفوا ذلك له. أيها الناس إني عن أَبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرَّحمٰن بن عوف والمهاجرين الأولين راضٍ، فاعرفوا ذلك لهم. أيها الناس إحفظوني في أصحابي وأصهاري وأحبابي لا يطلبكم الله بمظلَمة أحد منهم. أيها الناس ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً بسم الله الرحمن الرحيم!**» .

سنة إحدى عشرة من الهجرة

استُهلّت هذه السنة وقد استقر الركاب الشريف النبوي بالمدينة النبوية المطهّرة مرجعه من حجّة الوداع، وقد وقعت في هذه السنة أمور عظام من أعظمها خطباً[1] وفاة رسول الله ﷺ، ولكنه عليه السلام نقله الله عزّ وجلّ من هذه الدار الفانية إِلى النعيم الأبدي في محلّة عالية رفيعة، ودرجة في الجنّة لا أعلى منها ولا أسنى كما قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ

(١) الخطب: المصاب والهول.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [سورة الضحى: ٤ ـ ٥] وذلك بعدما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإبلاغها، ونصح أمّته ودلّهم على خير ما يعلّمه لهم، وحذّرهم ونهاهم عما فيه مضرّة عليهم في دنياهم وأخراهم. وقد قدّمنا ما رواه صاحبا الصحيح من حديث عمر بن الخطاب أنه قال: نزل قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣] يوم الجمعة ورسول الله ﷺ واقف بعَرَفة. وروينا من طريق جيد: أن عمر ابن الخطاب حين نزلت هذه الآية بكى، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلاّ النقصان، وكأنه استشعر وفاة النبيّ ﷺ، وقد أشار عليه السّلام إلى ذلك فيما رواه مسلم من حديث ابن جُرَيج عن أبي الزُبَير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ وقف عند جمرة العقبة وقال لنا: **«خذوا عني مناسككم، فلعلّي لا أحجّ بعد عامي هذا»**[١]. وقدّمنا ما رواه الحافظان أبو بكر البزّار والبيهقي من حديث موسى ابن عبيدة الربذي، عن صَدَقة بن يسار، عن ابن عمر. قال: نزلت هذه السورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ في أوسط أيام التشريق، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع، فأمر براحلته القَصْواء فرحلت، ثم ذكر خطبته في ذلك اليوم كما تقدّم. وهكذا قال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما لعمر بن الخطاب حين سأله عن تفسير هذه السورة بمحضر كثير من الصحابة، ليريهم فضل ابن عبّاس وتقدّمه وعلمه حين لامه بعضهم على تقديمه وإجلاسه له مع مشايخ بَدْر. فقال: إنه من حيث تعلمون، ثم سألهم وابن عبّاس حاضر عن تفسير هذه السورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [سورة النصر: ١ ـ ٣] فقالوا: أمرنا إذا فتح لنا أن نذكر الله ونحمده ونستغفره فقال: ما تقول يا ابن عبّاس؟ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه. فقال عمر: لا أعلم منها إلاّ ما تعلم[٢]. وقد ذكرنا في تفسير هذه السورة ما يدلّ على قول ابن عبّاس من وجوه، وإن كان لا ينافي ما فسّر به الصحابة رضي الله عنهم. وكذلك ما رواه الإمام أَحمد: حدّثنا وكيع عن ابن أَبي ذئب، عن صالح مولى التوأمة، عن أَبي هريرة. أن رسول الله ﷺ لما حجّ بنسائه قال: **«إنما هي هذه الحجّة، ثم الزمن ظهور الحَصْر»**[٣]. تفرّد به أَحمد من هذا الوجه. وقد رواه أَبو داود في سننه من وجه آخر جيّد.

والمقصود أن النفوس استشعرت بوفاته عليه السّلام في هذه السنة، ونحن نذكر ذلك ونورد ما روي فيما يتعلق به من الأحاديث والآثار، وبالله المستعان، ولنقدّم على ذلك ما ذكره الأئمة محمّد بن إسحاق بن يسار، وأَبو جعفر بن جرير، وأَبو بكر البيهقي في هذا الموضع قبل الوفاة من تعداد حججه وغزواته وسراياه وكتبه ورسله إلى الملوك فلنذكر ذلك ملخصاً مختصراً ثم نتبعه بالوفاة.

ففي الصحيحين من حديث أَبي إسحاق السبيعي عن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ غزا

---

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ٣١٠.
(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٤، سورة النصر.
(٣) أخرجه أبو داود في المناسك باب ١، وأحمد في المسند ٢/٤٤٦.

تسع عشرة غزوة، وحجّ بعدما هاجر [حجّة][1] الوداع، ولم يحجّ بعدها. قال أبو إسحاق وواحدة بمكة[2]. كذا قال أبو إسحاق السبيعي. وقد قال زيد بن الحباب عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر: أن رسول الله ﷺ حجّ ثلاث حجّات: حجّتين قبل أن يهاجر، وواحدة بعدما هاجر معها عمرة، وساق ستاً وثلاثين بدنة، وجاء عليّ بتمامها من اليمن[3] وقد قدمنا عن غير واحد من الصحابة منهم أنس بن مالك في الصحيحين: أنه عليه السّلام اعتمر أربع عمر: عمرة الحُدَيبية، وعمرة القضاء، وعمرة الجعرانة، والعمرة التي مع حجّة الوداع[4]. وأما الغزوات فروى البخاري عن أبي عاصم النبيل[5]، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سَلَمة بن الأكوع، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمّره علينا رسول الله ﷺ[6]. وفي الصحيحين عن قتيبة، عن حاتم بن إسماعيل، عن يزيد عن سلمة. قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات و[خرجت] فيما يَبْعث من البعوث تسعَ غزواتٍ، مرّة علينا أبو بكر، ومرة علينا أسامة بن زيد[7]. وفي صحيح البخاري من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء قال: غزا رسول الله خمس عشرة غزوة[8]. وفي الصحيحين من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن البراء: أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وشهد معه منها سبع عشرة، أولها العشير أو العسير[9]. وروى مسلم عن أحمد بن حنبل، عن معتمر، عن كهمس بن الحسن، عن ابن بريدة، عن أبيه: أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة[10]. وفي رواية لمسلم من طريق الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه: أنه غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل منها في ثمان[11]. وفي رواية عنه بهذا الإسناد: وبعث أربعاً وعشرين سرية، قاتل يوم بدر وأُحُد والأحزاب والمريسيع وخَيْبر ومكة وحُنَين. وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر: أن رسول الله ﷺ غزا إحدى وعشرين غزوة، غزوت معه منها تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدراً ولا أحداً، منعني أبي، فلما قتل أبي يوم أُحُد، لم أتخلّف عن غزاة غزاها[12]. وقال عبد الرزّاق: أنبأنا معمر عن الزهري. قال:

(١) سقط في ط.
(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٧، ومسلم في الحج حديث ٢١٨.
(٣) وتقدم أنها ست وستون وأتى علي بتمام المائة.
(٤) أخرجه البخاري في العمرة باب ٤، ومسلم في الحج حديث ٢١٧.
(٥) هو الضحاك بن مخلد.
(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٥.
(٧) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٥، ومسلم في الجهاد والسير حديث ١٤٨.
(٨) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٩.
(٩) أخرجه البخاري في المغازي باب ١، ومسلم في الجهاد والسير حديث ١٤٣.
(١٠) أخرجه مسلم في الجهاد والسير حديث ١٤٧.
(١١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير حديث ١٤٦.
(١٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير حديث ١٤٥، وأحمد في المسند ٢/٣٢٩.

سمعت سعيد بن المسيّب يقول: غزا رسول الله ثمان عشرة غزوة. قال: وسمعته مرّة يقول: أربعاً وعشرين غزوة، فلا أدري أكان ذلك وَهْماً، أو شيئاً سمعته بعد ذلك. وقال قتادة: غزا رسول الله تسع عشرة، قاتل في ثمان منها، وبعث من البعوث أربعاً وعشرين. فجميع غزواته وسراياه ثلاث وأربعون. وقد ذكر عروة بن الزبير والزهري وموسى بن عقبة ومحمّد بن إسحاق ابن يسار، وغير واحد من أئمة هذا الشأن: أنه عليه السَّلام قاتل يوم بدر في رمضان من سنة اثنتين، ثم في أُحُد في شوال سنة ثلاث، ثم الخندق، وبني قُرَيظة في شوال أيضاً من سنة أربع، وقيل خمس، ثم في بني المصطلق بالمُرَيْسيع في شعبان سنة خمس، ثم في خيبر في صفر سنة سبع، ومنهم من يقول سنة ست، والتحقيق أنه في أول سنة سبع، وآخر سنة ست، ثم قاتل أهل مكة في رمضان سنة ثمان، وقاتل هوازن، وحاصر أهل الطائف في شوال وبعض ذي الحجّة سنة ثمان كما تقدّم تفصيله، وحجّ في سنة ثمان بالناس عتاب بن أُسَيد نائب مكة، ثم في سنة تسع أبو بكر الصدِّيق، ثم حجّ رسول الله ﷺ بالمسلمين سنة عشر. وقال محمّد بن إسحاق: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة سبعاً وعشرين غزوة: غزوة ودّان وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بُواط من ناحية رَضْوى، ثم غزوة العُشَيْرة من بطن يَنْبع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كُرْز بن جابر، ثم غزوة بدر العظمى الذي قتل الله فيها صناديد قريش، ثم غزوة بني سُلَيم حتى بلغ الكُدْر[1]، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أَمِر[2]، ثم غزوة نجران معدن بالحجاز، ثم غزوة أُحُد، ثم حمراء الأسد، ثم غزوة بني النَّضِير، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دَوْمة الجَنْدل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُرَيظة، ثم غزوة بني لِحْيان من هُذَيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المُصْطَلق من خُزَاعة، ثم غزوة الحُدَيْبية لا يريد قتالاً، فصدّه المشركون، ثم غزوة خَيْبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حُنَين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك. قال ابن إسحاق: قاتل منها في تسع غزوات: غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف. قلت: وقد تقدم ذلك كلّه مبسوطاً في أماكنه بشواهده وأدلته ولله الحمد.

قال ابن إسحاق: وكانت بعوثه عليه السَّلام وسراياه ثمانياً وثلاثين من بين بعث وسرية، ثم شرع رحمه الله في ذكر تفصيل ذلك. وقد قدّمنا ذلك كلّه أو أكثره مفصّلاً في مواضعه ولله الحمد والمنة. ولنذكر ملخص ما ذكره ابن إسحاق: بعث عُبَيدة بن الحارث إلى أسفل ثنيّة المَرة، ثم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى الساحل من ناحية العِيص، ومن الناس من يقدّم هذا على بعث عُبَيْدة كما تقدّم فالله أعلم، بعث سعد بن أبي وقّاص إلى الخرار، بعث عبد الله بن جحش إلى بجيلة، بعث زيد بن حارثة إلى القَرَدة، بعث محمّد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف، بعث مُرثد بن أبي مرثد إلى الرَّجيع، بعث المنذر بن عمرو إلى بئر مَعُونة، بعث أبي

(١) كدر: جمع أكدر ماء لبني سليم.
(٢) أمر بلفظ الفعل من أمر يأمر: موضع غزاة رسول الله ﷺ.

عُبَيدة إلى ذي القَصّة، بعث عمر بن الخطاب إلى برية في أرض بني عامر، بعث عليّ إلى اليمن، بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى الكَدِيد فأصاب بني الملَوّح أغار عليهم في الليل فقتل طائفة منهم، فاستاق نعمهم فجاء نفرهم في طلب النعم، فلما اقتربوا حال بينهم واد من السيل، وأسروا في مسيرهم هذا الحارث بن مالك ابن البرصاء. وقد حرّر ابن إسحاق هذا ها هنا، وقد تقدم بيانه، بعث عليّ بن أبي طالب إلى أرض فدك، بعث أبي العوجاء السلمي إلى بني سُلَيم، أصيب هو وأصحابه، بعث عُكَاشة إلى الغمرة، بعث أبي سَلَمة بن عبد الأسد إلى قَطَن، وهو ماء بنجد لبني أسد، بعث محمّد بن مَسْلمة إلى القَرْطاء من هوازن، بعث بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك، وبعثه أيضاً إلى ناحية حُنَين، بعث زيد بن حارثة إلى الجموم من أرض بني سليم، بعث زيد بن حارثة إلى جُذام من أرض بني خشين. قال ابن هشام: وهي من أرض حسمى وكان سببها فيما ذكره ابن إسحاق وغيره: أن دحية بن خليفة لما رجع من عند قيصر وقد أبلغه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الله فأعطاه من عنده تحفاً وهدايا، فلما بلغ وادياً في أرض بني جُذَام يقال له شِنَار أغار عليه الهُنَيد بن عُوص وابنه عوص بن الهُنَيد الصليعيان والصليع بطن من جذام فأخذا ما معه فنفر حي منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ لدحية فردّوه عليه، فلما رجع دحية إلى رسول الله ﷺ أخبره الخبر واستسقاه دم الهُنَيد وابنه عُوص، فبعث حينئذ زيد بن حارثة في جيش إليهم، فساروا إليهم من ناحية الأولاج فأغار بالماقض من ناحية الحرّة، فجمعوا ما وجدوا من مال وناس، وقتلوا الهُنَيد وابنه ورجلين من بني الأحنف، ورجلاً من بني خَصِيب، فلما احتاز زيد أموالهم وذراريهم اجتمع نفر منهم برفاعة بن زيد. وكان قد جاءه كتاب من رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله، فقرأه عليهم رفاعة فاستجاب له طائفة منهم، ولم يكن زيد بن حارثة يعلم ذلك، فركبوا إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة في ثلاثة أيام، فأعطوه الكتاب فأمر بقراءته جهرة على الناس. ثم قال رسول الله: كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرات. فقال رجل منهم يقال له أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ومن قتل فهو تحت قدمي هذه، فبعث معهم رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فقال عليّ: إن زيداً لا يطيعني، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه علامة، فسار معهم على جمل لهم، فلقوا زيداً وجيشه ومعهم الأموال والذراري بفيفاء الفحلتين فسلّمهم عليّ جميع ما كان أخذ لهم لم يفقدوا منه شيئاً، بعث زيد بن حارثة أيضاً إلى بني فزارة بوادي القرى، فقتل طائفة من أصحابه وارتث هو من بين القتلى، فلما رجع آلى أن لا يمسّ رأسه غسل من جنابة حتى يغزوهم أيضاً، فلما استبلّ من جراحه، بعثه رسول الله ﷺ ثانياً في جيش، فقتلهم بوادي القرى وأسر أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وكانت عند مالك بن حُذَيفة بن بدر، ومعها ابنة لها، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر اليعمري فقتل أم قرفة، واستبقى ابنتها، وكانت من بيت شرف يضرب بأم قرفة المثل في عزّها، وكانت بنتها مع سلمة بن الأكوع، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فوهبها رسول الله لخاله حزن بن أبي وهب، فولدت له ابنه عبد الرّحمٰن، بعث عبد الله بن رواحة إلى خَيْبر مرّتين: إحداهما التي أصاب فيها اليُسَيْر بن رزام، وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله

ﷺ، فبعث رسول الله عبد اللّه بن رواحة في نفر منهم عبد اللّه بن أنيس، فقدموا عليه، فلم يزالوا يرغّبونه ليقدموه على رسول الله ﷺ فسار معهم، فلما كانوا بالقَرْقَرة على ستة أميال من خَيْبر ندم اليُسيْر على مسيره، ففطن له عبد اللّه بن أنيس ـ وهو يريد السيف ـ فضربه بالسيف فأطنّ قدمه، وضربه اليُسير بمخرش[١] من شوحط في رأسه فأمّه، ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله إلاّ رجلاً واحداً أفلت على قدميه، فلما قدم ابن أنيس تفل في رأسه رسول الله ﷺ فلم يقح[٢] جرحه ولم يؤذه. قلت وأظن البعث الآخر إلى خَيْبر لمّا بعثه عليه السَّلام خارصاً على نخيل خيبر والله أعلم. بعث عبد اللّه بن عتيك وأصحابه إلى خَيْبر فقتلوا أبا رافع اليهودي؛ بعث عبد اللّه بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نبيح فقتله بعرفة[٣].

وقد روى ابن إسحاق قصّته ها هنا مطولة، وقد تقدم ذكرها في سنة خمس والله أعلم، بعث زيد ابن حارثة وجعفر وعبد اللّه بن رواحة إلى مُؤْتة من أرض الشام، فأصيبوا كما تقدم، بعث كعب ابن عمير[٤] إلى ذات أطلاح من أرض الشام، فأصيبوا جميعاً أيضاً، بعث عُيَيْنة بن حصن بن حُذَيفة بن بدر إلى بني العَنْبر من تميم، فأغار عليهم فأصاب منهم أناساً، ثم ركب وفدهم إلى رسول الله ﷺ في أسراهم فأعتق بعضاً وفدى بعضاً، بعث غالب بن عبد اللّه أيضاً إلى أرض بني مُرة، فأصيب بها مِرْداس بن نهيك حليف لهم من الحرقة، من جُهَيْنة قتله أسامة بن زيد، ورجل من الأنصار، أدركاه فلما شهرا السلاح قال: لا إله إلاّ الله، فلما رجعا لامهما رسول الله ﷺ أشدّ اللوم، فاعتذرا بأنه ما قال ذلك إلاّ تعوذاً من القتل. فقال لأسامة: «**هلا شققت عن قلبه**»، وجعل يقول لأسامة: «**من لك بلا إله إلاّ الله يوم القيامة**» قال أسامة: فما زال يكرّرها حتى لوددت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك. وقد تقدّم الحديث بذلك؛ بعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بني عذرة يستنفر العرب إلى الشام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بَلي، فلذلك بعث عمراً يستنفرهم ليكون أنجع فيهم، فلما وصل إلى ماء لهم يقال له: السلسل، خافهم فبعث يستمدّ رسول الله، فبعث رسول الله ﷺ سريّة فيهم أبو بكر وعمر وعليها أبو عُبَيْدة بن الجرّاح، فلما انتهوا إليه تأمّر عليهم كلّهم عمرو وقال: إنما بُعِثْتم مدداً لي فلم يمانعه أبو عُبَيدة لأنه كان رجلاً سهلاً ليّناً هيناً عند أمر الدنيا، فسلّم له وانقاد معه، فكان عمرو يصلي بهم كلّهم، ولهذا لما رجع قال: يا رسول الله أي الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها. بعث عبد اللّه بن أبي حدرد إلى بطن أضم وذلك قبل فتح مكة، وفيها قصّة محلم بن جثامة، وقد تقدم مطولاً في سنة سبع، بعث ابن أبي حدرد أيضاً إلى الغابة، بعث عبد الرّحمٰن بن عوف إلى دومة الجندل. قال محمّد بن إسحاق: حدّثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح. قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد اللّه بن عمر بن

---

(١) المخرش: عصا معوجة الرأس.

(٢) في ابن هشام: فلم تفح. وفي التيمورية فلم يفج بالفاء والجيم وأحسبه تصحيف.

(٣) في ط: بعرنة.

(٤) في الأصل: ابن عمرو، والتصحيح عن الإجابة ومعجم البلدان.

الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم. قال: فقال عبد اللّه: أخبرك إن شاء الله عن ذلك، تعلم أني كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب النبيّ ﷺ في مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعبد الرَّحمٰن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحُذَيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدري، وأنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلّم على رسول الله ثم جلس. فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خُلُقاً». قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به أولئك الأكياس»، ثم سكت الفتى. وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم - وأعوذ بالله أن تدركوهن - أنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يغلبوا عليها إلاّ ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أخذوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلاّ منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم ما مطروا، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سلّط عليهم عدواً من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويجبروا فيما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم». قال: ثم أمر عبد الرَّحمٰن بن عوف أن يتجهّز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس سوداء، فأدناه رسول الله ﷺ ثم نقضها، ثم عمّمه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك. ثم قال: «هكذا يا ابن عوف، فاعتمّ فإنه أحسن وأعرف»، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، فحمد الله وصلى على نفسه ثم قال: «خذه يا ابن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله لا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيّكم فيكم». فأخذ عبد الرَّحمٰن بن عوف اللواء. قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل، بعث أبي عبيدة بن الجراح وكانوا قريباً من ثلاثمائة راكب إلى سيف البحر وزوّده عليه السَّلام جراباً من تمر، و[فيها] قصة العنبر وهي الحوت العظيم الذي دسره البحر[1] وأكلهم كلّهم منه قريباً من شهر حتى سمنوا وتزوّدوا منه وشائق أي شرائح، حتى رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأطعموه منه، فأكل منه كما تقدّم بذلك الحديث. قال ابن هشام: ومما لم يذكر ابن إسحاق من البعوث - يعني ها هنا - بعث عمرو ابن أمية الضمري لقتل أبي سفيان صخر بن حرب بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه، فكان من أمره ما قدّمناه، وكان مع عمرو بن أمية جبّار بن صخر، ولم يتفق لهما قتل أبي سفيان، بل قتلا رجلاً غيره، وأنزلا خبيباً عن جذعه، وبعث سالم بن عُمَير أحد البكّائين إلى أبي عفك، أحد بني عمرو بن عوف وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله الحارث ابن سُوَيد بن الصامت كما تقدم. فقال يرثيه ويذم - قبّحه الله - الدخول في الدين:

لقد عشت دهراً وما أن أرى ... من الناس داراً ولا مجمعا

أبرّ عهوداً وأوفى لمن ... يعاقد فيهم إذا ما دعا

---

(١) دسرهُ البحر: أي دفعه.

مــن أولاد قــيــلــة فــي جــمــعــهــم | يــهــد الــجــبــال ولــم يــخــضــعــا
فــصــدّعــهــم راكــب جــاءهــم | حــلال حــرام لــشــتــى مــعــا
فــلــو أن بــالــعــز صــدقــتــم | أو الــمــلــك تــابــعــتــم تُــبَّــعــا

فقال رسول الله ﷺ: «من لي بهذا الخبيث»[1]، فانتدب له سالم بن عُمَير هذا فقتله فقالت أمامة المريدية في ذلك:

تــكــذِّبُ ديــن الله والــمــرء أحــمــدا | لعمرو الذي أمناك بئس الذي يُمني[2]
حبــاك حــنــيــف[3] آخر الــلــيــل طعــنــة | أبــا عــفــك خــذهــا عــلــى كــبــر الســن

وبعث عُمَير بن عدي الخطمي لقتل العصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، كانت تهجو الإسلام وأهله، ولما قتل أبو عفك المذكور أظهرت النفاق وقالت في ذلك:

بــأَسْــتُ بــنــي مــالــك والــنَّــبِــيــتَ | وعــوفٍ وبــاسْــتُ بــنــي الــخَــزرَج
أطــعــتــم أتــاوي مــن غــيــركــم | فــلا مــن مُــراد ولا مُــذْحَــج
تــرَجّــوْنَــه بــعــد قــتــلِ الــرؤوس | كــمــا يُــرْتَــجــى وَرَق الــمُــنْــضِــج
ألا آنــفٌ يــبــتــغــي غِــرةً | فــيــقــطَــعَ مِــن أَمَــلِ الــمُــرْتَــجــي

قال: فأجابها حسّان بن ثابت فقال:

بــنــو وائــلٍ وبــنــو واقــفٍ | وخُــطْــمــة دون بــنــي الــخــزرج
مــتــى مــا دَعَــت سَــفَــهــاً وَيْــحَــهــا | بُــعُــولَــتَــهــا والــمَــنَــايــا تَــجِــي
فــهــزّت فَــتّــى مــاجِــداً عَــرْفِــه | كــريــم الــمَــدْخَــلِ والــمَــخْــرَجِ
فَــضَــرَّجَــهــا مــن نــجِــيــع الــدِمــا | ءِ بَــعِــيــدَ الــهُــدُوِّ فــلــم يَــخْــرِجَ

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ألا آخذ لي من ابنة مروان»، فسمع ذلك عُمَير بن عدي، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فقتلها. ثم أصبح فقال: يا رسول الله قتلتها. فقال: «نصرت الله ورسوله يا عُمَير». قال: يا رسول الله هل عليّ من شأنها. قال: «لا تنتطح فيها عنزان». فرجع عمير إلى قومه وهم يختلفون في قتلها، وكان لها خمسة بنون. فقال: أنا قتلتها فكيدوني جميعاً، ثم لا تنظرون فذلك أول يوم عزّ الإسلام في بني خطمة، فأسلم منهم بشر كثير لما رأوا من عزّ الإسلام. ثم ذكر البعث الذين أسروا ثمامة بن أثال الحَنَفي، وما كان من أمره في إسلامه. وقد تقدم ذلك في الأحاديث الصحاح. وذكر ابن هشام أنه هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[4]. لما كان من قلّة أكله بعد إسلامه، وأنه لما انفصل عن المدينة، دخل مكة معتمراً وهو يلبي فنهاه أهل

---

(١) في ط: الحديث.
(٢) أمناك: من المني الذي يقذفه الرجل.
(٣) في الأصل: حفيف، والتصحيح عن ابن هشام.
(٤) هو مثل ضربه الرسول ﷺ للمؤمن ليزهد في الدنيا ويقنع بالعيش.

مكة عن ذلك، فأبى عليهم وتوعّدهم بقطع الميرة عنهم من اليمامة، فلما عاد إلى اليمامة منعهم الميرة حتى كتب إليه رسول الله ﷺ فأعادها إليهم. وقال بعض بني حنيفة:

ومنا الذي لبّى بمكة محرماً ... برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

وبعث علقمة بن مجزز المدلجي ليأخذ بثأر أخيه وقاص بن مجزز يوم قتل بذي قَرَد، فاستأذن رسول الله ليرجع في آثار القوم، فأذن له وأمّره على طائفة من الناس، فلما قفلوا أذن لطائفة منهم في التقدم، واستعمل عليهم عبد اللّه بن حذافة، وكانت فيه دعابة، فاستوقد ناراً وأمرهم أن يدخلوها، فلما عزم بعضهم على الدخول قال: إنما كنت أضحك، فلما بلغ النّبيّ ﷺ قال: «**من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه**». والحديث في هذا ذكره ابن هشام عن الدراوردي عن محمّد بن عمرو بن علقمة عن عمرو بن الحكم بن ثوبان، عن أبي سعيد الخدري وبعث كرز بن جابر لقتل أولئك النفر الذين قدموا المدينة، وكانوا من قيس من بجيلة، فاستوخموا المدينة واستوبؤها[1] فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى إبله فيشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحّوا قتلوا راعيها وهو يسار مولى رسول الله ﷺ، ذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح، فبعث في آثارهم كرز بن جابر في نفر من الصحابة، فجاؤوا بأولئك النفر من بَجيلة مرجعه عليه السّلام من غزوة ذي قَرَد، فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم، وهؤلاء النفر إن كانوا هم المذكورين في حديث أنس المتفق عليه، أن نفراً ثمانية من عكل أو عرينة قدموا المدينة الحديث، والظاهر أنهم هم، فقد تقدمت قصّتهم مطولة وإن كانوا غيرهم فها قد أوردنا عيون ما ذكره ابن هشام والله أعلم. قال ابن هشام: وغزوة عليّ بن أبي طالب التي غزاها مرّتين. قال أبو عمرو المدني: بعث رسول الله عليّاً إلى اليمن، وخالداً في جند آخر. وقال: «**إن اجتمعتم فالأمير عليّ بن أبي طالب**». قال: وقد ذكر ابن إسحاق. بعث خالد ولم يذكره في عدد البعوث والبرايا، فينبغي أن تكون العدّة في قوله تسعاً وثلاثين. قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون. قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ. وقال البخاري: حدّثنا إسماعيل، ثنا مالك عن عبد اللّه بن دينار، عن عبد اللّه بن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام النّبيّ ﷺ فقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإن هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده**»[2]. ورواه الترمذي من حديث مالك. وقال: حديث صحيح حسن. وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقط غلط، فإن رسول الله ﷺ اشتدّ به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف. وقد أمر النّبيّ ﷺ

---

(١) وخم وويىء: أصابه الضرر والمرض.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٧، والترمذي في المناقب باب ٣٩.

أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتي فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من ربّ العالمين، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استثناه الشارع من بينهم بالنصّ عليه للإمامة في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، ثم لما توفي عليه الصلاة والسلام استطلق الصدّيق من أسامة عمر بن الخطاب فأذن له في المقام عند الصدّيق، ونفذ الصدّيق جيش أسامة كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله.

فصل في الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة رسول الله ﷺ وكيف ابتدىء رسول الله ﷺ بمرضه الذي مات فيه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ [سورة الزمر: ٣٠ - ٣١] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾ [سورة الأنبياء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥] ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]. وهذه الآية هي التي تلاها الصدّيق يوم وفاة رسول الله ﷺ فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها قبل. وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾. [النصر: ١ - ٣] قال عمر بن الخطاب وابن عبّاس: هو أجل رسول الله نعي إليه. وقال ابن عمر: نزلت أوسط أيام التشريق في حجّة الوداع، فعرف رسول الله أنه الوداع، فخطب الناس خطبةً أمرهم فيها ونهاهم، الخطبة المشهورة كما تقدم. وقال جابر: رأيت رسول الله يرمي الجمار فوقف. وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم فلعلّي لا أحجّ بعد عامي هذا**». وقال عليه السلام لابنته فاطمة كما سيأتي: «**إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرّة، وإنه عارضني به العام مرّتين، وما أرى ذلك إلاّ اقتراب أجلي**». وفي صحيح البخاري من حديث أبي بكر بن عياش عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل شهر رمضان عشرة أيام، فلما كان من العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعرض عليه القرآن في كل رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه، عرض عليه القرآن مرّتين[1]. وقال محمّد بن إسحاق: رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع في ذي الحجّة فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفراً، وبعث أسامة بن زيد فبينا الناس على ذلك ابتدىء رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراده الله من رحمته وكرامته في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدىء به رسول الله من ذلك فيما

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب ٧.

ذكر لي أنه خرج إلى بقيع الغَرْقد في جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتُدِىء بوجعه من يومه ذلك. قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن جعفر عن عبيد بن جبر، مولى الحكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ. قال: بعثني رسول الله من جَوْف الليل فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أُمِرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها. الآخرة شرّ من الأولى»، ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنّة، فخيّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنّة». قال: قلت: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنّة. قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنّة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدىء برسول الله وجعه الذي قبضه الله فيه[1] لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب. وإنما رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه عن محمّد بن إسحاق به. وقال الإمام أحمد: ثنا أبو النضر، ثنا الحكم بن فضيل، ثنا يعلى بن عطاء عن عبيد بن جبر عن أبي مويهبة. قال: أمر رسول الله أن يصلي على أهل البقيع، فصلى عليهم ثلاث مرّات، فلما كانت الثالثة قال: «يا أبا مويهبة أسرج لي دابتي». قال: فركب ومشيت حتى انتهى إليهم، فنزل عن دابته وأمسكت الدابة فوقف. أو قال ـ قام عليهم ـ فقال: «ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس، أتت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع بعضها بعضاً، الآخرة أشد من الأولى، فليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس». ثم رجع فقال: «يا أبا مويهبة إني أعطيت ـ أو قال: خيّرت بين مفاتيح ما يفتح على أمتي من بعدي، والجنّة أو لقاء ربي». قال: فقلت: بأبي أنت وأمي فاخترنا قال: «لأن تردّ على عقبها ما شاء الله، فاخترت لقاء ربي». فما لبث بعد ذلك إلاّ سبعاً أو ثمانياً حتى قبض[2]، وقال عبد الرزّاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: قال رسول الله: «نصرت بالرعب، وأعطيت الخزائن، وخيّرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي، وبين التعجيل، فاخترت التعجيل». قال البيهقي: وهذا مرسل، وهو شاهد لحديث أبي مويهبة. قال ابن إسحاق: وحدَّثني يعقوب بن عُتبة عن الزهري، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن عائشة. قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وارأساه. فقال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه» قالت: ثم قال: «وما ضرّكِ لو متّ قبلي فقمت عليكِ وكفّنتك وصلّيتُ عليكِ ودفنتكِ؟» قالت: قلت: والله لكأني بك لو فعلتَ ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسّم رسول الله ﷺ وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعز به[3] في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرّض في بيتي فأذِنّ له.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٨٨، ٤٨٩.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٨٩.
(٣) استعز به: اشتد عليه وجعه وغلبه على نفسه.

قالت: فخرج رسول الله بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عبّاس ورجل آخر عاصباً رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي. قال عُبَيد اللّه: فحدّثت به ابن عبّاس فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ هو عليّ بن أبي طالب. وهذا الحديث له شواهد ستأتي قريباً. وقال البيهقي: **أنبأنا** الحاكم، أنبأنا الأصم، أنبأنا أحمد بن عبد الجبّار عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق، حدَّثني يعقوب بن عتبة عن الزهري، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه، عن عائشة. قالت: دخل عليّ رسول الله وهو يصدع، وأنا أشتكي رأسي فقلت: وارأساه! فقال: **«بل أنا والله يا عائشة وارأساه!»** ثم قال: **«وما عليكِ لو متِّ قبلي، فوليتُ أمرك وصلّيتُ عليكِ وواريتُكِ»**. فقلت: والله إني لأحسب لو كان ذلك لقد خلوتَ ببعض نسائك في بيتي من آخر النهار، فضحك رسول الله ثم تمادى به وجعه فاستعز به[١] وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة، فاجتمع إليه أهله. فقال العباس: إنا لنرى برسول الله ذات الجنب فهلموا فلنلدّه، فلدوه[٢] فأفاق رسول الله. فقال: **«من فعل هذا؟»** فقالوا: عمّك العبّاس تخوف أن يكون بك ذات الجنب. فقال رسول الله: **«إنها من الشيطان، وما كان الله ليسلّطه عليّ لا يبقى في البيت أحد، إلاّ لددتموه إلاّ عمي العبّاس»**، فلدّ أهل البيت كلّهم حتى ميمونة، وإنها لصائمة، وذلك بعين رسول الله ﷺ، ثم استأذن أزواجه أن يمرّض في بيتي، فأذنّ له، فخرج وهو بين العبّاس ورجل آخر - لم تسمه - تخطّ قدماه بالأرض. قال عُبَيد اللّه قال ابن عبّاس: الرجل الآخر عليّ بن أبي طالب.

قال البخاري: **حدّثنا** سعيد بن عفير، ثنا الليث، حدَّثني عقيل عن ابن شهاب، أخبرني عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة. أن عائشة زوج النّبيّ ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله واشتدّ به وجعه، استأذن أزواجه أن يمرّض في بيتي فأذِنّ له، فخرج وهو بين الرجلين تخطّ رجلاه الأرض بين عبّاس قال ابن عبد المطلب، وبين رجل آخر. قال عُبَيد اللّه فأخبرت عبد اللّه - يعني ابن عباس - بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد اللّه بن عبّاس: هل تدري مَن الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا! [قال] ابن عبّاس: هو عليّ، فكانت عائشة زوج النّبيّ ﷺ تحدّث أن رسول الله لما دخل بيتي واشتدّ به وجعه. قال: **«هريقوا[٣] عليّ من سبع قُرَب لم تحلل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس»**، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النّبيّ ﷺ ثم طفقنا نصبّ عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتنّ. قالت عائشة: ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم[٤]. وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع أخر من صحيحه، ومسلم من طرق عن الزهري به. وقال البخاري: **حدّثنا** إسماعيل، ثنا سليمان بن بلال، قال هشام بن عروة: أَخْبَرَني أَبي عن عائشة. أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غداً أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت

---

(١) قال في النهاية: استعز به المرض واستعز عليه: إذا اشتد عليه وغلبه.
(٢) لدّ المريض: إذا شرب الدواء في أحد شقي فمه.
(٣) أهرق: صب.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، ومسلم في الصلاة حديث ٩١.

عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة رضي الله عنها: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي، وقبضه الله وإن رأسه لبين سحري[(١)] ونحري[(٢)] وخالط ريقه ريقي. قالت: ودخل عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر ومعه سواك يستنّ به، فنظر إليه رسول الله ﷺ. فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرَّحمٰن، فأعطانيه فقضمته، ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنّ به، وهو مستند[(٣)] إلى صدري[(٤)]. انفرد به البخاري من هذا الوجه. وقال البخاري: أَخْبَرَنا عبد اللّه بن يوسف، ثنا الليث، حدَّثني ابن الهاد عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: مات النَّبيّ ﷺ وإنه لبين حاقنتي[(٥)] وذاقنتي[(٦)] فلا أكره شدّة الموت لأحد أبداً بعد النَّبيّ ﷺ[(٧)].

وقال البخاري: حدّثنا حيان، أنبأنا عبد اللّه، أنبأنا يونس عن ابن شهاب، قال أَخْبَرَني عروة أن عائشة أخبرته: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى أنفث عليه[(٨)] بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النَّبيّ ﷺ عنه[(٩)]. ورواه مسلم من حديث ابن وهب عن يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري به. [وقد روى البخاري عن علي بن عبد الله] والفلاّس ومسلم عن محمّد بن حاتم، كلّهم.

[وثبت في الصحيحين من حديث أَبي عوانة عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: اجتمع نساء رسول الله ﷺ عنده، لم يغادر منهنّ امرأة، فجاءت فاطمة تمشي لا تخطىء مشيتها مشية أبيها. فقال: مرحباً بابنتي، فأقعدها عن يمينه أو شماله، ثم سارّها بشيء فبكت، ثم سارّها فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ بالسرار وأنت تبكين، فلما أن قامت. قلت: أخبريني ما سارك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ، فلما توفي. قلت لها: أسألك لما لي عليك من الحق لما أخبرتيني. قالت: أما الآن فنعم! قالت: سارني في الأول، قال لي «**إن جبريل كان يعارضني في القرآن كل سنة مرّة، وقد عارضني في هذا العام مرّتين، ولا أرى ذلك إلاّ لاقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري فنِعْم السَّلَف أنا لك**»، فبكيت. ثم سارني فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدّة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة**»، فضحكت[(١٠)]. وله طرق عن عائشة][(١١)]. وقد روى البخاري عن عليّ بن عبد اللّه، عن يَحْيَىٰ ابن سعيد القطان، عن سفيان الثوري، عن موسى بن أَبي عائشة، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه، عن عائشة. قالت: لددنا رسول الله ﷺ في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني، فقلنا كراهية

(١) السحر: الرئة.
(٢) النحر: أعلى الصدر.
(٣) في ط: مسند.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.
(٥) الحاقنة: المعدة.
(٦) الذاقنة: صرف الحلقوم.
(٧) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.
(٨) كذا في الأصل، وفي البخاري: أنفث على نفسه سقط في ط.
(٩) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، ومسلم في السلام حديث ٥١.
(١٠) أخرجه البخاري في الاستئذان باب ٤٣، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٩٩، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٢.
(١١) ما بين المعقوفين عن التيمورية فقط.

المريض للدواء. فلما أفاق قال: **«ألم أنهكم أن لا تلدوني؟»** قلنا: كراهية المريض للدواء. فقال: **«لا يبقى أحد في البيت إلاَّ لُدّ، وأنا أنظر إلاَّ العباس، فإنه لم يشهدكم»**. قال البخاري: ورواه ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة عن النبيّ ﷺ[١]. وقال البخاري، وقال يونس عن الزهري، قال عروة، قالت عائشة: كان النبيّ ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: **«يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخَيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السمّ»**[٢].

هكذا ذكره البخاري معلقاً. وقد أسنده الحافظ البيهقي عن الحاكم، عن أبي بكر محمّد بن أحمد ابن يَحْيَىٰ الأشقر، عن يوسف بن موسى، عن أحمد بن صالح، عن عنبسة، عن يونس ابن يزيد الأيلي، عن الزهري به. وقال البيهقي: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، أنبأنا أحمد بن عبد الجبّار، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود. قال: لئن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحبّ إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً. وقال البخاري: حدثنا إسحاق بن بشر، حدّثنا شعيب عن أبي حمزة، حدَّثني أبي عن الزهري. قال: أَخْبَرَني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم: أن عبد الله بن عباس أخبره، أن عليّ بن أبي طالب خرج من عند رسول الله في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب. فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال عليّ: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها، لا يعطيناها الناس بعد، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[٣]. انفرد به البخاري. وقال البخاري: ثنا قتيبة، ثنا سفيان عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جُبَير. قال: قال ابن عبّاس: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه. فقال: **«ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً فتنازعوا»** - ولا ينبغي عند نبي تنازع - فقالوا: ما شأنه أَهَجر[٤]؟ استفهموه، فذهبوا يردون عنه. فقال: **«دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»**، فأوصاهم بثلاث. قال[٥]: **«أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»**، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها[٦]. ورواه البخاري في

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣. (٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.

(٤) وقوله: أَهَجَرَ؟ وفي الأصل: يهجر وما أثبتناه من البخاري والمعنى هل تغير كلامه واختلط بسبب المرض، ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾.

(٥) في ط: ثال.

(٦) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة باب ٥، والمغازي باب ٨٣، ومسلم في الوصية حديث ٢٠.

موضع آخر، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به. ثم قال البخاري: **حدّثنا** عليّ بن عبد الله، ثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمر عن الزهري، عن عُبَيد الله بن عبد الله، عن ابن عبّاس. قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النّبيّ ﷺ: «**هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً**»، فقال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا. فمنهم من يقول قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. ومنهم من يقول غير ذلك. فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**». قال عُبَيد الله قال ابن عبّاس إن الرزية[1] كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم[2]. ورواه مسلم عن محمّد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزّاق بنحوه. وقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه من حديث معمر ويونس عن الزهري به. وهو الحديث مما قد توهّم به بعض الأغبياء [من أهل البدع][3] من الشيعة وغيرهم، كل مدّع أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسّك بالمتشابه، وترك المُحْكَم. وأهل السنّة يأخذون بالمُحْكم. ويردّون ما تشابه إليه، وهذه طريقة الراسخين في العلم كما وصفهم الله عزّ وجل في كتابه، وهذا الموضع مما زلّ فيه أقدام كثير من أهل الضلالات، وأما أهل السنّة فليس لهم مذهب إلاّ اتباع الحقّ يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه، قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه. فإنه قد قال الإمام أحمد: حدّثنا مؤمل، ثنا نافع، عن ابن عمرو، ثنا ابن أبي مليكة، عن عائشة. قالت: لما كان وجع رسول الله ﷺ الذي قبض فيه، قال: «**ادعوا لي أبا بكر وابنه لكي لا يطمع في أمر أبي بكر طامع، ولا يتمنّاه متمن**». ثم قال: «**يأبى الله ذلك والمؤمنون**». مرّتين. قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون[4]، انفرد به أحمد من هذا الوجه، وقال أحمد: **حدّثنا** أبو معاوية، ثنا عبد الرّحمٰن بن أبي بكر القرشي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة. قالت: لما ثقل رسول الله قال لعبد الرّحمٰن بن أبي بكر: «**ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد**»، فلما ذهب عبد الرّحمٰن ليقوم. قال: «**أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر**»[5]. انفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً. وروى البخاري عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، عن سليمان بن بلال، عن يَحْيَىٰ بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن عائشة. قالت: قال رسول الله: «**لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى متمنّون**». فقال: يأبى الله - أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون[6]. وفي

(١) الرزية: المصيبة.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، ومسلم في الوصية حديث ٢٢.

(٣) سقط في ط.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/١٠٦.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/٤٧.

(٦) أخرجه البخاري في المرض باب ١٦.

صحيح البخاري ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن محمّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه. قال: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال: «**إن لم تجديني فأتِ أبا بكر**»[١]. والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه الصلاة والسّلام في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه، وقد خطب عليه السّلام في يوم الخميس قبل أن يقبض عليه السّلام بخمس أيام خطبة عظيمة بيّن فيها فضل الصدّيق من سائر الصحابة، مع ما كان قد نصّ عليه أن يؤمّ الصحابة أجمعين، كما سيأتي بيانه مع حضورهم كلّهم. ولعل خطبته هذه كانت عوضاً عما أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه السّلام بين يدي هذه الخطبة الكريمة، فصبّوا عليه من سَبْع قرب، لم تحلل أَوكيتهن، وهذا من باب الاستشفاء بالسبع، كما وردت بها الأحاديث في غير هذا الموضع، والمقصود أنه عليه السّلام اغتسل، ثم خرج فصلى بالناس، ثم خطبهم كما تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك. قال البيهقي: **أنبأنا** الحاكم، أنبأنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق، عن الزهري، عن أيوب بن بشير. أن رسول الله قال في مرضه: «**أفيضوا عليّ من سبع قرب، من سبع آبار شتى، حتى أخرج فأعهد إلى الناس**». ففعلوا فخرج فجلس على المنبر، فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه، ذكر أصحاب أُحُدُ، فاستغفر لهم ودعا لهم. ثم قال: «**يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم**». ثم قال عليه السلام: «**أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله**»، ففهمها أبو بكر رضي الله عنه من بين الناس فبكى. وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا. فقال رسول الله ﷺ: «**على رسلك**[٢] يا أبا بكر! انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدّوها إلاّ ما كان من بيت أبي بكر، فإني لا أعلم أحداً عندي أفضل في الصحبة منه». هذا مرسل له شواهد كثيرة.

وقال الواقدي: **حدَّثني** فروة بن زبيد بن طوسا، عن عائشة بنت سعد، عن أم ذرة، عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ. قالت: خرج رسول الله عاصباً رأسه بخرقة، فلما استوى على المنبر تحدّق الناس بالمنبر. واستكفوا. فقال: «**والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة**»، ثم تشهّد، فلما قضى تشهّده كان أوّل ما تكلّم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأُحُد. ثم قال: «**إن عبداً من عباد الله خُيّر بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار العبد ما عند الله**»، فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه. وقال: بأبي وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله ﷺ. وجعل رسول الله يقول له: «**على رسلك!**».

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** أبو عامر، ثنا فليح عن سالم أبي النضر، عن بشر بن سعيد،

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٥، والأحكام باب ٥١، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٠.
(٢) على رسلك: على مهلك.

عن أبي سعيد. قال: خطب رسول الله الناس فقال: **«إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله»** قال: فبكى أبو بكر. قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد، فكان رسول الله هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا به. فقال رسول الله: **«إن آمَن الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلّة الإسلام ومودّته، لا يبقى في المسجد باب إلاّ سدّ إلاّ باب أبي بكر»**[1]. وهكذا رواه البخاري من حديث أبي عامر العقدي به.

ثم رواه الإمام أحمد عن يونس، عن فليح، عن سالم أبي النضر، عن عبيد بن حنين، وبشر بن سعيد، عن أبي سعيد به. وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث فليح ومالك بن أنس، عن سالم، عن بشر بن سعيد، وعبيد بن حُنَين، كلاهما عن أبي سعيد بنحوه. وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو الوليد، ثنا هشام، ثنا أبو عوانة عن عبد الملك، عن ابن أبي المعلى عن أبيه. أن رسول الله خطب يوماً فقال: **«إن رجلاً خيرّه ربّه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش فيها، يأكل من الدنيا ما شاء أن يأكل منها، وبين لقاء ربّه، فاختار لقاء ربّه»** فبكى أبو بكر. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: ألا تعجبون من هذا الشيخ أن ذكر رسول الله رجلاً صالحاً خيّره ربه بين البقاء في الدنيا وبين لقاء ربّه فاختار لقاء ربّه. فكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله. فقال أبو بكر: بل نفديك بأموالنا وأبنائنا. فقال رسول الله ﷺ: **«ما من الناس أحد أمنّ علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة، ولكن وُد وإخاء وإيمان، ولكن وُد وإخاء وإيمان - مرّتين - وإن صاحبكم خليل الله عزّ وجلّ»**. تفرّد به أحمد[2]، قالوا: وصوابه أبو سعيد بن المعلى فالله أعلم.

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا زكريا بن عدي، ثنا عُبَيد اللّه بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن عبد اللّه بن الحارث، حدّثني جندب. أنه سمع رسول الله ﷺ قبل أن يتوفى بخمس وهو يقول: **«قد كان لي منكم أخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى كل خليل من خلّته، ولو كنت متخذاً من أمّتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، وإن ربي اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن قوماً ممن كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**[3]. وقد رواه مسلم في صحيحه عن إسحاق بن راهويه بنحوه، وهذا اليوم الذي كان قبل وفاته عليه السّلام بخمسة أيام، هو يوم الخميس الذي ذكره ابن عبّاس فيما تقدم. وقد روينا هذه الخطبة من طريق ابن عباس.

قال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو الحسن عليّ بن محمّد المقرىء، أنبأنا الحسن بن محمّد

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٣، ومناقب الأنصار باب ٤٥، ومسلم في فضائل أبي بكر الصديق حديث ٢، وأحمد في المسند ٣/١٨.

(٢) المسند ٣/٤٧٨.

(٣) أخرجه مسلم في المساجد حديث ٢٣.

ابن إسحاق، حدّثنا يوسف بن يعقوب ـ هو ابن عوانة الإسفراييني[١] ـ. قال: ثنا محمّد بن أبي بكر، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، سمعت يعلى بن حكيم، [يحدّث][٢] عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: خرج النّبيّ ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: **«إنه ليس من الناس أحد أمنّ عليّ بنفسه وماله من أبي بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلّة الإسلام أفضل، سدّوا عني كل خوخة في المسجد، غير خوخة أبي بكر»**[٣]. رواه البخاري عن عُبَيد اللّه بن محمّد الجعفي، عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه به. وفي قوله عليه السّلام **«سدّوا عني كل خوخة»** ـ يعني الأبواب الصغار ـ إلى المسجد، **«غير خوخة أبي بكر»**، إشارة إلى الخلافة أي ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين. وقد رواه البخاري أيضاً من حديث عبد الرَّحمٰن بن سليمان بن حنظلة بن الغسيل، عن عكرمة، عن ابن عباس. أن رسول الله خرج في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بعصابة دسماء، ملتحفاً بملحفة على منكبيه، فجلس على المنبر فذكر الخطبة، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال: فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله ﷺ حتى قبض[٤] ـ يعني آخر خطبة خطبها عليه السلام.

وقد روي من وجه آخر عن ابن عبّاس بإسناد غريب، ولفظ غريب. فقال الحافظ البيهقي: **أنبأنا** عليّ بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا ابن أبي قماشْ، وهو محمّد بن عيسى، ثنا موسى بن إسماعيل أبو عمران الجبُلّي، ثنا معن بن عيسى القزاز، عن الحارث بن عبد الملك بن عبد اللّه بن إياس الليثي، عن القاسم بن يزيد بن عبد اللّه بن قسيط، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس، عن الفضل بن عبّاس. قال: أتاني رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكاً شديداً، وقد عصب رأسه، فقال: **«خذ بيدي يا فضل»**. قال: فأخذت بيده حتى قعد على المنبر. ثم قال: **«نادِ في الناس يا فضل»**، فناديت الصلاة جامعة. قال: فاجتمعوا، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: **«أما بعد أيها الناس إنه قد دنى مني خلوف من بين أظهركم، ولن تروني في هذا المقام فيكم، وقد كنت أرى أن غيره غير مغن عني حتى أقومه فيكم**[٥] ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد[٦]، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد، ولا يقولنّ قائل أخاف الشحناء[٧] من قبل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست من شأني ولا من خُلُقي، وإنّ أحبكم إليّ من أخذ حقاً إن كان له علي، أو حللني فلقيت الله عزّ وجلّ، وليس لأحد عندي مظلمة». قال: فقام منهم

(١) كذا في الأصل، والحافظ صاحب المستخرج وهو يعقوب بن إسحاق، ولعل هذا ابنه، فتكون الصحيحة ابن أبي عوانة.
(٢) سقط في ط.
(٣) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٨٠.
(٤) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.
(٥) لم أقف على هذا الحديث في غير هذا الأصل. والذي في التيمورية: بعد هذا العام.
(٦) يستقد: يستد.
(٧) الشحناء: البغضاء.

رجل فقال: يا رسول الله لي عندك ثلاثة دراهم. فقال: «أما أنا فلا أكذب قائلاً ولا مستحلفه على يمين فيم كانت لك عندي؟» قال: أما تذكر أنه مرّ بك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم. قال: «أعطه يا فضل». قال: وأمر به فجلس. قال: ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى. ثم قال: «يا أيها الناس من عنده من الغلول[١] شيء فليرده»، فقام رجل فقال: يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله. قال: «فلم غللتها؟» قال: كنت إليها محتاجاً. قال: «خذها منه يا فضل». ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى، وقال: «يا أيها الناس من أحسّ من نفسه شيئاً فليقم أدعو الله له». فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني لمنافق، وإني لكذوب، وإني لنؤوم. فقال عمر بن الخطاب: ويحك أيها الرجل لقد سترك الله، لو سترت على نفسك. فقال رسول الله ﷺ: «مه[٢] يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، اللهمّ ارزقه صدقاً وإيماناً، وأذهب عنه النوم إذا شاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر». وفي إسناده ومتنه غرابة شديدة.

ذكر أمره عليه السَّلام أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أن يصلي بالصحابة أجمعين [مع حضورهم كلّهم وخروجه عليه السَّلام فصلى وراءه مقتدياً به في بعض الصلوات على ما سنذكره وإماماً له ولمن بعده من الصحابة][٣]

قال الإمام أَحمد: حدّثنا يعقوب، ثنا أَبي عن ابن إِسحاق، قال: وقال ابن شهاب الزهري: حدَّثني عبد الملك بن أَبي بكر بن عبد الرَّحمٰن بن الحارث بن هشام عن أبيه، عن عبد اللّه بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد. قال: لما استعزّ برسول الله وأنا عنده في نفر من المسلمين دعا بلال للصلاة فقال: «مروا من يصلي بالناس». قال: فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أَبو بكر غائباً فقلت: قُمْ يا عمر فصلِّ بالناس. قال: فقام فلما كبّر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مجهراً فقال رسول الله: «فأين أَبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون». قال: فبُعِثَ إِلى أَبي بكر فجاء بعدما صلى عمر تلك الصلاة، فصلّى بالناس. وقال عبد اللّه بن زمعة: قال لي عمر: ويحك ما صنعت يا ابن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إِلاّ أن رسول الله أمرني بذلك، ولولا ذلك ما صلّيت. قال قلت: والله ما أمرني رسول الله، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة[٤]. وهكذا رواه أَبو داود من حديث ابن إِسحاق: حدَّثني الزهري. ورواه يونس بن بكير عن ابن إِسحاق، حدَّثني يعقوب بن عتبة عن أَبي بكر بن عبد الرَّحمٰن، عن عبد اللّه بن زمعة فذكره. وقال أَبو داود: ثنا أَحمد بن صالح، ثنا ابن أَبي فديك، حدَّثني موسى بن يعقوب عن عبد الرَّحمٰن بن

---

(١) الغلول: الخيانة.
(٢) مه: اسم فعل أمر مبني بمعنى: كف.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه أبو داود في السنة باب ١٢، وأحمد في المسند ٤/ ٣٢٢.

إسحاق، عن ابن شهاب، عن عُبَيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة، أن عبد اللّٰه بن زمعة أخبره بهذا الخبر. قال: لما سمع النبيّ ﷺ صوت عمر قال ابن زمعة: خرج النبيّ ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال: «لا لا لا يصلي للناس إلاَّ ابن أبي قحافة»، يقول ذلك مغضباً[١]. وقال البخاري: حدّثنا عمر بن حفص، ثنا أبي، ثنا الأعمش عن إبراهيم. قال الأسود: كنا عند عائشة، فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها. قالت: لما مرض النبيّ ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة فأذّن بلال. فقال: «مُروا أبا بكر فليصلّ بالناس»، فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة. فقال: «إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلّ بالناس». فخرج أبو بكر فوجد النبيّ ﷺ في نفسه خفّة فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخّر فأومأ إليه النبيّ ﷺ أن مكانك. ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه. قيل للأعمش: فكان النبيّ ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلّون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم[٢]! ثم قال البخاري: رواه أبو داود عن شعبة بعضه، وزاد أبو معاوية عن الأعمش: جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً. وقد رواه البخاري في غير ما موضع من كتابه، ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن الأعمش به. منها ما رواه البخاري عن قُتَيْبة ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، ويَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ عن أبي معاوية به. وقال البخاري: ثنا عبد اللّٰه بن يوسف، أنبأنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «مروا أبا بكر فليصلّ بالناس»[٣]. قال ابن شهاب: فأَخْبَرَني عُبَيد اللّٰه بن عبد اللّٰه عن عائشة أنها قالت: لقد عاودت رسول الله في ذلك، وما حملني على معاودته إلاَّ أني خشيت أن يتشاءم الناس بأبي بكر، وإلاَّ أني علمت أنه لن يقوم مقامه أحد، إلاَّ تشاءم الناس به، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبي بكر إلى غيره.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الرزّاق عن معمر عن الزهري. قال: وأَخْبَرَني حمزة ابن عبد اللّٰه بن عمر، عن عائشة قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال: «مروا أبا بكر فليصلّ بالناس». قالت: قلت: يا رسول الله: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر. قالت: والله! ما بي إلاَّ كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعته مرّتين أو ثلاثاً. فقال: «لِيصلّ بالناس أبو بكر، فإنكنّ صواحب يوسف»[٤]. وفي الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن أبيه. قال: مرض رسول الله ﷺ فقال: «مُروا أبا بكر فليصلّ بالناس»، فقالت

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب ١٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب ٣٩، ٦٨، ومسلم في الصلاة حديث ٩٥، والنسائي في الإمامة باب ٤٠، وابن ماجه في الإقامة باب ١٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب ٤٦.

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٩٤.

عائشة: يا رسول الله إنّ أبا بكر رجل رقيق، متى يقم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس. قال: فقال: «مروا أبا بكر يصلّ بالنّاس فإنّكن صواحبُ يوسفَ». قال: فصلى أبو بكر حياة رسول الله ﷺ[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن مهدي، أنبأنا زائدة عن موسى بن أبي عائشة، عن عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه. قال: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ فقالت: بلى! ثقل برسول الله ﷺ وجعُه فقال: «أصلّىٰ الناس؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: «صبّوا إليّ ماءً في المخضب»، ففعلنا، قالت: فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلّى الناس؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: «ضعوا لي ماءً في المخضب»، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلّى الناس؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلّى الناس؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله[٢] قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رَسول الله ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلّي بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً. فقال: يا عمر صلِّ بالناس، فقال: أنت أحقّ بذلك، فصلّى بهم تلك الأيام، ثم إنّ رسول الله ﷺ وجد خفّة، فخرج بين رَجلين أحدهما العبّاس لصلاة الظهر، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخّر فأومأ إليه أن لا يتأخّر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه، فجعل أبو بكر يصلي قائماً ورسول الله ﷺ يصلي قاعداً. قال عُبَيد اللَّه: فدخلت على ابن عبّاس فقلت: ألا أعرض عليك ما حدَّثتني عائشة عن مرض رسول الله؟ قال: هات فحدّثته فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: سمّت لك الرجل الذي كان مع العبّاس؟ قلت: لا، قال: هو عليّ[٣]. وقد رواه البخاري ومسلم جميعاً عن أحمد بن يونس، عن زائدة به. وفي رواية فجعل أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله وهو قائم، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ورسول الله ﷺ قاعد. قال البيهقي: ففي هذا أن النّبيّ ﷺ تقدم في هذه الصلاة، وعلّق أبو بكر صلاته بصلاته. قال: وكذلك رواه الأسود وعروة عن عائشة. وكذلك رواه الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عبّاس - يعني بذلك - ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا يَحْيَىٰ بن زكريا بن أبي زائدة، حدَّثني أبي عن أبي إسحاق، عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس. قال: لما مرض النّبيّ ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، ثم وجد خفّة فخرج، فلما أحسّ به أبو بكر أراد أن ينكص، فأومأ إليه النّبيّ ﷺ فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره، واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر رضي الله عنه[٤]. ثم رواه أيضاً عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أرقم، عن ابن عباس بأطول من هذا. وقال وكيع مرة: فكان

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب ٤٦، وأحاديث الأنبياء باب ١٩.

(٢) كذا في الأصل مكرراً أربع مرات، ولم يكرر في التيمورية.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب ٥١، ومسلم في الصلاة حديث ٩٠، وأحمد في المسند ٢/ ٥٢، ٥٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الإقامة باب ١٤٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٣١، ٢٣٢، ٣٥٦، ٣٥٧.

أَبو بكر يأتم بالنّبيّ ﷺ والناس يأتمون بأَبي بكر. ورواه ابن ماجه عن عليّ بن محمّد، عن وكيع، عن إسرائيل، عن أَبي إِسحاق، عن أرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس بنحوه. وقد قال الإمام أحمد: ثنا شبابة بن سوار، ثنا شعبة عن نعيم بن أَبي هند، عن أَبي وائل، عن مسروق، عن عائشة قالت: صلى رسول الله ﷺ خلف أبا بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه [1][وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث شعبة، وقال الترمذي: حسن صحيح] [2].

وقال أَحمد: حدّثنا بكر بن عيسى، سمعت شعبة بن الحجاج، عن نعيم بن أَبي هند، عن أَبي وائل، عن مسروق، عن عائشة: أن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف [3].

وقال البيهقي: أَخْبَرَنا أَبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأنا عبد اللّه بن جعفر، أنبأنا يعقوب بن سفيان، حدّثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا شعبة عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. أن رسول الله ﷺ صلّى خلف أبا بكر. وهذا إسناد جيد، ولم يخرّجوه. قال البيهقي: وكذلك رواه حميد عن أنس بن مالك، ويونس عن الحسن مرسلاً، ثم أسند ذلك من طريق هشيم، أَخْبَرَنا يونس عن الحسن. قال هشيم: وأنبأنا حميد عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ خرج وأبو بكر يصلي بالناس، فجلس إِلى جنبه، وهو في بردة قد خالف بين طرفيها، فصلى بصلاته.

قال البيهقي: وأَخْبَرَنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أَحمد بن عبيد الصفّار، ثنا عُبَيْد بن شريك، أنبأنا ابن أَبي مريم، أنبأنا محمّد بن جعفر، أَخْبَرَني حميد أنه سمع أنساً يقول: آخر صلاة صلاّها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد، ملتحفاً به خلف أَبي بكر.

قلت: وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح، ولم يخرجوه، وهذا التقييد جيّد بأنها آخر صلاة صلاّها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه. وقد ذكر البيهقي من طريق سليمان بن بلال، ويَحْيَىٰ بن أيوب عن حميد، عن أنس. أن النّبيّ ﷺ صلّى خلف أَبي بكر في ثوب واحد برد مخالفاً بين طرفيه، فلما أراد أن يقوم قال: «أدع لي أسامة بن زيد» فجاء فأسند ظهره إِلى نحره فكانت آخر صلاة صلاّها. قال البيهقي: ففي هذا دلالة أن هذه الصلاة كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة، لأنها آخر صلاة صلاّها لما ثبت أنه توفي ضحى يوم الاثنين. وهذا الذي قاله البيهقي، أخذه مسلماً [4]من مغازي موسى بن عقبة، فإنه كذلك ذكر. وكذا روى أبو الأسود عن عروة وذلك ضعيف بل هذه آخر صلاة صلاها مع القوم كما تقدم تقييده في الرواية الأخرى، والحديث واحد فيحمل مطلقه على مقيده، ثم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة، لأن تلك لم يصلها مع الجماعة، بل في بيته لما به من الضعف صلوات الله وسلامه عليه، والدليل على ذلك ما قال البخاري في صحيحه: حدّثنا أَبو اليمان،

---

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة باب ١٥١، والنسائي في الإمامة باب ١٧، وأحمد في المسند ٦/١٥٩.

(٢) ما بين المعقوفين عن التيمورية.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/١٥٩.

(٤) في التيمورية: أخذه مسلم.

أنبأنا شعيب عن الزهري، أَخْبَرَني أنس بن مالك، وكان تبع النّبيّ ﷺ وخدمه وصحبه: أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النّبيّ ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النّبيّ ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، تبسّم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النّبيّ ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصفّ، وظن أن النّبيّ ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا ﷺ أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر، وتوفي من يومه[١] ﷺ. وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة، وصبيح بن كيسان، ومعمر عن الزهري، عن أنس. ثم قال البخاري: ثنا أبو معمر، ثنا عبد الوارث، ثنا عبد العزيز، عن أنس ابن مالك. قال لم يخرج النّبيّ ﷺ ثلاثاً، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله عليكم بالحجاب، فرفعه، فلما وضح وجه النّبيّ ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النّبيّ ﷺ حين وضح لنا. فأومأ النّبيّ ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدّم، وأرخى النّبيّ ﷺ الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ[٢] . ورواه مسلم من حديث عبد الصَّمد بن عبد الوارث[٣] ، عن أبيه به، فهذا أوضح دليل على أنه عليه السَّلام لم يصلّ يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس، وأنه كان قد انقطع عنهم، لم يخرج إليهم ثلاثاً.

قلنا: فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاّها معهم الظهر، كما جاء مصرحاً به في حديث عائشة المتقدم، ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت، ولا يوم الأحد، كما حكاه البيهقي عن مغازي موسى بن عقبة، وهو ضعيف، ولما قدمنا من خطبته بعدها، ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل. وقال الزهري عن أبي بكر بن أبي سبرة: أن أبا بكر صلى بهم سبع عشر صلاة. وقال غيره: عشرين صلاة فالله أعلم. ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين، فودّعهم بنظرة كادوا يفتتنون بها. ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به، ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم:

وكنتُ أرى كالمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ فكيفَ ببَيْنٍ كان مَوْعِدُه الحَشْرُ

[والعجب أن الحافظ البيهقي أورد هذا الحديث من هاتين الطريقين. ثم قال ما حاصله: فلعلّه عليه السلام احتجب عنهم في أول ركعة، ثم خرج في الركعة الثانية، فصلى خلف أبي بكر، كما قال عروة وموسى بن عقبة، وخفي ذلك على أنس بن مالك أو أنه ذكر بعض الخبر وسكت عن آخره. وهذا الذي ذكره أيضاً بعيد جداً، لأن أنساً قال: فلم يقدر عليه حتى مات. وفي رواية قال: فكان ذلك آخر العهد به. وقول الصحابي مقدم على قول التابعي والله أعلم][٤] . والمقصود أن رسول الله ﷺ قدّم أبا بكر الصّدّيق إماماً للصحابة كلّهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية. قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: وتقديمه له أمر معلوم

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب ٤٦، ومسلم في الصلاة حديث ٩٩.
(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب ٤٦، ومسلم في الصلاة حديث ١٠٠.
(٣) في ط: الوارق.
(٤) ما بين المعقوفين سقط من التيمورية.

بالضرورة من دين الإسلام. قال: وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء. أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأكبرهم سناً، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم مسلماً**»[(١)] قلت: وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب. ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلّها في الصّدّيق رضي الله عنه وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا ينافي ما روي في الصحيح، أن أبا بكر ائتم به عليه السّلام، لأن ذلك في صلاة أخرى كما نصّ على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة، رحمهم الله عزّ وجلّ.

فائدة: استدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته عليه السّلام قاعداً، وأبو بكر مقتدياً به قائماً، والناس بأبي بكر على نسخ قوله عليه السّلام في الحديث المتفق عليه، حين صلى ببعض أصحابه قاعداً. وقد وقع عن فرس فجحش شقّه، فصلوا وراءه قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال: «**كذلك والذي نفسي بيده تفعلون كفعل فارس والروم، يقومون على عظمائهم وهم جلوس**». وقال: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبّر فكبّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون**». قالوا: ثم إنه عليه السّلام أمّهم قاعداً، وهم قيام في مرض الموت، فدلّ على نسخ ما تقدّم والله أعلم. وقد تنوّعت مسالك الناس في الجواب عن هذا الاستدلال، على وجوه كثيرة، موضع ذكرها كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان. وملخّص ذلك أن من الناس من زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم، وإنما استمر أبو بكر قائماً لأجل التبليغ عنه ﷺ. ومن الناس من قال: بل كان أبو بكر هو الإمام في نفس الأمر كما صرّح به بعض الرواة كما تقدم. وكان أبو بكر لشدّة أدبه مع الرسول ﷺ لا يبادره بل يقتدي به، فكأنه عليه السّلام صار إمام الإمام، فلهذا لم يجلسوا لاقتدائهم بأبي بكر وهو قائم، ولم يجلس الصّدّيق لأجل أنه إمام، ولأنه يبلّغهم عن النّبيّ ﷺ الحركات والسكنات والانتقالات، والله أعلم. ومن الناس من قال: فرق بين أن يبتدأ الصلاة خلف الإمام في حال القيام، فيستمر فيها قائماً وإن طرأ جلوس الإمام في أثنائها كما في هذه الحال، وبين أن يبتدي الصلاة خلف إمام جالس، فيجب الجلوس للحديث المتقدم والله أعلم. ومن الناس من قال: هذا الصنيع والحديث المتقدم دليل على جواز القيام والجلوس، وأن كلا منهما سائغ جائز الجلوس لما تقدم، والقيام للفعل المتأخر والله أعلم.

[فصل في كيفية][(٢)] احتضاره ووفاته عليه السلام

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن

(١) كذا بالأصل، والمحفوظ من الكتب: فأقدمهم إسلاماً.
(٢) سقط في ط.

سويد، عن عبد اللّه هو ابن مسعود. قال: دخلت على النّبيّ ﷺ وهو يوعك[١] فمسسته. فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً. قال: **«أجل! إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم»**، قلت: إن لك أجرين. قال: **«نعم! والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلاّ حط الله عنه خطاياه كما تحطّ الشجرة ورقها»**[٢]. وقد أخرجه البخاري ومسلم من طرق متعددة، عن سليمان بن مهران الأعمش به.

وقال الحافظ أَبو يعلى الموصلي في مسنده: حدّثنا إِسحاق بن أَبي إسرائيل، ثنا عبد الرزَّاق، أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم، عن رجل، عن أَبي سعيد الخدري. قال: وضع يده على النّبيّ ﷺ فقال: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدّة حماك. فقال النّبيّ ﷺ: **«إنّا معشر الأنبياء يُضاعف لنا البلاء، كما يضاعف لنا الأجر، إنْ كان النبي من الأنبياء ليبتَلى بالقمل حتى يقتلَه، وإن كان الرجل ليبتلى بالعري حتى يأخذ العباءَة فيجوّبها**[٣]، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء»[٤] فيه رجل مبهَمٌ لا يعرف بالكليّة فالله أعلم.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج زاد مسلم وجرير، ثلاثتهم عن الأعمش عن أبي وائل، شقيق بن سَلَمة، عن مسروق، عن عائشة. قالت: ما رأيت الوجع على أحد أشدّ منه على رسول الله ﷺ[٥]. وفي صحيح البخاري من حديث يزيد ابن الهاد عن عبد الرّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: مات رسول الله ﷺ بين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النّبيّ ﷺ[٦].

وفي الحديث الآخر الذي رواه في صحيحه قال: قال رسول الله: **«أشدُّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلىٰ الرجلُ على حسبِ دينه، فإنْ كان في دينه صلابةٌ شُدِّد عليه في البلاء»**[٧].

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا يعقوب، ثنا أَبي، حدّثنا محمّد بن إِسحاق، حدثني سعيد بن عبيد بن السباق عن محمّد بن أسامة بن زيد، عن أبيه أسامة بن زيد. قال: لما ثقل رسول الله ﷺ هبطتُ وهبط الناس معي إِلى المدينة، فدخلت على رسول الله وقد أصمت فلا يتكلّم فجعل يرفع يديه إِلى السماء ثم يصيبها على وجهه أعرف أنه يدعو لي[٨]. ورواه الترمذي عن أَبي كريب، عن يونس بن بكير، عن ابن إِسحاق وقال: حسن غريب.

---

(١) وعك وعكاً: أصابه ألم من شدة التعب أو المرض.
(٢) أخرجه البخاري في المرضى باب ١٦، ومسلم في البر والصلة حديث ٤٥، وأحمد في المسند ١/ ٣٨١.
(٣) جوّبها: دخل بها.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٩٤.
(٥) أخرجه البخاري في المرضى باب ٢، ومسلم في البر والصلة حديث ٤٤.
(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.
(٧) أخرجه البخاري تعليقاً في المرض (١٠/ ١١١).
(٨) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٤٠، وأحمد في المسند ٥/ ٢٠١.

وقال الإمام مالك في موطئه عن إسماعيل بن أبي حكيم: أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول: كان من آخر ما تكلّم به رسول الله ﷺ أن قال: «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [لا يبقين دينان بأرض العرب**»[١]. هكذا رواه مرسلاً عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وقد روى البخاري ومسلم من حديث الزهري، عن عُبَيد الله بن عبد الله ابن عتبة، عن عائشة وابن عباس. قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه. فقال: وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**» يحذر ما صنعوا][٢][٣]. وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو بكر بن أبي رجاء الأديب، أنبأنا أبو العباس الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «**أحسنوا الظن بالله**». وفي بعض الأحاديث كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع، عن جابر. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتن**[٤] أحدكم إلاّ وهو يحسن الظنَّ بالله تعالى»[٥]. وفي الحديث الآخر يقول الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً**»[٦].

وقال البيهقي: أنبأنا الحاكم، حدّثنا الأصم، ثنا محمّد بن إسحاق الصاغاني[٧]، ثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، ثنا جرير عن سليمان التيمي، عن قتادة، عن أنس. قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الوفاة: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**» حتى جعل يغرغر بها وما يفيض[٨] بها لسانه[٩]. وقد رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، عن جرير بن عبد الحميد به، وابن ماجه عن أبي الأشعث، عن معتمر بن سليمان، عن أبيه به. وقال الإمام أحمد: حدّثنا أسباط بن محمّد، ثنا التيمي عن قتادة، عن أنس بن مالك. قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**»، حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه. وقد رواه النسائي وابن ماجه من حديث سليمان بن طرخان، وهو التيمي عن قتادة، عن أنس به. وفي رواية للنسائي عن قتادة، عن صاحب له، عن أنس به.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الجامع، حديث ١٧.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من التيمورية.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٥٥، واللباس باب ١٩، ومسلم في المساجد حديث ٢٢.

(٤) في الأزهرية: لا يؤمن.

(٥) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٨١.

(٦) أخرجه البخاري في التوحيد باب ١٥، ومسلم في الذكر والدعاء حديث ١، والترمذي في الدعوات باب ١٣١، وابن ماجه في الأدب باب ٥٨، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥١.

(٧) في ط: الصنعاني.

(٨) في ط: يفصح.

(٩) أخرجه ابن ماجه في الوصايا باب ١، وأحمد في المسند ٣/ ١١٧.

وقال أحمد: حدّثنا بكر بن عيسى الراسبي، ثنا عمر بن الفضل، عن نعيم بن يزيد، عن عليّ بن أبي طالب. قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضلّ أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتني نفسه. قال: قلت: إني أحفظ وأعي. قال: **«أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم»**. تفرّد به أحمد[1] من هذا الوجه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو النعمان محمّد بن الفضل، ثنا أبو عوانة عن قتادة، عن سفينة، عن أم سلَمة قالت: كان عامة وصية رسول الله ﷺ عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل يلجلجها[2] في صدره وما يفيض بها لسانه[3]. وهكذا رواه النسائي عن حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سفينة، عن أم سلمة به [قال البيهقي والصحيح ما رواه عفّان عن همّام، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن سفينة، عن أم سلمة به][4]. وهكذا رواه النسائي أيضاً وابن ماجه من حديث يزيد بن هارون، عن همام، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن سفينة، عن أم سلمة به. وقد رواه النسائي أيضاً عن قتيبة، عن أبي عوانة، عن قتادة، عن سفينة، عن النبيّ ﷺ فذكره. ثم رواه عن محمّد ابن عبد الله بن المبارك، عن يونس بن محمّد قال: حدّثنا عن سفينة فذكر نحوه. وقال أحمد: حدثنا يونس، ثنا الليث عن يزيد بن الهاد، عن موسى بن سرجس، عن القاسم، عن عائشة قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماءٌ فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: **«اللهم أعني على سكرات الموت»**[5]. ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث به، وقال الترمذي: غريب. وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، عن إسماعيل، عن مصعب بن إسحاق بن طلحة، عن عائشة، عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«ليهون عليّ أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة»**[6]. تفرّد به أحمد، وإسناده لا بأس به. وهذا دليل على شدّة محبته عليه السّلام لعائشة رضي الله عنها. وقد ذكر الناس معاني كثيرة في كثرة المحبّة، ولم يبلغ أحدهم هذا المبلغ، وما ذاك إلاّ لأنهم يبالغون كلاماً لا حقيقة له، وهذا كلام حقّ لا محالة ولا شك فيه. وقال حماد بن زيد عن أيوب، عن ابن أبي مليكة. قال: قالت عائشة: توفي رسول الله ﷺ في بيتي وتوفي بين سحري ونحري وكان جبريل يعوذه بدعاء إذا مرض، فذهبت أعوذه فرفع بصره إلى السماء وقال: **«في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»**، ودخل عبد الرّحمٰن بن أبي بكر، وبيده جريدة رطبة، فنظر إليها، فظننت أن له بها حاجة قالت: فأخذتها فنفضتها فدفعتها إليه فاستنّ[7] بها أحسن ما كان مستناً، ثم ذهب يناولنيها فسقطت من يده. قالت: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة[8]. ورواه

---

(١) المسند ١/ ٩٠.
(٢) يلجلج لجلجة: يتردد في الكلام.
(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٦٤.
(٤) ما بين المعقوفين عن التيمورية.
(٥) أخرجه الترمذي في الجنائز باب ٨، وابن ماجه في الجنائز باب ٦٤، وأحمد في المسند ٦/ ٦٤.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٣٨.
(٧) استن: نظف أسنانه.
(٨) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.

البخاري عن سليمان بن حرب[١] عن حماد بن زيد به.

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى، ثنا صالح بن محمّد الحافظ البغدادي، ثنا داود بن عمرو بن زهير الضبّي، ثنا عيسى ابن يونس عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، أنبأنا ابن أبي مليكة: أن أبا عمرو ذكوان مولى عائشة أخبره أن عائشة كان تقول: إن من نعمة الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في يومي وفي بيتي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت. قالت: دخل عليّ أخي بسواك معه، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري، فرأيته ينظر إليه. وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه. فقلت: آخذه لك فأشار برأسه أي نعم! فلينته له فأمرّه على فيه. قالت: وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ثم يقول: «لا إله إلاّ الله، إن للموت لسكرات» ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»، حتى قُبض ومالت يده في الماء[٢]. ورواه البخاري عن محمّد عن عيسى بن يونس. وقال أبو داود الطيالسي: ثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم، سمعت عروة يحدّث عن عائشة قالت: كنا نحدث أن النبي لا يموت حتى يخيّر بين الدنيا والآخرة. قالت: فلما كان مرض رسول الله ﷺ الذي مات فيه، عرضت له بحّة، فسمعته يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً». قالت عائشة: فظننا أنه كان يخيّر[٣]. وأخرجاه من حديث شعبة به.

وقال الزهري: أَخْبَرَني سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم، أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنّة ثم يخيّر». قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت. وقال: «اللّهمّ الرفيق الأعلى»، فعرفت أنه الحديث الذي كان حدّثناه وهو صحيح، «أنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنّة، ثم يخيّر». قالت عائشة: فقلت: إذاً لا تختارنا، وقالت عائشة: كانت تلك الكلمة آخر كلمة تكلّم بها رسول الله ﷺ: «الرفيق الأعلى»[٤]. أخرجاه من غير وجه عن الزهري به. وقال سفيان: هو الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بردة، عن عائشة قالت: أغمي على رسول الله ﷺ وهو في حجري، فجعلت أمسح وجهه وأدعو له بالشفاء. فقال: «لا، بل أسأل الله الرفيق الأعلى، الأسعد، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل». رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به.

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وغيره قالوا: ثنا أبو العباس الأصم، ثنا محمّد ابن عبد الله بن عبد الحكم، ثنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة، عن عباد بن عبد الله بن

---

(١) في ط: جرير.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٨٦.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٨٧.

الزبير، أن عائشة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مستند[١] إلى صدرها يقول: «اللّهمّ اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق [الأعلى]»[٢][٣]. أخرجاه من حديث هشام بن عروة.

وقال الإمام أحمد[٤]: حدّثنا يعقوب، ثنا أبي عن ابن إسحاق، حدَّثني يَحْيَىٰ بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه عباد، سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سَحْري ونحري، وفي دَوْلتي[٥]، ولم أظلم فيه أحداً، فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله ﷺ قُبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألدم[٦] مع النساء، وأضرب وجهي.

وقال الإمام أحمد[٧]: حدّثنا محمّد بن عبد اللّه بن الزبير، ثنا كثير بن زيد عن المطلب ابن عبد اللّه. قال قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبيّ إلاّ تُقبض نفسه، ثم يَرى الثواب، ثم تُرد إليه فيخيّر بين أن تردّ إليه وبين أن يلحق»، فكنت قد حفظت ذلك منه، فإني لمسندته إلى صدري فنظرت إليه حين مالت عنقه، فقلت: قد قضى، فعرفت الذي قال، فنظرت إليه حين ارتفع فنظر[٨]. قالت قلت: إذاً والله لا يختارنا. فقال: «مع الرفيق الأعلى في الجنّة «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً». تفرّد به أحمد ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد[٩]: حدّثنا عفّان، أنبأنا همام، أنبأنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري. قالت: فلما خرجت نفسه، لم أجد ريحاً قط أطيب منها. وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة. ورواه البيهقي من حديث حنبل بن إسحاق عن عفان.

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبّار، ثنا يونس عن أبي معشر، عن محمّد بن قيس، عن أبي عروة[١٠] عن أم سَلَمة قالت: وضعت يدي على صدر رسول الله ﷺ يوم مات، فمرت لي جمع آكل، وأتوضأ وما يذهب ريح المسك من يدي.

وقال أحمد: حدّثنا عفان وبهز قالا: ثنا سليمان بن المغيرة، ثنا حميد بن هلال، عن أبي بردة. قال: دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساء من التي

---

(١) في ط: مسند.
(٢) زاد في التيمورية: الأعلى. وفي صحيح البخاري كالأصل.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٨٥.
(٤) المسند ٦/ ٢٧٤.
(٥) دولتي: أي بيتي وسلطاني.
(٦) ألدم: أي ألطم.
(٧) المسند ٦/ ٧٤.
(٨) كذا في الأصلين.
(٩) المسند ٦/ ١٢١، ١٢٢.
(١٠) كذا في الأصل، وفي التيمورية: قيس بن أبي عروة.

يدعون الملبّدة فقالت: إن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين[١]. وقد رواه الجماعة إلاّ النسائي من طرق عن حميد بن هلال به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا بهز، ثنا حماد بن سلمة، أنبأنا أبو عمران الجوني، عن يزيد ابن بابنوس. قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى عائشة فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة، وجذبت إليها الحجاب. فقال صاحبي: يا أم المؤمنين ما تقولين في العراك، قالت: وما العراك؟ فضربت منكب صاحبي. قالت: مه آذيت أخاك. ثم قالت: ما العراك المحيض! قولوا ما قال الله عزّ وجلّ في المحيض. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ يتوشحني وينال من رأسي، وبيني وبينه ثوب، وأنا حائض. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرّ ببابي مما يلقي الكلمة ينفعني الله بها، فمرّ ذات يوم، فلم يقل شيئاً، ثم مرّ فلم يقل شيئاً مرّتين أو ثلاثاً فقلت يا جارية ضعي لي وسادة على الباب، وعصبت رأسي فمرّ بي. فقال: **«يا عائشة ما شأنك؟»** فقلت: أشتكي رأسي. فقال: **«أنا وارأساه»**، فذهب فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى جيء به محمولاً في كساء، فدخل عليّ وبعث إلى النساء فقال: **«إني قد اشتكيت، وإني لا أستطيع أن أدور بينكن، فائذنّ لي فلأكُنْ عند عائشة»**، فكنت أمرّضه، ولم أمرّض أحداً قبله، فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة، فوقعت في ثغرة نحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه غشي عليه، فسجيته ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا فأذنت لهما، وجذبت إلي الحجاب، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه ما أشدّ غشي رسول الله ﷺ، ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ، فقال: كذبت بل أنت رجل تحوسك[٢] فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب، فنظر إليه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبّل جبهته، ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبّل جبهته ثم قال: واصفياه! ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبّل جبهته وقال: واخليلاه، مات رسول الله ﷺ وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلّم ويقول: إن رسول الله لا يموت حتى يُفني الله المنافقين. فتكلّم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله يقول ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٠] حتى فرغ من الآية، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] حتى فرغ من الآية ثم قال: فمن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت، ومن كان يعبد محمّداً فإن محمّداً قد مات، فقال عمر: أو إنها في كتاب الله؟ ما شعرت أنها في كتاب الله. ثم قال عمر: يا أيها الناس هذا أبو بكر، وهو ذو سبية[٣] المسلمين

(١) أخرجه البخاري في فرض الخمس باب ٥، واللباس باب ١٩، ومسلم في اللباس والزينة حديث ٣٤، وأبو داود في اللباس باب ٧، والترمذي في اللباس باب ١٠، وابن ماجه في اللباس باب ١، وأحمد في المسند ٦/ ١٣١.

(٢) تحوسك: أي تخالطك أو تتخللك. النهاية. (٣) كذا في الأصل، وفي التيمورية: ذو أشبة.

فبايعوه فبايعوه[١]. وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطّار، عن أبي عمران الجوني به، ببعضه.

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق، أَخْبَرَنا أحمد ابن إبراهيم بن ملحان، ثنا يَحْيَىٰ بن بكير، ثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أَخْبَرَني أبو سلمة عن عبد الرَّحمٰن، أن عائشة أخبرته: أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلّم الناس حتى دخل على عائشة، فيمّم رسول الله ﷺ وهو مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. قال الزهري: وحدَّثني أبو سلمة عن ابن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر يكلّم الناس. فقال: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس. فقال: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس. فتشهّد أبو بكر، فأقبل الناس إليه. فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمّداً فإن محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] الآية. قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلّهم، فما سمع بشر من الناس إلاَّ يتلوها. قال الزهري: وأَخْبَرَني سعيد بن المسيّب أن عمر قال: والله ما هو إلاَّ أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحقّ، فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات[٢]. ورواه البخاري عن يَحْيَىٰ بن بكير به، وروى الحافظ البيهقي من طريق بن لهيعة، ثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير في ذكر وفاة رسول الله ﷺ. قال: وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعّد من قال مات بالقتل والقطع ويقول: إن رسول الله ﷺ في غشية لو قد قام قتل وقطع، وعمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ابن أم مكتوم في مؤخر المسجد يقرأ ﴿وما محمّد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية والناس في المسجد يبكون ويموجون لا يسمعون، فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس. فقال: يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عَهْد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفاته، فليحدّثنا. قالوا: لا! قال: هل عندك يا عمر منْ علم؟ قال: لا! فقال العباس: اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إليه في وفاته، والله الذي لا إله إلاَّ هو، لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت. قال: وأقبل أبو بكر رضي الله عنه من السنح[٣] على دابته حتى نزل بباب المسجد، وأقبل مكروباً حزيناً، فاستأذن في بيت ابنته عائشة، فأذنت له، فدخل ورسول الله ﷺ قد توفي على الفراش، والنسوة حوله فخمّرن وجوههن، واستترن من أبي بكر، إلاَّ ما كان من عائشة، فكشف عن رسول الله ﷺ فجثى عليه يقبّله ويبكي ويقول: ليس ما يقوله ابن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢١٩، ٢٢٠.
(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣.
(٣) السنح: مكان في أعالي المدينة، حيث منزل أبي بكر الصديق.

الخطاب شيئاً، توفي رسول الله والذي نفسي بيده رحمة الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حياً وميتاً، ثم غشّاه بالثوب، ثم خرج سريعاً إلى المسجد يتخطى رقاب الناس، حتى أتى المنبر وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلاً إليه، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر، ونادى الناس فجلسوا، وأنصتوا فتشهّد أبو بكر بما عَلِمه من التشهّد. وقال: إن الله عزّ وجل نعى نبيّه إلى نفسه، وهو حيّ بين أظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد، إلاّ الله عزّ وجل. قال تعالى: ﴿وما محمّدٌ إلاّ رسولٌ قد خلتْ من قَبله الرسلُ﴾ الآية. فقال عمر: هذه الآية في القرآن؟ والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم، وقد قال الله تعالى لمحمّد ﷺ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٠] وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة القصص: ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧] وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] وقال: إن الله عمّر محمّداً ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلّغ رسالة الله، وجاهد في سبيل الله، ثم توفاه الله على ذلك، وقد ترككم على الطريقة فلن يهلك هالك إلاّ من بعد البيّنة والشفاء، فمن كان الله ربّه فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمّداً وينزله إلهاً فقد هلك إلهه. فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم، وتوكّلوا على ربّكم فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وأن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمّداً ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة[1] ما وضعناها بعد، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغين أحدٌ إلاّ على نفسه. ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث في غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه. قلت: كما سنذكره مفصلاً بدلائله وشواهده، إن شاء الله تعالى. وذكر الواقدي عن شيوخه. قالوا: ولما شك في موت النبيّ ﷺ فقال بعضهم: مات! وقال بعضهم لم يمت، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول الله ﷺ فقالت: قد توفي رسول الله ﷺ، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه، فكان هذا الذي قد عرف به موته. هكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق الواقدي، وهو ضعيف وشيوخه لم يسمون، ثم هو منقطع بكل حال، ومخالف لما صحّ وفيه غرابة شديدة، وهو رفع الخاتم فالله أعلم بالصواب. وقد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة أخباراً كثيرة، فيها نكارات وغرابة شديدة، أضربنا عن أكثرها صفحاً لضعف أسانيدها، ونكارة متونها، ولا سيّما ما يورده كثير من القصّاص المتأخرين وغيرهم، فكثير منه موضوع لا محالة، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب، وما لا يعرف سنده والله أعلم.

---

(١) في ط: إن سيوفنا لمسلولة.

فصل في ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه

ومن أعظمها وأجلّها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصّدّيق رضي الله عنه قد صلّى بالمسلمين صلاة الصبح، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع، وكشف ستر الحجرة، ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر، فأعجبه ذلك وتبسّم صلوات الله وسلامه عليه، حتى همّ المسلمون أن يتركوا ما هُمّ فيه من الصلاة لفرحهم به، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخّر ليصلَ الصفّ، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم، وأرخى الستارة وكان آخر العهد به عليه الصلاة والسلام، فلما انصرف أبو بكر رضي الله عنه من الصلاة، دخل عليه وقال لعائشة: ما أرى رسول الله ﷺ إلاّ قد أقلع عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة يعني إحدى زوجتيه، وكانت ساكنة بالسنح شرقي المدينة، فركب على فرس له وذهب إلى منزله، وتوفي رسول الله ﷺ حين اشتدّ الضحى من ذلك اليوم، وقيل: عند زوال الشمس والله أعلم.

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم فمن قائل يقول مات رسول الله ﷺ، ومن قائل لم يمت، فذهب سالم بن عُبَيْد وراء الصّدّيق إلى السنح، فأعلمه بموت رسول الله ﷺ فجاء الصّدّيق من منزله حين بلغه الخبر، فدخل على رسول الله ﷺ منزله، وكشف الغطاء عن وجهه وقبّله، وتحقق أنه قد مات خرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر، وبيّن لهم وفاة رسول الله ﷺ كما قدّمنا، وأزاح الجدل وأزال الإشكال، ورجع الناس كلّهم إليه، وبايعه في المسجد جماعة من الصحابة، ووقعت شبهة لبعض الأنصار، وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار، وتوسّط بعضهم بين أن يكون أمير من المهاجرين، وأمير من الأنصار، حتى بيّن لهم الصّدّيق أن الخلافة لا تكون إلاّ في قريش، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه كما سنبيّنه وننبّه عليه.

قصة سقيفة بني ساعدة

قال الإمام أحمد: حدّثنا إسحاق بن عيسى الطباع، ثنا مالك بن أنس، حدّثني ابن شهاب عن عُبَيد اللّه [بن عبد اللّه][1] بن عتبة بن مسعود: أن ابن عبّاس أخبره، أن عبد الرّحمٰن بن عوف رجع إلى رحله ـ قال ابن عبّاس: وكنت أقرىء عبد الرّحمٰن بن عوف، فوجدني وأنا أنتظره ـ وذلك بمِنًى في آخر حجّة حجّها عمر بن الخطاب، فقال عبد الرّحمٰن بن عوف: إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: إن قائلاً[2] يقول: لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فقال عمر: إني قائم العشية، إن شاء الله في الناس فمحذّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم

(١) سقط في ط.
(٢) في ط: فلاناً.

أمرهم. قال عبد الرَّحمٰن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم[1]، وأنهم الذين يغلبون على مجلسك إذا قمت في الناس، فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك، فلا يَعُوها ولا يضعوها مواضعها، ولكن حتى مقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنّة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكناً، فيعون مقالتك ويضعوها مواضعها، قال عمر: لئن قدمت المدينة صالحاً لأكلمن بها الناس في أول مقام أقومه، فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجّة، وكان يوم الجمعة، عجّلت الرواح صكة الأعمى، قلت لمالك وما صكة الأعمى[2]؟ قال: إنه لا يبالي أي ساعة خرج لا يعرف الحرّ والبرد أو نحو هذا. فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني، فجلست حذاءه تحكّ ركبتي ركبته، فلم أنشَب أن طلع عمر، فلما رأيته قلت ليقولنّ العشية على هذا المنبر مقالة ما قالها عليه أحد قبله. قال: فأنكر سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذّن قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإني قائل مقالة وقد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلّها بين يدي أجلي، فمن وعاها وعقلها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن لم يعها فلا أحلّ له أن يكذّب علي، إن الله بعث محمّداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة قد أنزلها الله عزّ وجلّ، فالرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البيّنة أو كان الحبل أو الاعتراف، ألا وإنا قد كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم، فإن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم، ألا وإن رسول الله ﷺ قال «لا تطروني[3] كما أُطري عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»، وقد بلغني أن قائلاً منكم يقول لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤ أن يقول إن بيعة أَبي بكر كانت فلتة، فتمت ألا وأنها كانت كذلك، إلاّ إن الله وقى شرّها، وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أَبي بكر، وأنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ إن علياً والزبير ومن كان معهما تخلّفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتخلّف عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أَبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان، فذكرا لنا الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل[4] فقلت: من هذا؟

---

(١) الغوغاء: سفلة الناس، وأهل الغوغاء، والغوغاء: الجراد، شبه سفلة الناس به لكثرتهم.

(٢) كذا في الأصلين. وفي النهاية: صكة عمى.

(٣) أطرى: مدح.

(٤) مزمل: ملتف في كساء أو غيره.

قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: وجع، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبيّنا، وقد دفت دافة[1] منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا، وتحضّنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلّم وكنت قد زوّرت[2] مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ[3]، وهو كان أحكم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاّ قالها في بديهته وأفضل حين سكت. فقال: أما بعد فما ذكرتم من خير، فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً[4]، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، كأن والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر، إلاّ أن تغير نفسي عند الموت، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك[5]، وعذيقها المرجب[6]، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فقلت لمالك: ما يعني أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، قال: كأنه يقول أنا داهيتها، قال: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعداً، فقلت: قتل الله سعداً. قال عمر: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أرفق من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فاما نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تغرة[7] أن يقتلا، قال مالك: فأَخْبَرَني ابن شهاب عن عروة: أن الرجلين اللذين لقياهما عُوَيم بن ساعدة ومعن بن عدي. قال ابن شهاب: وأَخْبَرَني سعيد بن المسيب: أن الذي قال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب هو الحُبَاب بن المُنْذر[8]. وقد أخرج هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طرق عن مالك وغيره، عن الزهري به. وقال الإمام أحمد:

---

(١) الدافة: القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد.

(٢) زورت مقالة: أصلحتها وحسنتها.

(٣) الحدّ: أي أنه كان في خلق عمر حدة، كان يسترها عن أبي بكر.

(٤) أوسط العرب سنباً: أي أشرفهم، ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾. وقوله تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾ أي أشرفهم. وداراً: أي بلداً، وهي مكة، لأنها أشرف البقاع.

(٥) الجذيل: تصغير جذل، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل، تحتك به وتستريح إليه، فتضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه، وتوجد الراحة عنده.

(٦) العذيق: تصغير عذق، وهي النخلة بنفسها، والمرجب: الذي يبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله، ولعزه على أهله، فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه. واسم الدعامة التي تدعم بها النخلة الرجبية ومنه اشتقاق شهر رجب، لأنه يعظم في الجاهلية والإسلام.

(٧) تغرة: مصدر غررته إذا ألقيته في الغرر. خوف التغرة.

(٨) أخرجه البخاري في الحدود باب ٣٠، ومسلم في الحدود حديث ١٥، وأبو داود في الحدود باب ٢٣، والترمذي في الحدود باب ٧، وابن ماجه في الحدود باب ٩، وأحمد في المسند ١/ ٥٥، ٥٦.

حدّثنا معاوية عن عمرو، ثنا زائدة، ثنا عاصم، ح وحدَّثني حسين بن عليّ عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد اللّه ـ هو ابن مسعود ـ قال: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدّم أبا بكر. فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدّم أبا بكر[١]. ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، وهناد بن السري عن حسين بن عليّ الجعفي، عن زائدة به. ورواه عليّ بن المديني عن حسين بن عليّ، وقال: صحيح لا أحفظه إلاّ من حديث زائدة عن عاصم، وقد رواه النسائي أيضاً من حديث سلمة بن نبيط، عن نعيم ابن أبي هند، عن نبيط بن شريط، عن سالم بن عبيد عن عمر مثله، وقد روي عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر، وجاء من طريق محمّد بن إسحاق عن عبد اللّه بن أبي بكر، عن الزهري، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه، عن ابن عبّاس، عن عمر. أنه قال: قلت: يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السبّاق المسنّ، ثم أخذت بيده وبدرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده، وتبايع الناس[٢]. وقد روى محمّد بن سعد عن عارم بن الفضل، عن حماد ابن زيد، عن يَحْيَىٰ بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، فذكر نحواً من هذه القصّة، وسمّى هذا الرجل الذي بايع الصدِّيق قبل عمر بن الخطاب. فقال: هو بشير بن سعد، والد النعمان ابن بشير.

[ذكر][٣] اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصّدِّيق يوم السقيفة

قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا أبو عوانة عن داود بن عبد اللّه الأودي، عن حميد ابن عبد الرَّحمٰن قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة. قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبّله. وقال: فداك أبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً، مات محمّد وربّ الكعبة. فذكر الحديث. قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتعادان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار، ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلاّ ذكره. وقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: **«لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار»**. ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال ـ وأنت قاعد ـ: **«قريش ولاة هذا الأمر، فبرّ الناس تبع لبرّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم»**. فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[٤]. وقال الإمام أحمد حدّثنا عليّ بن عباس، ثنا الوليد بن مسلم، أَخْبَرَني يزيد بن سعيد بن ذي عضوان العبسي، عن عبد الملك بن عُمَير اللخمي، عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصّدِّيق في غزوة

---

(١) أخرجه النسائي في الإمامة باب ١، وأحمد في المسند ١/٣٩٦، ٤٠٥.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٥٥، ٥٦.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/٥.

ذات السلاسل. قال: وسألته عما قيل في بيعتهم. فقال: وهو يحدّثه عما تقاولت به الأنصار وما كلّمهم به، وما كلّم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به، من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك، وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردّة[1]. وهذا إسناد جيّد قوي، ومعنى هذا أنه رضي الله عنه إنما قبل الإمامة تخوّفاً أن تقع[2] فتنة، أربى من تركه قبولها رضي الله عنه وأرضاه. قلت: كان هذا في بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء، اجتمع الناس في المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ تسليماً. قال البخاري: أنبأنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام عن معمر، عن الزهري، أَخْبَرَني أنس بن مالك، أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلّم. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا ـ يريد بذلك أن يكون آخرهم ـ فإن يك محمّداً قد مات، فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به، هدى الله محمّداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وإنه أولى المسلمين بأموركم، فقدّموا فبايعوه، وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر! فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه عامة الناس[3]. وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني الزهري، حدّثني أنس بن مالك. قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر وقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدها إلي رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدُبّر أمرنا ـ يقول يكون آخرنا ـ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وأن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلّم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح إليه حقه][4] إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاّ ضربهم الله بالذلّ، ولا يشيع [الفاحشة في قوم قط][5] إلاّ عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. وهذا إسناد صحيح، فقوله رضي الله عنه ـ وليتكم ولست بخيركم ـ من باب الهضم والتواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنه. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أَخْبَرَنا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٨.
(٢) في ط: يقع.
(٣) أخرجه البخاري في الأحكام باب ٥١.
(٤) في ط: علته.
(٥) في ط: ولا يشيع قوم قطر الفاحشة.

أَبو الحسن عليّ بن محمّد الحافظ الإسفراييني، حدّثنا أبو عليّ الحسين بن عليّ الحافظ، حدّثنا أَبو بكر محمّد بن إِسحاق بن خزيمة، وابن إبراهيم بن أبي طالب. قالا: حدّثنا ميدار بن يسار، وحدّثنا أَبو هشام المخزومي، حدّثنا وهيب، حدّثنا داود بن أَبي هند، حدّثنا أَبو نضرة عن أَبي سعيد الخدري، قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أَبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله، ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم! أما لو قلتم على غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أَبي بكر. وقال: هذا صاحبكم فبايعوه. فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار. قال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم، فلم ير الزبير. قال: فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلت: ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريّه، أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لا تثريب[١] يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا بعليّ ابن أَبي طالب فجاء. فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه[٢] على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه. هذا أو معناه.

وقال أَبو عليّ الحافظ: سمعت محمّد بن إِسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجّاج فسألني عن هذا الحديث، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه، وهذا حديث يسوي بدنة[٣] بل يسوي بدرة[٤]! وقد رواه البيهقي عن الحاكم، وأَبي محمّد بن حامد المقري، كلاهما عن أَبي العباس محمّد بن يعقوب الأصم، عن جعفر بن محمّد بن شاكر، عن عفّان بن مسلم[٥]، عن وهيب به. ولكن ذكر أن الصّدِّيق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر. وفيه: أن زيد بن ثابت أخذ بيد أَبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا، فلما قعد أَبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم يرَ علياً، فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به فذكر نحو ما تقدم، ثم ذكر قصّة الزبير بعد عليّ، فالله أعلم. وقد رواه عليّ بن عاصم عن الجريري، عن أَبي نضرة، عن أَبي سعيد الخدري، فذكر نحْو ما تقدم، وهذا إِسناد صحيح محفوظ من حديث أَبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة، عن أَبي سعيد سعد بن مالك بن سنان المنذري، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة عليّ بن أَبي طالب أما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق، فإِن عليّ بن أَبي طالب لم يفارق الصّدِّيق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره، وخرج معه إِلى ذي القَصّة لما خرج الصّدِّيق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردّة كما سنبيّه قريباً، ولكن لما حصل من فاطمةَ رضي الله عنها عتب على الصّدِّيق بسبب ما كانت متوهّمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ. ولم تعلم بما أخبرها به الصّدِّيق رضي الله عنه أنه قال: «لا نورث ما تركنا فهو صَدَقَة» فحجبها وغيرها من أزواجه وعمّه عن الميراث

(١) ثرّب: لام وليح.
(٢) ختنه: زوج ابنته.
(٣) بدنة: ناقة.
(٤) بررة: كيس من اللذهب.
(٥) في ط: سلم.

بهذا النص الصريح، كما سنبيّن ذلك في موضعه، فسألته أن ينظر عليّ في صدقة الأرض التي بخَيْبر وفدك، فلم يجبها إلى ذلك لأنه رأى أنَّ حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ. وهو الصادق البار الراشد التابع للحقّ رضي الله عنه، فحصل لها - وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة - عتب وتغضب، ولم تكلّم الصّدّيق حتى ماتت، واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى عليّ أن يجدّد البيعة مع أَبي بكر رضي الله عنه كما سنذكره من الصحيحين وغيرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى مما تقدم له من البيعة، قبل دفن رسول الله ﷺ. ويزيد ذلك صحّة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم، حدَّثني أَبي أن أباه عبد الرَّحمٰن بن عوف كان مع عمر، وأن محمّد بن مسلمة كسر سيف الزبير. ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس، وقال: ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا [سألتها الله][1] في سرّ ولا علانية. فقبل المهاجرون مقالته. وقال عليّ والزبير: ما غضبنا إلاَّ لأنا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحقّ الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي. إسناد جيد ولله الحمد والمنة.

فصل

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار، على تقديم أَبي بكر، وظهر برهان قوله عليه السلام: «**يأبى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر**». وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس لا لأبي بكر[2] كما قد زعمه طائفة من أهل السنّة، ولا لعليّ كما يقول طائفة من الرافضة. ولكن أشار إشارة [قوية يفهمها كل ذي لبّ وعقل إلى الصّدّيق كما قدمنا وسنذكره][3]. ولله الحمد كما ثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني - أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني - رسول الله ﷺ -. قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف[4]. وقال سفيان الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر عليّ على الناس قال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن يستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله أو قال حتى ضرب الدين بجرانه[5] - إلى آخره.

(١) سقط في ط.
(٢) في التيمورية: إلا لأبي بكر، وعبارة المصنف لا تحتملها.
(٣) ما بين المعقوفين عن المصرية.
(٤) أخرجه البخاري في الأحكام باب ٥١، ومسلم في الإمارة حديث ١١.
(٥) الجران: مقدم عنق البعير، والمراد هنا: قوي أمره واشتد.

وقال الإمام أحمد: ثنا أبو نعيم، ثنا شريك عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان. قال: خطب رجل يوم البصرة حين ظهر عليّ فقال عليّ: هذا الخطيب السجسج[١]- سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر وثلث عمر، ثم خبطتنا فتنة بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء[٢].

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو بكر محمّد بن أحمد الزكي بمرو، ثنا عبد الله بن روح المدائني، ثنا شبابة بن سوار، ثنا شعيب بن ميمون عن حصين بن عبد الرَّحمٰن، عن الشعبي عن أبي وائل. قال: قيل لعليّ بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم [الله][٣] بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم. إسناد جيّد ولم يخرجوه. وقد قدمنا ما ذكره البخاري من حديث الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن ابن عبّاس: أن عبّاساً وعليّاً لما خرجا من عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال عليّ: أصبح بحمد الله بارئاً. فقال العبّاس: إنك والله عبد العصا بعد ثلاث، إني لأعرف في وجوه بني هاشم الموت، وإني لأرى في وجه رسول الله الموت فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فوصّاه بنا. فقال عليّ: إني لا أسأله ذلك، والله إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً[٤]. وقد رواه محمّد بن إسحاق عن الزهري به فذكره. وقال فيه: فدخلا عليه في يوم قبض ﷺ فذكره. وقال في آخره: فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم. قلت: فهذا يكون في يوم الاثنين يوم الوفاة، فدلّ على أنه عليه السَّلام توفي عن غير وصية في الإمارة[٥]. وفي الصحيحين عن ابن عبّاس أن الرزية [كل الرزية][٦] ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب ذلك الكتاب[٧]، وقد قدمنا أنه عليه السَّلام كان طلب أن يكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عنده قال: **«قوموا عنّي فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه»** وقد قدمنا أنه قال بعد ذلك: **«يأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر»**[٨]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عوف عن إبراهيم التيمي، عن الأسود. قال: قيل لعائشة إنهم يقولون ان رسول الله ﷺ أوصى إلى عليّ. فقالت: بما أوصى إلى عليّ؟! لقد دعا بطست ليبول فيها وأنا مسندته إلى صدري فانحنف فمات وما شعرت، فبم يقول هؤلاء أنه

---

(١) السجسج: الأرض التي ليست بصلبة ولا لينة.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/١٤٧، وفيه «الشحشح» بدل «السجسج».
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، والاستئذان باب ٢٩.
(٥) في التيمورية: في الإمامة.
(٦) سقط في ط.
(٧) أخرجه البخاري في المرض باب ١٧، والاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢٦، والمغازي باب ٨٣، ومسلم في الوصية حديث ٢٠، وأحمد في المسند ٦/٣٣٦.
(٨) أخرجه البخاري في المرض باب ١٦، والأحكام باب ٥١، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١١، وأحمد في المسند ٦/١٠٦.

أوصى إلى عليّ[١]! . وفي الصحيحين من حديث مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى، هل أوصى رسول الله ﷺ؟ قال: لا! قلت: فلِمَ أمرنا بالوصية، قال: أوصى بكتاب الله عزّ وجلّ. قال طلحة بن مصرف، وقال هذيل بن شرحبيل: أبو بكر يتأمّر على وصيّ رسول الله ﷺ، ودّ أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله ﷺ فخرم أنفه بخرامة[٢]. وفي الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه. قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة ـ لصحيفة معلّقة في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات ـ فقد كذب. وفيها قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة حَرَم ما بين عير إلى ثور[٣] من أحدثَ فيها حَدَثاً أو آوى محدِثاً فعليه لعنةَ الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبلُ الله منه يوم القيامة صرْفاً ولا عدلاً، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[٤].

وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن عليّ رضي الله عنه، يردّ على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما ردّ ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه، فيقدّموا غير مَنْ قدّمه، ويؤخّروا من قدّمه بنصه، حاشا وكلا ولِمَا، ومن ظنّ بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطىء على معاندة الرسول ﷺ ومضادتهم في حكمه ونصّه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحلّ من إراقة المدام. ثم لو كان مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه نصّ، فلِمَ لا كان لا يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم، فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النّصّ فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل، ثم وقد عرفه وعلِمه من بعده، هذا محال وافتراء وجهل وضلال. وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغام[٥] والمغترين من الأنام، يزيّنه لهم الشيطان بلا دليل

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، والوصايا باب ١، ومسلم في الوصية حديث ١٩، وأحمد في المسند ٦/ ٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا باب ١، والمغازي باب ٨٣، وفضائل القرآن باب ١٨، ومسلم في الوصية حديث ١٦.

(٣) عير وثور: جبلان في المدينة.

(٤) أخرجه البخاري في الفرائض باب ٢١، ومسلم في العتق حديث ٢٠، والحج حديث ٤٦٧، وأحمد في المسند ١/ ٨١.

(٥) الطغام: أرذال الناس.

ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان، عياذاً بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان، والتخبيط والكفران، وملاذاً بالله بالتمسّك بالسنّة والقرآن، والوفاة على الإسلام والإيمان، والموافاة على الثبات والإيقان، وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران، والفوز بالجنان، إنه كريم منّان رحيم رحمٰن.

وفي هذا الحديث الثابت في الصحيحين عن عليّ الذي قدمناه ردّ على متقوّلة كثير من الطُرُقِيّة، والقُصّاص الجهلة في دعواهم أن النبيّ ﷺ أوصى إلى عليّ بأشياء كثيرة يسوقونها مطوّلة، يا عليّ افعل كذا، يا عليّ لا تفعل كذا، يا عليّ من فعل كذا كان كذا وكذا. بألفاظ ركيكة ومعاني أكثرها سخيفة، وكثير منها صحفية لا تساوي تسويد الصحيفة، والله أعلم.

وقد أورد الحافظ البيهقي من طريق حمّاد بن عمرو النصيبي ـ وهو أحد الكذّابين الصوّاغين ـ عن السري بن خلاّد عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب، عن النبيّ ﷺ قال: «يا عليّ أوصيك بوصية احفظها: فإنك لا تزال بخير ما حفظتها، يا علي إن للمؤمن ثلاث علامات الصلاة والصيام والزكاة». قال البيهقي فذكر حديثاً طويلاً في الرغائب والآداب، وهو حديث موضوع وقد شرطت في أول الكتاب أن لا أخرج فيه حديثاً أعلمه موضوعاً، ثم روي من طريق حمّاد بن عمرو هذا عن زيد بن رفيع، عن مكحول الشامي. قال: هذا ما قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب حين رجع من غزوة حُنَين وأنزلت عليه سورة النصر. قال البيهقي: فذكر حديثاً طويلاً في الفتنة، وهو أيضاً حديث منكر ليس له أصل، وفي الأحاديث الصحيحة كفاية وبالله التوفيق.

ولنذكر ها هنا ترجمة حماد بن عمرو أبي إسماعيل النصيبي.

روى عن الأعمش وغيره، وعن[1] إبراهيم بن موسى ومحمّد بن مهران وموسى بن أيوب وغيرهم.

قال يَحْيَىٰ بن معين: هو ممن يكذب ويضع الحديث. وقال عمرو بن عليّ الفلاّس وأبو حاتم: منكر الحديث ضعيف جداً. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: كان يكذب. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو زرعة: واهي الحديث. وقال النسائي: متروك. وقال ابن حبان: يضع الحديث وضعاً. وقال ابن عدي: عامة حديثه مما لا يتابعه أحد من الثقات عليه. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال الحاكم أبو عبد اللّه: يروي عن الثقات أحاديث موضوعة، وهو ساقط بمرة. فأما الحديث الذي قال الحافظ البيهقي: أَخْبَرَنا أبو عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه الحافظ، أنبأنا حمزة بن العبّاس العقبي ببغداد، ثنا عبد اللّه بن روح المدائني، ثنا سلام بن سليمان المدائني، ثنا سلام بن سليم الطويل، عن عبد الملك بن عبد الرَّحمٰن، عن الحسن المقبري، عن الأشعث بن طليق، عن مرة بن شراحيل، عن عبد اللّه بن مسعود. قال: لما ثقل

---

(١) وفي ط: وعنه.

رسول الله ﷺ اجتمعنا في بيت عائشة، فنظر إلينا رسول الله ﷺ فدمعت عيناه، ثم قال لنا: «قد دنا الفراق» ونعى إلينا نفسه، ثم قال: «مرحباً بكم حياكم الله، هداكم الله، نصركم الله، نفعكم الله، وفّقكم الله، سدّدكم الله، وقاكم الله، أعانكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، واستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده. فإن الله قال لي ولكم ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾» [سورة القصص: ٨٣]. وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٦٠]. قلنا: فمتى أجلك يا رسول الله؟ قال: «قد دنا الأجل، والمنقلب إلى الله والسدرة المنتهى، والكأس الأوفى، والفرش الأعلى». قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟ قال: «رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى، مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم». قلنا: ففيم نكفّنك يا رسول الله؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتم، أو في يمنية أو في بياض مصر». قلنا: فمن يصلي عليك يا رسول الله؟ فبكى وبكينا. وقال: «مهلاً! غفر الله لكم وجزاكم عن نبيّكم خيراً، إذا غسلتموني وحنّطتموني وكفنتموني فضعوني على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليّ خليلاي وجليساي جبريل وميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة عليهم السلام، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم، ثم ادخلوا عليّ أفواجاً أفواجاً وفرادى فرادى، ولا تؤذوني بباكية ولا برنة ولا بضجّة، ومن كان غائباً من أصحابي فأبلغوه عني السلام، وأشهدكم بأني قد سلّمت على من دخل في الإسلام ومن تابعني في ديني هذا، منذ اليوم إلى يوم القيامة». قلنا: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: «رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم». ثم قال البيهقي تابعه أحمد بن يونس عن سلام الطويل، وتفرّد به سلام الطويل.

قلت: وهو سلام بن مسلم، ويقال: ابن سليم، ويقال ابن سليمان، والأول أصح، التميمي السّعدي الطويل. يروي عن جعفر الصادق، وحميد الطويل، وزيد العمي وجماعة، وعنه جماعة أيضاً منهم: أحمد بن عبد اللّه بن يونس، وأسد بن موسى، وخلف بن هشام البزار، وعليّ بن الجعد، وقبيصة بن عقبة. وقد ضعّفه عليّ بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويَحْيَىٰ بن معين، والبخاري وأبو حاتم وأبو زرعة والجوزجاني والنسائي وغير واحد، وكذّبه بعض الأئمة، وتركه آخرون. لكن روى هذا الحديث بهذا السياق بطوله الحافظ أبو بكر البزّار من غير طريق سلاّم هذا فقال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا عبد الرّحمٰن بن محمّد المحاربي، عن ابن الأصبهاني، أنه أخبره عن مرّة، عن عبد اللّه فذكر الحديث بطوله. ثم قال البزّار: وقد روي هذا عن مرّة من غير وجه، بأسانيد متقاربة، وعبد الرّحمٰن بن الأصبهاني[1] لم يسمع هذا من مرّة، وإنما هو عمن أخبره عن مرّة، ولا أعلم أحداً رواه عن عبد اللّه عن مرّة.

---

(١) كذا في الأصل، وفي التيمورية: عبد الرحمن الأصبهاني.

فصل في ذكر الوقت الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، ومبلغ سنّه حال وفاته، وفي كيفية غسله عليه السَّلام [وتكفينه][1] والصلاة عليه ودفنه، وموضع قبره صلوات الله وسلامه عليه

لا خلاف أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين. قال ابن عباس: ولد نبيّكم ﷺ يوم الاثنين، ونبىء يوم الاثنين، وخرج من مكة مهاجراً يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، ومات يوم الاثنين رواه الإمام أحمد[2] والبيهقي. وقال سفيان الثوري عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال لي أبو بكر أي يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: يوم الاثنين. فقال: إني لأرجو أن أموت فيه، فمات فيه[3]. رواه البيهقي من حديث الثوري به.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أسود بن عامر، ثنا هريم، حدّثني ابن إسحاق عن عبد الرَّحمٰن ابن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء، تفرّد به أحمد[4]. وقال عروة بن الزبير في مغازيه، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب: لما اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، أرسلت عائشة إلى أبي بكر، وأرسلت حَفْصة إلى عمر، وأرسلت فاطمة إلى عليّ، فلم يجتمعوا حتى توفي رسول الله ﷺ، وهو في صدر عائشة وفي يومها؛ يوم الاثنين حين زاغت الشمس لهلال ربيع الأوّل.

وقد قال أبو يعلى: حدّثنا أبو خيثمة، ثنا ابن عيينة، عن الزهري، عن أنس. قال: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله يوم الاثنين كشف الستارة، والناس خلف أبي بكر، فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، فأراد الناس أن ينحرفوا، فأشار إليهم أن امكثوا وألقى السجف، وتوفي من آخر ذلك اليوم[5]. وهذا الحديث في الصحيح، وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال والله أعلم. وروى يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار، عن محمّد بن شعيب، وعن صفوان، عن عمر بن عبد الواحد، جميعاً عن الأوزاعي. أنه قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار.

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أحمد بن كامل[6] ثنا الحسن بن عليّ البزار، ثنا محمّد بن عبد الأعلى، ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه وهو سليمان بن طرخان التيمي في كتاب المغازي. قال: إن رسول الله ﷺ مرض لاثنتين وعشرين ليلة من صفر، وبدأه وجعه عند وليدة له يقال لها ريحانة، كانت من سبي اليهود، وكان أول يوم مرض يوم السبت، وكانت وفاته عليه السلام يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من

---

(١) سقط في ط.
(٢) المسند ١/ ٢٧٧.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥.
(٤) المسند ٦/ ١١٠.
(٥) أخرجه البخاري في الأذان باب ٤٦، وأحمد في المسند ٣/ ١١٠.
(٦) في ط: حنبل.

مقدمه عليه السلام المدينة. وقال الواقدي: حدّثنا أَبو معشر عن محمّد بن قيس. قال: اشتكى رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة في بيت زينب بنت جحش، شكوى شديدة، فاجتمع عنده نساؤه كلّهن فاشتكى ثلاثة عشر يوماً، وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة. وقال الواقدي: وقالوا: بدىء رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر، وتوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وهذا جزم به محمّد بن سعد كاتبه، وزاد ـ ودفن يوم الثلاثاء. قال الواقدي: وحدَّثني سعيد بن عبد اللّه بن أَبي الأبيض عن المقبري، عن عبد اللّه بن رافع، عن أم سَلَمة: أن رسول الله ﷺ بدىء في بيت ميمونة. وقال يَعْقُوب بن سفيان: حدّثنا أَحمد بن يونس، ثنا أَبو معشر عن محمّد بن قيس. قال: اشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوماً، فكان إذا وجد خفة صلى، وإذا ثقل صلى أَبو بكر رضي الله عنه. وقال محمّد بن إِسحاق: توفي رسول الله ﷺ لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجراً، واستكمل رسول الله ﷺ في هجرته عشر سنين كوامل. قال الواقدي: وهو المثبت عندنا، وجزم به محمّد بن سعد كاتبه. وقال يعقوب بن سفيَان عن يَحْيَىٰ بن بكير، عن الليث. أنه قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلة خلت من ربيع الأول، وفيه قدم المدينة على رأس عشر سنين من مقدمه. وقال سعد بن إبراهيم الزهري: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول، لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة، رواه ابن عساكر[1]. ورواه الواقدي عن أَبي معشر عن محمّد بن قيس مثله سواء. وقاله خليفة بن خياط أيضاً. وقال أَبو نعيم الفضل بن دكين: توفي رسول الله يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مقدمه المدينة. ورواه ابن عساكر أيضاً. وقد تقدم قريباً عن عروة، وموسى بن عقبة، والزهري مثله فيما نقلناه عن مغازيهما فالله أعلم والمشهور قول ابن إِسحاق و الواقدي، ورواه الواقدي عن ابن عبّاس، عن عائشة رضي الله عنها، فقال: حدَّثني إبراهيم بن يزيد، عن ابن طاوس، عن أَبيه، عن ابن عباس. وحدَّثني محمّد بن عبد اللّه عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالا: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. ورواه ابن إِسحاق عن عبد اللّه بن أَبي بكر بن حزم عن أبيه مثله ـ وزاد ودفن ليلة الأربعاء. وروى سيف بن عمر عن محمّد بن عُبَيد اللّه العرزمي، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس. قال: لما قضى رسول الله ﷺ حجّة الوداع ارتحل فأتى المدينة، فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً، ومات يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول. وروى أيضاً عن محمّد بن إِسحاق، عن الزهري، عن عروة، وفي حديث فاطمة عن عمرة، عن عائشة مثله، إلاّ أن ابن عباس قال في أوله لأيام مضين منه وقالت عائشة: بعدما مضى أيام منه.

فائدة: قال أَبو القاسم السهيلي في الروض ما مضمونه: لا يتصور وقوع وفاته عليه السّلام يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأوّل من سنة إحدى عشرة، وذلك لأنه عليه السّلام وقف في حجّة الوداع سنة عشر يوم الجمعة، فكان أول ذي الحجّة يوم الخميس، فعلى تقدير أن

(١) في ط: عساك.

تحسب الشهور تامة أو ناقصة أو بعضها تام وبعضها ناقص، لا يتصور أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، وقد اشتهر هذا الإيراد على هذا القول. وقد حاول جماعة الجواب عنه، ولا يمكن الجواب عنه إلاَّ بمسلك واحد، وهو اختلاف المطالع بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذي الحجّة ليلة الخميس، وأما أهل المدينة فلم يروه إلاَّ ليلة الجمعة، ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها خرج رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة ـ يعني من المدينة ـ إلى حجّة الوداع، ويتعين بما ذكرناه أنه خرج يوم السبت، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس، لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة، لأن أنساً قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين. فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين، فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجّة ليلة الجمعة، وإذا كان أول ذي الحجّة عند أهل المدينة الجمعة، وحسبت الشهور بعده كوامل، يكون أول ربيع الأول يوم الخميس، فيكون ثاني عشره يوم الاثنين والله أعلم. وثبت في الصحيحين من حديث مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرّحمٰن عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن[١] ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق[٢] ولا بالأدم[٣]، ولا بالجعد القطط[٤]، ولا بالسبط[٥]، بعثه الله عزّ وجلّ على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[٦]. وهكذا رواه ابن وهب عن عروة، عن الزهري، عن أنس، وعن قرة عن[٧] ربيعة، عن أنس مثل ذلك. قال الحافظ ابن عساكر: حديث قرّة عن الزهري غريب، وأما من رواية ربيعة عن أنس، فرواها عنه جماعة كذلك ثم أسند من طريق سليمان بن بلال عن يَحْيَىٰ بن سعيد وربيعة عن أنس: أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين، وكذلك رواه ابن البربري ونافع بن أبي نعيم عن ربيعة، عن أنس به قال: والمحفوظ عن ربيعة عن أنس ستون. ثم أورده ابن عساكر من طريق مالك والأوزاعي، ومسعر وإبراهيم بن طهمان، وعبد اللّه بن عمر، وسليمان بن بلال، وأنس بن بلال، وأنس بن عياض، والدراوردي، ومحمّد بن قيس المدني، كلّهم عن ربيعة، عن أنس. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ستين سنة، وقال البيهقي: أنبأنا أبو الحسين بن بشران، ثنا أبو عمرو بن السمّاك، ثنا حنبل بن إسحاق، ثنا أبو معمر عبد اللّه بن عمرو، حدّثنا عبد الوارث، ثنا أبو غالب الباهلي قال: قلت لأنس بن مالك: ابن أي الرجال رسول الله إذ بُعِث؟ قال: كان ابن أربعين سنة، قال: ثم كان ماذا؟ قال: كان بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر

---

(١) البائن: الواضح.
(٢) الأمهق: الأبيض لا تخالطه حمرة.
(٣) الأدم: الأسمر.
(٤) الجعد القطط: أي شعر كثير التجعد.
(٥) السبط من الشعر: المسترسل.
(٦) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٣، ومسلم في الفضائل حديث ١١٣.
(٧) في ط: ابن.

سنين، فتمت له ستون سنة يوم قبضه الله عزّ وجلّ وهو كأشد الرجال وأحسنهم وأجملهم وألحمهم[١]. ورواه الإمام أحمد عن عبد الصَّمد بن عبد الوارث، عن أبيه به، وقد روى مسلم عن أَبي غسان محمّد بن عمرو الرازي الملقّب بزنج، عن حكّام بن سلم عن عثمان بن زائدة، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال: قبض النّبيّ ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين، انفرد به مسلم[٢]. وهذا لا ينافي ما تقدم عن أنس لأن العرب كثيراً ما تحذف الكسر وثبت في الصحيحين من حديث الليث بن سعد عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة[٣]. قال الزهري: وأَخْبَرَني سعيد بن المسيب مثله، وروى موسى بن عقبة وعقيل ويونس بن يزيد وابن جريج عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. قالت: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين. قال الزهري: وأَخْبَرَني سعيد بن المسيب مثل ذلك. وقال البخاري: ثنا أبو نعيم، ثنا شيبان عن يَحْيَىٰ بن أَبي كثير، عن أَبي سلمة، عن عائشة، وابن عباس: أن رسول الله ﷺ مكث بمكة عشر سنين يتنزّل عليه القرآن، وبالمدينة عشراً[٤]، لم يخرجه مسلم. وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: ثنا شعبة عن أَبي إِسحاق، عن عامر بن سعد، عن جرير بن عبد اللّه، عن معاوية بن أَبي سفيان. قال: قبض النّبيّ ﷺ وهو ابن ثلاث وستين. وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وعمر وهو ابن ثلاث وستين. وهكذا رواه مسلم[٥] من حديث غندر، عن شعبة، وهو من إفراده دون البخاري. ومنهم من يقول عن عامر بن سعد، عن معاوية، والصواب ما ذكرناه عن عامر بن سعد عن جرير، عن معاوية فذكره. وروينا من طريق عامر بن شراحيل عن الشعبي، عن جرير بن عبد اللّه البجلي، عن معاوية فذكره. وروى الحافظ ابن عساكر من طريق القاضي أَبي يوسف، عن يَحْيَىٰ بن سعيد الأنصاري، عن أنس. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أَبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي عمر وهو ابن ثلاث وستين. وقال ابن لهيعة عن أَبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأَبو بكر ميلادهما عندي، فكان رسول الله أكبر من أَبي بكر، فتوفي رسول الله وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أَبو بكر بعده وهو ابن ثلاث وستين. وقال الثوري عن الأعمش، عن القاسم بن عبد الرَّحمٰن. قال: توفي رسول الله وأَبو بكر وعمر وهم بنو ثلاث وستين. وقال حنبل: حدّثنا الإمام أَحمد: ثنا يَحْيَىٰ بن سعيد عن سعيد بن المسيب، قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً، وهذا غريب عنه، وصحيح إليه. وقال أَحمد: ثنا هشيم، ثنا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٥١.

(٢) كتاب الفضائل حديث ١١٤.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب باب ١٩، والمغازي باب ٨٥، ومسلم في الفضائل حديث ١١٥، والترمذي في المناقب باب ١٣، وأحمد في المسند ٦/ ٩٣.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٥.

(٥) كتاب الفضائل حديث ١١٩.

داود بن أَبي هند عن الشعبي قال: نبيء رسول الله وهو ابن أربعين سنة، فمكث ثلاث سنين، ثم بعث إليه جبريل بالرسالة، ثم مكث بعد ذلك عشر سنين، ثم هاجر إلى المدينة، فقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة، قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل: الثابت عندنا ثلاث وستون. قلت: وهكذا روى مجاهد عن الشعبي، وروى من حديث إسماعيل بن أَبي خالد عنه. وفي الصحيحين من حديث روح بن عبادة عن زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة[١]. وفي صحيح البخاري من حديث روح بن عبادة أيضاً عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكّة ثلاث عشرة، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين[٢]. وكذلك رواه الإمام أحمد عن روح بن عبادة ويَحْيَىٰ بن سعيد ويزيد بن هارون، كلّهم عن هشام بن حسّان، عن عكرمة، عن ابن عبّاس به. وقد رواه أبو يعلى الموصلي عن الحسن بن عمر بن شقيق، عن جعفر بن سليمان، عن هشام بن حسان، عن محمّد بن سيرين، عن ابن عبّاس فذكر مثله. ثم أورده من طرق عن ابن عبّاس مثل ذلك. ورواه مسلم من حديث حمّاد بن سلمة، عن أَبي حمزة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة يُوحَى إليه، وبالمدينة عشراً، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة[٣]. وقد أسند الحافظ ابن عساكر من طريق مسلم بن جنادة عن عبد اللّه بن عمر، عن كريب عن ابن عباس. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين. ومن حديث أَبي نضرة عن سعيد بن المسيب، عن ابن عبّاس مثله وهذا القول هو الأشهر، وعليه الأكثر. وقال الإمام أحمد: ثنا إسماعيل، عن خالد الحذاء، حدّثني عمار مولى بني هاشم، سمعت ابن عبّاس يقول: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة[٤]. ورواه مسلم من حديث خالد الحذاء به. وقال أحمد: ثنا حسن ابن موسى، ثنا حماد بن سلمة، عن عمارة بن أبي عمار، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة ثماني سنين - أَو سبع - يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانية أَو سبعاً يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً[٥]. ورواه مسلم من حديث حمّاد بن سلمة به. وقال أحمد أيضاً: حدّثنا عفان، ثنا يزيد بن زريع، ثنا يونس عن عمّار مولى بني هاشم. قال: سألت ابن عباس كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات؟ قال: ما كنت أرى مثلك في قومه يخفى عليك ذلك. قال: قلت: إني قد سألت فاختلف عليّ فأحببت أن أعلم قولك فيه. قال: أتحسب؟ قلت: نعم! قال: أمسك أربعين بعث لها، وخمس عشرة أقام بمكة يأمن ويخاف، وعشراً مهاجراً

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥، ومسلم في الفضائل حديث ١١٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٧١.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥، وأحمد في المسند ١/ ٣٧١.

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ١١٨.

(٤) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ١٢٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٣.

(٥) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ١٢٣، وأحمد في المسند ١/ ٢٦٦، ٢٦٧.

بالمدينة[١] . وهكذا رواه مسلم من حديث يزيد بن زريع، وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن يونس بن عُبَيد عن عمّار، عن ابن عبّاس بنحوه. وقال الإمام أحمد: ثنا ابن نمير، ثنا العلاء ابن صالح، ثنا المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبير. أن رجلاً أتى ابن عبّاس فقال: أنزل على النّبيّ ﷺ عشراً بمكّة وعشراً بالمدينة. فقال: من يقول ذلك؟ لقد أنزل عليه بمكة خمس عشرة، وبالمدينة عشراً، خمساً وستين وأكثر[٢] ، وهذا من إفراد أحمد إسناداً ومتناً، وقال الإمام أحمد: ثنا هشيم: ثنا عليّ بن زيد عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس. قال: قبض النّبيّ ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة[٣] ، تفرّد به أحمد. وقد روى الترمذي في كتاب الشمائل وأبو يعلى الموصلي والبيهقي من حديث قتادة عن الحسن البصري عن دغفل بن حنظلة الشيباني النسّابة: أن النّبيّ ﷺ قبض وهو ابن خمس وستين[٤] . ثم قال الترمذي: دغفل لا يعرف له سماعاً عن النّبيّ ﷺ، وقد كان في زمانه رجلاً. وقال البيهقي: وهذا يوافق رواية عمّار ومن تابعه عن ابن عبّاس. ورواية الجماعة عن ابن عبّاس في ثلاث وستين أصحّ، فهم أوثق وأكثر، وروايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة، عن عائشة، وإحدى الروايتين عن أنس، والرواية الصحيحة عن معاوية، وهي قول سعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وأبي جعفر محمّد بن عليّ رضي الله عنهم. قلت: وعبد اللّه بن عقبة والقاسم بن عبد الرَّحمٰن والحسن البصري وعليّ بن الحسين وغير واحد. ومن الأقوال الغريبة ما رواه خليفة بن خيّاط عن معاذ بن هشام: حدَّثني أَبي عن قتادة. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة. ورواه يعقوب بن سفيان عن محمّد بن المثنّى، عن معاذ بن هشام، عن أبيه عن قتادة مثله. ورواه زيد العمي عن يزيد، عن أنس. ومن ذلك ما رواه محمّد بن عابد عن القاسم بن حميد، عن النعمان بن المنذر الغسّاني عن مكحول. قال: توفي رسول الله وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهر، ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار، عن محمّد بن شعيب، عن النعمان بن المنذر، عن مكحول. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف. وأغرب من ذلك كلّه ما رواه الإمام أحمد عن روح، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن. قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثماني سنين بمكة، وعشراً بعدما هاجر. فإن كان الحسن ممن يقول بقول الجمهور، وهو أنه عليه السّلام أنزل عليه القرآن وعمره أربعون سنة، فقد ذهب إلى أنه عليه السّلام عاش ثمانياً وخمسين سنة. وهذا غريب جداً، لكن روينا من طريق مسدد عن هشام بن حسان، عن الحسن. أنه قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ستين سنة. وقال خليفة بن خياط: حدّثنا أبو عاصم عن أشعث، عن الحسن قال: بعث رسول الله وهو ابن خمس وأربعين، فأقام بمكة عشراً، وبالمدينة ثمانياً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. وهذا بهذا الصفة غريب جداً والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ١٢١، وأحمد في المسند ١/ ٢٩٠.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٣٠.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٥.
(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ٥٣.

صفة غسله عليه السَّلام

قد قدمنا أنهم رضي الله عنهم اشتغلوا ببيعة الصِّدِّيق بقية يوم الاثنين وبعض يوم الثلاثاء، فلما تمهّدت وتوطّدت وتمّت، شرعوا بعد ذلك في تجهيز رسول الله ﷺ مقتدين في كل ما أشكل عليهم بأبي بكر الصّدِّيق رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وقد تقدم من حديث ابن إسحاق عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء. وقال أبو بكر ابن أَبي شيبة: حدّثنا أبو معاوية، ثنا أبو بردة عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه. قال: لما أخذوا في غسل رسول الله ﷺ ناداهم مناد من الداخل: أن لا تجرّدوا عن رسول الله ﷺ قميصه[1]. ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية، عن أبي بردة - واسمه عمرو بن يزيد التميمي كوفي. وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني يَحْيَىٰ بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه، سمعت عائشة تقول: لما أرادوا غسل النّبيّ ﷺ، قالوا: ما ندري أنجرّد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرّد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم أحد إلاّ وذقنه في صدره، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت، لا يدرون من هو، أن غسّلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوق القميص، فيدلّكونه بالقميص دون أيديهم. فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما غسل رسول الله ﷺ إلاّ نساؤه[2]. رواه أَبو داود من حديث ابن إسحاق. وقال الإمام أحمد: حدّثنا يعقوب، ثنا أَبي عن ابن إسحاق، حدَّثني حسين بن عبد اللّه عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلاّ أهله، عمّه العباس بن عبد المطلب، وعليّ بن أَبي طالب، والفضل بن عبّاس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد ابن حارثة، وصالح مولاه. فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الناس أوس بن خولي الأنصاري أحد بني عوف بن الخزرج - وكان بدرياً - عليّ بن أَبي طالب. فقال: يا عليّ ننشدك الله وحظّنا من رسول الله ﷺ. فقال له عليّ: ادخل فدخل، فحضر غسل رسول الله ﷺ، ولم يل من غسله شيئاً، فأسنده عليّ إلى صدره وعليه قميصه، وكان العبّاس وفضل وقثم يقلّبونه مع عليّ، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء، وجعل عليّ يغسله ولم ير من رسول الله ﷺ شيئاً مما يرى من الميت. وهو يقول: بأبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً، حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله - وكان يغسل بالماء والسدر - جفّفوه ثم صنع به ما يصنع بالميت ثم أدرج في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين وبُرْد حبرة، قال: ثم دعا العبّاس رجلين. فقال: ليذهب أحدكما إلى أَبي عبيدة بن الجراح - وكان أبو عبيدة يضرح[3] لأهل مكة. وليذهب الآخر إلى أَبي طلحة بن

(١) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ١٠.

(٢) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٣٢، وأحمد في المسند ٦/٢٦٨.

(٣) يضرح: يشق الأرض للقبر.

سهل الأنصاري ـ وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة. قال: ثم قال العباس حين سرحهما: اللهم خر لرسولك! قال: فذهبا فلم يجد صاحب أبي عبيدة أبا عبيدة، ووجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فلحد لرسول الله ﷺ انفرد به أحمد[١]. وقال يونس بن بكير عن المنذر بن ثعلبة، عن الصلت عن العلباء بن أحمر[٢] قال: كان عليّ والفضل يغسلان رسول الله، فنودي عليّ ارفع طرفك إلى السماء، وهذا منقطع.

قلت: وقد روى بعض أهل السنن عن عليّ بن أبي طالب. أن رسول الله ﷺ قال له: «يا علي لا تبد فخذك، ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميّت»[٣]. وهذا فيه إشعار بأمره له في حق نفسه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا محمّد بن يعقوب، ثنا يَحْيَىٰ بن محمّد بن يَحْيَىٰ، ثنا ضمرة، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب. قال: قال علي: غسلت رسول الله ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً ﷺ. وقد رواه أبو داود في المراسيل، وابن ماجه من حديث معمر به، زاد البيهقي في روايته قال سعيد بن المسيب: وقد ولي دفنه عليه السّلام أربعة: عليّ والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ، لحدوا له لحداً، ونصبوا عليه اللبن نصباً[٤]. وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين، منهم عامر الشعبي ومحمّد بن قيس وعبد الله بن الحارث وغيرهم، بألفاظ مختلفة يطول بسطها ها هنا. وقال البيهقي: وروى أبو عمرو بن كيسان عن يزيد بن بلال، سمعت علياً يقول: أوصى رسول الله ﷺ أن لا يغسله أحد غيري، «فإنه لا يرى أحد عورتي إلاّ طُمِسَت عيناه». قال علي: فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر، قال عليّ: فما تناولت عضواً إلاّ كأنه يقلّبه معي ثلاثون رجلاً، حتى فرغت من غسله. وقد أسند هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار في مسنده. فقال: حدّثنا محمّد بن عبد الرحيم، ثنا عبد الصّمد بن النعمان، ثنا كيسان أبو عمرو عن يزيد بن بلال. قال: قال عليّ بن أبي طالب: أوصاني النّبيّ ﷺ أن لا يغسله أحد غيري، «فإنه لا يرى أحد عورتي إلاّ طمست عيناه». قال عليّ: فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر. قلت: هذا غريب جداً.

وقال البيهقي: أنبأنا محمّد بن موسى بن الفضل، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا أسيد بن عاصم، ثنا الحسين بن حفص عن سفيان عن عبد الملك بن جريج، سمعت محمّد بن عليّ أبا جعفر. قال: غسل النّبيّ ﷺ بالسدر ثلاثاً، وغسل وعليه قميص، وغسل من بئر كان يقال لها الغرس بقباء كانت لسعد بن خيثمة، وكان رسول الله يشرب منها، وولي غسله عليّ والفضل يحتضنه، والعبّاس يصب الماء، فجعل الفضل يقول: ارحني قطعت وتيني[٥] إني لأجد شيئاً

---

(١) المسند ١/ ٢٦٠.
(٢) في التيمورية: عن الصلت بن العلباء.
(٣) أخرجه أبو داود في الحمام باب ٢.
(٤) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ١٠.
(٥) الوتين: شريان في القلب يسقي عروق الجسد كلها.

يترطّل علي[١]. وقال الواقدي: ثنا عاصم بن عبد الله الحكمي عن عمر بن عبد الحكم. قال: قال رسول الله ﷺ: **«نعم البئر بئر غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه»**. وكان رسول الله يستعذب له منها، وغُسِل من بئر غرس. وقال سيف بن عمر، عن محمّد بن عون، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: لما فرغ من القبر وصلى الناس الظهر، أخذ العباس في غسل رسول الله ﷺ، فضرب عليه كلّة[٢] من ثياب يمانية صفاق في جوف البيت، فدخل الكلة ودعا علياً والفضل، فكان إذا ذهب إلى الماء ليعاطيهما، دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ورجال من بني هاشم من وراء الكلة، ومن أدخل من الأنصار حيث ناشدوا أبي وسألوه منهم: أوس بن خولي رضي الله عنهم أجمعين. ثم قال سيف عن الضحاك بن يربوع الحنفي، عن ماهان الحنفي، عن ابن عباس، فذكر ضرب الكلّة، وأن العبّاس أدخل فيها علياً والفضل وأبا سفيان وأسامة، ورجال من بني هاشم من وراء الكلة في البيت، فذكر أنهم ألقي عليهم النعاس فسمعوا قائلاً يقول: لا تغسلوا رسول الله فإنه كان طاهراً، فقال العباس: ألا بلى، وقال أهل البيت: صدق فلا تغسلوه، فقال العباس: لا ندع سنّة لصوت لا ندري ما هو؟ وغشيهم النعاس ثانية، فناداهم أن غسّلوه وعليه ثيابه. فقال أهل البيت: ألا لا. وقال العباس: ألا نعم! فشرعوا في غسله وعليه قميص ومجول مفتوح، فغسلوه بالماء القراح، وطيّبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله، واعتصر قميصه ومجوله، ثم أدرج في أكفانه، وجمروه عوداً ونداً[٣] ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسجّوه، وهذا السياق فيه غرابة جداً.

صفة كفنه عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي، حدّثني الزهري، عن القاسم، عن عائشة. قالت: أدرج رسول الله ﷺ في ثوب حبرة، ثم أخر عنه. قال القاسم: إن بقايا ذلك الثوب لعندنا[٤] بعد. وهذا الإسناد على شرط الشيخين. وإنما رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والنسائي، عن محمّد بن مثنى، ومجاهد بن موسى، فروهما كلّهم عن الوليد بن مسلم به. وقال الإمام أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي: ثنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: كفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة[٥]. وكذا رواه البخاري عن إسماعيل بن أويس[٦]، عن مالك. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: كفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية[٧]

---

(١) رطل الشيء: دمغه ليعرف وزنه. وترطل: ثقل.
(٢) كلة: غشاء رقيق يتوقى به من البعوض.
(٣) الند: العنبر، وقيل هو نوع من الطيب.
(٤) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٣٤، وأحمد في المسند ٦/ ١٦١.
(٥) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٢٤.
(٦) في ط: أدريس.
(٧) السحول: ثوب لا يفتل طاقين.

بيض[١]. وأخرجه مسلم من حديث سفيان[٢] بن عيينة. وأخرجه البخاري عن أبي نعيم، عن سفيان الثوري، كلاهما عن هشام بن عروة به. وقال أبو داود: ثنا قتيبة، ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله كفّن في ثلاثة أثواب بيض يمانية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة. قال: فذكر لعائشة قولهم في ثوبين وبرد حبرة، فقالت قد أتي بالبرد، ولكنهم ردّوه ولم يكفّنوه فيه[٣]. وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حفص بن غياث به.

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو الفضل محمّد بن إبراهيم، ثنا أحمد ابن مسلمة، ثنا هناد بن السري، ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كفّن رسول الله في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة، فأما الحلّة، فإنما شبّه على الناس فيها، إنما اشتريت له حلّة ليكفّن فيها فتركت. وأخذها عبد الله ابن أبي بكر فقال: لأحبسنها حتى أكفّن فيها. ثم قال: لو رضيها الله لنبيّه ﷺ لكفّنه فيها، فباعها وتصدّق بثمنها. رواه مسلم[٤] في الصحيح عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ وغيره، عن أبي معاوية، ثم رواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن أبي معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. قالت: كفّن رسول الله في برد حبرة كانت لعبد الله بن أبي بكر ولفّ فيها، ثم نزعت عنه، فكان عبد الله بن أبي بكر قد أمسك تلك الحلّة لنفسه حتى يكفّن فيها إذا مات. ثم قال بعد أن أمسكها: ما كنت أمسك لنفسي شيئاً منع الله رسوله ﷺ أن يكفّن فيه، فتصدّق بثمنها عبد الله. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض[٥]. ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، عن عبد الرزّاق. قال الإمام أحمد: حدّثنا مسكين بن بكير، عن سعيد يعني ابن عبد العزيز، قال: قال مكحول: حدّثني عروة عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كفّن في ثلاثة أثواب رياط يمانية[٦]. انفرد به أحمد. وقال أبو يعلى الموصلي: ثنا سهل بن حبيب الأنصاري[٧]، ثنا عاصم بن هلال إمام مسجد أيوب، ثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية. وقال سفيان عن عاصم بن عُبَيد اللّه، عن سالم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كفّن في ثلاثة أثواب [بيض][٨]، ووقع في بعض الروايات؛ ثوبين صحاريين وبرد حبرة. وقال الإمام أحمد: ثنا ابن إدريس، ثنا يزيد عن مقسم،

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٢٣، ومسلم في الجنائز حديث ٤٥، وأحمد في المسند ٦/ ٤٠.

(٢) في ط: صفيان.

(٣) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٤٦، وأبو داود في الجنائز باب ٣٤.

(٤) كتاب الجنائز حديث ٤٥.

(٥) أخرجه النسائي في الجنائز باب ٣٩، وأحمد في المسند ٦/ ٢٣١.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٦٤.

(٧) في ط: الأضاري.

(٨) سقط في ط.

عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كفّن في ثلاثة أثواب في قميصه الذي مات فيه، وحلّة نجرانية - الحلة ثوبان[١] -. ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وابن ماجه عن عليّ بن محمّد، ثلاثتهم عن عبد الله بن إدريس، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس بنحوه. وهذا غريب جداً. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدّثنا عبد الرزّاق، ثنا سفيان عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس. قال: كفّن رسول الله ﷺ في ثوبين أبيضين وبرد[٢] حمراء[٣]. انفرد به أحمد من هذا الوجه. وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا عليّ بن الحسن، ثنا حميد بن الربيع، ثنا بكر - يعني ابن عبد الرَّحمٰن - ثنا عيسى - يعني ابن المختار - عن محمّد بن عبد الرَّحمٰن، هو ابن أبي ليلى، عن عطاء، عن ابن عبّاس، عن الفضل بن عبّاس. قال: كفّن رسول الله في ثوبين أبيضين وبرد حمراء. وقال أبو يعلى: حدثنا سليمان الشاذكوني، ثنا يَحْيَىٰ بن أبي الهيثم، ثنا عثمان بن عطاء عن أبيه، عن ابن عباس، عن الفضل. قال: كفن رسول الله ﷺ في ثوبين أبيضين سحوليين، زاد فيه محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى وبرد أحمر. وقد رواه غير واحد عن إسماعيل المؤدّب، عن يعقوب بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، عن الفضل. قال: كفن رسول الله ﷺ في ثوبين أبيضين. وفي رواية سحولية فالله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي طاهر المخلص: حدثنا أحمد بن إسحاق البهلول، ثنا عباد بن يعقوب، ثنا شريك عن أبي إسحاق. قال: وقفت[٤] على مجلس بني عبد المطلب وهم متوافرون، فقلت لهم: في كم كفّن رسول الله ﷺ؟ قالوا: في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا قباء ولا عمامة قلت: كم أسر منكم يوم بدر؟ قالوا: العباس ونوفل وعقيل. وقد روى البيهقي من طريق الزهري عن عليّ بن الحسين زين العابدين أنه قال: كفّن رسول الله في ثلاثة أثواب أحدها برد حمراء حبرة. وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من طريق في صحّتها نظر، عن[٥] عليّ بن أبي طالب. قال: كفنت رسول الله ﷺ في ثوبين سحوليين وبرد حبرة. وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي: حدّثنا إبراهيم بن الوليد، ثنا محمّد بن كثير، ثنا هشام عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة. قال: كفّن رسول الله ﷺ في ريطتين[٦]، وبرد نجراني. وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن هشام وعمران القطّان عن قتادة، عن سعيد، عن أبي هريرة به. وقد رواه الربيع بن سليمان، عن أسد بن موسى: ثنا نصر بن طريف عن قتادة، ثنا ابن المسيب عن أم سلمة: أن رسول الله كفّن في ثلاثة أثواب أحدها برد نجراني. وقال البيهقي: وفيما روينا عن عائشة بيان سبب الاشتباه على الناس، وأن الحبرة أخّرت عنه والله

---

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٣٤، وابن ماجه في الجنائز باب ١١، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٢.
(٢) في ط: ربد.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١١٣.
(٤) في ط: وقعت.
(٥) في ط: على.
(٦) الريطة: الملاءة الفضفاضة.

أعلم، ثم روى الحافظ البيهقي من طريق محمّد بن إسحاق بن خزيمة: ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، عن حميد بن عبد الرَّحمٰن الرؤاسي، عن حسن بن صالح، عن هارون بن سعيد. قال كان عند عليّ مسك، فأوصى أن يحنّط به، وقال: هو من فضل حنوط رسول الله ﷺ. ورواه من طريق إبراهيم بن موسى عن حميد، عن حسن، عن هارون، عن أبي وائل، عن عليّ فذكره.

كيفية الصلاة عليه ﷺ

وقد تقدم الحديث الذي رواه البيهقي من حديث الأشعث بن طليق، والبزار من حديث الأصبهاني، كلاهما عن مرّة، عن ابن مسعود: في وصيّة النّبيّ ﷺ أن يغسله رجال أهل بيته، وأنه قال: «**كفنوني في ثيابي هذه، أو في يمانية أو بياض مصر**»، وأنه إذا كفّنوه يضعونه على شفير قبره، ثم يخرجون عنه حتى تصلي عليه الملائكة، ثم يدخل عليه رجال أهل بيته فيصلّون عليه، ثم الناس بعدهم فرادى. الحديث بتمامه وفي صحّته نظر كما قدمنا والله أعلم. وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني الحسين بن عبد اللّه بن عُبَيد اللّه بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: لما مات رسول الله ﷺ أدخل الرجال، فصلّوا عليه بغير إمام أرسالاً حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلّين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلّوا عليه، ثم أدخل العبيد فصلّوا عليه أرسالاً، لم يأمّهم على رسول الله ﷺ أحد. وقال الواقدي: حدَّثني أُبي بن عياش بن سهل بن سعد، عن أبيه عن جده قال: لما أدرج رسول الله ﷺ في أكفانه وضع على سريره، ثم وضع على شفير حفرته، ثم كان الناس يدخلون عليه رفقاء رفقاء لا يؤمهم عليه أحد. قال الواقدي: حدَّثني موسى بن محمّد بن إبراهيم قال: وجدت كتاباً بخط أبي فيه أنه لما كفن رسول الله ﷺ ووضع على سريره؛ دخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار، بقدر ما يسع البيت. فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وسلّم المهاجرون والأنصار كما سلّم أبو بكر وعمر، ثم صفّوا صفوفاً لا يؤمّهم أحد. فقال أبو بكر وعمر - وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ - اللهم إنا نشهد أنه قد بلّغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله، حتىٰ أعزّ الله دينه، وتمّت كلمته، وأُومن به، وحده لا شريك له، فاجعلنا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى تعرّفه بنا وتعرّفنا به، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لا نبتغي بالإيمان به بديلاً، ولا نشتري به ثمناً أبداً، فيقول الناس: آمين آمين، ويخرجون ويدخل آخرون حتى صلى الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان. وقد قيل إنهم صلوا عليه من بعد الزوال يوم الاثنين إلى مثله من يوم الثلاثاء، وقيل إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلّون عليه، كما سيأتي بيان ذلك قريباً والله أعلم.

وهذا الصنيع، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمّهم أحد عليه، أمر مجمع عليه لا خلاف فيه، وقد اختلف في تعليله. فلو صحّ الحديث الذي أوردناه عن ابن مسعود، لكان نصاً في ذلك، ويكون من باب التعبّد الذي يعسر تعقل معناه[1]. وليس لأحد أن يقول لأنه لم يكن لهم

(١) كذا في الأصل، وفي التيمورية: الذي نعقل معناه.

إمام، لأنا قد قدمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه عليه السلام بعد تمام بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، وقد قال بعض العلماء: إنما لم يؤمّهم أحد ليباشر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه، ولتكرّر صلاة المسلمين عليه مرّة بعد مرّة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة، رجالهم ونساءهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء. وأما السهيلي فقال ما حاصله: إن الله قد أخبر أنه وملائكته يصلّون عليه، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يباشر الصلاة عليه منه إليه، والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل. قال: وأيضاً فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة فالله أعلم.

وقد اختلف المتأخرون من أصحاب الشافعي في مشروعية الصلاة على قبره لغير الصحابة. فقيل نعم! لأن جسده عليه السلام طري في قبره، لأن الله قد حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما ورد بذلك الحديث في السنن وغيرها، فهو كالميت اليوم، وقال آخرون: لا يفعل لأن السلف ممن بعد الصحابة لم يفعلوه، ولو كان مشروعاً لبادروا إليه ولثابروا عليه والله أعلم.

صفة دفنه عليه السّلام، وأين دفن، [وذكر الخلاف في وقته ليلاً كان أم نهاراً][(١)]

قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، ثنا ابن جريج، أخبرني أبي - وهو عبد العزيز بن جريج: أن أصحاب النّبيّ ﷺ لم يدروا أين يقبروا النّبيّ ﷺ. حتى قال أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول لم يقبر نبيّ إلاّ حيث يموت، فأخّروا فراشه وحفروا تحت فراشه ﷺ[(٢)]. وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وبين الصدّيق، فإنه لم يدركه، لكن رواه الحافظ أبو يعلى من حديث ابن عبّاس وعائشة عن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهم. فقال: حدّثنا أبو موسى الهروي، ثنا أبو معاوية، ثنا عبد الرّحمٰن بن أبي بكر، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة. قالت: اختلفوا في دفن النبي ﷺ حين قُبض، فقال أبو بكر: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «لا يقبض النبي إلاّ في أحب الأمكنة إليه» فقال: ادفنوه حيث قبض. وهكذا رواه الترمذي عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن عبد الرّحمٰن بن أبي بكر المليكي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته. قال: «ما قبض الله نبياً إلاّ في الموضع الذي يحب[(٣)] أن يدفن فيه». ادفنوه في موضع فراشه[(٤)]، ثم إن الترمذي ضعّف المليكي، ثم قال: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، رواه ابن عبّاس عن أبي بكر الصّدّيق، عن النّبيّ ﷺ. وقال الأموي عن أبيه، عن ابن إسحاق، عن رجل حدّثه، عن عروة، عن عائشة: أن أبا بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم

(١) سقط في ط.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٧.
(٣) في ط: يحبه.
(٤) أخرجه الترمذي في الجنائز باب ٣٣، والشمائل باب ٥٤.

يدفن نبي قط إلاَّ حيث قبض» قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدَّثني محمّد بن سهل التميمي، ثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي، عن حمّاد بن سَلَمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان بالمدينة حفاران، فلما مات النّبيّ ﷺ قالوا: أين ندفنه[١]؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: في المكان الذي مات فيه، وكان أحدهما يلحد والآخر يشق، فجاء الذي يلحد فلحد للنبي ﷺ[٢]. وقد رواه مالك بن أنس عن هشام بن عروة، عن أبيه منقطعاً. وقال أبو يعلى: حدّثنا جعفر بن مهران، ثنا عبد الأعلى عن محمّد بن إسحاق، حدَّثني [حسين][٣] بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا للنبي ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي كان يحفر لأهل المدينة وكان يلحد، فدعا العبّاس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة، وقال للآخر: اذهب إلى أبي طلحة. اللّهمّ خره لرسولك. قال: فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ، فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائل: ندفنه في مسجده. وقال قائل: ندفنه مع أصحابه. فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلاَّ دفن حيث قبض». فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي فيه فحفروا له تحته، ثم أدخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالاً الرجال حتى إذا فرغ منهم، أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء، أدخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد. فدفن رسول الله ﷺ من أوسط الليل ليلة الأربعاء. وهكذا رواه ابن ماجه عن نصر بن عليّ الجهضمي، عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق فذكر بإسناده مثله. وزاد في آخره ونزل في حفرته عليّ بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا عبّاس وشقران مولى رسول الله ﷺ. قال أوس بن خولي - وهو أبو ليلى - لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله! وحظنا من رسول الله ﷺ، قال له عليّ: انزل وكان شقران مولاه أخذ قطيفة كان رسول الله ﷺ يلبسها، فدفنها في القبر وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك! فدفنت مع رسول الله ﷺ[٤]. وقد رواه الإمام أحمد عن حسين بن محمّد، عن جرير بن حازم، عن ابن إسحاق مختصراً، وكذلك رواه يونس بن بكير وغيره عن إسحاق به. وروى الواقدي عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بكر الصّدِّيق، عن رسول الله ﷺ: «ما قبض الله نبياً إلاَّ ودفن حيث قبض». وروى البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن عبد الرّحمٰن بن عبد الله بن الحصين، أو محمّد بن جعفر بن الزبير. قال: لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقالوا: كيف ندفنه مع الناس أو في بيوته؟ فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض الله نبياً إلاَّ دفن حيث قبض». فدفن حيث كان فراشه رفع

---

(١) في ط: نفدته.
(٢) أخرجه مالك في الجنائز حديث ٢٧. (٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٦٥، وأحمد في المسند ١/٢٩٢.

الفراش وحفر تحته. وقال الواقدي: حدّثنا عبد الحميد بن جعفر، عن عثمان بن محمّد الأخنسي، عن عبد الرَّحمٰن بن سعيد - يعني ابن يربوع - قال: لما توفي النّبيّ ﷺ اختلفوا في موضع قبره. فقال قائل: في البقيع، فقد كان يكثر الاستغفار لهم، وقال قائل: عند منبره، وقال قائل: في مصلاه. فجاء أبو بكر فقال: إن عندي من هذا خبراً وعلماً، سمعت رسول الله يقول: «ما قبض نبي إلاّ دفن حيث توفي». قال الحافظ البيهقي: وهو في حديث يَحْيَىٰ بن سعيد عن القاسم بن محمّد، وفي حديث ابن جريج عن أبيه، كلاهما عن أبي بكر الصّدّيق، عن النّبيّ ﷺ مرسلاً. وقال البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن سلمة بن نبيط بن شريط، عن أبيه، عن سالم بن عبيد - وكان من أصحاب الصفة -. قال: دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، حين مات ثم خرج، فقيل له: توفي رسول الله ﷺ قال: نعم! فعلموا أنه كما قال وقيل له: أنصلي عليه وكيف نصلي عليه؟ قال: تجيئون عصباً عصباً فتصلّون، فعلموا أنه كما قال. قالوا: هل يدفن وأين؟ قال: حيث قبض الله روحه، فإنه لم يقبض روحه إلاّ في مكان طيب، فعلموا أنه كما قال.

وروى البيهقي من حديث سفيان بن عيينة، عن يَحْيَىٰ بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب. قال: عرضت عائشة على أبيها رؤيا وكان من أعبر[1] الناس، قالت: رأيت ثلاثة أقمار وقعن في حجري، فقال لها: إن صدقت رؤياك دفن في بيتك من خير أهل الأرض ثلاثة، فلما قبض رسول الله ﷺ قال: يا عائشة هذا خير أقمارك[2]. ورواه مالك عن يَحْيَىٰ بن سعيد عن عائشة منقطعاً. وفي الصحيحين عنها أنها قالت: توفي النّبيّ ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه في آخر ساعة من الدنيا، وأول ساعة من الآخرة .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي عوانة عن هلال الورّاق، عن عروة، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه يقول: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتّخذ مسجداً[4]. وقال ابن ماجه: حدّثنا محمود بن غيلان، ثنا هاشم بن القاسم، ثنا مبارك بن فضالة، حدّثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك. قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان بالمدينة رجل يلحد والآخر يضرح، فقالوا: نستخير الله ونبعث إليهما، فأيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد، فلحدوا للنبي ﷺ[5]. تفرّد به ابن ماجه، وقد رواه الإمام أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم به.

---

(١) عبر الحلم: فسره.

(٢) أخرجه مالك في الجنائز حديث ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٨٤، وأحمد في المسند ٦/ ٤٨.

(٤) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٦٩، وأحمد في المسند ٦/ ١٢١.

(٥) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٤٠، وأحمد في المسند ٣/ ١٣٩.

وقال ابن ماجه أيضاً: حدّثنا عمر بن شبة، عن عُبَيدة بن زيد، ثنا عبيد بن طفيل، ثنا عبد الرَّحمٰن بن أَبي مليكة، حدَّثني ابن أَبي مليكة، عن عائشة. قالت: لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم. فقال عمر: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً ـ أَو كلمة نحوها ـ فأرسلوا إِلى الشقاق واللاحد جميعاً، فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثم دفن[1]. تفرّد به ابن ماجه.

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا وكيع، ثنا العمري، عن نافع عن ابن عمر، وعن عبد الرَّحمٰن ابن القاسم عن أبيه، عن عائشة. أن رسول الله ﷺ ألحد له لحد[2] تفرّد به أحمد من هذين الوجهين.

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا يَحيَىٰ بن شعبة وابن جعفر، ثنا شعبة، حدَّثني أَبو حمزة عن ابن عباس. قال: جعل في قبر النّبيّ ﷺ قطيفة حمراء[3]، وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة به. وقد رواه وكيع عن شعبة. وقال وكيع: كان هذا خاصاً برسول الله ﷺ، رواه ابن عساكر. وقال ابن سعد: أنبأنا محمّد بن عبد اللّٰه الأنصاري، ثنا أشعث بن عبد الملك الحمراني، عن الحسن: أن رسول الله ﷺ بسط تحته قطيفة حمراء كان يلبسها، قال: وكانت أرضاً ندية. وقال هشيم بن منصور عن الحسن قال: جعل في قبر النّبيّ ﷺ قطيفة حمراء، كان أصابها يوم حُنَين قال الحسن: جعلها لأن المدينة أرض سبخة. وقال محمّد بن سعد: ثنا حماد ابن خالد الخيّاط عن عقبة بن أَبي الصهباء، سمعت الحسن يقول: قال رسول الله ﷺ: «افرشوا لي قطيفة في لحدي فإن الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء». وروى الحافظ البيهقي من حديث مسدد: ثنا عبد الواحد، ثنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب قال: قال عليّ: غسلت النّبيّ ﷺ فذهبت أنظر إِلى ما يكون من الميت فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً قال: وولي دفنه عليه الصلاة والسلام وإجنانه دون الناس أربعة، عليّ والعباس والفضل وصالح مولى النّبيّ ﷺ، ولحد للنبي ﷺ لحداً، ونصب عليه اللبن نصباً. وذكر البيهقي عن بعضهم: أنه نصب على لحده عليه السلام تسع لبنات. وروى الواقدي عن ابن أَبي سبرة عن عبد اللّٰه بن معبد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ موضوعاً على سريره من حين زاغت الشمس من يوم الاثنين، إِلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء، يصلي الناس عليه وسريره على شفير قبره. فلما أرادوا أن يقبروه عليه السلام نحّوا السرير قبل رجليه، فأدخل من هناك. ودخل في حفرته العبّاس وعليّ وقثم والفضل وشقران. وروى البيهقي من حديث إسماعيل السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: دخل قبر رسول الله ﷺ العبّاس وعليّ والفضل وسوى لحده رجل من الأنصار، وهو الذي سوى لحود قبور الشهداء يوم بدر. قال ابن عساكر:

(١) أخرجه ابن ماجه في الجنائز، باب ٤٠.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٤، ٦/ ١٣٦.
(٣) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٩١، والترمذي في الجنائز باب ٥٥، والنسائي في الجنائز باب ٨٨، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٩، ٣٥٥.

صوابه يوم أحد، وقد تقدم رواية ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: كان الذين نزلوا في قبر رسول الله عليّ والفضل وقثم وشقران، وذكر الخامس وهو أوس بن خولي، وذكر قصة القطيفة التي وضعها في القبر شقران. وقال الحافظ البيهقي: أَخْبَرَنا أبو طاهر المحمدآبادي، ثنا أبو قلابة، ثنا أبو عاصم، ثنا سفيان بن سعيد هو الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: حدَّثني أبو مرحب. قال: كأني أنظر إليهم في قبر النبيّ ﷺ أربعة: أحدهم عبد الرّحمٰن بن عوف[١] وهكذا رواه أبو داود عن محمّد بن الصباح، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد به. ثم رواه أحمد بن يونس، عن زهير، عن إسماعيل، عن الشعبي، حدَّثني مرحب أو أبو مرحب: أنهم أدخلوا معهم عبد الرّحمٰن بن عوف، فلما فرغ عليّ قال: إنما يلي الرجل أهله[٢]. وهذا حديث غريب جداً، وإسناده جيّد قوي، ولا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. وقد قال أبو عمر بن عبد البر في استيعابه: أبو مرحب اسمه سويد بن قيس، وذكر أبا مرحب آخر وقال: لا أعرف خبره. قال ابن الأثير في الغابة[٣]: فيحتمل أن يكون راوي هذا الحديث أحدهما، أو ثالثاً غيرهما ولله الحمد.

ذكر [من كان][٤] آخر الناس به عهداً عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدَّثني أبي إسحاق بن يسار، عن مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث. قال: اعتمرت مع عليّ في زمان عمر، أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هاني بنت أبي طالب، فلما فرغ من عمْرته رجع فسكبت له غسلاً فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا: يا أبا حسن جئناك نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه. قال: أظن المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ، قالوا: أجل! عن ذلك جئنا نسألك. قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس[٥]. تفرّد به أحمد من هذا الوجه، وقد رواه يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق به مثله سواء إلاّ أنه قال قبله عن ابن إسحاق قال: وكان المغيرة بن شعبة يقول: أخذت خاتمي فألقيته[٦] في قبر رسول الله ﷺ، وقلت حين خرج القوم: إن خاتمي قد سقط في القبر، وإنما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله ﷺ فأكون آخر الناس عهداً به. قال ابن إسحاق: فحدَّثني والدي إسحاق بن يسار، عن مقسم، عن مولاه، عن عبد الله بن الحارث. قال: اعتمرت مع عليّ فذكر ما تقدم، وهذا الذي ذكر عن

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٦٦.
(٢) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٦٦.
(٣) هو كتاب «أسد الغابة في أسماء الصحابة».
(٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ١٠١/١.
(٦) في ط: فألثيته.

المغيرة بن شعبة لا يقتضي أنه حصل له ما أمله، فإنه قد يكون عليّ رضي الله عنه لم يمكّنه من النزول في القبر، بل أمر غيره فناوله إياه، وعلى ما تقدم يكون الذي أمره بمناولته له قثم بن عباس. وقد قال الواقدي: حدَّثني عبد الرَّحمٰن بن أَبي الزناد، عن أبيه، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة. قال: ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر رسول الله ﷺ. فقال عليّ: إنما ألقيته لتقول نزلت[1] في قبر النّبيّ ﷺ فنزل فأعطاه أو أمر رجلاً فأعطاه. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا بهز وأبو كامل. قالا: ثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن أبي عسيب، أو أبي غنم قال بهز: إنه شهد الصلاة على النّبيّ ﷺ قالوا: كيف نصلي؟ قالوا: ادخلوا أرسالاً أرسالاً، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، قال: فلما وضع في لحده قال المغيرة: قد بقي من رجليه شيء لم تصلحوه، قالوا: فأدخل فأصلحه، فدخل وأدخل يده فمسّ قدميه عليه السّلام. فقال: أهيلوا علي التراب، فأهالوا عليه حتى بلغ إلى أنصاف ساقيه، ثم خرج، فكان يقول: أنا أحدثكم عهداً برسول الله ﷺ[2].

متى وقع دفنه عليه الصلاة والسلام

وقال يونس عن ابن إسحاق: حدثني فاطمة بنت محمّد، امرأة عبد اللّه بن أبي بكر، وأدخلني عليها حتى سمعته منها عن عمرة، عن عائشة. أنها قالت: ما علمنا بدفن النّبيّ ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي في جوف ليلة الأربعاء. وقال الواقدي: حدّثنا ابن أبي سبرة عن الحليس بن هشام، عن عبد اللّه بن وهب، عن أم سلمة. قالت: بينا نحن مجتمعون نبكي، لم ننم ورسول الله ﷺ في بيوتنا، ونحن نتسلى برؤيته على السرير، إذ سمعنا صوت الكرازين[3] في السحر. قالت أم سَلَمة: فصحنا وصاح أهل المسجد، فارتجت المدينة صيحة واحدة، وأذّن بلال بالفجر، فلما ذكر النّبيّ ﷺ بكى وانتحب، فزادنا حزناً[4] وعالج الناس الدخول إلى قبره فغلق دونهم، فيا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلاّ هانت، إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ. وقد روى الإمام أحمد من حديث محمّد بن إسحاق، عن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء[5] وقد تقدم مثله في غير ما حديث. وهو الذي نصّ عليه غير واحد من الأئمة سلفاً وخلفاً؛ منهم سليمان بن طرخان التيمي، وجعفر بن محمّد الصادق، وابن إسحاق، وموسى بن عقبة وغيرهم. وقد روى يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار، عن محمّد بن شعيب، عن الأوزاعي. أنه قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار، ودفن يوم الثلاثاء. وهكذا روى الإمام أحمد عن عبد الرزّاق عن ابن جريج. قال: أخبرت أن رسول الله ﷺ مات في الضحى يوم الاثنين، ودفن من الغد في الضحى.

---

(١) في ط: نزل.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٨١.
(٣) الكرازين: ج كرزون، وهو الفأس الكبيرة.
(٤) في التيمورية: فزادنا جنوناً.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١١٠.

وقال سعيد بن منصور عن الدراوردي، عن يزيد بن عبد الله بن أبي يمن عن أم سلمة. قالت: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء.

وقال ابن خزيمة: حدّثنا مسلم بن حمّاد، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، عن كريب، عن ابن عباس. قال: توفي رسول الله يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء. وقال الواقدي: حدّثني أبي بن عياش بن سهل بن سعيد عن أبيه. قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن ليلة الثلاثاء وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن محمّد بن سعد: توفي رسول الله يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، ودفن يوم الثلاثاء.

وقال عبد الله بن محمّد بن أبي الدنيا: ثنا الحسن بن إسرائيل، أبو محمّد النهرتيري، ثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبي خالد، سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: مات رسول الله ﷺ يوم الاثنين؛ فلم يدفن إلاّ يوم الثلاثاء[1]. وهكذا قال سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرّحمٰن، وأبو جعفر الباقر.

وقال يعقوب: بن سفيان، حدثنا سعيد بن منصور، ثنا سفيان عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، وعن ابن جريج، عن أبي جعفر: أن رسول الله توفي يوم الاثنين، فلبث ذلك اليوم وتلك الليلة ويوم الثلاثاء إلى آخر النهار، فهو قول غريب، والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء. ومن الأقوال الغريبة في هذا أيضاً ما رواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار، عن محمّد بن شعيب، عن أبي النعمان، عن مكحول. قال: ولد رسول الله يوم الاثنين، وأوحي إليه يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين لثنتين وستين سنة ونصف، ومكث ثلاثة أيام لا يدفن، يدخل عليه الناس أرسالاً أرسالاً يصلون لا يصفّون ولا يؤمّهم عليه أحد. فقوله إنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن غريباً، والصحيح أنه مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله، ودفن ليلة الأربعاء كما قدمنا والله أعلم. وضده ما رواه سيف عن هشام، عن أبيه قال: توفي رسول الله يوم الاثنين، وغسل يوم الاثنين ودفن ليلة الثلاثاء. قال سيف: وحدّثنا يَحْيَىٰ بن سعيد مرّة بجميعه عن عائشة به، وهذا غريب جداً. وقال الواقدي: حدّثنا عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون، عن أبي عتيق، عن جابر بن عبد الله. قال: رش على قبر النّبيّ ﷺ الماء رشاً، وكان الذي رشه بلال بن رباح بقربه، بدأ من قبل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه، ثم ضرب بالماء إلى الجدار لم يقدر على أن يدور من الجدار.

فصل [في][2] صفة قبره عليه الصلاة والسلام

قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها، شرقي مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ثم دفن بعده فيها أبو بكر، ثم عمر رضي

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ٥٤. (٢) سقط في ط.

الله عنهما. وقد قال البخاري: ثنا محمّد بن مقاتل، ثنا أبو بكر بن عياش، عن سفيان التمار: أنه حدَّثه أنه رأى قبر النّبيّ ﷺ مسنماً، تفرّد به البخاري[١]. وقال أبو داود: ثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن أبي فديك، أخْبَرَني عمرو بن عثمان بن هاني، عن القاسم. قال: دخلت على عائشة وقلت لها: يا أمه اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه. فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء:

النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه عمر رضي الله عنه

تفرّد به أبو داود[٢]. وقد رواه الحاكم [والبيهقي][٣] من حديث ابن أبي فديك، عن عمرو ابن عثمان، عن القاسم. قال: فرأيت النبي عليه السلام مقدماً، وأبو بكر رأسه بين كتفي النّبيّ ﷺ، وعمر رأسه عند رجل النّبيّ ﷺ. قال البيهقي: وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مسطحة لأن الحصباء لا تثبت إلاّ على المسطح. وهذا عجيب من البيهقي رحمه الله، فإنه ليس في الرواية ذكر الحصباء بالكلية، وبتقدير ذلك فيمكن أن يكون مسنماً وعليه الحصباء مغروزة بالطين ونحوه. وقد روى الواقدي عن الدراوردي عن جعفر بن محمّد، عن أبيه. قال: جعل قبر النّبيّ ﷺ مسطحاً. وقال البخاري: ثنا فروة بن أبي المغراء، ثنا عليّ بن مسهر[٤] عن هشام عن عروة عن أبيه قال: لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك، أخذوا في بنائه فبدت لهم قدم، ففزعوا فظنّوا أنها قدم النّبيّ ﷺ فما وجد واحد يعلم ذلك حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النّبيّ ﷺ؛ ما هي إلاّ قدم عمر. وعن هشام عن أبيه، عن عائشة: أنها أوصت عبد اللّه بن الزبير لا تدفني معهم، وادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكّى به أبداً[٥].

قلت: كان الوليد بن عبد الملك حين ولي الإمارة في سنة ست وثمانين قد شرع في بناء جامع دمشق، وكتب إلى نائبه بالمدينة ابن عمّه عمر بن عبد العزيز أن يوسّع في مسجد المدينة، فوسّعه حتى من ناحية الشرق[٦]، فدخلت الحجرة النبوية فيه. وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن زاذان مولى الفرافصة، وهو الذي بنى المسجد النبوي أيام [ولاية] عمر بن عبد العزيز على المدينة، فذكر عن سالم بن عبد اللّه نحو ما ذكره البخاري، وحكى صفة القبور كما رواه أبو داود.

[ذكر][٧] ما أصاب المسلمين من المصيبة بوفاته ﷺ

قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، ثنا ثابت عن أنس. قال: لما ثقل النّبيّ ﷺ جعل يتغشّاه الكرب. فقالت فاطمة: واكرب أبتاه. فقال لها: «ليس على أبيك

(١) كتاب الجنائز باب ٦٩.
(٢) كتاب الجنائز باب ٧٢.
(٣) سقط في ط.
(٤) في ط: مهر.
(٥) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٦٩.
(٦) في التيمورية: من ناحية السوق.
(٧) سقط في ط.

كرب بعد اليوم» فلما مات قالت: واأبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنّة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ تفرّد به البخاري[١] رحمه الله. وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد، ثنا حماد بن زيد، ثنا ثابت البناني. قال أنس: فلما دفن النبيّ ﷺ قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله ﷺ في التراب ورجعتم[٢]. وهكذا رواه ابن ماجه مختصراً من حديث حمّاد بن زيد به. وعنده قال حمّاد: فكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه. وهذا لا يعد نياحة بل هو من باب ذكر فضائله الحق[٣] عليه أفضل الصلاة والسلام، وإنما قلنا هذا لأن رسول الله ﷺ نهى عن النياحة. وقد روى الإمام أحمد والنسائي من حديث شعبة: سمعت قتادة، سمعت مطرفاً يحدّث عن حكيم بن قيس بن عاصم، عن أبيه - فيما أوصى به إلى بنيه - أنه قال: ولا تنوحوا عليّ، فإن رسول الله ﷺ لم يُنح عليه[٤]. وقد رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في النوادر، عن عمرو بن ميمون، عن شعبة به. ثم رواه عن عليّ بن المديني، عن المغيرة بن سلمة، عن الصعق بن حزن عن القاسم بن مطيب، عن الحسن البصري، عن قيس ابن عاصم به. قال: لا تنوحوا عليّ فإن رسول الله ﷺ لم ينح عليه، وقد سمعته ينهى عن النياحة. ثم رواه عن عليّ، عن محمّد بن الفضل، عن الصعق، عن القاسم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عاصم به. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عقبة بن سنان، ثنا عثمان بن عثمان، ثنا محمّد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لم ينح عليه. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا ثابت عن أنس. قال: لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء. قال: وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا[٥]. وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً عن بشر بن بلال الصوّاف، عن جعفر بن سليمان الضبعي به. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح[٦] غريب.

قلت: وإسناده على شرط الصحيحين، ومحفوظ من حديث جعفر بن سليمان، وقد أخرج له الجماعة، رواه الناس عنه كذلك. وقد أغرب الكديمي وهو محمّد بن يونس رحمه الله في روايته له حيث قال: حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن ثابت، عن أنس. قال: لما قبض رسول الله ﷺ أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها - أو لا يبصرها، وما فرغنا من دفنه حتى

---

(١) كتاب المغازي باب ٨٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٦٥، وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٤.

(٣) كذا في الأصل، وليست هذه اللفظة في التيمورية.

(٤) أخرجه النسائي في الجنائز باب ١٥، وأحمد في المسند ٥/ ٦١.

(٥) أخرجه الترمذي في المناقب باب ١، وابن ماجه في الجنائز باب ٦٥، وأحمد في المسند ٣/ ٢٦٨.

(٦) في التيمورية: حسن.

أنكرنا قلوبنا. رواه البيهقي من طريقه كذلك، وقد رواه من طريق غيره من الحفّاظ عن أبي الوليد الطيالسي كما قدّمنا، وهو المحفوظ والله أعلم.

وقد روى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي حفص بن شاهين، ثنا حسين ابن أحمد بن بسطام بالأبلّة، ثنا محمّد بن يزيد الرواسي، ثنا سلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري. قال: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء. وقال ابن ماجه: ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبد الوهّاب بن عطاء العِجْليّ، عن ابن عون، عن الحسن، عن أُبَيّ بن كعب. قال: كنا مع رسول الله ﷺ وإنما وجهنا واحد، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا[١].

وقال أيضاً: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا خالي[٢] محمّد بن إبراهيم بن المطلب بن السائب بن أبي وداعة السهمي، حدّثني موسى بن عبد الله بن أبي أمية المخزومي، حدّثني مصعب بن عبد الله عن أم سلمة بنت أبي أمية زوج النّبيّ ﷺ. أنها قالت: كان الناس في عهد رسول الله ﷺ إذا قام المصلي يصلي لم يَعد بصر أحدهم موضع قدميه، فتوفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصر أحدهم موضع جبينه، فتوفي أبو بكر وكان عمر، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصر أحدهم موضع القبلة، فتوفي عمر وكان عثمان، وكانت الفتنة، فتلفّت الناس يميناً وشمالاً[٣]. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصّمد، ثنا حماد عن ثابت، عن أنس: أن أم أيمن بكت لما قبض رسول الله ﷺ فقيل لها: ما يبكيك؟ على النّبيّ ﷺ؟ فقالت: إني قد علمت[٤] أن رسول الله سيموت، ولكني إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا[٥]. هكذا رواه مختصراً. وقد قال البيهقي: أَخْبَرَنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمّد بن يعقوب، ثنا محمّد بن نعيم، ومحمّد بن النضر الجارودي. قالا: ثنا الحسن بن عليّ الخولاني، ثنا عمرو بن عاصم الكلابي، ثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس. قال: ذهب رسول الله ﷺ إلى أم أيمن زائراً وذهبت معه، فقرّبت إليه شراباً، فإما كان صائماً، وإما كان لا يريده فردّه. فأقبلت على رسول الله ﷺ تضاحكه. فقال أبو بكر بعد وفاة النّبيّ ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها؛ فلما انتهينا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله قالت: والله ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان[٦]. ورواه مسلم منفرداً به عن زهير بن حرب، عن عمرو بن عاصم به. وقال

(١) أخرجه ابن ماجه في الجنائز: باب ٦٥.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٦٥.
(٤) في ط: سلمت.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢١٢.
(٦) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٠٣.

موسى بن عقبة في قصة وفاة رسول الله ﷺ، وخطبة أبي بكر فيها. قال: ورجع الناس حين فرغ أبو بكر من الخطبة، وأم أيمن قاعدة تبكي، فقيل لها: ما يبكيك؟ قد أكرم الله نبيه ﷺ فأدخله جنته، وأراحه من نصب الدنيا. فقالت: إنما أبكي على خبر السماء، كان يأتينا غضاً جديداً كل يوم وليلة، فقد انقطع ورفع، فعليه أبكي، فعجب الناس من قولها. وقد قال مسلم ابن الحجّاج في صحيحه: وحدثت عن أبي أسامة. وممن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة، حدَّثني يزيد بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبيّ ﷺ قال: «إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً يشهد لها، وإذا أراد هلكة أمة عذّبها ونبيّها حي فأهلكها، وهو ينظر إليها فأقرّ عينه بهلكها حين كذّبوه وعصوا أمره». تفرّد به مسلم[1] إسناداً ومتناً. وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان عن عبد الله ـ هو ابن مسعود، عن النبيّ ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام». قال وقال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم؛ فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم» ثم قال البزار: لم نعرف آخره يروى عن عبد الله إلاَّ من هذا الوجه.

قلت: وأما أوله وهو قوله عليه السلام: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام»[2] فقد رواه النسائي من طرق متعدّدة عن سفيان الثوري، وعن الأعمش، كلاهما عن عبد الله بن السائب عن أبيه به. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا حسين بن عليّ الجعفي عن عبد الرَّحمٰن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأسود الصنعاني، عن أوس بن أوس. قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ». قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ـ يعني قد بليت ـ. قال: «إن الله قد حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام»[3]. وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله، وعن الحسن بن عليّ، والنسائي عن إسحاق بن منصور، ثلاثتهم عن حسين بن عليّ به. ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن حسين بن عليّ، عن جابر، عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس فذكره. قال شيخنا أبو الحجاج المزي: وذلك وهم من ابن ماجه، والصحيح أوس بن أوس، وهو الثقفي رضي الله عنه.

قلت: وهو عندي في نسخة جيدة مشهورة على الصواب، كما رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن أوس بن أوس ثم قال ابن ماجه: حدّثنا عمرو بن سواد المصري، ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن، عن عبادة بن نسي، عن

(١) كتاب الفضائل حديث ٢٤.

(٢) أخرجه النسائي في السهو باب ٤٦، وأحمد في المسند ١/ ٣٨٧.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٢٠٧، وابن ماجه في الجنائز باب ٦٥، وأحمد في المسند ٤/ ٨.

أَبي الدرداء. قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً ليصلي عليّ إلاّ عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها». قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام ـ نبي الله حي ويرزق»[١] وهذا من أفراد ابن ماجه رحمه الله. وقد عقد الحافظ ابن عساكر ها هنا باباً في إيراد الأحاديث المروية في زيارة قبره الشريف، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وموضع استقصاء ذلك في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى.

[ذكر][٢] ما ورد من التعزية به عليه الصلاة والسلام

قال ابن ماجه[٣]: حدّثنا الوليد بن عمرو بن السكين، ثنا أبو همام وهو محمّد بن الزبرقان الأهوازي، ثنا موسى بن عبيدة، ثنا مصعب بن محمّد عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن، عن عائشة. قالت: فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس ـ أو كشف ستراً ـ فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم رجاء أن يخلفه فيهم بالذي رآهم. فقال: «يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإنّ أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي» تفرّد به ابن ماجه. وقال الحافظ البيهقي: أَخْبَرَنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفقيه، ثنا شافع بن محمّد، ثنا أبو جعفر بن سلامة الطحاوي، ثنا المزني، ثنا الشافعي عن القاسم بن عبد اللّه بن عمر بن حفص، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه: أن رجالاً من قريش دخلوا على أبيه عليّ بن الحسين. فقال: ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى! فحدثنا عن أبي القاسم. قال: لما أن مرض رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمّد إن الله أرسلني إليك تكريماً لك وتشريفاً لك، وخاصة لك، أسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً» ثم جاءه اليوم الثاني فقال له ذلك، فرد عليه النبي ﷺ كما ردّ أول يوم، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ورد عليه كما ردّ، وجاء معه ملك يقال له إسماعيل على مائة ألف ملك كل ملك على مائة ألف ملك، فاستأذن عليه فسأل عنه، ثم قال جبريل: هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك فقال عليه السلام: «إيذن له»، فأذن له فدخل فسلّم عليه، ثم قال: يا محمّد إن الله أرسلني إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضت، وإن أمرتني أن أتركه تركته. فقال رسول الله: «أو تفعل يا ملك الموت؟» قال: نعم! وبذلك أمرت، وأمرت أن أطيعك. قال فنظر النّبيّ ﷺ إلى جبريل فقال له جبريل: يا محمّد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله ﷺ لملك الموت: «امض لما أمرت به» فقبض روحه، فلما توفي النّبيّ ﷺ وجاءت التعزية سمعوا صوتاً من ناحية البيت؛ السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٦٥. (٢) سقط في ط.
(٣) كتاب الجنائز باب ٥٥.

مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المصاب من حرم الثواب. فقال عليّ رضي الله عنه: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السَّلام. وهذا الحديث مرسلاً، وفي إسناده ضعف، بحال القاسم العمري هذا فإنه قد ضعّفه غير واحد من الأئمة، وتركه بالكلية آخرون. وقد رواه الربيع عن الشافعي، عن القاسم، عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه فذكر منه قصة التعزية ـ فقط موصولاً ـ وفي الإسناد العُمَري المذكور، قد نبّهنا على أمره لئلا يغتر به. على أنه قد رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم، عن أبي جعفر البغدادي، حدّثنا عبد الله بن الحارث، أو عبد الرَّحمٰن بن المرتعد الصنعاني، ثنا أبو الوليد المخزومي، ثنا أنس بن عياض[1] عن جعفر بن محمّد، عن جابر بن عبد الله. قال: لما توفي رسول الله ﷺ[2]، يسمعون الحس ولا يرون الشخص. فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل فائت، ودركاً من كل هالك، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المحروم من حُرِم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم قال البيهقي: هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين فأحدهما يتأكد بالآخر، ويدل على أن له أصلاً من حديث جعفر والله أعلم. وأَخْبَرَنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن بالويه، ثنا محمّد بن بشر بن مطر، ثنا كامل بن طلحة، ثنا عباد بن عبد الصَّمد عن أنس بن مالك. قال: لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حوله، واجتمعوا فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعوضاً من كل فائت، وخلفاً من كل هالك، فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا، ونظره إليكم في البلايا فانظروا، فإن المصاب من لم يجبر، فانصرف. فقال بعضهم لبعض تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعليّ: نعم! هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر، ثم قال البيهقي: عباد بن عبد الصَّمد ضعيف، وهذا منكر بمرة. وقد روى الحارث بن أبي أسامة عن محمّد بن سعد، أنبأنا هشام بن القاسم، ثنا صالح المري، عن أبي حازم المدني: أن رسول الله ﷺ حين قبضه الله عزّ وجل دخل المهاجرون فوجاً فوجاً يصلون عليه ويخرجون، ثم دخلت الأنصار على مثل ذلك، ثم دخل أهل المدينة حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء، فكان منهنّ صوت وجزع، كبعض ما يكون منهنّ، فسمعن هزّة في البيت يعرفنا[3] فسكتن، فإذا قائل يقول: إن من الله عزاء من كل هالك، وعوض من كل مصيبة، وخلف من كل ما فات، والمجبور من جبره الثواب والمصاب من لم يجبره الثواب.

فصل فيما روي من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته ﷺ

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن [أبي][4] خالد، عن

(١) في ط: عياش.
(٢) كذا في الأصلين، ولعلها: سمعوا، أو هتف بهم من جانب البيت كما مر.
(٣) كذا في الأصل. (٤) سقط في ط.

قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي. قال: كنت باليمن فلقينا رجلين من أهل اليمن ذا كلاع وذا عمرو، فجعلت أحدثهما عن رسول الله ﷺ قال فقالا لي: إن كان ما تقول حقاً فقد مضى صاحبك على أجله منذ ثلاث. قال: فأقبلت وأقبلا حتى إذا كنا في بعض الطريق، رفع لنا ركب من المدينة فسألناهم فقالوا: قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر، والناس صالحون. قال: فقالا لي: أخبر صاحبك أنا قد جئنا، ولعلنا سنعود إن شاء الله عزّ وجل. قال: ورجعا إلى اليمن، فلما أتيت أخبرت أبا بكر بحديثهم، قال: أفلا جئت بهم. فلما كان بعد قال لي ذو عمرو: يا جرير إن لك عليّ كرامة، وإني مخبرك خبراً، أنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمّرتم في آخر، وإذا كانت بالسيف كنتم ملوكاً تغضبون غضب الملوك وترضون رضى الملوك[1]. هكذا رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة، وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم، عن عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن سفيان عنه. وقال البيهقي: أنبأنا الحاكم، أنبأنا عليّ بن المتوكل، ثنا محمّد بن يونس، ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، ثنا زائدة عن زياد بن علاقة عن جرير. قال: لقيني حبر باليمن وقال لي: إن كان صاحبكم نبياً فقد مات يوم الاثنين، هكذا رواه البيهقي.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو سعيد، ثنا زائدة، ثنا زياد بن علاقة عن جرير. قال: قال لي حبر باليمن: إن كان صاحبكم نبياً فقد مات اليوم. قال جرير: فمات يوم الاثنين[2].

وقال البيهقي: أنبأنا أبو الحسين بن بشران المعدل ببغداد، أنبأنا أبو جعفر محمّد بن عمرو، ثنا محمّد بن الهيثم، ثنا سعيد بن أبي كبير بن عفير حدّثني عبد الحميد بن كعب بن علقمة بن كعب بن عدي التنوخي، عن عمرو بن الحارث، عن ناعم بن أجيل، عن كعب بن عدي. قال: أقبلت في وفد من أهل الحيرة إلى النبيّ ﷺ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة، فلم نلبث أن جاءتنا وفاة النبيّ ﷺ فارتاب أصحابي وقالوا: لو كان نبياً لم يمت. فقلت: قد مات الأنبياء قبله، وثبتّ على إسلامي، ثم خرجت أريد المدينة، فمررت براهب كنا لا نقطع أمراً دونه، فقلت له: أخبرني عن أمر أردته، نفخ في صدري منه شيء، فقال: ائت باسم من الأسماء فأتيته بكعب، فقال القه في هذا السفر لسفر أخرجه، فألقيت الكعب فيه، فصفح فيه فإذا بصفة النبيّ ﷺ كما رأيته، وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه. قال: فاشتدت بصيرتي في إيماني، وقدمت على أبي بكر رضي الله عنه فأعلمته، وأقمت عنده، فوجهني إلى المقوقس فرجعت، ووجهني أيضاً عمر بن الخطاب، فقدمت عليه بكتابه، فأتيته وكانت وقعة اليرموك، ولم أعلم بها، فقال لي: أعلمت أن الروم قتلت العرب وهزمتهم؟ فقلت: كلا، قال: ولِمَ؟ قلت: إن الله وعد نبيه أن يظهره على الدين كلّه وليس بمخلف الميعاد. قال: فإن نبيّكم قد صدقكم، قتلت الروم والله قتل عاد. قال: ثم سألني عن وجوه أصحاب رسول الله ﷺ فأخبرته وأهدى إلى عمر وإليهم. وكان ممن أهدى إليه عليّ وعبد

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٤، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٦٤.

الرَّحمٰن والزبير ـ وأحسبه ذكر العبّاس ـ قال كعب: وكنت شريكاً لعمر في البز في الجاهلية، فلما أن فرض الديوان فرض لي في بني عدي بن كعب. وهذا أثر غريب، وفيه نبأ عجيب وهو صحيح.

فصل

قال محمّد بن إسحاق: ولما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم، حتى جمعهم الله على أبي بكر رضي الله عنه. قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ همّوا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك، حتى خافهم عَتّاب بن أَسِيد رضي الله عنه فتوارى. فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلاّ قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفّوا عما همّوا به، فظهر عتاب بن أسيد. فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب ـ يعني حين أشار بقلع ثنيته حين وقع في الأسارى يوم بدر ـ إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّنه.

قلت: وسيأتي عما قريب إن شاء الله ذكر ما وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ من الردّة في أحياء كثيرة من العرب، وما كان من أمر مُسَيلمة بن حبيب المتنبىء باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وما كان من أمر الناس حتى فاؤوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه في حال ردّتهم من السفاهة والجهل العظيم الذي استفزهم الشيطان به، حتى نصرهم الله وثبّتهم وردّهم إلى دينه الحق على يدي الخليفة الصّدّيق أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، كما سيأتي مبسوطاً مبيناً مشروحاً إن شاء الله.

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره قصائد لحسّان بن ثابت رضي الله عنه في وفاة رسول الله ﷺ ومن أجلّ ذلك وأفصحه وأعظمه، ما رواه عبد الملك بن هشام رحمه الله عن أَبي زيد الأنصاري أن حسّان بن ثابت رضي الله عنه قال يبكي رسول الله ﷺ:

بطيبة رسمٌ للرسول ومعهدٌ ... منيرٌ وقد تعفو الرسوم وتمهد[1]

ولا تُمتحى الآياتُ من دار حُرْمَةٍ ... بها مِنبرُ الهادي الذي كان يَصْعد

وواضحُ آياتٍ وباقي معالمٍ ... ورَبْعٌ له فيه مُصَلى ومَسْجِدُ

بها حُجُرات كان ينزل وسطها ... من الله نورٌ يستضاء ويوقَدُ

معارفُ لم تُطْمَس على العَهْد آيُها ... أتاها البلا فالآيُ منها تَجَدَّدُ

---

(١) في رواية ابن هشام: وتهمد.

عَرَفْتُ بها رَسْم الرّسول وعهده ... وقبراً بها واراه في الترب مُلْحِد

ظلالٌ بها أبكي الرسول فأسعدتْ ... عيونٌ ومثلاها من الجنّ تُسْعَد

يذكرن آلاء الرسول ولا أرى ... لها مُحصياً نفسي فنفسي تَبَلّد

مفجعةً قد شفّها فَقْدُ أحمدِ ... فظلّت لآلاءِ الرسول تُعَدّدُ

وما بَلَغَتْ من كلّ أمر عَشِيرَه ... ولكن لِنَفْسي بعدما قد تَوَجُّد

أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركتَ يا قبرَ الرسول وبوركتْ ... بلادٌ ثوى فيها الرّشيدُ المسدّد[1]

تهيل عليه الترب أيدٍ وأعينٌ ... عليه ـ وقد غارت بذلك ـ أسعد

لقد غيّبوا حلماً وعلماً ورحمةً ... عشيةَ علّوه الثرى لا يُوَسد

وراحوا بحُزنٍ ليس فيهم نبيّهم ... وقد وهنت منهم ظهورٌ وأعضد

ويبكون من تبكي السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يوماً رزيّة هالك ... رزيّة يوم مات فيه محمّد

تقطع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد

يدلّ على الرحمن من يُقْتَدى به ... وينقذ من هول الخزايا ويُرْشد

إمام لهم يهديهم الحقَّ جاهداً ... معلّمُ صِدْق إن يطيعوه يُسْعَدوا

عفوٌّ عن الزلاّت يُقْبَل عُذْرَهم ... وإن يحسنوا فالله بالخير أجود

وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدّد

فبينا هُم في نعمة الله وسطهم ... دليلٌ به نهجُ الطريقة يُقْصَد

عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريصٌ على أن يستقيموا ويَهْتدوا

عطوفٌ عليهم لا يُثنى جناحه ... إلى كَنَفٍ يحنو عليهم ويُمْهد

فبيناهُم في ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهمٌ من الموت مقصد

فأصبح محموداً إلى الله راجعاً ... يبكّيه جفنُ المرسلات ويحْمد

وأمست بلادُ الحرْم وَحْشاً بِقَاعُها ... لغيبة ما كانت من الوحي تَعْهَد

قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها ... فَقِيدٌ يبكّيه بلاطٌ وغَرْقد

ومسجدُه فالموحشاتُ لفَقْدِه ... خَلاءٌ له فيها[2] مقام ومقعد

---

(١) في ابن هشام والتيمورية بعده:

وبورك لحدٌ منك ضمن طيبة ... عليه بناء من صفيح منضد

(٢) في ابن هشام: فيه.

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديارٌ وعرصاتٌ وربعٌ ومولد
فبكّي رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وما لكِ لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغٌ يتغمّد
فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لِفقد الذي لا مِثْلُه الدّهر يُوجدُ
وما فقد الماضونَ مثل محمّد ... ولا مثله حتى القيامة يُفقَد
أعَفَّ وأوفى ذمّة بعد ذمّة ... وأقربَ منه نائلاً لا يُنكّد
وأبذلَ منه للطّريفِ وتالدٍ ... إذا ضنّ مِعْطاءُ بما كان يتلد
وأكرمَ حيًّا في البيوت إذا انتمى ... وأكرمَ جدًّا أبطحياً يُسَوّد
وأمنعَ ذروات وأثبتَ في العُلا ... دعائمَ عزٍّ شاهقاتٍ تشيّد
وأثبت فرعاً في الفروع ومنبتاً ... وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
ربّاه وليداً فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رَبٌّ ممجّد
تناهَتْ وصاةُ المسلمين بكفّه ... فلا العِلْمُ محبوسٌ ولا الرأيُ يُفنّد
أقول ولا يلفى لقولي عائب ... من الناس إلاّ عازب القول مبعد
وليس هوائي نازعاً عن ثنائه ... لعلّي به في جنّة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وقال الحافظ أبو القاسم السهيلي في آخر كتابه الروض: وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكي رسول الله ﷺ:

أرِقْتُ فباتَ ليلي لا يزول ... وليلَ أخي المصيبةِ فيه طول
وأسعدني البكاءُ وذاك فيما ... أصيبَ المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجَلّت ... عَشِيّة قيل قد قُبِضَ الرسول
وأضحت أرضُنا ممّا عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فَقَدْنا الوحي والتنزيلَ فينا ... يروح به ويغدو جبرائيل
وذاك أحقّ ما سالت عليه ... نفوسُ الناسِ أو كَرُبَت[1] تسيل
نبيٌ كان يجلو الشكّ عنا ... بما يُوحَى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نَخْشَى ضلالاً ... علينا والرسولُ لنا دَلِيلُ
أفاطِمُ إن جزِعتِ فذاك عُذْرٌ ... وإن لم تَجْزَعي ذاك السبيل
فقبرُ أبيك سيّد كلّ قَبْرٍ ... وفيه سيّدُ النّاسِ الرسولُ

(١) كذا رواية السهيلي وفي الأصل: كادت تسيل ولعلها أقرب للمعنى.

باب بيان أن النّبيّ ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شاة ولا بعيراً، ولا شيئاً يورّث عنه، بل أرضاً جعلها كلها صدقة لله عزّ وجلّ

فإن الدنيا بحذافيرها كانت أحقر عنده ـ كما هي عند الله ـ من أن يسعى لها أو يتركها بعده ميراثاً صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيّين والمرسلين، وسلّم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين.

قال البخاري: حدّثنا قتيبة، ثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق، عن عمرو بن الحارث. قال: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلاّ بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة[١]. انفرد به البخاري دون مسلم، فرواه في أماكن صحيحة من طرق متعدّدة عن أبي الأحوص وسفيان الثوري وزهير بن معاوية، ورواه الترمذي من حديث إسرائيل والنسائي أيضاً من حديث يونس بن أبي إسحاق، كلّهم عن أبي إسحاق عمرو بن عبد اللّه السبيعي عن عمرو بن الحارث بن المصطلق بن أبي ضرار أخي جويرية بنت الحارث، أم المؤمنين رضي الله عنهما به. وقد قال[٢] الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش وابن نمير عن الأعمش عن شقيق عن مسروق عن عائشة. قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء[٣]. وهكذا رواه مسلم منفرداً به عن البخاري، وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش عن شقيق بن سلمة أبي وائل، عن مسروق بن الأجدع، عن أم المؤمنين عائشة الصّدّيقة بنت الصّدّيق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات رضي الله عنها وأرضاها، وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسحاق بن يوسف عن سفيان، عن عاصم عن ذرّ بن حبيش، عن عائشة. قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا أمة ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً[٤]. وحدّثنا عبد الرّحمٰن عن سفيان، عن عاصم، عن ذر، عن عائشة: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً[٥]. قال سفيان: وأكثر علمي وأشك في العبد والأمة. وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن بندار، عن عبد الرّحمٰن بن مهدي به. قال الإمام أحمد: وحدّثنا وكيع، ثنا مسعر[٦] عن عاصم بن أبي النجود، عن ذر عن عائشة. قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، والوصايا باب ١، وفرض الخمس باب ٣، والترمذي في الشمائل باب ٥٥، والنسائي في الأحباس، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧٩.

(٢) في ط: رواه.

(٣) أخرجه مسلم في الوصية حديث ١٨، وأبو داود في الوصايا باب ١، والنسائي في الوصايا باب ٢، وابن ماجه في الوصايا باب ١، وأحمد في المسند ٦/ ٤٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٨٦.

(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ٥٥، وأحمد في المسند ٦/ ١٨٧.

(٦) في ط: معمر.

درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً[١]. هكذا رواه الإمام أحمد من غير شكّ. وقد رواه البيهقي عن أبي زكريا بن أبي إسحاق المزكي، عن أبي عبد الله محمّد بن يعقوب، حدثنا محمّد بن عبد الوهّاب، أنبأنا جعفر بن عون، أنبأنا مسعر عن عاصم، عن ذر. قال: قالت عائشة: تسألوني عن ميراث رسول الله ﷺ ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة. قال مسعر: أراه قال: ولا شاةً ولا بعيراً. قال: وأنبأنا مسعر عن عدي بن ثابت، عن عليّ بن الحسين. قال: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة، وقد ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل، ورهنه درعاً من حديد[٢]. وفي لفظ للبخاري رواه عن قبيصة، عن الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضي الله عنها. قالت: توفي النّبيّ ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين[٣]. ورواه البيهقي من حديث يزيد بن هارون، عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عنها. قالت: توفي النّبيّ ﷺ ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير[٤]. ثم قال: رواه البخاري عن محمّد بن كثير، عن سفيان. ثم قال البيهقي: أنبأنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أبو بكر محمّد بن حَمَوَيْه العسكريّ، ثنا جعفر بن محمّد القلانسي، ثنا آدم، ثنا شيبان عن قتادة، عن أنس. قال: لقد دعي رسول الله ﷺ على خبز شعير وإهالة سنخة[٥]. قال أنس ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والذي نفس محمّد بيده ما أصبح عند آل محمّد صاع برّ ولا صاع تمر**». وإن له يومئذ تسع نسوة، ولقد رهن درعاً له عند يهودي بالمدينة، وأخذ منه طعاماً فما وجد ما يفتكها به حتى مات ﷺ[٦]. وقد روى ابن ماجه بعضه من حديث شيبان بن عبد الرَّحمٰن النحوي عن قتادة به. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصّمد، ثنا ثابت، ثنا هلال عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن النّبيّ ﷺ نظر إلى أُحُد. فقال: «**والذي نفسي بيده ما يسرّني أحداً لآل محمّد ذهباً أنفقه في سبيل الله، أموت يوم أموت وعندي منه ديناران إلاّ أن أرصدهما لدَيْن**». قال: فمات فما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة، فترك درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير[٧]. وقد روى آخره ابن ماجه عن عبد الله بن معاوية الجُمَحِيّ عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب العبدي الكوفي به.

ولأوله شاهد في الصحيح من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصّمد وأبو سعيد وعفّان. قالوا: حدّثنا ثابت ـ هو ابن يزيد ـ ثنا هلال ـ هو ابن خباب ـ عن

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/١٣٦، ١٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في السلم باب ٥، ومسلم في المساقاة حديث ١٢٥، وأحمد في المسند ٦/١٦٠.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٦.
(٤) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٨٩.
(٥) السنخة: المتغيرة الرائحة.
(٦) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ١٠.
(٧) أخرجه البخاري في الاستئذان باب ٣٠، والرقاق باب ١٤، وابن ماجه في الرهون باب ١، وأحمد في المسند ١/٣٠١.

عكرمة، عن ابن عباس. أن النّبيّ ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثّر في جنبه. فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال: «ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلاّ كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»[١]. تفرّد به أحمد وإسناده جيد. وله شاهد من حديث ابن عبّاس عن عمر في المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، وقصّة الإيلاء. وسيأتي الحديث مع غيره مما شاكله في بيان زهده عليه السلام وتركه الدنيا، وإعراضه عنها، واطراحه لها، وهو مما يدلّ على ما قلناه من أنه عليه السّلام لم تكن الدنيا عنده ببال. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان، ثنا عبد العزيز بن رفيع. قال: دخلت أنا وشداد بن معقل[٢] على ابن عبّاس فقال ابن عبّاس: ما ترك رسول الله ﷺ إلاّ ما بين هذين اللوحين. قال: ودخلنا على محمّد بن عليّ فقال مثل ذلك[٣]. وهكذا رواه البخاري عن قتيبة عن سفيان بن عيينة به. وقال البخاري: حدّثنا أبو نعيم، ثنا مالك بن مغول عن طلحة، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى أأوصى النّبيّ ﷺ؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أو أُمِروا بها؟ قال: أوصى بكتاب الله عَزّ وجل[٤]. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأهل السنن إلاّ أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاّ من حديث مالك بن مغول.

تنبيه: قد ورد أحاديث كثيرة سنوردها قريباً بعد هذا الفصل في ذكر أشياء كان يختص بها صلوات الله وسلامه عليه في حياته من دور، ومساكن نسائه، وإماء وعبيد وخيول وإبل وغنم وسلاح وبغلة وحمار وثياب وأثاث وخاتم وغير ذلك مما سنوضحه بطرقه ودلائله، فلعلّه عليه السلام تصدّق بكثير منها في حياته منجزاً، وأعتق من أعتق من إمائه وعبيده، وأرصد ما أرصده من أمتعته، مع ما خصّه الله به من الأرضين من بني النّضير وخَيْبر وفدك في مصالح المسلمين على ما سنبينه إن شاء الله، إلاّ أنه لم يخلف من ذلك شيئاً يورث عنه قطعاً لما سنذكره قريباً وبالله المستعان.

باب بيان أنه عليه السّلام قال: لا نورث

قال الإمام أحمد[٥]: حدّثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به، وقال مرّة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٠١.
(٢) في ط: معفل.
(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب ١٦، وأحمد في المسند ١/٢٢٠.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، والوصايا باب ١، وفضائل القرآن باب ١٨، ومسلم في الوصية حديث ١٦، والترمذي في الوصايا باب ٤، والنسائي في الوصايا باب ٣، وابن ماجه في الوصايا باب ١، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٤، ٣٨١.
(٥) المسند ٢/٢٤٢.

ومؤنة عاملي فهو صَدَقة». وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من طرق عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان، عن عبد الرَّحمٰن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صَدَقة»[١] لفظ البخاري. ثم قال البخاري: حدّثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن أزواج النّبيّ ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر ليسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا نورّث، ما تركنا صَدَقة؟»[٢] وهكذا رواه مسلم عن يَحْيَىٰ بن يَحْيَىٰ، وأبو داود عن القعنبي، والنسائي عن قتيبة، كلّهم عن مالك به. فهذه إحدى النساء الوارثات ـ إن لو قدّر ميراث ـ قد اعترفت أن رسول الله ﷺ جعل ما تركه صَدَقة لا ميراثاً، والظاهر أن بقية أمّهات المؤمنين وافقنها على ما رَوَت، وتذكّرن ما قالت لهنّ من ذلك، فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن والله أعلم. وقال البخاري: حدّثنا إسماعيل بن أبان، ثنا عبد الله بن المبارك، عن يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن النّبيّ ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»[٣]. وقال البخاري باب قول رسول الله «لا نورث ما تركنا صدقة»: حدّثنا عبد الله بن محمّد، ثنا هشام، أنبأنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضي الله عنه عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك، وسهمه من خَيْبر. فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمّد من هذا المال». قال أبو بكر: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلاّ صنعته، قال: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتى ماتت[٤]. وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزّاق، عن معمر، ثم رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ميراثها مما ترك مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ. قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت. قال: وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر[٥]، وذكر تمام الحديث هكذا قال الإمام أحمد.

وقد روى البخاري هذا الحديث في كتاب المغازي من صحيحه عن ابن أبي بكير، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري عن عروة، عن عائشة كما تقدم، وزاد: فلما توفيت دفنها عليّ ليلاً ولم يؤذن أبا بكر، وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت

(١) أخرجه البخاري في الوصايا باب ٣٢، وفرض الخمس باب ٣ ومسلم في الجهاد والسير حديث ٥٥، وأبو داود في الخراج باب ١٩.
(٢) أخرجه البخاري في الفرائض باب ٣، ومسلم في الجهاد والسير حديث ٥١، وأبو داود في الخراج باب ١٩، وأحمد في المسند ٦/ ٢٦٢.
(٣) أخرجه البخاري في الفرائض باب ٣.
(٤) أخرجه البخاري في الفرائض باب ٣.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤، ٦، ٧.

استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر ايتنا ولا يأتنا معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدّة عمر. فقال عمر: والله لا تدخل عليهم وحدك. قال أبو بكر: وما عسى أن يصنعوا بي؟ والله لآتينهم. فانطلق أبو بكر رضي الله عنه وقال: إنا قد عرفنا فضلك وأما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنكم استبددتم بالأمر. وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ أنا لنا في هذا الأمر نصيباً، فلم يزل عليّ يذكر حتى بكى أبو بكر رضي الله عنه. وقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بينكم في هذه الأموال، فإني لم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله ﷺ إلاّ صنعته. فلما صلى أبو بكر رضي الله عنه الظهر رقي على المنبر، فتشهّد وذكر شأن عليّ وتخلّفه عن البيعة، وعذره بالذي اعتذر به، وتشهّد عليّ رضي الله عنه فعظّم حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته، وحدّث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ثم قام إلى أبي بكر رضي الله عنهما فبايعه. فأقبل الناس على عليّ فقالوا: أحسنت. وكان الناس إلى عليّ قريباً حين راجع الأمر بالمعروف[١].

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق متعددة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة بنحوه. فهذه البيعة التي وقعت من عليّ رضي الله عنه، لأبي بكر رضي الله عنه، بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، بيعة مؤكّدة للصلح الذي وقع بينهما، وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولاً يوم السقيفة، كما رواه ابن خُزَيْمة، وصحّحه مسلم بن الحجّاج، ولم يكن عليّ مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر، بل كان يصلي وراءه ويحضر عنده للمشورة، وركب معه إلى ذي القَصّة كما سيأتي. وفي صحيح البخاري أن أبا بكر رضي الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن عليّ يلعب مع الغلمان، فاحتمله على كاهله وجعل يقول: يا بأبي شبّه النبي، ليس شبيهاً بعلي. وعليّ يضحك[٢]. ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها، فنفى ذلك، والمثبت مقدم على النافي كما تقدم، وكما تقرر والله أعلم. وأما تغضب فاطمة رضي الله عنها وأرضاها على أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، فما أدري ما وجهه، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث، فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا نورث ما تركنا صدقة»** وهي ممن تنقاد لنصّ الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث، كما خفي على أزواج النّبيّ ﷺ حتى أخبرتهنّ عائشة بذلك، ووافقنها عليه، وليس يظنّ بفاطمة رضي الله عنه أنها اتهمت الصّدّيق رضي الله عنه فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، والعبّاس ابن عبد المطلب، وعبد الرّحمٰن بن عوف، وطلحة بن عُبَيد اللّه، والزُبَيْر بن العوّام، وسعد بن

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨، ومسلم في الجهاد والسير حديث ٥٢، وأبو داود في الخراج باب ١٩، والنسائي في الفيء.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٢٢.

أَبي وقّاص، وأَبو هُرَيْرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين كما سنبيّنه قريباً. ولو تفرّد بروايته الصّدِّيق رضي الله عنه، لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك، وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصّدِّيق إذ كانت هذه الأراضي صَدَقة لا ميراثاً أن يكون زوجها ينظر فيها، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ، ويلي ما كان يليه رسول الله، ولهذا قال: وإني والله لا أدع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ إلاَّ صنعته، قال: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتى ماتت. وهذا الهجران والحالة هذه فتح على فرقة الرافضة شراً عريضاً، وجهلاً طويلاً، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيهم، ولو تفهّموا الأمور على ما هي عليه، لعرفوا للصدِّيق فضله، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسّكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام، من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

بيان رواية الجماعة لما رواه الصّدِّيق وموافقتهم على ذلك

قال البخاري: حدّثنا يَحْيَىٰ بن بكير، ثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أَخْبَرَني مالك بن أوس بن الحدثان، وكان محمّد بن جُبَيْر بن مُطْعم ذكر لي ذكراً من حديثه ذلك، فانطلقت حتى دخلت عليه فسألته فقال: انطلقت حتى أدخل على عمر، فأتاه حاجبه يرفأ فقال: هل لك في عثمان وعبد الرَّحمٰن بن عوف والزبير وسعد؟ قال: نعم! فأذن لهم، ثم قال: هل لك في عليّ وعبّاس؟ قال: نعم! قال عباس: يا أمير المؤمنين أقضِ بيني وبين هذا، قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»؟ يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل على عليّ وعباس فقال: هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر بن الخطاب: فإنّي أحدّثكم عن هذا الأمر إن الله كان قد خصّ لرسول الله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، قال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿قَدِيرٌ ۝﴾ [سورة الحشر، الآية: ٧] فكانت خالصة لرسول الله ﷺ، والله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها[1] عليكم، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله من هذا المال نفقة سنته، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل بذلك رسول الله حياته، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم! ثم قال لعليّ وعباس: أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم! فتوفّى الله نبيه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها، فعمل بما عمل به رسول الله ﷺ، ثم توفّى الله أبا بكر فقلت: أنا ولي ولي رسول الله ﷺ، فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، ثم جئتماني وكلّمتكما واحدة

(١) في ط: استأثرها.

وأمركما جميع، حتى جئتني تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا ليسألني نصيب امرأته من أبيها، فقلت: إن شئتما دفعتها إليكما بذلك، فتلتمسان مني قضاء غير ذلك! فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزْتما فادفعاها إليّ فأنا أكفيكماها[1]. وقد رواه البخاري في أماكن متفرقة من صحيحه، ومسلم وأهل السنن من طرق عن الزهري به. وفي رواية في الصحيحين فقال عمر: فوليها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ والله يعلم أنه صادق بارّ راشد تابع للحق، [ثم وليتها فعملت فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، والله يعلم أني صادق بارّ راشد تابع للحق][2]. ثم جئتماني فدفعتها إليكما لتعملا فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر وعملت فيها أنا، أنشدكم بالله أدفعتها إليهما بذلك؟ قالوا: نعم. ثم قال لهما: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك! لا والذي بإذنه تقوم السماء والأرض. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن عمرو، عن الزهري، عن مالك بن أوس، قال: سمعت عمر يقول لعبد الرَّحمٰن وطلحة والزبير وسعد: نشدتكم بالله الذي تقوم السماء والأرض بأمره، أعلمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»؟ قالوا: نعم[3]! على شرط الصحيحين.

قلت: وكان الذي سألاه ـ بعد تفويض النظر إليهما والله أعلم ـ هو أن يقسم بينهما النظر، فيجعل لكلّ واحد منهما نظر ما كان يستحقه بالأرض، لو قدر أنه كان وارثاً، وكأنهما قدما بين أيديهما جماعة من الصحابة منهم عثمان وابن عوف وطلحة والزبير وسعد، وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما، فقالت الصحابة الذين قدموهم بين أيديهما: يا أمير المؤمنين اقض بينهما، أو أرح أحدهما من الآخر. فكأن عمر رضي الله عنه تحرّج من قسمة النظر بينهما بما يشبه قسمة الميراث ولو في الصورة الظاهرة محافظة على امتثال قوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» فامتنع عليهم كلّهم، وأبى من ذلك أشدّ الإباء رضي الله عنه وأرضاه. ثم إن علياً والعباس استمرا على ما كانا عليه ينظران فيها جميعاً إلى زمان عثمان بن عفان، فغلبه عليها عليّ وتركها له العبّاس بإشارة ابنه عبد الله رضي الله عنهما بين يدي عثمان، كما رواه أحمد في مسنده. فاستمرت في أيدي العلويين. وقد تقصّيت طرق هذا الحديث وألفاظه في مسندَيْ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإني ولله الحمد جمعت لكل واحد منهما مجلداً ضخماً مما رواه عن رسول الله ﷺ، ورآه من الفقه النافع الصحيح، ورتبته على أبواب الفقه المصطلح عليها اليوم[4]. وقد روينا أن فاطمة رضي الله عنها احتجّت أولاً بالقياس وبالعموم في الآية الكريمة، فأجابها الصّدّيق بالنصّ على الخصوص بالمنع في حق النبي،

(١) أخرجه البخاري في الفرائض باب ٣، والمغازي باب ١٤، ومسلم في الجهاد والسير حديث ٤٩، وأبو داود في الخراج باب ١٩، والترمذي في السير باب ٤٤.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٥ .

(٤) في ط: يوم.

وأنها سلّمت له ما قال. وهذا هو المظنون بها رضي الله عنها. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة عن محمّد بن عمرو، عن أبي سلمة: أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا متّ؟ قال ولدي وأهلي، قالت: فما لنا لا نرث رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن النبي لا يورث» ولكني أعول من كان رسول الله ﷺ يعول، وأنفق على من كان رسول الله ﷺ ينفق[1].

وقد رواه الترمذي في جامعه عن محمّد بن المثنى، عن أبي الوليد الطيالسي، عن محمّد ابن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، فذكره فوصل[2] الحديث. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن أبي شيبة، ثنا محمّد ابن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل. قال: لما قبض رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أأنت ورثت رسول الله أم أهله؟ فقال: لا بل أهله، فقالت: فأين سهم رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا أطعم نبياً طعمة، ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده» فرأيت أن أردّه على المسلمين. قالت: فأنت وما سمعت من رسول الله ﷺ[3]. وهكذا رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة، عن محمّد بن فضيل به. ففي لفظ هذا الحديث غرابة ونكارة، ولعله رُوِيَ بمعنى ما فهمه بعض الرواة، وفيهم من فيه تشيّع فليعلم ذلك. وأحسن ما فيه قولها أنت وما سمعت من رسول الله ﷺ، وهذا هو الصواب والمظنون بها، واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها، رضي الله عنها، وكأنها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظراً على هذه الصدقة فلم يجبها إلى ذلك لما قدمناه، فتعتبت عليه بسبب ذلك، وهي امرأة من بنات آدم، تأسف كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة مع وجود نصّ رسول الله ﷺ، ومخالفة أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنها، وقد روينا عن أبي بكر رضي الله عنه: أنه ترضّا فاطمة وتلايَنها قبل موتها فرضيت رضي الله عنها.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد اللّه محمّد بن يعقوب، حدّثنا محمّد بن عبد الوهّاب، ثنا عبدان بن عثمان العتكي بنيسابور، أنبأنا أبو حمزة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي. قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصّدّيق، فاستأذن عليها، فقال عليّ: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم! فأذنت له فدخل عليها يترضّاها فقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلاّ ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت. وهذا إسناد جيد قوي، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من عليّ، أو ممن سمعه من عليّ، وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي في السير باب ٤٤، وأحمد في المسند ١/ ١٠.

(٢) في ط: يوصل.

(٣) أخرجه أبو داود في الخراج باب ١٩، وأحمد في المسند ١/ ٤.

قال الحافظ البيهقي: أنبأنا محمّد بن عبد اللّه الحافظ، حدّثنا أبو عبد اللّه الصفّار، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا نصر بن عليّ، ثنا ابن داود عن فضيل بن مرزوق، قال: قال زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب: أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك.

فصل

وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلّفوا[1] ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتيهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم، وحاول بعضهم أن[2] يرد خبر أبي بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه بأنه مخالف للقرآن، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [سورة النمل: ١٦] الآية. وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [سورة مريم: ٥ - ٦]. واستدلالهم[3] بهذا باطل من وجوه؛ أحدها أن قوله: ﴿وَوَرِث سُلَيمان داود﴾ إنما يعني بذلك في المُلْك والنبوة، أي جعلناه قائماً بعده فيما كان يليه من المُلْك وتدبير الرعايا، والحكم بين بني إسرائيل، وجعلناه نبياً كريماً كأبيه، وكما جمع لأبيه المُلْك والنبوّة كذلك جعل ولده بعده، وليس المراد بهذا وراثة المال لأن داود كما ذكره كثير من المفسّرين كان له أولاد كثيرون يقال: مائة، فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم، لو كان المراد وراثة المال؟ إنما المراد وراثة القيام بعده في النبوة والملك، ولهذا قال: ﴿وورث سليمان داود﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة النمل: ١٦] وما بعدها من الآيات. وقد أشبعنا الكلام على هذا في كتابنا التفسير بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنة كثيراً.

وأما قصة زكريا فإنه عليه السّلام من الأنبياء الكرام، والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولداً ليرثه في ماله، كيف؟ وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخاري، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته، حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله - أن لو كان له مال - وإنما سأل ولداً صالحاً يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل، وحملهم على السداد. ولهذا قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [سورة مريم: ١ - ٦] القصة بتمامها. فقال: ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب، يعني النبوّة كما قررنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة. وقد تقدم في رواية أبي سَلَمة عن أبي هُرَيْرة عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: «النبي لا يورث» وهذا اسم جنس يعمّ كل الأنبياء وقد

(١) في ط: وتكفلوا.
(٢) في ط: أنم.
(٣) في ط: استدلالاتهم.

حسّنه الترمذي. وفي الحديث الآخر: «نحن معشر الأنبياء لا نورث».

والوجه الثاني: أن رسول الله ﷺ قد خصّ من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها كما سنعقد له باباً مفرداً في آخر السيرة إن شاء الله، فلو قدّر أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك - لكان ما رواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ مبيناً لتخصيصه بهذا الحكم دون ما سواه.

والثالث: أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء، واعترف بصحته العلماء، سواء كان مِنْ خصائصه أم لا. فإنه قال: «لا نورث ما تركناه صدقة» إذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه السّلام: «ما تركنا صدقة» أن يكون خبراً عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ما تقدم وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون إنشاء وصيّته كأنه يقول لا نورث لأن جميع ما تركناه صَدَقة، ويكون تخصيصه من حيث جواز جعله ماله كلّه صدقة، والاحتمال الأول أظهر. وهو الذي سلكه الجمهور. وقد يقوى المعنى الثاني بما تقدّم من حديث مالك وغيره عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»[1] وهذا اللفظ مخرج في الصحيحين، وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة في رواية هذا الحديث ما تركنا صَدَقة بالنصب، جعل - ما - نافية، فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله لا نورث؟! وبهذه الرواية: «ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة» وما شأن هذا إلاّ كما حكي عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنّة ﴿وكلّم الله موسى تكليماً﴾ بنصب الجلالة، فقال له الشيخ: ويحك كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿فلما جاء موسى لميقاتنا فكلّمه ربه﴾ والمقصود أنه يجب العمل بقوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى، فإنه مخصص لعموم آية الميراث، ومخرج له عليه السّلام منها، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

باب [ذكر][2] زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهن وأولاده ﷺ

قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢ - ٣٤] لا خلاف أنه عليه السلام توفي عن تسع وهنّ: عائشة بنت أبي بكر

---

(١) أخرجه البخاري في الوصايا باب ٣٢، وفرض الخمس باب ٣، ومسلم في الجهاد والسير حديث ٥٥، وأبو داود في الخراج باب ١٩، ومالك في الكلام حديث ٢٨.

(٢) سقط في ط.

الصِّدِّيق التيمية، وحَفْصة بنت عمر بن الخطاب العَدَوية، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر ابن حرب بن أمية الأموية، وزَيْنب بنت جحش الأَسَدية، وأم سَلَمة هند بنت أبي أمية المخزومية، وميمونة بنت الحارث الهِلالية، وسودة بنت زمعة العامرية، وجُوَيْرِيَة بنت الحارث ابن أبي ضرار المُصْطَلِقية، وصفية بنت حُيَيّ بن أخطب النَّضرية الإسرائيلية الهارونية، رضي الله عنهنّ وأرضاهنّ. وكانت له سريتان وهما، مارية بنت شمعون القبطية المصرية، من كورة أنصِنا وهي أم ولده إبراهيم عليه السلام، وريحانة بنت شمعون القرظية[١] أسلمت، ثم أعتقها فلحقت بأهلها. ومن الناس من يزعم أنها احتجبت عندهم والله أعلم. وأما الكلام على ذلك مفصّلاً ومرتباً من حيث ما وقع أولاً فأولاً مجموعاً من كلام الأئمة رحمهم الله فنقول وبالله المستعان:

روى الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي من طريق سعيد بن [أبي][٢] عروبة، عن قتادة. قال: تزوج رسول الله ﷺ بخمس عشرة امرأة، دخل منهنّ بثلاث عشرة، واجتمع عنده إحدى عشرة، ومات عن تسع. ثم ذكر هؤلاء التسع اللاتي ذكرناهن رضي الله عنهن. ورواه سيف بن عمر عن سعيد عن قتادة عن أنس والأول أصح[٣]. ورواه سيف بن عمر التميمي عن سعيد عن قتادة عن أنس وابن عبّاس مثله. وروي عن سعيد بن عبد اللّه، عن عبد اللّه ابن أبي مليكة، عن عائشة مثله. قالت: فالمرأتان اللتان لم يدخل بهما فهما: عمرة بنت يزيد الغفارية والشنباء[٤]، فأما عَمْرة فإنه خلا بها وجرّدها فرأى بها وضحاً فردّها، وأوجب لها الصداق، وحرّمت على غيره، وأما الشنباء فلما أدخلت عليه لم تكن يسيرة، فتركها ينتظر بها اليسر فلما مات ابنه إبراهيم على بغتة ذلك قالت: لو كان نبياً لم يمت ابنه، فطلّقها وأوجب لها الصداق، وحرّمت على غيره، قالت: فاللاتي اجتمعن عنده؛ عائشة وسودة وحفصة وأم سَلَمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وجويرية وصفية وميمونة وأم شريك.

قلت: وفي صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة امرأة[٥]. والمشهور أن أم شريك لم يدخل بها كما سيأتي بيانه، ولكن المراد بالإحدى عشرة اللاتي كان يطوف عليهن التسع المذكورات، والجاريتان مارية وريحانة. وروى يعقوب بن سفيان الفسوي عن الحجّاج بن أبي منيع، عن جدّه عُبَيد اللّه بن أبي زياد الرصافي، عن الزهري ـ وقد علقه البخاري في صحيحه[٦] عن الحجّاج هذا ـ وأورد له الحافظ

---

(١) في هامش الأصل: قوله: ريحانة بنت شمعون غلط. أقول: سيأتي أنها بنت زيد فليحرر تأمل.
(٢) سقط في ط.
(٣) في هامش الأصل وبالتيمورية ورواه بجير بن كثير عن قتادة عن أنس والأول أصح.
(٤) الذي في ابن هشام: أنهما أسماء بنت النعمان الكندية. وجد بها بياضاً فمتعها وأرجعها إلى أهلها، وعمرة بنت يزيد الكلابية وهي التي استعاذت منه.
(٥) أخرجه البخاري في الغسل باب ٢٤.
(٦) في ط: صحبه.

ابن عساكر طرفاً عنه أن أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَي، زوّجه إياها أبوها قبل البعثة. وفي رواية قال الزهري: وكان عمر رسول الله ﷺ يوم تزوّج خديجة إحدى وعشرين سنة، وقيل خمساً وعشرين سنة، زمان بنيت الكعبة. وقال الواقدي: وزاد ولها خمس وأربعون سنة. وقال آخرون من أهل العلم: كان عمره عليه السَّلام يومئذ ثلاثين سنة. وعن حكيم بن حزام. قال: كان عمر رسول الله يوم تزوّج خديجة خمساً وعشرين سنة. وعمرها أربعون سنة. وعن ابن عبّاس كان عمرها ثمانياً وعشرين سنة. رواهما ابن عساكر. وقال ابن جُرَيْج: كان عليه السَّلام ابن سبع وثلاثين سنة، فولدت له القاسم وبه كان يكنى والطيب والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

قلت: وهي أم أولاده كلّهم سوى إبراهيم، فمن مارية كما سيأتي بيانه. ثم تكلّم على كل بنت من بنات رسول الله ﷺ ومن تزوّجها، وحاصله: أن زينب تزوجها العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو ابن أخت خَدِيجة، أمّه هالة بنت خُوَيلد، فولدت له ابناً اسمه عليّ، وبنتاً اسمها أمامة بنت زينب، وقد تزوّجها عليّ بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة، ومات وهي عنده، ثم تزوّجت بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب. وأما رقية فتزوّجها عثمان بن عفّان فولدت له ابنه عبد اللّه وبه كان يكنى أولاً، ثم اكتنى بابنه عمرو، وماتت رقية ورسول الله ﷺ ببدر، ولما قدم زيد بن حارثة بالبشارة وجدهم قد ساووا التراب عليها، وكان عثمان قد أقام عندها يمرضها، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره. ثم زوّجه بأختها أم كلثوم، ولهذا كان يقال له ذو النورين، فتوفيت عنده أيضاً في حياة رسول الله ﷺ، وأما فاطمة فتزوّجها ابن عمه عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب، فدخل بها بعد وقعة بدر كما قدمنا، فولدت له حَسَناً وبه كان يكنى، وحُسَيناً وهو المقتول شهيداً بأرض العراق.

قلت: ويقال ومُحْسِناً. قال: وزينب وأم كلثوم، وقد تزوّج زينب هذه ابن عمها عبد اللّه ابن جعفر، فولدت له عليّاً وعوناً وماتت عنده، وأما أم كلثوم، فتزوّجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فولدت له زيداً، ومات عنها، فتزوّجت بعده ببني عمّها جعفر واحداً بعد واحد، تزوّجت بعون بن جعفر، فمات عنها، فخلف عليها أخوه محمّد، فمات عنها، فخلف عليها أخوهما عبد اللّه بن جعفر فماتت عنده. قال الزهري: وقد كانت خديجة بنت خويلد تزوّجت قبل رسول الله ﷺ برجلين؛ الأول منهما عتيق بن عابد[١] بن مخزوم فولدت منه جارية وهي أم محمّد بن صيفي، والثاني أبو هالة التميمي فولدت له هند بن هند[٢] وقد سمّاه ابن إسحاق فقال: ثم خلف عليها بعد هلاك عابد أبو هالة النبّاش بن زرارة، أحد بني عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له رجلاً وامرأة، ثم هلك عنها، فخلف عليها رسول الله ﷺ

---

(١) في رواية ابن هشام ١/٢٣٩): عابد، كما هنا. وفي الروض الأنف للسهيلي (٢٦٧/٤): عائذ، وسمي أبا هالة: هند بن زرارة بن النباش. وقال: وقيل بل أبو هالة هو زرارة، وقال: ولد له ابنة هند وزينب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة. وأبو هالة أيضاً اسمه هند، صحابي وراوي حديث صفة النبي ﷺ.

فولدت له بناته الأربع، ثم بعدهنّ القاسم والطيّب والطاهر، فذهب الغلمة جميعاً وهم يرضعون.

قلت: ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ مدّة حياتها امرأة، كذلك رواه عبد الرزّاق عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت ذلك[1]. وقد قدّمنا تزويجها في موضعه، وذكرنا شيئاً من فضائلها بدلائلها. قال الزهري: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة بعائشة بنت أَبي بكر، عبد الله بن أَبي قحافة، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ولم يتزوج بكراً غيرها.

قلت: ولم يولد له منها ولد، وقيل بل أسقطت منه ولداً سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، ولهذا كانت تكنى بأم عبد الله، وقيل إنما كانت تكنى بعبد الله ابن أختها أسماء من الزُبَيْر بن العوّام رضي الله عنهم.

قلت: وقد قيل إنه تزوّج سَودة قبل عائشة، قاله ابن إسحاق وغيره كما قدمنا ذكر الخلاف في ذلك فالله أعلم. وقد قدمنا صفة تزويجه عليه السّلام بهما قبل الهجرة، وتأخّر دخوله بعائشة إلى ما بعد الهجرة، قال: وتزوج حَفْصة بنت عمر بن الخطّاب، وكانت قبله تحت خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، مات عنها مؤمناً. قال: وتزوج أم سَلَمة هند بنت أَبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم وكانت قبله تحت ابن عمها أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قال: وتزوج سَودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ، وكانت قبله تحت السكران ابن عمرو أخي سهيل بن عمرو بن عبد شمس، مات عنها مسلماً بعد رجوعه وإياها من أرض الحبشة إلى مكة رضي الله عنهما، قال: وتزوج أم حَبيبة رَمْلة بنت أَبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وكانت قبله تحت عبد الله[2] بن جحش بن رئاب من بني أسد بن خزيمة مات بأرض الحبشة نصرانياً، بعث إليها رسول الله عمرو بن أمية الضَمري إلى أرض الحبشة فخطبها عليه فزوّجها منه عثمان بن عفّان، كذا قال والصواب عثمان بن أَبي العاص وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وبعث بها مع شرحبيل ابن حسنة، وقد قدمنا ذلك كلّه مطولاً ولله الحمد. قال وتزوج [زينب] بنت جحش بن رئاب بن أسد بن خزيمة، وأمها [أميمة][3] بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام، وهي أول نسائه لحوقاً به، وأول من عمل عليها النعش، صنعته أسماء بنت عُمَيْس عليها، كما رأت ذلك بأرض الحبشة، قال وتزوّج زينب بنت خُزَيْمة وهي من بني [عبد][4] مناف بن هلال بن عامر بن

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٧٧.

(٢) رواية ابن هشام: عبيد الله وهي الأصح.

(٣) سقط في ط.

(٤) سقط في ط.

صعصعة، ويقال لها: أم المساكين، وكانت قبله تحت عبد اللّه بن جحش بن رئاب، قتل يوم أحد، فلم تلبث عنده[١] عليه السَّلام إلاَّ يسيراً حتى توفيت رضي الله عنها، وقال يونس عن محمّد بن إسحاق: كانت قبله عند الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، أو عند أخيه الطفيل بن الحارث. قال الزهري: وتزوّج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد اللّه بن هلال بن عامر بن صعصعة قال: وهي التي وهبت نفسها[٢].

قلت: الصحيح أنه خطبها وكان السفير بينهما أبو رافع مولاه، كما بسطنا ذلك في عمرة القضاء. قال الزهري: وقد تزوّجت قبله رجلين أولهما ابن عبد ياليل، وقال سيف بن عمر في روايته: كانت تحت عُمَير بن عمرو، أحد بني عقدة بن ثقيف بن عمرو الثقفي، مات عنها، ثم خلف عليها أبو رَهْم بن عبد العزّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤي[٣]. قال: وَسَبى رسول الله ﷺ جُوَيْرِيّة بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عامر ابن مالك بن المصطلق من خزاعة، يوم الـمُرَيْسِيع فأعتقها وتزوّجها، ويقال: بل قدم أبوها الحارث، وكان ملك خزاعة فأسلم ثم تزوّجها منه، وكانت قبله عند ابن عمها صفوان بن أبي السفر قال قتادة عن سعيد بن المسيب والشعبي ومحمّد بن إسحاق وغيرهم قالوا: وكان هذا البطن من خزاعة حلفاء لأبي سفيان على رسول الله ﷺ. ولهذا يقول حسّان:

وحِلْفُ الحارث بن أبي ضرار وحِلْفُ قُرَيْظَة فيكم سَوَاءُ

وقال سيف بن عمر في روايته عن سعيد بن عبد اللّه، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: وكانت جويرية تحت ابن عمها مالك بن صفوان بن تولب ذي الشفر بن أبي السرح بن مالك بن المصطلق. قال: وسبى صفيّة بنت حُيي بن أخطب، من بني النّضير يوم خَيْبر، وهي عروس بكنانة بن أبي الحقيق، وقد زعم سيف بن عمر في روايته أنها كانت قبل كنانة عند سلاّم ابن مَشْكم فالله أعلم. قال: فهذه إحدى عشرة امرأة دخل بهنّ، قال: وقد قسم عمر بن الخطاب في خلافته لكل امرأة من أزواج النّبيّ ﷺ اثنا عشر ألفاً، وأعطى جُوَيْرِيّة وصفيّة ستة آلاف ستة آلاف، بسبب أنهما سبيتا. قال الزهري: وقد حجبهما رسول الله ﷺ وقسم لهما.

قلت: وقد بسطنا الكلام فيما تقدم في تزويجه عليه السَّلام كل واحدة من هذه النسوة رضي الله عنهن في موضعه.

قال الزهري: وقد تزوّج العالية بنت ظبيان بن عمرو من بني بكر بن كلاب، ودخل بها وطلقها. قال البيهقي: كذا في كتابي، وفي رواية غيره ولم يدخل بها فطلّقها. وقد قال محمّد ابن سعد عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبي، حدَّثني رجل من بني أبي بكر بن كلاب أن

---

(١) في ط: عنهد.

(٢) رواية ابن هشام: وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها.

(٣) ولم يذكر ابن إسحاق غير أبي رهم فقط.

رسول الله ﷺ تزوج العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أَبي بكر بن كلاب فمكثت عنده دهراً ثم طلقها، وقد روى يعقوب بن سفيان عن حجّاج بن أَبي منيع، عن جدّه، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن الضحّاك بن سفيان الكلابي هو الذي دلّ رسول الله ﷺ عليها، وأنا أسمع من وراء الحجاب، قال: يا رسول الله هل لك في أخت أمّ شبيب، وأمّ شبيب امرأة الضحّاك، وبه قال الزهري. تزوّج رسول الله ﷺ امرأة من بني عمرو بن كلاب فأنبىء أن بها بياضاً، فطلّقها ولم يدخل بها.

قلت: الظاهر أن هذه هي التي قبلها والله أعلم. قال: وتزوج أخت بني الجون الكندي[1] وهم حلفاء بني فزارة فاستعاذت منه فقال: «لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك» فطلّقها ولم يدخل بها. قال: وكانت لرسول الله ﷺ سريّة يقال لها مارية، فولدت له غلاماً اسمه إبراهيم، فتوفي وقد ملأ المهد، وكانت له وليدة يقال لها: ريحانة بنت شمعون من أهل الكتاب من خنافة، وهم بطن من بني قريظة أعتقها رسول الله ﷺ، ويزعمون أنها قد احتجبت. وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن عليّ بن مجاهد: أن رسول الله تزوّج خولة بنت الهذيل بن هُبَيْرة التغلبي، وأمها خرنق بنت خليفة أخت دحية بن خليفة، فحملت إليه من الشام، فماتت في الطريق، فتزوّج خالتها شراف بنت فضالة بن خليفة فحملت إليه من الشام فماتت في الطريق أيضاً. وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء بنت كعب الجونية فلم يدخل بها حتى طلّقها، وتزوّج عمرة بنت زيد، إحدى نساء بني كلاب، ثم من بني الوحيد، وكانت قبله عند الفضل بن عبّاس بن عبد المطلب، فطلّقها ولم يدخل بها. قال البيهقي: فهاتان هما اللتان ذكرهما الزهري ولم يسمّهما، إلاّ أن ابن إسحاق لم يذكر العالية. وقال البيهقي: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، أنبأنا أحمد بن عبد الجبَّار عن يونس بن بكير، عن زكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي قال: وهبن لرسول الله ﷺ نساء أنفسهنّ، فدخل ببعضهنّ وأرجىء بعضهن، فلم يقربهنّ حتى توفي، ولم ينكحنّ بعده، منهنّ أم شريك، فذلك قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [سورة الأحزاب: ٥١]. قال البيهقي: وقد روينا عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: كانت خولة ـ يعني بنت حكيم ـ ممن وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ. وقال البيهقي: وروينا في حديث أبي رشيد الساعدي في قصة الجونية التي استعاذت فألحقها بأهلها، أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شراحيل، كذا قال. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن عبد اللّه الزبيري، ثنا عبد الرَّحمٰن ابن الغسيل، عن حمزة بن أبي أسيد، عن أبيه وعبّاس بن سهل، عن أبيه قالا: مرّ بنا النبيّ ﷺ وأصحاب له، فخرجنا معه حتى انطلقنا إلى حائط يقال له: الشوط، حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما، فقال رسول الله ﷺ: «اجلسوا» ودخل هو وقد أتي بالجونية فعزلت في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعها داية لها، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ قال: «هبي لي

---

(١) وقد سماها السهيلي في الروض الأنف (٢٦٨/٤): أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية، وقال: اتفقوا على تزويج النبي ﷺ إياها واختلفوا في سبب فراقه لها.

نفسك»؛ قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، وقالت: إني أعوذ بالله منك، قال: «لقد عذت بمعاذ». ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أَسَيد اكسها دراعتين، وألحقها بأهلها». وقال غير أَبي أَحمد: امرأة من بني الجون يقال لها: أمينة[١]. وقال البخاري: حدّثنا أبو نعيم، ثنا عبد الرَّحمٰن بن الغسيل، عن حمزة بن أبي أُسيد، عن أَبي أُسيد قال: خرجنا مع رسول الله حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط، حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما فقال: «اجلسوا ها هنا» فدخل وقد أتى بالجونية فأنزلت في محل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل، ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ. قال: «هبي لي نفسك». قالت: وهل تهب الملكة نفسها لسوقة؟! قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك. قال: «لقد عذت بمعاذ». ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أسيد أكسها رازقتين وألحقها بأهلها»[٢]. قال البخاري، وقال الحسين بن الوليد، عن عبد الرَّحمٰن بن الغسيل، عن عبّاس بن سهل، عن أبيه، وأَبي أسيد. قالا: تزوج النّبيّ ﷺ أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك. فأمر أبا أسيد أن يجهّزها ويكسوها ثوبين رازقتين[٣]. ثم قال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، ثنا إبراهيم بن الوزير، ثنا عبد الرَّحمٰن بن حمزة عن أبيه، وعن عباس بن سهل ابن سعد، عن أبيه بهذا. انفرد البخاري بهذه الروايات من بين أصحاب الكتب. وقال البخاري: ثنا الحميدي، ثنا الوليد، ثنا الأوزاعي: سألت الزهري أي أزواج النّبيّ ﷺ استعاذت منه؟ فقال: أخبرني عروة عن عائشة، أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك»[٤] وقال ورواه حجّاج بن أَبي منيع عن جدّه، عن الزهري: أن عروة أخبره أن عائشة قالت، الحديث، انفرد به دون مسلم. قال البيهقي: ورأيت في كتاب المعرفة لابن منده أن اسم التي استعاذت منه أميمة بنت النعمان بن شراحيل. ويقال فاطمة بنت الضحّاك، والصحيح أنها أميمة والله أعلم. وزعموا أن الكلابية اسمها عمرة وهي التي وصفها أبوها بأنها لم تمرض قط، فرغب عنها رسول الله ﷺ. وقد روى محمّد بن سعد عن محمّد بن عبد اللّه، عن الزهري. قال: هي فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان، استعاذت منه فطلّقها، فكانت تلقط البعر وتقول: أنا الشقيّة. قال: وتزوجها في ذي القعدة سنة ثمان، وماتت سنة ستين. وذكر يونس عن ابن إسحاق فيمن تزوّجها عليه السَّلام ولم يدخل بها: أسماء بنت كعب الجونية، وعمرة بنت يزيد الكلابية. وقال ابن عبّاس وقتادة: أسماء بنت النعمان بن أبي الجون فالله أعلم. قال ابن عبّاس: لما استعاذت منه خرج من عندها مغضباً، فقال له الأشعث: لا يسؤك ذلك يا رسول الله فعندي أجمل منها، فزوّجه أخته قتيلة. وقال غيره: كان ذلك في ربيع سنة تسع. وقال سعيد بن أَبي

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في الطلاق باب ٣.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) أخرجه البخاري في الطلاق باب ٣.

عروبة، عن قتادة: تزوّج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة، فذكر منهن أم شريك الأنصارية النجّارية قال: وقد قال رسول الله ﷺ: «إني لأحب أن أتزوج من الأنصار، ولكني أكره غيرتهنّ» ولم يدخل بها. قال: وتزوّج أسماء بنت الصلت من بني حرام ثم من بني سليم، ولم يدخل بها، وخطب حمزة بنت الحارث المزنية. وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تزوّج رسول الله ثماني عشرة امرأة، فذكر منهنّ قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس، فزعم بعضهم أنه تزوّجها قبل وفاته بشهرين، وزعم آخرون أنه تزوّجها في مرضه. قال: ولم يكن قدمت عليه ولا رآها ولم يدخل بها. قال وزعم آخرون أنه عليه السّلام أوصى أن تخيّر قتيلة فإن شاءت يضرب عليها الحجاب وتحرّم على المؤمنين، وإن شاءت فلتنكح من شاءت، فاختارت النكاح فتزوّجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: لقد هممت أن أحرق عليهما. فقال عمر بن الخطاب: ما هي من أمهات المؤمنين، ولا دخل بها، ولا ضُرِب عليها الحجاب. قال أبو عبيدة: وزعم بعضهم أن رسول الله ﷺ لم يوص فيها بشيء، وأنها ارتدتَ بعده، فاحتجّ عمر على أبي بكر بارتدادها أنها ليست من أمّهات المؤمنين. وذكر ابن منده أن التي ارتدّت هي البرحاء من بني عوف بن سعد بن ذبيان. وقد روى الحافظ ابن عساكر من طرق عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تزوّج قتيلة أخت الأشعث بن قيس، فمات قبل أن يخيّرها فبرأها الله منه. وروى حمّاد ابن سَلَمة عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: أن عكرمة بن أبي جهل لما تزوّج قتيلة أراد أبو بكر أن يضرب عنقه، فراجعه عمر بن الخطاب فقال: إن رسول الله ﷺ لم يدخل بها، وأنها ارتدت مع أخيها، فبرئت من الله ورسوله. فلم يزل به حتى كفّ عنه. قال الحاكم: وزاد أبو عبيدة في العدد فاطمة بنت شريح، وسبأ[1] بنت أسماء بن الصلت السلمية. هكذا روى ذلك ابن عساكر من طريق ابن منده بسنده عن قتادة فذكره. وقال محمّد بن سعد عن ابن الكلبي مثل ذلك. قال ابن سعد: وهي سبأ.

قال ابن عساكر: ويقال سبأ بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمّاك ابن عوف السلمي. قال ابن سعد: وأَخْبَرَنا هشام بن محمّد بن السائب الكلبي: حدّثني العرزمي عن نافع، عن ابن عمر قال: كان في نساء رسول الله ﷺ سبأ بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب. وقال ابن عمر: إن رسول الله بعث أبا أسيد يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها: عمرة بنت يزيد بن عُبَيد بن كلاب، فتزوّجها، فبلغه أن بها بياضاً فطلّقها. وقال محمّد بن سعد عن الواقدي: حدّثني أبو معشر. قال: تزوج رسول الله مليكة بنت كعب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت: ألا تستحين أن تنكحي قاتل أبيك؟ فاستعاذت منه فطلّقها، فجاء قومها فقالوا: يا رسول الله إنها صغيرة ولا رأي لها، وإنها خدعت فارتجعها، فأبى. فاستأذنوه أن يزوّجوها بقريب لها من بني عُذْرة فأذِن لهم، قال: وكان أبوها قد قتله خالد بن الوليد يوم الفتح. قال الواقدي: وحدّثني عبد العزيز الجندعي عن أبيه، عن

(١) رواية السهيلي: وسنى بنت الصلت، أو سنا بنت أسماء بن الصلت.

عطاء بن يزيد قال: دخل بها رسول الله في رمضان سنة ثمان، وماتت عنده. قال الواقدي: وأصحابنا ينكرون ذلك.

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر، أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد الماهاني، أنبأنا شجاع بن عليّ بن شجاع، أنبأنا أبو عبد الله بن منده، أنبأنا الحسن بن محمّد بن حكيم المروزي، ثنا أبو الموجه محمّد بن عمرو بن الموجه الفزاري، أنبأنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري قال: تزوّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خُوَيْلد بن أسد بمكة، وكانت قبله تحت عتيق بن عائذ المخزومي، ثم تزوّج بمكة عائشة بنت أبي بكر، ثم تزوج بالمدينة حَفصة بنت عمر، وكانت قبله تحت خُنَيس بن حذافة السهمي، ثم تزوج سودة بنت زمعة، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو، أخي بني عامر بن لؤي، ثم تزوّج أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قبله تحت عُبَيد الله بن جحش الأسدي أحد بني خزيمة، ثم تزوّج أم سَلَمة بنت أبي أمية وكان اسمها هند، وكانت قبله تحت أبي سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد العزى، ثم تزوج زينب بنت خُزَيمة الهلالية، وتزوج العالية بنت ظبيان من بني بكر بن عمرو بن كلاب، وتزوّج امرأة من بني الجون من كندة، وسبا جويرية - في الغزوة التي هدم فيها مناة غزوة المُرَيْسيع - ابنة الحارث بن أبي ضرار من بني المصطلق من خزاعة، وسبا صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير وكانتا مما أفاء الله عليه فقسمهما له، واستسر مارية القبطية، فولدت له إبراهيم، واستسر ريحانة من بني قريظة، ثم أعتقها فلحقت بأهلها، واحتجبت وهي عند أهلها، وطلّق رسول الله ﷺ العالية بنت ظبيان، وفارق أخت بني عمرو بن كلاب، وفارق أخت بني الجون الكندية من أجل بياض كان بها، وتوفّيت زينب بنت خُزَيمة الهلالية ورسول الله ﷺ حيّ، وبلغنا أن العالية بنت ظبيان التي طلّقت تزوّجت قبل أن يحرّم الله النساء، فنكحت ابن عمّ لها من قومها وولدت فيهم. سقناه بالسند لغرابة ما فيه من ذكره تزويج سودة بالمدينة، والصحيح أنه كان بمكة قبل الهجرة كما قدمناه والله أعلم.

قال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق؛ قال: فماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ بثلاث سنين، لم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت هي وأبو طالب في سنة، فتزوّج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة، ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبي بكر لم يتزوج بكراً غيرها، ولم يصب منها ولداً حتى مات، ثم تزوّج بعد عائشة حَفْصة بنت عمر، ثم تزوّج بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، ثم تزوّج بعدها أم حبيبة بنت أبي سفيان، ثم تزوج بعدها أم سَلَمة هند بنت أبي أمية؛ ثم تزوّج بعدها زينب بنت جحش، ثم تزوّج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، قال: ثم تزوج بعد جويرية صفيّة بنت حيي بن أخطب، ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية. فهذا الترتيب أحسن وأقرب مما رتّبه الزهري والله أعلم. وقال يونس بن بكير، عن أبي يَحْيَىٰ، عن جميل بن زيد الطائي، عن سهل بن زيد الأنصاري قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بني غفار، فدخل بها، فأمرها فنزعت ثوبها، فرأى بها بياضاً من برص عند ثدييها، فانماز رسول الله ﷺ وقال: «خذي ثوبك» وأصبح فقال

لها: «الحقي بأهلك» فأكمل لها صداقها [وقد رواه أبو نعيم من حديث حميل بن زيد، عن سهل بن زيد الأنصاري، وكان ممن رأى النّبيّ ﷺ قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من غفار فذكر مثله.

قلت: وممن تزوّجها ﷺ ولم يدخل بها أم شريك الأزدية. قال الواقدي: والمثبت أنها دَوْسية وقيل الأنصارية، ويقال: عامرية، وأنها خولة بنت حكيم السلمي. وقال الواقدي: اسمها غزية بنت جابر بن حكيم. قال محمّد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم، عن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه قال: كان جميع ما تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة، منهنّ أم شريك الأنصارية وهبت نفسها للنبي ﷺ. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: وتزوّج أم شريك الأنصارية من بني النجّار. وقال: «إني أحب أن أتزوج من الأنصار لكني أكره غيرتهن» ولم يدخل بها. وقال ابن إسحاق عن حكيم، عن محمّد ابن عليّ، عن أبيه قال: تزوّج ﷺ ليلى بنت الحطيم الأنصارية، وكانت غيوراً فخافت نفسها عليه فاستقالته فأقالها][1].

فصل فيمن خطبها عليه السَّلام ولم يعقد عليها

قال إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، عن أم هانىء فاختة بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ خطبها فذكرت أن لها صبية صغاراً فتركها، وقال: «خير نساء ركبن الإبل، صالح نساء قريش، أحناه على ولد طفل في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده» [وقال عبد الرزّاق عن معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خطب أم هانىء بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال. وقال الترمذي: حدّثنا عبد بن حميد، حدّثنا عبد الله بن موسى، حدّثنا إسرائيل عن السدي، عن أبي صالح، عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني. ثم أنزل الله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٠] الآية. قالت: فلم أكن أحلّ له لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء[2] ثم قال هذا حديث حسن لا نعرفه إلاّ من حديث السدّي، فهذا يقتضي أن من لم تكن من المهاجرات لا تحل له ﷺ. وقد نقل هذا المذهب مطلقاً القاضي الماوردي في تفسيره عن بعض العلماء. وقيل المراد بقوله: ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ أي من القرابات المذكورات. وقال قتادة: ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ أي أسلمن معك، فعلى هذا لا يحرّم عليه إلاّ الكفّار، وتحلّ له جميع المسلمات، فلا ينافي تزويجه من نساء الأنصار إن ثبت ذلك، ولكن لم يدخل بواحدة منهن أصلاً. وأما حكاية الماوردي عن الشعبي: أن زينب بنت خزيمة أم المساكين أنصارية فليس بجيد. فإنها هلالية بلا خلاف كما تقدم بيانه والله أعلم] وروى محمّد بن سعد عن هشام بن الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من التيمورية.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، باب ١، من سورة الأحزاب.

قال: أقبلت ليلى بنت الحطيم إلى رسول الله ﷺ وهو مول ظهره إلى الشمس، فضربت منكبه فقال: «من هذا أكله الأسود» فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الريح، أنا ليلى بنت الحطيم، جئتك لأعرض عليك نفسي تزوجني؟ قال: «قد فعلت» فرجعت إلى قومها فقالت: قد تزوّجت النبيّ ﷺ، فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيرى، ورسول الله صاحب نساء تغارين عليه، فيدعو الله عليك فاستقيليه، فرجعت فقالت: أقلني يا رسول الله. فأقالها. فتزوّجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له، فبينما هي يوماً تغتسل في بعض حيطان المدينة إذ وثب عليها ذئب أسود فأكل بعضها، فماتت. وبه عن ابن عباس: أن ضباعة بنت عامر بن قرط، كانت تحت عبد اللّه بن جدعان فطلقها فتزوّجها بعده هشام بن المغيرة، فولدت له سلمة، وكانت امرأة ضخمة جميلة لها شعر غزير يجلل جسمها، فخطبها رسول الله من ابنها سلمة، فقال: حتى استأمرها؟ فاستأذنها فقالت: يا بني أفي رسول الله ﷺ تستأذن؟ فرجع ابنها فسكت ولم يرد جواباً، وكأنه رأى أنها قد طعنت في السن، وسكت النبيّ ﷺ عنها. وبه عن ابن عبّاس قال: خطب رسول الله ﷺ صفية بنت بشامة بن نضلة العنبري، وكان أصابها سبي فخيّرها رسول الله فقال: «إن شئت أنا وإن شئت زوجك» فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلعنتها بنو تميم. وقال محمّد بن سعد: أنبأنا الواقدي، ثنا موسى بن محمّد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي قد وهبت نفسها من رسول الله، فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت؟ قال محمّد بن سعد: وأنبأنا وكيع عن شريك، عن جابر، عن الحكم، عن عليّ بن الحسين أن رسول الله ﷺ تزوج أم شريك الدوسية. قال الواقدي: الثبت عندنا أنها من دَوْس من الأزد. قال محمّد بن سعد: واسمها غزية بنت جابر بن حكيم. وقال الليث بن سعد: عن هشام بن محمّد عن أبيه قال متحدث: أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت امرأة صالحة.

ومِمن خطبها ولـم يعقد عليها حمزة بنت الحارث بن عون بن أَبي حارثة المري، فقال أبوها: إن بها سوءاً ـ ولـم يكن بها ـ فرجع إليها وقد تبرّصت وهي أم شبيب ابن البرصاء الشاعر، هكذا ذكره سعيد بن أَبي عروبة عن قتادة. قال: وخطب حبيبة بنت العبّاس بن عبد المطلب فوجد أباها أخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أَبي لهب فهؤلاء نساؤه وهن ثلاثة أصناف؛ صنف دخل بهن ومات عنهن، وهنّ التسع المبدأ بذكرهن، وهنّ حرام على الناس بعد موته عليه السّلام بالإجماع المحقق المعلوم من الدين ضرورة، وعدّتهن بانقضاء أعمارهن. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣] وصنف دخل بهنّ وطلّقهن في حياته، فهل يحل لأحد أن يتزوجهنّ بعد انقضاء عدتهن منه عليه السلام؟ فيه قولان للعلماء، أحدهما لا لعموم الآية التي ذكرناها. والثاني نعم بدليل آية التخيير وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩] قالوا:

فلولا أنها تحلّ لغيره أن يتزوجها بعد فراقه إياها لم يكن في تخييرها بين الدنيا والآخرة فائدة، إذ لو كان فراقه لها لا يبحها لغيره لم يكن فيه فائدة لها، وهذا قوي والله تعالى أعلم. وأما الصنف الثالث وهي من تزوّجها وطلّقها قبل أن يدخل بها، فهذه تحلّ لغيره أن يتزوّجها، ولا أعلم في هذا القسم نزاعاً، وأما من خطبها ولم يعقد عقده عليها، فأولى لها أن تتزوج، وأولى. وسيجيء فصل في كتاب الخصائص يتعلق بهذا المقام والله أعلم.

فصل في ذكر سراريه عليه السَّلام

كانت له عليه السَّلام سريتان، إحداهما: مارية بنت شمعون القبطية، أهداها له صاحب اسكندرية واسمه جُرَيْج بن مينا، وأهدى معها أختها شيرين وذكر أبو نعيم أنه أهداها في أربع جواري والله أعلم وغلاماً خصياً اسمه مابور، وبغلة يقال لها: الدلدل فقبل هديته، واختار لنفسه مارية، وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها: حفن من كورة انصنا، وقد وضع عن أهل هذه البلدة معاوية بن أبي سفيان في أيام إمارته الخراج إكراماً لها من أجل أنها حملت من رسول الله ﷺ بولد ذكر، وهو إبراهيم عليه السَّلام، قالوا: وكانت مارية جميلة بيضاء، أعجب بها رسول الله ﷺ وأحبّها، وحظيت عنده، ولا سيما بعد ما وضعت إبراهيم ولده. وأما أختها شيرين فوهبها رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسّان، وأما الغلام الخصي وهو مابور، فقد كان يدخل على مارية وشيرين بلا إذن كما جرت به عادته بمصر، فتكلّم بعض الناس فيها بسبب ذلك، ولم يشعروا أنه خصيّ حتى انكشف الحال على ما سنبيّنه قريباً إن شاء الله، وأما البغلة فكان عليه السلام يركبها، والظاهر والله أعلم أنها التي كان راكبها يوم حنين. وقد تأخرت هذه البغلة. وطالت مدّتها حتى كانت عند عليّ بن أبي طالب في أيام إمارته، ومات فصارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكبرت حتى كان يجش[1] لها الشعير لتأكله.

قال أبو بكر بن خزيمة: حدّثنا محمّد بن زياد بن عُبَيد الله، أنبأنا سفيان بن عيينة عن بشير بن المهاجر، عن عبد الله بن بريدة بن الخصيب، عن أبيه قال: أهدى أمير القبط إلى رسول الله جاريتين أختين، وبغلة فكان يركب البغلة بالمدينة، واتخذ إحدى الجاريتين، فولدت له إبراهيم ابنه، ووهب الأخرى.

وقال الواقدي: حدّثنا يعقوب بن محمّد بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرّحمٰن بن أبي صعصعة قال: كان رسول الله ﷺ يعجب بمارية القبطية، وكانت بيضاء جعدة جميلة، فأنزلها وأختها على أم سُلَيم بنت ملحان، فدخل عليهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلمتا هناك، فوطىء مارية بالملك، وحولها إلى مال له بالعالية، كان من أموال بني النّضير، فكانت فيه في الصيف، وفي خرافة النخل. فكان يأتيها هناك، وكانت حسنة الدين، ووهب

(١) يجش: يطحن.

أختها شيرين لحسّان بن ثابت فولدت له عبد الرَّحمٰن، وولدت مارية لرسول الله ﷺ غلاماً سمّاه إبراهيم، وعق عنه بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه وتصدّق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن في الأرض، وسمّاه إبراهيم، وكانت قابلتها سَلمى مولاة رسول الله ﷺ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاماً، فجاء أبو رافع إلى رسول الله فبشّره فوهب له عقداً، وغار نساء رسول الله ﷺ واشتدّ عليهن حين رزق منها الولد. وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني عن أبي عُبَيْد القاسم بن إسماعيل، عن زياد بن أيوب، عن سعيد بن زكريا المدائني، عن ابن أبي سارة، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لما ولدت مارية قال رسول الله ﷺ: **«اعتقها ولدها»**[1]. ثم قال الدارقطني: تفرّد به زياد بن أيوب، وهو ثقة. وقد رواه ابن ماجه من حديث حسين بن عبد الله بن عُبَيد اللّه بن عبّاس، عن عكرمة، عن ابن عباس بمثله. ورويناه من وجه آخر. وقد أفردنا لهذه المسألة وهي بيع أمهات الأولاد مصنّفاً مفرداً على حدته، وحكينا فيه أقوال العلماء بما حاصله يرجع إلى ثمانية أقوال، وذكرنا مستند كل قول ولله الحمد والمنة. وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق، عن إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب قال: أكثروا على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها يزورها، ويختلف إليها، فقال رسول الله ﷺ: **«خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقتله»** قال: قلت: يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحمّاة لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال رسول الله ﷺ: **«بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»** فأقبلت متوشحاً السيف فوجدته عندها، فاخترطت السيف، فلما رآني عرف أني أريده، فأتى نخلة فرقي فيها، ثم رمى بنفسه على قفاه، ثم شال رجليه فإذا به أجبّ أمسح، ما له مما للرجال، لا قليل ولا كثير، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: **«الحمد لله الذي صرف عنّا أهل البيت»**.

وقال الإمام أحمد[2]: حدّثنا يَحْيَىٰ بن سعيد، ثنا سفيان، حدّثني محمّد بن عمر بن عليّ ابن أبي طالب، عن عليّ قال: قلت يا رسول الله إذا بعثتني أكون كالسكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: **«الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»** هكذا رواه مختصراً. وهو أصل الحديث الذي أوردناه وإسناده رجال ثقات. [وقال الطبراني: حدّثنا محمّد بن عمرو بن خالد الحراني، حدّثنا أبي، حدّثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وعقيل، عن الزهري، عن أنس قال: لما ولدت مارية إبراهيم كاد أن يقع في النبيّ ﷺ منه شيء، حتى نزل جبريل عليه السَّلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم. وقال أبو نعيم: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، حدّثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدّثنا محمّد بن يَحْيَىٰ الباهلي، حدّثنا يعقوب بن محمّد عن رجل سماه، عن الليث بن سعد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أهدى ملك من بطارقة الروم يقال له المقوقس جارية قبطية من بنات الملوك، يقال لها: مارية، وأهدى معها ابن عم لها شاباً،

(١) أخرجه ابن ماجه في العتق باب ٢.
(٢) المسند ١/ ٨٣.

فدخل رسول الله ﷺ منها ذات يوم يدخل خلوته، فأصابها فحملت بإبراهيم، قالت عائشة: فلما استبان حملها جزعت من ذلك، فسكت رسول الله ﷺ، فلم يكن لها لبن، فاشترى لها ضأنة لبوناً تغذي منها الصبي، فصلح إليه جسمه وحسن لونه، وصفا لونه، فجاءته ذات يوم تحمله على عاتقها فقال: «يا عائشة كيف ترين الشبه؟» فقلت أنا وغيري: ما أرى شبهاً، فقال: «ولا اللحم؟» فقلت: لعمري من تغذى بألبان الضأن ليحسن لحمه]. قال الواقدي: ماتت مارية في المحرم سنة خمس عشرة، فصلى عليها عمر ودفنها في البقيع، وكذا قال المفضل بن غسان الغلابي. وقال خليفة وأبو عُبَيْدة ويعقوب بن سفيان: ماتت سنة ست عشرة رحمها الله.

ومنهنّ ريحانة بنت زيد من بني النّضير ويقال: من بني قريظة. قال الواقدي: كانت ريحانة بنت زيد من بني النّضير، ويقال من بني قريظة. قال الواقدي: كانت ريحانة بنت زيد من بني النّضير، وكانت مزوّجة فيهم، وكان رسول الله ﷺ قد أخذها لنفسه صفياً، وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله ﷺ أن تسلم فأبت إلاّ اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه، فأرسل إلى ابن شعبة[1] فذكر له ذلك فقال ابن شعبة: فداك أبي وأمي هي تسلم، فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها: لا تتبعي قومك فقد رأيت ما أدخل عليهم حُيي بن أخطب فأسلمي يصطفيك رسول الله ﷺ لنفسه، فبينا رسول الله ﷺ في أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال: «إن هاتين لنعلا ابن شعبة يبّشرني بإسلام ريحانة» فجاء يقول: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فسرّ بذلك. [وقال محمّد بن إسحاق: لما فتح رسول الله ﷺ قريظة اصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه، وكان عرض عليها الإسلام ويتزوجها فأبت إلاّ اليهودية، ثم ذكر من إسلامها ما تقدم] قال الواقدي: فحدَّثني عبد الملك بن سليمان عن أيوب بن عبد الرّحمٰن بن أبي صعصعة، عن أيوب بن بشير المعاوي قال: فأرسل بها رسول الله إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر، فكانت عندها حتى حاضت حيضة، ثم طهرت من حيضها، فجاءت أم المنذر فأخبرت رسول الله، فجاءها في منزل أم المنذر فقال لها: «إن أحببت أن أعتقك وأتزوّجك فعلت، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطأك بالملك فعلت» فقالت: يا رسول الله إن أخف عليك وعليّ أن أكون في ملكك، فكانت في ملك رسول الله ﷺ يطأها حتى ماتت. قال الواقدي: وحدَّثني ابن أبي ذئب. قال: سألت الزهري عن ريحانة فقال: كانت أمة رسول الله فأعتقها وتزوّجها، فكانت تحتجب في أهلها وتقول: لا يراني أحد بعد رسول الله ﷺ. قال الواقدي: وهذا أثبت الحديثين عندنا، وكان زوجها قبله عليه السلام الحَكَم. وقال الواقدي: ثنا عاصم بن عبد اللّه بن الحكم، عن عمر بن الحكم قال: أعتق رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة، وكانت عند زوج لها، وكان محباً لها مكرماً، فقالت: لا أستخلف بعده أحداً أبداً، وكانت ذات جمال. فلما سبيت بنو قريظة، عرض السبي على رسول الله ﷺ، قالت: فكنت فيمن عرض عليه فأمر بي فعزلت، وكان يكون له صفيٌ في كل غنيمة، فلما عزلت خار الله لي، فأرسل بي إلى منزل أم المنذر بنت

---

(١) في الأصل: بدون فقط، وفي الإصابة: ثعلبة بن شعبة، في ابن هشام؛ ابن سعية بالمهملة.

قيس أياماً حتى قتل الأسرى، وفُرّق السّبي، فدخل عليٌّ رسول الله ﷺ فتجنّبت منه حياء، فدعاني فأجلسني بين يديه، فقال: «إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه»، فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله ﷺ وتزوّجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشّاً كما كان يصدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم [لي كما كان يقسم] لنسائه، وضرب عليّ الحجاب. قال: وكان رسول الله ﷺ معجباً بها، وكانت لا تسأله شيئاً إلاّ أعطاها، فقيل لها: لو كنت سألت رسول الله ﷺ بني قريظة لأعتقهم، فكانت تقول: لم يخل بي حتى فرّق السبي، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجّة الوداع. فدفنها بالبقيع. وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة. وقال ابن وهب عن يونس ابن يزيد، عن الزهري قال: واستسر رسول الله ريحانة من بني قريظة، ثم أعتقها فلحقت بأهلها، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كانت ريحانة بنت زيد بن شمعون من بني النّضير. وقال بعضهم: من بني قريظة، وكانت تكون في نخل من نخل الصدقة، فكان رسول الله ﷺ يقيل عندها أحياناً، وكان سباها في شوال سنة أربع. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: ثنا أحمد ابن المقدام، ثنا زهير عن سعيد، عن قتادة قال: كانت لرسول الله وليدتان؛ مارية القبطية وريحة أو ريحانة بنت شمعون بن زيد بن خنافة، من بني عمرو بن قريظة، كانت عند ابن عمّ لها يقال له: عبد الحكم فيما بلغني، وماتت قبل فاة النّبيّ ﷺ.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كانت لرسول الله ﷺ أربع ولائد؛ مارية القبطية، وريحانة القرظية، وكانت له جارية أخرى جميلة فكادها نساؤه وخفن أن تغلبهنّ عليه، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب، وكان هجرها في شأن صفية بنت حيي ذا الحجّة والمحرم وصفر، فلما كان شهر ربيع الأول الذي قبض فيه رضي عن زينب ودخل عليها، فقالت: ما أدري ما أجزيك؟ فوهبتها له ﷺ. وقد روى سيف بن عمر عن سعيد بن عبد الله، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة. أن رسول الله ﷺ كان يقسم لمارية وريحانة مرة، ويتركهما مرة. [وقال أبو نعيم: قال أبو محمّد بن عمر الواقدي: توفيت ريحانة سنة عشرة وصلى عليها عمر بن الخطاب، ودفنها بالبقيع ولله الحمد].

فصل في ذكره أولاده عليه الصلاة والسلام

لا خلاف أن جميع أولاده من خديجة بنت خويلد سوى إبراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية، قال محمّد بن سعد: أنبأنا هشام بن الكلبي: أَخْبَرَني أَبي عن أَبي صالح، عن ابن عباس. قال: كان أكبر ولد رسول الله ﷺ القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، فمات القاسم - وهو أول ميت من ولده بمكة - ثم مات عبد الله فقال العاص ابن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبتر، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر، الآيات: ١ - ٣] قال: ثم ولدت له مارية بالمدينة إبراهيم في ذي الحجّة سنة ثمان من الهجرة، فمات ابن ثمانية عشر شهر.

وقال أَبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري: ثنا عبد الباقي بن نافع، ثنا محمّد بن زكريا، ثنا العبّاس بن بكار، حدَّثني محمّد بن زياد والفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عبّاس قال: ولدت خديجة من النّبيّ ﷺ عبد اللّه بن محمّد، ثم أبطأ عليه الولد من بعده، فبينا رسول الله يكلّم رجلاً والعاص بن وائل ينظر إليه إذ قال له رجل: من هذا؟ قال له: هذا الأبتر. وكانت قريش إذا ولد للرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده، قالوا: هذا الأبتر، فأنزل الله ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أي مبغضك هو الأبتر من كلّ خير. قال: ثم ولدت له زينب، ثم ولدت له رقية، ثم ولدت له القاسم، ثم ولدت الطاهر، ثم ولدت المطهّر، ثم ولدت الطيب، ثم ولدت المطيب، ثم ولدت أم كلثوم، ثم ولدت فاطمة. وكانت أصغرهم، وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه. فلما ولدت فاطمة لم يرضعها غيرها. وقال الهيثم بن عدي: حدّثنا هشام بن عروة عن سعيد بن المسيّب عن أبيه قال: كان للنبي ﷺ ابنان؛ طاهر والطيب. وكان يسمى أحدهما عبد شمس، والآخر عبد العُزّى وهذا فيه نكارة والله أعلم. وقال محمّد بن عائذ: أَخْبَرَني الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز: أن خديجة ولدت القاسم والطيّب والطاهر ومطهّر وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم. وقال الزبير بن بكار: أَخْبَرَني عمي مصعب ابن عبد اللّه قال: ولدت خديجة القاسم والطاهر، وكان يقال له الطيب، وولد الطاهر بعد النبوّة، ومات صغيراً واسمه عبد اللّه، وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم. قال الزبير: وحدَّثني إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أَبي الأسود: أن خديجة ولدت القاسم والطاهر والطيب وعبد اللّه وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم. وحدَّثني محمّد بن فضالة عن بعض من أدرك من المشيخة قال: ولدت خديجة القاسم وعبد اللّه، فأما القاسم فعاش حتى مشى، وأما عبد اللّه فمات وهو صغير. وقال الزبير بن بكار: كانت خديجة تذكر في الجاهلية الطاهرة بنت خُوَيْلد، وقد ولدت لرسول الله ﷺ القاسم وهو أكبر ولده وبه كان يكنى، ثم زينب، ثم عبد اللّه وكان يقال له الطيب، ويقال له الطاهر، ولد بعد النبوة ومات صغيراً. ثم ابنته أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. هكذا الأول فالأول. ثم مات القاسم بمكة - وهو أول ميت من ولده - ثم مات عبد اللّه، ثم ولدت له مارية بنت شمعون إبراهيم وهي القبطية التي أهداها المقوقس صاحب اسكندرية، وأهدى معها أختها شيرين وخصياً يقال له: مابور، فوهب شيرين لحسّان بن ثابت، فولدت له ابنه عبد الرَّحمٰن. وقد انقرض نسل حسّان بن ثابت. وقال أَبو بكر ابن الرقي: يقال: إن الطاهر هو الطيب [وهو عبد اللّه، ويقال: إن الطيب والمطيب ولدا في بطن، والطاهر والمطهر ولدا في بطن. وقال المفضل][(١)] بن غسان عن أَحمد بن حنبل، حدّثنا عبد الرزَّاق، ثنا ابن جريج، عن مجاهد قال: مكث القاسم ابن النبي ﷺ سبع ليال ثم مات، قال المفضل: وهذا خطأ، والصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً. وقال الحافظ أَبو نعيم: قال مجاهد: مات القاسم وله سبعة أيام. وقال الزهري: وهو ابن سنتين. وقال قتادة: عاش حتى مشى. وقال هشام بن عروة: وضع أهل العراق ذكر الطيب والطاهر، فأما مشايخنا فقالوا: عبد

(١) سقط في ط.

العزى وعبد مناف والقاسم، ومن النساء رقية وأم كلثوم وفاطمة. هكذا رواه ابن عساكر وهو منكر، والذي أنكره هو المعروف. وسقط ذكر زينب ولا بد منها والله أعلم. فأما زينب فقال عبد الرزّاق عن ابن جريج، قال لي غير واحد: كانت زينب أكبر بنات رسول الله ﷺ، وكانت فاطمة أصغرهنّ وأحبّهن إلى رسول الله ﷺ وتزوج زينب أبو العاص بن الربيع فولدت منه علياً وأمامة، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة، فإذا سجد وضعها. وإذا قام حملها. ولعل ذلك كان بعد موت أمها سنة ثمان من الهجرة على ما ذكره الواقدي وقتادة وعبد اللّه بن أبي بكر بن حزم وغيرهم، وكأنها كانت طفلة صغيرة فالله أعلم. وقد تزوّجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موت فاطمة على ما سيأتي إن شاء الله؛ وكانت وفاة زينب رضي الله عنها في سنة ثمان. قاله قتادة عن عبد اللّه بن أبي بكر بن حزم، وخليفة بن خياط، وأبو بكر ابن أبي خيثمة وغير واحد. وقال قتادة عن ابن حزم: في أول سنة ثمان. وذكر حمّاد بن سلمة عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنها لما هاجرت دفعها رجل فوقعت على صخرة فأسقطت حملها، ثم لم تزل وَجِعة حتى ماتت. فكانوا يرونها ماتت شهيدة، وأما رقية فكان قد تزوجها أولاً ابن عمّها عتبة بن أبي لهب كما تزوج أختها أم كلثوم، أخوه عتيبة بن أبي لهب، ثم طلّقاهما قبل الدخول بهما بغضة في رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المسد: ١ ـ ٥] فتزوّج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، ويقال: إنه أول من هاجر إليها. ثم رجعا إلى مكة كما قدمنا، وهاجرا إلى المدينة وولدت له ابنه عبد اللّه، فبلغ ست سنين، فنقره ديك في عينيه فمات، وبه كان يكنى أولاً، ثم اكتنى بابنه عمرو، وتوفيت وقد انتصر رسول الله ﷺ ببدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان. ولما أن جاء البشير بالنصر إلى المدينة ـ وهو زيد بن حارثة ـ وجدهم قد ساووا على قبرها التراب، وكان عثمان قد أقام عليها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه وأجره، ولما رجع زوّجه بأختها أم كلثوم أيضاً، ولهذا كان يقال له ذو النورين، ثم ماتت عنده في شعبان سنة تسع، ولم تلد له شيئاً. وقد قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان»** وفي رواية قال رسول الله ﷺ: **«لو كنّ عشراً لزوجتهنّ عثمان»** وأما فاطمة فتزوجها ابن عمها عليّ بن أبي طالب في صفر سنة اثنتين، فولدت له الحسن والحسين، ويقال: ومحسن، وولدت له أم كلثوم وزينب. وقد تزوّج عمر بن الخطاب في أيام ولايته بأم كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب من فاطمة وأكرمها إكراماً زائداً أصدقها أربعين ألف درهم لأجل نسبها من رسول الله ﷺ، فولدت له زيد بن عمر بن الخطاب، ولما قتل عمر بن الخطاب تزوّجها بعده ابن عمّها عون بن جعفر فمات عنها، فخلف عليها أخوه محمّد فمات عنها، فتزوّجها أخوهما عبد اللّه بن جعفر فماتت عنده. وقد كان عبد اللّه بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت عليّ، وماتت عنده أيضاً، وتوفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر على أشهر الأقوال. وهذا الثابت عن عائشة في الصحيح، وقاله الزهري أيضاً، وأبو جعفر الباقر وعن الزهري بثلاثة أشهر. وقال أبو الزبير بشهرين. وقال

أبو بريدة عاشت بعده سبعين من بين يوم وليلة. وقال عمرو بن دينار مكثت بعده ثمانية أشهر. وكذا قال عبد اللّه بن الحارث. وفي رواية عن عمرو بن دينار بأربعة أشهر. وأما إبراهيم فمن مارية القبطية كما قدمنا، وكان ميلاده في ذي الحجّة سنة ثمان. وقد روي عن ابن لهيعة وغيره عن عبد الرّحمٰن بن زياد. قال: لما حبل بإبراهيم أتى جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، إن الله قد وهب لك غلاماً من أم ولدك مارية، وأمرك أن تسمّيه إبراهيم، فبارك الله لك فيه، وجعله قرّة عين لك في الدنيا والآخرة. وروى الحافظ أبو بكر البزار عن محمّد بن مسكين، عن عثمان بن صالح، عن ابن لهيعة، عن عقيل ويزيد بن أبي حبيب، عن الزهري، عن أنس قال: لما ولد للنبي ﷺ ابنه إبراهيم وقع في نفسه منه شيء، فأتاه جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم. وقال أسباط عن السدي، وهو إسماعيل بن عبد الرّحمٰن قال: سألت أنس ابن مالك قلت: كم بلغ إبراهيم ابن النبيّ ﷺ من العمر؟ قال: قد كان ملأ مهده، ولو بقي لكان نبياً ولكن لم يكن ليبق لأن نبيكم ﷺ آخر الأنبياء. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرّحمٰن ابن مهدي، ثنا سفيان عن السدي، عن أنس بن مالك قال: لو عاش إبراهيم ابن النّبيّ ﷺ لكان صدّيقاً نبياً. وقال أبو عبد[1] اللّه بن منده: ثنا محمّد بن سعد ومحمّد بن إبراهيم، ثنا محمّد بن عثمان العبسي، ثنا منجاب، ثنا أبو عامر الأسدي، ثنا سفيان عن السدي، عن أنس قال: توفي إبراهيم ابن النّبيّ ﷺ وهو ابن ستة عشر شهراً. فقال رسول الله: «ادفنوه في البقيع فإن له مرضعاً يتم رضاعه في الجنّة» وقال أبو يعلى: ثنا أبو خيثمة، ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن عمرو بن سعيد، عن أنس قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله، كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة، وكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه ليدخن، وكان ظئره فينا فيأخذه [فيقبّله][2] ثم يرجع. قال عمرو: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله: « إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنّة»[3] وقد روى جرير وأبو عوانة عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح أبي الضحى، عن البراء قال: توفي إبراهيم ابن رسول الله وهو ابن ستة عشر شهراً، فقال: «ادفنوه في البقيع فإن له مرضعاً في الجنّة»[4]. ورواه أحمد من حديث جابر عن عامر، عن البراء. وهكذا رواه سفيان الثوري عن فراس، عن الشعبي، عن البراء بن عازب بمثله. وكذا رواه الثوري أيضاً عن أبي إسحاق، عن البراء وأورد له ابن عساكر من طريق عتاب بن محمّد ابن شوذب عن عبد اللّه ابن أبي أوفى قال: توفي إبراهيم فقال رسول الله: «يرضع بقية رضاعه في الجنّة». وقال أبو يعلى الموصلي: ثنا زكريا ابن يَحْيَىٰ الواسطي، ثنا هشيم عن إسماعيل قال: سألت ابن أبي أوفى ـ أو سمعته يسأل ـ عن إبراهيم ابن النّبيّ ﷺ. فقال: مات وهو صغير، ولو قضي أن يكون بعد النّبيّ ﷺ نبي لعاش.

وروى ابن عساكر من حديث أحمد بن محمّد بن سعيد الحافظ، ثنا عبيد بن إبراهيم الجعفي، ثنا الحسن بن أبي عبد اللّه الفراء، ثنا مصعب بن سلام، عن أبي حمزة الثمالي، عن

(١) في ط: عبيد.
(٢) سقط في ط.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١١٢.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٩٧.

أَبي جعفر محمّد بن عليّ، عن جابر بن عبد اللّه. قال: قال رسول الله ﷺ: «لو عاش إبراهيم لكان نبياً» وروى ابن عساكر من حديث محمّد بن إسماعيل بن سمرة، عن محمّد بن الحسن الأسدي، عن أَبي شيبة، عن أنس قال: لما مات إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه» فجاء فانكب عليه وبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه ﷺ.

قلت: أَبو شيبة هذا لا يتعامل بروايته. ثم روى من حديث مسلم بن خالد الزنجي عن ابن خيثم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قالت: لما توفي إبراهيم بكى رسول الله ﷺ فقال أَبو بكر وعمر: أنت أحق من علم لله حقه، فقال: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، لولا أنه وعد صادق، وموعود جامع، وأن الآخر منا يتبع الأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً أشدّ مما وجدنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون» وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، ثنا إسرائيل عن جابر، عن الشعبي، عن البراء. قال: صلى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً. وقال: «إن له في الجنّة من يتمّ رضاعه وهو صديق»[1] وقد روي من حديث الحكم بن عيينة عن الشعبي، عن البراء. وقال أَبو يعلى: ثنا القواريري، ثنا إسماعيل بن أَبي خالد عن ابن أَبي أوفى قال: صلى رسول الله ﷺ على ابنه، وصلّيت خلفه، وكبّر عليه أربعاً.

وقد روى يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدّثني محمّد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: مات إبراهيم ابن رسول الله وهو ابن ثمانية عشر شهراً، فلم يصل عليه.

وروى ابن عساكر من حديث إسحاق بن محمّد الفروي، عن عيسى بن عبد اللّه بن محمّد ابن عمر بن عليّ بن أَبي طالب، عن أبيه، عن أَبي جده عن عليّ قال: لما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بعث عليّ بن أَبي طالب إلى أمه مارية القبطية وهي في مشربة، فحمله علي في سفط، وجعله بين يديه على الفرس، ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فغسّله وكفّنه وخرج به، وخرج الناس معه، فدفنه في الزقاق الذي يلي دار محمّد بن زيد، فدخل عليّ في قبره حتى سوى عليه ودفنه، ثم خرج ورشّ على قبره، وأدخل رسول الله يده في قبره، فقال: «أما والله إنه لنبي ابن نبي» وبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت، ثم قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يغضب الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون».

وقال الواقدي: مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من ربيع الأول سنة عشر، وهو ابن ثمانية عشر شهراً في بني مازن بن النجّار في دار أم برزة[2] بنت المنذر، ودفن بالبقيع.

قلت: وقد قدمنا أن الشمس كسفت يوم موته، فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٨٣، ٢٨٩.

(٢) في ط: برزة.

فخطب رسول الله في خطبته: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته**»[١] قاله الحافظ الكبير البخاري القاسم بن عساكر.

باب ذكر عبيده عليه السلام وإمائه وذكر خدمه وكتابه وأمنائه [مع مراعاة الحروف في أسمائهم وذكر بعض ما ذكر من أنبائهم][٢]

ولنذكر ما أورده مع الزيادة والنقصان وبالله المستعان.

فمنهم: أسامة بن زيد بن حارثة أبو زيد الكلبي، ويقال أبو يزيد، ويقال أبو محمّد مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه، وحبه وابن حبه، وأمه أم أيمن، واسمها بركة، كانت حاضنة رسول الله ﷺ في صغره، وممن آمن به قديماً بعد بعثته، وقد أمّره رسول الله ﷺ في آخر أيام حياته، وكان عمره إذ ذاك ثماني عشرة أو تسع عشرة، وتوفي وهو أمير على جيش كثيف منهم عمر بن الخطاب، ويقال وأبو بكر الصّدِّيق وهو ضعيف، لأن رسول الله ﷺ نصبه للإمامة، فلما توفي عليه السَّلام وجيش أسامة مخيم بالجرف كما قدمناه، استطلق أبو بكر من أسامة عمر بن الخطاب في الإقامة عنده ليستضيء برأيه، فأطلقه له، وأنفذ أبو بكر جيش أسامة بعد مراجعة كثيرة من الصحابة له في ذلك، وكل ذلك يأبى عليهم ويقول: والله لا أحلّ راية عقدها رسول الله ﷺ، فساروا حتى بلغوا تخوم البلقاء من أرض الشام، حيث قتل أبوه زيد، وجعفر بن أبي طالب، وعبد اللّه بن رواحة رضي الله عنهم، فأغار على تلك البلاد وغنم وسبى، وكرّ راجعاً سالماً مؤيداً كما سيأتي. فلهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يلقى أسامة إلاّ قال له: السلام عليك أيها الأمير. ولما عقد له رسول الله ﷺ راية الإمرة، طعن بعض الناس في إمارته، فخطب رسول الله فقال فيها: «**إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وايم الله**[٣] إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الخلق إليّ وإن هذا لمن أحب الخلق إليّ بعده»[٤] وهو في الصحيح من حديث موسى بن عقبة، عن سالم، عن أبيه. وثبت في صحيح البخاري عن أسامة رضي الله عنه، أنه قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني والحسن فيقول: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**»[٥] وروي عن الشعبي عن عائشة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب الله ورسوله فليحب أسامة بن زيد**»[٦] ولهذا لما فرض عمر بن الخطاب للناس في الديوان، فرض لأسامة في خمسة آلاف. وأعطى ابنه عبد اللّه بن عمر في أربعة آلاف. فقيل له في ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري في الكسوف باب ١٥، ومسلم في الكسوف حديث ٢٩، وأحمد في المسند ٢٤٩/٤.
(٢) سقط في ط.
(٣) وأيم الله: للقسم أصله أيمن الله وتقديره: أيمن الله قسمي.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٦.
(٥) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ١٨.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ١٥٦/٦، ١٥٧.

فقال: إنه كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك. وقد روى عبد الرزّاق عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة: أن رسول الله أردفه خلفه على حمار عليه قطيفة حين ذهب يعود سعد بن عبادة، قبل وقعة بدر.

قلت: وهكذا أردفه وراءه على ناقته حين دفع من عرفات إلى المزدلفة كما قدمنا في حجّة الوداع، وقد ذكر غير واحد أنه رضي الله عنه لم يشهد مع عليّ شيئاً من مشاهده، واعتذر إليه بما قال له رسول الله ﷺ حين قتل ذلك الرجل، وقد قال لا إله إلاّ الله، فقال: **«من لك بلا إله إلاّ الله يوم القيامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلاّ الله؟ من لك بلا إله إلاّ الله يوم القيامة»** الحديث. وذكر فضائله كثيرة رضي الله عنه. وقد كان أسود كالليل، أفطس، حلواً، حسناً كبيراً، فصيحاً عالماً ربانياً، رضي الله عنه. وكان أبوه كذلك إلاّ أنه كان أبيض شديد البياض، ولهذا طعن بعض من لا يعلم في نسبه منه. ولما مرّ مجزز المدلجي عليهما وهما نائمان في قطيفة، وقد بدت أقدامهما، أسامة بسواده وأبوه زيد ببياضه قال: سبحان الله إن بعض هذه الأقدام لمن بعض، أعجب بذلك رسول الله ﷺ ودخل على عائشة مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال: **«ألم ترِ أن مجززاً نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: إن بعض هذه الأقدام لمن بعض»**[1]. ولهذا أخذ فقهاء الحديث كالشافعي وأحمد من هذا الحديث من حيث التقرير عليه والاستبشار به؛ العمل بقول القافة في اختلاط الأنساب واشتباهها، كما هو مقرر في موضعه، والمقصود أنه رضي الله عنه توفي سنة أربع وخمسين مما صححه أبو عمر. وقال غيره: سنة ثمان أو تسع وخمسين، وقيل مات بعد مقتل عثمان فالله أعلم. وروى له الجماعة في كتبهم الستة.

ومنهم: أسلم، وقيل إبراهيم، وقيل ثابت، وقيل هرمز أبو رافع القبطي، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها لأنه كان بمكة مع سادته آل العبّاس، وكان ينحت القداح، وقصّته مع الخبيث أبي لهب حين جاء خبر وقعة بدر تقدمت ولله الحمد. ثم هاجر وشهد أُحُداً وما بعدها، وكان كاتباً، وقد كتب بين يدي عليّ بن أبي طالب بالكوفة، قاله المفضل بن غسان الغلابي. وشهد فتح مصر في أيام عمر، وقد كان أولاً للعبّاس بن عبد المطلب، فوهبه للنبي ﷺ، وعتقه وزوّجه مولاته سلمى، فولدت له أولاداً، وكان يكون على ثقل النبيّ ﷺ. وقال الإمام أحمد: ثنا محمّد بن جعفر وبهز قالا: ثنا شعبة عن الحكم، عن ابن أبي رافع، عن أبي رافع: أن رسول الله بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة، فقال لأبي رافع: أصحبني كيما تصيب منها، فقال لا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله، فأتى رسول الله فسأله فقال: **«الصدقة لا تحلّ لنا، وإن مولى القوم منهم»**[2] وقد رواه الثوري عن محمّد بن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى، عن الحكم به. وروى أبو يعلى في مسنده عنه، أنه أصابهم برد شديد وهم بخيبر، فقال رسول الله: **«من كان له لحاف فليلحف من لا لحاف له»** قال أبو رافع: فلم أجد من يلحفني معه، فأتيت

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٨٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٠.

رسول الله فألقى عليّ لحافه، فنمنا حتى أصبحنا، فوجد رسول الله ﷺ عند رجليه حية فقال «يا أبا رافع أقتلها أقتلها» وروى له الجماعة في كتبهم، ومات في أيام عليّ رضي الله عنه.

ومنهم: أنسة بن زيادة بن مشرح، ويقال أبو مسرح، من مولدي السراة مهاجري شهد بدر فيما ذكره عروة والزهري وموسى بن عقبة ومحمّد بن إسحاق والبخاري وغير واحد. قالوا: وكان ممن يأذن على النّبيّ ﷺ إذا جلس، وذكر خليفة بن خياط في كتابه قال: قال عليّ بن محمّد عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: استشهد يوم بدر أنسة مولى رسول الله ﷺ. قال الواقدي: وليس هذا بثبت عندنا، ورأيت أهل العلم يثبتون أنه شهد أُحُداً أيضاً، وبقي زماناً، وأنه توفي في حياة أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته.

ومنهم: أيمن بن عُبَيد بن زيد الحبشي، ونسبه ابن منده إلى عوف بن الخزرج وفيه نظر، وهو ابن أم أيمن بركة أخو أسامة لأمه. قال ابن إسحاق: وكان على مطهرة النّبيّ ﷺ، وكان ممن ثبت يوم حنين، ويقال: إن فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف: ١١٠]. قال الشافعي: قتل أيمن مع النّبيّ ﷺ يوم حُنَين. قال: فرواية مجاهد عنه منقطعة ـ يعني بذلك ما رواه الثوري عن منصور، عن مجاهد، عن عطاء، عن أيمن الحبشي قال: لم يقطع النّبيّ ﷺ السارق إلاّ في المجن، وكان ثمن المجن يومئذ دينار ـ وقد رواه أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة عن هارون بن عبد اللّه، عن أسود بن عامر، عن الحسن بن صالح، عن منصور، عن الحكم، عن مجاهد، وعطاء عن أيمن، عن النّبيّ ﷺ نحوه. وهذا يقتضي تأخر موته عن النّبيّ ﷺ إن لم يكن الحديث مدلساً عنه[1]، ويحتمل أن يكون أريد غيره، والجمهور كابن إسحاق وغيره ذكروه فيمن قتل من الصحابة يوم حنين فالله أعلم. ولابنه الحجّاج بن أيمن مع عبد اللّه بن عمر قصّة.

ومنهم: باذام وسيأتي ذكره في ترجمة طهمان.

ومنهم: ثوبان بن بحدد، ويقال ابن جحدر أبو عبد اللّه، ويقال أبو عبد الكريم، ويقال أبو عبد الرّحمٰن. أصله من أهل السراة، مكان بين مكّة واليمن، وقيل من حِمْير من أهل اليمن، وقيل من الهان، وقيل من حَكم بن سعد العشيرة من مذحج، أصابه سبي في الجاهلية. فاشتراه رسول الله فأعتقه، وخيّره إن شاء أن يرجع إلى قومه، وإن شاء يثبت فإنه منهم أهل البيت. فأقام على ولاء رسول الله ﷺ، ولم يفارقه حضراً ولا سفراً حتى توفي رسول الله ﷺ. وشهد فتح مصر أيام عمر، ونزل حمص بعد ذلك، وابتنى بها داراً، وأقام بها إلى أن مات سنة أربع وخمسين، وقيل سنة أربع وأربعين ـ وهو خطأ ـ وقيل إنه مات بمصر، والصحيح بحمص كما قدّمنا والله أعلم. روى له البخاري في كتاب الأدب، ومسلم في صحيحه وأهل السنن الأربعة.

---

(١) الحديث المدلس: هو الحديث المنقول وهو غير ثابت الصحة.

ومنهم: حُنَين مولى النّبيّ ﷺ، وهو جدّ إبراهيم بن عبد اللّه بن حنين، وروينا أنه كان يخدم النّبيّ ﷺ ويوضئه، فإذا فرغ النّبيّ ﷺ خرج بفضلة الوضوء إلى أصحابه، فمنهم من يشرب منه، ومنهم من يتمسّح به، فاحتبسه حُنَين فخبأه عنده في جرّة حتى شكوه إلى النبي ﷺ فقال له: «ما تصنع به؟» فقال: أدخره عندي أشربه يا رسول الله، فقال عليه السَّلام: «هل رأيتم غلاماً أحصى ما أحصى هذا؟» ثم إن النّبيّ ﷺ وهبه لعمّه العباس، فأعتقه رضي الله عنهما.

ومنهم: ذكوان يأتي ذكره في ترجمة طهمان.

ومنهم: رافع أو أبو رافع ويقال له أبو البهي. قال أبو بكر بن أبي خيثمة كان لأبي أُحَيْحة سعيد بن العاص الأكبر، فورثه بنوه، وأعتق ثلاثة منهم أنصباءهم، وشهد معهم يوم بدر، فقتلوا ثلاثتهم، ثم اشترى أبو رافع بقية أنصباء بني سعيد مولاه، إلاّ نصيب خالد ابن سعيد، فوهب خالد نصيبه لرسول الله ﷺ فقبله وأعتقه. فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ، وكذلك كان بنوه يقولون من بعده.

ومنهم: رباح الأسود، وكان يأذن على النّبيّ ﷺ، وهو الذي أخذ الإذن لعمر بن الخطاب حتى دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة يوم آلى من نسائه واعتزلهنّ في تلك المشربة وحده عليه السلام، هكذا جاء مصرّحاً باسمه في حديث عكرمة بن عمّار عن سمّاك بن الوليد، عن ابن عباس، عن عمر. وقال الإمام أحمد[١]: ثنا وكيع، ثنا عكرمة بن عمار، عن أياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه قال: كان للنبي ﷺ غلام يسمى رباح.

ومنهم: رُوَيْفع مولاه عليه الصلاة والسلام، هكذا عدّه في الموالي مصعب بن عبد اللّه الزبيري وأبو بكر بن أبي خيثمة قالا: وقد وفد ابنه على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته ففرض له. قالا: ولا عَقب له.

قلت: كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد الاعتناء بموالي رسول الله ﷺ، يحب أن يعرفهم ويحسن إليهم. وقد كتب في أيام خلافته إلى أبي بكر بن حزم عالم أهل المدينة في زمانه: أن يفحص له عن موالي رسول الله ﷺ الرجال والنساء وخدّامه. رواه الواقدي، وقد ذكره أبو عمر مختصراً وقال: لا أعلم له رواية، حكاه ابن الأثير في أسد الغابة.

ومنهم: زيد بن حارثة الكلبي، وقد قدمنا طرفاً من ذكره عند ذكر مقتله بغزوة مؤتة رضي الله عنه، وذلك في جمادى من سنة ثمان قبل الفتح بأشهر، وقد كان هو الأمير المقدم، ثم بعده جعفر، ثم بعدهما عبد اللّه بن رواحة. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلاّ أمّره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه. رواه أحمد[٢].

ومنهم: زيد أبو يسار، قال أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة سكن المدينة، روى حديثاً واحداً لا أعلم له غيره. حدّثنا محمّد بن عليّ الجوزجاني، ثنا أبو سلمة ـ هو التبوذكي ـ

(١) المسند ٤/٤٦.
(٢) المسند ٦/٢٢٦، ٢٢٧.

ثنا حفص بن عمر الطائي، ثنا أَبو عمر بن مرة، سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى النّبيّ ﷺ، سمعت أَبي حدَّثني عن جدي، أنه سمع رسول الله يقول: «من قال استغفر الله الذي لا إله إلاَّ هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فرّ من الزحف»(١) وهكذا رواه أَبو داود عن أَبي سلمة: وأخرجه الترمذي عن محمّد بن إسماعيل البخاري، عن أَبي سلمة موسى بن إسماعيل به. وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه.

ومنهم: سفينة أَبو عبد الرَّحمٰن، ويقال أَبو البختري كان اسمه مهران، وقيل عبس، وقيل أحمر، وقيل رومان، فلقبه رسول الله ﷺ سفينة لسبب سنذكره، فغلب عليه. وكان مولى لأم سلمة فأعتقته واشترطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ حتى يموت، فقبل ذلك. وقال: لو لم تشترطي عليّ ما فارقته(٢)، وهذا الحديث في السنن. وهو من مولّدي العرب، وأصله من أبناء فارس، وهو سفينة بن مافنة.

وقال الإمام أَحمد: حدثنا أَبو النضر، ثنا حشرج بن نباتة العبسي كوفي، حدّثنا سعيد بن جمهان، حدَّثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملكاً بعد ذلك» ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أَبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، وأمسك خلافة عليّ، ثم قال: فوجدناها ثلاثين سنة. ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون. قلت لسعيد: أين لقيت سفينة؟ قال: ببطن نخلة في زمن الحجاج، فأقمت عنده ثلاث ليال أسأله عن أحاديث رسول الله. قلت له: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبرك، سمّاني رسول الله سفينة. قلت: ولِمَ سمّاك سفينة؟ قال: خرج رسول الله ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فقال لي: «أبسط كساك» فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم ثم حمّلوه عليّ، فقال لي رسول الله: «احمل فإنما أنت سفينة» فلو حملت يومئذ وقر بعير أَو بعيرين أَو ثلاثة أَو أربعة أَو خمسة أَو ستة أَو سبعة ما ثقل عليّ، إلا أن يحفوا(٣). وهذا الحديث عن أَبي داود والترمذي والنسائي. ولفظه عندهم «خلافة النبوّة ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً» وقال الإمام أَحمد: حدّثنا بهز، ثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان، عن سفينة. قال: كنا في سفر، فكان كلما أعيا رجل ألقى عليّ ثيابه، ترساً أَو سيفاً حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً، فقال النّبيّ ﷺ: «أنتَ سفينة»(٤) هذا هو المشهور في تسميته سفينة. وقد قال أَبو القاسم البغوي: ثنا أَبو الربيع سليمان بن داود الزهراني، ومحمّد بن جعفر الوركاني، قالا: ثنا شريك بن عبد اللّه النخعي، عن عمران البجلي، عن مولى لأم سَلَمة. قال: كنا مع رسول الله فمررنا بواد ـ أَو نهر ـ فكنت أعبر الناس، فقال لي رسول الله: «ما كنت منذ اليوم إلاَّ سفينة»(٥) وهكذا رواه الإمام أَحمد عن

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٣٦١، والترمذي في الدعوات باب ١١٧.

(٢) أخرجه أبو داود في العتق باب ٣، وابن ماجه في العتق باب ٦، وأحمد في المسند ٥/ ٢٢١.

(٣) أخرجه أبو داود في السنة باب ٩، والترمذي في الفتن باب ٤٨، وأحمد في المسند ٥/ ٢٢١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٢٢.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٢١.

أسود بن عامر عن شريك. وقال أبو عبد الله بن منده: ثنا الحسن بن مكرم، ثنا عثمان بن عمر، ثنا أسامة بن زيد عن محمّد بن المنكدر، عن سفينة قال: ركبت البحر في سفينة فكسرت بنا، فركبت لوحاً منها فطرحني في جزيرة فيها أسد، فلم يرعني إلاّ به، فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ، فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق، ثم همّهم فظننت أنه السلام. وقد رواه أبو القاسم البغوي عن إبراهيم بن هانىء عن عُبَيد الله بن موسى عن رجل عن محمّد بن المنكدر عنه. ورواه أيضاً عن محمّد بن عبد الله المخرمي عن حسين ابن محمّد. قال: قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن محمّد بن المنكدر، عن سفينة فذكره. ورواه أيضاً حدّثنا هارون بن عبد الله، ثنا عليّ بن عاصم، حدّثني أبو ريحانة عن سفينة مولى رسول الله، قال: لقيني الأسد فقلت: أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: فضرب بذنبه الأرض وقعد. وروى له مسلم وأهل السنن. وقد تقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد أنه كان يسكن بطن نخلة، وأنه تأخر إلى أيام الحجّاج.

ومنهم: سلمان الفارسي أبو عبد الله مولى الإسلام، أصله من فارس، وتنقلت به الأحوال إلى أن صار لرجل من يهود المدينة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أسلم سلمان وأمره رسول الله ﷺ فكاتب سيّده اليهودي، وأعانه رسول الله ﷺ على أداء ما عليه، فنسب إليه وقال: «**سلمان منّا أهل البيت**». وقد قدّمنا صفة هجرته من بلده وصحبته لأولئك الرهبان واحداً بعد واحد حتى آل به الحال إلى المدينة النبوية، وذكر صفة إسلامه رضي الله عنه في أوائل الهجرة النبوية إلى المدينة وكانت وفاته في سنة خمس وثلاثين في آخر أيام عثمان ـ أو في أول سنة ست وثلاثين ـ وقيل إنه توفي في أيام عمر بن الخطاب، والأول أكثر. قال العباس ابن يزيد البحراني: وكان أهل العلم لا يشكون أنه عاش مائتين وخمسين سنة، واختلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمائة وخمسين. وقد ادعى بعض الحفّاظ المتأخرين أنه لم يجاوز المائة فالله أعلم بالصواب.

ومنهم: شقران الحبشي واسمه صالح بن عدي، ورثه عليه السلام من أبيه. وقال مصعب الزبيري ومحمّد بن سعد: كان لعبد الرّحمٰن بن عوف، فوهبه للنبي ﷺ. وقد روى أحمد بن حنبل عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر أنه ذكره فيمن شهد بدراً، [قال ولم يقسم له رسول الله ﷺ. وهكذا ذكره محمّد بن سعد فيمن شهد بدراً][1] وهو مملوك، فلهذا لم يسهم له بل استعمله على الأسرى، فحذاه[2] كل رجل له أسير شيئاً، فحصل له أكثر من نصيب كامل. قال وقد كان ببدر ثلاثة غلمان غيره: غلام لعبد الرّحمٰن بن عوف، وغلام لحاطب بن أبي بلتعة، وغلام لسعيد بن معاذ، فرضخ[3] لهم ولم يقسم. قال أبو القاسم البغوي: وليس له ذكر فيمن شهد بدراً في كتاب الزهري، ولا في كتاب ابن إسحاق. وذكر الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله

(١) سقط في ط.
(٢) حذاه: أعطاه، والحذوة: العطية والقطعة من اللحم.
(٣) أعطاه عطاء غير كثير.

ابن أَبي سبرة، عن أَبي بكر بن عبد اللّه بن أَبي جَهْم قال: استعمل رسول الله شقران مولاه على جميع ما وجد في رحال المريسيع من رثة[1] المتاع والسلاح والنعم والشاء وجمع الذرية ناحية. وقال الإمام أَحمد: ثنا أسود بن عامر، ثنا مسلم بن خالد عن عمرو بن يَحْيَىٰ المازني، عن أبيه، عن شقران مولى رسول الله ﷺ قال: رأيته - يعني النبيّ ﷺ - متوجهاً إلى خيبر على حمار يصلي عليه، يومىء إيماء[2]. وفي هذه الأحاديث شواهد أنه رضي الله عنه شهد هذه المشاهد، وروى الترمذي عن زيد بن أخزم، عن عثمان بن فرقد، عن جعفر بن محمّد، أَخْبَرَني ابن أبي رافع، قال: سمعت شقران يقول: أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر. وعن جعفر بن محمّد عن أبيه قال: الذي اتخذ قبر النّبيّ ﷺ أبو طلحة، والذي ألقى القطيفة شقران[3]. ثم قال الترمذي: حسن غريب. وقد تقدّم أنه شهد غسل رسول الله ﷺ ونزل في قبره، وأنه وضع تحته القطيفة التي كان يصلي عليها وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك. وذكر الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة أنه انقرض نسله، فكان آخرهم موتاً بالمدينة في أيام الرشيد.

ومنهم: ضميرة بن أَبي ضميرة الحميري، أصابه سبي في الجاهلية فاشتراه النّبيّ ﷺ فأعتقه، ذكره مصعب الزبيري قال: وكانت له دار بالبقيع، وولد. قال عبد اللّه بن وهب عن ابن أَبي ذئب عن حسين بن عبد اللّه بن ضميرة عن أبيه عن جدّه ضميرة أن رسول الله مرّ بأم ضميرة وهي تبكي فقال لها: «**ما يبكيك؟ أجائعة أنت، أعارية أنت**» قالت: يا رسول الله فرّق بيني وبين ابني، فقال رسول الله: «**لا يفرق بين الوالدة وولدها**» ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة، فدعاه فابتاعه منه ببكر، قال ابن أَبي ذئب: ثم أقرأني كتاباً عنده: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمّد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته، أن رسول الله أعتقهم، وأنهم أهل بيت من العرب، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم، فلا يعرض لهم إلاّ بحق، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً، وكتب أُبيّ بن كعب.

ومنهم: طهمان، ويقال: ذكوان. ويقال: مهران، ويقال: ميمون، وقيل: كيسان، وقيل: باذام. روى عن النّبيّ ﷺ قال: «**إنّ الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي، وإن مولى القوم من أنفسهم**» رواه البغوي عن منجاب بن الحارث وغيره، عن شريك، عن عطاء بن السائب، عن إحدى بنات عليّ بن أبي طالب، وهي أم كلثوم بنت عليّ قالت: حدثني مولى للنبي ﷺ يقال له طهمان أو ذكوان. قال: قال رسول الله. فذكره[4].

ومنهم: عبيد مولى النّبيّ ﷺ. قال أَبو داود الطيالسي عن شعبة، عن سليمان التيمي،

---

(١) الرثة: متاع البيت الدون بوزن الهرة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٥.

(٣) أخرجه الترمذي في الجنائز باب ٥٥.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٤، ٣٥.

عن شيخ[١] عن عبيد مولى للنبي ﷺ قال: قلت: هل كان النّبيّ ﷺ يأمر بصلاة سوى المكتوبة؟ قال: صلاة بين المغرب والعشاء[٢]. قال أبو القاسم البغوي: لا أعلم روى غيره. قال ابن عساكر: وليس كما قال. ثم ساق من طريق أبي يعلى الموصلي حدّثنا عبد الأعلى بن حماد، ثنا حماد بن سلمة عن سليمان التيمي، عن عبيد مولى رسول الله : أن امرأتين كانتا صائمتين، وكانتا تغتابان الناس، فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لهما: «قيئا» فقاءا قيحاً ودماً ولحماً عبيطاً[٣] ثم قال: «إن هاتين صامتا عن الحلال وأفطرتا على الحرام»[٤] وقد رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي عن سليمان التيمي، عن رجل حدّثهم في مجلس أبي عثمان، عن عبيد مولى رسول الله فذكره. ورواه أحمد أيضاً عن غندر عن عثمان بن غياث قال: كنت مع أبي عثمان فقال رجل: حدّثني سعيد ـ أو عبيد ـ عثمان يشك مولى النّبيّ ﷺ فذكره[٥].

ومنهم: فضالة مولى النّبيّ ﷺ. قال محمّد بن سعد[٦]: أنبأنا الواقدي، حدّثني عتبة بن خيرة الأشهلي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمّد بن عمرو بن حزم أن افحص لي عن خدم رسول الله من الرجال والنساء ومواليه، فكتب إليه قال: وكان فضالة مولى له يماني نزل الشام بعده وكان أبو مويهبة مولداً من مولدي مزينة فأعتقه. قال ابن عساكر: لم أجد لفضالة ذكراً في الموالي إلاّ من هذا الوجه.

ومنهم: قفيز أوله قاف وآخره زاي. قال أبو عبد اللّه بن منده: أنبأنا سهل بن السري، ثنا أحمد بن محمّد بن المنكدر، ثنا محمّد بن يَحْيَىٰ عن محمّد بن سليمان الحرّاني، عن زهير بن محمّد، عن أبي بكر بن عبد اللّه بن أنيس. قال: كان لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له: قفيز، تفرّد به محمّد بن سليمان.

ومنهم: كركرة، كان على ثقل النّبيّ ﷺ في بعض غزواته، وقد ذكره أبو بكر بن حزم فيما كتب به إلى عمر بن عبد العزيز. قال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن عمرو عن سالم بن أبي الجعد عن عبد اللّه بن عمرو قال: كان على ثقل النّبيّ ﷺ رجل يقال له كركرة، فمات فقال: «هو في النار» فنظروا فإذا عليه عباءة قد غلّها، أو كساء قد غلّه[٧]. رواه البخاري عن عليّ بن المديني عن سفيان.

---

(١) ورد في الإصابة في ترجمته: مرة عن شيخ عن عبيد، ومرة عن رجل عن عبيد ولم يذكر اسمه.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٣١.
(٣) عبيطاً، العبيط: الطري غير النضيج.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٣١.
(٥) انظر الحاشية السابقة.
(٦) في ط: سعيد.
(٧) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٩٠، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠ .

قلت: وقصّته شبيهة بقصّة مدعم الذي أهداه رفاعة من بني النصيب كما سيأتي.

ومنهم: كيسان. قال البغوي: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب قال: أتيت أم كلثوم بنت عليّ فقالت: حدَّثني مولى للنبي ﷺ يقال له كيسان، قال له النّبيّ ﷺ في شيء من أمر الصدقة: **«إنا أهل بيت نهينا أن نأكل الصدقة، وإن مولانا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة»**[١].

ومنهم: مابور القبطي الخصيّ، أهداه له صاحب اسكندرية مع مارية وشيرين والبغلة. وقد قدمنا من خبره في ترجمة مارية رضي الله عنهما ما فيه كفاية.

ومنهم: مدعم، وكان أسود من مولدي حسمى[٢] أهداه رفاعة بن زيد الجذامي، قتل في حياة النّبيّ ﷺ، وذلك مرجعهم من خَيْبر. فلما وصلوا إلى وادي القرى فبينما مدعم يحط عن ناقة رسول الله ﷺ رحلها، إذ جاءه سهم عائر[٣] فقتله. فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: **«كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر - لم تصبها المقاسم - لتشتعل عليه ناراً»** فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشراك - أو شراكين - فقال النّبيّ ﷺ: **«شراك من نار، أو شراكان من نار»**[٤] أخرجاه من حديث مالك عن ثور بن يزيد، عن أبي[٥] الغيث، عن أبي هريرة.

ومنهم: مهران ويقال: طهمان، وهو الذي روت عنه أم كلثوم بنت علي في تحريم الصدقة على بني هاشم ومواليهم كما تقدم.

ومنهم: ميمون وهو الذي قبله.

ومنهم: نافع مولاه. قال الحافظ ابن عساكر: **أنبأنا** أبو الفتح الماهاني، أنبأنا شجاع الصوفي، أنبأنا محمّد بن إسحاق، أنبأنا أحمد بن محمّد بن زياد، حدّثنا محمّد بن عبد الملك ابن مروان، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أبو مالك الأشجعي عن يوسف بن ميمون، عن نافع مولى رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يدخل الجنّة شيخ زان، ولا مسكين متكبّر، ولا منّان بعمله على الله عزّ وجلّ»**.

ومنهم: نفيع، ويقال: مسروح، ويقال: نُفيع بن مسروح. والصحيح نافع بن الحارث ابن كَلَدة بن عمرو بن علاج بن سَلَمة بن عبد العُزّى بن غيرة بن عوف بن قيس، وهو ثقيف[٦]

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه قبل قليل.

(٢) حِسمى: أرض ببادية الشام تنزلها جذام.

(٣) العائر: الساقط لا يعرف من رماه.

(٤) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب ٣٣، ومسلم في الإيمان حديث ١٨٣، ومالك في الجهاد حديث ٢٥.

(٥) في ط: جبي.

(٦) في الخلاصة: نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قيس بن ثقيف الثقفي، وقد ترجمهم جميعاً ترجمة طويلة مفصلة صحيحة الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء.

أَبو بكرة الثقفي. وأمه سميّة أم زياد. تدلى هو وجماعة من العبيد من سور الطائف، فأعتقهم رسول الله ﷺ وكان نزوله في بكرة فسمّاه رسول الله ﷺ أبا بكرة. قال أَبو نعيم: وكان رجلاً صالحاً آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أَبي برزة الأسلمي(١).

قلت: وهو الذي صلى عليه بوصيته إليه، ولم يشهد أَبو بكرة وقعة الجمل، ولا أيام صفين، وكانت وفاته في سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة اثنتين وخمسين.

ومنهم: واقد، أَو أَبو واقد مولى رسول الله ﷺ. قال الحافظ أَبو نعيم الأصبهاني: **حدّثنا** أَبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا محمّد بن يَحْيَىٰ بن عبد الكريم، حدّثنا الحسين بن محمّد، ثنا الهيثم بن حماد عن الحارث بن غسان، عن رجل من قريش من أهل المدينة، عن زاذان، عن واقد مولى النّبيّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلّت صلاتهُ وصيامُه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن**».

ومنهم: هرمز أَبو كيسان، ويقال هرمز أَو كيسان، وهو الذي يقال فيه طهمان كما تقدم. وقد قال ابن وهب: ثنا عليّ بن عابس(٢) عن عطاء بن السائب، عن فاطمة بنت عليّ، أَو أم كلثوم بنت عليّ قالت: سمعت مولى لنا يقال له: هرمز، يكنى أبا كيسان. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة، وإن موالينا من أنفسنا فلا تأكلوا الصدقة**». وقد رواه الربيع بن سليمان عن أسد بن موسى، عن ورقاء، عن عطاء بن السائب، قال: دخلت عليّ أم كلثوم فقالت: إن هرمز أَو كيسان حدّثنا أن رسول الله قال: «**إنا لا نأكل الصدقة**»(٣). وقال أَبو القاسم البغوي: ثنا منصور بن أَبي مزاحم، ثنا أَبو حفص الأبار عن ابن أَبي زياد، عن معاوية قال: شهد بدراً عشرون مملوكاً، منهم مملوك للنبي ﷺ يقال له هرمز، فأعتقه رسول الله ﷺ وقال: «**إن الله قد أعتقك، وإن مولى القوم من أنفسهم؛ وإنا أهل بيت لا نأكل الصدقة فلا تأكلها**».

ومنهم: هشام مولى النّبيّ ﷺ، قال محمّد بن سعد: أنبأنا سليمان بن عُبَيد اللّه الرقي، أنبأنا محمّد بن أيوب الرقي عن سفيان، عن عبد الكريم، عن أَبي الزبير، عن هشام مولى رسول الله ﷺ. قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي لا تدفع يد لامس، قال: «**طلّقها**» قال: إنها تعجبني، قال: «**فتمتع بها**» قال ابن منده: وقد رواه جماعة عن سفيان الثوري، عن أَبي الزبير، عن مولى بني هاشم، عن النّبيّ ﷺ ولم يسمه. ورواه عُبَيد اللّه بن عمرو عن عبد الكريم، عن أَبي الزبير، عن جابر.

ومنهم: يسار، ويقال إنه الذي قتله العرنيون وقد مثّلوا به(٤). وقد ذكر الواقدي بسنده عن

---

(١) في ط: برزة الأسلمي.
(٢) في ط: عباس.
(٣) تقديم الحديث مع تخريجه قبل قليل.
(٤) هم نفر من قيس كبة من بجيلة، وقصتهم مشهورة. قاله ابن هشام.

يعقوب بن عتبة، أن رسول الله ﷺ أخذه يوم قرقرة الكدر مع نعم بني غطفان وسليم، فوهبه الناس لرسول الله ﷺ فقبله منهم، لأنه رآه يحسن الصلاة فأعتقه، ثم قسم في الناس النعم فأصاب كل إنسان منهم سبعة أبعرة، وكانوا مائتين.

ومنهم: أَبو الحمراء مولى النَّبيّ ﷺ وخادمه، وهو الذي يقال إن اسمه هلال بن الحارث، وقيل ابن مظفر، وقيل هلال بن الحارث بن ظفر السلمي، أصابه سبي في الجاهلية.

وقال أَبو جعفر محمّد بن عليّ بن دحيم: ثنا أَحمد بن حازم، أنبأنا عبد اللّه بن موسى والفضل بن دكين عن يونس بن أَبي إِسحاق، عن أَبي داود القاص، عن أَبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر كيوم، فكان النَّبيّ ﷺ يأتي باب عليّ وفاطمة كل غداة فيقول: **«الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»** قال أَحمد بن حازم: وأنبأنا عُبَيد اللّه بن موسى، والفضل بن دكين، ـ واللفظ له ـ عن يونس بن أَبي إِسحاق، عن أَبي داود، عن أَبي الحمراء قال: مرّ النَّبيّ ﷺ برجل عنده طعام في وعاء، فأدخله يده، فقال: **«غششته! من غشّنا فليس منا»**[1].

وقد رواه ابن ماجه عن أَبي بكر بن أَبي شيبة عن أَبي نعيم به. وليس عنده سواه. وأَبو داود هذا هو نفيع بن الحارث الأعمى أحد المتروكين الضعفاء. قال عبّاس الدوري عن ابن معين: أَبو الحمراء صاحب رسول الله ﷺ اسمه هلال بن الحارث، كان يكون بحمص، وقد رأيت بها غلاماً من ولده وقال غيره كان منزله خارج باب حمص. وقال أَبو الوازع عن سمرة: كان أَبو الحمراء في الموالي.

ومنهم: أَبو سلمى راعي النَّبيّ ﷺ، ويقال: أَبو سلام، واسمه حُرَيث. قال أَبو القاسم البغوي: ثنا كامل بن طلحة، ثنا عباد بن عبد الصَّمد، حدَّثني أَبو سلمة راعي النَّبيّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من لقي الله يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، وآمن بالبعث والحساب؛ دخل الجنّة»**. قلنا: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فأدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال: أنا سمعت هذا منه غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث، ولا أربع. لم يورد له ابن عساكر سوى هذا الحديث. وقد روى له النسائي في اليوم والليلة آخر، وأخرج له ابن ماجه ثالثاً.

ومنهم أَبو صفية مولى النَّبيّ ﷺ. قال أَبو القاسم البغوي: حدّثنا أَحمد بن المقدام، ثنا معتمر، ثنا أَبو كعب عن جدّه بقية عن أَبي صفية مولى النَّبيّ ﷺ أنه كان يوضع له نطع، ويجاء بزبيل فيه حصى، فيسبّح به إلى نصف النهار، ثم يرفع فإذا صلى الأولى سبح حتى يمسي.

ومنهم: أَبو ضميرة مولى النَّبيّ ﷺ والد ضميرة المتقدم، وزوج أم ضميرة. وقد تقدم في ترجمة ابنه طرف من ذكرهم وخبرهم في كتابهم. وقال محمّد بن سعد في الطبقات: أنبأنا إسماعيل بن عبد اللّه بن أويس المدني: حدَّثني حسين بن عبد اللّه بن أَبي ضميرة، أن الكتاب

(١) أخرجه ابن ماجه في التجارات باب ٣٦.

الذي كتبه رسول الله ﷺ لأبي ضميرة: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من محمّد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته، إنهم كانوا أهل بيت من العرب، وكانوا ممن أفاء الله على رسوله فأعتقهم. ثم خيّر أبا ضميرة إن أحب أن يلحق بقومه فقد أذن له، وإن أحب أن يمكث مع رسول الله فيكونوا من أهل بيته، فاختار الله ورسوله ودخل في الإسلام، فلا يعرض لهم أحد إلاّ بخير، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً، وكتب أُبيّ بن كعب. قال إسماعيل ابن أَبي أويس: فهو مولى رسول الله ﷺ، وهو أحد حِمْير. وخرج قوم منهم في سفر ومعهم هذا الكتاب، فعرض لهم اللصوص، فأخذوا ما معهم فأخرجوا هذا الكتاب إليهم، فأعلموهم بما فيه، فقرؤوه فردوا عليهم ما أخذوا منهم ولم يعرضوا لهم. قال: ووفد حسين بن عبد اللّه ابن أَبي ضميرة إلى المهدي أمير المؤمنين، وجاء معه بكتابهم هذا، فأخذه المهدي فوضعه على بصره، وأعطى حسيناً ثلاثمائة دينار.

ومنهم: أَبو عبيد مولاه عليه الصلاة والسلام. قال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا أبان العطار، ثنا قتادة عن شهر بن حوشب، عن أَبي عبيد، أنه طبخ لرسول الله ﷺ قدراً فيها لحم، فقال رسول الله ﷺ: **«ناولني ذراعها»** فناولته فقال: **«ناولني ذراعها»** فناولتها، فقال: **«ناولني ذراعها»** فقلت: يا نبي الله كم للشاة من ذراع؟ قال: **«والذي نفسي بيده لو سكت لأعطيتني ذراعها ما دعوت به»**[١] ورواه الترمذي في الشمائل عن بندار، عن مسلم بن إبراهيم، عن أبان ابن يزيد العطار به.

ومنهم: أَبو عشيب، ومنهم من يقول أَبو عسيب، والصحيح الأول، ومن الناس من فرّق بينهما، وقد تقدم أنه شهد الصلاة على النّبيّ ﷺ؛ وحضر دفنه، وروى قصّة المغيرة بن شعبة. وقال الحارث بن أَبي أسامة: ثنا يزيد بن هارون، ثنا مسلم بن عبيد أَبو نصيرة قال: سمعت أبا عسيب مولى رسول الله ﷺ قال: إن النّبيّ ﷺ قال: **«أتاني جبريل بالحمى والطاعون؛ فأمسكت الحمى بالمدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافر»**[٢] وكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون. وقال أَبو عبد اللّه بن منده: أنبأنا محمّد بن يعقوب، ثنا محمّد بن إسحاق الصاغاني، ثنا يونس بن محمّد، ثنا حشرج بن نباتة، حدَّثني أَبو نصيرة البصري عن أَبي عسيب مولى رسول الله ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمر بي، فدعاني، ثم مرّ بأَبي بكر، فدعاه، فخرج إليه، ثم مر بعمر فدعاه، فخرج إليه، ثم انطلق يمشي حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال رسول الله لصاحب الحائط: **«أطعمنا بسراً[٣]»** فجاء به فوضعه، فأكل رسول الله وأكلوا جميعاً، ثم دعا بماء فشرب منه، ثم قال: **«إن هذا النعيم، لتسألن يوم القيامة عن هذا»** فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر، ثم قال: يا نبي الله إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: **«نعم إلاّ من ثلاثة؛ خرقة يستر بها**

---

(١) أخرجه البخاري في الشمائل باب ٢٥، وأحمد في المسند ٣/ ٤٨٤، ٤٨٥.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٨١.
(٣) البسر: التمر الذي لم ينضج بعد.

الرجل عورته. أو كسرة يسد بها جوعته، أو حجر يدخل فيه ـ يعني من الحر والقر ـ»[١]. ورواه الإمام أحمد عن شُرَيح عن حشرج. وروى محمّد بن سعد في الطبقات عن موسى بن إسماعيل: حدثتنا سلمة بنت أبان الفريعية قالت: سمعت ميمونة بنت أبي عسيب قالت: كان أبو عسيب يواصل بين ثلاث في الصيام، وكان يصلي الضحى قائماً فعجز، وكان يصوم أيام البيض. قالت: وكان في سريره جلجل، فيعجز صوته حين يناديها به، فإذا حركه جاءت.

ومنهم: أبو كبشة الأنماري من أنمار مذحج على المشهور، مولى النّبيّ ﷺ. في اسمه أقوال أشهرها أن اسمه سليم، وقيل عمرو بن سعد، وقيل عكسه. وأصله من مولدي أرض دوس، وكان ممن شهد بدراً، قاله موسى بن عقبة عن الزهري. وذكره ابن إسحاق والبخاري والواقدي ومصعب الزبيري وأبو بكر بن أبي خيثمة. زاد الواقدي: وشهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد، وتوفي يوم استخلف عمر بن الخطاب، وذلك في يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة. وقال خليفة بن خياط: وفي سنة ثلاث وعشرين توفي أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، وقد تقدم عن أبي كبشة أن رسول الله ﷺ لما مرّ في ذهابه إلى تبوك بالحجر، جعل الناس يدخلون بيوتهم، فنودي أن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يدخلكم على هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم؟**» فقال رجل: نعجب منهم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم**»[٢] الحديث. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرَّحمٰن بن مهدي، عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازي، سمعت أبا كبشة الأنماري قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه، فدخل ثم خرج وقد اغتسل، فقلنا يا رسول الله قد كان شيء؟ قال: «**أجل، مرت بي فلانة فوقع في نفسي شهوة النساء، فأتيت بعض أزواجي فأصبتها، فكذلك فافعلوا، فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال**»[٣]. وقال أحمد: حدّثنا وكيع، ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي كبشة الأنماري. قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر؛ رجل أتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل به في ماله وينفقه في حقه، ورجل أتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل**». قال رسول الله ﷺ: «**فهما في الأجر سواء، ورجل أتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يحبط**[٤] **فيه ينفقه في غير حقه، ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل**» قال رسول الله ﷺ: «**فهما في الوزر سواء**»[٥]. وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعليّ بن محمّد كلاهما عن وكيع. ورواه ابن ماجه أيضاً من وجه آخر من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٨١.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٣١.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٣١.
(٤) حبط (بالحاء المهملة): بطل، وأحبط الله عمله: أبطله، وخبط (بالخاء المعجمة): ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، والخبط: ما تناثر من ورق الشجر.
(٥) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ٢٦، وأحمد في المسند ٤/ ٢٣٠.

حديث منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن أبي كبشة، عن أبيه. وسمّاه بعضهم عبد اللّه ابن أبي كبشة.

وقال أحمد: **حدّثنا** يزيد بن عبد ربه، ثنا محمّد بن حرب، ثنا الزبيدي عن راشد بن سعد، عن أبي عامر الهوزني، عن أبي كبشة الأنماري، أنه أتاه فقال: أطرقني من فرسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أطرق مسلماً فعقب له الفرس كان كأجر سبعين حمل عليه في سبيل الله عزّ وجل»[١].

وقد روى الترمذي عن محمّد بن إسماعيل، عن أبي نعيم، عن عبادة بن مسلم، عن يونس ابن خباب، عن سعيد أبي البختري الطائي، حدّثني أبو كبشة أنه قال: ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه؛ ما نقص مال عبد صدقة، وما ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلاّ زاده الله بها عزاً، ولا يفتح عبد باب مسألة إلاّ فتح الله عليه باب فقر[٢]، الحديث. وقال حسن صحيح. وقد رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عنه. وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان، عن أبيه، عن أبي كبشة الأنماري، أن رسول الله ﷺ كان يحتجم على هامته وبين كتفيه[٣]. وروى الترمذي: حدّثنا حميد بن مسعدة، ثنا محمّد بن حمران، عن أبي سعيد ـ وهو عبد اللّه بن بُسْر ـ قال: سمعت أبا كبشة الأنماري يقول: كانت كمام أصحاب رسول الله ﷺ بطحاً[٤][٥].

ومنهم: أبو مويهبة مولاه عليه السّلام، كان من مولّدي مزينة، اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، ولا يعرف اسمه رضي الله عنه. وقال أبو مصعب الزبيري: شهد أبو مويهبة المريسيع، وهو الذي كان يقود لعائشة رضي الله عنها بعيرها. وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وبسنده عنه في ذهابه مع رسول الله ﷺ في الليل إلى البقيع، فوقف عليه السّلام فدعا لهم، واستغفر لهم، ثم قال: «ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه بعض الناس، أتت الفتن كقطع الليل المظلم يركب بعضها بعضاً، الآخرة أشدّ من الأولى، فليهنكم ما أنتم فيه» ثم رجع فقال: «يا أبا مويهبة إني خيرت مفاتيح ما يفتح على أمتي من بعدي والجنّة، أو لقاء ربي، فاخترت لقاء ربي» قال: فما لبث بعد ذلك إلاّ سبعاً ـ أو ثمانياً ـ حتى قبض[٦]. فهؤلاء عبيده عليه السّلام.

وأما إماؤه عليه السّلام

فمنهنّ أَمَة الله بنت رزينة. الصحيح أن الصحبة لأمها رزينة كما سيأتي، ولكن وقع في

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٣١.
(٢) أخرجه الترمذي في الزهد باب ١٧، وأحمد في المسند ٤/ ٢٣١.
(٣) أخرجه أبو داود في الطب باب ٤، وابن ماجه في الطب باب ٢١.
(٤) الكمام: القلنسوة. وبطحاً: أي لازمة بالرأس غير ذاهبة في الهواء.
(٥) أخرجه الترمذي في اللباس باب ٤٠.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٨٨، ٤٨٩.

رواية ابن أبي عاصم: حدّثنا عقبة بن مكرم، ثنا محمّد بن موسى، حدثتنا عليلة بنت الكميت العتكية قالت: حدَّثني أبي عن أمة الله خادم النّبيّ ﷺ. أن رسول الله سبا صفيّة يوم قريظة والنضير، فأعتقها وأمهرها رزينة أم أمة الله. وهذا حديث غريب جداً.

ومنهن: أميمة. قال ابن الأثير: وهي مولاة رسول الله ﷺ. روى حديثها أهل الشام. روى عنها جُبَير بن نفير أنها كانت توضىء رسول الله، فأتاه رجل يوماً فقال له: أوصني، فقال: **«لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت بالنار، ولا تدع صلاة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله، ولا تشربنّ مسكراً فإنه رأس كل خطيئة، ولا تعصين والديك وإن أمراك أن تختلي من أهلك ودنياك»**.

ومنهن: بركة أم أيمن وأم أسامة بن زيد بن حارثة، وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين[1] بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان الحبشية، غلب عليها كنيتها أم أيمن، وهو ابنها من زوجها الأول عبيد بن زيد الحبشي، ثم تزوّجها بعده زيد بن حارثة، فولدت له أسامة ابن زيد، وتعرف بأم الظباء، وقد هاجرت الهجرتين رضي الله عنها، وهي حاضنة رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، وقد كانت ممن ورثها رسول الله ﷺ من أبيه، قاله الواقدي. وقال غيره: بل ورثها من أمه، وقيل: بل كانت لأخت خديجة فوهبتها من رسول الله ﷺ. وآمنت قديماً وهاجرت، وتأخّرت بعد النّبيّ ﷺ. وتقدم ما ذكرناه من زيارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إياها بعد وفاة النّبيّ ﷺ، وأنها بكت فقالا لها: أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟ فقالت: بلى، ولكن أبكي لأن الوحي قد انقطع من السماء، فجعلا يبكيان معها[2]. وقال البخاري في التاريخ، وقال عبد اللّه بن يوسف عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد، عن الزهري قال: كانت أم أيمن تحضن النّبيّ ﷺ حتى كبر، فأعتقها، ثم زوّجها زيد بن حارثة، وتوفيت بعد النّبيّ ﷺ بخمسة أشهر، وقيل ستة أشهر. وقيل إنها بقيت بعد قتل عمر بن الخطاب. وقد رواه مسلم عن أبي الطاهر وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: كانت أم أيمن الحبشية فذكره. وقال محمّد بن سعد عن الواقدي: توفيت أم أيمن في أول خلافة عثمان ابن عفان. قال الواقدي: وأنبأنا يَحيَىٰ بن سعيد بن دينار عن شيخ من بني سعد بن بكر قال: كان رسول الله ﷺ يقول لأم أيمن: **«يا أمه»** وكان إذا نظر إليها قال: **«هذه بقية أهل بيتي»**. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: أَخْبَرَني سليمان بن أبي شيخ قال: كان النّبيّ ﷺ يقول: **«أم أيمن أمي بعد أمي»**. وقال الواقدي عن أصحابه المدنيين قالوا: نظرت أم أيمن إلى النّبيّ ﷺ وهو يشرب، فقالت: اسقني، فقالت عائشة: أتقولين هذا لرسول الله ﷺ؟! فقالت: ما خدمته أطول، فقال رسول الله ﷺ: **«صدقت»** فجاء بالماء فسقاها، وقال المفضل بن غسّان: حدّثنا وهب بن جرير، ثنا أبي قال: سمعت عثمان بن القاسم قال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء وهي صائمة. فأصابها عطش شديد حتى جهدها، قال فدلى عليها دلو

---

(١) في الإصابة: حصن بدل حصين.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٠٣.

من السماء برشاء أبيض فيه ماء، قالت: فشربت فما أصابني عطش بعد، وقد تعرّضت العطش بالصوم في الهواجر[١] فما عطشت بعد. وقال الحافظ أبو يعلى: ثنا محمّد بن أبي بكر المقدمي، ثنا مسلم بن قتيبة عن الحسين بن حرب، عن يعلى بن عطاء، عن الوليد بن عبد الرّحمٰن، عن أم أيمن قالت: كان لرسول الله ﷺ فخارة يبول فيها، فكان إذا أصبح يقول: «يا أم أيمن صُبي ما في الفخارة» فقمت ليلة وأنا عطشى فشربت ما فيها، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم أيمن صُبّي ما في الفخارة» فقالت: يا رسول الله قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها فقال: «إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا أبداً». قال ابن الأثير في الغابة: وروى حجاج بن محمّد عن ابن جريج، عن حكيمة بنت أميمة، عن أمها أميمة بنت رقية قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان فيبول فيه يضعه تحت السرير، فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته، فطلبه فلم يجده، فقيل شربته بركة. فقال: «لقد احتظرت من النار بحظار»[٢] قال الحافظ أبو الحسن بن الأثير، وقيل إن التي شربت بوله عليه السلام إنما هي بركة الحبشية التي قدمت مع أم حبيبة من الحبشة، وفرّق بينهما، فالله أعلم.

قلت: فأما بريرة فإنها كانت لآل أبي أحمد بن جحش فكاتبوها فاشترتها عائشة منهم فأعتقتها فثبت ولاؤها[٣] لها كما ورد الحديث بذلك في الصحيحين، ولم يذكرها ابن عساكر.

ومنهن خضرة ذكرها ابن منده فقال: [روى معاوية عن هشام، عن سفيان، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه قال]: كان للنبي ﷺ خادم يقال لها: خضرة، وقال محمّد بن سعد عن الواقدي: ثنا فائد مولى عبد الله عن عبد الله[٤] بن عليّ بن أبي رافع، عن جدّته سلمى قالت: كان خدم رسول الله أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد، أعتقهن رسول الله ﷺ كلهن.

ومنهن: خليسة مولاة حفصة بنت عمر، قال ابن الأثير في الغابة: روت حديثها عليلة بنت الكميت عن جدّتها، عن خليسة مولاة حفصة، في قصة حفصة وعائشة مع سودة بنت زمعة، ومزحهما معها بأن الدجال قد خرج. فاختبأت في بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا، وجاء رسول الله فقال: «ما شأنكما؟» فأخبرتاه بما كان من أمر سودة، فذهب إليها فقالت: يا رسول الله أَخرج الدجال؟ فقال: «لا، وكأن قد خرج» فخرجت وجعلت تنفض عنها بيض العنكبوت. وذكر ابن الأثير خليسة مولاة سلمان الفارسي، وقال: لها ذكر في إسلام سلمان وإعتاقها إياه، وتعويضه عليه السّلام لها بأن غرس لها ثلاثمائة فسيلة، ذكرتها تمييزاً.

ومنهن: خولة خادم النّبيّ ﷺ، كذا قال ابن الأثير. وقد روى حديثها الحافظ أبو نعيم من طريق حفص بن سعيد القرشي، عن أمه، عن أمها خولة، وكانت خادم النّبيّ ﷺ، فذكر حديثاً في تأخّر الوحي بسبب جرو كلب مات تحت سريره عليه السلام ولم يشعروا به، فلما أخرجه

(١) الهواجر: جمع هجير: نصف النهار في الحر الشديد.
(٢) أي لقد احتميت بحمى عظيم يقيك حرها ويؤمنك دخولها.
(٣) أخرجه البخاري في العتق باب ١٠، ومسلم في العتق حديث ٨.
(٤) في الخلاصة: مولى عبادل وهو عبيد الله بن علي بن أبي رافع عنه.

جاء الوحي، فنزل قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [سورة الضحى: ١، ٣] وهذا غريب، والمشهور في سبب نزولها غير ذلك [والله أعلم].

ومنهن رزينة، قال ابن عساكر: والصحيح أنها كانت لصفية بنت حيي، وكانت تخدم النّبيّ ﷺ.

قلت: وقد تقدم في ترجمة ابنتها أمة الله أنه عليه السَّلام أمهر صفية بنت حيي أمها رزينة، فعلى هذا يكون أصلها له عليه السَّلام، وقال الحافظ أبو يعلى: ثنا أبو سعيد الجشمي، حدثتنا عليلة بنت الكميت قالت: سمعت أمي أمينة قالت: حدثتني أمة الله بنت رزينة عن أمها رزينة مولاة رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ سبا صفية يوم قُريظة والنضير حين فتح الله عليه، فجاء يقودها سبية، فلما رأت النساء قالت: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنك رسول الله. فأرسلها وكان ذراعها في يده، فأعتقها ثم خطبها وتزوّجها وأمهرها رزينة. هكذا وقع في هذا السياق، وهو أجود مما سبق من رواية ابن أبي عاصم، ولكن الحق أنه عليه السَّلام اصطفى صفيّة من غنائم خَيْبر، وأنه أعتقها وجعل عتقها صداقها، وما وقع في هذه الرواية يوم قريظة والنضير تخبيط فإنهما يومان، بينهما سنتان والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل أَخْبَرَنا ابن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفّار، ثنا عليّ بن الحسن السكري، ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثتنا عليلة بنت الكميت العتكية عن أمها أمينة، قالت: قلت لأمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله ﷺ: يا أمة الله أسمعت أمك تذكر أنها سمعت رسول الله يذكر صوم عاشوراء؟ قالت: نعم، كان رسول الله ﷺ يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة، فيتفل في أفواههم ويقول لأمهاتهم: «لا ترضعيهم إلى الليل» له شاهد في الصحيح.

ومنهن: رضوى، قال ابن الأثير: روى سعيد بن بشير عن قتادة عن رضوى بنت كعب، أنها سألت رسول الله ﷺ عن الحائض تخضب، فقال: «ما بذلك بأس» رواه أبو موسى المديني.

ومنهن: ريحانة بنت شمعون القرظية، وقيل النضرية، وقد تقدم ذكرها بعد أزواجه رضي الله عنهن.

ومنهن: زرينة والصحيح رزينة كما تقدم.

ومنهن: سانية مولاة رسول الله ﷺ، روت عنه حديثاً في اللقطة، وعنها طارق بن عبد الرّحمٰن، روى حديثها أبو موسى المديني هكذا ذكر ابن الأثير في أسد الغابة.

ومنهن سَدِيسة الأنصارية، وقيل مولاة حفصة بنت عمر. روت عن النّبيّ ﷺ قال: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلاَّ خرّ لوجهه» قال ابن الأثير: رواه عبد الرّحمٰن بن الفضل بن الموفق عن أبيه، عن إسرائيل، عن الأوزاعي، عن سالم، عن سديسة، ورواه إسحاق بن يسار عن الفضل. فقال عن سديسة عن حفصة عن النّبيّ ﷺ، فذكره رواه أبو نعيم وابن منده.

ومنهن: سلامة حاضنة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، روت عنه حديثاً في فضل الحمل والطلق والرضاع والسهر، فيه غرابة ونكارة من جهة إسناده ومتنه، رواه أبو نعيم وابن منده من

حديث هشام بن عمّار بن نصير خطيب دمشق عن أبيه عمرو بن سعيد الخولاني، عن أنس عنها. ذكرها ابن الأثير.

ومنهن: سلمى وهي أم رافع امرأة أبي رافع كما رواه الواقدي عنها أنها قالت: كنت أخدم رسول الله ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد، فأعتقنا رسول الله ﷺ كلّنا. قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو عامر وأبو سعيد مولى بني هاشم، ثنا عبد الرَّحمٰن بن أبي الموالي عن فائد مولى ابن أبي رافع، عن جدّته سلمى خادم النّبيّ ﷺ قالت: ما سمعت قط أحداً يشكو إلى رسول الله ﷺ وجعاً في رأسه إلاّ قال: «**احتجم**» وفي رجليه إلاّ قال: «**اخضبهما بالحنّاء**»[1]. وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن أبي الموالي والترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الخباب، كلاهما عن فائد، عن مولاه عُبَيد اللّه بن عليّ بن أبي رافع، عن جدّته سلمى به. وقال الترمذي: غريب إنما نعرفه من حديث فائد. وقد روت عدة أحاديث عن النّبيّ ﷺ يطول ذكرها واستقصاؤها. قال مصعب الزبيري: وقد شهدت سلمى وقعة حنين.

قلت: وقد ورد أنها كانت تطبخ للنبي ﷺ الحريرة[2] فتعجبه، وقد تأخرت إلى بعد موته عليه السلام، وشهدت وفاة فاطمة رضي الله عنها، وقد كانت أولاً لصفية بنت عبد المطلب عمّته عليه السَّلام، ثم صارت لرسول الله ﷺ. وكانت قابلة أولاد فاطمة، وهي التي قبلت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وقد شهدت غسل فاطمة، وغسلتها مع زوجها عليّ بن أبي طالب، وأسماء بنت عميس امرأة الصّدِّيق. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو النضر، ثنا إبراهيم بن سعد عن محمّد بن إسحاق، عن عُبَيد اللّه بن عليّ بن أبي رافع، عن أبيه، عن سلمى قالت: اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها الذي قبضت فيه، فكنت أمرضها، فأصبحت يوماً كمثل ما يأتيها في شكواها ذلك، قالت: وخرج عليّ لبعض حاجته، فقالت: يا أمه اسكبي لي غسلاً، فسكبت لها غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت: يا أمه أعطني ثيابي الجدد فلبستها، ثم قالت: يا أمه قدّمي لي فراشي وسط البيت، ففعلت واضطجعت، فاستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ثم قالت: يا أمه إني مقبوضة الآن، وقد تطهرت فلا يكشفني أحد، فقبضت مكانها. قالت: فجاء عليّ فأخبرته[3]. وهو غريب جداً.

ومنهن: شيرين، ويقال سيرين أخت مارية القبطية، خالة إبراهيم عليه السَّلام، وقدمنا أن المقوقس صاحب اسكندرية واسمه جريج بن مينا أهداهما مع غلام اسمه مابور، وبغلة يقال لها: الدلدل، فوهبها رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت، فولدت له ابنه عبد الرَّحمٰن بن حسّان.

ومنهن: عنقودة أم مليح الحبشية جارية عائشة، كان اسمها عنبة فسمّاها رسول الله ﷺ عنقودة، رواه أبو نعيم. ويقال: اسمها: غفيرة.

---

(١) أخرجه أبو داود في الطب باب ٣، والترمذي في الطب باب ١٣، وابن ماجه في الطب باب ٢٩، وأحمد في المسند ٦/ ٤٦٢.

(٢) الحريرة: الحساء المطبوخ من الدقيق والدسم والماء.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٦١، ٤٦٢.

فروة ظئر النّبيّ ﷺ ـ يعني مرضعه ـ قالت: قال لي رسول الله: «إذا أويت إلى فراشك فاقرئي: قل يا أيها الكافرون، فإنها براءة من الشرك» ذكرها أبو أحمد العسكري، قاله ابن الأثير في أسد الغابة، فأما فضة النوبية فقد ذكر ابن الأثير في الغابة أنها كانت مولاة لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم أورد بإسناد مظلم عن محبوب بن حميد البصري، عن القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٨] ثم ذكر ما مضمونه: أن الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ، وعادهما عامة العرب، فقالوا لعليّ: لو نذرت؟ فقال عليّ: إن برآ مما بهما، صمت لله ثلاثة أيام، وقالت فاطمة كذلك، وقالت فضة كذلك، فألبسهما الله العافية فصاموا. وذهب عليّ فاستقرض من شمعون الخيبري ثلاثة آصع من شعير، فهيئوا منه تلك الليلة صاعاً فلما وضعوه بين أيديهم للعشاء، وقف على الباب سائل فقال: أطعموا المسكين أطعمكم الله على موائد الجنّة، فأمرهم عليّ فأعطوه ذلك الطعام وطووا، فلما كانت الليلة الثانية صنعوا لهم الصاع الآخر فلما وضعوه بين أيديهم وقف سائل فقال: أطعموا اليتيم فأعطوه ذلك وطووا. فلما كانت الليلة الثالثة قال: أطعموا الأسير فأعطوه وطووا ثلاثة أيام وثلاث ليال. فأنزل الله في حقهم ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإنسان: ١، ٩] وهذا الحديث منكر، ومن الأئمة من يجعله موضوعاً، ويسند ذلك إلى ركة ألفاظه، وأن هذه السورة مكية والحسن والحسين إنما ولدوا بالمدينة والله أعلم.

ليلى مولاة عائشة، قالت: يا رسول الله إنك تخرج من الخلاء فأدخل في أثرك فلم أر شيئاً إلاّ أني أجد ريح المسك؟ فقال: «إنا معشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح أهل الجنة، فما خرج منا من نتن ابتلعته الأرض». رواه أبو نعيم من حديث أبي عبد اللّه المدني ـ وهو أحد المجاهيل ـ عنها.

مارية القبطية أم إبراهيم. تقدم ذكرها مع أمهات المؤمنين. وقد فرق ابن الأثير بينها وبين مارية أم الرباب، قال: وهي جارية للنبي ﷺ أيضاً. حديثها عند أهل البصرة، رواه عبد اللّه بن حبيب عن أم سلمى، عن أمها، عن جدتها مارية قالت: تطأطأت للنبي ﷺ حتى صعد حائطاً ليلة فر من المشركين. ثم قال: ومارية خادم النّبيّ ﷺ. روى أبو بكر عن ابن عباس عن المثنى بن صالح عن جدّته مارية ـ وكانت خادم النّبيّ ﷺ ـ أنها قالت: ما مسست بيدي شيئاً قط ألين من كف رسول الله ﷺ. قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: لا أدري أهي التي قبلها أم لا.

ومنهن: ميمونة بنت سعد، قال الإمام أحمد: حدّثنا عليّ بن محمّد بن محرز، ثنا عيسى ـ هو ابن يونس ـ ثنا ثور ـ هو ابن يزيد ـ عن زياد بن أبي سَوْدة عن أخيه أن ميمونة مولاة النّبيّ ﷺ قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المَنْشَر والمَحْشَر، ائتوه فصلّوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة» قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: «فليُهْدِ إليه زَيْتاً يُسْرَجُ فيه، فإنه من أهدى له كان كَمَن صلّى فيه»[1]. وهكذا رواه ابن ماجه عن

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٤، وابن ماجه في الإقامة باب ١٩٦، وأحمد في المسند ٦/ ٤٦٣.

إسماعيل بن عبد الله الرقي عن عيسى بن يونس، عن ثور، عن زياد، عن أخيه عثمان بن أبي سودة، عن ميمونة مولاة النّبيّ ﷺ. وقد رواه أبو داود عن الفضل بن مسكين بن بكير، عن سعيد بن عبد العزيز، عن ثور، عن [أبي][1] زياد، عن ميمونة[2] لم يذكر أخاه فالله أعلم. وقال أحمد: حدّثنا حسين وأبو نعيم قالا: ثنا إسرائيل عن زيد بن جُبَير عن أبي يزيد الضبي، عن ميمونة بنت سعد مولاة النّبيّ ﷺ قالت: سئل النّبيّ ﷺ عن ولد الزنا قال: «**لا خير فيه، نعلان أجاهد بهما في سبيل الله أحبّ إليّ من أن أعتق ولد الزنى**»[3] وهكذا رواه النسائي عن عبّاس الدوري، وابن ماجه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن أبي نعيم الفضل بن دكين به. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا المحاربي، ثنا موسى ابن عبيدة عن أيوب بن خالد، عن ميمونة - وكانت تخدم النّبيّ ﷺ - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرافلة في الزينة في غير أهلها، كالظلمة يوم القيامة لا نور لها**»[4]. ورواه الترمذي من حديث موسى بن عبيدة وقال: لا نعرفه إلاّ من حديثه، وهو يضعفه في الحديث. وقد رواه بعضهم عنه فلم يرفعه.

ومنهن: ميمونة بنت أبي عسيبة أو عنبسة، قاله أبو عمرو بن منده. قال أبو نعيم: وهو تصحيف والصواب ميمونة بنت أبي عسيب. وكذلك روى حديثها المشجع بن مصعب أبو عبد الله العبدي، عن ربيعة بنت يزيد، وكانت تنزل في بني قريع، عن منبه، عن ميمونة بنت أبي عسيب، وقيل بنت أبي عنبسة مولاة النّبيّ ﷺ أن امرأة من حريش أتت النّبيّ ﷺ، فنادت: يا عائشة أغيثيني بدعوة من رسول الله تسكنيني بها وتطمنيني بها، وأنه قال لها: «**ضعي يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه، وقولي بسم الله اللهم داوني بدوائك، واشفني بشفائك، واغنني بفضلك عمن سواك**» قالت ربيعة فدعوت به فوجدته جيداً.

ومنهنّ: أم ضميرة زوج أبي ضميرة، قد تقدم الكلام عليهم رضي الله عنهم.

ومنهن: أم عياش بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته تخدمها حين زوّجها بعثمان بن عفان. قال أبو القاسم البغوي: حدّثنا عكرمة، ثنا عبد الواحد بن صفوان، حدّثني أبي صفوان، عن أبيه، عن جدته أم عياش - وكانت خادم النّبيّ ﷺ - بعث بها مع ابنته إلى عثمان، قالت: كنت أمغث[5] لعثمان التمر غدوة، فيشربه عشية، وأنبذه عشية فيشربه غدوة، فسألني ذات يوم فقال: تخلطين فيه شيئاً؟ فقلت: أجل، قال: فلا تعودي. فهؤلاء إماؤه رضي الله عنهن. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، ثنا القاسم بن الفضل، حدّثني ثمامة بن حزن، قال: سألت عائشة عن النبيذ فقالت: هذه خادم رسول الله فسلها، لجارية حبشية، فقالت: كنت أنبذ لرسول الله

---

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: ميونة.

(٣) أخرجه ابن ماجه في العتق باب ٩، وأحمد في المسند ٦/٤٦٣.

(٤) أخرجه الترمذي في الرضاع باب ١٣.

(٥) المغث: المرث والدلك.

ﷺ في سقاء عشاء فأوكيه، فإذا أصبح شرب منه[١]. ورواه مسلم والنسائي من حديث القاسم ابن الفضل به. هكذا ذكره أصحاب الاطراف في مسند عائشة، والأليق ذكره في مسند جارية حبشية كانت تخدم النبي، وهي إما أن تكون واحدة ممن قدمناه ذكرهنّ، أو زائدة عليهنّ، والله تعالى أعلم.

فصل وأما خدّامه ﷺ

الذين خدموه من الصحابة من غير مواليه فمنهم؛ أنس بن مالك

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عاصم بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجّاري أبو حمزة المدني نزيل البصرة. خدم رسول الله ﷺ مدة مقامه بالمدينة عشر سنين، فما عاتبه على شيء أبداً، ولا قال لشيء فعله لِمَ فعلته، ولا لشيء لم يفعله ألا فعلته. وأمه أم سليم بنت مَلْحان بن خالد بن زيد بن حرام هي التي أعطته رسول الله ﷺ فقبّله، وسألته أن يدعو له فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، وأدخله الجنة**». قال أنس: فقد رأيت اثنتين وأنا انتظر الثالثة، والله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو من مائة[٢]، وفي رواية وإن كرمي ليحمل في السنة مرتين. وإن ولدي لصلبي مائة وستة أولاد. وقد اختلف في شهوده بدراً، وقد روى الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال: قيل لأنس أشهدت بدراً؟ فقال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك! والمشهور أنه لم يشهد بدراً لصغره، ولم يشهد أُحُداً أيضاً لذلك. وشهد الحُدَيْبية وخَيْبر وعمرة القضاء والفتح وحنيناً والطائف، وما بعد ذلك. قال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعني أنس بن مالك -. وقال ابن سيرين: كان أحسن الناس صلاة في سفره وحضره، وكانت وفاته بالبصرة وهو آخر من كان قد بقي فيها من الصحابة، فيما قاله عليّ بن المديني، وذلك في سنة تسعين، وقيل: إحدى، وقيل اثنتين، وقيل ثلاث وتسعين، وهو الأشهر، وعليه الأكثر. وأما عمره يوم مات فقد روى الإمام أحمد في مسنده: حدّثنا معتمر بن سليمان عن حميد، أن إنساً عمّر مائة سنة غير سنة[٣]، وأقل ما قيل ست وتسعون، وأكثر ما قيل مائة وسبع سنين، وقيل ست، وقيل مائة وثلاث سنين فالله أعلم.

ومنهم: رضي الله عنهم الأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي. قال محمّد بن سعد: كان اسمه ميمون بن سنباذ، قال الربيع بن بدر الأعرجي عن أبيه، عن جده، عن الأسلع قال: كنت أخدم النّبيّ ﷺ وأرحل معه، فقال ذات ليلة: «**يا أسلع قم فارحل**» قال: أصابتني جنابة يا

---

(١) أخرجه مسلم في الأشربة حديث ٨٤، وأحمد في المسند ٦/ ١٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٤٧، ومسلم في الفضائل حديث ١٤٣، ١٤٤، والترمذي في المناقب باب ٤٥، وأحمد في المسند ٣/ ٢٤٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٢٤.

رسول الله، قال: فسكت ساعة وأتاه جبريل بآية الصعيد، فقال: «قم يا أسلع فتيمّم»، قال: فتيمّمت وصلّيت، فلما انتهيت إلى الماء قال: «يا أسلع قم فاغتسل»، قال: فأراني التيمّم، فضرب رسول الله يديه إلى الأرض ثم نفضهما، ثم مسح بهما وجهه، ثم ضرب بيديه الأرض، ثم نفضهما فمسح بهما ذراعيه، باليمنى على اليسرى، وباليسرى على اليمنى، ظاهرهما وباطنهما. قال الجميع: وأراني أبي، كما أراه أبوه، كما أراه الأسلع، كما أراه رسول الله. قال الربيع: فحدّثت بهذا الحديث عوف بن أبي جميلة فقال: هكذا والله رأيت الحسن يصنع. رواه ابن منده والبغوي في كتابيهما معجم الصحابة من حديث الربيع بن بدر هذا، قال البغوي: ولا أعلمه روى غيره. قال ابن عساكر وقد روى ـ يعني هذا الحديث ـ الهيثم بن رزيق المالكي المدلجي عن أبيه عن الأسلع بن شريك.

ومنهم: رضي الله عنهم أسماء بن حارثة بن سعد بن عبد الله بن عباد بن سعد بن عمرو ابن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى الأسلمي، وكان من أهل الصفة، قاله محمّد بن سعد. وهو أخو هند بنت حارثة، وكانا يخدمان النبيّ ﷺ. قال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا وهيب، ثنا عبد الرَّحمٰن بن حرملة عن يَحْيَىٰ بن هند بن حارثة، وكان هند من أصحاب الحديبية، وكان أخوه الذي بعثه رسول الله يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء، وهو أسماء بن حارثة، فحدَّثني يَحْيَىٰ بن هند عن أسماء بن حارثة أن رسول الله ﷺ بعثه فقال: «مر قومك بصيام هذا اليوم». قال: أرأيت إن وجدتهم قد طعموا؟ قال: «فليتموا آخر يومهم»[١]. وقد رواه أحمد بن خالد الوهبي عن محمّد بن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن حبيب بن هند بن أسماء الأسلمي، عن أبيه هند قال: بعثني رسول الله إلى قوم من أسلم فقال: «مر قومك فليصوموا هذا اليوم، ومن وجدت منهم أكل في أول يومه فليصم آخره»[٢]. قال محمّد بن سعد عن الواقدي: أنبأنا محمّد بن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما كنت أظن أن هنداً وأسماء ابني حارثة إلاّ مملوكين لرسول الله [ﷺ. قال الواقدي: كانا يخدمانه لا يبرحان بابه هما وأنس بن مالك]. قال محمّد بن سعد: وقد توفي أسماء بن حارثة في سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة.

ومنهم: بكير بن الشداخ الليثي. ذكر ابن منده من طريق أبي بكر الهذلي، عن عبد الملك ابن يعلى الليثي، أن بكير بن شداخ الليثي كان يخدم النبيّ ﷺ، فاحتلم فأعلم بذلك رسول الله وقال: إني كنت أدخل على أهلك ، وقد احتلمت الآن يا رسول الله، فقال: «اللهم صدق قوله، ولقه الظفر» فلما كان في زمان عمر قتل رجل من اليهود، فقام عمر خطيباً، فقال: أنشد الله رجلاً عنده من ذلك علم؟ فقام بكير فقال: أنا قتلته يا أمير المؤمنين. فقال عمر: بؤت بدمه فأين المخرج؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن رجلاً من الغزاة استخلفني على أهله، فجئت فإذا هذا اليهودي عند امرأته وهو يقول:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٧٨/٤.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٨٤/٣.

وأشعث غرّه الإسلام مني ... خلوتُ بعُرسِه ليلَ التمام

أبيتُ على ترائبها ويُمسي ... على جُرْدِ الأعنّة والحِزَام

كأنّ مجامِعَ الربَلاتِ منها ... فِئَامٌ ينهضون إلى فِئَام

قال: فصدّق عمر قوله وأبطل دم اليهودي بدعاء رسول الله ﷺ لبكير بما تقدم.

ومنهم: رضي الله عنهم بلال بن رباح الحبشي. ولد بمكة، وكان مولى لأمية بن خلف، فاشتراه أبو بكر منه بمال جزيل لأن كان أمية يعذّبه عذاباً شديداً ليرتد عن الإسلام، فيأبى إلاَّ الإسلام رضي الله عنه، فلما اشتراه أبو بكر أعتقه ابتغاء وجه الله، وهاجر حين هاجر الناس، وشهد بدراً وأُحُداً وما بعدهما من المشاهد رضي الله عنه. وكان يعرف ببلال ابن حمامة وهي أمه، وكان من أفصح الناس، لا كما يعتقده بعض الناس أن سينه كانت شيناً، حتى أن بعض الناس يروي حديثاً في ذلك لا أصل له عن رسول الله أنه قال: «إن سينه كانت شيناً». وهو أحد المؤذّنين الأربعة كما سيأتي، وهو أول من أذّن كما قدمنا. وكان يلي أمر النفقة على العيال، ومعه حاصل ما يكون من المال. ولما توفي رسول الله ﷺ كان فيمن خرج إلى الشام للغزو، ويقال إنه أقام يؤذّن لأبي بكر أيام خلافته، والأول أصح وأشهر. قال الواقدي: مات بدمشق سنة عشرين وله بضع وستون سنة. وقال الفلاس قبره بدمشق، ويقال بداريا، وقيل إنه مات بحلب، والصحيح أن الذي مات بحلب أخوه خالد. قال مكحول: حدَّثني من رأى بلال قال: كان شديد الأدمة نحيفاً أجنأ له شعر كثير، وكان لا يغير شيبه رضي الله عنه.

ومنهم: رضي الله عنهم حبة وسواء ابنا خالد رضي الله عنهما. قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، قال: وثنا وكيع، ثنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل، عن حبة وسواء ابنا خالد قالا: دخلنا على النّبيّ ﷺ وهو يصلح شيئاً فأعناه، فقال: «لا ينسأ من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحيمر ليس عليه قشرة، ثم يرزقه الله عزّ وجل»[1].

ومنهم: رضي الله عنهم ذو مخمر، ويقال ذو محبر؛ وهو ابن أخي النجاشي ملك الحبشة، ويقال ابن أخته. والصحيح الأول. كان بعثه ليخدم رسول الله ﷺ نيابة عنه. قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو النضر، ثنا جرير عن يزيد بن صليح، عن ذي مخمر - وكان رجلاً من الحبشة يخدم النّبيّ ﷺ - قال: كنا معه في سفر فأسرع السير حتى انصرف، وكان يفعل ذلك لقلّة الزاد. فقال له قائل: يا رسول الله قد انقطع الناس، قال: فجلس وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه، فقال لهم: «هل لكم أن نهجع هجعة؟» أو قال له قائل فنزل ونزلوا فقالوا: من يكلؤنا الليلة؟ فقلت: أنا جعلني الله فداك، فأعطاني خطام ناقته فقال: «هاك لا تكوننّ لكعاً» قال: فأخذت بخطام ناقة رسول الله وخطام ناقتي، فتنحيت غير بعيد فخليت سبيلهما ترعيان، فإني كذلك أنظر إليهما إذ أخذني النوم، فلم أشعر بشيء حتى وجدت حرّ الشمس على وجهي، فاستيقظت فنظرت يميناً وشمالاً، فإذا أنا بالراحلتين مني غير بعيد، فأخذت بخطام

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٦٩.

ناقة رسول الله ﷺ وبخطام ناقتي، فأتيت أدنى القوم فأيقظته فقلت: أصليت؟ قال: لا، فأيقظ الناس بعضهم بعضاً حتى استيقظ رسول الله ﷺ، فقال: «يا بلال هل في الميضاة ماء» يعني الإداوة، فقال: نعم جعلني الله فداك، فأتاه بوضوء لم يلت منه التراب، فأمر بلالاً فأذن ثم قام النبيّ ﷺ فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عجل، ثم أمره فأقام الصلاة فصلى وهو غير عجل، فقال له قائل: يا رسول الله أفرطنا، قال: «لا، قبض الله أرواحنا وردها إلينا، وقد صلّينا»[١].

ومنهم: رضي الله عنهم ربيعة بن كعب الأسلمي أبو فراس. قال الأوزاعي: حدَّثني يَحْيَىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن ربيعة بن كعب، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فآتيه بوضوئه وحاجته، فكان يقوم من الليل فيقول: «سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده الهويّ، سبحان رب العالمين سبحان رب العالمين الهويّ» فقال رسول الله: «هل لك حاجة؟» قلت: يا رسول الله مُرَافَقَتُك في الجنّة، قال: «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود»[٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا أبي، ثنا محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن عمرو بن عطاء، عن نعيم بن محمد، عن ربيعة بن كعب قال: كنت أخدم رسول الله نهاري أجمع، حتى يصلي عشاء الآخرة، فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول لعلها أن تحدث لرسول الله حاجة، فما أزال أسمع رسول الله ﷺ يقول: «سبحان الله وبحمده» حتى أمل فأرجع، أو تغلبني عيناي فأرقد، فقال لي يوماً ـ لِمَا يَرى من حقي له وخدمتي إياه ـ «يا ربيعة بن كعب سلني أعطك» قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك، قال: ففكرت في نفسي، فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت وأسأل رسول الله لآخرتي فإنه من الله بالمنزل الذي هو به، قال: فجئته فقال: «ما فعلت يا ربيعة؟» قال: فقلت: نعم يا رسول الله أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار، قال: «فقال: من أمرك بهذا يا ربيعة؟» قال فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت سلني أعطك وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به، نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني، فقلت أسأل رسول الله لآخرتي. قال: فصمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال لي: «إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود»[٣] وقال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا أبو خيثمة أنبأنا يزيد بن هارون، ثنا مبارك بن فضالة، ثنا أبو عمران الجوني عن ربيعة الأسلمي ـ وكان يخدم النبي ﷺ ـ قال فقال لي ذات يوم: «يا ربيعة ألا تزوّج؟» قال: قلت يا رسول ما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء، وما عندي ما أعطي المرأة. قال: فقلت بعد ذلك رسول الله أعلم بما عندي مني، يدعوني إلى التزويج، لئن دعاني هذه المرة لأجيبنه. قال فقال لي: «يا ربيعة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٩٠، ٩١.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٢٢٦، وأبو داود في الصلاة باب ٣١٢، والترمذي في الدعوات باب ٢٧، والنسائي في التطبيق باب ٧٩، وابن ماجه في الدعاء باب ١٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/٥٩.

ألا تزوج»؟ فقلت: يا رسول الله ومَنْ يزوّجني؟ ما عندي ما أعطي المرأة. فقال لي: «انطلق إلى بني فلان فقل لهم إن رسول الله يأمركم أن تزوّجوني فتاتكم فلانة» قال فأتيتهم فقلت: إن رسول الله أرسلني إليكم لتزوّجوني فتاتكم فلانة، قالوا: فلانة؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً برسول الله ومرحباً برسوله، فزوّجوني، فأتيت رسول الله فقلت: يا رسول الله أتيتك من خير أهل بيت صدقوني وزوّجوني، فمن أين لي ما أعطي صداقي؟ فقال رسول لبريدة الأسلمي: «اجمعوا لربيعة في صداقة في وزن نواة من ذهب» فجمعوها فاعطوني فأتيتهم فقبلوها، فاتيت رسول الله فقلت يا رسول الله قد قبلوا فمن أين لي ما أولم؟ قال فقال رسول الله ﷺ لبريدة: «اجمعوا لربيعة في ثمن كبش» قال: فجمعوا وقال لي «انطلق إلى عائشة فقل لها فلتدفع إليك ما عندها من الشعير» قال: فأتيتها فدفعت إلي، فانطلقت بالكبش والشعير فقالوا: أما الشعير فنحن نكفيك، وأما الكبش فمر أصحابك فليذبحوه، وعملوا الشعير فأصبح والله عندنا خبز ولحم، ثم إن رسول الله أقطع أبا بكر أرضاً له، فاختلفنا في عذق، فقلت هو في أرضي. وقال أبو بكر: هو في أرضي، فتنازعنا، فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها، فندم فأحضرني فقال لي: قل لي كما قلت، قال: فقلت لا والله لا أقول لك كما قلت لي، قال: إذاً آتي رسول الله. قال: فأتى رسول الله وتبعته فجاءني قومي يتبعونني، فقالوا: هو الذي قال لك وهو يأتي رسول الله فيشكو؟ قال: فالتفت إليهم فقلت تدرون من هذا، هذا الصديق وذو شيبة المسلمين، ارجعوا لا يلتفت فيراكم فيظن أنكم إنما جئتم لتعينوني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله فيخبره فيهلك ربيعة. قال: فأتى رسول الله، فقال: إني قلت لربيعة كلمة كرهتها، فقلت له يقول لي مثل ما قلت له فأبى، فقال رسول الله ﷺ: «يا ربيعة ومالك وللصديق؟» قال: فقلت: يا رسول الله والله لا أقول له كما قال لي، فقال رسول الله «لا تقل له كما قال لك، ولكن قل غفر الله لك يا أبا بكر»[(١)].

ومنهم: رضي الله عنهم سعد مولى أبي بكر رضي الله عنه، ويقال مولى النبي ﷺ. قال أبو داود الطيالسي: ثنا أبو عامر عن الحسن عن سعد مولى أبي بكر الصديق أن رسول الله قال لأبي بكر ـ وكان سعد مملوكاً لأبي بكر، وكان رسول الله يعجبه خدمته ـ «أعتق سعداً» فقال: يا رسول الله ما لنا خادم ها هنا غيره، فقال: «أعتق سعداً أتتك الرجال أتتك الرجال»[(٢)]. وهكذا رواه أحمد عن أبي داود الطيالسي. وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا أبو عامر عن الحسن، عن سعد قال: قربت بين يدي رسول الله ﷺ تمراً، فجعلوا يقرنون[(٣)]، فنهى رسول الله ﷺ عن القران[(٤)]. ورواه ابن ماجه عن بندار عن أبي داود به.

ومنهم: رضي الله عنهم عبد الله بن رواحة. دخل يوم عمرة القضاء مكة وهو يقود بناقة

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٥٨، ٥٩.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/١٩٩.
(٣) أي يأكلون اثنتين دفعة واحدة.
(٤) أخرجه ابن ماجه في الأطعمة باب ٤١، وأحمد في المسند ١/١٩٩.

رسول الله ﷺ وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهامَ عن مَقيله

ويُشغِلُ الخليلَ عن خليله[1]

كما قدمنا ذلك بطوله. وقد قتل عبد الله بن رواحة بعد هذا بأشهر في يوم مؤتة كما تقدم أيضاً.

ومنهم: رضي الله عنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ أبو عبد الرحمن الهذلي. أحد أئمة الصحابة: هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها، كان يلي حمل نعلي النبي ﷺ، ويلي طهوره، ويرحل دابته إذا أراد الركوب، وكانت له اليد الطولى في تفسير كلام الله، وله العلم الجم والفضل والحلم، وفي الحديث أن رسول الله قال لأصحابه ـ وقد جعلوا يعجبون من دقة ساقيه ـ فقال: **«والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد»**[2]. وقال عمر ابن الخطاب في ابن مسعود: هو كنيف مُلىء علماً. وذكروا أنه نحيف الخَلْق حسن الخُلُق، يقال: إنه كان إذا مشى يسامت الجلوس وكان يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودلّه وسمته، يعني أنه يشبه بالنبي ﷺ في حركاته وسكناته وكلامه، ويتشبّه بما استطاع من عبادته، توفي رضي الله عنه في أيام عثمان سنة اثنتين ـ أو ثلاث ـ وثلاثين بالمدينة عن ثلاث وستين سنة، وقيل إنه توفي بالكوفة والأول أصح.

ومنهم: رضي الله عنهم عقبة بن عامر الجهني. قال الإمام أحمد: ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرَّحمٰن، عن عقبة بن عامر قال: بينما أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال لي: **«يا عقبة ألا تركب؟»** قال: فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله وركبت هنيهة، ثم ركب، ثم قال: **«يا عقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟»** قلت: بلى يا رسول الله، فأقرأني ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾. ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما. ثم مرّ بي فقال: **«اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت»**[3]. وهكذا رواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم، وعبد الله ابن المبارك عن ابن جابر، ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن القاسم أبي عبد الرَّحمٰن، عن عقبة به.

ومنهم: رضي الله عنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي. روى البخاري عن أنس، قال: كان قيس بن سعد بن عبادة من النّبيّ ﷺ بمنزلة صاحب الشرط من الأمير[4]، وقد

---

(١) أخرجه الترمذي في الأدب باب ٧٠، والنسائي في المناسك باب ١٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٢٠، ٤٢١.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٣٥٤، والنسائي في الاستعاذة حديث ٥٤٤١، وأحمد في المسند ٤/ ١٤٤.

(٤) أخرجه البخاري في الأحكام باب ١٢.

كان قيس هذا رضي الله عنه من أطول الرجال، وكان كوسجاً، ويقال إن سراويله كان يضعه على أنفه من يكون من أطول الرجال، فتصل رجلاه الأرض، وقد بعث سراويله معاوية إلى ملك الروم يقول له: هل عندكم رجل يجيء هذه السراويل على طوله؟ فتعجّب صاحب الروم من ذلك. وذكروا أنه كان كريماً ممدحاً ذا رأي ودهاء، وكان مع عليّ بن أبي طالب أيام صفّين. وقال مسعر عن معبد بن خالد: كان قيس بن سعد لا يزال رافعاً أصبعه المسبحة يدعو رضي الله عنه وأرضاه. وقال الواقدي وخليفة بن خياط وغيرهما: توفي بالمدينة في آخر أيام معاوية. وقال الحافظ أبو بكر البزّار: ثنا عمر بن الخطاب السجستاني، ثنا عليّ بن يزيد الحنفي، ثنا سعيد بن الصلت عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس قال: كان عشرون شاباً من الأنصار يلزمون رسول الله ﷺ لحوائجه، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه.

ومنهم: رضي الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفي رضي الله عنه. كان بمنزلة السلحدار بين يدي رسول الله ﷺ، كما كان رافعاً السيف في يده وهو واقف على رأس النبيّ ﷺ في الخيمة يوم الحديبية: فجعل كلما أهوى عمُه عروة بن مسعود الثقفي حين قدم في الرسيلة إلى لحية رسول الله ﷺ - على ما جرت به عادة العرب في مخاطباتها - يقرع يده بقائمة السيف ويقول: أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك. الحديث كما قدمناه. قال محمّد بن سعد وغيره: شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وولاّه مع أبي سفيان الإمرة حين ذهبا، فخربا طاغوت أهل الطائف، وهي المدعوة بالربّة، وهي اللات، وكان داهية من دهاة العرب. قال الشعبي: سمعته يقول: ما غلبني أحد قط. وقال الشعبي: سمعت قبيصة بن جابر يقول: صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلاّ بمكر، لخرج من أبوابها. وقال الشعبي: القضاة أربعة: أبو بكر وعمر وابن مسعود وأبو موسى، والدهاة أربعة: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد. وقال الزهري: الدهاة خمسة: معاوية وعمرو والمغيرة واثنان مع عليّ وهما قيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء. وقال الإمام مالك: كان المغيرة بن شعبة رجلاً نكّاحاً للنساء، وكان يقول صاحب الواحدة إن حاضت حاض معها، وإن مرضت مرض معها، وصاحب الثنتين بين نارين يشتعلان، قال: فكان ينكح أربعاً ويطّلقهن جميعاً. وقال غيره: تزوج ثمانين امرأة، وقيل ثلاث مائة امرأة، وقيل أحصن بألف امرأة. وقد اختلف في وفاته على أقوال أشهرها وأصحّها وهو الذي حكى عليه الخطيب البغدادي الإجماع أنه توفي سنة خمسين.

ومنهم: رضي الله عنهم المقداد بن الأسود أبو معبد الكندي حليف بني زهرة. قال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى، عن المقداد بن الأسود قال: قدمت المدينة أنا وصاحبان فتعرّضنا للناس فلم يضفنا أحد، فأتينا إلى النبيّ ﷺ فذكرنا له، فذهب بنا إلى منزله وعنده أربعة أعنز، فقال: «احلبهن يا مقداد، وجزئهن أربعة أجزاء، واعط كل إنسان جزءاً» فكنت أفعل ذلك، فرفعت للنبي ﷺ ذات ليلة، فاحتبس واضطجعت على فراشي، فقالت لي نفسي: إن النبيّ ﷺ قد أتى أهل بيت من الأنصار، فلو

قمت فشربت هذه الشربة فلم تزل بي حتى قمت فشربت جزأه، فلما دخل في بطني ومعائي أخذني ما قدّم وما حدث، فقلت: يجيء الآن النبيّ ﷺ جائعاً ظمآناً فلا يرى في القدح شيئاً. فسجيت ثوباً على وجهي.

وجاء النبيّ ﷺ فسلّم تسليمة تسمع اليقظان ولا توقظ النائم، فكشف عنه فلم ير شيئاً، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم اسق من سقاني، وأطعم من أطعمني» فاغتنمت دعوته وقمت فأخذت الشفرة فدنوت إلى الأعنز فجعلت أجسهن أيتهن أسمن لأذبحها، فوقعت يدي على ضرع إحداهن فإذا هي حافل، ونظرت إلى الأخرى فإذا هي حافل، فنظرت فإذا هن كلّهن حفل، فحلبت في الإناء فأتيته به، فقلت: اشرب، فقال: «ما الخبر يا مقداد؟» فقلت: اشرب ثم الخبر، فقال: «بعض سوآتك يا مقداد» فشرب ثم قال: «اشرب» فقلت: اشرب يا نبي الله، فشرب حتى تضلع، ثم أخذته فشربته، ثم أخبرته الخبر، فقال النبيّ ﷺ: «هيه» فقلت: كان كذا وكذا، فقال النبيّ ﷺ: «هذه بركة منزلة من السماء، أفلا أخبرتني حتى أسقي صاحبيك؟» فقلت: إذا شربت البركة أنا وأنت فلا أبالي من أخطأت[1].

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً عن أبي النضر، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى، عن المقداد فذكر ما تقدّم، وفيه أنه حلب في الإناء الذي كانوا لا يطيقون أن يحلبوا فيه، فحلب حتى علته الرغوة. ولما جاء به قال له رسول الله: «أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد؟» فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب ثم ناولني فقلت اشرب يا رسول الله، فشرب ثم ناولني فأخذت ما بقي ثم شربت. فلما عرفت أن رسول الله قد روي فأصابتني دعوته، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، فقال رسول الله: «إحدى سوآتك يا مقداد» فقلت: يا رسول الله كان من أمري كذا، صنعت كذا. فقال: «ما كانت هذه إلاّ رحمة الله، ألا كنت أذنتني توقظ صاحبيك هذين فيصيبان منها؟» قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتها معك من أصابها من الناس[2]. وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان ابن المغيرة به.

ومنهم: رضي الله عنهم مهاجر مولى أم سلمة. قال الطبراني: حدّثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، ثنا يَحْيَىٰ بن عبد اللّه بن بكير، حدّثني إبراهيم بن عبد اللّه، سمعت بكيراً يقول: سمعت مهاجراً مولى أم سلمة قال: خدمت رسول الله ﷺ سنين، فلم يقل لي لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ وفي رواية خدمته عشر سنين أو خمس عشرة سنة.

ومنهم: رضي الله عنهم أبو السَّمْح. قال أبو العباس محمّد بن إسحاق الثقفي: حدثنا مجاهد بن موسى، ثنا عبد الرّحمٰن بن مهدي، ثنا يَحْيَىٰ بن الوليد، حدّثني محل بن خليفة، حدّثني أبو السمح قال: كنت أخدم رسول الله، قال: كان إذا أراد أن يغتسل قال: «ناولني

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤، ٥.

(٢) أخرجه مسلم في الأشربة حديث ١٧٤، والترمذي في الاستئذان باب ٢٦، وأحمد في المسند ٦/ ٤،

أداوتي»، قال: فأناوله وأستره، فأتى بحسن أو حسين فبال على صدره، فجئت لأغسله فقال: «يغسل من بول الجارية، ويرش من بول الغلام»[١] وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن مجاهد بن موسى.

ومنهم رضي الله عنهم أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، تولى خدمته بنفسه في سفرة الهجرة، لا سيما في الغار وبعد خروجهن منه، حتى وصلوا إلى المدينة كما تقدم ذلك مبسوطاً ولله الحمد والمنة.

فصل [و][٢] أما كتّاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين

فمنهم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، وسيأتي ترجمة كل واحد منهم في أيام خلافته إن شاء الله وبه الثقة.

ومنهم: رضي الله عنهم أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي. أسلم بعد أخويه خالد وعمرو، وكان إسلامه بعد الحُدَيْبية لأنه هو الذي أجار عثمان حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة يوم الحُدَيْبية، وقيل خيبر لأن له ذكر في الصحيح من حديث أبي هريرة في قسمة غنائم خَيْبر[٣]، وكان سبب إسلامه أنه اجتمع براهب وهو في تجارة بالشام فذكر له أمر رسول الله ﷺ فقال له الراهب: ما اسمه؟ قال: محمّد، قال: فأنا أنعته لك، فوصفه بصفته سواء، وقال: إذا رجعت إلى أهلك فاقرئه السلام. فأسلم بعد مرجعه، وهو أخو عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبد الملك بن مروان. قال أبو بكر بن أبي شيبة: كان أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ أُبيّ بن كعب، فإذا لم يحضر كتب زيد ابن ثابت، وكتب له عثمان وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد. هكذا قال ـ يعني بالمدينة ـ وإلاَّ فالسور المكيّة لم يكن أُبيّ بن كعب حال نزولها، وقد كتبها الصحابة بمكة رضي الله عنهم. وقد اختلف في وفاة أبان بن سعيد هذا، فقال موسى بن عقبة ومصعب بن الزبير والزبير بن بكار وأكثر أهل النسب: قتل يوم أجنادين، يعني في جمادى الأولى سنة ثنتي عشرة. وقال آخرون: قتل يوم مرج الصُّفر سنة أربع عشرة. وقال محمّد بن إسحاق: قتل هو وأخوه عمرو يوم [اليرموك لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة. وقيل: إنه تأخر إلى أيام عثمان وكان يملي المصحف] الإمام على زيد بن ثابت ثم توفي سنة تسع وعشرين فالله أعلم.

ومنهم: أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري. أبو المنذر، ويقال أبو الطفيل، سيّد القرّاء، شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها. وكان ربعة نحيفاً أبيض الرأس

---

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة باب ١٣٦، والنسائي في الطهارة باب ١٩٠، وابن ماجه في الطهارة باب ٧٧.
(٢) سقط في ط.
(٣) أخرجه البخاري في الغازي باب ٣٨.

واللحية، لا يغير شيبه. قال أنس: جمع القرآن أربعة - يعني من الأنصار - أُبيّ بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت، ورجل من الأنصار يقال له أبو يزيد، أخرجاه. وفي الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأُبيّ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» قال: وسمّاني لك يا رسول الله؟ قال: «نعم» قال فذرفت عيناه[1]. ومعنى أن أقرأ عليك قراءة إبلاغ وإسماع لا قراءة تعلّم منه، هذا لا يفهمه أحد من أهل العلم، وإنما نبهنا على هذا لئلا يعتقد خلافه. وقد ذكرنا في موضع آخر سبب القراءة عليه وأنه قرأ عليه سورة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [سورة البيّنة: ١ - ٣] وذلك أن أُبيّ بن كعب كان قد أنكر على رجل قراءة سورة على خلاف ما كان يقرأ أُبيّ، فرفعه أُبيّ إلى رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا أُبيّ» فقرأ فقال: «هكذا أنزلت» ثم قال لذلك الرجل: «اقرأ» فقرأ فقال: «هكذا أنزلت» قال أُبيّ: فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية، قال فضرب رسول الله في صدري، ففضت عرقاً، وكأنّما أنظر إلى الله فرقاً، فبعد ذلك تلا عليه رسول الله هذه السورة كالتثبيت له والبيان له إن هذا القرآن حق وصدق، وإنه أنزل على أحرف كثيرة رحمة ولطفاً بالعباد. وقال ابن أبي خَيْثمة: هو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ [يعني بالمدينة وقال محمد بن سعد: كان يكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ][2]. وقد اختلف في وفاته فقيل في سنة تسع عشرة، وقيل سنة عشرين، وقيل ثلاث وعشرين، وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة فالله أعلم.

ومنهم: رضي الله عنهم أرقم بن أبي الأَرقم، واسمه عبد مناف بن أسد بن جندب بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم المخزومي. أسلم قديماً، وهو الذي كان رسول الله ﷺ مستخفياً في داره عند الصفا، وتُعْرف تلك الدار بعد ذلك بالخيزران. وهاجر وشهد بدراً وما بعدها، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد اللّه بن أنيس، وهو الذي كتب أقطاع عظيم بن الحارث المحاربي، بأمر رسول الله ﷺ بفخ وغيره، وذلك فيما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عتيق ابن يعقوب الزبيري، حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم عن أبيه، عن جده عمرو بن حزم. وقد توفي في سنة ثلاث وقيل خمس وخمسين وله خمس وثمانون سنة، وقد روى الإمام أحمد له حديثين؛ الأول قال أحمد والحسن بن عرفة - واللفظ لأحمد -: حدثنا عبّاد بن عباد المهلبي عن هشام بن زياد، عن عمّار بن سعد، عن عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم، عن أبيه - وكان من أصحاب النّبيّ ﷺ - أن رسول الله قال: «إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرّق بين الاثنين بعد خروج الإمام كالجارّ قُصْبَه[3] في النار»[4] والثاني قال أحمد: حدّثنا عصام بن خالد، ثنا العطاف بن خالد، ثنا يَحْيَىٰ بن عمران عن عبد اللّه بن عثمان

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٩٨، ومسلم في المسافرين حديث ٢٤٥.

(٢) سقط في ط.

(٣) القصب: المعى.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤١٧.

ابن الأرقم، عن جدّه الأرقم، أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «أين تريد؟» قال: أردت يا رسول الله ها هنا، وأومأ بيده إلى حيز بيت المقدس، قال: «ما يخرجك إليه أتجارة؟» قال: لا ولكن أردت الصلاة فيه، قال: «الصلاة ها هنا» وأومأ بيده إلى مكة «خير من ألف صلاة» وأومأ بيده إلى الشام. تفرّد بهما أحمد.

ومنهم: رضي الله عنهم ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرَّحمٰن، ويقال: أبو محمّد المدني خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب النّبيّ ﷺ، قال محمّد بن سعد: أنبأنا عليّ بن محمّد المدايني بأسانيده عن شيوخه في وفود العرب على رسول الله، قالوا: قدم عبد اللّه بن عبس اليماني ومسلمة بن هاران الحداني على رسول الله في رهط من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا على قومهم، وكتب لهم كتاباً بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن قيس بن شماس، وشهد فيه سعد بن معاذ ومحمّد بن مسلمة رضي الله عنهم. وهذا الرجل ممن ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ بشّره بالجنّة. وروى الترمذي في جامعه بإسناد على شرط مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أُسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شمّاس، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح»[١]. وقد قتل رضي الله عنه شهيداً يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة في أيام أبي بكر الصدّيق، وله قصّة سنوردها إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذلك بحول الله وقوته وعونه ومعونته.

ومنهم: رضي الله عنهم حنظلة بن الربيع بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي الأسيدي الكاتب، وأخوه رياح صحابي أيضاً، وعمّه أكثم بن صيفي كان حكيم العرب. قال الواقدي: كتب للنبي ﷺ كتاباً. وقال غيره بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل الطائف[٢] في الصلح، وشهد مع خالد حروبه بالعراق وغيرها، وقد أدرك أيام عليّ وتخلف عن القتال معه في الجمل وغيره، ثم انتقل عن الكوفة لما شُتِم بها عثمان؛ ومات بعد أيام عليّ. وقد ذكر ابن الأثير في أسد الغابة، أن امرأته لما مات جزعت عليه، فلامها جاراتها في ذلك فقالت:

تعجّبت دعد لمحزونة ... تبكي على ذي شيبة شاحب

إن تسأليني اليوم ما شفّني[٣] ... أُخبِرْكِ قولاً ليس بالكاذب

إنّ سوادَ العينِ أودَى به ... حُزنٌ على حَنظَلة الكَاتِب

قال أحمد بن عبد اللّه بن الرقي. كان معتزلاً للفتنة حتى مات بعد عليّ، جاء عنه حديثان.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٣٢، وأحمد في المسند ٢/٤١٩.

(٢) في ط: الطوائف.

(٣) شفني: أهزلني وأسقمني.

قلت: بل ثلاثة؛ قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصَّمد وعفان قالا: ثنا همام، ثنا قتادة عن حنظلة الكاتب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ووضوئهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنّة» أو قال: «وجبت له»[1] تفرّد به أحمد وهو منقطع بين قتادة وحنظلة والله أعلم. والحديث الثاني رواه أحمد ومسلم والترمذي ، وابن ماجه من حديث سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي، عن حنظلة «لو تدومون كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم، ولكن ساعة وساعة»[2] وقد رواه أحمد والترمذي أيضاً من حديث عمران بن داود القطّان عن قتادة عن يزيد بن عبد اللّه بن الشخير عن حنظلة. والثالث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن أبي الزناد عن المرقع بن صيفي بن حنظلة، عن جدّه في النهي عن قتل النساء في الحرب[3]. لكن رواه الإمام أحمد عن عبد الرزّاق عن ابن جريج قال: أخبرت عن أبي الزناد عن مرقع[4] بن صيفي بن رياح بن ربيع [عن جدّه رباح بن الربيع] أخي حنظلة الكاتب فذكره[5]. وكذلك رواه أحمد أيضاً عن حسين بن محمّد وإبراهيم بن أبي العباس كلاهما[6] عن أبي الزناد عن أبيه، وعن سعيد بن منصور وأبي عامر العقدي كلاهما عن المغيرة ابن عبد الرّحمٰن عن أبي الزناد، عن مرقع، عن جده رباح. ومن طريق المغيرة رواه النسائي وابن ماجه كذلك. وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر بن مرقع عن أبيه، عن جدّه رباح فذكره[7]. فالحديث عن رباح لا عن حنظلة، ولذا قال أبو بكر بن أبي شيبة: كان سفيان الثوري يخطىء في هذا الحديث.

قلت: وصحّ قول ابن الرقي أنه لم يرو سوى حديثين والله أعلم.

ومنهم: رضي الله عنهم خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سعيد الأموي. أسلم قديماً، يقال: بعد الصدّيق بثلاثة أو أربعة، وأكثر ما قيل خمسة. وذكروا أن سبب إسلامه أنه رأى في النوم كأنه واقفاً على شفير جهنم، فذكر من سعتها ما الله به عليم. قال وكأنّ أباه يدفعه فيها، وكأن رسول الله ﷺ آخذ بيده ليمنعه من الوقوع، فقصّ هذه الرؤيا على أبي بكر الصدّيق فقال له: لقد أريد بك خير، هذا رسول الله فاتبعه تنج مما خفته. فجاء رسول الله فأسلم، فلما بلغ أباه إسلامه غضب عليه وضربه بعصا في يده حتى كسرها على رأسه، وأخرجه من منزله ومنعه القوت، ونهى بقية إخوته أن يكلّموه، فلزم خالد رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٦٧.

(٢) أخرجه مسلم في التوبة حديث ١٢، والترمذي في القيامة باب ٢٠، ٥٩، وابن ماجه في الزهد باب ٢٨، وأحمد في المسند ٤/١٧٨، ٣٤٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الجهاد باب ٣٠، وأحمد في المسند ٤/١٧٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الجهاد باب ٣٠، وأحمد في المسند ٣/٤٨٨.

(٥) في التيمورية: عن أبي الزناد عن أبيه وعن سعيد بن منصور... الخ.

(٦) في ط: موقع.

(٧) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٢١.

ليلاً ونهاراً، ثم أسلم أخوه عمرو، فلما هاجر الناس إلى أرض الحبشة هاجرا معهم، ثم كان هو الذي ولي العقد في تزويج أم حبيبة من رسول الله كما قدمنا، ثم هاجرا من أرض الحبشة صحبة جعفر فقدما على رسول الله بخيبر وقد افتتحها، فأسهم لهما عن مشورة المسلمين، وجاء أخوهما أبان بن سعيد فشهد فتح خيبر كما قدمنا، ثم كان رسول الله يوليهم الأعمال. فلما كانت خلافة الصدِّيق خرجوا إلى الشام للغزو، فقتل خالد بأجنادين، ويقال بمرج الصُفر والله أعلم. قال عتيق بن يعقوب: حدَّثني عبد الملك بن أبي بكر عن أبيه، عن جده، عن عمرو بن حزم؛ يعني أن خالد بن سعيد كتب عن رسول الله ﷺ كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمّد رسول الله راشد بن عبد رب السلمي أعطاه علوتين وعلوة[1] بحجر برهاط، فمن خافه فلا حق له، وحقه حق. وكتب خالد بن سعيد. وقال محمّد بن سعد عن الواقدي: حدَّثني جعفر بن محمّد بن خالد، عن محمّد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان قال: أقام خالد بن سعيد بعد أن قدم من أرض الحبشة بالمدينة، وكان يكتب لرسول الله، وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف، وسعى في الصلح بينهم وبين رسول الله ﷺ.

ومنهم: رضي الله عنه خالد بن الوليد بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم [أبو سليمان] المخزومي، وهو أمير الجيوش المنصورة الإسلامية، والعساكر المحمدية، والمواقف المشهودة، والأيام المحمودة ذو الرأي السديد، والبأس الشديد، والطريق الحميد. أبو سليمان خالد بن الوليد. ويقال إنه لم يكن في جيش فكسر لا في جاهلية ولا إسلام. قال الزبير بن بكار: كانت إليه في قريش القبة وأعنة الخيل، أسلم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ابن أبي طلحة بعد الحديبية، وقيل خيبر، ولم يزل رسول الله ﷺ يبعثه فيما يبعثه أميراً. ثم كان المقدم على العساكر كلها في أيام الصدِّيق، فلما ولي عمر بن الخطاب عزله، وولّى أبو عبيدة أمين الأمة، على أن لا يخرج عن رأي أبي سليمان. ثم مات خالد في أيام عمر، وذلك في سنة إحدى وعشرين، وقيل اثنتين وعشرين ـ والأول أصح ـ بقرية على ميل من حمص. قال الواقدي: سألت عنها فقيل لي دثرت. وقال دحيم: مات بالمدينة. والأول أصح. وقد روى أحاديث كثيرة يطول ذكرها. قال عتيق بن يعقوب: حدَّثني عبد الملك بن أبي بكر، عن أبيه، عن جدّه، عن عمرو بن حزم أن هذه قطايع أقطعها رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى المؤمنين، أن صيدوح[2] وصيده لا يعضد صيده ولا يقتل، فمن وجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يجلد وينزع ثيابه، وإن تعدّى ذلك أحد فإنه يؤخذ فيبلغ به النبيّ ﷺ، وأن هذا من محمّد النبي، وكتب خالد بن الوليد بأمر رسول الله، فلا يتعداه أحد، فيظلم نفسه فيما أمره به محمّد.

ومنهم: رضي الله عنهم الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أبو

---

(١) كذا بالأصل، ولعلها بالغين المعجمة، مقدار ما يبلغ السهم في رميه.

(٢) صيدوح: قرية شرقي المدينة تشرف من شراج الحرة، والشراج: مجاري المياه من الحرار إلى السهل واحدها شرج (معجم البلدان).

عبد اللّه الأسدي أحد العشرة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض [وحواري رسول الله ﷺ وابن عمّته صفية بنت عبد المطلب، وزوج أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه] روى عتيق بن يعقوب بسنده المتقدم أن الزبير بن العوّام هو الذي كتب لبني معاوية بن جرول الكتاب الذي أمره به رسول الله ﷺ أن يكتبه لهم. وروى ابن عساكر بإسناد عن عتيق به. أسلم الزبير قديماً رضي الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة، ويقال ابن ثمان سنين، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلّها وهو أول من سلّ سيفاً في سبيل الله، وقد جمع له رسول الله ﷺ يوم الخندق أبويه[١] وقال: «إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير»[٢]. وقد شهد اليرموك وكان أفضل من شهدها، واخترق يومئذ صفوف الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين، ويخرج من الجانب الآخر سالماً، لكن جرح في قفاه بضربتين رضي الله عنه، وله فضائل ومناقب كثيرة، وكانت وفاته يوم الجمل، وذلك أنه كرّ راجعاً عن القتال، فلحقه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس، ورجل ثالث يقال له نفيع التميميون، بمكان يقال له وادي السباع، فبدر إليه عمرو بن جرموز وهو نائم فقتله، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة، وقد خلف رضي الله عنه بعده تركة عظيمة، فأوصى من ذلك بالثلث بعد إخراج ألفي ألف ومائتي ألف دينار، فلما قضى دينه وأخرجه ثلث ماله قسّم الباقي على ورثته، فنال كلّ امرأة من نسائه - وكنّ أربعاً - ألف ألف ومائتا ألف، فمجموع ما ذكرناه مما تركه رضي الله عنه تسعة وخمسين ألف ألف ومائتا ألف[٣] وهذا كلّه من وجوه حل نالها في حياته مما كان يصيبه من الفيء والمغانم، ووجوه متاجر الحلال، وذلك كلّه بعد إخراج الزكاة في أوقاتها، والصلاة البارعة الكثيرة لأربابها في أوقات حاجاتها رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنّات الفردوس مثواه - وقد فعل - فإنه قد شهد له سيّد الأولين والآخرين، ورسول ربّ العالمين بالجنّة، ولله الحمد والمنة. وذكر ابن الأثير في الغابة أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وأنه كان يتصدّق بذلك كلّه. وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه ويفضله بذلك:

أقامَ على عهدِ النبي وهَدْيِه ... حوارِيّه والقول بالفضل يَعْدِلُ

أقام على منهاجِه وطريقِه ... يوالي وليّ الحقّ والحقُّ أعدلُ

هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي ... يصولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ[٤]

---

(١) أي قال له ﷺ: «فداك أبي وأمي».

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٤٠، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٤٨، والترمذي في المناقب باب ٢٤، وابن ماجه في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٥.

(٣) في «التيمورية» تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف. وقد ذكر ابن سعد في الطبقات أنه ترك ٣٥,٢٠٠,٠٠٠ درهم وأن دينه بلغ ٢,٢٠٠,٠٠٠ درهم وأن نساءه الأربع ورثت كل واحدة منهن ١,١٠٠,٠٠٠ درهم وذلك بخلاف الأراضي والعقارات!!.

(٤) المحجل: المشهور والمعروف من الأيام.

وإن امـرأً كـانـت صـفـيّـة أمـه ... ومِـنْ أَسَـدٍ فـي بـيـتـه لـمـرَسَّـلُ
لـه مـن رسـول الله قُـرْبَـى قـريـبـةٍ ... ومـن نـصـرة الإسـلام مـجـدُ مُـؤَثَّـلُ
فـكـم كُـرْبَـةٍ ذبّ الـزُبَـيْـر بـسـيـفـه ... عن الـمـصـطـفى والله يـعـطي ويُجْزِلُ
إذا كشفت عن ساقها الحربُ حشّها [1] ... بـأبـيـضَ [سـيـاف] إلى الـمـوت يـرفـل
فـمـا مـثـلُـهُ فـيـهـم ولا كـان قَـبْـلَـه ... ولـيـس يـكـونُ الـدّهـر مـا دامَ يـذْبُـل

قد تقدّم أنه قتله عمرو بن جرموز التميمي بوادي السباع وهو نائم، ويقال بل قام من آثار النوم وهو دهش، فركب وبارزه ابن جرموز، فلما صُمّم عليه الزبير، أنجده صاحباه فضالة والنعر فقتلوه، وأخذ عمرو بن جرموز رأسه وسيفه. فلما دخل بهما على عليّ قال عليّ رضي الله عنه لما رأى سيف الزبير: إن هذا السيف طالما فرّج الكَرْب عن وجه رسول الله ﷺ. وقال عليّ فيما قال: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار. فيقال: إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه. والصحيح أنه عمَّر بعد عليّ حتى كانت أيام ابن الزبير، فاستناب أخاه مصعباً على العراق، فاختفى عمرو بن جرموز خوفاً من سطوته أن يقتله بأبيه. فقال مصعب: أبلغوه أنه آمن، أيحسب أني أقتله بأبي عبد اللّه؟ كلا والله ليسا سواء، وهذا من حلم مصعب وعقله ورياسته. وقد روى الزبير عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة يطول ذكرها، ولما قتل الزبير بن العوّام بوادي السباع كما تقدم، قالت امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثيه رضي الله عنها وعنه:

غـدر ابـن جـرمـوز بـفـارس بُـهْـمَـةٍ ... يـومَ الـلّـقـاء وكـان غـيـرَ مُـعـرِدِ [2]
يـا عـمـرو لـو نـبّـهـتـه لـوجـدتـه ... لا طـائـشـاً رعـشَ الـجَـنَـان ولا الـيَـدِ
كـم غـمـرَةٍ قـد خـاضـهـا لـم يُـثْـنِـهِ ... عـنـهـا طِـرادٌ يـا ابـن فَـقْـع الـقِـرْدَدِ [3]
ثـكـلـتـك أمُّـك إن ظـفـرتَ بـمـثـلـه ... فـيـمـنْ مـضـى فـيـمـن يـروحُ ويَـغْـتَـدي
والله رَبُّـك إن قـتـلـتَ لَـمُـسْـلِـمـا ... حـلّـت عـلـيـك عـقـوبـة الـمُـتَـعَـمّـدُ [4]

ومنهم رضي الله عنهم زيد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبيد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجّار الأنصاري النجاري، أبو سعيد، ويقال أبو خارجة، ويقال أبو عبد الرّحمٰن المدني، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة، فلهذا لم يشهد بدراً لصغره، قيل ولا أُحُداً وأول مشاهده الخندق، ثم شهد ما بعدها. وكان حافظاً لبيباً عالماً عاقلاً، ثبت عنه في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقرأه على النبيّ ﷺ إذا كتبوا إليه، فتعلمه في خمسة عشر يوماً. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا سليمان بن

---

(١) حش الحرب: أججها.
(٢) المعرد: المحجم عن قرنه، والجبان.
(٣) في ابن سعد: طرادك، والقردد: الجبل، والفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة.
(٤) في ط: المعتمد.

داود، ثنا عبد الرَّحمٰن عن أَبي الزناد، عن خارجة بن زيد، أن أباه زيداً أخبره أنه لما قدم رسول الله المدينة قال زيد: ذهب بي إلى رسول الله ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجّار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك رسول الله وقال: «يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي». قال زيد: فتعلمت لهم كتابهم ما مرت خمس عشرة ليلة حتى حَذَقته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب[1]. ثم رواه أحمد عن شريح بن النعمان عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة، عن أبيه فذكر نحوه. وقد علقه البخاري في الأحكام عن خارجة بن زيد بن ثابت بصيغة الجزم، فقال: وقال خارجة ابن زيد فذكره. ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس، والترمذي عن عليّ بن حجر، كلاهما عن عبد الرَّحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة، عن أبيه به نحوه. وقال الترمذي حسن صحيح. وهذا ذكاء مفرط جداً. وقد كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ من القراء[2]، كما ثبت في الصحيحين عن أنس. وروى أحمد والنسائي من حديث أبي قلابة عن أنس، عن رسول الله أنه قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[3] ومن الحفاظ من يجعله مرسلاً إلاَّ ما يتعلق بأبي عبيدة. ففي صحيح البخاري من هذا الوجه. وقد كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ في غير ما موطن، ومن أوضح ذلك ما ثبت في الصحيح عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٩٥] الآية، دعاني رسول الله ﷺ فقال: «اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضرارته، فنزل الوحي على رسول الله ﷺ فثقلت فخذه على فخذي حتى كادت ترضّها، فنزل ﴿غير أولي الضرر﴾ فأمرني فألحقتها، فقال زيد: فإني لأعرف موضع ملحقها عند صدع في ذلك اللوح - يعني من عظام - الحديث[4]. وقد شهد زيد اليمامة وأصابه سهم فلم يضره، وهو الذي أمره الصدِّيق بعد هذا بأن يتتبع القرآن فيجمعه، وقال له: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، ففعل ما أمره به الصدِّيق[5]، فكان في ذلك خير كثير ولله الحمد والمنة. وقد استنابه عمر مرّتين في حجّتين على المدينة، واستنابه لما خرج إلى الشام، وكلك كان عثمان يستنيبه على المدينة أيضاً، وكان عليّ يحبّه، وكان يعظم علياً ويعرف

---

(١) أخرجه البخاري في الأحكام باب ٤٠، وأبو داود في في العلم باب ٢، والترمذي في في الاستئذان باب ٢٢، وأحمد في المسند ٥/ ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب ٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٢٠، وأحمد في المسند ٢/ ٢٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في الآحاد باب ١، والترمذي في المناقب باب ٣٢، وأحمد في المسند ٣/ ١٨٤.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، سورة النساء، باب ١٨.

(٥) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب ٣، وأحمد في المسند ١/ ١٠.

له قدره، ولم يشهد معه شيئاً من حروبه. وتأخّر بعده حتى توفي سنة خمس وأربعين، وقيل سنة إحدى وقيل خمس وخمسين، وهو ممن كان يكتب المصاحف الأئمة التي نفذ بها عثمان ابن عفان إلى سائر الآفاق اللائي وقع على التلاوة طبق رسمهن الإجماع والاتفاق كما قرّرنا ذلك في كتاب فضائل القرآن الذي كتبناه مقدمة في أول كتابنا التفسير ولله الحمد والمنّة.

ومنهم: السِّجل، كما ورد به الحديث المروي في ذلك عن ابن عباس - إن صح - وفيه نظر. قال أبو داود حدّثنا قتيبة بن سعيد، ثنا نوح بن قيس عن يزيد بن كعب، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: السّجل كاتب للنبي ﷺ[1]. وهكذا رواه النسائي عن قتيبة به عن ابن عباس، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾ [سورة النساء: ٩٥] السّجل الرجل. هذا لفظه، ورواه أبو جعفر بن جرير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطي السّجل للكتب﴾ عن نصر بن عليّ عن نوح بن قيس، وهو ثقة من رجال مسلم. وقد ضعّفه ابن معين في رواية عنه. وأما شيخه يزيد بن كعب العوفي البصري، فلم يروِ عنه سوى نوح بن قيس، وقد ذكره مع ذلك ابن حِبّان في الثقات. وقد عرضت هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجّاج المزيّ فأنكره جداً، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول: هو حديث موضوع، وإن كان في سنن أبي داود. فقال شيخنا المزي: وأنا أقوله.

قلت: وقد رواه الحافظ ابن عدي في كامله من حديث محمّد بن سليمان الملقب ببومة، عن يَحْيَىٰ بن عمرو، عن مالك النكري، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عبّاس قال: كان لرسول الله ﷺ كاتب يقال له السّجل، وهو قوله [تعالى] ﴿يوم نطوي السماء كطي السّجل للكتب﴾ قال كما يطوى السّجل للكتب كذلك تطوى السماء. وهكذا رواه البيهقي عن أبي نصر ابن قتادة، عن أبي عليّ الرفا ، عن عليّ بن عبد العزيز، عن مسلم بن إبراهيم، عن يَحْيَىٰ بن عمرو بن مالك به. ويَحْيَىٰ هذا ضعيف جداً، فلا يصلح للمتابعة والله أعلم. وأغرب من ذلك أيضاً ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب، وابن منده من حديث أحمد بن سعيد البغدادي المعروف بحمدان، عن بهز، عن عُبَيد اللّه، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان للنبي ﷺ كاتب يقال له سجل، فأنزل الله تعالى ﴿يوم نطوي السماء كطي السّجل للكتب﴾ قال ابن منده: غريب، تفرّد به حمدان. وقال البرقاني: قال أبو الفتح الأزدي: تفرّد به ابن نمير - إن صح -.

قلت: وهذا أيضاً منكر عن ابن عمر، كما هو منكر عن ابن عباس، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف ذلك، فقد روى الوالبي والعوفي عن ابن عبّاس، أنه قال في هذه الآية: قال كطي الصحيفة على الكتاب. وكذلك قال مجاهد، وقال ابن جرير: هذا هو المعروف في اللغة أن السجل هو الصحيفة، قال: ولا يعرف في الصحابة أحد اسمه السّجل، وأنكر أن يكون السجل اسم ملك من الملائكة، كما رواه عن أبي كريب، عن ابن يمان: ثنا أبو الوفا الأشجعي

---

(١) أخرجه أبو داود في الخراج باب ٦.

عن أبيه، عن ابن عمر في قوله ﴿يوم نطوي السماء كطي السّجل للكتب﴾ قال: السّجل ملك، فإذا صعد بالاستغفار قال الله اكتبها نوراً. وحدّثنا بندار عن مؤمل، عن سفيان: سمعت السدّي يقول: فذكر مثله، وهكذا قال أبو جعفر الباقر فيما رواه أبو كريب عن المبارك، عن معروف بن خربود، عمن سمع أبا جعفر يقول: السّجل الملك، وهذا الذي أنكره ابن جرير من كون السّجل اسم صحابي أو ملك قوي جداً، والحديث في ذلك منكر جداً. ومن ذكره في أسماء الصحابة كابن منده وأبي نعيم الأصبهاني، وابو الأثير في الغابة إنما ذكره إحساناً للظن بهذا الحديث، أو تعليقاً على صحّته والله أعلم.

ومنهم: سعد بن أبي سرح. فيما قاله خليفة بن خياط وقد وهم إنما هو ابنه عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

ومنهم: عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصدّيق. قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق عن معمر قال: قال الزهري: أخبرني عبد الملك بن مالك المدلجي، وهو ابن أخي سراقة بن مالك، أن أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول؛ فذكر خبر هجرة النّبيّ ﷺ وقال فيه: فقلت له: إن قومك جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم من أخبار سفرهم وما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزؤني منه شيئاً، ولم يسألوني إلاّ أن أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة آمن به، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى[1].

قلت: وقد تقدّم الحديث بتمامه في الهجرة. وقد روي أن أبا بكر هو الذي كتب لسراقة هذا الكتاب فالله أعلم. وقد كان عامر بن فهيرة ـ ويكنى أبا عمرو ـ من مولدي الأزد أسود اللون، وكان أولاً مولى للطفيل بن الحارث أخي عائشة لأمها أم رومان، فأسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم التي عند الصفا مستخفياً، فكان عامر يُعذّب مع جملة المستضعفين بمكة، ليرجع عن دينه فيأبى، فاشتراه أبو بكر الصدّيق فأعتقه، فكان يرعى له غنماً بظاهر مكة. ولما هاجر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر كان معهما رديفاً لأبي بكر، ومعهم الدليل الدئلي فقط كما تقدّم مبسوطاً، ولما وردوا المدينة نزل عامر [ابن فهيرة] على سعد بن خَيْثمة، وآخى رسول الله بينه وبين أوس بن معاذ، وشهد بدراً وأُحُداً، وقتل يوم بئر معونة كما تقدم، وذلك سنة أربع من الهجرة، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة فالله أعلم. وقد ذكر عروة وابن إسحاق والواقدي وغير واحد، أن عامراً قتله يوم بئر معونة رجلٌ يقال له: جبّار بن سلمى من بني كلاب، فلما طعنه بالرمح قال: فزت وربّ الكعبة، قال جبّار: فسألت الضحّاك بن سفيان عما قال ما يعني به؟ فقال: يعني الجنة، ورُفع عامر حتى غاب عن الأبصار، حتى قال عامر بن الطفيل: لقد رفع حتى رأيت السماء دونه، وسئل عمرو بن أمية عنه فقال: كان من أفضلنا، ومن أول أهل بيت نبيّنا ﷺ. ودعاني الضحّاك إلى الإسلام فأسلمت، لما رأيت من قتل عامر بن فهيرة، فكتب الضحّاك إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامي وما كان من أمر عامر،

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧٥، ١٧٦.

فقال: «وارته الملائكة وأنزل عليين» وفي الصحيحين عن أنس أنه قال: قرأنا فيهم قرآناً أن بلّغوا عنّا قومنا أنا لقينا ربّنا فرضي عنا وأرضانا[١]. وقد تقدم ذلك وبيانه في موضعه عند غزوة بئر معونة. وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول: مَنْ رجل منكم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: عامر بن فهيرة. وقال الواقدي: حدَّثني محمّد بن عبد اللّه عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قال: رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته، يرون أن الملائكة وارته.

ومنهم: رضي الله عنهم عبد اللّه بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي. أسلم عام الفتح، وكتب للنبي ﷺ. قال الإمام مالك: وكان ينفّذ ما يفعله، ويشكره ويستجيده. وقال سلمة عن محمّد بن إسحاق بن يسار، عن محمّد بن جعفر بن الزبير، عن عبد اللّه بن الزبير: أن رسول الله استكتب عبد اللّه بن الأرقم بن عبد يغوث، وكان يجيب عنه الملوك، وبلغ من أمانته أنه [كان يأمره أن] يكتب إلى بعض الملوك فيكتب، ويختم على ما يقرأه لأمانته عنده. وكتب لأبي بكر وجعل إليه بيت المال، وأقرّه عليهما عمر بن الخطاب، فلما كان عثمان عزله عنهما.

قلت: وذلك بعدما استعفاه عبد اللّه بن أرقم، ويقال إن عثمان عرض عليه ثلاثمائة ألف درهم عن أجرة عمالته فأبى أن يقبلها وقال: إنما عملت لله فأجري على الله عزّ وجلّ.

قال ابن إسحاق: وكتب لرسول الله زيد بن ثابت، فإذا لم يحضر ابن الأرقم وزيد بن ثابت كتب من حضر من الناس. وقد كتب عمر وعليّ وزيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وخالد ابن سعيد بن العاص وغيرهم ممن سمّى من العرب. وقال الأعمش: قلت لشقيق بن سلمة: مَنْ كان كاتب النّبيّ ﷺ؟ قال عبد اللّه بن الأرقم، وقد جاءنا كتاب عمر بالقادسية وفي أسفله؛ وكتب عبد اللّه بن الأرقم. وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا محمّد بن صالح بن هانىء، حدّثنا الفضل بن محمّد البيهقي، ثنا عبد اللّه بن صالح، ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبي عون، عن القاسم بن محمّد، عن عبد اللّه بن عمر قال: أتى النّبيّ ﷺ كتاب رجل، فقال لعبد اللّه بن الأرقم: «أجب عني» فكتب جوابه، ثم قرأه عليه، فقال: «أصبت وأحسنت، اللهم وفّقه» قال: فلما ولي عمر كان يشاوره. وقد رُوي عن عمر بن الخطاب، أنه قال: ما رأيت أخشى لله منه ـ يعني في العمال ـ أضر رضي الله عنه قبل وفاته.

ومنهم: رضي الله عنهم عبد اللّه بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي، صاحب الأذان، أسلم قديماً فشهد عقبة السبعين، وحضر بدراً وما بعدها، ومن أكبر مناقبه رؤيته الأذان والإقامة في النوم، وعرضه ذلك على رسول الله وتقريره عليه، وقوله له: «**إنها لرؤيا حق فألقه على بلال، فإنه أندى صوتاً منك**» وقد قدّمنا الحديث بذلك في موضعه. وقد روى الواقدي بأسانيده عن ابن عبّاس: أنه كتب كتاباً لمن أسلم من جرش فيه الأمر لهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإعطاء خمس المغنم. وقد توفي رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين عن أربع وستين

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٨٤، ومسلم في المساجد حديث ٢٩٧، وأحمد في المسند ٣/ ١٦٥.

سنة، وصلى عليه عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

ومنهم: رضي الله عنهم عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح، القرشي العامري، أخو عثمان لأمه من الرضاعة. أرضعته أم عثمان. وكتب الوحي، ثم ارتدّ عن الإسلام، ولحق بالمشركين بمكة، فلما فتحها رسول الله ﷺ - وكان قد أهدر دمه فيمن أهدر من الدماء - فجاء إلى عثمان ابن عفّان فاستأمن له، فأمّنه رسول الله ﷺ كما قدّمنا في غزوة الفتح، ثم حسن إسلام عبد اللّه ابن سعد جداً. قال أبو داود: حدّثنا أحمد بن محمّد المروزي، ثنا عليّ بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان عبد اللّه [بن سعد] بن أبي سرح يكتب للنبي ﷺ، فأزلّه الشيطان، فلحق بالكفّار، فأمر به رسول الله أن يقتل، فاستجار له عثمان بن عفّان فأجاره رسول الله ﷺ[1]. ورواه النسائي من حديث عليّ بن الحسين بن واقد به.

قلت: وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح عمرو مصر سنة عشرين في الدولة العُمَرية، فاستناب عمر بن الخطاب عَمْراً عليها، فلما صارت الخلافة إلى عثمان عزل عنها عمرو بن العاص، وولى عليها عبد اللّه بن سعد سنة خمس وعشرين، وأمره بغزو بلاد إفريقية فغزاها ففتحها، وحصل للجيش منها مال عظيم، كان قسم الغنيمة لكل فارس من الجيش ثلاثة آلاف مثقال من ذهب، وللراجل ألف مثقال. وكان معه في جيشه هذا ثلاثة من العبادلة؛ عبد اللّه بن الزبير، وعبد اللّه بن عمر، وعبد اللّه بن عمرو، ثم غزا عبد اللّه بن سعد بعد إفريقية الأساود من أرض النوبة، فهادنهم فهي إلى اليوم، وذلك سنة إحدى وثلاثين. ثم غزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم، وهي غزوة عظيمة كما سيأتي بيانها في موضعها إن شاء الله فلما اختلف الناس على عثمان خرج من مصر، واستناب عليها ليذهب إلى عثمان لينصره. فلما قتل عثمان أقام بعَسْقلان - وقيل بالرّملة - ودعا الله أن يقبضه في الصلاة، فصلى يوماً الفجر وقرأ في الأولى منها بفاتحة الكتاب والعاديات، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وسورة، ولما فرغ من التشهّد سلّم التسليمة الأولى، ثم أراد أن يسلّم الثانية فمات بينهما رضي الله عنه، وذلك في سنة ست وثلاثين، وقيل سنة سبع، وقيل إنه تأخّر إلى سنة تسع وخمسين، والصحيح الأول.

قلت: ولم يقع له رواية في الكتب الستة ولا في المسند للإمام أحمد.

ومنهم: رضي الله عنهم عبد اللّه بن عثمان، أبو بكر الصديق. وقد تقدم الوعد بأن ترجمته ستأتي في أيام خلافته إن شاء الله عزّ وجل وبه الثقة. وقد جمعت مجلداً في سيرته وما رواه من الأحاديث، وما روي عنه من الآثار، والدليل على كتابته ما ذكره موسى بن عقبة عن الزهري، عن عبد الرّحمٰن بن مالك بن جعشم، عن أبيه، عن سراقة بن مالك في حديثه حين اتبع رسول الله حين خرج هو وأبو بكر من الغار، فمروا على أرضهم، فلما غشيهم - وكان من أمر فرسه ما كان - سأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً ثم

(١) أخرجه أبو داود في الحدود باب ١، والنسائي في التحريم باب ١٥.

ألقاه إليه. وقد روى الإمام أحمد من طريق الزهري بهذا السند أن عامر بن فهيرة كتبه، فيحتمل أن أبا بكر كتب بعضه، ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه والله أعلم.

ومنهم: رضي الله عنهم عثمان بن عفّان أمير المؤمنين، وستأتي ترجمته في أيام خلافته، وكتابته بين يديه عليه السّلام مشهورة. وقد روى الواقدي بأسانيده أن نهشل بن مالك الوائلي، لما قدم على رسول الله ﷺ أمر رسول الله ﷺ عثمان بن عفّان فكتب له كتاباً فيه شرائع الإسلام.

ومنهم: رضي الله عنهم عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وستأتي ترجمته في خلافته، وقد تقدم أنه كتب الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحُدَيْبية أن يأمن الناس، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وعلى وضع الحرب عشر سنين. وقد كتب غير ذلك من الكتب بين يديه ﷺ. وأما ما يدّعيه طائفة من يهود خيبر أن بأيديهم كتاب من النبيّ ﷺ بوضع الجزية عنهم وفي آخره وكتب عليّ بن أبي طالب، وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم سعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان، فهوَ كذب وبهتان مختلق، موضوع مصنوع، وقد بيّن جماعة من العلماء بطلانه، واغترّ بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم، وهذا ضعيف جداً. وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه بطلانه، وأنه موضوع، اختلقوه وصنعوه وهم أهل لذلك، وبيّنته وجمعت مفرق كلام الأئمة فيه ولله الحمد والمنة.

ومن الكتّاب بين يديه ﷺ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وستأتي ترجمته في موضعها. وقد أفردت له مجلداً على حدة، ومجلداً ضخماً في الأحاديث التي رواها عن رسول الله ﷺ، والآثار والأحكام المرويّة عنه رضي الله عنه، وقد تقدّم بيان كتابته في ترجمة عبد اللّه بن الأرقم.

ومنهم: رضي الله عنهم العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي عباد، ويقال: عبد اللّه ابن عباد بن أكبر بن ربيعة بن عريقة بن مالك بن الخزرج بن أياد بن الصدق بن زيد بن مقنع بن حضرموت بن قحطان، وقيل غير ذلك في نسبه، وهو من حلفاء بني أمية. وقد تقدّم بيان كتابته في ترجمة أبان بن سعيد بن العاص، وكان له من الاخوة عشيرة غيره فمنهم: عمرو بن الحضرمي أول قتيل من المشركين، قتله المسلمون في سرية عبد اللّه بن جحش، وهي أول سرية كما تقدّم، ومنهم عامر بن الحضرمي الذي أمره أبو جهل لعنه الله فكشف عن عورته، وناداه واعمراه حين اصطف المسلمون والمشركون يوم بدر، فهاجت الحرب، وقامت على ساق، وكان ما كان مما قدّمناه مبسوطاً في موضعه. ومنهم شُرَيح بن الحضرمي، وكان من خيار الصحابة. قال فيه رسول الله: «ذاك رجل لا يتوسد القرآن»[1] يعني لا ينام ويتركه، بل يقوم به آناء الليل والنهار، ولهم كلّهم أخت واحدة وهي الصعبة بنت الحضرمي أم طلحة بن عُبَيد اللّه. وقد بعث النّبيّ ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين، ثم

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٤٩.

ولاّه عليها أميراً حين افتتحها. وأقره عليها الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاّه البصرة. فلما كان في أثناء الطريق توفي وذلك في سنة إحدى وعشرين، وقد روى البيهقي عنه وغيره كرامات كثيرة، منها أنه سار بجيشه على وجه البحر ما يصل إلى ركب خيولهم، وقيل إنه ما بلّ أسافل نعال خيولهم، وأمرهم كلّهم فجعلوا يقولون: يا حليم يا عظيم، وأنه كان في جيشه فاحتاجوا إلى ماء، فدعا الله فأمطرهم قدر كفايتهم، وأنه لما دفن لم ير له أثر بالكلية، وكان قد سأل الله ذلك، وسيأتي هذا في كتاب دلائل النبوّة قريباً إن شاء الله عزّ وجلّ. وله عن رسول الله ﷺ ثلاثة أحاديث الأول؛ قال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان بن عيينة حدّثني عبد الرَّحمٰن بن حميد بن عبد الرَّحمٰن بن عوف عن السائب بن يزيد، عن العلاء بن الحضرمي أن رسول الله ﷺ قال: «**يمكث المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثاً**»[1] وقد أخرجه الجماعة من حديثه. والثاني قال أحمد: حدّثنا هشيم، ثنا منصور عن ابن سيرين، عن ابن العلاء بن الحضرمي: أن أباه كتب إلى النّبيّ ﷺ فبدأ بنفسه[2]، وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل. والحديث الثالث رواه أحمد وابن ماجه من طريق محمّد بن زيد عن حِبّان الأعرج عنه، أنه كتب إلى رسول الله ﷺ من البحرين في الحائط - يعني البستان - يكون بين الاخوة فيسلّم أحدهم؟ فأمره أن يأخذ العشر ممن أسلم، والخراج - يعني ممن لم يسلم -[3].

ومنهم: العلاء بن عقبة، قال الحافظ ابن عساكر: كان كاتباً للنبي ﷺ، ولم أجد أحداً ذكره إلاّ فيما أخبرنا. ثم ذكر إسناده إلى عتيق بن يعقوب: حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، عن عمرو بن حزم: أن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ هؤلاء القوم فذكرها، وذكر فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النبي محمّد عبّاس بن مرداس السلمي أعطاه مدموراً[4] فمن خافه فيها فلا حق[5] له، وحقه حق، وكتب العلاء بن عقبة وشهد. ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمّد رسول الله عوسجة بن حرملة الجهني، من ذوي المروة وما بين بلكثة إلى الظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية[6] فمن خافه فلا حق له وحقه حق، وكتبه العلاء بن عقبة. وروى الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ أقطع لبني سيح من جهينة، وكتب كتابهم بذلك العلاء بن عقبة، وشهد. وقد ذكر ابن الأثير في [أسد] الغابة

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٧، ومسلم في الحج حديث ٤٤٢، وأبو داود في الحج باب ٩٢، والترمذي في الحج باب ١٠٣، والنسائي في تقصير الصلاة باب ٤، وأحمد في المسند ٤/ ٣٣٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٣٩.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزكاة باب ٢٢، وأحمد في المسند ٥/ ٥٢.

(٤) كذا في الأصل (مهملة من النقط) وفي إعلام السائلين مذموراً (بالذال المعجمة).

(٥) في ط: للاحق.

(٦) في الأصل: إلى بلنكثة إلى الطيبة إلى الجعلاب إلى جبل القبلة والتصحيح عن المعجم ونصه: هذا ما أعطى محمد النبي إلى عوسجة بن حرملة الجهني من ذي المروة إلى طبية إلى الجَعَلات إلى جبل القبيلة لا يحاقه فيه أحد فمن حاقه فلا حق له وحقه حق وكتب العلاء بن عقبة.

هذا الرجل مختصراً فقال: العلاء بن عقبة كتب للنبي ﷺ، ذكره في حديث عمرو بن حزم، ذكره جعفر، أخرجه أبو موسى - يعني المديني - في كتابه.

ومنهم: رضي الله عنهم محمّد بن مسلمة [بن جريس][١] بن خالد بن عدي بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي أبو عبد الله، ويقال أبو عبد الرَّحمٰن، ويقال أبو سعيد المدني حليف بني عبد الأشهل. أسلم على يدي مُصْعَب بن عُمَير، وقيل سَعْد ابن مُعَاذ وأُسَيد بن حضير، وآخى رسول الله حين قدم المدينة بينه وبين أبي عُبَيدة بن الجرّاح، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، واستخلفه رسول الله على المدينة عام تبوك. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: كان شديد السمرة طويلاً أصلع ذا جشة[٢] وكان من فضلاء الصحابة، وكان ممن اعتزل الفتنة، واتخذ سيفاً من خشب. ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين على المشهور عند الجمهور، وصلى عليه مروان بن الحكم. وقد روى حديثاً كثيراً عن النّبيّ ﷺ. وذكر محمّد بن سعد عن عليّ بن محمّد المدايني بأسانيده أن محمّد بن مَسْلمة هو الذي كتب لوفد مرّة كتاباً عن أمر رسول الله ﷺ.

ومنهم: رضي الله عنهم معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي، وستأتي ترجمته في أيام إمارته إن شاء الله. وقد ذكره مسلم بن الحجّاج في كتابه عليه السلام. وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عكرمة بن عمّار عن أبي زميل سمّاك بن الوليد، عن ابن عبّاس أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطنيهن؟ قال: «نعم؟» قال: تؤمرني حتى أقاتل الكفّار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم»[٣] الحديث. وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة بسبب ما وقع فيه من ذكر طلبه تزويج أم حبيبة من رسول الله ﷺ، ولكن فيه من المحفوظ تأمير أبي سفيان وتوليته معاوية منصب الكتابة بين يديه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا قدر متفق عليه بين الناس قاطبة، فأما الحديث قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة معاوية: ها هنا أَخْبَرَنا أبو غالب بن البنا، أنبأنا أبو محمّد الجوهري، أنبأنا أبو عليّ محمّد بن أحمد بن يَحْيَىٰ بن عبد الله العطشي، حدّثنا أحمد ابن محمّد البوراني، ثنا السري بن عاصم، ثنا الحسن بن زياد عن القاسم بن بهرام، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال: استكتبه فإنه أمين، فإنه حديث غريب بل منكر. والسري بن عاصم هذا هو أبو عاصم الهمذاني، وكان يؤدّب المعتز بالله، كذّبه في الحديث ابن خراش. وقال ابن حِبّان وابن عدي: كان يسرق الحديث. زاد ابن حِبّان ويرفع الموقوفات لا يحلّ الاحتجاج به. وقال الدارقطني: كان ضعيف

---

(١) كذا في التيمورية وفي الأصل ابن حريش (بالحاء المهملة) وفي الإصابة: ابن سلمة ولم يذكر جريس ولا حريش في نسبه.

(٢) ذاجشة: كذا في التيمورية، من جشه إذا ضربه، وفي الأصل: ذاجنة، وفي الاستيعاب المطبوع: ذا جثة بالثاء.

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦٨.

الحديث. وشيخه الحسن بن زياد ـ إن كان اللؤلؤي ـ فقد تركه غير واحد من الأئمة، وصرح كثير منهم بكذبه، وإن كان غيره فهو مجهول العين والحال. وأما القاسم بن بهرام فاثنان؛ أحدهما يقال له القاسم بن بهرام الأسدي الواسطي الأعرج، أصله من أصبهان، روى له النسائي عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس حديث القنوت بطوله، وقد وثقه ابن معين وأَبو حاتم وأَبو داود وابن حِبّان. والثاني القاسم بن بهرام أَبو حمدان قاضي هيت. قال ابن معين: كان كذّاباً. وبالجملة فهذا الحديث من هذا الوجه ليس بثابت ولا يغترّ به، والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره واطلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره ـ بل ومن تقدمه بدهر ـ كيف يورد في تاريخه هذا وأحاديث كثيرة من هذا النمط، ثم لا يبيّن حالها، ولا يشير إِلى شيء من ذلك إشارة لا ظاهرة ولا خفيّة، ومثل هذا الصنيع فيه نظر والله أعلم.

ومنهم: رضي الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفي، وقد قدمت ترجمته فيمن كان يخدمه عليه السَّلام من بين أصحابه من غير مواليه، وأنه كان سيّافاً على رأس رسول الله ﷺ، وقد روى ابن عساكر بسنده عن عتيق بن يعقوب بإسناده المتقدم غير مرّة أن المغيرة بن شعبة هو الذي كتب اقطاع حصين بن نضلة الأسدي الذي أقطعه إياه رسول الله ﷺ بأمره، فهؤلاء كتّابه الذين كانوا يكتبون بأمره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه.

فصل

وقد ذكر ابن عساكر من أمنائه أبا عُبَيدة عامر بن عبد اللّه بن الجرّاح القرشي الفِهْري أحد العشرة رضي الله عنه، وعبد الرَّحمٰن بن عوف الزهري. أما أَبو عُبَيْدة فقد روى البخاري من حديث أَبي قلابة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أَبو عُبَيدة بن الجراح**»[1] وفي لفظ أن رسول الله قال لوفد عبد القيس نجران: «**لأبعثن معكم**[2] أميناً حق أمين» فبعث معهم أبا عبيدة[3]. قال: ومنهم مُعَيْقيب بن أَبي فاطمة الدوسي مولى بني عبد شمس، كان على خاتمه، ويقال كان خادمه، وقال غيره: أسلم قديماً وهاجر إِلى الحبشة في الناس، ثم إِلى المدينة، وشهد بدراً وما بعدها، وكان على الخاتم. واستعمله الشيخان على بيت المال، قالوا: وكان قد أصابه الجذام فأمر عمر بن الخطاب فدووي بالحنظل، فتوقّف المرض. وكانت وفاته في خلافة عثمان وقيل سنة أربعين فالله أعلم.

قال الإمام أَحمد: **حدثنا** يَحْيَىٰ بن أَبي بكير، ثنا شيبان عن يَحْيَىٰ بن أَبي بكير[4] عن أَبي سلمة؛ حدَّثني معيقيب أن رسول الله ﷺ قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد قال:

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٢.

(٢) في ط: فيكم.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٧٢.

(٤) كذا مكرر في الأصل ولعل الصواب ابن أبي كثير كما سيأتي.

«**إن كنت لا بد فاعلاً فواحدة**»(١) وأخرجاه في الصحيحين من حديث شَيْبان النحوي، زاد مسلم وهشام، الدستوائي. زاده الترمذي والنسائي وابن ماجه والأوزاعي ثلاثتهم عن يَحْيَـىٰ بن أبي كثير به، وقال الترمذي حسن صحيح. وقال الإمام أحمد: ثنا خلف بن الوليد، ثنا أيوب عن عتبة، عن يَحْيَـىٰ بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن معيقيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**ويل للأعقاب من النار**»(٢) وتفرد به الإمام أحمد. وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أبي عتاب سهل بن حماد الدلال، عن أبي مكين نوح بن ربيعة عن إياس بن الحارث بن المعيقيب عن جدّه - وكان على خاتم النّبيّ ﷺ - قال: كان خاتم النّبيّ ﷺ من حديد ملوي عليه فضّة، قال: فربما كان في يدي(٣).

قلت: أما خاتم النّبيّ ﷺ فالصحيح أنه كان من فضة، فصه منه كما سيأتي في الصحيحين، وكان قد اتخذ قبله خاتم ذهب فلبسه حيناً ثم رمى به، وقال: «**والله لا ألبسه**» ثم اتخذ هذا الخاتم من فضّة فصه منه، ونقشه محمّد رسول الله، محمّد سطر، ورسول سطر، والله سطر، فكان في يده عليه السلام ثم كان في يد أبي بكر من بعده، ثم في يد عمر، ثم كان في يد عثمان فلبث في يده ست سنين، ثم سقط منه في بئر أريس، فاجتهد في تحصيله فلم يقدر عليه. وقد صنّف أبو داود رحمة الله عليه كتاباً مستقلاً في سننه في الخاتم وحده، وسنورد منه إن شاء الله قريباً ما نحتاج إليه وبالله المستعان. وأما لبس معيقيب لهذا الخاتم فيدلّ على ضعف ما نقل أنه أصابه الجذام، كما ذكره ابن عبد البر وغيره، لكنه مشهور، فلعله أصابه ذلك بعد النّبيّ ﷺ، أو كان به وكان مما لا يعدى منه، أو كان ذلك من خصائص النّبيّ ﷺ لقوّة توكّله، كما قال لذلك المجذوم(٤) - ووضع يده في القصعة - «**كل ثقة بالله، وتوكّلا عليه**»(٥) رواه أبو داود. وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»(٦) والله أعلم.

وأما أمراؤه عليه السّلام فقد ذكرناهم عند بعث السرايا منصوصاً على أسمائهم ولله الحمد والمنة.

وأما جملة الصحابة فقد اختلف الناس في عدتهم، فنقل عن أبي زرعة أنه قال: يبلغون مائة ألف وعشرين ألف، وعن الشافعي رحمه الله أنه قال: توفي رسول الله ﷺ والمسلمون ممن سمع منه ورآه زهاء عن ستين ألف، وقال الحاكم أبو عبد اللّه: يروي الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي.

---

(١) أخرجه البخاري في العمل في الصة باب ٨، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة حديث ٤٩، والترمذي في الصلاة، باب ١٦٢، والنسائي في السهو باب ٨، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها باب ٦٢، وأحمد في المسند ٣/٤٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٢٦.

(٣) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٤، والنسائي في الزينة باب ٤٩.

(٤) المجذوم: المصاب بمرض الجذام.

(٥) أخرجه أبو داود في الطب باب ٢٤.

(٦) أخرجه البخاري في الطب باب ١٩، وأحمد في المسند ٢/٤٤٣.

قلت: والذي روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته واطلاعه واتساع رحلته وإمامته، فمن الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفساً، [ووضع في الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمائة صحابي أيضاً] وقد اعتنى جماعة من الحفاظ رحمهم الله بضبط أسمائهم وذكر أيامهم ووفياتهم، من أجلهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري في كتابه الاستيعاب، وأبو عبد الله محمّد بن إسحاق بن منده، وأبو موسى المديني، ثم نظم جميع ذلك الحافظ عز الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الصحابية، صنف كتابه الغابة[1] في ذلك فأجاد وأفاد، وجمع وحصل، ونال ما رام وأمّل، فرحمه الله وأثابه وجمعه والصحابة آمين يا رب العالمين.

---

(١) اسمه: أسد الغابة. وهو مطبوع في خمسة مجلدات.

فهرس المحتويات

سنة تسع من الهجرة

ذكر غزوة تبوك في رجب منها ٣
فصل فيمن تخلف معذوراً من البكائين وغيرهم ٦
ذكر مروره ﷺ في ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود وصرحتهم بالحِجر ١١
ذكر خطبته عليه السّلام إلى تبوك إلى نخلة هناك ١٤
ذكر الصلاة على معاوية بن أبي معاوية إن صح الخبر في ذلك ١٥
قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك ١٦
مصالحته عليه السّلام ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح وهو مخيم على تبوك قبل رجوعه من تبوك .. ١٨
بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ١٨
قصة مسجد الضرار ٢٢
ذكر أقوام تخلفوا من العصاة غير هؤلاء ٢٧
ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوعه عليه السلام إلى المدينة ومنصرفه من تبوك ٢٩
قدوم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ في رمضان من سنة تسع ٣٠
ذكر موت عبد الله بن أبَيّ قبّحه الله ٣٦
ذكر بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الحجّ سنة تسع ونزول سورة براءة ٣٨
كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ ٤٣
فصل حديث في فضل بني تميم ٤٩
وفد بني عبد القيس ٥٠
قصة ثمامة ووفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذّاب لعنه الله ٥٢
وفد أهل نجران ٥٦
وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن مقيس لعنهما الله ٦٠
قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله ﷺ وافداً على قومه بني سعد بن بكر ٦٤
وفد طيىء مع زيد الخيل رضي الله عنه ٦٦
قصة عدي بن حاتم الطائي ٦٧
قصة دوس والطفيل بن عمرو ٧٢
قدوم الأشعريين وأهل اليمن ٧٢
قصة عمان والبحرين ٧٣
وفود فروة بن مسيك المرادي أحد رؤساء قومه إلى رسول الله ﷺ ٧٤
قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زبيد ٧٥
قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة ٧٧
قدوم أعشى بني مازن على النبي ﷺ ٧٨
قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش بعدهم ٧٨
قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ ٧٩

قدوم جرير بن عبد الله البجلي وإسلامه ٨١
وفادة وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي بن هنيد أحد ملوك اليمن على رسول الله ﷺ ٨٤
وفادة لقيط بن عامر بن المنتفق أبي رزين العقيلي إلى رسول الله ﷺ ٨٥
وفادة زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه ٨٧
وفادة الحارث بن حسّان البكري إلى رسول الله ﷺ ٨٩
وفادة عبد الرَّحمٰن بن أبي عقيل مع قومه ٨٩
قدوم طارق بن عبد اللّه وأصحابه ٩٠
قدوم وافد فروة بن عمرو الجذامي صاحب بلاد معان بإسلامه على رسول الله ﷺ ٩١
قدوم تميم الدّاري على رسول الله ﷺ وإخباره إياه بأمر الجساسة وما سمع من الدجال في خروج النّبيّ ﷺ وإيمان من آمن به ٩٢
وفد بني أسد ٩٢
وفد بني عبس ٩٣
وفد بني فزارة ٩٣
وفد بني مرّة ٩٣
وفد بني ثعلبة ٩٤
وفادة بني محارب ٩٤
وفد بني كلاب ٩٤
وفد بني رؤاس من كلاب ٩٤
وفد بني عقيل بن كعب ٩٥
وفد بني قشير بن كعب ٩٥
وفد بني البكاء ٩٥
وفد كنانة ٩٦
وفد أشجع ٩٦
وفد باهلة ٩٦
وفد بني سليم ٩٦
وفد بني هلال بن عامر ٩٧
وفد بني بكر بن وائل ٩٧
وفد بني تغلب ٩٧
وفادات أهل اليمن ٩٧
وفد خولان ٩٨
وفد جعفي ٩٨
فصل في قدوم وفد الأزد على رسول الله ﷺ ٩٨
وفد كندة ٩٩
وفد الصدف ٩٩
وفد خشين ٩٩
وفد بني سعد ٩٩
وافد السباع ٩٩

سنة عشر من الهجرة

باب بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ١٠٣
بعث رسول الله ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجّة الوداع ويدعونهم إلى الله عزّ وجل ١٠٤
باب بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجّة الوداع ١٠٩
كتاب حجة الوداع في سنة عشر ويقال لها: حجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع ١١٥
تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع ١١٧
باب صفة خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة للحجّ ١١٩
باب بيان الموضع الذي أهلّ منه عليه السلام واختلاف الناقلين لذلك وترجيح الحق في ذلك ... ١٢٥
باب بسط البيان لما أحرم به عليه السّلام في حجته هذه من الإفراد أو التمتع أو القران وذكر الأحاديث الواردة بأنه عليه السّلام كان مفرداً ١٢٩
ذكر ما قاله أنه ﷺ حجّ متمتعاً ١٣٢
ذكر حجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارناً ١٣٧
ذكر تلبية رسول الله ﷺ ١٥٤
فصل في إيراد حديث جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه في حجّة رسول الله ﷺ وهو وحده منسك مستقل ١٥٧
ذكر الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وهو ذاهب من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته ١٦١
باب دخول النبيّ ﷺ إلى مكة شرّفها الله عزّ وجلّ ١٦٣
صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه ١٦٤
ذكر رمله عليه الصلاة والسلام في طوافه واضطباعه ١٦٩
ذكر طوافه عليه السلام بين الصفا والمروة ١٧٣
فصل فيما حفظ من دعائه عليه السّلام وهو واقف بعَرَفة ١٨٩
ذكر ما نزل على رسول الله ﷺ من الوحي المنيف في هذا الموقف الشريف ١٩٢
ذكر إفاضته عليه السّلام من عرفات إلى المشعر الحرام ١٩٣
ذكر تلبيته عليه السّلام بالمزدلفة ١٩٩
فصل في وقوفه عليه السّلام بالمشعر الحرام ٢٠٠
ذكر رميه عليه السّلام جمرة العقبة وحدها يوم النحر وكيف رماها ومتى رماها؟ ٢٠٢
صفة حلقه رأسه الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ٢٠٦
ذكر إفاضته ﷺ إلى البيت العتيق ٢٠٩
فصل فيما ورد من الأحاديث الدالة على أنه عليه السلام خطب الناس بمنى ٢٢٠
حديث فيه أن رسول الله ﷺ كان يزور البيت في كل ليلة من ليالي منى ٢٢٢

سنة إحدى عشرة من الهجرة

فصل في الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة رسول الله ﷺ وكيف ابتدىء رسول الله ﷺ بمرضه الذي مات فيه ٢٤٣
ذكر أمره عليه السّلام أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أن يصلي بالصحابة أجمعين ٢٥٢
فصل في كيفية احتضاره ووفاته عليه السلام ٢٥٧
فصل في ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه ٢٦٦
قصة سقيفة بني ساعدة ٢٦٦

ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصِّدِّيق يوم السقيفة ٢٦٩
فصل في ذكر الوقت الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، ومبلغ سنّه حال وفاته، وفي كيفية غسله عليه السَّلام وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، ٢٧٧
صفة غسله عليه السَّلام ٢٨٣
صفة كفنه عليه الصلاة والسلام ٢٨٥
كيفية الصلاة عليه ﷺ ٢٨٨
صفة دفنه عليه السَّلام، وأين دفن، وذكر الخلاف في وقته ليلاً كان أم نهاراً ٢٨٩
ذكر من كان آخر الناس به عهداً عليه الصلاة والسلام ٢٩٣
متى وقع دفنه عليه الصلاة والسلام ٢٩٤
فصل في صفة قبره عليه الصلاة والسلام ٢٩٥
ذكر ما أصاب المسلمين من المصيبة بوفاته ﷺ ٢٩٦
ذكر ما ورد من التعزية به عليه الصلاة والسلام ٣٠٠
فصل فيما روي من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته ﷺ ٣٠١
باب بيان أن النَّبيّ ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ٣٠٦
باب بيان أنه عليه السَّلام قال: لا نورث ٣٠٨
بيان رواية الجماعة لما رواه الصِّدِّيق وموافقتهم على ذلك ٣١١
باب ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهن وأولاده ﷺ ٣١٥
فصل فيمن خطبها عليه السَّلام ولم يعقد عليها ٣٢٤
فصل في ذكر سراريه عليه السَّلام ٣٢٦
فصل في ذكره أولاده عليه الصلاة والسلام ٣٢٩
باب ذكر عبيده عليه السلام وإمائه وذكر خدمه وكتابه وأمنائه ٣٣٤
إماؤه عليه السَّلام ٣٤٧
فصل في خدّامه ﷺ الذين خدموه من الصحابة من غير مواليه ٣٥٤
فصل في كتّاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنهم أجمعين ٣٦٢

البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

وثقه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض — الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

دكتور أحمد أبو ملحم — دكتور علي نجيب عطوي

الأستاذ فؤاد السيد — الأستاذ مهدي ناصر الدين

الأستاذ علي عبد الساتر

الجزء السادس

المحتوى :

السنتان ١١ و ١٢ من الهجرة النبوية

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باب [ما يذكر] من آثار النبي ﷺ التي كان يختص بها في حياته من ثياب وسلاح ومراكب [وغير ذلك مما يجري مجراه وينتظم في معناه]

(ذكر الخاتم الذي كان يلبسه عليه السلام)

وقد أفرد له أبو داود في كتابه السنن كتاباً على حدة، ولنذكر عيون ما ذكره في ذلك مع ما نضيفه إليه، والمعول في أصل ما نذكره عليه.

قال أبو داود: **حدثنا** عبد الرحيم بن مطرف الرؤاسي، **حدثنا** عيسى، عن سعيد، عن قتادة عن أنس بن مالك قال: أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى بعض الأعاجم فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا بخاتم، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش فيه: محمد رسول الله[1]، وهكذا رواه البخاري عن عبد الأعلى بن حماد عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به، ثم قال أبو ادود: **حدثنا** وهب بن بقية، عن خالد، عن سعيد، عن قتادة عن أنس بمعنى حديث عيسى بن يونس زاد فكان في يده حتى قبض، وفي يد أبي بكر حتى قبض[2]، وفي يد عمر حتى قبض، وفي يد عثمان، فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر فأمر بها فنزحت، فلم يقدر عليه[3]. تفرد به أبو داود من هذا الوجه، ثم قال أبو داود رحمه الله: **حدثنا** قتيبة بن سعيد وأحمد بن صالح قالا: أنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال حدثني أنس قال: كان خاتم النبي ﷺ من ورِق فصه حبشي[4]، وقد روى هذا الحديث البخاري من حديث الليث، ومسلم من حديث ابن وهب، وطلحة عن يحيى الأنصاري، وسليمان بن بلال، زاد النسائي وابن ماجه وعثمان عن عمر خمستهم عن يونس بن يزيد الأيلي به، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ثم قال أبو داود: **حدثنا** أحمد بن يونس، ثنا زهير، ثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: كان خاتم النبي ﷺ من فضة كله فضة منه[5]، وقد رواه

---

(١) أخرجه البخاري في اللباس باب ٥٠، وأبو داود في الخاتم باب ١.

(٢) حتى قبض: أي حتى توفاه الله.

(٣) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ١ .

(٤) أخرجه البخاري في اللباس باب ٤٦، ومسلم في اللباس حديث ٦١، ٦٢، وأبو داود في الخاتم باب ١، والترمذي في اللباس باب ١٤، والشمائل باب ١١، والنسائي في الزينة باب ٤٧، وابن ماجة في اللباس باب ٣٩، ٤١.

(٥) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ١، والترمذي في الشمائل باب ١١، واللباس باب ١٥، والنسائي في الزينة باب ٤٧.

الترمذي والنسائي من حديث زهير بن معاوية الجعفي أبي خيثمة الكوفي به، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال البخاري: ثنا أبو معمر، ثنا عبد الوارث، ثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتماً، فقال: إنا اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه نقشاً فلا ينقش عليه أحد، قال: فإني أرى بريقه في خنصره[١]، ثم قال أبو داود: **حدثنا** نصير بن الفرج، ثنا أبو أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب وجعل فصة مما يلي بطن كفه، ونقش فيه محمد رسول الله، فاتخذ الناس خواتم الذهب فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال: لا ألبسه أبداً، ثم اتخذ خاتماً من فضة نقش فيه: محمد رسول الله، ثم لبس الخاتم بعده أبو بكر، ثم لبسه بعد أبي بكر عمر، ثم لبسه بعده عثمان حتى وقع في بئر أريس[٢]، وقد رواه البخاري عن يوسف بن موسى عن أبي أسامة حماد بن أسامة به، ثم قال أبو داود: **حدثنا** عثمان بن أبي شيبة، ثنا سفيان بن عيينة، عن أيوب بن موسى، عن نافع، عن ابن عمر في هذا الخبر عن النبي ﷺ فنقش فيه محمد رسول الله، وقال: لا ينقش أحد على خاتمي هذا، وساق الحديث[٣]، وقد رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث سفيان بن عيينة به نحوه، ثم قال أبو داود: **حدثنا** محمد بن يحيى بن فارس، ثنا أبو عاصم، عن المغيرة بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر في هذا الخبر عن النبي ﷺ قال: فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ عثمان خاتماً ونقش فيه محمد رسول الله، قال: فكان يختم به أو يتختم به[٤]، ورواه النسائي عن محمد بن معمر عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل به، ثم قال أبو داود:

باب (في ترك الخاتم)

حدثنا محمد بن سليمان لُوَيْنٌ، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك أنه رأى في يد النبي ﷺ خاتماً من ورق يوماً واحداً، فصنع الناس فلبسوا، وطرح النبي ﷺ فطرح الناس، ثم قال: رواه عن الزهري زياد بن سعد وشعيب وابن مسافر كلهم قال من ورق[٥]، قلت: وقد رواه البخاري **حدثنا** يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال حدثني أنس بن مالك أنه رأى في يد النبي ﷺ خاتماً من ورق يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها، فطرح رسول الله ﷺ خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم[٦]، ثم علقه البخاري عن إبراهيم بن سعد الزهري المدني وشعيب بن أبي حمزة وزياد بن سعد الخراساني،

---

(١) أخرجه البخاري في اللباس باب ٥١.
(٢) أخرجه البخاري في اللباس باب ٤٦، وأبو داود في الخاتم باب ١.
(٣) أخرجه مسلم في اللباس حديث ٥٥، وأبو داود في الخاتم باب ١، والترمذي في الشمائل باب ١٢، والنسائي في الزينة باب ٥٣، وابن ماجة في اللباس باب ٣٩.
(٤) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ١٢، والنسائي في الزينة باب ٥٣.
(٥) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٢.
أخرجه البخاري في اللباس باب ٤٦، ومسلم في اللباس حديث ٥٩، وأبو داود في الخاتم باب ٢.

وأخرجه مسلم من حديثه، وانفرد أبو داود بعبد الرحمن بن خالد بن مسافر كلهم عن الزهري كما قال أبو داود: خاتماً من ورق، والصحيح أن الذي لبسه يوماً واحداً ثم رمى به، إنما هو خاتم الذهب، لا خاتم الورق، لما ثبت في الصحيحين عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: كان رسول الله يلبس خاتماً من ذهب، فنبذه وقال: لا ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم، وقد كان خاتم الفضة يلبسه كثيراً، ولم يزل في يده حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه، وكان فصه منه يعني ليس فيه فص ينفصل عنه، ومن روى أنه كان فيه صورة شخص فقد أبعد وأخطأ، بل كان فضة كله وفصه منه، ونقشه محمد رسول الله ثلاثة أسطر: محمد سطر. رسول الله سطر. الله سطر، وكأنه والله أعلم كان منقوشاً وكتابته مقلوبة ليطبع على الاستقامة كما جرت العادة بهذا، وقد قيل: إن كتابته كانت مستقيمة، وتطبع كذلك، وفي صحة هذا نظر، ولست أعرف لذلك إسناداً لا صحيحاً ولا ضعيفاً، وهذه الأحاديث التي أوردناها أنه عليه السلام كان له خاتم من فضة، ترد الأحاديث التي قدمناها في سنني أبي داود والنسائي من طريق أبي عتاب سهل بن حماد الدلال عن أبي مكين نوح بن ربيعة عن إياس بن الحارث بن معيقيب بن أبي فاطمة عن جده قال: كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوي عليه فضة[1]، ومما يزيده ضعفاً الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي طيبة عبد الله بن مسلم السلمي المروزي عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من شبة فقال: ما لي أجد منك ريح الأصنام؟ فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟ فطرحه، ثم قال: يا رسول الله من أي شيء أتخذه؟ قال: اتخذه من ورق، ولا تتمه مثقالاً[2]، وقد كان عليه السلام يلبسه في يده اليمنى كما رواه أبو داود والترمذي في الشمائل، والنسائي من حديث شريك وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن القاضي، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسن، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله، قال شريك: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله كان يتختم في يمينه[3]، وروي في اليسرى، رواه أبو داود من حديث عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يساره، وكان فصه في باطن كفه[4]، قال أبو داود: رواه أبو إسحاق وأسامة بن زيد عن نافع في يمينه، وحدثنا هناد، عن عبدة، عن عبيد الله، عن نافع: أن ابن عمر كان يلبس خاتمه في يده اليسرى[5]، ثم قال أبو داود: حدثنا عبد الله بن سعيد، ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: رأيت على الصلت بن عبد الله بن نوفل بن عبد المطلب خاتماً في خنصره اليمنى، فقلت:

---

(١) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٤، والنسائي في الزينة باب ٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٤، والترمذي في اللباس باب ٤٣، والنسائي في الزينة باب ٤٦، وأحمد في المسند ٥/ ٣٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٥، والترمذي في الشمائل باب ١٢، والنسائي في الزينة باب ٤٨.

(٤) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٥.

(٥) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٥.

ما هذا؟ فقال رأيت ابن عباس يلبس خاتمه هكذا وجعل فصه على ظهرها، قال: ولا يخال ابن عباس إلا قد كان يذكر أن رسول الله ﷺ كان يلبس خاتمه كذلك[1] وهكذا رواه الترمذي من حديث محمد بن إسحاق به، ثم قال محمد بن إسماعيل يعني البخاري: حديث ابن إسحاق عن الصلت حديث حسن، وقد روى الترمذي في الشمائل[2] عن أنس وعن جابر وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ كان يتختم في اليمين.

قال البخاري[3]: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، ثنا أبي، عن ثمامة، عن أنس بن مالك أن أبا بكر لما استخلف كتب له وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمد سطر. ورسول سطر. والله سطر، قال أبو عبد الله: وزاد أبو أحمد ثنا الأنصاري حدثني أبي ثنا، ثمامة، عن أنس قال: كان خاتم النبي ﷺ في يده، وفي يد أبي بكر، وفي يد عمر بعد أبي بكر، قال: فلما كان عثمان جلس على بئر أريس، فأخذ الخاتم فجعل يعبث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فنزح البئر فلم يجده، فأما الحديث الذي رواه الترمذي في الشمائل[4]، حدثنا قتيبة، حدثنا أبو عوانة، عن أبي يسر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ، اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه، فإنه حديث غريب جداً. وفي السنن من حديث ابن جريج عن الزهري عن أنس قال كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء نزع خاتمه[5].

(ذكر سيفه عليه السلام)

قال الإمام أحمد: حدثنا شريح، ثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذي رأى الرؤيا يوم أحد، قال: رأيت في سيفي ذا الفقار فلاً فأولته فلا يكون فيكم، ورأيت أني مردف كبشاً، فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة، ورأيت بقراً تذبح، فبقر والله خير فبقر والله خير، فكان الذي قال رسول الله ﷺ[6]، وقد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به، وقد ذكر أهل السنن أنه سمع قائل يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي، وروى الترمذي من حديث هود بن عبد الله بن سعيد، عن جده مزيدة بن جابر العبدي العصري رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة وعلى سيفه ذهب وفضة[7]، الحديث، ثم قال: هذا حديث غريب، وقال الترمذي

(١) أخرجه أبو داود في الخاتم باب ٥، والترمذي في اللباس باب ١٦، والشمائل باب ١٢.

(٢) كتاب الشمائل باب ١٢. (٣) كتاب اللباس باب ٥٥.

(٤) كتاب الشمائل باب ١١.

(٥) أخرجه أبو داود في الطهارة باب ١٠، والترمذي في اللباس باب ١٦، والشمائل باب ١٢، والنسائي في الزينة باب ٥٣، وابن ماجة في الطهارة باب ١١.

(٦) أخرجه الترمذي في السير باب ١٢، وابن ماجة في الجهاد باب ١٨، وأحمد في المسند ١/ ٢٧١.

(٧) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ١٦، والشمائل باب ١٣.

في الشمائل: حدثنا محمد بن بشار، ثنا معاذ بن هشام، ثنا أبي، عن قتادة، عن سعيد بن أبي الحسن قال: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة[١]، وروى أيضاً من حديث عثمان بن سعد عن ابن سيرين قال: صنعت سيفي على سيف سمرة، وزعم سمرة أنه صنع سيفه على سيف رسول الله ﷺ وكان حنفياً وقد صار إلى آل علي سيف من سيوف رسول الله ﷺ فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء عند الطف كان معه فأخذه علي بن الحسين بن زين العابدين فقدم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية، ثم رجع معه إلى المدينة[٢]، فثبت في الصحيحين عن المسور بن مخرمة أنه تلقاه إلى الطريق، فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ قال فقال: لا، فقال: هل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ فإني أخشى أن يغلبك عليه القوم، وايم الله أن أعطيتنيه لا يخلص إليه أحد حتى يبلغ نفسي[٣].

وقد ذكر للنبي ﷺ غير ذلك من السلاح، من ذلك الدروع كما روي غير واحد منهم السائب بن يزيد، وعبد الله بن الزبير، أن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أحد بين درعين[٤]، وفي الصحيحين من حديث مالك عن الزهري عن أنس، أن رسول الله ﷺ دخل يوم الفتح وعلى رأسه المغفر[٥]، فلما نزعه قيل له: هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه[٦]، وعند مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء[٧]، وقال وكيع عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث، عن أبيه، قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وعليه عمامة دسماء[٨]، ذكرهما الترمذي في الشمائل، وله من حديث الدراوردي، عن عبد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا اعتم سدلها بين كتفيه[٩]، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن محمد، ثنا مخول بن إبراهيم، ثنا إسرائيل، عن عاصم، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك أنه كانت عنده عصية[١٠] لرسول الله ﷺ فمات فدفنت معه بين جنبه وبين قميصه، ثم قال البزار: لا نعلم رواه إلا مخول بن راشد، وهو صدوق فيه شيعية. واحتمل على ذلك، وقال الحافظ البيهقي بعد روايته هذا الحديث من طريق مخول هذا قال: وهو من الشيعة يأتي بأفراد

(١) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ١٦، والشمائل باب ١٣.
(٢) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ١٢، والشمائل باب ١٣.
(٣) أخرجه البخاري في الخمس باب ٥، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٩٥، وأبو داود في النكاح باب ١٢، وأحمد في المسند ٤/ ٣٢٦.
(٤) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ٧٥، وأحمد في المسند ٣/ ٤٤٩.
(٥) المغفر: زرد في الدرع يلبس تحت القلنسوة.
(٦) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٦٩، ومسلم في الحج حديث ٤٥٠.
(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٥١، والترمذي في اللباس باب ١١، والشمائل باب ١٦.
(٨) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٥٢، والترمذي في الشمائل باب ١٦.
(٩) أخرجه الترمذي في اللباس باب ١١، والشمائل باب ١٦.
(١٠) العصية: العصا الصغيرة.

عن إسرائيل لا يأتي بها غيره، والضعف على رواياته بين ظاهر.

(ذكر نعله التي كان يمشي فيها عليه السلام)

ثبت في الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يلبس النعال السبتية، وهي التي لا شعر عليها[١]، وقد قال البخاري في صحيحه: **حدثنا** محمد هو ابن مقاتل، **حدثنا** عبد الله، يعني ابن المبارك، أنا عيسى بن طهمان، قال: خرج إلينا أنس بن مالك بنعلين لهما قبالان، فقال ثابت البناني: هذه نعل النبي ﷺ[٢]، وقد رواه في كتاب الخمس عن عبد الله بن محمد عن أبي أحمد الزبيري عن عيسى بن طهمان عن أنس، قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان. فحدثني ثابت البناني بعد عن أنس أنهما نعلا النبي ﷺ[٣]. وقد رواه الترمذي في الشمائل عن أحمد بن منيع عن أبي أحمد الزبيري به، وقال الترمذي في الشمائل: **حدثنا** أبو كريب، ثنا وكيع، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان مثني شراكهما[٤]، وقال أيضاً: ثنا إسحاق بن منصور، أنا عبد الرزاق عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان[٥]، وقال الترمذي: ثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله: ثنا عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية، ثنا هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان وأبي بكر وعمر وأول من عقد عقداً واحداً عثمان[٦]. قال الجوهري: قبال النعل بالكسر الزمام الذي يكون بين الإصبع الوسطى والتي تليها. قلت: واشتهر في حدود سنة ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له: ابن أبي الحدرد، نعل مفردة ذكر أنها نعل النبي ﷺ، فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها، فاتفق موته بعد حين، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور، فأخذها إليه وعظمها، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية إلى جانب القلعة، جعلها في خزانة منها، وجعل لها خادماً، وقُرر له من المعلوم كل شهر أربعون درهماً، وهي موجودة إلى الآن في الدار المذكورة، وقال الترمذي في الشمائل: ثنا محمد بن رافع وغير واحد قالوا: ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا شيبان، عن عبد الله بن المختار، عن موسى بن أنس، عن أبيه قال: كانت لرسول الله ﷺ سلة[٧] يتطيب منها[٨].

---

(١) أخرجه البخاري في اللباس باب ٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في اللباس باب ٤١.
(٣) أخرجه البخاري في فرض الخمس باب ٥، والترمذي في الشمائل باب ١٠.
(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ١٠.
(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ١٠.
(٦) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ١٠.
(٧) السلة: وعاء من قصب أو نحوه.
(٨) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ٣٢.

(صفة قدح النبي ﷺ)

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، ثنا شريك، عن عاصم قال: رأيت عند أنس قدح النبي ﷺ فيه ضبة من فضة[١]، وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله، أخبرني أحمد بن محمد النسوي، ثنا حماد بن شاكر، ثنا محمد بن إسماعيل هو البخاري، ثنا الحسن بن مدرك، حدثني يحيى بن حماد أنا أبو عوانة، عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة، قال: وهو قدح جيد عريض من نضار، قال أنس: لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا، قال: وقال ابن سيرين إنه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة فقال له أبو طلحة: لا تغيرن شيئاً صنعه رسول الله ﷺ، فتركه، وقال الامام أحمد: حدثنا روح بن عبادة، ثنا حجاج بن حسان قال: كنا عند أنس فدعا بإناء فيه ثلاث ضبات حديد وحلقة من حديد، فأخرج من غلاف أسود وهو دون الربع وفوق نصف الربع، وأمر أنس بن مالك فجعل لنا فيه ماء فأتينا به فشربنا وصببنا على رؤوسنا ووجوهنا وصلينا على النبي ﷺ. انفرد به أحمد[٢].

[(ذكر ما ورد في][٣] المكحلة التي كان عليه السلام يكتحل منها)

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أنا عبد الله بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين[٤]، وقد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن هارون، قال علي بن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: قلت لعباد بن منصور: سمعت هذا الحديث من عكرمة، فقال: أخبرنيه ابن أبي يحيى عن داود بن الحصين عنه، قلت: وقد بلغني أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي ﷺ اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين، فمن ذلك مكحلة وقيل ومشط وغير ذلك فالله أعلم.

(البردة)

قال الحافظ البيهقي: وأما البرد الذي عند الخلفاء فقد روينا عن محمد بن إسحاق بن يسار في قصة تبوك أن رسول الله ﷺ، أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم، فاشتراه أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار - يعني بذلك أول خلفاء بني العباس وهو السفاح رحمه الله - وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه، ويأخذ القضيب المنسوب إليه (صلوات الله وسلامه عليه) في إحدى يديه، فيخرج وعليه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٣٩.
(٢) المسند ٣/ ١٨٧.
(٣) سقط في ط.
(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ٧، وابن ماجة في الطب باب ٢٦، وأحمد في المسند ١/ ٣٥٤.

من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب، ويبهر به الأبصار، ويلبسون السواد في أيام الجمع والأعياد، وذلك اقتداء منهم بسيِّد أهل البدو والحضر، ممن يسكن الوبر والمدر، لما أخرجه البخاري ومسلم إماماً أهل الأثر، من حديث عن مالك الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، وفي رواية وعليه عمامة سوداء[١]، وفي رواية قد أرخى طرفها بين كتفيه، صلوات الله وسلامه عليه[٢]، وقد قال البخاري: ثنا مسدد، ثنا إسماعيل، ثنا أيوب، عن محمد عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساءً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض روح النبي ﷺ في هذين[٣]، وللبخاري من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة وابن عباس قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة[٤] له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذّر ما صنعوا[٥]، قلت: وهذه الأبواب الثلاثة لا يدري ما كان من أمرها بعد هذا، وقد تقدم أنه عليه السلام طرحت تحته في قبره الكريم قطيفة[٦] حمراء كان يصلي عليها، ولو تقصينا ما كان يلبسه في أيام حياته لطال الفصل وموضعه كتاب اللباس من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

[(ذكر][٧] أفراسه ومراكيبه عليه الصلاة والسلام)

قال ابن إسحاق عن يزيد بن حبيب، عن مرثد بن عبد الله المزني، عن عبد الله بن رزين، عن علي قال: كان للنبي ﷺ فرس يقال له المرتجز، وحمار يقال له عفير، وبغلة يقال لها دلدل، وسيفه ذو الفقار، ودرعه ذو الفضول. ورواه البيهقي من حديث الحكم عن يحيى بن الجزار عن علي نحوه، قال البيهقي: وروينا في كتاب السنن أسماء أفراسه التي كانت عند الساعديين، الزاز[٨] واللحيف وقيل اللخيف والظرب، والذي ركبه لأبي طلحة يقال له المندوب، وناقته القصواء والعضباء والجدعاء، وبغلته الشهباء، والبيضاء. قال البيهقي: وليس في شيء من الروايات أنه مات عنهن إلا ما روينا في بغلته البيضاء، وسلاحه وأرض جعلها صدقة، ومن ثيابه، وبغلته، وخاتمه ما روينا في هذا الباب. وقال أبو داود الطيالسي ثنا زمعة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: توفي رسول الله ﷺ وله جبة صوف في الحياكة، وهذا إسناد جيد، وقد روى الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا مجاهد، عن موسى، ثنا علي بن ثابت، ثنا غالب الجزري عن أنس قال: لقد قبض رسول الله ﷺ وإنه لينسج له كساء

(١) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٥١، وأبو داود في اللباس باب ٢٣، والترمذي في اللباس باب ١١، والشمائل باب ١٦، وابن ماجة في الجهاد باب ٢٢.
(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٥٣، وأبو داود في اللباس باب ٢٣، وابن ماجة في الجهاد باب ٢٢.
(٣) أخرجه البخاري في اللباس باب ١٩.
(٤) الخميصة: ثوب أحمر أو أسود.
(٥) أخرجه البخاري في اللباس باب ١٩.
(٦) القطيفة: ثوب يلقيه الرجل على نفسه.
(٧) سقط في ط.
(٨) في ط: لزاز.

من صوف، وهذا شاهد لما تقدم. وقال أبو سعيد بن الأعرابي: حدثنا سعدان بن نصير، ثنا سفيان بن عيينة، عن الوليد بن كثير، عن حسين، عن فاطمة بنت الحسين أن رسول الله ﷺ قبض وله بردان في الجف يعملان، وهذا مرسل. وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن بن إسحاق التستري، ثنا أبو أمية عمرو بن هشام الحراني، ثنا عثمان بن عبد الرحمن بن علي بن عروة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء وعمرو بن دينار، عن ابن عباس قال: كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيعته[١]، وكان يسميه ذا الفقار، وكان له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بالنحاس تسمى ذات الفضول، وكانت له حربة تسمى السغاء، وكان له مجن يسمى الذقن، وكان له ترس أبيض يسمى الموجز، وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج، وكان له بغلة شهباء يقال لها دلدل، وكانت له ناقة تسمى القصواء، وكان له حمار يقال له: يعفور، وكان له بساط يسمى الكر، وكان له نمرة تسمى النمر، وكانت له ركوة تسمى الصادر، وكانت له مرآة تسمى المرآة، وكان له مقراض يسمى الجاح، وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق.

قلت: قد تقدم عن غير واحد من الصحابة أن رسول الله ﷺ لم يترك ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة سوى بغلة وأرض جعلها صدقة[٢]، وهذا يقتضي أنه عليه السلام نجز العتق في جميع ما ذكرناه من العبيد، والإماء، والصدقة في جميع ما ذكر من السلاح، والحيوانات، والأثاث، والمتاع مما أوردناه وما لم نورده.

وأما بغلته فهي الشهباء، وهي البيضاء أيضاً والله أعلم، وهي التي أهداها له المقوقس، صاحب الاسكندرية واسمه، جريج بن ميناء فيما أهدى من التحف، وهي التي كان رسول الله ﷺ راكبها يوم حنين وهو في نحور العدو ينوه باسمه الكريم شجاعة وتوكلاً على الله عز وجل، فقد قيل إنها عمرت بعده حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام خلافته وتأخرت أيامها حتى كانت بعد علي عند عبد الله بن جعفر فكان يجش لها الشعير حتى تأكله من ضعفها بعد ذلك.

وأما حماره يعفور، ويصغر فيقال له عفير، فقد كان عليه السلام يركبه في بعض الأحايين، وقد روى أحمد من حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن يزيد بن عبد الله العوفي، عن عبد الله بن رزين، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ يركب حماراً يقال له عفير[٣]، ورواه أبو يعلى من حديث عون بن عبد الله عن ابن مسعود، وقد رود في أحاديث عدة أنه عليه السلام ركب الحمار، وفي الصحيحين أنه عليه السلام مر وهو راكب حماراً بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ ابن سلول وأخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان

---

(١) القبيعة: ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا باب ١، والترمذي في الشمائل باب ٥٥، والنسائي في الأحباس باب ١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/١١١.

واليهود، فنزل ودعاهم إلى الله عز وجل، وذلك قبل وقعة بدر، وكان قد عزم على عيادة سعد بن عبادة، فقال له عبد الله: لا أحسن مما تقول أيها المرء فإن كان حقاً فلا تغشنا به في مجالسنا، وذلك قبل أن يظهر الإسلام، ويقال إنه خمر أنفه لما غشيتهم عجاجة[١] الدابة وقال: لا تؤذنا بنتن حمارك، فقال له عبد الله بن رواحة: والله لريح حمار رسول الله ﷺ أطيب من ريحك. وقال عبد الله: بل يا رسول الله أغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فتثاور[٢] الحيان وهموا أن يقتتلوا فسكنهم رسول الله، ثم ذهب إلى سعد بن عبادة فشكى إليه عبد الله بن أبي. فقال: ارفق به يا رسول الله، فوالذي أكرمك بالحق لقد بعثك الله بالحق، وإنّا لننظم له الخدر[٣] لنملكه علينا، فلما جاء الله بالحق الذي بعثك به شرق[٤] بريقه[٥]، وقد قدمنا أنه ركب الحمار في بعض أيام خيبر، وجاء في الحديث أنه أردف معاذاً على حمار، ولو أوردناها بألفاظها وأسانيدها لطال الفصل والله أعلم، فأما ما ذكره القاضي عياض بن موسى السبتي في كتابه الشفا، وذكره قبل إمام الحرمين في كتابه الكبير في أصول الدين وغيرهما أنه كان لرسول الله ﷺ حمار يسمى زياد بن شهاب وأن رسول الله ﷺ كان يبعثه ليطلب له بعض أصحابه فيجيء إلى باب أحدهم فيقعقعه فيعلم أن رسول الله ﷺ يطلبه، وأنه ذكر للنبي ﷺ أنه سلالة سبعين حماراً كل منها ركبه نبي، وأنه لما توفي رسول الله ﷺ ذهب فتردى في بئر فمات، فهو حديث لا يعرف له إسناد بالكلية، وقد أنكره غير واحد من الحفاظ منهم عبد الرحمن بن أبي حاتم وأبوه رحمهما الله، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي رحمه الله ينكره غير مرة إنكاراً شديداً، وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة: ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العنبري، ثنا أحمد بن محمد بن يوسف، ثنا إبراهيم بن سويد الجذوعي، حدّثني عبد الله بن أذين الطائي، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: أتى النبي ﷺ وهو بخيبر حمار أسود فوقف بين يديه، فقال: من أنت؟ قال: أنا عمرو بن فلان كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم، وكنت لك فملكني رجل من اليهود، فكنت إذا ذكرتك كبوت به فيوجعني ضرباً، فقال رسول الله ﷺ: فأنت يعفور، هذا حديث غريب جداً.

* * *

فصل: وهذا أوانُ إيراد ما بقي علينا من متعلقات السِّيرة الشريفة، وذلك أربعة كتب:

الأوّل في الشمائل.

الثاني في الدلائل.

الثالث في الفضائل.

الرابع في الخصائص.

وبالله المستعان، وعليه التّكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز [الحكيم].

---

(١) العجاج: كسحاب: الغبار والدخان. (٢) تثاور: هاج.

(٣) الخدر: كل ما سترك من البيت. (٤) شرق بريقه: امتنع أن يجري فيه الماء.

(٥) أخرجه البخاري في الصلح باب ١، ومسلم في الجهاد والسير حديث ١١٧.

كتاب الشمائل

شمائل رسول الله ﷺ وبيان خلقه الطاهر

قد صنف الناس في هذا قديماً وحديثاً، كتباً كثيرةً مفردةً وغير مفردة، ومن أحسن من جمع في ذلك فأجاد وأفاد الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ التِّرمِذِيّ رحمه الله، أفرد في هذا المعنى كتابه المشهور بالشَّمائل، ولنا به سماعٌ متَّصل إليه، ونحن نُورد عُيُونَ ما أورده فيه، ونزيد عليه أشياء مهمة لا يستغني عنها المحدِّث والفقيه. ولنذكر أولاً بيان حسنه الباهر الجميل، ثم نشرع بعد ذلك في إيراد الجمل والتفاصيل، فنقول والله حسبنا ونعم الوكيل.

باب
ما ورد في حسنه الباهر [بعدما تقدم من بيان حسنه الطاهر](١)

قال البخاري: حدّثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدّثنا إسحاق بن منصور، حدّثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق: قال: سمعت البراء بن عازب يقول: «كان النبيّ ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير»(٢). وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب عن إسحاق بن منصور به.

وقال البخاري: حدّثنا جعفر بن عمر، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: كان النبيّ ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أرَ شيئاً قط أحسن منه. قال يوسف بن أبي إسحاق: عن أبيه إلى منكبيه.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: ما رأيت من ذي لمةٍ(٣) أحسنَ في حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، له شعر يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ بعيد ما بين المَنْكِبَيْنِ، ليس بالطويل ولا بالقصير، وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث وكيع به.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أسود بن عامر، ثنا إسرائيل، أنا [أبو إسحاق]، ح وحدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: ما رَأَيْتُ أَحَداً مِنْ خَلْقِ الله أَحْسَنَ في حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وإن جُمتَه(٤) لَتَضْرِبُ إلى مَنْكِبَيْهِ، قال ابن

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٣.

(٣) اللمة: شعر الرأس.

(٤) الجمة: ما تدلى من شعر الرأس إلى المنكبين.

أبي بكير؛ لتضرب قريباً من منكبيه. قال ـ يعني ابن إسحاق ـ وقد سمعته يُحَدث به مراراً ما حدث به قط إلا ضحك. وقد رواه البخاري في اللباس، والترمذي في الشمائل، والنسائي في الزينة من حديث إسرائيل به.

وقال البخاري: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا زهير، عن أبي إسحاق قال: سئل البراء بن عازب أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر، ورواه الترمذي من حيث زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي إسحاق السبيعي، واسمه عمرو بن عبد الله الكوفي، عن البراء بن عازب به وقال: حسن صحيح.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان ببغداد، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا أبو يوسف يعقوب بن سفيان، حدّثنا أبو نعيم وعبد الله، عن إسرائيل، عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة قال له [رجل]: أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف؟ قال أبا: لا؛ بل مثل الشمس والقمر مستديراً؛ وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى به؛ وقد رواه الإمام أحمد مطولاً فقال: ثنا عبد الرزاق؛ [أنا إسرائيل]؛ عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ قد شمط[1] مقدم رأسه ولحيته؛ فإذا ادهن ومشطهن لم يَتَبَيَّن؛ وإذا شعث رأسه تبين؛ وكان كثير الشعر واللحية؛ فقال رجل: وجهه مثل السيف؟ قال: لا؛ بل مثل الشمس والقمر مستديراً؛ قال: ورأيتُ خاتمه عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده.

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو طاهر الفقيه؛ أخبرنا أبو حامد بن بلال؛ حدّثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي؛ حدّثنا المحاربي؛ عن أشعث؛ عن أبي إسحاق؛ عن جابر بن سمرة قال: رأيتُ رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حُلَّةٌ حمراء، فجعلتُ أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسنَ مِنَ القمر هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن هناد بن السري عن عبثر بن القاسم عن أشعث بن سوار؛ قال النسائي: وهو ضعيف؛ وقد أخطأ، والصواب أبو إسحاق عن البراء، وقال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث أشعث بن سوار؛ وسألت محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ قلت: حديث أبي إسحاق عن البراء أصح أم حديثه عن جابر؟ فرأى كلا الحديثين صحيحاً؛ وثبت في صحيح البخاري عن كعب بن مالك في حديث التوبة قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه كأنه قطعةُ قمر؛ وقد تقدم الحديث بتمامه؛ وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا سعيد، حدّثنا يونس بن أبي يعفور العبدي؛ عن أبي إسحاق الهَمَدَاني؛ عن امرأة من هَمْدَان سمّاها. قالت: حججت مع رسول الله ﷺ فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيدهِ مِحْجَن عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبه؛ إذا مرَّ بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إليه فيقبله؛ قال أبو إسحاق: فقلت لها: شبهيه. قالت: كالقمر ليلة البدر لم أرَ قبله ولا بعده مثله، وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا إبراهيم بن المنذر؛

---

(١) شمط: اختلط سواد الشعر ببياضه.

ثنا عبد الله بن موسى التَّيْمِيّ؛ حدّثنا أسامة بن زيد؛ عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ: صفي لي رسول الله ﷺ؛ قالت: يا بني لو رأيْتَهُ رأيتَ الشَّمْسَ طالعةً؛ ورواه البيهقي من حديث يعقوب بن محمد الزهريّ عن عبد الله بن موسى التيميّ بسنده فقالت: لو رأيتَهُ لقلتَ الشمس طالعة؛ وثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ مسروراً تبرقُ أساريرُ وجهه. الحديث.

صفة لون رسول الله ﷺ

قال البخاري: حدّثنا يحيى بن بُكير؛ حدّثنا الليث؛ عن خالد هو ابن يزيد، عن سعيد ـ يعني ابن هلال ـ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبيّ ﷺ قال: كانَ ربعةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّويلِ وَلا بِالقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بأَبْيَضَ أمْهَقَ[1] ولا بآدَمَ؛ لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلا سَبْطٍ رَجْلٍ؛ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ وبِالمَدِينَةِ عشر سنين ولَيْسَ في رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ، قالَ رَبِيعَةُ: فرأيتُ شَعراً مِنْ شَعْرِهِ فإذا هُوَ أَحْمَرُ؛ فسألت فقيل: أحمر من الطيب.

ثم قال البخاري: حدّثنا عبد الله بن يوسف؛ أخبرنا مالك بن أنس؛ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بالطَّويلِ البَائِنِ ولا بِالقَصِيرِ؛ وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأمْهَقِ ولا بالآدمِ؛ وَلَيْسَ بِالجَعْدِ القَطَطِ؛ ولا بالسبط؛ بعثه الله على رأس أربعين سنة؛ فأقام بمكة عشر سنين؛ وبالمدينة عشر سنين، فتوفاه اللهُ وَلَيْسَ في رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ؛ وكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك؛ ورواه أيضاً عن قتيبة ويحيى بن أيوب وعليّ بن حجر؛ ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر؛ وعن القاسم بن زكريا؛ عن خالد بن مخلد؛ عن سليمان بن بلال ثلاثتهم عن ربيعة به؛ ورواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن مالك به؛ وقال الترمذيّ: حسن صحيح.

قال الحافظ البيهقي: ورواه ثابت عن أنس فقال: كانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ؛ قال: ورواه حميد كما أخبرنا؛ ثم ساق بإسناده عن يعقوب بن سفيان؛ حدّثني عمرو بن عون وسعيد بن منصور قالا: حدثنا خالد بن عبد الله؛ عن حميد الطويل؛ عن أنس بن مالك قال: كانَ رَسُولُ الْلهِ ﷺ أَسْمَرَ اللَّوْنِ؛ وهكذا روى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار عن عليّ عن خالد بن عبد الله عن حميد عن أنس؛ قال: وحدثناه محمد بن المثنى قال حدّثنا عبد الوهاب؛ قال: حدّثنا حميد عن أنس قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بالطَّويلِ ولا بالقَصِيرِ؛ وكانَ إذا مَشَى تَكَفَّأَ، وَكانَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ؛ ثم قال البزار: لا نعلم رواه عن حميد إلا خالد وعبد الوهاب؛ ثم قال البيهقي رحمه الله:

وأخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو جعفر البزار: حدّثنا يحيى بن جعفر؛ حدّثنا

---

(١) الأمهق: الشديد البياض.

علي بن عاصم، حدّثنا حميد سمعت أنس بن مالك يقول فذكر الحديث في صفة النبيّ ﷺ؛ قال: كان أبيض بياضه إلى السُّمرة.

قلت: وهذا السياق أحسن من الذي قبله؛ وهو يقتضي أن السُّمرة التي كانت تعلو وَجْهَهُ عليه الصلاة والسّلام من كثرة أسفاره وبروزه للشمس، والله أعلم، فقد قال يعقوب بن سفيان الفسويّ أيضاً: حدّثني عمرو بن عون وسعيد بن منصور قالا: حدّثنا خالد بن عبد الله عن الجريري؛ عن أبي الطفيل قال: رأيت النبيَّ ﷺ ولم يبق أحد رآه غيري؛ فقلنا له: صف لنا رسول الله ﷺ فقال: كان أبيضَ مليحَ الوجه. ورواه مسلم عن سعيد بن منصور به. ورواه أيضاً أبو داود من حديث سعيد بن إياس الجريري. عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي. قال: كان رسول الله ﷺ أبيض مليحاً، إذا مشى كأنما ينحطُّ في صُبُوب، لفظ أبي داود.

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** يزيد بن هارون [أنا][1] الجريري، قال: «كنتُ أطوفُ مع أبي الطفيل فقال: ما بقي أحد رأى رسول الله ﷺ غيري. قلت: ورأيْتَهُ؟ قال: نعم، قال: قلتُ: كيفَ كانت صفته؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً»، وقد رواه الترمذي عن بندار [عن][2] سفيان بن وكيع كلاهما عن يزيد بن هارون به. وقال البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ، أنا عبد الله بن جعفر أو أبو الفضل محمد بن إبراهيم، ثنا أحمد بن سلمة، ثنا واصل بن عبد الأعلى الأسدي، حدّثنا محمد بن فضل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب، وكان الحسن بن عليّ يشبهه، ثم قال: رواه مسلم عن واصل بن عبد الأعلى، ورواه البخاري عن عمرو بن علي عن محمد بن فضيل، وأصل الحديث كما ذكر في الصحيحين، ولكن بلفظ آخر كما سيأتي.

وقال محمد بن إسحاق عن الزهريّ عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، عن أبيه أن سراقة بن مالك قال: أتيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فلما دَنَوْتُ منه وهو على ناقته، جعلت أنظر إلى ساقه كأنها جُمارة، وفي رواية يونس عن ابن إسحاق: واللّهِ لكأني أنظرُ إلى ساقه في غرزه كأنها جُمَارة[3].

قلت: يعني من شدة بياضها كأنها جُمَّارَةُ طَلْعِ النَّخْلِ.

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أمية، عن مولى لهم - مُزاحم بن أبي مُزاحم - عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، عن رجل من خُزَاعَة يقال له: محرش أو مخرش، لم يكن سفيان يقف على اسمه، وربما قال محرش ولم أسمعه أنا، أن النبي ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً فاعتمر ثم رجع فأصبح بها كبائت فنظرت إلى ظهره كأنها سبيكة فضة، تفرد به أحمد[4]، وهكذا رواه يعقوب بن سفيان عن الحميدي عن سفيان بن عيينة.

---

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) الجمار: شحم النخلة.
(٤) المسند ٣/ ٤٢٧.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء، حدّثني عمرو بن الحارث، حدّثني عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، أخبرني محمد بن مسلم، عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال: كان شديد البياض، وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسن، حدّثنا عبد الله بن لهيعة، حدّثنا أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة يقول: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كان كأن الشّمس تجري في جبهته، وما رأيتُ أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تُطْوَى له، إنا لنَجهدُ أنفسنا وإنه لَغيرُ مكترث، ورواه الترمذي عن قتيبة عن ابن لهيعة به، وقال: كأن الشمس تجري في وجهه، وقال: غريب، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد المصري، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة، وقال: كأنما الشمس تجري في وجهه، وكذلك رواه ابن عساكر من حديث حرملة عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة فذكره وقال: كأنما الشمس تجري في وجهه.

وقال البيهقي: أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا إبراهيم بن عبد الله، حدّثنا حجاج، حدّثنا حماد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن علي ـ يعني ابن الحنفية ـ عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا المسعودي، عن عثمان بن عبد الله بن هرمز، عن نافع بن جبير، عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ مشرباً وجهه حمرة.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا ابن الأصبهاني، حدّثنا شريك، عن عبد الملك بن عمير، عن نافع بن جبير، قال: وصف لنا عليّ النبي ﷺ فقال: كان أبيض مشرب الحمرة، وقد رواه الترمذي بنحوه من حديث المسعودي عن عثمان بن مسلم عن هرمز، وقال: هذا حديث صحيح.

قال البيهقي: وقد روي هكذا عن علي من وجه آخر.

قلت: رواه ابن جريج عن صالح بن سعيد عن نافع بن جبير، عن عليّ، قال البيهقي: ويقال: إن المشرب فيه حمرة ما ضحا مِنهُ للشمس والرياح، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر.

صفة وجه رسول الله ﷺ وذكر محاسنه فرقه وجبينه وحاجبيه وعينيه وأنفه [وفمه وثناياه وما جرى مجرى ذلك من محاسن طلعته ومحياه][1]

قد تقدم قول أبي الطفيل كان أبيض مليح الوجه، وقول أنس كان أزهر اللون، وقول البراء

---

(١) سقط في ط.

وقد قيل له: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ ـ يعني في صقاله ـ فقال: لا، بل مثل القمر، وقول جابر بن سمرة وقد قيل له مثل ذلك، فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر مستديراً، وقول الربيع بنت معوذ: لو رأيته لقلت الشمس طالعة.

وفي رواية لرأيت الشمس طالعة، وقال أبو إسحاق السبيعي عن امرأة من همدان حجت مع رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت: كان كالقمر ليلة البدر لم أرَ قبله ولا بعده مثله.

وقال أبو هريرة: كأن الشمس تجري في وجهه، وفي رواية في جبهته.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان وحسن بن موسى قالا: حدّثنا حماد وهو ابن سلمة، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن علي، عن أبيه قال: «كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَخْمَ الرَّأسِ عَظِيمَ العَيْنَيْنِ أَهْدَبَ الأشْفَارِ[١] مُشْرَبَ العَيْنَيْنِ بِحُمْرَةٍ كَثَّ اللِّحْيَةِ أَزْهَرَ اللَّوْنِ شَثْنَ[٢] الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، إذا مَشَى كَأَنَّمَا يَمْشِي في صُعُدٍ، وَإذا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعاً. تفرد به أحمد».

وقال أبو يعلى: حدّثنا زكريا ويحيى الواسطي؛ حدّثنا عباد بن العوام، حدّثنا الحجاج، عن سالم المكي، عن ابن الحنفية، عن علي أنه سئل عن صفة النبي ﷺ فقال: كان لا قصيراً ولا طويلاً، حسن الشعر رجله مشرباً وجهه حمرة، ضخم الكراديس[٣]، شثن الكعبين والقدمين، عظيم الرأس، طويل المسرُبة[٤]، لم أرَ قبله ولا بعده مثله، إذا مشى تكفأ كأنما ينزل من صبب.

وقال محمد بن سعد عن الواقدي: حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه، عن جده، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فإني لأخطب يوماً على الناس وحَبْرٌ من أحبار يهود واقف في يده سفر ينظر فيه، فلما رآني قال: صف لنا أبا القاسم، فقال علي: رسول الله ﷺ ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، وليس بالجعد القطط ولا بالسبط، هو رجل الشعر أسوده، ضخم الرأس، مشرباً لونه حمرة، عظيم الكراديس، شثن الكفين والقدمين، طويل المسربة، وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة، أهدل الأشفار، مقرون الحاجبين، صلت الجبين، بعيد ما بين المنكبين إذا مشى تكفا كأنما ينزل من صبب، لم أرَ قبله مثله، ولا بعده مثله، قال عليّ: ثم سكت فقال لي الحبر: وماذا؟ وقال علي: هذا ما يحضرني، قال الحبر في عينيه حمرة، حسن اللحية، حسن الفم تام الأذنين، يقبل جميعاً ويدبر جميعاً، فقال علي: والله هذه صفته، قال الحبر: [وماذا؟] قال علي: وما هو؟ قال الحبر وفيه جناء[٥]، قال عليّ: هو الذي قلت لك كأنما ينزل من صبب قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي ونجده يبعث في حرم الله وأمنه وموضع بيته ثم يهاجر إلى حرم يحرّمه هو ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله، ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوماً من ولد عمر بن عامر أهل نخل وأهل الأرض قبلهم يهود، قال علي: هو هو، وهو رسول الله، قال الحبر: فإني

(١) الشفر: أصل منبت الشعر في طرف الجفن. (٢) الشثن: الغليظ.
(٣) الكراديس: المفاصل. (٤) المسربة: الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة.
(٥) كذا في الأصل، ولعله: وفيه حياء.

أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة فعلى ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله. قال: فكان يأتي علياً فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام، ثم خرج علي والحبر من هنالك حتى مات في خلافة أبي بكر وهو مؤمن برسول الله ﷺ مصدق به، وهذه الصفة قد وردت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من طرق متعددة سيأتي ذكرها.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا خالد بن عبد الله، عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده قال: سئل أو قيل لعلي انعت لنا رسول الله، فقال: كان أبيض مشرباً بياضه حمرة وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار، قال يعقوب: حدّثنا عبد الله بن سلمة وسعيد بن منصور قالا: حدّثنا عيسى بن يونس، حدّثنا عمر بن عبد الله مولى عفرة، عن إبراهيم بن محمد عن ولد علي قال: كان علي إذا نعت رسول الله قال: كان في الوجه تدوير أبيض أدعج العينين أهدب الأشفار، قال الجوهريّ: الدَّعج شدة سواد العينين مع سعتهما.

وقال أبو داود الطّيالسي: حدّثنا شعبة، أخبرني سماك، سمعت جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ أشهل العينين منهوس العقب ضليع الفم. هكذا وقع في رواية أبي داود عن شعبة أشهل العينين، قال أبو عبيد والشهلة حمرة في سواد العين، والشكلة حمرة في بياض العين.

قلت: وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه عن أبي موسى وبندار كلاهما عن أحمد بن منيع عن أبي قطن عن شعبة به. وقال: أشكل العينين، وقال: حسن صحيح، ووقع في صحيح مسلم تفسير الشكلة بطول أشفار العينين، وهو من بعض الرواة، وقول أبي عبيد: حمرة في بياض العين أشهر وأصح وذلك يدل على القوة والشجاعة والله تعالى أعلم.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم عن الزبيدي حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله فقال: كان مفاض الجبين أهدب الأشفار، وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا أبو غسان حدّثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي حدثني رجل بمكة عن ابن لأبي هالة التميمي عن الحسن بن علي عن خاله قال: كان رسول الله واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان.

وقال يعقوب: حدّثنا إبراهيم بن المنذر حدّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت الزهري، حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: كان رسول الله أفلج الثنيتين[1] وكان إذا تكلم رُئي كالنور بين ثناياه. ورواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن المنذر به.

(١) الأفلج: الذي بين أسنانه تباعد، والثنايا: أسنان مقدمة الفم.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا عباد بن حجاج عن سماك عن جابر عن سمرة قال: كنت إذا نظرت إلى رسول الله ﷺ قلت: أَكْحَل العينين وليس بأكْحَل، وكان في سَاقَيْ رَسولِ الله حُمُوشَةٌ وكان لا يضحك إلاَّ تَبسُّماً.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدثني مجمع بن يحيى عن عبد الله بن عمران الأنصاري عن علي والمسعودي عن عثمان بن عبد الله عن هرمز عن نافع بن جبير عن عليّ قال: كان رسول الله ﷺ لَيْسَ بالقَصِيرِ ولاَ بالطَّوِيلِ ضَخْمَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ شَثْنَ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ وَالكَرَادِيس مُشْرَباً وَجْهُهُ حُمْرَةً طَوِيلَ المَسرُبَةِ إذا مَشَى تَكَفَّأً كأَنَّمَا يُقْلَعُ مِنْ صَخْرٍ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ مِثْلَهُ[١].

قال ابن عساكر: وقد رواه عبد الله بن داود الخُرَيبي عن مجمع فأدخل بين ابن عمران وبين عليّ رجلاً غير مسمًّى ثم أسند من طريق عمرو بن عليّ الفلاس عن عبد الله بن داود حدّثنا مجمع بن يحيى الأنصاريّ عن عبد الله بن عمران عن رجل من الأنصار قال: سألت عليّ بن أبي طالب وهو محتبٍ بحمالة سيفه في مسجد الكوفة عن نعت رسول الله فقال: كانَ أَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرَباً حُمْرَةً أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ سَبْطَ الشَّعْرِ دَقِيقَ المَسْرُبَة سَهْلَ الخَدِّ كَثَّ اللِّحْيَةِ ذا وَفْرَةٍ كَأَنَّ عُنُقَهُ إبْرِيقُ فِضَّة لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَّتِهِ إلى سُرَّتِهِ كَالقَضِيبِ لَيْسَ في بَطْنِهِ ولا صَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرَهُ شَثْنَ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمِ إذا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ وَإذا مَشَى كأنَّما يَتَقَلَّعُ مِنْ صَخْرٍ وإذا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعاً لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلا بالقَصِيرِ ولا العَاجِزِ ولا اللاَّم[٢] كَأَنَّ عَرَقَهُ في وَجْهِهِ اللؤلؤ وَلَرِيحُ عَرَقِهِ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ الأَذْفَرِ لَمْ أرَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ.

وقال يعقوب بن سفيان، حدّثنا سعيد بن منصور: حدّثنا نوح بن قيس الحراني، حدّثنا خالد بن خالد التميمي عن يوسف بن مازن المازني أن رجلاً قال لعليّ: يا أمير المؤمنين انعت لنا رسول الله، قال: كان أبيض مشرباً حمرة ضخم الهامة أغر أبلج أهدب الأشفار.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أسود بن عامر، حدّثنا شريك، عن ابن عمير قال شريك: قلت له عمن يا أبا عمير (عمن حدثه) قال: عن نافع بن جبير عن أبيه عن عليّ قال: كان رسول الله ضخم الهامة مشرباً حمرة شثن الكفين والقدمين ضخم اللحية طويل المسربة ضخم الكراديس يمشي في صبب يتكفأ في المشية. لا قصير ولا طويل لم أرَ قبله مثله ولا بعده، وقد روي لهذا شواهد كثيرة عن عليّ، وروي عن عمر نحوه. وقال الواقدي: حدّثنا بكير بن مسمار عن زياد بن سعد قال: سألت سعد بن أبي وقاص هل خَضَّبَ رسولُ الله؟ قال: لا ولا همَّ به، كان شَيْبُهُ في عنفقته[٣] وناصيته لو أشاء أن أعدها لعددتها. قلت: فما صفته؟ قال: كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم ولا بالسبط ولا بالقطط، وكانت لحيته حسنة وجبينه صلتاً، مشرباً بحمرة، شثن الأصابع، شديد سواد الرأس واللحية.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٩٦/١.

(٢) اللأم: الشديد من كل شيء، والمعنى: ليس بالعاجز ولا الشديد، كما في مستدرك تاج العروس.

(٣) العنفقة شعرات بين الشفة السفلى والذقن.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، حدّثنا يحيى بن حاتم العسكري، حدّثنا بسر بن مهران حدّثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: إن أول شيء علمته من رسول الله ﷺ قدمت مكة في عمومة لي فأرشدونا إلى العباس بن عبد المطلب فانتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة له وفرة جعدة إلى أنصاف أذنيه أقنى الأنف براق الثنايا أدعج العينين كثّ اللحية دقيق المسربة شثن الكفين والقدمين عليه ثوبان أبيضان كأنه القمر ليلة البدر. وذكر تمام الحديث بطوافه عليه السلام بالبيت وصلاته عنده هو وخديجة وعلي بن أبي طالب، وأنهم سألوا العباس عنه فقال: هذا هو ابن أخي محمد بن عبد الله وهو يزعم أن الله أرسله إلى الناس.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا جعفر، حدّثنا عوف بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي قال: رأيتُ رسول الله في النوم في زمن ابن عباس قال: وكان يزيد يكتب المصاحف، قال: فقلت لابن عباس: إني رأيتُ رسول الله في النوم، قال ابن عباس: فإنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «إنَّ الشَّيطَانَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي؛ فَمَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي» هل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذي رأيت؟ قال: قلت: نَعَمْ رأيتُ رجلاً بين الرجلين جسمه ولحمه أسمر إلى البياض، حسن الضحك، أكحل العينين، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه، حتى كادت تملأ نحره. قال عوف: لا أدري ما كان مع هذا من النعت، قال: فقال ابن عباس: لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدّثنا عبد الرزاق، ثنا معمر عن الزهري قال: سئل أبو هريرة عن صفة رسول الله فقال: أحسن الصفة وأجملها كان ربعة إلى الطول ما هو بعيد ما بين المنكبين أسيل الخدين، شديد سواد الشعر، أكحل العين، أهدب الأشفار، إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها، ليس لها أخمص إذا وضع رداءه على منكبيه فكأنه سبيكة فضة، وإذا ضحك كاد يتلألأ في الجدر، لم أرَ قبله ولا بعده مثله. وقد رواه محمد بن يحيى من وجه آخر متصل فقال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ـ يعني الزبيدي ـ حدثني عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة فذكر نحو ما تقدم. ورواه الذهلي عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل عن صالح عن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان رسول الله كأنما صِيغ من فضة، رجل الشعر، مفاض البطن، عظيم مشاش المنكبين، يطأ بقدمه جميعاً، إذا أقبل أقبل جميعاً، وإذا أدبر أدبر جميعاً. ورواه الواقدي: حدثني عبد الملك عن سعيد بن عبيد بن السباق عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ شثن القدمين والكفين ضخم الساقين عظيم الساعدين ضخم العضدين والمنكبين بعيد ما بينهما، رحب الصدر، رجل الرأس، أهدب العينين، حسن الفم، حسن اللحية، تام الأذنين، ربعة من القوم، لا طويل ولا قصير، أحسن الناس لوناً، يقبل معاً ويدبر معاً، لم أرَ مثله ولم أسمع بمثله.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنا أبو عبد الرحمن السلمي، ثنا أبو الحسن المحمودي المروزي، ثنا أبو عبد الله محمد بن علي الحافظ، ثنا محمد بن المثنى، ثنا عثمان بن عمر، ثنا حرب بن سريج، صاحب الحلواني، حدثني رجل من بلعدربه[١] حدثني جدي قال: انطلقت إلى المدينة فذكر الحديث في رؤية رسول الله ﷺ قال: فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجمة دقيق الأنف دقيق الحاجبين وإذا من لدن نحره إلى سرته كالخيط الممدودُ شعره وراسه من طمرين فدنا مني وقال: السلام عليك.

ذكر شعره عليه السلام

قد ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عباس قال: «كان رسول الله يحبُّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم فَسَدَلَ رسول الله ﷺ ثم فَرَق بَعْدُ»[٢].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حماد بن خالد، حدّثنا مالك، حدّثنا زياد بن سعد، عن الزهري، عن أنس: «أنَّ رسول الله ﷺ سَدَلَ نَاصِيَتَهُ ما شاءَ أَنْ يَسْدِلَ ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ»[٣]، تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هٰذا الوَجْهِ، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت: «أنا فرقت لرسول الله رأسه صدعت فرقه عن يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه». قال ابن إسحاق: وقد قال محمد بن جعفر بن الزبير وكان فقيهاً مسلماً: ما هي إلا سيما[٤] من سيما النصارى تمسكت بها النصارى من الناس. وثبت في الصحيحين عن البراء. «أن رسول الله كانَ يضربُ شعره إلى منكبيه»[٥]، وجاء في الصحيح عنه وعن غيره إلى أنصاف أذنيه، ولا منافاة بين الحالين، فإن الشعر تارة يطول وتارة يقصر منه فكل حكى بحسب ما رأى.

وقال أبو داود: حدّثنا ابن رواد[٦] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة ودون الجُمَّة». وقد ثبت أنه عليه السلام حلق رأسه في حجة الوداع وقد مات بعد ذلك بأحد وثمانين يوماً صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا عبد الله بن مسلم ويحيى بن عبد الحميد قالا: حدّثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال قالت أم هانىء: قدم النبي ﷺ مكة قدمة وله أربع غدائر - تعني ضفائر - وروى الترمذي من حديث سفيان بن عيينة. وثبت في الصحيحين من حديث ربيعة عن أنس قال بعد ذكره شعر رسول الله ﷺ: «إنه ليس بالسَّبط ولا بالقطط» قال:

---

(١) كذا من دون إعجام في الأصل، ولعله: بلعدوية.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس باب ٧٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢١٥.

(٤) سيما: علامة.

(٥) أخرجه البخاري في اللباس باب ٦٨.

(٦) في ط: الرواد.

«وتوفّاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»[١]. وفي صحيح البخاري من حديث أيوب عن ابن سيرين أنه قال: «قلت لأنس أَخَضَّبَ رسولُ الله؟ قال: إنه لم يَرَ مِنَ الشَّيْبِ إلاّ قليلاً». وكذا روى هو ومسلم من طريق حمّاد بن زيد عن ثابت عن أنس وقال حماد بن سلمة عن ثابت: «قيلَ لأنس: هل كان شاب رسول الله؟ فقال: ما شَانَهُ اللَّهُ بِالشَّيْبِ ما كان في رأسه إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة». وعند مسلم من طريق المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس: «أنَّ رسول الله لم يختضبْ إنما كان شمط عند العنفقة[٢] يسيراً، وفي الصدغين يسيراً، وفي الرأس يسيراً.

وقال البخاري: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا همام عن قتادة قال: سألت أنساً هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: لا إنما كان شيء في صدغيه. وروى البخاري عن عصام بن خالد عن جرير بن عثمان قال: قلت لعبد الله بن بسر السلمي رأيت رسول الله أكان شيخاً؟ قال: كان في عنفقته شعرات بيض. وتقدم عن جابر بن سمرة مثله، وفي الصحيحين من حديث أبي إسحاق عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله هذه منه بيضاء ـ يعني عنفقته ـ وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا عبد الله بن عثمان، عن أبي حمزة السكري، عن عثمان بن عبد الله بن موهب القرشي قال: دخلنا على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر رسول الله وإذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكتم رواه البخاري عن إسماعيل بن موسى عن سلام بن أبي مطيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن أم سلمة به.

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا إسرائيل عن عثمان بن موهب قال: كان عند أم سلمة جُلْجُلٌ[٣] من فِضَّة ضخم فيه من شعر رسول الله فكان إذا أصاب إنساناً الحمى بعث إليها فَحَضْحَضَتْهُ[٤] فيه ثم ينضحه[٥] الرجل على وجهه، قال: فبعثني أهلي إليها فأخرجته، فإذا هو هكذا ـ وأشار إسرائيل بثلاث أصابع ـ وكان فيه خمس شعرات حمر. رواه البخاري عن مالك بن إسماعيل عن إسرائيل. وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا أبو نعيم حدّثنا عبيد الله بن إياد، حدثني إياد عن أبي رمثة قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ فلما رأيته قال: هل تدري من هذا؟ قلت لا قال: «إن هٰذا رسول الله، فاقْشَعْرَرْتُ حِينَ قالَ ذلك، وكنت أظنُّ أن رسول الله ﷺ شيء لا يشبه الناس، فإذا هو بشر ذو وفرة[٦] بها ردع من حناء[٧]، وعليه

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٣، واللباس باب ٦٨، ومسلم في الفضائل حديث ١١٣، والترمذي في المناقب باب ٤، ومالك في صفة النبي ﷺ حديث ١، وأحمد في المسند ٣/ ١٠٠، ١٣٠، ١٤٨، ١٨٥، ٢٤٠.

(٢) العنفقة: شعرات صغار بين الشفة السفلى والذقن.

(٣) الجلجل جرس صغير يعلق على الدواب، جمع جلاجل.

(٤) حضحض: حرك.

(٥) نضح الماء: أي سال، ونضح الإناء: رشح.

(٦) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، أو ما تدلى منه على الأذنين.

(٧) ردع من حناء: أي أثر من حناء.

بردان أخضران. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إياد بن لقيط عن أبيه عن أبي رمثة واسمه حبيب بن حيان، ويقال رفاعة بن يثربيّ، وقال الترمذيّ: غريب ولا نعرفه إلا من حديث ابن إياد كذا قال. وقد رواه النسائي أيضاً من حديث سفيان الثوري وعبد الملك بن عمير كلاهما عن إياد بن لقيط به ببعضه، ورواه يعقوب بن سفيان أيضاً عن محمد بن عبد الله المُخَرِّميّ عن أبي سفيان الحميري عن الضحاك بن حمزة بن غيلان بن جامع عن إياد بن لقيط بن أبي رمثة قال: كان رسول الله ﷺ يخضب بالحناء والكتم، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه. وقال أبو داود: حدّثنا عبد الرحيم بن مطرف بن سفيان، حدّثنا عمرو بن محمد، أخبرنا ابن رواد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يلبس النعال السبتية ويصفر لحيته بالورس والزعفران، وكان ابن عمر يفعل ذلك. ورواه النسائي عن عبدة بن عبد الرحيم المروزي عن عمرو بن محمد المنقريّ به.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: **أخبرنا** أبو عبيد الله الحافظ: حدّثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، حدّثنا الحسن بن محمد بن زياد، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا يحيى بن آدم، ح وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، أخبرنا يعقوب بن سفيان، حدّثني أبو جعفر محمد بن عمر بن الوليد الكنديّ الكوفيّ، حدّثنا يحيى بن آدم، حدّثنا شريك عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة، وفي رواية إسحاق رأيت شيب رسول الله نحواً من عشرين شعرة بيضاء في مقدمه. قال البيهقي: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أحمد بن سلمان الفقيه، حدّثنا هلال بن العلاء الرقيّ، حدّثنا حسين بن عباس الرقي، حدّثنا جعفر بن برقان، حدّثنا عبد الله بن محمد بن عقيل قال: قدم أنس بن مالك المدينة وعمر بن عبد العزيز والٍ عليها، فبعث إليه عمر وقال للرسول: سَلْهُ هل خضبَ رسول الله ﷺ؛ فإني رأيتُ شعراً من شعره قد لُوِّنَ، فقال أنس: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد منع بالسَّوَادِ وَلَوْ عَدَدْتُ ما أَقْبَلَ عَلَيَّ مِنْ شَيْبِهِ في رَأْسِهِ وَلحيتهِ ما كُنْتُ أَزِيدُ على إحدى عَشْرَةَ شَيْبَةً وإنما هذا هُوَ الَّذِي لُوِّنَ مِنَ الطِّيبِ الذِي كان يُطَيَّبُ بِهِ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي غَيَّرَ لَوْنَهُ. قلت: ونفي أنس للخضاب معارض بما تقدم عن غيره من إثباته، والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفي لأن المثبت معه زيادة علم ليست عند النافي. وهكذا إثبات غيره لزيادة ما ذكر من الشيب مقدم لا سيما عن ابن عمر الذي المظنون أنه تلقى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة، فإن اطّلاعها أتم من اطّلاع أنس لأنها ربما أنها فَلَتْ رأسَهُ الكَرِيمَ عليه الصَّلاة والسلام.

[ذكر][1] ما ورد في منكبيه وساعديه وإبطيه وقدميه وكعبيه ﷺ

قد تقدم ما أخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب

(١) سقط في ط.

قال: كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيداً ما بين المنكبين وروى البخاري عن أبي النعمان عن جرير عن قتادة عن أنس قال: كان النبي ﷺ ضخم الرأس والقدمين سَبْط الكفين؛ وتقدم من غير وجه أنه عليه السلام كان شثن الكفين والقدمين[١]، وفي رواية، ضخم الكفين والقدمين[٢]، وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا آدم وعاصم بن علي قالا: حدّثنا ابن أبي ذئب؛ حدّثنا صالح مولى التوأمة قال: كان أبو هريرة ينعت رسول الله ﷺ قال: كان شَبْحَ الذِّراعين بعيد ما بين المنكبين، أهْدَبَ أشفار العينين.

وفي حديث نافع بن جبير عن عليّ قال: كان رسول الله ﷺ شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس طويل المسربة.

وتقدم في حديث حجاج عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كان في ساقي رسول الله ﷺ حُمُوشَة أي لم يكونا ضَخْمَيْن، وقال سراقة بن جُعْشُم: فنظرت إلى ساقيه، وفي رواية قدميه في الغرز ـ يعني الركاب ـ كأنهما جمارة أي جمارة النخل من بياضهما.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة كانَ ضَلِيعَ الفم، وفسره بأنه عظيم الفم، أشكل العينين، وفسره بأنه طويل شق العينين مَنْهُوسَ العقب، وفسره بأنه قليل لحم العقب، وهذا أنسب وأحسن في حق الرجال.

وقال الحارث بن أبي أسامة: حدّثنا عبد الله بن بكر، حدّثنا حميد، عن أنس قال: أخذت أم سلمة بيدي مقدم رسول الله ﷺ المدينة فقالت: يا رسول الله هذا أنس غلام كاتب يخدمك، قال: فخدمته تسع سنين فما قال لشيء صنعت: أسأت، ولا بئس ما صنعت؛ ولا مَسَسْتُ شيئاً خَزّاً ولا حريراً ألين من كفيّ رسول الله، ولا شممتُ رائحَةً قَطُّ مسكاً ولا عَنْبَراً أطْيَبَ مِنْ رائحةِ رسول الله ﷺ. وهكذا رواه معتمر بن سليمان وعلي بن عاصم ومروان بن معاوية الفزاري وإبراهيم بن طهمان، كلهم عن حميد، عن أنس في لين كفه عليه السلام، وطيب رائحته صلاة الله وسلامه عليه. وفي حديث الزبيدي عن الزهريّ عن سعيد عن أبي هريرة أن رسولَ اللّهِ كان يَطَأُ بقدمه كلها ليس لها أخمص، وقد جاء خلاف هذا كما سيأتي.

وقال يزيد بن هارون: حدثني عبد الله بن يزيد بن مقسم قال: حدثتني عمتي سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قالت: رأيتُ رسولَ الله بمكة وهو على ناقة وأنا مع أبي وبيد رسول الله درة كدرة الكتاب فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقرَّ له رسول الله ﷺ قالت: فما نسيتُ طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه. ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون مطولاً، ورواه أبو داود من حديث يزيد بن هارون ببعضه. وعن أحمد بن صالح عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن إبراهيم بن ميسرة عن خالته عنها، ورواه ابن ماجه من وجه آخر عنها والله أعلم.

وقال البيهقي: أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار؛ حدّثنا محمد بن إسحاق أبو بكر، حدّثنا سلمة بن حفص السعدي، حدّثنا يحيى بن

---

(١) أخرجه البخاري في اللباس باب ٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس باب ٦٨.

اليمان، حدّثنا إسرائيل عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كانت إصبع لرسول الله خنصره من رجله متظاهرة وهذا حديث غريب [ضعيف][١].

[صفة][٢] قوامه عليه السلام وطيب رائحته

في صحيح البخاري من حديث ربيعة عن أنس قال: كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّويلِ وَلا بِالقَصِيرِ.

وقال أبو إسحاق عن البراء: كان رسولُ الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خَلْقاً ليسَ بالطويلِ ولا بالقصيرِ. أخرجاه في الصحيحين.

وقال نافع بن جبير عن علي: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير لم أرَ قبله ولا بعده مثله. وقال سعيد بن منصور عن خالد بن عبد الله، بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن عليّ قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير وهو إلى الطول أقرب، وكان عرقه كاللؤلؤ، الحديث.

وقال سعيد عن نوح بن قيس عن خالد بن خالد التميمي عن يوسف بن مازن الراسبي عن عليّ قال: كان رسول الله ليس بالذاهب طولاً وفوق الربعة إذا جامع القوم غمرهم وكان عرقه في وجهه كاللؤلؤ، الحديث.

وقال الزبيدي عن الزهريّ عن سعيد عن أبي هريرة قال: كان رسولُ الله ربعة وهو إلى الطول أقرب، وكان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً، لم أرَ قبله ولا بعده مثله. وثبت في البخاري من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: ما مسست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كفِّ رسول الله، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس به، ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة وسليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله أزهر اللون، كأنَّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفّأ، وما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألين من كفِّ رسول الله، ولا شممتُ مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ. وقال أحمد: حدّثنا ابن أبي عديّ، حدّثنا حميد عن أنس قال: ما مسست شيئاً قطّ خَزّاً ولا حريراً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممتُ رائحةً أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ[٣]، والإسناد ثلاثي على شرط الصحيحين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال يعقوب بن سفيان: أخبرنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، وأخرجه البيهقي من حديث أحمد بن حازم بن أبي عروة عنه، قال: حدّثنا أسباط بن نصر عن سماك عن جابر بن سمرة قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ صلاةَ الأولى ثم خرجَ إلى أهله وخرجت معه فاستقبله

---

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٠٧.

ولدان فجعلَ يمسحُ خَدَّيْ أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خَدِّي فوجدت لِيَدِهِ برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار[١]. ورواه مسلم عن عمرو بن حماد به نحوه وقال أبو زرعة الرازي: حدّثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو ثميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: كنت أصافح النبي ﷺ أو يمس جلدي جلده فأتعرّفه في يدي وهو أطيب رائحة من المسك.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة وحجاج، أخبرني شعبة عن الحكم سمعت أبا جحيفة قال: خَرَجَ رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ وصلى الظهر ركعتين وبين يديه عنزة[٢]، زاد فيه عون عن أبيه يمر من ورائها الحمار والمرأة، قال حجاج في الحديث: ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت يده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك. وهكذا رواه البخاري[٣] عن الحسن بن منصور عن حجاج بن محمد الأعور عن شعبة فذكر مثله سواء. وأصل الحديث في الصحيحين أيضاً.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام بن حسان وشعبة وشريك عن يعلى بن عطاء، عن جابر بن يزيد، عن أبيه ـ يعني يزيد بن الأسود ـ قال: صلى رسول الله ﷺ بمنى، فانحرف فرأى رجلين من وراء الناس، فدعا بهما فجيئا بهما ترعد فرائصهما، فقال: «مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَ النَّاسِ؟» قالا: يا رسول الله إنا كُنَّا قد صلينا في الرحال، قال: «فَلا تَفْعَلا إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ فِي رَحْلِهِ ثُمَّ أَدْرَكَ الصَّلاةَ مَعَ الإمامِ فَلْيُصَلِّهَا مَعَهُ فَإِنَّهَا لَهُ نَافِلَةٌ» قال: فقال أحدهما: استغفر لي يا رسولَ اللَّهِ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ. قال: ونهض الناس إلى رسول الله ﷺ ونهضتُ معهم، وأنا يومئذٍ أَشَبُّ الرِّجالَ وَأَجْلَدُهُ، قال: فما زلتُ أَزْحَمُ النَّاسَ حتى وصلتُ إلى رسول الله فأخذتُ بيده فوضعتها إمّا على وَجْهِي أَوْ صَدْرِي، قال: فما وجدتُ شيئاً أَطْيَبَ ولا أبردَ مِنْ يَدِ رسولِ الله ﷺ، قال: وهو يومئذٍ في مِسْجِدِ الخيف[٤].

ثم رواه أيضاً عن أسود بن عامر وأبي النضر عن شعبة عن يعلى بن عطاء سمعت جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه أنه صلى مع رسول الله ﷺ الصبح فذكر الحديث قال: ثم ثار الناس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فمسحتُ بها وجهي، فوجدتها أبْرَدَ من الثَّلج وأطيب ريحاً من المسك. وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والترمذي والنسائي من حديث هشيم عن يعلى به، وقال الترمذيّ: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو نعيم حدّثنا مسعر عن عبد الجبار بن وائل بن حجر قال: حدثني أهلي عن أبي قال: أتي رسولُ الله ﷺ بدلوٍ من ماء فشرب منه ثم مج في الدلو ثُمَّ صَبَّ في البئر، أو شرب مِنَ الدَّلْوِ ثم مَجَّ في البئر، فَفَاحَ مِنْهَا مثل ريح المِسْكِ، وهكذا رواه البيهقي

---

(١) جونة العطار: سلّةٌ صغيرة تكون مع العطارين، يوضع فيها العطر.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٠٧. (٣) كتاب المناقب باب ٢٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٦٠، ١٦١.

من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي نعيم وهو الفضل بن دكين به.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم، حدّثنا سليمان عن ثابت عن أنس قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلاّ غَمَسَ يده فيها فَرُبَّما جاؤوه في الغداة الباردة فيمس يده فيها. ورواه مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم به.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حجين بن المثنى، حدّثنا عبد العزيز ـ يعني ابن أبي سلمة الماجشون ـ عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه. قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتت فقيل لها: هذا رسول الله نائم في بيتك على فراشك، وقال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم[1] على الفراش ففتحت عبيرتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتصره في قواريرها ففزع النبي ﷺ فقال ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت.

ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن حجين به، وقال أحمد: حدّثنا هاشم بن القاسم حدّثنا سليمان عن ثابت عن أنس قال: «دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عِنْدَنا فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أمّي بقارورةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ العَرَقِ فيها، فاستيقظ رسول الله فقال: يا أمَّ سُلَيْم ما هٰذا الَّذي تَصْنَعِينَ؟ قالَتْ: هذا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ في طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ»[2]. ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن أبي النضر هاشم بن القاسم.

وقال أحمد: حدّثنا إسحاق بن منصور ـ يعني السلولي ـ حدّثنا عمارة، ـ يعني ابن زاذان ـ عن ثابت عن أنس قال: «كانَ رسولُ اللَّهِ يقيلُ[3] عندَ أم سليم، وكانَ مِنْ أكثرِ النَّاس عَرَقاً فاتخذت له نطعاً[4] وكانَ يقيلُ عَلَيْهِ وخطت بين رجليه خطاً وكانت تنشف العرق فتأخذه فقال: ما هٰذا يا أمَّ سُلَيْم؟ قالت: عَرَقُكَ يا رسولَ اللَّهِ أجعله في طِيبي، قال: فدعا لها بدعاء حسن»[5]، تفرد به أحمدُ من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدّثنا أحمد بن عبد الله، حدّثنا حميد عن أنس قال: «كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا نام عَرِقَ، فتأخذ عرقه بقطنة في قارورةٍ، فَتَجْعَلُهُ في مِسْكِهَا»[6]، وهذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أحد منهما.

وقال البيهقي: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عمرو المغربي، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وقال مسلم: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال حدّثنا عفان، وهيب حدّثنا أيوب عن أبي أيوب عن أنس عن أم سُليم أن رسول الله ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعاً فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله في

---

(١) أديم: جلد. (٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٣٦.
(٣) يقيل: ينام القيلولة، وهي النوم وقت الظهيرة. (٤) النطع: بساط من جلد.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٣١. (٦) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٣٠.

الطيب والقوارير فقال رسول الله ﷺ: يا أم سليم ما هذا؟ فقالت: عرقك أدُوف[١] به طيبي، لفظ مسلم.

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدّثنا بسر، حدّثنا حليس بن غالب، حدّثنا سفيان الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله إني زوجت ابنتي، وأنا أحب أن تعينني بشيء، قال: ما عندي شيء ولكن إذا كان غد فأتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية بيني وبينك أن تدق ناحية الباب، قال فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة. قال: فجعل يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة، قال: فخذها، ومر ابنتك أن تغمسَ هذا العود في القارورة وتطيب به، قال فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة الطيب فسموا بيوت المطيبين، هذا حديث غريب جداً.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا محمد بن هشام، حدّثنا موسى بن عبد الله، حدّثنا عمر بن سعيد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله في هذا الطريق، ثم قال: وهذا الحديث رواه أيضاً معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يعرف بريح الطيب[٢].

كان [رسول الله ﷺ] طَيِّباً وريحه طَيِّبٌ وكان مع ذلك يُحِبُّ الطِّيبَ أيضاً.

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو عبيدة عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال: «حُبِّبَ إلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»[٣] حدّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدّثنا سلام أبو المنذر القاري عن ثابت عن أنس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ «إنَّما حُبِّبَ إليَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ». وهكذا رواه النسائي بهذا اللفظ عن الحسين بن عيسى القرشي عن عفان بن مسلم عن سلام بن سليمان أبي المنذر القاري البصري عن ثابت عن أنس فذكره. وقد روي من وجه آخر بلفظ: «حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثلاثٌ: الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ وَجَعَلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ» وليس بمحفوظ بهذا فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا، وإنما هي من أهم شؤون الآخرة والله أعلم.

صفة خاتم النبوة الذي بين كتفيه ﷺ

قال البخاري: حدّثنا محمد بن عبد الله، حدّثنا حاتم عن الجعد قال: سمعت السائب بن يزيد يقول: «ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتَوَضَّأ فشربتُ من وضوئه ثم قمتُ خلف ظَهْرِهِ فنظرتُ إلى خاتمِ بين كَتِفَيْهِ مثل زِرِّ الحَجَلة»[٤] وَهٰكذا رواه مسلم عن قتيبة ومحمد بن عباد كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به.

(١) أدوف: أخرج.
(٢) بياض في الأصل.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٢٨/٣.
(٤) أخرجه البخاري في المرضى باب ١٨.

ثم قال البخاري: الحجلة من حجلة الفرس الذي بين عينيه، وقال إبراهيم بن حمزة: زر الحجلة قال أبو عبد الله الرز الراء قبل الزاي[١]. وقال مسلم: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا عبد الله عن إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا ادَّهَنَ لم يتبين وإذا شعث رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجل: وجهه مثل السيف؟ قال: لا بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديراً، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده.

حدّثنا محمد بن المثنى، حدّثنا محمد بن حزم، حدّثنا شعبة عن سماك سمعت جابر بن سمرة قال: رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام. وحدّثنا ابن نمير، حدّثنا عبد الله بن موسى، حدّثنا حسن بن صالح عن سماك بهذا الإسناد مثله. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمان عن عبد الله بن سرجس قال: ترون هذا الشيخ ـ يعني نفسه ـ كلمت نبي الله ﷺ وأكلت معه ورأيت العلامة التي بين كتفيه وهي في طرف نغض كتفه اليسرى كأنه جمع (بمعنى الكف المجتمع، وقال بيده فقبضها) عليه خيلان كهيئة الثواليل.

وقال أحمد: حدّثنا هاشم بن القاسم وأسود بن عامر قالا: حدّثنا شريك عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وسلمت عليه وأكلتُ معه وشربتُ من شرابه ورأيت خاتَمَ النُّبوة، قال هاشم: في نغض كتفه اليسرى كأنه جمع فيه خيلان سود كأنها الثآليل. ورواه عن غندر عن شعبة عن عاصم عن عبد الله بن سرجس فذكر الحديث وشك شعبة في أنه هل هو في نغض الكتف اليمنى أو اليسرى. وقد رواه مسلم من حديث حماد بن زيد وعلي بن مسهر وعبد الواحد بن زياد ثلاثتهم عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال: أتيت رسول الله ﷺ وأكلتُ معه خبزاً ولحماً أو قال ثريداً، فقلت: يا رسول الله غفر الله لك، قال: ولك، فقلت: أستغفر لك رسول الله؟ قال نعم ولكم؛ ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩] قال ثم درتُ خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا قرة بن خالد، حدّثنا معاوية بن قرة، عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أرني الخاتم، فقال: أدخل يدك، فأدخلت يدي في جُرُبّانه فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة فما منعه ذاك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جربانه. ورواه النسائي عن أحمد بن سعيد عن وهب بن جرير عن قرة بن خالد به.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا سفيان عن إياد بن لقيط السدوسي عن أبي رمثة

(١) أراد بالحجلة البيت كالقبة يستر بالثياب وتكون له أزرار كبار، وفي رواية رز الحجلة: القبجة ترز كالجرادة. أي تكبس ذنبها في الأرض لتبيض.

التيميّ قال: «خرجتُ مع أبي حتى أتيت رسول الله ﷺ فرأيت برأسه رَدْعَ حناء[١] ورأيت على كتفه مثل التفاحة فقال أبي: إني طبيب أفلا أطبها[٢] لك، قال: طَبِيبُهَا الَّذي خَلَقَهَا، قال: وقال لأبي: هٰذا ابْنُكَ؟ قال: نعم قالَ: أَمَّا إنَّهُ لا يَجْني عَلَيْكَ وَلا تَجْني عَلَيْهِ.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا عبد الله بن زياد، حدثني أبي عن أبي ربيعة أو رمثة، قال: «انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ، فنظر إلى مثل السلعة بين كتفيه فقال: يا رسولَ اللّٰهِ إنِّي كَأَطَبِّ الرِّجالِ أفأعالجها لَكَ؟ قال: لا، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَها».

قال البيهقي: وقال الثوري عن إياد بن لقيط في هذا الحديث: فإذا كتفيه مثل التفاحة، وقال عاصم بن بهدلة عن أبي رمثة: فإذا في نغض كتفه[٣] مثل بعرة البعير أو بيضة الحمامة. ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن سلامة العجلي، عن سلمان الفارسي، قال: أتيت رسولَ الله فألقى رداءه وقال: يا سلمان انظر إلى ما أمرت به، قال: فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة. وروى يعقوب بن سفيان، عن الحميدي، عن يحيى بن سليم عن أبي خيثم عن سعيد بن أبي راشد، عن التنوخي الذي بعثه هرقل إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك، فذكر الحديث كما قدمناه في غزوة تبوك إلى أن قال: فحلَّ حبوته عن ظهره ثم قال: ههنا امضِ لما أمرتَ به، قال: فَجُلْتُ في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الجحجمة[٤] الضخمة. وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا عبد الله بن ميسرة، حدّثنا عتاب سمعت أبا سعيد يقول: الخاتم الذي بين كتفي النبيّ ﷺ لحمة نابتة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا شريح، حدّثنا أبو ليلى عبد الله بن ميسرة الخراساني عن غياث البكري قال: كنا نجالس أبا سعيد الخدري بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله ﷺ الذي كان بين كتفيه، فقال بأصبعه السبّابة هكذا لحم ناشز[٥] بين كتفيه ﷺ تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية المصري في كتابه ـ التنوير في مولد البشير النذير ـ عن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن بشر المعروف بالحكيم الترمذي أنه قال: كان الخاتم الذي بين كتفي رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمامة مكتوب في باطنها الله وحده، وفي ظاهرها توجه حيث شئت فإنك منصور. ثم قال: وهذا غريب واستنكره. قال: وقيل كان من نور، ذكره الامام أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ في كتابه تنقل الأنوار، وحكى أقوالاً غريبة غير ذلك. ومن أحسن ما ذكره ابن دحية رحمه الله وغيره من العلماء قبله في الحكمة في كون الخاتم كان بين كتفي رسول الله ﷺ إشارة إلى أنه لا نبيَّ بعدك يأتي من ورائك. قال: وقيل كان على نغض كتفه لأنه يقال: هو الموضع الذي يدخل الشيطان منه إلى باطن الإنسان، فكان هذا

(١) ردع حناء: أي أثرها في الشعر.
(٢) أطبها: أداويها.
(٣) النغض من الكتف: العظم الرقيق على طرفها حيث تذهب وتجيء.
(٤) الحجمة: من الحجام الذي يتم بالمحجمة، وهي آلة كالكأس توضع على جسم المريض فتجذب الدم.
(٥) ناشز: مرتفع وظاهر.

عصمة له عليه الصلاة والسلام من الشيطان.

قلت: وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على أنه لا نبي بعده عليه السلام ولا رسول، عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

باب أحاديث متفرقة وردت في صفة رسول الله ﷺ

قد تقدم في رواية نافع بن جبير عن علي بن أبي طالب، أنه قال: لم أرَ قبله ولا بعده مثله، وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا عبد الله بن مسلم القعنبي وسعيد بن منصور، حدّثنا عمر بن يونس، حدّثنا عمر بن عبد الله مولى عفرة، حدثني إبراهيم بن محمد ولد عليّ، قال: كان عليٌّ إذا نعت رسول الله ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغَّط ولا القصير المتردِّد، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، كان جعداً رَجْلاً ولم يكن بالمُطَّهم ولا المُكَلْثَم، وكان في الوجه تدوير أبيض مشرباً أدْعَجَ العَيْنَيْنِ أهْدَبَ الأشْفَارِ جَلِيلَ المشَاشِ وَالكتَدِ[1]، أجْرَدُ ذو مسربة، شَثْنَ الكَفَّينِ وَالقَدَمَيْنِ إذا مشى تقلّع كأنما يمشي في صبب وإذا التفتَ التفت معاً، بين كتفيه خاتمُ النبوة، أجْوَدُ الناس كفّاً وأرْحَبُ النّاسِ صَدْراً، وأصدقُ النّاسِ لهجةً، وأوفى الناس ذِمَّةً، وألينهم عريكةً، وألزمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أرَ قبله ولا بعده مثله. وقد روى هذا الحديث الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الغريب.

ثم روي عن الكسائي والأصمعي وأبي عمرو تفسير غريبه، وحاصل ما ذكره مما فيه غرابة: أن المطّهم هو الممتلىء الجسم، والمكلثم شديد تدوير الوجه. يعني لم يكن بالسمين الناهض، ولم يكن ضعيفاً بل كان بين ذلك، ولم يكن وجهه في غاية التدوير بل فيه سهولة، وهي أحلى عند العرب ومن يعرف، وكان أبيض مشرباً حمرة وهي أحسن اللون، ولهذا لم يكن أمهق اللون، والأدعج هو شديد سواد الحدقة، وجليل المشاش هو عظيم رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين، [و] الكتد والكاهل وما يليه من الجسد وقوله: شثن الكفين أي: عظيمهما، وتقلع في مشيته، أي شديد المشية، وتقدم الكلام على الشُكلة والشُهلة والفرق بينهما، والأهدب طويل أشفار العين، وجاء في حديث أنه كان شبح الذراعين، أي غليظهما والله تعالى أعلم.

حديث أم معبد في ذلك

قد تقدم الحديث بتمامه في الهجرة من مكة إلى المدينة حين ورد عليها رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط الدِّيليّ، فسألوها: هل عندها

---

(١) الكتد: مجتمع الكتفين.

لبن أو لحم يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً، وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القِرَى[١]، وكانوا مُمْحِلِينَ[٢] فنظر إلى شاة في كسر خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت خلفها الجهد، فقال: أتأذنين أن أحلبها؟ فقالت: إن كان بها حلب فأحلبها، فدعا بالشاة فمسحها وذكر اسم الله، فذكر الحديث في حلبه منها ما كفاهم أجمعين ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى وكان يُرْبِض الرهط[٣]، فلما جاء بعلها استنكر اللبن وقال: من أين لك هذا يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاء عازب؟ فقالت: لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، فقال: صفيه لي فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخلق، مليح الوجه، لم تعبه ثُجْلةٌ[٤]، ولم تُزْرِ به صعلة[٥]، قسيم[٦] وسيم، في عينيه دَعَجٌ، وفي أشفاره وَطَفٌ[٧]، وفي صوته صَحَلٌ[٨]، أحور، أكحل، أزجّ[٩]، أقْرَن، في عنقه سطَع[١٠]، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء حلو المنطق، فَصْل لا نزْر ولا هَذْر[١١]، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه[١٢] عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قداً، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود[١٣] محشود، لا عابس ولا مفنِد[١٤]. فقال بعلها: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، ولو صادفته لالتمستُ أنْ أصحبه، ولأجهدنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً. قال:

وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول:

جَزَى اللّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أمِّ مَعْبَدِ

هُمَا نَزَلا بِالبِرِّ وَارْتَحلا بِهِ ... فَأفْلَحَ مَنْ أمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

فيا لقُصي ما زَوَى اللّهُ عَنْكُمُ ... بِهِ مِنْ فِعَالٍ لا تُجَازَى وَسُؤْدَدِ

سَلُوا أخْتَكُمْ عَنْ شَاتِها وَإنائِها ... فَإنَّكُم إنْ تَسْألُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ

دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةُ مُزْبِدِ

فَغَادَرَهُ رَهْناً لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... يَدِرُّ لهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

وقد قدمنا جواب حسان بن ثابت لهذا الشعر المبارك بمثله في الحسن. والمقصود أن الحافظ البيهقي روى هذا الحديث من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي قال: حدّثنا

---

(١) القرى: إطعام الضيف.
(٢) ممحلين: أصابتهم سنة ممحلة.
(٣) يربض الرهط: يرويهم.
(٤) ثجل ثجلة: عظم بطنه واسترخى.
(٥) صعلة، الصعل: صغر الرأس.
(٦) قسيم: جميل.
(٧) الوطف: كثرة شعر الحاجبين.
(٨) الصحل: البحة في الصوت والخشونة.
(٩) الأزج: المتقوس الحاجبين.
(١٠) في عنقه سطع: في عنقه طول.
(١١) لا نزر ولا هزر: أي وسط لا قليل ولا كثير.
(١٢) تشنؤه: تكرهه.
(١٣) محفود: مخدوم.
(١٤) الفند: ضعيف العقل.

الحسن بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي فذكر الحديث بطوله كما قدمناه بألفاظه.

وقد رواه الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي والحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة، قال عبد الملك: فبلغني أن أبا معبد أسلم بعد ذلك، وأن أم معبد هاجرت وأسلمت، ثم إن الحافظ البيهقي أتبع هذا الحديث بذكر غريبه وقد ذكرناه في الحواشي فيما سبق ونحن نذكر ههنا نكتاً من ذلك، فقولها: ظاهر الوضاءة، أي ظاهر الجمال، أبلج الوجه، أي مشرق الوجه مضيئه لم تعبه ثجلة قال أبو عبيد هو كبر البطن وقال غيره كبر الرأس، ورد أبو عبيدة رواية من روى لم تعبه نحلة يعني من النحول وهو الضعف.

قلت: وهذا هو الذي فسر به البيهقي الحديث والصحيح قول أبي عبيدة، ولو قيل: إنه كبر الرأس لكان قوياً؛ وذلك لقولها بعده: ولم تزر به صعلة وهو صغر الرأس بلا خلاف ومنه يقال لولد النعامة: صعل، لصغر رأسه، ويقال له: الظليم، وأما البيهقي فرواه لم تعبه نحلة يعني من الضعف كما فسره، ولم تزر به صعلة: وهو الخاصرة[1]، يريد أنه ضرب من الرجال ليس بمشفح[2] ولا ناحل، ويروى لم تعبه ثجلة وهو كبر البطن ولم تزر به صعلة وهو صغر الرأس، وأما الوسيم فهو حسن الخلق وكذلك القسيم أيضاً، والدعج شدة سواد الحدقة، والوطف طول أشفار العينين، ورواه القتيبي في أشفاره عطف وتبعه البيهقي في ذلك. قال ابن قتيبة: ولا أعرف ما هذا وهو معذور لأنه وقع في روايته غلط فحار في تفسيره والصواب ما ذكرناه والله أعلم. وفي صوته صَحَل وهو بحة يسيرة وهي أحلى في الصوت من أن يكون حاداً، قال أبو عبيد: وبالصحل يوصف الظباء، قال: ومن روى في صوته صهل فقط غلط فإن ذلك لا يكون إلا في الخيل ولا يكون في الإنسان. قلت: وهو الذي أورده البيهقي. قال ويروى صحل، والصواب قول أبي عبيد والله أعلم، وأما قولها: أحور فمستغرب في صفة النبي ﷺ وهو قبل في العين يزينها لا يشينها كالحول، وقولها: أكحل، قد تقدم له شاهد، وقولها: أزج، قال أبو عبيد هو المتقوس الحاجبين، قال: وأما قولها: أقرن فهو التقاء الحاجبين بين العينين قال: ولا يعرف هذا في صفة النبي ﷺ إلا في هذا الحديث قال: والمعروف في صفته عليه السلام أنه أبلج الحاجبين، في عنقه سطع قال أبو عبيد: أي طول، وقال غيره: نور قلت: والجمع ممكن بل متعين، وقولها إذا صمت فعليه الوقار، أي الهيبة عليه في حال صمته وسكوته وإذا تكلم سما أي علا على الناس وعلاه البهاء أي في حال كلامه حلو المنطق فصل أي فصيح بليغ يفصل الكلام ويبينه، لا نزر ولا هذر، أي لا قليل ولا كثير، كأن منطقه خرزات نظم، يعني الذي من حسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه، أبهى الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، أي هو مليح من بعيد ومن قريب وذكرت أنه لا طويل ولا قصير بل هو أحسن من هذا ومن هذا، وذكرت أن أصحابه يعظمونه ويكرمونه ويخدمونه ويبادرون إلى طاعته وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمته في نفوسهم ومحبتهم له وأنه ليس بعابس أي ليس يعبس، ولا يفند أحداً

(١) كذا في النسختين الحلبية والمصرية، وفي التيمورية: وهو الخاصرة.
(٢) كذا بالأصل، وفي التيمورية: ليس بمنتفخ.

أي يهجنه ويستقل عقله بل جميل المعاشرة حسن الصحبة صاحبه كريم عليه وهو حبيب إليه ﷺ.

حديث هند بن أبي هالة في ذلك

وهند هذا هو ربيب رسول الله ﷺ أمه خديجة بنت خويلد وأبوه أبو هالة كما قدمنا بيانه.

قال يعقوب بن سفيان الفسوي الحافظ رحمه الله: **حدّثنا** سعيد بن حماد الأنصاري المصري وأبو غسان مالك بن إسماعيل الهندي قالا: حدّثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي، قال: حدثني رجل بمكة عن ابن لأبي هالة التميمي عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وَصَّافاً ـ عن حلية رسول الله ﷺ ـ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به ـ فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذَّب[١] عظيم الهامة رجل الشعر إذا تفرقت عقيصته[٢] فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، ذا وفرة أزْهَرَ اللَّونِ واسعَ الجبين أزَجَّ الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين[٣] له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشَمَّ كَثَّ اللحية أدْعَجَ سَهْلَ الخَدَّيْنِ ضَلِيعَ الفَم أشْنَبَ مُفَلَّجَ الأسنان دقيق المَسْرُبَةِ كأنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ في صفاء ـ يعني الفضة ـ معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللَّبَّة والسُّرَّة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة سبط الغضب شثن الكفين والقدمين سابل الأطراف خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعاً[٤] يخطو تَكَفِّياً[٥] ويمشي هَوْناً[٦] ذريع[٧] المشية إذا مشى كأنما ينحطُّ من صَبَبٍ[٨]، وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدأ من لقيه بالسلام. قلت: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه يتكلم بجوامع الكلم، فصل لا فضول ولا تقصير دمث ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه ولا يقوم لغضبه إذا تعرض للحق شيء حتى ينتصر له، وفي رواية: لا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث يصل بها يضرب براحته اليمنى باطن

---

(١) المشذب: المنجل. (٢) العقيصة: خصلة من الشعر مضفورة.

(٣) الأقنى: الذي ارتفع أعلى أنفه وأحدودب وسطه وضاق منخراه، والعرنين: الأنف أو صلب منه.

(٤) القلع: انتزاع الشيء من أصله. (٥) تكفياً: أي تطول خطوته.

(٦) هوناً: رصانة ووقاراً. (٧) ذريع المشية: سريعها.

(٨) ينحط من صبب: أي ينحط من أعلى إلى أسفل كالمطر.

إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام. قال الحسن فكتمتها الحسن بن علي زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً قال الحسن: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأذون له في ذلك وكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزأه بين الناس فرد ذلك على العامة والخاصة لا يدخر عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بأدبه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وأخبارهم بالذي ينبغي ويقول: ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته؛ فإنه من بلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون عليه زواراً ولا يفترقون إلا عن ذواق وفي رواية ولا يتفرقون إلا عن ذوق، ويخرجون أدلة يعني فقهاء. قال: وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه الا بما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة. قال: فسألته عن مجلسه كيف كان فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حكم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحُرَم، ولا تُنْثَى فلتاتُه، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب، قال: فسألته عن سيرته في جلسائه فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مَزَّاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يُؤْيِسُ منه [راجيه][1] ولا يخيب فيه قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده، يضحك مما

---

(١) هذه الزيادة من الشمائل.

يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه يستحلبونه[1] في المنطق ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة فارفدوه، ولا يقبل الثناء الا من مكافىء ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام. قال فسألته كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوته على أربع: الحلم والحذر والتقدير والتفكر. فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس وأما تذكره أو قال تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له ﷺ الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى، والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ.

وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو عيسى الترمذيّ رحمه الله في كتاب شمائل رسول الله ﷺ عن سفيان بن وكيع بن الجراح عن جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجليّ حدثني رجل من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله سماه غيره يزيد بن عمر عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن عليّ قال: سألت خالي فذكره وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب.

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل عن أبي عبد الله الحاكم النيسابوري لفظاً وقراءة عليه: أخبرنا أبو محمد الحسن [بن] محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب القعنبي صاحب كتاب النسب ببغداد، حدّثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو محمد بالمدينة سنة ست وستين ومائتين، حدثني عليّ بن جعفر بن محمد عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن علي بن الحسين بن عليّ عن أبيه محمد بن عليّ بن الحسين قال: قال الحسن سألت خالي هند بن أبي هالة فذكره.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله في كتابه الأطراف بعد ذكره ما تقدم من هاتين الطريقين: وروى إسماعيل بن مسلم بن قعنب عن إسحاق بن صالح المخزومي عن يعقوب التيمي عن عبد الله بن عباس أنه قال لهند بن أبي هالة ـ وكان وَصّافاً لرسول الله ـ: صف لنا رسول الله ﷺ فذكر بعض هذا الحديث، وقد روى الحافظ البيهقي من طريق صبيح بن عبد الله الفرغاني وهو ضعيف عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن جعفر بن محمد عن أبيه، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة حديثاً مطولاً في صفة النبيّ ﷺ قريباً من حديث هند بن أبي هالة. وسرده البيهقي بتمامه وفي أثنائه تفسير ما فيه من الغريب وفيما ذكرناه غنية عنه والله تعالى أعلم. وروى البخاري عن أبي عاصم الضحاك عن عمر بن سعيد بن أحمد بن حسين، عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث قال: صلى أبو بكر العصر بعد موت النبي ﷺ بليال فخرج هو وعلي يمشيان، فإذا الحسن بن علي يلعب مع الغلمان، قال فاحتمله أبو بكر على كاهله وجعل يقول: ياباي، شبه النبيّ ليس شبيهاً بعليّ وعليّ يضحك منهما رضي الله عنهما.

(١) في التيمورية: يستحلونه.

وقال البخاري: حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا زهير، حدّثنا إسماعيل عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسن بن عليّ يشبهه. وروى البيهقي عن أبي علي الروذباري عن عبد الله بن جعفر بن شوذب الواسطي عن شعيب بن أيوب الصريفيني عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانىء عن عليّ رضي الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك.

باب ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة ﷺ

قد قدمنا طيب أصله ومحتده، وطهارة نسبه ومولده، وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال البخاري: حدّثنا قتيبة، حدّثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ حَتَّى كُنتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنتُ فِيهِ»(١). وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْش، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِم» وقال الله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾. [القلم: ١ ـ ٤] قال العوفي عن ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يعني . وَإِنَّكَ لَعَلَى دِينٍ عَظِيم وهو الإسلام. وهكذا قال مجاهد وابن مالك والسّدّي والضّحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال عطية: لعلى أدب عظيم. وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال: سألتُ عائشة أم المؤمنين فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: أما تَقْرَأ القُرآنَ؟ قلت: بلى، فقالت: كانَ خُلُقهُ القُرْآن.

وقد روى الإمام أحمد عن إسماعيل ابن علية، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصري قال: سُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالتْ: كَانَ خُلُقهُ القُرْآن. وروى الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي والنسائي من حديثه، وابن جرير من حديث ابن وهب كلاهما عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال: حَجَجْتُ فدخلتَ على عائشة فسألتها عن خُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ فقالت: كَانَ خُلُقهُ القُرْآن. ومعنى هذا أنه عليه السلام مهما أمره به القرآن امتثله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجبلية الأصلية العظيمة التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أكمل منها، وشرع له الدين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله، وهو مع ذلك خاتم النبيين فلا رسول بعده ولا نبيّ ﷺ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لاَ يُحَدُّ ولا يُمْكِنُ وصفه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا سليمان، حدّثنا عبد الرحمن حدّثنا الحسن بن يحيى حدّثنا زيد بن واقد عن بشر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال: سألت

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٣.

عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارى، أخبرنا قيس بن أنيف، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران عن يزيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة يا أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: كانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثم قالت أتقرأ سورة المؤمنون اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [المؤمنون: ١] إلى العشر قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ. وهكذا رواه النسائي عن قتيبة.

وروى البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال: أَمِرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ» تفرد به أحمد. ورواه الحافظ أبو بكر الخرائطي في كتابه فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ». وتقدم ما رواه البخاري من حديث أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وأَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً»[١] وقال مالك عن الزهريّ عن عروة عن عائشة أنها قالت: «ما خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وما انتقمَ لنفسهِ إلا أنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمُ للَّهِ بها»[٢]. ورواه البخاري ومسلم من حديث مالك.

وروى مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط لا عبداً ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قطّ ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قطُّ إلا كان أحبهما إليه أيسرهما، حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل»[٣].

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق، سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: سمعت عائشة وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سَخّاباً[٤] في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أو قال يعفو ويغفر. شك أبو داود. ورواه الترمذي من حديث شعبة وقال: حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٣.
(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٣.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢٠٦، ٢٨١.
(٤) سخاباً: صخاباً.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا آدم وعاصم بن عليّ قالا: حدّثنا ابن أبي ذئب، حدّثنا صالح مولى التوأمة قال: كان أبو هريرة ينعت رسول الله قال: كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً بأبي وأمي لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق. زاد آدم ولم أرَ مثله قبله ولم أرَ مثله بعده.

وقال البخاري: حدّثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال: «لم يكن النبيُّ ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أخلاقاً» . ورواه مسلم من حديث الأعمش به.

وقد روى البخاري من حديث فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَوْصُوفٌ في التوراة بما هو موصوف في القرآن، «يا أيُّها النَّبِيُّ إنا أرْسَلْنَاكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحِرْزاً لِلأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتوكلَ ليسَ بِفَظٍّ وَلا غِلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ في الأسْوَاقِ، ولا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ و لَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بأنْ يَقُولُوا: لا إِلَه إلاّ اللَّهَ وَيَفْتَحَ أَعْيُناً عُمْياً، وَآذاناً صُمّاً وَقُلوباً غُلْفاً»[1] وقد روي عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار.

وقال البخاري: حدّثنا مسدد، حدّثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال: «كانَ النَّبيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْراءِ في خِدْرِها»[2] . حدّثنا ابن بشار حدّثنا يحيى وعبد الرحمن قالا: حدّثنا شعبة مثله وإذا كره شيئاً عرف ذلك في وجهه، ورواه مسلم من حديث شعبة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو عامر، حدّثنا فليح عن هلال بن علي عن أنس بن مالك قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سباباً ولا لعاناً ولا فاحشاً، وكان يقول لأحدنا عند المعاتبة: «ما له تَرِبَ جَبِينُهُ»[3] . ورواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح.

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وكان أجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري في عنقه السَّيفُ وهو يقول: «لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا، قال: وَجَدْنَاهُ بَحراً، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ»[4]، قالَ وكانَ فرساً يُبَطَّأُ.

ثم قال مسلم: حدّثنا بكر بن أبي شيبة، حدّثنا وكيع عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: كان فزع بالمدينة فاستعار رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة يقال له مندوب فركبه فقال: «ما رَأَيْنَا

(١) غلفاً: أي لا تفقه، وكأنها غلقت بحجاب.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب باب ٧٧.
(٣) أخرجه البخاري في الأدب باب ٣٨، وأحمد في المسند ١٥٨/٣.
(٤) أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب ١٦٥.

مِنْ فَزَعٍ وإنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحراً»، قال: كُنَّا إذا اشْتَدَّ الْبَأسُ اتَّقَيْنَا برسول الله ﷺ. وقال أبو إسحاق السبيعي عن حارثه بن مضرب عن عليّ بن أبي طالب قال: لما كانَ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا المشركينَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وكانَ أَشَدَّ النَّاسِ بَأساً. رواه أحمد والبيهقي.

وتقدم في غزوة هوازن أنه عليه السلام لما فرَّ جمهور أصحابه يومئذٍ ثبت وهو راكب بغلته وهو ينوّه باسمه الشريف يقول: «أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِب»، وهو مع ذلك يركضها إلى نحور الأعداء. وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام صلوات الله وسلامه عليه.

وفي صحيح مسلم من حديث إسماعيل ابن عُلَيّة عن عبد العزيز عن أنس قال: لما قدم رسول الله المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن أنساً غلامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدِمْكَ قال: فَخَدَمْتُهُ في السَّفَرِ وَالحَضَرِ، والله ما قال لي لشيء صنعتهُ لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لمَ لمْ تصنع هذا هكذا؟

وله من حديث سعيد بن أبي بردة عن أنس قال: خدمت رسول الله تسع سنين فما أعلمه قال لي قط: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليّ شيئاً قط. وله من حديث عكرمة بن عمار عن إسحاق قال أنس: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب ـ وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ ـ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: يا أنيس ذهبت حيث أمرتك؟ فقلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم صنعت كذا وكذا أو لشيء تركته هَلاَّ فعلت كذا وكذا.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا كثير، حدّثنا هشام، حدّثنا جعفر، حدّثنا عمران القصير عن أنس بن مالك قال: «خَدَمْتُ النَّبيَّ ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني، وإن لامني أحد من أهله إلاَّ قال: دَعُوهِ فَلَو قُدِّرَ ـ أو قال قُضِيَ ـ أن يَكُونَ كانَ»[1]. ثم رواه أحمد عن علي بن ثابت عن جعفر هو ابن برقان عن عمران البصري وهو القصير عن أنس فذكره، تفرد به الإمام أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصمد، حدّثنا أبي، حدّثنا أبو التياح، حدّثنا أنس قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أحسن النَّاسِ خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحسَبُهُ قال فَطِيماً، قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «أبا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ»[2]، قال: نِغَرٌ كانَ يَلْعَبُ بهِ، قال: فربما تَحْضُرُ الصَّلاةُ وَهُوَ في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فَيُكْنَسُ ثم يُنْضَحُ ثم يقومُ رسولُ الله ﷺ ونقوم خلفه يصلي بنا، قال: وكانَ بساطهم من جريد النخل.

وقد رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن أبي التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٣١.

(٢) النغير: تصغير النغر، وهو فرخ البلبل.

وثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وَكانَ أجْوَدَ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاه جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ القرآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[1].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو كامل، حدّثنا حماد بن زيد، حدّثنا سَلْمٌ العلوي، سمعت أنس بن مالك «أن النبي ﷺ رأى على رَجُلٍ صُفْرَةً فَكَرِهَهَا قال فلما قام قال: «لوْ أمَرْتُم هٰذا أنْ يَغْسِلَ عَنْهُ هٰذِهِ الصُّفْرَةَ. قال: وكانَ لا يكادُ يُواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه». وقد رواه داود والترمذي في الشمائل، والنسائي في اليوم والليلة من حديث حماد بن زيد عن سلم بن قيس العلوي البصري. قال أبو داود: وليس من ولد عليّ بن أبي طالب، وكان يبصر في النجوم، وقد شهد عند عديّ بن أرطاة على رؤية الهلال فلم يجز شهادته.

وقال أبو داود: حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، حدّثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل ما بال فلان يقول ولكن يقول: «ما بالُ أقْوَام يقولونَ كَذَا وكذا». وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُبَلِّغَنِي أحَدٌ عَنْ أحَدٍ شَيْئاً، إنّي أُحِبُّ أنْ أخْرُجَ إلَيْكُمْ وَأنا سَلِيمُ الصَّدْرِ». وقال مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: «كنت أمشي مع النبيّ ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذ[2] بردائه جبذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ فإذا قد أثرت بها حاشية البُرْدِ من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، قال: فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء». أخرجاه من حديث مالك.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا زيد بن الحباب، أخبرني محمد بن هلال القرشيّ عن أبيه أنه سمع أبا هريرة يقول: «كنّا مع رسولِ الله ﷺ في المسجد، فلما قام قمنا معه فجاء أعرابيّ فقال: أعطني يا محمد، فقال: «لا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»، فجذبه بحجزته فخدشه، قال: فهموا به فقال: دَعُوهُ قالَ: ثُمَّ أَعْطَاهُ، قالَ: فَكَانَتْ يمينه: لا، وَأسْتَغْفِرُ اللَّهَ»[3]، وقد روى أصل هذا الحديث أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن هلال بن أبي هلال مولى بني كعب عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا عبد الله بن موسى عن شيبان عن الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال: كان رجل من الأنصار يدخل على رسول الله ﷺ ويأتمنه وأنه عقد له عقداً وألقاه في بئر فصرع ذلك رسول الله ﷺ فأتاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلاناً عقد له عقداً وهي في بئر فلان، ولقد اصفرّ الماء من شدة عقده، فأرسل النبيّ ﷺ فاستخرج العقد، فوجد الماء قد اصفرّ فحل العقد ونام النبيّ ﷺ فلقد رأيتُ الرجل بعد ذلك يدخل على

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي باب ٥. (٢) جبذ: جذب، وشدّ.
(٣) أخرجه أحمد في المسنده ٢/٢٨٨.

النبيّ ﷺ فما رأيته في وجه النبيّ ﷺ حتى مات.

قلت والمشهور في الصحيح: أن لبيد بن الأعصم اليهوديّ هو الذي سحر النبيّ ﷺ في مشط ومشاقة في جفّ طَلْعةٍ ذكر تحت زعوفة بئر ذَرْوان. وأن الحال استمر نحو ستة أشهر حتى أنزل الله سورتي المعوذتين ويقال: إن آياتهما إحدى عشرة آية وأن عقد ذلك الذي سحر فيه كان إحدى عشرة عقدة، وقد بسطنا ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله أعلم.

وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا عمران بن زيد أبو يحيى الملائي، حدّثنا زيد العميّ عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، وإن استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يرى مقدِّماً ركبتيه بين يدي جليس له. ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زيد الثعلبيّ أبي يحيى الطويل الكوفي عن زيد بن الحواري العمي عن أنس به.

وقال أبو داودّ: حدّثنا أحمد بن منيع، حدّثنا أبو قطن حدّثنا مبارك بن فضالة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: ما رأيت رجلاً قط التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رسول الله آخذاً بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده. تفرد به أبو داود.

قال الإمام أحمد: وحدّثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: حدّثنا شعبة قال ابن جعفر في حديثه قال: سمعت عليّ بن يزيد قال: قال: أنس بن مالك «إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت». ورواه ابن ماجه من حديث شعبة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هشيم، حدّثنا حميد عن أنس بن مالك قال: «إن كانت الأمة مِنْ أهل المدينة لتأخذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلقُ به في حاجتها». وقد رواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه معلقاً فقال: وقال محمد بن عيسى هو ابن الطباع: حدّثنا هشيم فذكره.

وقال الطبراني: حدّثنا أبو شعيب الحراني، حدّثنا يحيى بن عبد الله البابلتي، حدّثنا أيوب بن نهيك، سمعت عطاء بن أبي رباح، سمعت ابن عمر، سمعت رسول الله ﷺ رأس صاحب بزّ فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم فخرج وهو عليه فإذا رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله اكسني قميصاً كساك الله من ثياب الجنة فنزع القميص فكساه إياه ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم وبقي معه درهمان، فإذا هو بجارية في الطريق تبكي فقال: «ما يُبْكِيكِ؟» فقالت: يا رسولَ الله دفع إليّ أهلي درهمين أشتري بهما دقيقاً فهلكا، فدفع إليها رسول الله الدرهمين الباقين ثم انقلب وهي تبكي فدعاها فقال «ما يبكيك وقد أخذت الدرهمين؟» فقالت: أخاف أن يضربوني، فمشي معها إلى أهلها فسلم فعرفوا صوته ثم عاد فسلم ثم عاد فسلم ثم عاد فثلث فردوا، فقال: «أَسَمِعْتُمْ أوَّلَ السَّلام»؟ قالوا: نعم ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام فما أشخصك بأبينا وأمنا، فقال: «أَشْفَقْت هذهَ الجارية أنْ تَضْرِبُوهَا» فقال صاحبها: هي حرة لوجه الله لممشاك معها، فبشرهم رسول الله بالخير والجنة. ثم قال: «لقد

بارك الله في العشرة: كسا الله نبيه قميصاً ورجلاً من الأنصار قميصاً وأعتق الله منها رقبة وأحمد الله هو الذي رزقنا هذا بقدرته». هكذا رواه الطبراني وفي إسناده أيوب بن نهيك الحلبي، وقد ضعفه أبو حاتم، وقال أبو زرعة منكر الحديث، وقال الأزدي متروك.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حماد عن ثابت عن أنس «أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله إن لي حاجة، فقال: «يا أمّ فلانٍ انظُري أيَّ الطُّرُقِ شِئت»، فَقَامَ مَعَهَا يناجيها حتى قضت حاجتها[1]، وهكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة.

وثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: ما عَابَ رسول الله ﷺ طَعَاماً قَطّ إن اشتهاه أكله وإلا تركه.

وقال الثوري عن الأسود بن قيس عن شقيق[2] العوفي عن جابر قال: «أتانا رسولُ الله في منزلنا فذبحنا له شاة فقال: «كَأَنَّهُمْ عَلِمُوا أنّا نُحِبُّ اللَّحْمَ» وذكر الحديث، وقال محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عمر بن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا جلس يتحدَّث كثيراً ما يرفع طرفه إلى السماء، وهكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه من حديث محمد بن إسحاق به.

وقال أبو داود: حدّثنا سلمة بن شعيب، حدّثنا عبد الله بن إبراهيم بن إسحاق بن محمد الأنصاري عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا جَلَسَ احْتَبَى بِيَدِهِ. ورواه البزار في مسنده ولفظه: كان إذا جلس نصب ركبتيه واحتبى بيديه.

ثم قال أبو داود: حدّثنا حفص بن عمر وموسى بن إسماعيل قالا: حدّثنا عبد الله بن حسان العنبري، حدثني جدتاي صفية ودحيَّة ابنتا عُلَيْبة قال موسى بن حرملة وكانتا ربيبتي قيلة بنت مخرمة وكانت جدة أبيهما أنها أخبرتهما أنها رأت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء قالت: فلما رأيت رسول الله المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق. ورواه الترمذي في الشمائل وفي الجامع عن عبد بن حميد عن عفان بن مسلم بن عبد الله بن حسان به. وهو قطعة من حديث طويل قد ساقه الطبراني بتمامه في معجمه الكبير.

وقال البخاري: حدّثنا الحسن بن الصباح البزار، حدّثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أنَّ رَسُولَ الله ﷺ: كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُ لأحصاه.

قال البخاري: وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: ألا أعجبك أبو فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك وكنت أسبّح فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه إنَّ رسول الله ﷺ لم يكنْ يسردُ الحديث كسردكم. وقد رواه أحمد عن عليّ بن إسحاق، ومسلم عن حرملة، وأبو داود عن سليمان بن داود كلهم عن ابن وهب عن يونس بن يزيد به، وفي روايتهم: ألا أعجبك من أبي هريرة فذكرت نحوه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٨٥.

(٢) في ط: شيخ.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان كلام النبي ﷺ فصلاً يفهمه كلُّ أحد لم يكن يَسْرُدُ سَرْداً. وقد رواه أبو داود عن ابن أبي شيبة عن وكيع.

وقال أبو يعلى: حدّثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدّثنا عبد الله بن مسعر، حدثني شيخ أنه سمع جابر بن عبد الله ـ أو ابن عمر ـ يقول: كان في كلام النبيّ ﷺ ترتيل أو ترسيل[1].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصمد، حدثنا عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا تَكَلَّمَ بكلمة رَدَّدَها ثلاثاً وإذا أتى قوماً يسلم عليهم سَلَّمَ ثلاثاً»[2]، ورواه البخاري من حديث عبد الصمد.

وقال أحمد: حدّثنا أبو سعيد بن أبي مريم، حدّثنا عبد الله بن المثنى، سمعت ثمامة بن أنس يذكر أن أنساً كان إذا تكلم تكلم ثلاثاً ويذكر أن النبي ﷺ: كان إذا تَكَلَّمَ تكلَّمَ ثلاثاً، وكان يستأذن ثلاثاً[3] وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن محمد بن عمر عن مسلم بن قتيبة عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه، ثم قال الترمذيّ حسن صحيح غريب. وفي الصحيح أنه قال: «أوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَأَخْتَصِرُ الحُكْم اخْتِصَاراً».

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «[بُعِثْتُ] بجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أنا نَائِمٌ أوتيتُ بمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ في يَدِي»[4]، وهكذا رَواه البخاري من حديث الليث.

وقال أحمد: حدّثنا إسحاق بن عيسى، ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَبَيْنَا أنا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ في يَدِي». تفرد به أحمد من هذا الوجه، وقال أحمد: حدّثنا يزيد، ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وبَيْنَمَا أنا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَتُلَّتْ في يَدِي» تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم. وثبت في الصحيحين من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث، حدثني أبو النضر عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت: ما رأيتُ رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم.

---

(١) ترسل: أي أتى بكلامه مرسلاً من دون تقيد بقافية أو سجع.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢١٣. (٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٢١.

(٤) أخرجه البخاري في التعبير باب ٢٢، وأحمد في المسند ٢/٤٥٥.

وقال الترمذي: حدّثنا قتيبة، حدّثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: ما رأيتُ أحَداً أكثر تَبَسُّماً من رسولِ اللّهِ ﷺ. ثم رواه من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: ما كانَ ضحكُ رسول الله ﷺ إلا تَبَسُّماً، ثم قال صحيح.

وقال مسلم: حدّثنا يحيى بن يحيى، حدّثنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قلت لجابر بن سمرة: أَكُنتَ تُجَالِسُ رسولَ الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم رسول الله ﷺ.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا شريك وقيس بن سعد عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنتَ تجالسُ النبيَّ ﷺ؟ قال: نعم كان قليل الصَّمْتِ، قليلَ الضَّحكِ فكان أصحابهُ رُبَّما يتناشدون الشعر عنده وربما قال الشيء من أمورهم فيضحكون وربما يتبسم.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثنا محمد بن إسحاق، حدّثنا أبو عبد الرحمن المقري، حدّثنا الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد ـ يعني ابن ثابت ـ أن نفراً دخلوا على أبيه فقالوا: حدّثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ، فقال: كنت جاره فكان إذا نزل الوحي بعث إليَّ فآتيه فأكتب الوحيَ وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا فكل هذا نحدثكم عنه. ورواه الترمذي في الشمائل عن عباس الدوري عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن يزيد المقري به نحو.

[ذكر][1] كرمه عليه [أفضل الصلاة و][2] السلام

تقدم ما أخرجاه في الصحيحين من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، وهذا التشبيه في غاية ما يكون من البلاغة في تشبيهه الكرم بالريح المرسلة في عمومها وتواترها وعدم انقطاعها.

وفي الصحيحين من حديث سفيان بن سعيد الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ فقال لا.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا ابن أبي عديّ عن حميد عن موسى بن أنيس عن أنس أن رسول الله ﷺ لم يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه، قال فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء ما يخشى

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

الفاقة ورواه مسلم عن عاصم بن النضير عن خالد بن الحارث عن حميد به. وقال أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حماد، حدّثنا ثابت عن أنس أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى قومه فقال: يا قوم أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء ما يخاف الفاقة، فإن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز عليه من الدنيا وما فيها. ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به. وهذا العطاء ليؤلف به قلوب ضعيفي القلوب في الإسلام، ويتألف آخرين ليدخلوا في الإسلام كما فعل يوم حنين حين قسم تلك الأموال الجزيلة من الإبل والشاء والذهب والفضة في المؤلفة، ومع هذا لم يعط الأنصار وجمهور المهاجرين شيئاً، بل أنفق فيمن كان يحب أن يتألفه على الإسلام، وترك أولئك لما جعل في قلوبهم من الغنى والخير، وقال مسلياً لمن سأل عن وجه الحكمة في هذه القسمة لمن عتب من جماعة الأنصار: «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رحالكم؟» قالوا: رضينا يا رسول الله. وهكذا أعطى عمه العباس بعد ما أسلم حين جاءه ذلك المال من البحرين فوضع بين يديه في المسجد وجاء العباس فقال: يا رسول الله أعطني فقد فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلاً، فقال: «خذ»، فنزع ثوبه عنه وجعل يضع فيه من ذلك المال [ثم قام] ليقله فلم يقدر فقال لرسول الله: ارفعه عليّ، قال: «لا أفعل»، فقال: مر بعضهم ليرفعه عليّ، فقال: «لا»، فوضع منه شيئاً ثم عاد فلم يقدر فسأله أن يرفعه أو أن يأمر بعضهم برفعه فلم يفعل فوضع منه ثم احتمل الباقي وخرج به من المسجد ورسول الله ﷺ يتبعه بصره عجباً من حرصه.

قلت: وقد كان العباس رضي الله عنه رجلاً شديداً طويلاً نبيلاً، فأقل ما احتمل شيء يقارب أربعين ألفاً والله أعلم. وقد ذكره البخاري في صحيحه في مواضع معلقاً بصيغة الجزم وهذا يورد في مناقب العباس لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠]. وقد تقدم عن أنس بن مالك خادمه عليه الصلاة والسلام أنه قال: كان رسولُ الله ﷺ أجودَ النَّاس، وأشجَعَ النَّاس، الحديث. وكيف لا يكون كذلك وهو رسول الله ﷺ والمجبول على أكمل الصفات؛ الواثق بما في يدي الله عز وجل، الذي أنزل الله عليه في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الحديد: ١٠]. الآية. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: ٣٩] وهو عليه السلام القائل لمؤذنه بلال وهو الصادق المصدق في الوعد والمقال: «أَنْفِقْ بِلالُ وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي العَرْشِ إقْلالاً» وهو القائل عليه السلام «مَا مِنْ يَوْم تُصْبِحُ العِبَادَ فِيهِ إلاّ وَمَلَكَانِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقولُ الآخرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» وفي الحديث الآخر أنه قال لعائشه: «لا تُوعِي فَيُوعِي الله عَلَيْكِ، ولا تُوكِي فيُوكِي الله عَلَيْكِ». وفي الصحيح أنه عليه السلام قال: «يَقُولُ عزّ وجلّ: ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» فكيف لا يكون أكرم الناس وأشجع الناس، وهو المتوكل الذي لا أعظم منه في توكله، الواثق برزق الله ونصره، المستعين بربه في جميع أمره؟ ثمَّ قد كان قبل

بعثته وبعدها وقبل هجرته، ملجأ الفقراء والأرامل، والأيتام والضعفاء، والمساكين، كما قال عمه أبو طالب فيما قدمناه من القصيدة المشهورة [الطويل]:

وَمَا تَـرْكُ قَـوْمٍ لا أبـالـكَ سَـيِّـداً ... يَـحُـوطُ الـذِّمَـار غَـيْـرَ ذَرْبٍ[1] مُـوَكَّـلِ

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ[2]

يَـلُـوذُ بِـهِ الـهـلاكُ مِـنْ آلِ هـاشِـمٍ ... فَـهُـمْ عِـنْـدَهُ فِـي نِـعْـمَـةٍ وَفَـوَاضِـلِ

ومن تواضعه ما روى الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن ثابت زاد النسائي ـ وحميد عن أنس ـ أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنا فقال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّها النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيطانُ، أخبرنا محمدُ بْنُ عبدِ الله ورسولُهُ، والله ما أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ ما رَفَعَنِي الله». وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُطْرُونِي كَما أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّما أَنا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ».

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى عن شعبة، حدثني الحكم عن إبراهيم عن الأسود قال: «قلت لعائشة: ما كان رسولُ الله ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كَانَ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ خَرَجَ إلى الصَّلاةِ». وحدّثنا وكيع ومحمد بن جعفر قالا: حدثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن الأسود قال: قُلْتُ لِعائِشَةَ: ما كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعَ إذا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالت: كانَ يَكُونَ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ خَرَجَ فَصَلَّى». وَرَوَاهِ البُخَارِيّ عن آدم عن شعبة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبدة، حدّثنا هشام بن عروة عن رجل قال: سُئلت عائشةُ: ما كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَرْقَعُ الثَّوْبَ وَيَخْصِفُ النَّعْلَ وَنَحْوَ هٰذ»، وهذا منقطع من هذا الوجه.

وقد قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة وهشام بن عروة عن أبيه قال: سأل رجل عائشة هَلْ كان رَسُولُ الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نَعَمْ كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهِ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كما يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ. رواه البيهقي فاتصل الإسناد.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البحتري ـ إملاء ـ حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي، حدّثنا ابو صالح، حدثني معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت: قلت لعائشة: مَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ الله ﷺ في بيته؟ قالت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ بَشَراً مِنَ البَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ». ورواه الترمذي في الشمائل عن محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت: قيل لعائشة ما كان يعملُ رسول الله ﷺ في بيته الحديث. وروى ابن عساكر من طريق أبي أمامة عن حارثة بن محمد الأنصاري عن عمرة قالت: قلت لعائشة: كيفَ كانَ رسول الله ﷺ في أهله؟ قالت: كان أَلْيَنَ النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ، وكان

---

(١) ذرب يذرب ذرباً: الحدّة والتسرع في القول. (٢) ثمال اليتامى: ملجأ الأيتام وملاذهم.

ضَحّاكاً بَسّاماً.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا شعبة، حدثني مسلم أبو عبد الله الأعور، سمع أنساً يقول: «كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ الذِّكرَ وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، ويركَبُ الحمار، ويَلْبَسُ الصُّوفَ، ويجيبُ دَعْوَةَ المملوكِ، ولقد رَأَيْتُهُ يوم خيبرَ عَلى حِمَارٍ خِطَامُهُ مِنْ لِيفٍ. وفي الترمذي وابن ماجه من حديث مسلم بن كيسان الملائي عن أنس بعض ذلك.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ـ إملاء ـ حدّثنا أبو بكر محمد بن جعفر الآدمي القاري ببغداد، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدوري، حدّثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، حدّثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه قال: سمعت يحيى بن عقيل يقول: سمعتُ عبد الله بن أبي أوفى يقول: كان رَسُولُ الله ﷺ يكثرُ الذِّكر، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، ويطيلُ الصَّلاةَ، ويَقْصُرُ الخُطْبَةَ، ولا يَسْتَنْكِفُ أَن يَمْشِي مَعَ العَبْدِ، ولا مَعَ الأَرْمَلَةِ، حتى يفرغ لهم من حاجاتهم. ورواه النسائي عن محمد بن عبد العزيز عن أبي زرعة عن الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن يحيى بن عقيل الخزاعي البصري عن ابن أبي أوفى بنحوه.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو بكر إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الفقيه بالريّ، حدّثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق، حدّثنا هاشم بن القاسم، حدّثنا شيبان أبو معاوية عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبي بردة عن أبي موسى قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يركبُ الحمار، ويلبسُ الصُّوفَ، ويعتقل الشاة، ويأتي مُرَاعَاةَ الضَّيْفِ، وهذا غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه وإسناده جيد. وروى محمد بن سعد، عن إسماعيل بن أبي فديك عن موسى بن يعقوب الربعي عن سهل مولى عتبة، أنه كان نصرانياً من أهل مريس، وأنه كان في حجر عمه، وأنه قال: قرأت يوماً في مصحف[1] لعمّي، فإذا فيه ورقة بغير الخط وإذا فيها نعت محمد ﷺ: لا قصير ولا طويل أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء[2]، ولا يقبل الصدقة، ويركبُ الحمار والبعير، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد. قال: فلما جاء عمي ورآني قد قرأتها ضربني وقال: ما لكَ وفتح هذه، فقلت: إن فيها نعت أحمد، فقال: إنه لم يأت بعد.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل، حدّثنا أيوب عن عمرو عن سعيد عن أنس قال: ما رأيتُ أحداً كانَ أَرْحَمَ بالعيالِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وذكر الحديث، ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن إسماعيل ابن علية به.

وقال الترمذي في الشمائل: حدّثنا محمود بن غيلان: حدّثنا أبو داود عن شعبة عن الأشعث بن سليم، [قال] سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينا أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول: «ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَنْقَى وَأَتْقَى»[فنظرت] فإذا هو رسول الله، فقلت: يا رسول إنما

---

(١) كذا في التيمورية، وفي نسخة دار الكتب المصرية: في المصرف.

(٢) احتبى بالثوب: اشتمل به واكتف.

هي بردة مَلْحَاءُ، قال: «أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ» فإذا إزاره إلى نصف ساقيه. ثم قال: حدّثنا سويد بن نصر، حدّثنا عبد الله بن المبارك، عن موسى بن عبيدة عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: كان عثمان بن عفان مُتَّزِراً إلى أنصاف ساقيه قال: هكذا كانت إزرة صاحبي ﷺ. وقال أيضاً: حدّثنا يوسف بن عيسى، حدّثنا وكيع، حدّثنا الربيع بن صبيح، حدّثنا يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك قال: كان رَسُولُ الله ﷺ يكثرُ القناعَ، كأن ثوبه ثَوبُ زيات، وهذا فيه غرابة ونكارة والله أعلم. وروى البخاري عن علي بن الجعد عن شعبة عن يسار أبي الحكم عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبيان يلعبون فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. ورواه مسلم من وجه آخر عن شعبة.

ذكر مزاحه عليه السلام

وقال ابن لهيعة: حدثني عمارة بن غزية عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال: كان رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَفْكَهِ النَّاسِ مَعَ صَبِيٍّ. وقد تقدم حديثه في ملاعبته أخاه أبا عمير، وقوله: «أبا عُمَيْر ما فَعَلَ النُّغَيْرُ»، يذكره بموت نغر كان يلعب به ليخرجه[1] بذلك كما جرت به عادة الناس من المداعبة مع الأطفال الصغار.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا خلف بن الوليد، حدّثنا خالد بن عبد الله، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك «أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله فقال رسول الله ﷺ: «إنا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ»، فقال: يا رَسُولَ الله ما أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الإِبلَ إلاَّ النُّوقُ»[2]. ورواه أبو داود عن وهب بن بقية، والترمذي عن قتيبة كلاهما عن خالد بن عبد الله الواسطي الطحان به، وقال الترمذي صحيح غريب.

وقال أبو داود في هذا الباب: حدّثنا يحيى بن معين، حدّثنا حجاج بن محمد، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن العيزار بن حرب، عن النعمان بن بشير قال: «استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً على رسول الله، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: ألا أراكِ ترفعينَ صَوْتَكِ على رسول الله!، فجعل النبيُّ ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال رسول الله حين خرج أبو بكر: «كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ» فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذنَ على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا».

وقال أبو داود: حدّثنا مؤمل بن الفضل، حدّثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء عن بشر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «أتيت رسول الله في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فسلمت فرد وقال: ادخل، فقلت: أَكُلِّي يا رسول الله قال: كُلُّكَ، فدخلت»[3]. وحدّثنا صفوان بن صالح، حدّثنا الوليد بن عثمان بن أبي العاتكة

(١) كذا في التيمورية ونسخة دار الكتب، ولعلها ليمازحه، أو ليفرحه.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٦٧. (٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٦٧.

قال: إنما قال أدخل كُلّي من صغر القبة». ثم قال أبو داود: حدّثنا إبراهيم بن مهدي، حدّثنا شريك عن عاصم عن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا ذا الأذنين». قلت: ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر عن ثابت عن أنس «أنَّ رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً وكان يهدي النبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ زَاهِراً بادِيَتنا وَنَحنُ حَاضِرُوهُ»، وكانَ رسولُ الله ﷺ يُحبُّهُ وكان رجلاً دميماً فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبيَّ ﷺ فجعل لا يألو ما أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النبيّ ﷺ حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ» فقال: يا رسولَ الله إذَنْ والله تجدَني كاسِداً، فقال رسول الله ﷺ «لَكِنْ عِنْدَ الله لَسْتَ بِكَاسِدٍ - أو قال: - لَكِنْ عِنْدَ الله أَنْتَ غالٍ»[(١)] وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين ولم يروه إلا الترمذي في الشمائل عن إسحاق بن منصور عن عبد الرزاق. ورواه ابن حبان في صحيحه.

ومن هذا القبيل ما رواه البخاري في صحيحه أن رجلاً كان يقال له عبد الله - ويلقب حماراً - وكان يضحك النبيّ ﷺ، وكان يؤتى به في الشراب، فجيء به يوماً فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ»

ومن هذا ما قال الإمام أحمد: حدّثنا حجاج حدثني شعبة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك «أن النبيَّ ﷺ كان في مسير وكان حادٍ يحدو بنسائه أو سائق، قال: فكان نساؤه يتقدمن بين يديه، فقال: «يا أَنْجَشَةُ وَيْحَكَ، ارْفُقْ بِالقَوَارِيرَ»[(٢)]. وهذا الحديث في الصحيحين عن أنس، قال: كان للنبي ﷺ حادٍ يحدو بنسائه يقال له أنجشة، فَحَدَا فَأَعْنَقَتِ الإبل[(٣)]، فقال رسول الله ﷺ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ ارْفِقِ بِالقَوَارِيرِ»، ومعنى القوارير النساء وهي كلمة دعابة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

ومن مكارم أخلاقه ودعابته وحسن خلقه استماعه عليه السلام حديث أم زرع من عائشة بطوله، ووقع في بعض الروايات أنه عليه السلام هو الذي قصه على عائشة. ومن هذا ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا أبو النضر، حدّثنا أبو عقيل - يعني عبد الله بن عقيل الثقفي - به، حدثنا مجالد بن سعيد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت: «حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله كأن الحديث خرافة، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرين ما خرافة؟ إنَّ خَرَافَةَ كَانَ رَجُلاً مِنْ عُذْرَة أَسَرَتْهُ الجِنّ فِي الجَاهِلِيّةِ، فَمَكَثَ فِيهِمْ دَهْراً طَوِيلاً، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلى الإنْسِ، فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى فِيهِمْ مِنَ الأعاجِيبِ، فَقَالَ النَّاسُ: حديثُ خُرَافَةٍ» وقد رواه الترمذي في الشمائل عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي النضر هاشم بن القاسم به.

قلت: وهو من غرائب الأحاديث وفيه نكارة ومجالد بن سعيد يتكلمون فيه فالله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٦١. (٢) القوارير: يعني النساء.
(٣) اعنقت الإبل: أسرعت.

وقال الترمذي في باب خراج[1] النبي ﷺ من كتابه الشمائل: حدّثنا عبد بن حميد، حدّثنا مصعب بن المقدام، حدّثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: «أتت عجوز النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع لي أن يدخلني الله الجنة، قال: «يا أمَّ فُلانٍ إنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلها عَجُوزٌ»، فولّت العجوز تبكي، فقال: «أخبِرُوها أنَّها لا تَدْخُلها وَهِيَ عَجُوزٌ فَإنَّ الله تعالى يَقُولُ ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾﴾» [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦] وهذا مرسل من هذا الوجه.

وقال الترمذي: حدّثنا عباس بن محمد الدوري، حدّثنا علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن شقيق، حدّثنا عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: «قالوا يا رسول الله إنك تُدَاعِبُنا، قال: «إني لا أقولُ إلاَّ حَقّاً». تداعبنا ـ يعني تمازحنا ـ وهكذا رواه الترمذي في جامعه في باب البر بهذا الإسناد ثم قال: وهذا حديث مرسل حسن.

باب زهده عليه السلام وإعراضه عن هذه الدار

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١] وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ وقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨] والآيات في هذا كثيرة وأما الأحاديث، فقال يعقوب بن سفيان: حدثني أبو العباس حيوة بن شريح، أخبرنا بقية عن الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكاً من الملائكة معه جبريل، فقال الملك لرسوله: «إنَّ الله يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أنْ تَكُونَ عَبْداً نَبِيّاً وَبَيْنَ أنْ تَكُونَ مَلِكاً نَبِيّاً» فالتفت رسول الله إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله أنْ تَوَاضَعْ، فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ أكُونُ عَبْداً نَبِيّاً»، قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقي الله عز وجل» وهكذا رواه البخاري في التاريخ عن حيوة بن شريح، وأخرجه النسائي عن عمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد به، وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة ـ ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة ـ قال: جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ فنظر إلى السَّماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليكَ رَبُّكَ: أفملكاً نَبيّاً يجعلكَ أو عبداً رسولاً. هكذا وجدته بالنسخة التي عندي بالمسند مقتصراً وهو من إفراده من هذا الوجه. وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب

(١) كذا في الأصل: وفي الترمذي: مزاح.

في حديث إيلاء رسول الله ﷺ من أزواجه أن لا يَدْخَلَ عَلَيهنَّ شهراً، واعتزل عنهن في عِلِّيَّةٍ، فلما دخل عليه عمر في تلك العليَّة فإذا ليس فيها سوى صبرة من قرظ، وأهبة معلقة، وصبرة من شعير، وإذا هو ﷺ مضطجع على رمال حصير قد أثر في جنبه، فَهَمَلَتْ عَيْنا عُمَر[1]، فقال: «ما لَكَ»، فقلتُ: يا رسول الله أنتَ صَفْوَةُ الله من خلقه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه، فجَلَس مُحمّراً وَجْهُهُ فقال: «أوفي شَكٍّ أنتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ»؟ ثم قال: «أولئكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّباتُهُمْ في حَيَاتِهِمُ الدُّنيا». وفي رواية لمسلم: «أما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنيا وَلَنا الآخِرَة؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «فاحْمَدِ الله عَزَّ وَجَلَّ» ثم لما انقضى الشهر أمره الله عز وجل أن يخبر أزواجه وأنزل عليه قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨].

وقد ذكرنا هذا مبسوطاً في كتابنا التفسير وأنه بدأ بعائشة، فقال لها: «إني ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً فلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» وتلا عليها هذه الآية، قالت: فقلت أفي هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وكذلك قال سائر أزواجه عليه السلام ورضي عنهن.

وقال مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس قال: دخلتُ على رسول الله وهو على سرير مَزْمول[2] بالشريط، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، ودخل عليه عمر وناس من الصحابة فانحرف رسول الله انحرافة، فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى، فقال له: «مَا يُبْكِيكَ يا عُمَرُ؟» قال: وما لي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا، وأنت على الحال الذي أرى، فقال: «يا عُمَرُ، أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُم الدُّنيا وَلَنَا الآخِرَةُ»؟ قال: بلى، قال: «هُوَ كَذٰلِكَ» هكذا رواه البيهقي.

وقال الإمام أحمد: [حدّثنا أبو النضر] حدّثنا مبارك عن الحسن عن أنس بن مالك قال: «دخلت على رسول الله وهو على سرير مضطجع مُزَمَّل بشريطٍ وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف فدخل عليه نفر من أصحابه، ودخل عمر فانحرفَ رسول الله انحرافةً فَلَمْ يَرَ عمر بين جنبه وبين الشريط ثوباً وقد أثر الشريطُ بجنب رسول الله، فبكى عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يُبْكِيكَ يا عُمَرُ»؟ قال: والله ما أَبْكِي إلا أن أكُونَ أعلـم أنك أكرمُ على الله من كسرى وقيصر وهما يعيشان في الدنيا فيما يعيشان فيه وأنت يا رسولُ الله في المكان الذي أرى، فقال رسول الله: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُم الدُّنيا وَلَنَا الآخِرَةَ؟» قالَ: بَلَى، قالَ «فإنَّهُ كَذٰلِكَ».

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة بن مسعود قال: اضطجع رسول الله على حصير فأثر الحصير بجلده، فجعلت أمسحه وأقول بأبي أنت وأمي ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه؟ فقال: «مَا لِي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا

(١) هملت عيناه: ذرفتا الدمع. (٢) مزمول: مشدود.

كَرَاكِبٍ استَظَلَ تَحتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَها». ورواه ابن ماجه عن يحيى بن حكيم عن أبي داود الطيالسي به. وأخرجه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكندي عن زيد بن الحباب كلاهما عن المسعودي به. وقال الترمذي حسن صحيح.

وقد رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس، فقال: حدّثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان قالوا: حدّثنا ثابت، حدّثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله دخل عليه عُمر وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يا رسول الله لو اتخذت فرشاً أَوْثَرَ من هذا، فقال: «مَا لي وَللدُّنيا ما مَثَلِي ومَثَلُ الدُّنْيا إلاّ كرَاكِبٍ سَارَ في يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تحتَ شَجَرَةٍ ساعَةً مِنْ نَهارٍ ثُمَّ راحَ وتَرَكَهَا». تفرد به أحمد[1]. وفي صحيح البخاري من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما سَرَّنِي أَنْ تَأْتِيَ عَلَيَّ ثَلاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيءٌ إلاّ شَيءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ». وفي الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً» فأما الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث يزيد بن سنان عن ابن المبارك عن عطاء عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أحيِنِي مِسكِيناً وأَمِتْنِي مِسْكِيناً واحْشُرْنِي في زُمْرَةِ المَساكِين»، فإنه حديث ضعيف لا يثبت من جهة إسناده لأن فيه يزيد بن سنان أبا فروة الرهاوي وهو ضعيف جداً والله أعلم.

وقد رواه الترمذي من وجه آخر فقال: حدّثنا عبد الأعلى بن واصل الكوفي، حدّثنا ثابت ابن محمد العابد الكوفي، حدّثنا الحارث بن النعمان الليثي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وأَمِتْنِي مِسْكِيناً واحْشُرْنِي في زُمْرَةِ المَساكِينِ يَوْمَ القِيامَةِ، فقالت عائشة: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بأرْبَعِينَ خَرِيفاً يا عائشة لا تَرُدِّي المسكينَ وَلَوْ بَشِقِّ تَمْرَةٍ. يا عائشة حبِّي المَساكِينَ وقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ الله يُقَرِّبُكِ يَوْمَ القِيامَةِ». ثم قال هذا حديث غريب. قلت: وفي إسناده ضعف وفي متنه نكارة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصمد، حدّثنا أبو عبد الرحمن ـ يعني ـ عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنه قيل له: هل رأى رسول الله ﷺ النقي بعينه ـ يعني الحُوَّارَى ـ فقال له ما رأى رسول الله النقيَّ بعينه حتى لقي الله عز وجل، فقيل له: هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله؟ فقال: ما كانت لنا مناخل، فقيل له: فكيف كنتم تصنعون بالشعر؟ قال: ننفخه فيطير منه ما طار. وهكذا رواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار به وزاد ثم نذريه ونعجنه، ثم قال حسن صحيح. وقد رواه مالك عن أبي حازم. قلت: وقد رواه البخاري عن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن مطرف بن غسان المدني عن أبي حازم عن سهل بن سعد به، ورواه البخاري أيضاً والنسائي عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن أبي حازم عن سهل به.

---

(١) المسند: ٣٠١/١.

وقال الترمذي: حدّثنا عباس بن محمد الدوري، حدّثنا يحيى بن أبي بكير، حدّثنا جرير ابن عثمان عن سليم بن عامر سمعت أبا أمامة يقول: ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير، ثم قال: حسن صحيح غريب.

وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: ما شبع آل محمدٍ ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُرّ حتى مضى لسبيله.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هشام، حدّثنا محمد بن طلحة عن أبي جمرة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد ثلاثاً من خبز بُرّ حتى قبض وما رفع من مائدته كسرة قط حتى قبض[1].

وقال أحمد: حدّثنا محمد بن عبيد، حدّثنا مطيع الغزال عن كردوس عن عائشة قالت: قد مضى رسول الله لسبيله وما شبع أهله ثلاثة أيام من طعام بُرّ.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان، حدثني أبو حازم قال: رأيت أبا هريرة يشير باصبعيه مراراً: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبيُّ الله وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا، ورواه مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن كيسان.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسن، حدّثنا زويد عن أبي سهل عن سليمان بن رومان ـ مولى عروة ـ عن عائشة أنها قالت: والذي بعث محمداً بالحق ما رأى منخلاً ولا أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله إلى أن قبض قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير؟ قالت: كنا نقول أف. تفرد به أحمد من هذا الوجه. وروى البخاري عن محمد بن كثير عن الثوري عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة عن أبيه عن عائشة قالت: إنْ كُنّا لنخرجُ الكراع بعد خمسة عشر يوماً فنأكله، قلت: ولم تفعلون ذلك؟ فضحكت وقالت: «ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ من خبز مأدوم حتى لحق بالله عزّ وجلّ»[2].

وقال أحمد: حدّثنا يحيى، حدّثنا هشام، أخبرني أبي عن عائشة قالت: «كان يأتي على آل محمد الشهر ما يوقدون فيه ناراً ليس إلا التمر والماء إلا أن يؤتى باللحم». وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: «إن كنا آل محمد ليمرُّ بنا الهلال ثم الهلال ثم الهلال ما نوقد ناراً إنما هو الأسودان: التمر والماء إلاّ أنه كان حولنا أهل دور من الأنصار يبعثون إلى رسول الله بلبن منائحهم فيشرب ويسقينا من ذلك اللبن. ورواه أحمد عن بريدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنها بنحوه.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا علي بن عباس وحسين بن محمد قالا: حدّثنا محمد بن مطرف حدّثنا حازم قال حسين عن عروة عن عائشة قالت: كان يمر برسول الله ﷺ هلال وهلال ما

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب ٢٢.

يوقدون في بيت من بيوته ناراً قلت يا خالة على أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين التمر والماء. تفرد به أحمد.

وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن الأسود عن عائشة قالت: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض، وقد رواه مسلم من حديث شعبة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل حدثني سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: قالت عائشة: بعث إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً فأمسك رسول الله ﷺ وأمسكت وقطع فقال الذي تحدثه: على غير مصباح؟ فقالت لو كان عندنا مصباح لأتدمنا به إن كان ليأتي على آل محمد الشهر ما يخبزون خبزاً ولا يطبخون قدراً، وقد رواه أيضاً عن بهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة، وفي رواية شهرين تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا خلف، حدّثنا أبو معشر، عن سعيد ـ هو ابن أبي سعيد ـ عن أبي هريرة قال: كان يمرّ بآل رسول الله هلال ثم هلال لا يوقدون في بيوتهم النار لا بخبز ولا بطبخ، قالوا: بأيّ شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: الأسودان التمر والماء، وكان لهم جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً لهم منائح يرسلون إليهم شيئاً من لبن، تفرد به أحمد. وفي صحيح مسلم من حديث منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن أمه عن عائشة قالت: توفي رسول الله ﷺ وقد شبع الناس من الأسودين: التمر والماء. وقال ابن ماجه: حدّثنا سويد بن سعيد، حدّثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: «أتي رسول الله ﷺ يوماً بطعام سخن فأكل فلما فرغ قال: «(الحَمْدُ لله) ما دخل بطني طعامٌ سخنٌ منذ كذا وكذا».

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصمد، حدّثنا [عمار] أبو هاشم صاحب الزعفراني عن أنس بن مالك «أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كسرة من خبز الشعير فقال: «هذا أوّلُ طعام أكلَهُ أبوكِ مُنْذُ ثلاثةِ أيَّام»[(١)]، تفرد به أحمد. وروى الإمام أحمد عن عفان والترمذي وابن ماجه جميعاً عن عبد الله بن معاوية كلاهما عن ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب العبديّ الكوفيّ عن عكرمة عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء، وكان عامة خبزهم خبز الشعير»، وهذا لفظ أحمد.

وقال الترمذي في الشمائل: حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدّثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن يزيد عن أبي أمية الأعور عن أبي يوسف بن عبد الله بن سلام قال: «رأيتُ رسولَ الله أخَذَ كِسْرَةٍ من خبز الشعيرِ فوضع عليها تمرة، وقالَ: «هٰذه إدَامُ هٰذه وأكل». وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «كانَ أَحَبُّ الشَّرابِ إلىٰ رَسُولِ الله الحَلوَ البَارِدَ». وروى البخاري من حديث قتادة وعن أنس قال: ما أَعْلَمُ رسول الله ﷺ رَأى رَغيفاً مُرَقَقاً حتّى لَحِقَ بالله، ولا شَاةً سَمِيطاً بِعَيْنِه قَطْ». وفي رواية له

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢١٣.

عنه أيضاً: ما أكلَ رسول الله ﷺ على خوانٍ ولا في سكرجَةٍ ولا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ، فقلتُ لأنس: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على السُّفر». وله من حديث قتادة أيضاً عن أنس «أنه مَشَى إلى رسول الله ﷺ بخبزِ شَعِيرٍ وإهالة سَنِخَة ولَقدْ رَهَنَ دِرْعَهُ مِنْ يَهودِيٍّ فأخَذَ لأهْلِهِ شعِيراً، ولَقَد سمعتهُ ذاتَ يوم يقولُ: «ما أمسى عِنْد آلِ مُحمدٍ صَاعُ تَمْرٍ ولا صَاعُ حَبٍّ».

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا أبان بن يزيد، حدّثنا قتادة عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف»[1]. ورواه الترمذي في الشمائل عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عفان، وهذا الإسناد على شرط الشيخين.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا شعبة عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت عمر بن الخطاب يخطب. فذكر ما فتح الله على الناس، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتوي من الجوع ما يجد الدَّقَل[2] ما يملأ بطنه، وأخرجه مسلم من حديث شعبة. وفي الصحيح أن أبا طلحة قال: يا أم سليم، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ أعرف فيه الجوع، وسيأتي الحديث في دلائل النبوة وفي قصة أبي الهيثم بن التَّيهان: أن أبا بكر وعمر خرجا من الجوع فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله، فقال: «ما أخرجكما؟» فقالا: الجوع، فقال: «والذي نفسي بيده لقد أخرجني الذي أخرجكما»، فذهبوا إلى حديقة الهيثم بن التيهان فأطعمهم رطباً، وذبح لهم شاة، فأكلوا وشربوا الماء البارد، وقال رسول الله ﷺ: «هٰذا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسأَلُونَ عَنْهُ».

وقال الترمذي: حدّثنا عبد الله بن أبي زياد، حدّثنا سيار، حدّثنا يزيد بن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن أنس عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين، ثم قال غريب. وثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن فراش رسول الله ﷺ فقالت: كانَ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ.

وقال الحسن بن عرفة: حدّثنا عباد بن عباد المهلبي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: دخلتْ عليَّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله عباءةً مثنية، فانطلقتْ فبعَثتْ إلَيَّ بفراش حَشْوُهُ الصُّوف، فدخل عليّ رسول الله فقال: «ما هذا يا عائِشَةُ؟» قالتَ: قلت يا رسول الله: فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت إليّ بهذا، فقال «رُدِّيه» قالت: فَلَمْ أَرُدَّهُ وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات، قالت: فقال: «رُدِّيهِ يا عائشة فوالله لَوْ شِئْتُ لأجْرَى الله مَعِي جِبَالَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ».

وقال الترمذي في الشمائل: حدّثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري، حدّثنا عبد الله بن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٧٠، وفيه على «ضفف» والضفف: التناول مع الناس، أو أن تكون الأكلة أكثر من الطعام.

(٢) الدَّقَل: أردأ التمر.

مهدي، حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ؟ قالت: مِسْحٌ نثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح قال: «ما فرشتم لي الليلة؟» قالت: قلنا هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات قلنا هو أوطأ لك، قال: «ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة». [وقال الطبراني: حدّثنا محمد بن أبان الأصبهاني، حدّثنا محمد بن عبادة الواسطي، حدّثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدّثنا محمد بن إبراهيم، حدّثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن حكيم ابن حزام قال: خرجت إلى اليمن فابتعت حلة ذي يزن فأهديتها إلى النبي ﷺفردها، فبعتها فاشتراها فلبسها ثم خرج على أصحابه وهي عليه فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها، فما ملكت نفسي أن قلت: [الطويل]

مَا يَنْظُرُ الْحُكَّامُ بِالْفَضْلِ بَعْدَمَا ... بَدَا وَاضِحٌ مِنْ غُرَّةٍ وحُجُولِ[1]

إِذَا قَايَسُوهُ الجِدُّ أَرْبَى عليهم ... بمستفرع ماضي الذُّبَابِ سَحِيلِ[2]

فسمعها النبي ﷺ فالتفت إليَّ يتبسم ثم دخل فكساها أسامة بن زيد][3]. وقال الإمام أحمد: حدثني حسين بن علي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال: حدثني عن ربعي بن خراش عن أم سلمة قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو ساهم الوجه، قالت: فحسبت ذلك من وجع، فقلت يا رسول الله أراكَ ساهِمَ الوَجْهِ، أَفَمِنْ وَجَعٍ؟ فقال: «لا، ولْكِنَّ الدَّنانِيرَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُتِينَا بها أمس أمسينا ولمْ نُنْفِقْها نَسِيتُها فِي خَصْمِ الفِرَاشِ»[4]. تفرد به أحمد. وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو سلمة، [قال]: أخبرنا بكر بن مضر، حدّثنا موسى بن جبير عن أبي أمامة بن سهل قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير يوماً على عائشة فقالت: لو رأيتما نبيَّ الله ﷺ ذات يوم في مرض [مرضه]؟ قالت: وكان له عندي ستة دنانير، قال موسى أو سبعة، قالت: فأمرني رسول الله ﷺ أن أفرقها، قالت: فشغلني وجع نبيّ الله ﷺ حتى عافاه الله عز وجل، قالت: ثم سألني عنها فقال: «ما فعَلَتِ السِّتَّةُ؟ قال: أو السَّبْعَةُ،» قلتُ: لا والله لقد كان شغلني عنها وجَعُكَ، قالت: فدعا بها ثم صَفَّها في كفه، فقال: «ما ظَنُّ نَبِيِّ الله ﷺ لَوْ لَقِيَ الله وهٰذِهِ عِنْدَهُ»[5]. تفرد به أحمد.

وقال قتيبة: حدّثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: لكان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً لغد. وهذا الحديث في الصحيحين، والمراد أنه كان لا يدخر شيئاً لغد مما يسرع إليه

---

(١) الغرة البياض في الجبهة، والتحجيل: البياض في القوائم.

(٢) أربى عليهم: فاقهم وتقدمهم، والمستفرع: السيف، وماضي الذباب: أي قاطع الحد والسحيل: الذي يريق الدم.

(٣) من قوله: وقال الطبراني. إلى هنا زيادة من النسخة التيمورية.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣١٤.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٠٤.

الفساد كالأطعمة ونحوها لما ثبت في الصحيحين عن عمر أنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عُدَّة في سبيل الله عز وجل. ومما يؤيد ما ذكرناه ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا مروان بن معاوية، [قال: أخبرني] هلال بن سُويد أبو يعلى [قال]: سمعت أنس ابن مالك وهو يقول أهديت للنبي ﷺ ثلاثة طوائر فأطعم خادمه طائراً فلما كان من الغد أتته به، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أَلَمْ أَنْهَكِ أَنْ تَرْفَعِي شَيْئاً لِغَدٍ، فإنَّ الله [عَزَّ وَجَلَّ] يأتي بِرِزْقِ كُلِّ غَدٍ»**.

حديث بلال في ذلك

قال البيهقي: حدّثنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو محمد بن جعفر بن محمد بن نصير، حدّثنا إبراهيم بن عبد الله البصري، حدّثنا بكار بن محمد، أخبرنا عبد الله بن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة «أنَّ رسولَ الله دخل على بلال فوجد عنده صبراً من تمر، فقال: **«ما هٰذا يا بلالُ؟** قال تَمْرٌ أَدَّخِرُهُ، قال: **وَيْحَكَ يا بِلالُ أوَ ما تَخافُ أنْ تَكُونَ لَه نجار في النار! أنفق بلالُ ولاَ تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إقْلالاً»**.

قال البيهقي بسنده عن أبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي كلاهما عن أبي توبة الربيع ابن نافع، حدثني معاوية بن سلام عن زيد بن سلام، حدثني عبد الله الهوريني قال: لقيت بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ بحلب، فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ فقال: ما كان له شيء إلا أنا الذي كنت ألي ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفي، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فرآه عائلاً، يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري البردة والشيء فأكسوه وأطعمه، حتى اعترضني رجل من المشركين فقال: يا بلال، إنَّ عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلاَّ مِنِّي، ففعلت فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة فإذا المشرك في عصابة من التجار، فلما رآني قال: يا حبشيّ، قال: قلت يا لبَّيه، فتجهَّمني، وقال قولاً عظيماً أو غليظاً، وقال: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قلت: قريب، قال إنما بينك وبينه أربع ليال فآخذك بالذي لي عليك،، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك، وإنما أعطيتك لتصير لي عبداً فأذرك ترعى في الغنم كما كنت قبل ذلك، قال: فأخذني في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، فانطلقت فناديت بالصلاة حتى إذا صليت العتمة ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فاستأذنت عليه فأذن لي، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إن المشرك الذي ذكرت لك أني كنت أتدين[1] منه قد قال كذا وكذا، وليس عندك ما يقضي عني، ولا عندي، وهو فاضحي، فأذن لي أن آتي إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني، فخرجت حتى أتيت منزلي فجعلت سيفي وحرابي ورمحي ونعلي عند رأسي، فاستقبلت بوجهي الأفق فكلما نمت انتبهت فإذا رأيت عليّ ليلاً نمت حتى انشق عمود الصبح الأول

(١) كذا في جميع النسخ ولعلها: أستدين.

فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يدعو: يا بلال أجب رسول الله ﷺ، فانطلقت حتى آتيه فإذا أربع ركائب عليهن أحمالهن فأتيت رسول الله فاستأذنت، فقال لي رسول الله: «أبشر فقد جاءك الله بقضاء دينك»، فحمدت الله وقال: «ألم تمر على الركائب المناخات الأربع؟» قال قلت: بلى، قال: «فإن لك رقابهن وما عليهن»- فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فدك - «فاقبضه إليك ثم اقض دينك»، قال: ففعلت فحططت عنهن أحمالهن ثم عقلتهن ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح حتى إذا صلى رسول الله ﷺ خرجت إلى البقيع، فجعلت أصبعي في أذني فقلت: من كان يطلب من رسول الله ﷺ ديناً فليحضر، فما زلت أبيع وأقضي وأعرض وأقضي حتى لم يبق على رسول الله ﷺ دين في الأرض حتى فضل عندي أوقيتان أو أوقية ونصف، ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار، فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده، فسلمت عليه، فقال لي: «ما فعل من قبلك؟» قلت: قد قضى الله كل شيء كان على رسول الله ﷺ فلم يبق شيء، قال: «فَضَلَ شَيْءٌ؟» قلت: نعم ديناران، قال: «انْظُرْ أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهُمَا فَلَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْهُمَا»، فلم يأتنا أحد، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما، حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال: «ما فعل الذي قبلك؟» قلت: قد أراحك الله منه، فكبر وحمد الله شفقاً من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم اتبعته حتى جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة حتى أتى مبيته، فهذا الذي سألتني عنه.

وقال الترمذي في الشمائل: حدّثنا هارون بن موسى بن أبي علقمة المديني، حدثني أبي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه، فقال: «ما عِنْدِي ما أُعْطِيكَ، ولٰكِنْ ابْتَعْ عليَّ شَيْئاً فإذا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ»، فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته، فما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ قول عمر، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم رسول الله ﷺ، وعرف التبسم في وجهه لقول الأنصاري وقال: «بهٰذا أُمِرْتُ». وفي الحديث «ألاَ إنَّهُمْ لَيَسْأَلُونِي وَيَأْبَى الله عليَّ البُخْلَ». وقال يوم حنين حين سألوه قسم الغنائم: «وَاللهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي عَدَدَ هٰذِهِ العِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُها فِيكُم ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بخِيلاً ولا ضَاناً وَلا كذَّاباً ﷺ».

وقال الترمذي: حدّثنا علي بن حجر، حدّثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع بنت معوذ بن عمر قالت: أتيتُ رسول الله بقناع من رطب، وأجرز عنب، فأعطاني ملء كفه حلياً أو ذهباً.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «كَيفَ أَنْعَمُ وقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ القَرْنَ» وحَنَى جَبْهَتَهُ وأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «قولوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[1] [آل

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٧.

عمران: ١٧٣]. ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يونس: ٨٥]». ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن مطرف ومن حديث خالد بن طهمان كلاهما عن عطية وأبي سعيد العوفي البجلي، وأبو الحسن الكوفي عن أبي سعيد الخدري، وقال الترمذي حسن. قلت. وقد روي من وجه آخر عنه من حديث ابن عباس كما سيأتي في موضعه.

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام. قال أبو عبد الله بن ماجه: حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدّثنا عمرو بن محمد، حدّثنا أسباط بن نصر عن السدي عن أبي سعد الأزدي - وكان قارىء الأزد - عن أبي الكنود عن خباب في قوله تعالى: ﴿ولاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالْغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢]. قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول رسول الله حقروهم، فأتوا فخلوا به فقالوا: نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد[1]، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: «نعم»، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليًا ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢] ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣]. ثم قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٤]. قال فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: ٢٨] ولاَ تُجالِسِ الأشْرَافَ. ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] يعني عيينة والأقرع ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] قال: هلاكاً، قال[2] أمر عيينة والأقرع، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا، قال خباب: فكنا نقعد مع رسول الله ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم. ثم قال ابن ماجه: حدّثنا يحيى بن حكيم حدّثنا أبو داود، حدّثنا قيس بن الربيع عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد قال، نزلت هذه الآية فينا ستة، فيَّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال. قال: قالت قريش: يا رسول الله إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهم فاطردهم عنك. قال: فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالْغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية.

وقال الحافظ البيهقي: أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أنا أبو سعيد بن

---

(١) الأعبد: جمع قلة لعبد.

(٢) كذا بالأصل، ولعله ذكر.

الأعرابي، ثنا أبو الحسن خلف بن محخمد الواسطي الدوسي، ثنا يزيد بن هارون، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي، ثنا المعلى بن زياد - يعني عن العلاء بن بشير المازني عن أبي الصديق الناجي - عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في عصابة من المهاجرين جالساً معهم وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري، وقارىء لنا يقرأ علينا، فكنا نسمع إلى كتاب الله فقال رسول الله: **«الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ مَعَهُمْ نَفْسِي»** قال: ثم جلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بيننا نفسه فينا ثم قال بيده هكذا. فاستدارت الحلقة وبرزت وجوههم، قال: فما عرف رسول الله أحداً منهم غيري، فقال رسول الله: **«أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ صَعَالِيك الْمُهَاجِرِينَ بالنُّورِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، تَدْخُلُونَ قَبْلَ الأَغْنِياءِ بِنِصفِ يَوْم وذلِكَ خَمْسُمائَةِ عَامٍ»**.

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والتِّرمذي من حديث حَماد بن سلمة عن حميد عن أنس. قال: لم يَكُنْ شخصٌ أَحَبَّ إليهم من رسولِ الله ﷺ ، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمونِ من كراهيته لذلك.

فصل: عبادته عليه السلام واجتهاده في ذلك

قالت عائشة: «كان رسولُ الله ﷺ يصومُ حتى نقولَ لا يُفطر، ويُفطر حتى نقولَ لا يَصُومُ، وكان لا تشاء تراه من الليل قائماً إلاَّ رأيته، ولا تشاءُ تراه نائماً إلاَّ رأيته، قالت: وما زاد رسول الله ﷺ في رمضان وفي غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يُوتِرُ بثلاث. قالت: وكان رسول الله ﷺ يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها، قالت: ولقد كان يقوم حتى أرثي له من شدة قيامه»(١) وذكر ابن مسعود أنه صلى معه ليلة فقرأ في الركعة الأولى بالبقرة والنساء وآل عمران ثم ركع قريباً من ذلك، ورفع نحوه وسجد نحوه. وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه: «أن رسول الله ﷺ قام ليلة حتى أصبح يقرأ هذه الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]. رواه أحمد. وكل هذا في الصحيحين وغيرهما من الصحاح، وموضع بسط هذه الأشياء في كتاب الأحكام الكبير. وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة: «أن رسول الله ﷺ قام حتى تفطرت قدماه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلاَ أكُونُ عَبْداً شَكُوراً»**(٢). وتقدم في حديث سلام بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«حُبِّبَ إِلَيَّ الطِّيبُ والنِّسَاءُ وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ»**(٣). رواه أحمد والنسائي.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حماد بن سلمة، أخبرني علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن جبريل قال لرسول الله ﷺ: «قَدْ حُبِّبَ إِلَيْكَ الصَّلاةُ فَخُذْ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير القرآن باب ٢، سورة الفتح.

(٣) اخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٢٨.

مِنها ما شِئتَ». وثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حر شديد، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ، وعبد الله بن رواحة». وفي الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: «سألتُ عائشة هل كان رسول الله ﷺ يخصُّ شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة. وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ؟ وثبت في الصحيحين من حديث أنس وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وعائشة «أنَّ رسول الله ﷺ كان يواصل ونَهى أصحابَهُ عنِ الوِصالِ قال: «إنّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ، إنّي أَبيتُ عِنْدَ رَبّي يُطْعِمُني ويَسْقِيني»[1]. والصحيح أن هذا الإطعام والسقيا معنويان كما ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ على الطَّعَامِ والشَّرابِ، فإنَّ الله يُطْعِمُهُمْ ويَسْقِيهِمْ». وما أحسن ما قال بعضهم:

لـهـا أحَـادِيـثُ مِـنْ ذِكْـرَاكَ تَـشْـغَـلُـهَـا   عَـنِ الـشَّـرابِ وَيُـلْـهِـيـهَـا عَـنِ الـزَّادِ

فصل في شجاعته[2] ﷺ

ذكرت في التفسير عن بعض من السلف أنه استنبط من قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤] أنَّ رسول الله ﷺ كان مأموراً أن لا يفرَّ مِنَ المشركين إذا واجهوه ولو كان وحده من قوله: ﴿لا تُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ﴾ وقد كان صلوات الله وسلامه عليه من أشجع الناس وأصبر الناس وأجلدهم، ما فرَّ قطُّ من مصافّ ولو تولى عنه أصحابه. قال بعض أصحابه: كنا إذا اشتد الحرب وحمي الناس، نتقي برسول الله ﷺ ففي يوم بدر رمى ألف مشرك بقبضة من حصا فنالتهم أجمعين حين قال: «شاهت الوجوه»، وكذلك يوم حنين كما تقدم، وفرّ أكثر أصحابه في ثاني الحال يوم أحد وهو ثابت في مقامه لم يبرح منه ولم يبقَ معه إلاّ اثنا عشر قتل منهم سبعة وبقي الخمسة. وفي هذا الوقت قتل أبيّ بن خلف لعنه الله فعجله الله إلى النار. ويوم حنين ولى الناس كلهم وكانوا يومئذ اثنا عشر ألفاً وثبت هو في نحو من مائة من الصحابة وهو راكب يومئذ بغلته وهو يركض بها إلى نحو العدو، وهو ينوه باسمه ويعلن بذلك قائلاً: «أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب». حتى جعل العباس وعلي وأبو سفيان بن الحارث يتعلقون في تلك البغلة ليبطئوا سيرها خوفاً عليه من أن يصل أحد من الأعداء إليه. وما زال كذلك حتى نصره الله وأيده في مقامه ذلك وما تراجع الناس إلاّ والأشلاء مجندلة بين يديه صلوات الله عليه وسلامه.

وقال أبو زرعة: حدّثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقي، حدّثنا مروان ـ يعني ابن محمد ـ حدّثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِشِدَّةِ البَطْشِ».

(١) أخرجه البخاري في الصوم باب ٤٨، والاعتصام باب ٥.
(٢) هذا الفصل من النسخة التيمورية.

فصل فيما يذكر من صفاته عليه السلام في الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين

قد أسلفنا طرفاً صالحاً من ذلك في البشارات به قبل مولده، ونحن نذكر هنا غرراً من ذلك، فقد روى البخاري والبيهقي واللفظ له من حديث فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجلْ والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في الفرقان: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨﴾ [الفتح: ٨] وحَرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء أن يقولوا: لا إِلَهَ إِلاَّ الله وأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وَقلوباً غُلْفاً، قال عطاء بن يسار: ثم لقيت كعباً الحبر فسألته فما اختلفا في حرف إلا أن كعباً قال: أعيناً. ورواه البخاري أيضاً عن عبد الله غير منسوب، قيل: هو ابن رجاء، وقيل: عبد الله بن صالح، وهو الأرجح، عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن هلال بن علي به.

قال البخاري: وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام كذا علقه البخاري. وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان: حدّثنا أبو صالح ـ هو عبد الله بن صالح كاتب الليث ـ حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام أنه كان يقول: إنا لنجدُ صفةَ رسول الله ﷺ؛ «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويتجاوز، وليس أقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء: بأن تشهد (أن لا إله إلاّ الله) يفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غلفاً. قال عطاء بن يسار: وأخبرني الليثي أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام. وقد روي عن عبد الله بن سلام من وجه آخر فقال الترمذي: حدّثنا زيد بن أخرم الطائي البصري، ثنا أبو قتيبة ـ مسلم بن قتيبة ـ، حدثني أبو مَوْدود المدني، حدّثنا عثمان الضحاك عن محمد بن يوسف عن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جدّه قال: مكتوب في التوراة: «محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه» فقال أبو مَوْدُود: قد بقي في البيت موضع قبر، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن. هكذا قال الضحاك والمعروف الضحاك بن عثمان المدني، وهكذا حكى شيخنا الحافظ المزي في كتابه الأطراف عن ابن عساكر أنه قال مثل قول الترمذي، ثم قال: وهو شيخ آخر أقدم من الضحاك بن عثمان ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه فيمن اسمه عثمان، فقد روي هذا عن عبد الله بن سلام، وهو من أئمة أهل الكتاب ممن آمن وعبد الله بن عمرو بن العاص، وقد كان له اطلاع على ذلك من جهة زاملتين[1] كان أصابهما يوم اليرموك، فكان يحدث منهما عن أهل الكتاب، وعن

(١) الزاملة: ما يحمل عليه من الدوابّ.

كعب الأحبار، وكان بصيراً بأقوال المتقدمين على ما فيها من خلط وغلط، وتحريف وتبديل، فكان يقولها بما فيها من غير نقد، وربما أحسن بعض السلف بها الظن فنقلها عنه مسلمة، وفي ذلك من المخالفة لبعض ما بأيدينا من الحق جملة كثيرة، لكن لا يتفطن لها كثير من الناس. ثم ليعلم أن كثيراً من السلف يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب المتلوة عندهم، أو أعم من ذلك، كما أن لفظ القرآن يطلق على كتابنا خصوصاً ويراد به غيره، كما في الصحيح: خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن مقدار ما يفرغ، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع والله أعلم.

وقال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق، حدّثني محمد بن ثابت بن شرحبيل عن أمّ الدرداء قالت: قلت لكعب الحبر: كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: نجده محمد رسول الله، اسمه المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، وأعطي المفاتيح ليُبصّر الله به أعيناً عمياً، ويسمع به آذاناً وقراً[١]، ويقيم به ألْسُناً مُعْوَجّةً حتى تشهد أن (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له) يعين المظلوم ويمنعه. وبه عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن خريب عن عائشة: أن رسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل لا فَظٌّ، ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، بل يعفو ويصفح.

وقال يعقوب بن سفيان: ثنا قيس البجلي، ثنا سلام بن مسكين عن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله عزّ وجل إلى عيسى ابن مريم. جد في أمري ولا تهزل، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إني خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد، وعليَّ فتوكل، فبين لأهل سوران أني أنا الحق القائم الذي لا أزول، صدقوا بالنبيّ العربيّ، صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة، الجعد الرأس، الصلت الجبين[٢]، المقرون الحاجبين، الأدعج[٣] العينين، الأقنى الأنف الواضح الخدين الكث اللحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، ريحه المسك ينفح منه، كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من لبته[٤] إلى سرته[٥] تجري كالقضيب ليس على صدره ولا بطنه شعر غيره، شثن الكفين والقدم، إذا جامع الناس غمرهم، وإذا مشى كأنما ينقلع من الصخر وينحدر في صبب ذو النسل القليل.

وروى الحافظ البيهقي بسنده عن وهب بن منبه اليماني قال: إن الله عزّ وجل لما قرّب موسى نجيّاً[٦]، قال: ربّ إني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة هم [خير الأمم] الآخرون من الأمم، السابقون يوم القيامة، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها، وكان من قبلهم

---

(١) الوقر: الصمم.
(٢) الصلت الجبين: الواضح الواسع الجبين.
(٣) الأدعج: الذي في عينيه اتساع.
(٤) اللبة: موضع القلادة من الصدر.
(٥) السرة: التجويف الصغير وسط البطن.
(٦) نجياً: من النجوى.

يقرؤون كتبهم نظراً ولا يحفظونها، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقاتلون رؤوس الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها فإن لم تقبل لا تقربها النار، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: ربِّ إني أجد في التوراة أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، وإذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتب له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمّة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد.

قال وذكر وهب بن منبه في قصة داود عليه السلام وما أوحي إليه في الزبور: يا داود، إنه سيأتي من بعدك نبيّ اسمه أحمد ومحمد، صادقاً سيداً، لا أغضب عليه أبداً، ولا يغضبني أبداً، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمته مرحومة، أعطيهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا إلى كل صلاة، كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم. يا داود إني فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها، أعطيتهم ستّ خصال لم أعطها غيرهم من الأمم: لا أو آخذهم بالخطأ والنسيان، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إن استغفروني منه غفرته لهم، [وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم جعلته لهم أضعافاً مضاعفة][1] ولهم في المدخر عندي أضعاف مضاعفة وأفضل من ذلك، وأعطيتهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم، فإن دعوني استجبت لهم فإما أن يروه عاجلاً؛ وإما أن أصرف عنهم سوءاً، وإما أن أدخره لهم في الآخرة، يا داود من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له صادقاً بها، فهو معي في جنتي وكرامتي، ومن لقيني وقد كذب محمداً أو كذب بما جاء به، واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صَبّاً، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار.

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا الشريف أبو الفتح العمري، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي شريح الهروي، حدّثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدّثنا عبد الله بن شبيب أبو سعيد، حدّثني محمد بن عمر بن سعيد ـ يعني ابن محمد بن جبير بن مطعم ـ قال: حدثتني أمّ عثمان بنت سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيها عن أبيه قال: سمعت أبي جبير بن مطعم يقول: لما بعث الله نبيّه ﷺ وظهر أمره بمكة، خرجت إلى الشام، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من التيمورية.

النصارى فقالوا لي: أمن الحرم أنت؟ قلت: نعم، قالوا: فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت: نعم، قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل وصور، فقالوا لي: انظر هل ترى صورة هذا النبيّ الذي بعث فيكم؟ فنظرت فلم أرَ صورته، قلت: لا أرى صورته، فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير، فقالوا لي: انظر هل ترى صورته؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ، فقالوا لي: هل ترى صفته؟ قلت: نعم، قالوا: هو هذا؟ - وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ - قلت: (اللهم) نعم، أشهد أنه هو، قالوا: أتعرف هذا الذي آخذ بعقبه؟ قلت: نعم، قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده.

ورواه البخاري في التاريخ عن محمد غير منسوب، عن محمد بن عمر هذا بإسناده فذكره مختصراً، وعنده فقالوا: إنه لم يكن نبيٌّ إلاَّ بعده نبيّ إلا هذا النبيّ.

وقد ذكرنا في كتابنا التفسير عند قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية، ذكرنا ما أورده البيهقي وغيره من طريق أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال: بعثت أنا ورجلٌ من قريش إلى هِرَقل صاحب الرّوم ندعوه إلى الإسلام، فذكر اجتماعهم به وأن عرفته تنغصت حين ذكروا الله عزّ وجل، فأنزلهم في دار ضيافته ثم استدعاهم بعد ثلاث فدعا بشيء نحو الربعة العظيمة فيها بيوت صغار عليها أبواب، وإذا فيها صور الأنبياء ممثلة في قطع من حرير من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فجعل يخرج لهم واحداً واحداً ويخبرهم عنه، وأخرج لهم صورة آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم تعجل إخراج صورة رسول الله ﷺ، قال: ثم فتح باباً آخر فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا والله رسول الله ﷺ، قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، محمد رسول الله، قال: وبكينا، قال: والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس وقال: والله إِنَّهُ لهو؟ قلنا: نعم إِنَّهُ لهو كما ننظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم، ثم ذكر تمام الحديث في إخراجه بقية صور الأنبياء وتعريفه إياهما بهم، وقال في آخره قلنا له: من أين لك هذه الصور؟ لأنا نعلم أنها ما على صُوّرت عليه الأنبياء عليهم السلام؛ لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله، فقال: إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال، ثم قال: أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي وأني كنت عبداً لأشرّكم ملكة حتى أموت، قال: ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا، فلما أتينا أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه، حدثناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا، قال: فبكى أبو بكر فقال: مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم.

وقال الواقدي: حدثني علي بن عيسى الحكيمي عن أبيه، عن عامر بن ربيعة قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد المطلب

ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد برسالته، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك. قلت: هلمَّ، قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليست تفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجه قوم منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فإياك أن تخدع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكل من سأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدين وذاك، وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون لم يبقَ نبيّ غيره. قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت النبي ﷺ، قول زيد بن عمرو بن نفيل وإقرائه منه السلام، فردّ عليه السلام وترحم عليه، وقال: قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب دلائل النبوّة

وهي معنوية وحسية

فمن المعنوية: إنزال القرآن عليه، وهو أعظم المعجزات، وأبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات، لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك، مع توافر دواعي أعدائه على معارضته، وفصاحتهم وبلاغتهم، ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا، ثم تنازل إلى التحدي بسورة من مثله، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك، وأن هذا ما لا سبيل لأحد إليه أبداً، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] وهذه الآية مكية، وقال في سورة الطور وهي مكية: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣ـ ٣٤] أي إن كنتم صادقين في أنه قاله من عنده فهو بشر مثلكم فأتوا بمثل ما جاء به فإنكم مثله. وقال تعالى في سورة البقرة وهي مدنية ـ معيداً للتحدي ـ ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣، ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: ٣٧ـ٣٩] فبين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سور مثله، بل عن سورة منه وأنهم لا يستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤] أي فإن لم تفعلوا في الماضي ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدٍّ ثانٍ وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا في الحال ولا في المآل ومثل هذا التحدّي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ولا الإتيان بمثله، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف أن يعارض، فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له، ومعلوم لكل

ذي لب أن محمداً ﷺ من أعقل خلق الله بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق في نفس الأمر، فما كان ليقدم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته، وهكذا وقع، فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبداً، فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق؟ وقول كفار قريش الذي حكاه تعالى عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]. كذب منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه، بل هم يعلمون كذب أنفسهم، كما يعلمون كذب أنفسهم في قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥] قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦] أي أنزله عالم الخفيات، رب الأرض والسمٰوات، الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فإنه تعالى أوحى إلى عبده ورسوله النبيّ الأميّ الذي كان لا يحسن الكتابة ولا يدريها بالكلية، ولا يعلم شيئاً من علم الأوائل وأخبار الماضين، فقص الله عليه خبر ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء، وهو في ذلك يفصل بين الحق والباطل الذي اختلفت في إيراده جملة الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه: ٩٩-١٠٠] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾ [المائدة: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨-٥٢].

فبيَّن تعالى أن إنزال هذا الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون وحكم ما هو كائن بين الناس على مثل هذا النبيّ الأميّ وحده، كان من الدلالة على صدقه، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٥-١٧] يقول لهم: إني لا أطيق تبديل هذا من تلقاء نفسي، وإنما الله عزّ وجل هو الذي يمحو ما يشاء ويثبت وأنا مبلغ عنه وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به، لأني نشأت بين أظهركم

وأنتم تعلمون نسبي وصدقي وأمانتي، وأني لم أكذب على أحد منكم يوماً من الدهر، فكيف يسعني أن أكذب على الله عزّ وجل، مالك الضر والنفع، الذي هو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم؟ وأيّ ذنب عنده أعظم من الكذب عليه، ونسبة ما ليس منه إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ـ ٤٧] أي لو كذب علينا لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما استطاع أحد من أهل الأرض أن يحجزنا عنه ويمنعنا منه، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾. [الأنعام: ٩٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وهذا الكلام فيه الإخبار بأن الله شهيد على كل شيء، وأنه تعالى أعظم الشهداء، وهو مطلع عليّ وعليكم فيما جئتكم به عنه، وتتضمن قوة الكلام قسماً به أنه قد أرسلني إلى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن، فمن بلغه منهم فهو نذير له كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧] ففي هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله وملائكته وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية كالسمٰوات والأرضين وما بينهما وما فيهن أمور عظيمة كثيرة مبرهنة بالأدلة القطعية المرشدة إلى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧ـ ٢٨] وفي القرآن العظيم الإخبار عما مضى على الوجه الحق وبرهانه ما في كتب أهل الكتاب من ذلك شاهداً له مع كونه نزل على رجل أمي لا يعرف الكتابة ولم يعان يوماً من الدهر شيئاً من علوم الأوائل، ولا أخبار الماضين، فلم يفجأ الناس إلا بوحي إليه عما كان من الأخبار النافعة، التي ينبغي أن تذكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء، وما كان منهم من أمورهم معهم، وكيف نجّى الله المؤمنين وأهلك الكافرين، بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتي بمثلها أبد الآبدين، ودهر الداهرين، ففي مكان تقص القصة موجزة في غاية البيان والفصاحة، وتارة تبسط، فلا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق حتى كأن التالي أو السامع مشاهد لما كان، حاضر له، معاين للخبر بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤] وقال تعالى في سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

[يوسف: ١٠٢ـ ١٠٤] إلى أن قال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾﴾ [طه: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣] وعد تعالى أنه سيظهر الآيات: القرآن وصدقه وصدق من جاء به بما يخلقه في الآفاق من الآيات الدالة على صدق هذا الكتاب وفي نفس المنكرين له المكذبين ما فيه حجة عليهم وبرهان قاطع لشبههم، حتى يستيقنوا أنه منزل من عند الله على لسان الصادق، ثم أرشد إلى دليل مستقل بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣] أي في العلم بأن الله يطلع على هذا الأمر كفاية في صدق هذا المخبر عنه؛ إذ لو كان مفترياً عليه لعاجله بالعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك. وفي هذا القرآن إخبار عما وقع في المستقبل طبق ما وقع سواء بسواء، وكذلك في الأحاديث حسب ما قررناه في كتابنا التفسير، وما سنذكره من الملاحم والفتن كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] وهذه السورة من أوائل ما نزل بمكة. وكذلك قوله تعالى في سورة اقتربت وهي مكية بلا خلاف: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦] وقع مصداق هذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك. إلى أمثال هذا من الأمور البينة الواضحة، وسيأتي فصل فيما أخبر به من الأمور التي وقعت بعده عليه السلام طبق ما أخبر به. وفي القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهياً، المشتملة على الحكم البالغة التي إذا تأملها ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام إنما أنزلها العالم بالخفيات، الرحيم بعباده، الذي يعاملهم بلطفه ورحمته، وإحسانه، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي، وقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١] أي أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] أي العلم النافع والعمل الصالح. وهكذا روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لكُمَيْل بن زياد: هو كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، وحكم ما بينكم، ونبأ ما بعدكم. وقد بسطنا هذا كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة فالقرآن العظيم معجز من وجوه كثيرة: من فصاحته، وبلاغته، ونظمه، وتراكيبه، وأساليبه، وما تضمنه من الأخبار الماضية والمستقبلة، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجلية، والتحدي ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب، والتحدي بما اشتمل عليه من المعاني الصحيحة الكاملة ـ وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء ـ يعم جميع أهل الأرض من الملتين أهل الكتاب وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط وغيرهم من أصناف بني آدم في سائر الأقطار والأمصار.

وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صرف دواعي الكفرة عن معارضته

مع إنكار ذلك، أو هو سلب قدرتهم على ذلك، فقول باطل وهو مفرع على اعتقادهم أن القرآن مخلوق، خلقه الله في بعض الأجرام، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق، وقولهم: هذا كفر وباطل وليس مطابقاً لما في نفس الأمر، بل القرآن كلام الله غير مخلوق، تكلم به كما شاء تعالى وتقدس وتنزه عما يقولون علوّاً كبيراً، فالخلق كلهم عاجزون حقيقة وفي نفس الأمر عن الإتيان بمثله ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك، بل لا تقدر الرسل الذين هم أفصح الخلق وأعظم الخلق وأكملهم، أن يتكلموا بمثل كلام الله وهذا القرآن الذي يبلغه الرسول ﷺ عن الله، أسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله ﷺ، وأساليب كلامه عليه السلام المحفوظة عنه بالسند الصحيح إليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه في فصاحته وبلاغته، فيما يرويه من المعاني بألفاظه الشريفة، بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين، وهلم جرا إلى زماننا. وعلماء السلف أفصح وأعلم، وأقل تكلفاً، فيما يروونه من المعاني بألفاظهم من علماء الخلف وهذا يشهده من له ذوق بكلام الناس كما يدرك تفاوت ما بين أشعار العرب في زمن الجاهلية، وبين أشعار المولدين الذين كانوا بعد ذلك، ولهذا جاء الحديث الثابت في هذا المعنى وهو فيما رواه الإمام أحمد قائلاً: حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«ما مِنَ الأنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كانَ الَّذِي أوتيتُ وَحْياً أوْحَاهُ اللَّهُ إليَّ، فَأَرْجُو أنْ أَكُونَ أكْثَرَهُمْ تابعاً يَوْمَ القِيَامَةِ»**[1]. وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الليث بن سعد به. ومعنى هذا أن الأنبياء عليهم السلام كل منهم قد أوتي من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم سواء آمنوا به ففازوا بثواب إيمانهم أو جحدوا فاستحقوا العقوبة، وقوله: **«وَإِنَّمَا كانَ الَّذِي أُوتِيتُ»**، أي جُلُّهُ وَأَعْظَمُهُ، الوحي الذي أوحاه إليه، وهو القرآن، الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده، فإن البراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، وأما القرآن، فهو حجة قائمة كأنما يسمعه السامع من في رسول الله ﷺ فحجة الله قائمة به في حياته عليه السلام وبعد وفاته، ولهذا قال: **«فَأَرْجُو أنْ أكونَ أكْثَرَهُمْ تابعاً يومَ القِيَامَةِ»** أي لاستمرار ما آتاني الله من الحجة البالغة والبراهين الدامغة، فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تبعاً.

فصل

ومن الدلائل المعنوية: أخلاقه عليه السلام الطاهرة، وخلقه الكامل، وشجاعته وحلمه وكرمه وزهده وقناعته وإيثاره وجميل صحبته، وصدقه وأمانته وتقواه وعبادته وكرم أصله وطيب مولده ومنشئه ومرباه كما قدمناه مبسوطاً في مواضعه، وما أحسن ما ذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية رحمه الله في كتابه الذي رد فيه على فرق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم، فإنه ذكر في آخره دلائل النبوة، وسلك فيها مسالك حسنة صحيحة منتجه

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام باب ١ .

بكلام بليغ يخضع له كل من تأمله وفهمه. قال في آخر هذا الكتاب المذكور:

فصل

وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته، أي من دلائل نبوته. قال وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته من آياته، ودينهم من آياته، وكرامات صالحي أمته من آياته، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث، ومن حين بعث إلى أن مات، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأتِ بعد إبراهيم نبي إلا من ذريته، وجعل الله له ابنين: إسماعيل وإسحاق، وذكر في التوراة هذا وهذا، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن من ولد إسماعيل من ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولاً منهم. ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إلى حجه، ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم، مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف. وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفاً بالصدق والبرّ ومكارم الأخلاق والعدل وترك الفواحش والظلم وكلّ وصف مذموم، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة، ولا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه، ولا جرت عليه كذبة قط، ولا ظلم ولا فاحشة، وقد كان ﷺ خَلْقُهُ وصورته من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالَّةِ على كماله، وكان أمياً من قوم أميين لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب [من][1] التوراة والإنجيل، ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس، ولا جالس أهلها، ولم يدَّع نبوة إلى أن أكمل [الله][1] له أربعين سنة، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره، وأخبر بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله، ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس، وكذبه أهل الرياسة وعادوه، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكلّ طريق، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم، والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم إياها، ولا كان له سيف، بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم، لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة، وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فيجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب، وجفاء الجافي، وإعراض المعرض، إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي يخبرهم به اليهود، وكانوا سمعوا من أخباره أيضاً ما عرفوا به مكانته فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع

(١) ما بين المعقوفين من التيمورية.

عشرة سنة، فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم، وعلى الجهاد معه، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة، وبها المهاجرون والأنصار وليس فيهم من آمن برغبة دنيوية، ولا برهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم، ثم أذن له في الجهاد، ثم أمر به، ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها، من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال، من حرب وسلم، وأمن وخوف، وغنى وفقر، وقدرة وعجز، وتمكن وضعف، وقلة وكثرة، وظهور على العدو تارة، وهو على ذلك كله لازم لأكمل الطرق وأتمها، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرمة، وقطيعة الأرحام، لا يعرفون آخرة ولا معاداً، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم، حتى أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء.

وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم تعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين.

وهو ﷺ مع ظهور أمره، وطاعة الخلق له، وتقديمهم له على الأنفس والأموال، مات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً، ولا شاة ولا بعيراً، إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقاً[1] من شعير ابتاعها لأهله، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين، فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك وهو في كل وقت يظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه، ويخبرهم بما كان وما يكون، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء، حتى أكمل الله دينه الذي بعثه به، وجاءت شريعته أكمل شريعة، لم يبقَ معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه، لم يأمر بشيء فقيل: ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقيل: ليته لم ينهِ عنه، وأحل لهم الطيبات لم يحرم منها شيئاً كما حرم في شريعة غيره، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئاً كما استحل غيره، وجمع محاسن ما عليه الأمم، فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به على أكمل وجه، وأخبر بأشياء ليست في الكتب وليس في الكتب إيجاب لعدل وقضاء بفضل وندب إلى الفضائل وترغيب في الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه، وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فضلها ورجحانها، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع، وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة، وإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله، ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً، وإذا قيس سخاؤهم وبرّهم وسماحة أنفسهم بغيرهم، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم. وهذه الفضائل به نالوها،

(١) الوسق: الحمل.

ومنه تعلموها، وهو الذي أمرهم بها، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده عن الحواريين ومن بعض الحواريين، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا ـ لما غيروا [من][1] دين المسيح ـ في دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح. وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرؤون كتاباً، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته، وهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل، فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧] وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ [البقرة: ٢٢٨٤ـ٢٨٦] الآية. وأمته عليه الصلاة والسلام لا يستحلون أن يوجدوا شيئاً من الدين غير ما جاء به، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يشرعون الدين ما لم يأذن به الله، لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم، اعتبروا به، وما حدثهم أهل الكتاب موافقاً لما عندهم صدقوه، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه، وما عرفوا بأنه باطل كذبوه، ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم، كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع.

وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم، ومن خرج عن ذلك كان مذموماً مدحوراً عند الجماعة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، الظاهرين إلى قيام الساعة، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ولا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»** وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً، ودين محمد ﷺ خصوصاً، ومن خالف في هذا الأصل كان عندهم ملحداً مذموماً، ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً ما قام به أكابر علمائهم وعبادهم وقاتل عليه ملوكهم، ودان به جمهورهم، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء، والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع، والعمل الصالح، فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة، وإنما دخل في البدع من قصر في اتباع الأنبياء علماً وعملاً. ولما بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد، أخذوه عن نبيهم كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم في جميع

---

(١) ما بين المعقوفين من التيمورية.

الفضائل، العلمية والعملية، ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلّم هو في الأصل المعلّم، وهذا يقتضي أنه ﷺ كان أكمل الناس علماً وديناً. وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] لم يكن كاذباً مفترياً، فإن هذا القول لا يقوله إلاّ مَنْ هو من خيار الناس وأكملهم، إن كان صادقاً، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم إن كان كاذباً، وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل؛ فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين، وهذا يستلزم أنه كان صادقاً في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] لأن الذي لم يكن صادقاً إما أن يكون متعمداً للكذب أو مخطئاً والأول يوجب أنه كان ظالماً غاوياً، والثاني يقتضي أنه كان جاهلاً ضالاً، ومحمد ﷺ كان علمه ينافي جهله، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلاً يكذب بلا علم، وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقاً عالماً بأنه صادق ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين فقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١ ـ ٤] وقال تعالى عن الملك الذي جاء به: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١] ثم قال عنه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير: ٢٢ ـ ٢٤] أي بمتهم أو بخيل كالذي لا يُعلّم إلا بجُعْل أو لمن يكرمه. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧﴾ [التكوير: ٢٥ ـ ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥] إلى قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ۝٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣] بيّن سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه، فإن الشيطان يقصد الشر، وهو الكذب والفجور، ولا يقصد الصدق والعدل، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب إمّا عمداً وإما خطأ وفجوراً أيضاً فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضاً كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة: أقول فيها برأي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، فإن رسول الله بريء من تنزل الشياطين عليه في العمد والخطأ، بخلاف غير الرسول فإنه قد يخطىء ويكون خطأه من الشيطان، وإن كان خطأه مغفوراً له، فإذا لم يعرف له خبراً أخبر به كان فيه مخطئاً، ولا أمراً أمر به كان فيه فاجراً علم أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملك كريم، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٣﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣] انتهى ما ذكره، وهذا عين ما أورده.

باب دلائل النبوة الحسية

ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر المنير فرقتين، قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ

﴿مُسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: ١ ـ ٥] وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة.

رواية أنس بن مالك. قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر عن قتادة عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾. ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق. وقال البخاري: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدّثنا بشر بن المفضل، حدّثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما. وأخرجاه في الصحيحين من حديث شيبان عن قتادة، ومسلم من حديث شعبة عن قتادة.

رواية جبير بن مطعم

قال أحمد: حدّثنا محمد بن كثير، حدّثنا سليمان بن بكير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل وفرقةٌ على هذا الجبل، فقالوا: سحَرَنا محمدٌ، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحرَ الناسَ. تفرد به أحمد. ورواية ابن جرير والبيهقي من طرق عن حصين بن عبد الرحمن به.

رواية حذيفة بن اليمان

قال أبو جعفر بن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن علية، أنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه، فخطبنا حذيفة فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق. فقلت لأبي: أتستبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرها فخطب حذيفة، فقال: ألا إن الله يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإنَّ الدنيا قد آذنت بفراق، [ورواه أبو زُرعة الرازي في كتاب دلائل النبوة من غير وجه عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن حذيفة فذكر نحوه، وقال: ألا وإن القمر قد انشقَّ على عهد رسول الله ﷺ][1] ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة.

رواية عبد الله بن عباس

قال البخاري: حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: انشقَّ القمر في زمان النبي ﷺ. ورواه

(١) ما بين المعقوفين زيادة من التيمورية.

البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة به.

طريق أخرى عنه ـ قال ابن جرير: حدّثنا ابن مثنى، حدّثنا عبد الأعلى، حدّثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه. وروى العوفي عن ابن عباس نحواً من هذا. وقد روي من وجه آخر عن ابن عباس فقال أبو القاسم الطبراني: حدّثنا أحمدُ بن عمرو البزار، حدّثنا محمد بن يحيى القطيعي، حدّثنا محمد بن بكير، حدّثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتَ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ وهذا سياق غريب. وقد يكون حصل للقمر مع انشقاقه كسوف فيدل على أن انشقاقه إنما كان في ليالي إبداره والله أعلم.

رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا العباس بن محمد الدوري: حدّثنا وهب بن جرير، عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر بن الخطاب في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾. قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشقَّ فلقتين فَلقةٌ من دون الجبل وفلقة من خلفِ الجبل فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اشهَدْ» وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي: حسن صحيح.

رواية عبد الله بن مسعود

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: «انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ شِقَّتيْنِ حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ اشهَدُوا»[1]. ورواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة، وأخرجاه من حديث الأعمش عن إبراهيم بن أبي معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود به. قال البخاري: وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة. وهذا الذي علقه البخاري قد أسنده أبو داود الطيالسي في مسنده، فقال: حدّثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق بن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتينا به السفّار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السُفّار فقالوا ذلك.

وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن ابن عباس الدوري عن سعيد بن سليمان عن

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٣٦، وأحمد في المسند ١/ ٤١٣.

هشام عن مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة، انظروا المسافرين فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار ـ وقدموا من كل وجهةٍ ـ فقالوا: رأيناه. ورواه ابن جرير من حديث المغيرة وزاد: فأنزل الله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾. وقال الإمام أحمد: حدّثنا مؤمل عن إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرقتي القمر. وروى ابن جرير عن يعقوب الدوري عن ابن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال: نبئت أن ابن مسعود كان يقول: لقد انشق القمر، ففي صحيح البخاري من حديث الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه كان يقول: خمس قد مضين: الروم، واللزام، والبطشة والدخان والقمر، في حديث طويل عنه مذكور في تفسير سورة الدخان، وقال أبو زرعة في الدلائل: حدّثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، حدّثنا الوليد، عن الأوزاعي عن ابن بكير قال: انشقَّ القمر بمكة والنبي ﷺ قبل الهجرة فخرَّ شقتين فقال المشركون: سحره ابن أبي كبشة، وهذا مرسل من هذا الوجه فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة، وشهرة هذا الأمر تغني عن إسناده مع وروده في الكتاب العزيز. وما ذكره بعض القصاص من أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه، ونحو هذا الكلام فليس له أصل يعتمد عليه، والقمر في حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرق باثنتين وسارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حراء، والأخرى من الناحية الأخرى، وصار الجبل بينهما، وكلتا الفرقتين في السماء وأهل مكة ينظرون إلى ذلك، وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه.

فإن قيل: فلم لم يعرف هذا في جميع أقطار الأرض؟ فالجواب ومن ينفي ذلك، ولكن تطاول العهد والكفرة يجحدون بآيات الله، ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبيّ المبعوث، تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمانه وتناسيه، على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلاً بالهند مكتوباً عليه أنه بني في الليلة التي انشقَّ القمر فيها. ثم لما كان انشقاق القمر ليلاً قد يخفى أمره على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته في تلك الساعة، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة في بلدانهم، ولنوم كثير منهم، أو لعله كان في أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس وغير ذلك من الأمور والله أعلم. وقد حررنا هذا فيما تقدم في كتابنا التفسير.

فأما حديث رد الشمس بعد مغيبها فقد أنبأني شيخنا المسند الرحلة بهاء الدين القاسم بن المظفر بن تاج الأمناء ابن عساكر إذناً وقال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عساكر المشهور بالنسابة، قال أخبرنا أبو المظفر بن القشيري وأبو القاسم المستملي قالا: حدّثنا أبو عثمان المحبر أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الدبابعابي[1] بها، أنا محمد بن

(١) كذا بالأصل من دون إعجام.

أحمد بن محبوب. وفي حديث ابن القشيري: حدّثنا أبو العباس المحبوبي، حدّثنا سعيد بن مسعود ح، قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر وأخبرنا أبو الفتح الماهاني، أخبرنا شجاع بن علي، أخبرنا أبو عبد الله بن منده، أخبرنا عثمان بن أحمد النسي، أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى، حدّثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن، زاد أبو أمية بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «صَلَّيتَ العَصْرَ؟» وقال أبو أمية: «صَلَّيتَ يا عَلِيُّ؟» قال: لا، قال رسول الله ﷺ، وقال أبو أمية: فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ نَبِيِّكَ»، وقال أبو أمية: «رَسُولِكَ» فَارْدُدْ عَلَيْه الشَّمْسَ، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت. وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله بن منده كما تقدم ومن طريق أبي جعفر العقيلي: حدّثنا أحمد بن داود، حدّثنا عمار بن مطر، حدّثنا فضيل بن مرزوق فذكره، ثم قال: وهذا حديث موضوع، وقد اضطرب الرواة فيه فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أسماء. وهذا تخليط في الرواية.

قال: وأحمد بن داود ليس بشيء، قال الدارقطني متروك كذاب، وقال ابن حبان كان يضع الحديث. وعمار بن مطر قال فيه العقيلي: كان يحدث عن الثقات بالمناكير، وقال ابن عدي: متروك الحديث. قال: وفضيل بن مرزوق قد ضعفه يحيى، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات ويخطىء عن الثقات، وبه قال الحافظ ابن عساكر. قال: وأخبرنا أبو محمد عن طاوس، أخبرنا عاصم بن الحسن أخبرنا أبو عمرو بن مهدي، أنا أبو العباس بن عقدة، حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفيّ، حدّثنا عبد الرحمن بن شريك، حدثني أبي عن عروة بن عبد الله بن قشير قال: دخلت على فاطمة بنت علي فرأيت في عنقها خرزة، ورأيت في يديها مسكتين غليظتين ـ وهي عجوز كبيرة ـ فقلت لها: ما هذا؟ فقالت: إنه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجال، ثم حدثتني أن أسماء بنت عميس حدثتها أن علي بن أبي طالب دفع إلى النبي ﷺ وقد أوحي إليه فجلله بثوبه فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس يقول: غابت أو كادت أن تغيب، ثم إن نبي الله ﷺ سُرّي عنه فقال: «أصليت يا علي؟» قال: لا، فقال النبيّ ﷺ: «اللهم ردّ على عليّ الشمس»، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد، قال عبد الرحمن: وقال أبي حدثني موسى الجهني نحوه. ثم قال الحافظ ابن عساكر: هذا حديث منكر، وفيه غير واحد من المجاهيل. وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات: وقد روى ابن شاهين هذا الحديث عن ابن عقدة فذكره، ثم قال: وهذا باطل، والمتهم به ابن عقدة، فإنه كان رافضياً يحدث بمثالب الصحابة، قال الخطيب: حدّثنا علي بن محمد بن نصر، سمعت حمزة بن يوسف يقول: كان ابن عقدة بجامع براثا يملي مثالب الصحابة أو قال: الشيخين فتركته، وقال الدارقطني: كان ابن عقدة رجل سوء، وقال ابن عدي: سمعت أبا بكر بن أبي غالب يقول: ابن عقدة لا يتدين

بالحديث لأنه كان يحمل شيوخاً بالكوفة على الكذب فيسوّي لهم نسخاً ويأمرهم أن يرووها، وقد بيّنا كذبه من عند[١] شيخ بالكوفة.

وقال الحافظ أبو بشر الدولابي في كتابه «الذرية الطاهرة»: **حدّثنا** إسحاق بن يونس، حدّثنا سويد بن سعيد، حدّثنا المطلب بن زياد عن إبراهيم بن حبان عن عبد الله بن حسن عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين قال: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي وهو يوحى إليه فذكر الحديث بنحو ما تقدم، إبراهيم بن حبان هذا تركه الدارقطني وغيره، وقال محمد بن ناصر البغدادي الحافظ: هذا الحديث موضوع، قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وصدق ابن ناصر، وقال ابن الجوزي: وقد رواه ابن مردويه من طريق حديث داود بن واهج[٢] عن أبي هريرة قال: نام رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فلما قام رسول الله دعا له فردّت عليه الشمس حتى صلى ثم غابت ثانية. ثم قال: وداود ضعفه شعبة، ثم قال ابن الجوزي ومن تغفيل واضع هذا الحديث أنه نظر إلى صورة فضله ولم يتلمح عدم الفائدة فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء فرجوع الشمس لا يعيدها أداء، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ: **«أن الشمس لم تحبس على أحد إلا ليوشع»**. قلت: هذا الحديث ضعيف منكر من جميع طرقه فلا تخلو واحدة منها عن شيعي ومجهول الحال وشيعي ومتروك ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد إذا اتصل سنده، لأنه من باب ما تتوفر الدواعي على نقله فلا بد من نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك، ونحن لا ننكر هذا في قدرة الله تعالى وبالنسبة إلى جناب رسول الله ﷺ، فقد ثبت في الصحيح أنها ردت ليوشع بن نون، وذلك يوم حاصر بيت المقدس، واتفق ذلك في آخر يوم الجمعة وكانوا لا يقاتلون يوم السبت فنظر إلى الشمس وقد تنصفت للغروب فقال: إنك مأمورة، وأنا مأمور. اللهم احبسها علي، فحبسها الله عليه حتى فتحوها. ورسول الله ﷺ أعظم جاهاً وأجلّ منصباً وأعلى قدراً من يوشع بن نون، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق ولكن لا نقول إلا ما صح عندنا عنه ولا نسند إليه ما ليس بصحيح، ولو صح لكنا من أول القائلين به، والمعتقدين له وبالله المستعان. وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخاري في كتابه «إثبات إمامة أبي بكر الصديق» فإن قال قائل من الروافض: إن أفضل فضيلة لأبي الحسن وأدل دليل على إمامته ما روي عن أسماء بنت عميس قالت: كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُوحَى إليهِ وَرَأْسُهُ في حجرِ عَلِيٍّ بن أبي طالب فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «صَلَّيْتَ؟» قال: لا. فقال رسول الله: **«اللهمّ إنَّهُ كانَ في طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فاردد عليه الشمس»**، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت. قيل له: كيف لنا لو صح هذا الحديث فنحتج على مخالفينا من اليهود والنصارى، ولكن الحديث ضعيف جدّاً لا أصل له، وهذا مما كسبت أيدي الروافض، ولو رُدَّت الشمس بعدما غربت لرآها المؤمن والكافر ونقلوا إلينا أن في يوم كذا من شهر كذا في

(١) كذا. ولعله: عن غير.

(٢) في التيمورية: فرايح.

سنة كذا ردت الشمس بعدما غربت. ثم يقال للروافض: أيجوز أن تردَّ الشمس لأبي الحسن حين فاتته صلاة العصر، ولا تردّ لرسول الله ولجميع المهاجرين والأنصار وعلي فيهم حين فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق؟. قال: وأيضاً مرة أخرى عرس رسول الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار حين قفل من غزوة خيبر، فذكر نومهم عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس، قال: فلم يرد الليل على رسول الله وعلى أصحابه، قال: ولو كان هذا فضلاً أعطيه رسول الله وما كان الله ليمنع رسوله شرفاً وفضلاً - يعني أعطيه علي بن أبي طالب - ثم قال: وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: قلت لمحمد بن عبيد الطنافسي ما تقول فيمن يقول: رجعت الشمس على عليّ بن أبي طالب حتى صلّى العصر؟ فقال: من قال هذا فقد كذب. وقال إبراهيم بن يعقوب: سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت: إن ناساً عندنا يقولون: إن علياً وصيّ رسول الله ﷺ ورجعت عليه الشمس، فقال: كذب هذا كله.

فصل إيراد هذا الحديث من طرق متفرقة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكاني يصنف فيه تصحيح رد الشمس وترغيم النواصب الشمس

وقال: قد روي ذلك من طريق **أسماء بنت عميس وعليّ بن أبي طالب، وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري**، ثم رواه من طريق **أحمد بن صالح المصري، وأحمد بن الوليد الأنطاكي، والحسن بن داود ثلاثتهم عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك**، و هو ثقة **أخبرني** محمد بن موسى الفطري المدني وهو ثقة أيضاً عن عون بن محمد، وهو ابن محمد ابن الحنفية عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ **صلى** الظهر بالصهباء من أرض خيبر ثم أرسل علياً في حاجة فجاء وقد صلى رسول الله العصر فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غربت الشّمس فقال رسول الله ﷺ: **«اللهمَّ إنَّ عَبْدَكَ عَلياً احْتَبَسَ نَفْسَهُ على نَبِيِّهِ فَرُدَّ عَلَيْهِ شَرْقَهَا»**، قالت أسماء: فطلعتِ الشمس حتى رفعت على الجبال فقامَ عليّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس. وهذا الإسناد فيه من يجهل حاله فإن عوناً هذا وأمه لا يعرف أمرهما بعدالة وضبط يقبل بسببهما خبرهما فيما هو دون هذا المقام، فكيف يثبت بخبرهما هذا الأمر العظيم الذي لم يروه أحد من أصحاب الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المشهورة فالله أعلم. ولا ندري أسمعت أم هذا من جدتها أسماء بنت عميس أم لا، ثم أورده هذا المصري من طريق الحسين بن الحسن الأشقر وهو شيعيّ جلد وضعفه غير واحد عن الفضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسين بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين الشهيد عن أسماء بنت عميس فذكر الحديث.

قال وقد رواه عن فضيل بن مرزوق جماعة منهم: عبد الله بن موسى، ثم أورده من طريق أبي جعفر الطحاوي من طريق عبد الله. وقد قدمنا روايتنا له من حديث سعيد بن مسعود

وأبي أمية الطرسوسي عن عبيد الله بن موسى العبسي، وهو من الشيعة. ثم أورده هذا المصري من طريق أبي جعفر العقيلي عن أحمد بن داود عن عمار بن مطر عن فضيل بن مرزوق والأغر الرقاشي ويقال الرواسي أبو عبد الرحمن الكوفي مولى بني عنزة وثقه الثوري وابن عيينة.

وقال أحمد: لا أعلم إلا خيراً وقال ابن معين: ثقة، وقال مرة: صالح ولكنه شديد التشيع، وقال مرة: لا بأس به، وقال أبو حاتم صدوق صالح الحديث يهم كثيراً يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: يقال: إنه ضعيف، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عديّ: أرجو أن لا بأس به. وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً كان يخطىء على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات.

وقد روى له مسلم وأهل السنن الأربعة. فمن هذه ترجمته لا يتهم بتعمد الكذب ولكنه قد يتساهل ولا سيما فيما يوافق مذهبه فيروي عمن لا يعرفه أو يحسن به الظن فيدلس[1] حديثه ويسقطه ويذكر شيخه ولهذا قال في هذا الحديث الذي يجب الاحتراز فيه وتوقي الكذب فيه «عن» بصيغة التدليس، ولم يأتِ بصيغة التحديث فلعل بينهما من يجهل أمره، على أن شيخه هذا ـ إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ ليس بذلك المشهور في حاله ولم يرو له أحد من أصحاب الكتب المعتمدة، ولا روى عنه غير الفضيل بن مرزوق هذا ويحيى بن المتوكل، قاله أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان ولم يتعرضا لجرح ولا تعديل. وأما فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ـ وهي أخت زين العابدين ـ فحديثها مشهور روى لها أهل السنن الأربعة، وكانت فيمن قدم بها مع أهل البيت بعد مقتل أبيها إلى دمشق، وهي من الثقات ولكن لا يدرى أسمعت هذا الحديث من أسماء أم لا؟ فالله أعلم. ثم رواه هذا المصنف من حديث أبي حفص الكناني: حدّثنا محمد بن عمر القاضي هو الجعابي، حدثني محمد بن القاسم بن جعفر العسكري من أصل كتابه، حدّثنا أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم، حدّثنا خلف بن سالم، حدّثنا عبد الرزاق حدّثنا سفيان الثوري عن أشعث أبي الشعثاء عن أمه عن فاطمة ـ يعني بنت الحسين ـ عن أسماء أن رسول الله ﷺ دعا لعلي حتى ردت عليه الشمس، وهذا إسناد غريب جدّاً وحديث عبد الرزاق وشيخه الثوري محفوظ عند الأئمة لا يكاد يترك منه شيء من المهمات فكيف لم يرو عن عبد الرزاق مثل هذا الحديث العظيم إلا خلف بن سالم بما قبله من الرجال الذين لا يعرف حالهم في الضبط والعدالة كغيرهم؟ ثم إن أم أشعث مجهولة فالله أعلم. ثم ساقه هذا المصنف من طريق محمد بن مرزوق: حدّثنا حسين الأشقر ـ وهو شيعي وضعيف كما تقدم ـ عن علي بن هاشم بن الشريد ـ وقد قال فيه ابن حبان: كان غالياً في التشيع يروي المناكير عن المشاهير ـ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسين بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عميس فذكره، وهذا إسناد لا يثبت.

ثم أسنده من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن عروة بن عبد الله عن فاطمة بنت

---

(١) دلس تدليساً: أتى في حديثه بغير الثابت المتعين.

عليّ عن أسماء بنت عميس فذكر الحديث كما قدمنا إيراده من طريق ابن عقدة عن أحمد بن يحيى الصوفي عن عبد الرحمن بن شريك عن عبد الله النخعي. وقد روى عنه البخاري في كتاب الأدب وحدث عنه جماعة من الأئمة وقال فيه أبو حاتم الرازي كان واهي الحديث وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: ربما أخطأ، وأرخ ابن عقدة وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين وقد قدمنا أن الشيخ أبا الفرج بن الجوزي قال: إنما اتهم بوضعه أبا العباس بن عقدة، ثم أورد كلام الأئمة فيه بالطعن والجرح وأنه كان يسوّي النسخ للمشايخ فيرويهم إياها والله أعلم. قلت: في سياق هذا الإسناد عن أسماء أن الشمس رجعت حتى بلغت نصف المسجد، وهذا يناقض ما تقدم من أن ذلك كان بالصهباء من أرض خيبر، ومثل هذا يوجب توهين الحديث وضعفه والقدح فيه. ثم سرده من حديث محمد بن عمر القاضي الجعابي: حدّثنا علي بن العباس بن الوليد، حدّثنا عبادة بن يعقوب الرواجي، حدّثنا علي بن هاشم عن صباح عن عبد الله بن الحسن ـ أبي جعفر ـ عن حسين المقتول عن فاطمة عن أسماء بنت عميس قالت: لما كان يوم شغل علي لمكانه من قسم المغنم حتى غربت الشمس أو كادت، فقال رسول الله ﷺ: «أما صليت؟» قال: لا، فدعا الله فارتفعت الشمس حتى توسطت السماء فصلى عليّ، فلما غربت الشمس سمعت لها صريراً كصرير الميشار في الحديد. وهذا أيضاً سياق مخالف لما تقدم من وجوه كثيرة مع أن إسناده مظلم جداً فإن صباحاً هذا لا يعرف وكيف يروي الحسين بن علي المقتول شهيداً عن واحد عن واحد عن أسماء بنت عميس؟ هذا تخبيط إسناداً ومتناً، ففي هذا أنَّ علياً شغل بمجرد قسم الغنيمة، وهذا لم يقله أحد ولا ذهب إلى جواز ترك الصلاة لذلك ذاهب، وإن كان قد جوز بعض العلماء تأخير الصلاة عن وقتها لعذر القتال كما حكاه البخاري عن مكحول والأوزاعي وأنس بن مالك في جماعة من أصحابه، واحتجّ لهم البخاري بقصة تأخير الصلاة يوم الخندق وأمره عليه السلام أن لا يصلي أحد منهم العصر الا في بني قريظة، وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا نسخ بصلاة الخوف، والمقصود أنه لم يقل أحد من العلماء إنه يجوز تأخير الصلاة بعذر قسم الغنيمة حتى يسند هذا إلى صنيع عليّ رضي الله عنه، وهو الراوي عن رسول الله ﷺ أن الوسطى هي العصر، فإن كان هذا ثابتاً على ما رواه هؤلاء الجماعة وكان عليّ متعمداً لتأخير الصلاة لعذر قسم الغنيمة وأقره عليه الشارع صار هذا وحده دليلاً على جواز ذلك ويكون أقطع في الحجة مما ذكره البخاري، لأن هذا بعد مشروعية صلاة الخوف قطعاً، لأنه كان بخيبر سنة سبع، وصلاة الخوف شرعت قبل ذلك، وإن كان عليّ ناسياً حتى ترك الصلاة إلى الغروب فهو معذور فلا يحتاج إلى ردّ الشمس بل وقتها بعد الغروب والحالة هذه إذن كما ورد به الحديث والله أعلم.

وهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث، ثم إن جعلناه قضية أخرى وواقعة غير ما تقدم، فقد تعدد رد الشمس غير مرة ومع هذا لم ينقله أحد من أئمة العلماء ولا رواه أهل الكتب المشهورة، وتفرد بهذه الفائدة هؤلاء الرواة الذين لا يخلو إسناد منها عن مجهول ومتروك ومتّهم والله أعلم. ثم أورد هذا المصنف من طريق أبي العباس بن عقدة: حدّثنا يحيى بن زكريا،

حدّثنا يعقوب بن سعيد، حدّثنا عمرو بن ثابت قال: سألت عبد الله بن حسن بن حسين بن علي [بن أبي طالب] عن حديث رد الشمس على عليّ بن أبي طالب: هل يثبت عندكم؟ فقال لي: ما أنزل الله في كتابه أعظم من ردّ الشمس، قلت: صدقت (جعلني الله فداك) ولكني أحبّ أن أسمعه منك، فقال: حدثني أبي - الحسن - عن أسماء بنت عميس أنها قالت: أقبل علي بن أبي طالب ذات يوم وهو يريد أن يصلي العصر مع رسول الله ﷺ فوافق رسول الله ﷺ قد انصرف ونزل عليه الوحي فأسنده إلى صدره [فلم يزل مسنده إلى صدره] حتى أفاق رسول الله ﷺ فقال: «**أَصَلَّيْتَ العَصْرَ يا عَلِيُّ؟**» قال: جئتُ والوحيُ ينزلُ عليكَ فلم أَزَلْ مُسْنِدَكَ إلى صَدْرِي حتى السَّاعة، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة - وقد غربت الشمس - وقال: «**اللهمَّ إنَّ عَلِيّاً كان في طَاعَتِكَ فَارْدُدْها عَلَيْهِ**»، قالت أسماء: فأقبلتِ الشمسُ ولها صريرٌ كصرير الرَّحى حتى كانت في موضعها وقت العصر، فقام عليٌّ متمكناً فصلى، فلما فرغ رجعت الشمس ولها صرير كصرير الرحى، فلما غابت اختلط الظلام وبدت النجوم. وهذا منكر أيضاً إسناداً ومتناً وهو مناقض لما قبله من السياقات، وعمرو بن ثابت هذا هو المتهم بوضع هذا الحديث أو سرقته من غيره، وهو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري الكوفي مولى بكر بن وائل، ويعرف بعمرو بن المقدام الحداد، روى عن غير واحد من التابعين وحدث عنه جماعة منهم سعيد بن منصور وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيان، قال: تركه عبد الله بن المبارك وقال: لا تحدثوا عنه فإنه كان يسب السلف، ولما مرت به جنازته توارى عنها، وكذلك تركه عبد الرحمن بن مهدي، وقال ابن معين والنسائي: ليس بثقة ولا مأمون ولا يكتب حديثه. وقال مرة أخرى هو وأبو زرعة وأبو حاتم: كان ضعيفاً، زاد أبو حاتم: وكان رديء الرأي شديد التشيع لا يكتب حديثه، وقال البخاري: ليس بالقويّ عندهم، وقال أبو داود: كان من شرار الناس كان رافضيّاً خبيثاً رجل سوء قال هنا: ولما مات لم أصلّ عليه لأنه قال لما مات رسول الله ﷺ: كفر الناس إلا خمسة، وجعل أبو داود يذمه.

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات وقال ابن عديّ: والضعف على حديثه بين، وأرخوا وفاته في سنة سبع وعشرين ومائة، ولهذا قال شيخنا أبو العباس بن تيمية: وكان عبد الله بن حسن وأبوه أجلَّ قدراً من أن يحدثا بهذا الحديث قال هذا المصنّف المنصف: وأما حديث أبي هريرة فأخبرنا عقيل بن الحسن العسكري، أخبرنا أبو محمد صالح بن الفتح النسائي، حدّثنا أحمد بن عمير بن جوصاء، حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدّثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي عن أبيه، حدّثنا داود بن فراهيج، وعن عمارة بن برد وعن أبي هريرة فذكره. وقال: اختصرته من حديث طويل، وهذا إسناد مظلم ويحيى بن يزيد وأبوه وشيخه داود بن فراهيج كلهم مضعفون، وهذا هو الذي أشار ابن الجوزي إلى أن ابن مردويه رواه من طريق داود بن فراهيج عن أبي هريرة وضعف داود هذا شعبة والنسائي وغيرهما والذي يظهر أن هذا مفتعل من بعض الرواة، أو قد دخل على أحدهم وهو لا يشعر (والله أعلم) قال: وأما حديث أبي سعيد فأخبرنا محمد بن إسماعيل الجرجاني كتابة أن أبا طاهر محمد بن

علي الواعظ أخبرهم: أخبرنا محمد بن أحمد بن متيم، أخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب: حدثني أبي عن أبيه محمد عن أبيه عبد الله عن أبيه عمر قال: قال الحسين بن عليّ سمعت أبا سعيد الخدري يقول: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا رأسه في حجر علي وقد غابت الشمس فانتبه النبي ﷺ وقال: **«يا عليّ أصليت العصر؟»** قال: لا يا رسول الله ما صليت كرهت أن أضع رأسك من حجري وأنت وجع، فقال رسول الله: «يا عليّ ادْعُ يا عَلِيّ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْكَ الشَّمْسُ، فقال عليّ يا رسولَ الله ادْعُ أَنْتَ وَأنا أُؤَمِّنُ ، فقال: **«يا رَبِّ إنَّ عَلِياً فِي طاعَتِكَ وَطَاعَةِ نَبِيِّكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ»**، قال أبو سعيد: فوالله لقد سمعت للشمس صريراً كصرير البكرة حتى رجعت بيضاء نقية. وهذا إسناد مظلم أيضاً ومتنهُ منكر، ومخالف لما تقدمه من السياقات، وكل هذا يدل على أنه موضوع مصنوع مفتعل يسرقه هؤلاء الرافضة بعضهم من بعض، ولو كان له أصل من رواية أبي سعيد لتلقاه عنه كبار أصحابه كما أخرجا في الصحيحين من طريقه حديث قتال الخوارج، وقصة المخدج وغير ذلك من فضائل عليّ.

قال: وأما حديث أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه فأخبرنا أبو العباس الفرغاني، أخبرنا أبو الفضل الشيباني، حدّثنا رجاء بن يحيى الساماني، حدّثنا هارون بن سعدان بسامرا سنة أربعين ومائتين، حدّثنا عبد الله بن عمرو بن الأشعث عن داود بن الكميت عن عمه المستهلّ بن زيد عن أبيه زيد بن سلهب عن جويرية بنت شهر قالت: خرجت مع عليّ بن أبي طالب فقال: يا جويرية إن رسول الله ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجري فذكر الحديث، وهذا الإسناد مظلم وأكثر رجاله لا يعرفون والذي يظهر والله أعلم أنه مركب مصنوع مما عملته أيدي الروافض قبحهم الله ولعن من كذب على رسول الله ﷺ وعجل له ما توعده الشارع من العذاب والنكال حيث قال وهو الصادق في المقال: **«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**. وكيف يدخل في عقل أحد من أهل العلم أن يكون هذا الحديث يرويه عليّ بن أبي طالب وفيه منقبة عظيمة له ودلالة معجزة باهرة لرسول الله ﷺ، ثم لا يروى عنه إلاّ بهذا الإسناد المظلم المركب على رجال لا يعرفون، وهل لهم وجود في الخارج أم لا؟ الظاهر (والله أعلم) لا، ثم هو عن امرأة مجهولة العين والحال فأين أصحاب عليّ الثقات كعبيدة السلماني وشريح القاضي وعامر الشعبي وأضرابهم، ثم في ترك الأئمة كمالك وأصحاب الكتب الستة وأصحاب المسانيد والسنن والصحاح والحسان رواية هذا الحديث وإيداعه في كتبهم أكبر دليل على أنه لا أصل له عندهم وهو مفتعل مأفوك بعدهم، وهذا أبو عبد الرحمن النسائي قد جمع كتاباً في خصائص عليّ بن أبي طالب ولم يذكره، وكذلك لم يروه الحاكم في مستدركه وكلاهما ينسب إلى شيء من التشيع ولا رواه من رواه من الناس المعتبرين إلا على سبيل الاستغراب والتعجب، وكيف يقع مثل هذا نهاراً جهرة وهو مما تتوفر الدواعي على نقله، ثم لا يروى إلا من طرق ضعيفة منكرة وأكثرها مركبة موضوعة وأجود ما فيها ما قدمناه من طريق أحمد بن صالح المصري عن ابن أبي فديك عن محمد بن موسى الفطري عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر

عن أسماء على ما فيها من التعليل الذي أشرنا إليه فيما سلف.

وقد اغترّ بذلك أحمد بن صالح رحمه الله ومال إلى صحته، ورجح ثبوته، قال الطحاوي في كتابه مشكل الحديث: عن علي بن عبد الرحمن عن أحمد بن صالح المصري أنه كان يقول: لا ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء في رد الشمس، لأنه من علامات النبوة. وهكذا مال إليه أبو جعفر الطحاوي أيضاً فيما قيل. ونقل أبو القاسم الحسكاني هذا عن أبي عبد الله البصري المتكلم المعتزلي أنه قال: عَودُ الشمس بعد مغيبها آكد حالاً فيما يقتضي نقله، لأنه وإن كان فضيلة لأمير المؤمنين فإنه من أعلام النبوة وهو مقارن لغيره في فضائله في كثير من أعلام النبوة. وحاصل هذا الكلام يقتضي أنه كان ينبغي أن ينقل هذا نقلاً متواتراً، وهذا حق لو كان الحديث صحيحاً، ولكنه لم ينقل كذلك فدلّ على أنه ليس بصحيح في نفس الأمر والله أعلم. قلت: والأئمة في كل عصر ينكرون صحة هذا الحديث ويردونه ويبالغون في التشنيع على رواته كما قدمنا عن غير واحد من الحفاظ، كمحمد ويعلى بن عبيد الطنافسيين، وكإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه، وكالحافظ أبي القاسم ابن عساكر والشيخ أبي الفرج بن الجوزي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين، وممن صرح بأنه موضوع شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي والعلامة أبو العباس بن تيمية، وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: قرأت على قاضي القضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي: حدّثنا عبد الله بن الحسين بن موسى، حدّثنا عبد الله بن علي بن المديني قال: سمعت أبي يقول: خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله ﷺ حديث: لو صدق السائل ما أفلح من رده، وحديث لا وجع إلا وجع العين ولا غم إلا غم الدين، وحديث أن الشمس ردت على عليّ بن أبي طالب، وحديث أنا أكرم على الله من أن يدعني تحت الأرض مائتي عام، وحديث أفطر الحاجم والمحجوم إنهما كانا يغتابان والطحاوي رحمه الله وإن كان قد اشتبه عليه أمره فقد روى عن أبي حنيفة رحمه الله إنكاره والتهكم بما رواه، قال أبو العباس بن عقدة: حدّثنا جعفر بن محمد بن عمير، حدّثنا سليمان بن عباد، سمعت بشار بن دراع قال: لقي أبو حنيفة محمد بن النعمان فقال: عمن رويت حديث رد الشمس؟ فقال: عن غير الذي رويت عنه: يا سَارِيَةَ الجَبَلَ، فهذا أبو حنيفة رحمه الله وهو من الأئمة المعتبرين وهو كوفي لا يتهم على حبِّ عليّ بن أبي طالب وتفضيله بما فضله الله به ورسوله وهو مع هذا ينكر على راويه وقول محمد بن النعمان له ليس بجواب بل مجرد معارضة بما لا يجدي، أي أنا رويت في فضل عليّ هذا الحديث وهو إن كان مستغرباً فهو في الغرابة نظير ما رويته أنت في فضل عمر بن الخطاب في قوله: يا سَارِيَةَ الجَبَلَ.

وهذا ليس بصحيح من محمد بن النعمان، فإن هذا ليس كهذا إسناداً ولا متناً، وأين مكاشفة إمام (قد شهد الشارع به بأنه مُحَدَّث) بأمر خير من ردّ الشمس طالعة بعد مغيبها الذي هو أكبر علامات الساعة؟ والذي وقع ليوشع بن نون ليس ردّاً للشمس عليه، بل حبست ساعة قبل غروبها بمعنى تباطأت في سيرها حتى أمكنهم الفتح والله تعالى أعلم. وتقدم ما أورده هذا

المصري من طرق هذا الحديث عن علي وأبي هريرة وأبي سعيد وأسماء بنت عميس، وقد وقع في كتاب أبي بشر الدولابي في الذرية الطاهرة من حديث الحسين بن عليّ، والظاهر أنه عنه عن أبي سعيد الخدري كما تقدم والله أعلم. وقد قال شيخ الرافضة جمال الدين يوسف بن الحسن الملقب بابن المطهر الحليّ في كتابه في الإمامة الذي رد عليه فيه شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية قال ابن المطهر: التاسع رجوع الشمس مرتين إحداهما في زمن النبي ﷺ والثانية بعده، أما الأولى فروى جابر وأبو سعيد: أن رسول الله ﷺ نزل عليه جبريل يوماً يناجيه من عند الله، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فصلى عليّ العصر بالإيماء فلما استيقظ رسول الله ﷺ قال له: سل الله أن يرد عليك الشمس فتصلي قائماً. فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائماً. وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من الصحابة بدوابهم وصلى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر وفات كثيراً منهم فتكلموا في ذلك فسأل الله رد الشمس فردت، قال وقد نظمه الحميري فقال[الكامل]:

رُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَمَّا فَاتَهُ ... وَقْتُ الصَّلاةِ وَقَدْ دَنَتْ لِلْمَغْرِبِ
حَتَّى تَبَلَّجَ نُورُهَا فِي وَقْتِهَا ... لِلْعَصْرِ ثُمَّ هَوَتْ هُوِيَّ الكَوْكَبِ
وَعَلَيْهِ قَدْ رُدَّتْ بِبَابِلَ مَرَّةً ... أُخْرَى وَمَا رُدَّتْ لِخَلْقٍ مُقَرَّبِ

قال شيخنا أبو العباس بن تيمية رحمه الله: فضل عليّ وولايته وعلو منزلته عند الله معلوم ولله الحمد بطرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني لا يحتاج معها إلى ما لا يعلم صدقه أو يعلم أنه كذب، وحديث رد الشمس قد ذكره طائفة كأبي جعفر الطحاوي والقاضي عياض وغيرهما وعدوا ذلك من معجزات رسول الله ﷺ، لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع، ثم أورد طرقه واحدة واحدة كما قدمنا وناقش أبا القاسم الحسكاني فيما تقدم، وقد أوردنا كل ذلك وزدنا عليه ونقصنا منه والله الموفق. واعتذر عن أحمد بن صالح المصري في تصحيحه هذا الحديث بأنه اغتر بسنده، وعن الطحاوي بأنه لم يكن عنده نقل جيد للأسانيد كجهابذة الحفاظ، وقال في غضون كلامه: والذي يقطع به أنه كذب مفتعل. قلت: وإيراد ابن المطهر لهذا الحديث من طريق جابر غريب ولكن لم يسنده وفي سياقه ما يقتضي أن علياً هو الذي دعا برد الشمس في الأولى والثانية، وأما إيراده لقصة بابل فليس لها إسناد وأظنه (والله أعلم) من وضع الزنادقة من الشيعة ونحوهم؛ فإن رسول الله ﷺ وأصحابه يوم الخندق قد غربت عليهم الشمس ولم يكونوا صلوا العصر بل قاموا إلى بطحان وهو واد هناك فتوضؤوا وصلوا العصر بعدما غربت الشمس، وكان عليّ أيضاً فيهم ولم ترد لهم، وكذلك كثير من الصحابة الذين ساروا إلى بني قريظة فاتتهم العصر يومئذٍ حتى غربت الشمس ولم ترد لهم، وكذلك لما نام رسول الله ﷺ وأصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس صلوها بعد ارتفاع النهار ولم يرد لهم الليل، فما كان الله عز وجل ليعطي علياً وأصحابه شيئاً من الفضائل لم يعطها رسول الله ﷺ وأصحابه وأما نظم الحميري فليس [فيه] حجة بل هو كهذيان ابن المطهر هذا لا يعلم ما يقول من النثر وهذا لا يدري صحة ما ينظم بل كلاهما كما

قال الشاعر: [رجز]

إنْ كُنْتُ أَدْرِي فَعَلَيَّ بَدَنَهْ ... مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيطِ أَنّى مِنْ أَنَهْ

والمشهور عن علي في أرض بابل ما رواه أبو داود رحمه الله في سننه عن عليّ أنه مر بأرض بابل وقد حانت صلاة العصر فلم يصل حتى جاوزها، وقال: نَهَاني خليلي ﷺ أن أُصَلِّيَ بأرْضِ بابِل فإنها مَلْعُونَةٌ. وقد قال أبو محمد بن حزم في كتابه الملل والنحل مبطلاً لرد الشمس على عليّ بعد كلام ذكره راداً على من ادعى باطلاً من الأمر فقال ولا فرق بين من ادعى شيئاً مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على عليّ بن أبي طالب مرتين حتى ادعى بعضهم أن حبيب بن أوس قال [الطويل]:

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الخِدْرِ تَطْلَعُ

نَضَا ضَوْءُها صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى ... لِبَهْجَتِهَا نُورُ السَّمَاءِ المُرَجَّعُ (١)

فَوَاللَّهِ ما أدْرِي عَلِيّ ما بَدَا لَنَا ... فَرُدَّتْ لَهُ أَمْ كَانَ فِي القَوْمِ يُوشَعُ (٢)

هكذا أورده ابن حزم في كتابه، وهذا الشعر تظهر عليه الركة والتركيب وأنه مصنوع والله أعلم.

ومما يتعلق بالآيات السماوية في باب دلائل النبوة، استسقاؤه عليه السلام ربه [عز وجل] لأمته حين تأخر المطر فأجابه إلى سؤاله سريعاً بحيث لم ينزل عن منبره إلا والمطر يتحادر على لحيته عليه السلام وكذلك استصحاؤه. قال البخاري: حدّثنا عمرو بن عليّ، حدّثنا أبو قتيبة، حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب: [الطويل]:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

قال البخاري: وقال أبو عقيل الثقفي عن عمرو بن حمزة: حدّثنا سالم عن أبيه ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب.

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وهو قول أبي طالب. تفرد به البخاري وهذا الذي علقه قد أسنده ابن ماجه في سننه فرواه عن أحمد بن الأزهر عن أبي النضر عن أبي عقيل عن عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه. وقال البخاري: حدّثنا محمد ـ هو ابن سلام ـ حدّثنا أبو ضمرة، حدّثنا شريك بن عبد الله بن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، فقال: يا رسول الله هَلَكَتِ الأموالُ، وتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، فادعُ اللَّهَ لنا يُغِيثُنَا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللَّهُمَّ

---

(١) نضا اللون: تغير، وهنا بمعنى أزال الظلمة، والدجنة: الظلمة.

(٢) يوشع: هو يوشع بن نون.

اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا قال أنس: ولا (واللَّهِ) ما نرى في السماء مِنْ سَحَابٍ ولا قَزَعَةٍ ولا شَيْئاً، وَمَا بيننا وبين سَلْع[1] مِنْ بَيْتٍ وَلا دارٍ، قال: فطلعتْ من ورائِهِ سحابةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثم أمْطَرَتْ، قال: والله ما رأينا الشمسَ ستّاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً، وقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكام وَالجِبَالِ والظِّراب**[2] **والأودية وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**». قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس، قال شريك: فسألت أنساً أهو الرجل الذي سأل أولاً؟ قال: لا أدري[3]، وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك به.

وقال البخاري[4]: **حدّثنا** مسدد، حدّثنا أبو عوانة، عن قتادة عن أنس قال: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يخطبُ يوم جُمْعَة إذ جاءَ رجلٌ فقال: يا رسول اللَّهِ قحط المطرُ، فَادْعُ اللَّهَ أنْ يَسْقِينَا، فَدَعَا فَمُطِرْنا فما كِدْنا أن نَصِلَ إلى مَنَازِلِنَا فَمَا زِلْنَا نُمْطِرُ إلى الجمعةِ المقبلةِ، قال: فقام ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يصرفه عنا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا**»، قَالَ: فلقد رأيت السَّحابَ يتقطع يميناً وشمالاً يمطرون ولا يمطر أهْلُ المدينة تَفرَّد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري: **حدّثنا** عبد الله بن مسلمة عن مالك عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: هلكت المواشي وتقطّعت السُّبُل، فادعُ اللَّهُ، فدعا فَمَطِرْنَا من الجمعة إلى الجمعة ثم جاء فقال: تَهَدَّمَتِ البيوتُ وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ وَهَلَكَتِ المواشي [فادع الله أن يمسكها] فقال: «**اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَانْجَابَتْ عَنِ المَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ**»[5].

وقال البخاري: **حدّثنا** محمد بن مقاتل، حدّثنا عبد الله، حدّثنا الأوزاعي، حدّثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، حدثني أنس بن مالك قال: أصابت الناس سنةٌ[6] على عهد رسول الله ﷺ فَبَيْنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ يخطبُ على المنبر يوم الجمعة، فقام أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله هلكَ المالُ، وجاع العيالُ، فادعُ الله أن يسقينا، قال: فرفع رسولُ الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابيُّ أو قال غيره، فقال: يا رسولَ الله تهدَّم البناء، وَغَرِقَ المالُ فادعُ الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنَا**»، قال: فما جَعَلَ رسولُ الله ﷺ يشير بيده إلى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينةُ في مِثْلِ الجَوبَةِ وسال الوادي

---

(١) سلع: جبل بالمدينة.
(٢) الظراب: التلال، والجبال المنبسطة.
(٣) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٦.
(٤) كتاب الاستسقاء باب ٨.
(٥) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٩.
(٦) سنة: جدب وقحط.

قناة شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حَدَّثَ بِالجَوْدِ[١]، ورواه البخاري أيضاً في الجمعة ومسلم من حديث الوليد عن الأوزاعي. وقال البخاري: وقال أيوب بن سليمان: حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال قال: قال يحيى بن سعيد: سمعت أنس بن مالك قال: «أتى أعرابيّ من أهل البَدْو إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: يا رسول الله هلكت الماشية، هلك العيال، هلك الناس، فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو ورفع الناس أيديهم مع رسول الله ﷺ يدعون قالَ: فما خرجنا من المسجد حتى مُطِرْنا فما زلنا نُمْطَرُ حتى كانت الجمعة الأخرى، فأتى الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بشقَ المسافر[٢] ومُنع الطريق.

قال البخاري: وقال الأويسي - يعني عبد العزيز بن عبد الله -: حدثني محمد بن جعفر - هو ابن أبي كثير - عن يحيى بن سعيد وشريك، سمعا أنساً عن النبيّ ﷺ رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه[٣]. هكذا علق هذين الحديثين ولم يسندهما أحد من أصحاب الكتب الستة بالكلية.

وقال البخاري: حدّثنا محمد بن أبي بكر قال: حدّثنا معتمر عن عبد الله عن ثابت عن أنس بن مالك قال: «كان النبيّ ﷺ يخطبُ يَوْمَ جمعةٍ فقام النّاسُ فصاحوا فقالوا: يا رَسُولَ اللّهِ قُحِطَ المطرُ، واحْمَرَّتِ الشَّجَرُ، وهلكت البهائمُ، فادعُ الله أن يَسْقِيَنا، فَقَالَ: «اللّهُمَّ اسْقِنَا» مَرَّتَيْنِ، وَايمُ اللّهِ ما نَرَى في السَّماءِ قَزَعَةً مَن سحاب، فنشأت سحابةٌ وأمطرت ونزل عن المنبر فصلّى فلما انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة التي تليها، فلما قام النبي ﷺ يخطب صاحوا إليه: تَهَدَّمَتِ البيوتُ وانقطعت السُّبل فادعُ الله يَحْبِسها عنا، قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «اللّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا»، فَتَكَشَّطَتْ[٤] المدينةُ فجعلت تمطرُ حَوْلَهَا ولا تُمْطِرُ بالمدينةِ قَطْرَةً، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مِثْلِ الإكْلِيلِ»[٥].

وقد رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان عن عبد الله وهو ابن عمر العمري به. وقال الامام أحمد: حدّثنا ابن أبي عدي عن حميد قال: «سُئل أنس هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه؟ فقال: قيل له يوم جمعة: يا رسول الله قحط المطر، وأجدبت الأرض، وهلك المال، قال: فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه فاستسقى، ولقد رفع يديه وما نرى في السماء سحابة فما قضينا الصلاة حتى أن الشاب قريبَ الدّار ليهمُّه الرجوعُ إلى أهله، قال: فلما كانت الجمعة التي تليها قالوا: يا رسول الله تهدّمت البيوت واحتبست الركبان، فتبسّم رسولُ الله ﷺ من سرعة مَلالَةِ ابْنِ آدمَ وقال: «اللّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا»، قال: فَتَكَشَّطَتْ عَن المدينةِ»[٦]. وهذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجوه.

---

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٢٤.

(٢) بَشِقَ المسافر: ملّ أو تأخر، أو اشتد عليه الضرر، أو حبس.

(٣) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٢١.

(٤) تكشطت: ارتفع الغيم عنها وانكشفت.

(٥) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ١٤.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٠٤.

وقال البخاري وأبو داود واللفظ له: حدّثنا مسدد، حدّثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك، وعن يونس بن عبيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: «أصاب أهل المدينة قحطٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هَلَكَتِ الكراعُ، هلكتِ الشاء، فادعُ الله يسقينا، فمدَّ يده ودعا. قال أنس: وإن السَّماء لمثل الزجاجة، فهاجت ريح أنشأت سحاباً، ثم اجتمع، ثم أرسلت السماء عَزالَيها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله أن يحبسه. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «حَوالَينا وَلا عَلَينا»، قال فنظرت إلى السماء والسحاب يتصدَّع حول المدينة كأنه إكليل»، فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك لأنها تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن. وقال البيهقي بإسناده من غير وجه إلى أبي معمر سعيد بن خيثم الهلالي عن مسلم الملائي عن أنس بن مالك قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله والله لقد أتيناك، وما لنا بعير يبسط ولا صبيّ يصطبح، وأنشد [الطويل]:

أتيناكَ والعذراءَ يَدمَى لَبانُها(١) ... وَقَدْ شُغِلَتْ أمُ الصَّبِيُ عَنِ الطِّفلِ

وَألْقى بِكَفَّيْهِ الفَتَى لاسْتَكانَةٍ ... مِنَ الجُوعِ ضَعْفاً قَائِماً وهو لا يُخلِي

وَلا شَيْءَ مِمَّا يأكُلُ النَّاسُ عِنْدَنا ... سِوَى الحَنظَلِ العاميُ والعِلْهِزِ الفَسْلِ(٢)

وَلَيْسَ لَنَا إلاّ إلَيْكَ فِرَارُنا ... وَأيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إلاَّ إلى الرُّسْلِ

قال: فقام رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه حتى صَعِدَ المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه نحو السماء وقال: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً سَرِيعاً غَدَقاً طَبَقاً عاجِلاً غَيْرَ رَائِثٍ، نافعاً غير ضارٍ تَملأُ بِهِ الضَّرْعَ، وَتُنبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وَتحيي بهِ الأرْضَ [بَعْدَ مَوْتِهَا] وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ». قال: فواللّهِ ما رَدَّ يديه إلى نحره حتى ألقت السماء بأوداقها، وجاء أهل البطانة يصيحون: يا رسول الله الغرق الغرق، فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ حَوالَينا ولا عَلَينا»، فانجابَ السَّحابُ عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «لله درّ أبي طالب لو كان حياً قرَّتْ عيناه من ينشد قوله؟» فقام علي بن أبي طالب فقال: يا رسولَ الله كأنك أردتَ قوله: [الطويل]:

وَأبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الهُلاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللّه يُبْزَى مُحَمَّدٌ ... وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ(٣)

---

(١) اللبان: الصدر.

(٢) الحنظل نبات مرّ الثمر. والعلهز نبات رديء الطعم. والفسل: الرديء.

(٣) يبزى: يترك دون نصير. ونناضل: ندافع ونرمي بالسهام.

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلائِلِ[(١)]

قال: وقام رجل من بني كنانة فقال:

لَكَ الحَمْدُ وَالحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرْ ... سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ المَطَرْ

دَعَا اللَّهَ خَالِقَهُ دَعْوَةً ... إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مِنْهُ البَصَرْ

فَلَمْ يَكُ إِلاَّ كَلَفٌ الرِّدَاءِ ... وَأَسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا الدُّرَرْ[(٢)]

رقاق العوالي عمّ البقاعَ ... أغاثَ بِهِ اللَّهُ عَلينا مضر

وكان كما قاله عَمُّهُ ... أَبُو طَالِبٍ أَبْيَضُ ذُو غُرَرْ

بِهِ اللَّهُ يَسْقِي بصوب الغَمَامِ ... وهَذا العَيَانُ كَذَاكَ الخَبَرْ

فَمَنْ يَشْكُرِ اللَّهَ يَلْقَى المَزِيدَ ... وَمَنْ يَكْفُرِ اللَّهَ يَلْقَى الغيرَ

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إِنْ يَكُ شَاعِرٌ يُحْسِنُ فَقَدْ أَحْسَنْتَ**». وهذا السياق فيه غرابة ولا يشبه ما قدمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس فإن كانَ هذا هكذا محفوظاً فهو قصة أخرى غير ما تقدم والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهاني، حدّثنا أبو محمد بن حبان، حدّثنا عبد الله بن مصعب، حدّثنا عبد الجبار، حدّثنا مروان بن معاوية، حدّثنا محمد بن أبي ذئب المدني عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمحي عن أبي وجرة يزيد بن عبيد السلمي قال: «لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة فيهم بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن الحصين، والحر بن قيس ـ وهو أصغرهم ـ ابن أخي عيينة بن حصن، فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الأنصار، وقدموا على إبل ضعاف عجاف وهم مسنتون، فأتوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم قالوا: يا رسول الله، أسنتت بلادنا، وأجدبت أحياؤنا، وعريت عيالنا، وهلكت مواشينا، فادعُ ربك أن يغيثنا، وتشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك، فقال رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، وَيْلَكَ هٰذا ما شَفَعْتُ إلى رَبِّي، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ رَبُّنَا إِلَيْهِ؟ لا إلٰه إلا اللَّهُ وُسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يَئِطُّ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ كما يَئِطُّ الرَّحْلُ الجَدِيدُ**». قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ مِنْ شَفَقَتِكُمْ وَأَزْلِكُمْ وَقُرْبِ غِيَاثِكُمْ**»، فقالَ الأعرابيُّ: ويضحك رَبُّنا يا رسولَ الله؟ قال: نَعَمْ، فقال الأعرابي: لن نَعْدَمَ يَا رسولَ الله من ربّ يضحكُ خيراً، فضحك رسول الله ﷺ من قوله، فقام رسول الله ﷺ فصعد المنبر وتكلم بكلام ورفع يديه ـ وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء ـ ورفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، وكان مما حفظ من دعائه: «**اللَّهُمَّ اسْقِ بَلَدَكَ وَبَهائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَحْيِ بَلَدَكَ الميتَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مريئاً مريعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غيرَ ضارٍّ، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ ولا سُقْيَا عَذَابٍ ولا هَدْمٍ ولا غَرَقٍ ولا مَحْقٍ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ وَانْصُرْنَا عَلَى الأَعْدَاءِ**»، فقام أبو لبابة بن عبد

---

(١) الحلائل: الزوجات.

(٢) الدرر: المطر المتساقط. والدّر: الحلب.

المنذرَ فقال: يا رسولَ اللَّهِ إنَّ التمر في المَرَابِدِ[١]، فقالَ رسول الله: **«اللَّهُمَّ اسْقِنَا»**، فقال أبو لبابة التمر في المرابد، ثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اسقنا حتى يَقُومَ أبو لبابةَ عُرْيَاناً فَيَسُدَّ ثَعْلَبَ[٢] مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ»**، قال: فلا وَاللَّهِ ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسَلْعٍ مِنْ بِنَاءٍ ولا دار، فطلعت من وراء سَلْعٍ سحابةٌ مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت، فوالله ما رأوا الشمس سِتاً، وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج منه التمر، فقال رجل: يا رسول الله هلكت الأموالُ وانقطعت السُّبُلُ، فصعد النبيُّ ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئي بياضِ إبطيه، ثم قال: **«اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ على الآكامِ والظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»**، فانجابتِ السَّحَابَةُ عن المدينةِ كانجيابِ الثَّوْبِ.

وهذا السياق يشبه سياق مسلم الملائي عن أنس، ولبعضه شاهد في سنن أبي داود، وفي حديث أبي رزين العقيلي شاهد لبعضه والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل: **أخبرنا** أبو بكر محمد بن الحسن بن علي بن المؤمل، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدّثنا محمد بن حماد الظِهْراني، أخبرنا سهل بن عبد الرحمن المعروف بالسدي بن عبدويه عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أويس المدني عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري قال: استسقى رسول الله ﷺ يوم جمعة وقال: **«اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنا»**، فقام أبو لبابة فقال: يا رسول الله إن التمر في المرابد، وما في السماء من سحاب نراه، فقال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ اسْقِنَا»**، فقام أبو لبابة فقال: يا رسول الله إنَّ التمرِ في المرابد، فقال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ اسْقِنَا، حَتَّى يقُومَ أبو لُبَابَةَ يَسُدُّ ثَعْلَبَ مربدهِ بإزاره»**، فاستهلّت السماء ومطرت وصلى بنا رسول الله ﷺ فأتي القوم أبا لبابة يقولون له: يا أبا لبابة، إن السماء والله لن تقلع[٣] حتى تقوم عرياناً فتسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله ﷺ، قال: فقام أبو لبابة عرياناً يسدُّ ثعلب مربده بإزاره فأقلعت السماء. وهذا إسناد حسن ولم يروه أحمد ولا أهل الكتب والله أعلم.

وقد وقع مثل هذا الاستسقاء في غزوة تبوك في أثناء الطريق كما قال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدّثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى أن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد

(١) المرابد: جمع مربد، وهو ما يبسط فيه التمر ويجفف.
(٢) الثعلب: مخرج الماء من الحوط.
(٣) تقلع: أي تكفّ.

عودك في الدعاء خيراً، فادعُ الله لنا، فقال: «أو تحب ذلك؟» قال: نعم، قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلت فملؤوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر. وهذا إسناد جيد قويّ ولم يخرجوه. وقد قال الواقدي: كان مع المسلمين في هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ومثلها من الخيل، وكانوا ثلاثين ألفاً من المقاتلة، قال: ونزل من المطر ماء أغدق الأرض حتى صارت الغدران تسكب بعضها في بعض وذلك في حمأة القيظ أي شدة الحر البليغ، فصلوات الله وسلامه عليه. وكم له عليه السلام من مثل هذا في غير ما حديث صحيح ولله الحمد.

وقد تقدم أنه لما دعا على قريش حين استعصت أن يسلط الله عليها سبعاً كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصّت كل شيء حتى أكلوا العظام والكلاب والعِلهز، ثم أتى أبو سفيان يشفع عنده في أن يدعو الله لهم، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم. وقد قال البخاري: حدّثنا الحسن بن محمد، حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدّثنا أبي عبدُ الله بن المثنى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قَحَطُوا استسقى بالعباس وقال: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتوسَّلُ إليكَ بَنَبِيِّنَا فَتَسْقِينا، وَإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قال: فَيُسْقَوْنَ[1]. تفرد به البخاري.

فصل وأما المعجزات الأرضية فمنها ما هو متعلق بالجمادات ومنها ما هو متعلق بالحيوانات

فمن المتعلق بالجمادات تكثيره الماء في غير ما موطن على صفات متنوعة سنوردها بأسانيدها إن شاء الله، وبدأنا بذلك لأنه أنسب باتباع ما أسلفنا ذكره من استسقائه وإجابة الله له.

قال البخاري[2]: حدّثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتيَ رسول الله ﷺ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رسولُ الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمرَ النَّاسَ أن يتوضّؤوا منه فرأيتُ الماءَ ينبعُ مِنْ تَحتِ أصابعهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حتى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ»، وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن مالك به وقال الترمذي: حسن صحيح.

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد[3]: حدّثنا يونس بن محمد، حدّثنا حزم، سمعت الحسن يقول: حدّثنا أنس بن مالك «أنّ رسولَ الله ﷺ خرجَ ذاتَ يوم لبعض مخارِجِهِ مَعَهُ ناسٌ من أصحابه فانْطَلَقُوا يَسِيرُونَ فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فلم يجدِ القومُ ما يَتَوَضَّؤُونَ به فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ ما نجدُ ما نتوضّأ

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٣. (٢) كتاب المناقب باب ٢٥.
(٣) المسند ٣/٢١٦.

بِهِ، ورأى في وجوه أصحابِهِ كَرَاهيةَ ذلكَ، فانطلقَ من القوم فجاء بِقَدَحٍ مِنْ ماءٍ يسيرٍ، فأخذَ نبيُّ الله فتوضّأ منه، ثم مَدَّ أصابعه الأرْبَعَ على القَدَحِ ثم قال: «هَلُمُّوا فَتَوَضَّؤُوا»، فتوضأَ القومُ حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء، قال الحسن: سئل أنس كم بلغوا؟ قال: سَبْعِينَ أو ثمانينَ» وهكذا رواه البخاري عن عبد الرحمن بن المبارك العنسي عن حزم بن مهران القطيعي به.

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد: حدّثنا ابن أبي عدي عن حميد ويزيد قال: أخبرنا حميد المعني عن أنس بن مالك قال: «نودي بالصلاة فقام كل قريب الدار من المسجد وبقي من كان أهله نائي الدار فأتي رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فصغر أن يبسط كفه فيه قال فضم أصابعه قال فتوضأ بقيتهم، قال حميد: وسئل أنس: كم كانوا؟ قال: ثمانين أو زيادة». وقد روى البخاري عن عبد الله بن منير عن يزيد بن هارون عن حميد عن أنس بن مالك قال: «حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء فوضع كفه فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه فضمَّ أصابعه فوضعها في المخضب فتوضأ القوم كلهم جميعاً قلت: كم كانوا؟ قال: كانوا ثمانين رجلاً»[١].

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا سعيد إملاء عن قتادة عن أنس بن مالك «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان بالزَّوراء فأتى بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه فأمر أصحابه أن يتوضؤوا فوضع كفه في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم، قال: فقلت لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة». وهكذا رواه البخاري عن بندار بن أبي عدي ومسلم عن أبي موسى عن غندر كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة، وبعضهم يقول عن شعبة، والصحيح سعيد عن قتادة عن أنس قال: «أتي رسول الله ﷺ بإناء وهو في الزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة فقلت لأنس: كم كنتم؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة»[٢] لفظ البخاري.

حديث البراء بن عازب في ذلك

قال البخاري: حدّثنا مالك بن إسماعيل، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس رسولُ الله ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضْمَضَ ومج في البئر فمكثنا غيرَ بعيدٍ ثم استقينا حتى روينا ورويت أو صدرت رِكَابُنَا»[٣] تفرد به البخاري إسناداً ومتناً.

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥. (٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر الحاشية ما قبل السابقة.

حديث آخر عن البراء بن عازب

قال الإمام أحمد: حدّثنا عفان وهاشم، حدّثنا سليمان بن المغيرة، حدّثنا حميد بن هلال، حدّثنا يونس ـ هو ابن عبيدة مولى محمد بن القاسم ـ عن البراء قال: «كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فأتينا على رَكِيّ ذَمَّة يعني قليلة الماء قال: فنزل فيها ستة أنا سادسهم ماحة فأدليتْ إلينا دلو قال: ورسول الله ﷺ على شفتي الركيّ فجعلنا فيها نصفها أو قراب ثلثيها فرفعت إلى رسول الله ﷺ قال البراء: فكدت بإنائي هل أجد شيئاً أجعله في حلقي، فما وجدتُ فرفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ فغمسَ يده فيها فقال ما شاء الله أن يبرك، وأعيدت إلينا الدلو بما فيها، قال: فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق قال: ثم ساحت ـ يعني جرت نهراً»[1] ـ تفرد به الإمام أحمد، وإسناده جيد قوي، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية والله أعلم.

حديث آخر عن جابر في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا سنان بن حاتم، حدّثنا جعفر ـ يعني ابن سليمان ـ حدّثنا الجعد أبو عثمان، حدّثنا أنس بن مالك عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «اشتكى أصحابُ رسول الله ﷺ إليه العطش قال فدعا بِعسٍّ فَصُبَّ فيهِ شَيءٌ من الماء وَوَضعَ رسولُ الله ﷺ فيه يده وقال: اسْتَقُوا، فاسْتَقى النَّاسُ قال: فكنتُ أرى العيون تنبعُ منْ بَيْنِ أصابع رسولِ الله ﷺ». تفرد به أحمد من هذا الوجه، وفي أفراد مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل عن أبي حرزة يعقوب بن مجاهد عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن جابر بن عبد الله في حديث طويل قال فيه: سِرْنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله فلم يرَ شيئاً يستتر به، وإذا بشجرتين بشاطىء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: **«انقادي عليَّ بإذن الله»**، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: **«انقادي عليَّ بإذن الله»** فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنتصف مما بينهما لأم بينهما ـ يعني جمعهما ـ فقال: **«التئما عليَّ بإذن الله»**، فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله بقربي فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة، فإذا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا بالشجرتين قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله وقف فقال برأسه هكذا: يميناً وشمالاً، ثم أقبل فلما انتهى إلي قال: **«يَا جَابِرُ هَلْ رَأَيتَ مَقَامِي؟»** قلت: نعم يا رسول الله، قال: **«فَانطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتِينِ فَاقْطَعْ مِنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُما غُصْنَاً فَأَقْبِلْ بِهِمَا حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْناً عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْناً عَنْ شِمَالِكَ»**، قال جابر: فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحددته فاندلق[2] لي فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٩٢.

(٢) اندلق: استرخى.

حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري، ثم لحقت فقلت: قد فعلت يا رسول الله، قال فقلت: فلم ذاك؟ قال: «**إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبانِ فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرْفَعَ ذلكَ عَنْهُمَا ما دَامَ الغُصْنَانِ رَطْبَيْنَ**»، قال: فأتينا العسكر فقال رسول الله ﷺ: «**يا جَابِرُ نادِ الوُضُوءَ**»، فقلت: أَلاَ وُضُوءَ أَلاَ وُضُوءَ أَلاَ وُضُوءَ؟ قال: قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرّد لرسول الله في أشجاب له على حمارة من جريد قال: فقال لي: «**انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ الأَنْصَارِيِّ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ؟**» قال: فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة من غر لا شجب منها[1] لو أني أفرغته لشربه يابسه، [فأتيت رسول الله فقلت: يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة في غر لا شجب منها لو أني أفرغته لشربه يابسه] قال: «**اذهب فأتني به**»، فأتيته فأخذه [بيده] فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، وغمزني بيده ثم أعطانيه فقال: «**يا جابر نادِ بِجَفْنَةٍ**»، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: «**خُذْ يا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ وقل: بِسْمِ اللَّهِ**»، فصببتُ عليه وقلت: بسم اللَّهِ، فرأيتُ الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال: «**يا جابرُ نادِ مَنْ كانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بماءٍ**»، قال فأتى الناس فاستَقَوْا حتى رووا، فقلت: هل بقي أحدٌ له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى. قال: وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع، فقال: «**عَسَى اللَّهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ**»، فَأَتَيْنَا سِيفَ البَحْرِ[2] فزجر زجرة فألقى دابة فَأَوْرَيْنَا على شقها النار فطبخنا واشتوينا وأكلنا وشبعنا، قال جابر: فدخلتُ أنا وفلان وفلان وفلان حتى عدّ خمسة في محاجر عينها ما يرانا أحد، حتى خرجنا وأخذنا ضلعاً من أضلاعها فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل وأعظم جمل في الركب وأعظم حمل في الركب وأعظم كفل في الركب فدخل تحته ما يطأطىء رأسه. وقال البخاري: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا عبد العزيز بن مسلم، حدّثنا حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: «عطشَ الناسُ يوم الحديبية والنبيُّ ﷺ بين يديه ركوةٌ يتوضأ فَجَهِشَ النَّاسُ نحوه قال: «**ما لَكُمْ؟**» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفورُ من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[3]. وهكذا رواه مسلم من حديث حصين وأخرجاه من حديث الأعمش. زاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن جابر بن سالم بن جابر، وفي رواية الأعمش: «كنا أربع عشرة مائة». وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن حماد حدّثنا أبو عوانة عن الأسود بن قيس عن شقيق العبدي أن جابر بن عبد الله قال: «غزونا أو سافرنا مع رسول الله ﷺ ونحن يومئذٍ بضعة عشر ومائتان فحضرت الصلاة فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ في القَوْمِ مِنْ ماءٍ**»؟ فجاءه رجل يسعى بأداوة فيها

---

(١) الغرّ: الشقّ في الأرض، أو النهر الصغير. والشجب: خشبات يعلق فيها الدلو.

(٢) سيف البحر: ساحل البحر.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.

شيء من ماء، قال فَصَبَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في قدح، قال: فتوضأ رسول الله ﷺ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح فركب الناس القدح تمسحوا وتمسحوا، فقال رسول الله ﷺ: «عَلى رِسْلِكُمْ» حين سمعهم يقولون ذلك، قال: فَوَضَعَ رسولُ الله ﷺ كفه في الماء ثم قال رسول الله ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ»، ثم قال: «أَسْبِغُوا الوُضُوءَ» قال جابر: فَوَالذي هو ابتلاني بِبَصَرِي لقد رأيت العيون عَيون الماء يومئذٍ تخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ فما رفعها حتى توضؤوا أجمعون»[1]. وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد. وظاهره كأنه قصة أخرى غير ما تقدم.

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: «قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة أو أكثر من ذلك وعليها خمسون رأساً لا يرويها فقعد رسول الله على شفا الركيَّةِ فإما دعا وإما بصق فيها قال: فجاشت فسقينا واستقينا». وفي صحيح البخاري من حديث الزهري [عن عروة] عن المسور ومروان بن الحكم في حديث صلح الحديبية الطويل فعدل عنهم رسول الله ﷺ حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يَتَبَرَّضه تَبَرُّضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالريِّ حتى صدروا عنه. وقد تقدم الحديث بتمامه في صلح الحديبية، بما فأغنى عن إعادته، وروى ابن إسحاق عن بعضهم أن الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب سائق البدن، قال وقيل: البراء بن عازب. ثم رجح ابن إسحاق الأول.

حديث آخر عن ابن عباس في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا أبو كُدَيْنَةَ عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم وليس في العسكر ماء فأتاه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله ليس في العسكر ماء، قال: «هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟» قال: نعم، قال: «فَأْتِنِي به»، قال: فأتاهُ بإناءٍ فيه شيء من ماء قليل، قال: فجعل رسول الله ﷺ أصابعه في فم الإناء وفتح أصابعه، قال: فانفجرت من بين أصابعه عيون وأمر بلالاً فقال: «نَادِ في النَّاسِ الوَضُوءَ المُبَارَكَ»[2] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، ورواه الطبراني من حديث عامر الشعبي عن ابن عباس بنحوه.

حديث عن عبد الله بن مسعود في ذلك

قال البخاري: حدّثنا محمد بن المثنى، حدّثنا أبو أحمد الزبيري، حدّثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كُنَّا نعدُّ الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كُنَّا مَعَ رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ فَقَلَّ الماءُ فقال: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ ماءٍ»، فجاؤوا بإناءٍ فيه ماءٌ قَليلٌ، فأدخل يَدَهُ في الإناء ثم قالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المبَارَكِ والبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، قال: فلقد رأيتُ الماءَ ينبعُ من بين أصابع رسول الله ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ[3].

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٩٢.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٢٤.
(٣) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.

ورواه الترمذي عن بندار عن ابن أحمد وقال: حسن صحيح.

حديث عن عمران بن حصين في ذلك

قال البخاري: حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا مسلم بن زيد، سمعت أبا رجاء قال: حدّثنا عمران بن حصين أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في مسير فأدْلجُوا لَيْلَتَهُمْ حتى إذا كان وجه الصبح عَرَّسُوا[1] فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر، وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ، فاستيقظَ عمر فَقَعَدَ أبو بكر عند رأسِهِ، فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبيُّ ﷺ فنزل وصلى بنا الغداة، فاعتزل رجلٌ من القوم لم يصلّ معنا، فلما انصرف قال: «يا فلانُ ما يَمْنَعُكَ أنْ تُصَلِّي مَعَنَا؟» قال: أصابتني جنابة، فأمره أن يتيمم بالصعيد، ثم صلَّى وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه، وقد عطشنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: إنه لا ماء: فقلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة، فقلنا: انطلقي إلى رسول الله ﷺ، قالت: وما رسول الله؟ فلم نُمَلِّكْهَا مِنْ أمْرِهَا حتى استقبلنا بها النبي ﷺ، فحدثته بمثل الذي حدثتنا غير أنها حدثته أنها مؤتمة[2] فأمر بمزادتيها[3] فمسح في العزلاوين[4] فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً حتى روينا وملأنا كل قربة معنا وإداوة، غير أنه لم نسق بعيراً وهي تكاد تَنضُّ من الملء، ثم قال: هاتوا ما عِنْدَكُمْ، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها، قالت أتيت أسحر الناس أوْ هو نبي كما زعموا، فهدى الله ذاك الصِّرْم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا»[5]، وكذلك رواه مسلم من حديث سلم بن رزين، وأخرجاه من حديث عوف الأعرابي، كلاهما عن أبي رجاء العطاردي ـ واسمه عمران بن تيم ـ عن عمران بن حصين به. وفي رواية لهما فقال لها: اذهبي بهذا معك لعيالك واعلمي أنا لم نرزأك[6] من مائك شيئاً غير أن الله سقانا. وفيه أنه لما فتح العزلاوين سمى الله عزّ وجل.

حديث عن أبي قتادة في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن هارون، حدّثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال: إنكم [إن] لا تدركوا الماء غداً تعطشوا، وانطلق سُرعان الناس يريدون الماء، ولزمتُ رسول الله ﷺ فمالت برسول الله ﷺ راحِلته فَنَعَسَ رسول الله ﷺ فدعمته فادَّعَمَ، ثم مال فَدَعَمْتُهُ فَادَّعَمَ، ثم مالَ حتى كادَ أن يَنْجَفِلَ[7] عَن راحلته فَدَعَمْتُهُ فانتبه فقالَ: «من الرجل؟» فقلت: أبو قتادة، قال: «مُنْذُ كَمْ كانَ

---

(١) أدلجوا: ساروا ليلاً وعرّسوا: نزلوا للاستراحة (٢) مؤتمة: ذات أيتام.
(٣) المزادة: وعاء من جلد يوضع فيه الماء. (٤) العزلاء: مصب الماء من القربة.
(٥) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥. (٦) رزأ: أصاب.
(٧) ينجفل: يقع.

مَسِيرُكَ؟» قلتُ: منذ الليلة، قال: «حَفِظَكَ اللَّهُ كما حَفِظْتَ رَسُولَهُ» ثم قال: لَوْ عَرَّسْنَا، فمال إلى شجرة فنزل فقال: «انْظُرْ هَلْ تَرَى أحَداً؟» قلت: هذا راكب، هذان راكبان، حتى بلغ سبعة، فقال: «احْفَظُوا عَلَيْنَا صَلاتَنَا»، فنمنا فما أيقظنا إلا حر الشمس فانتبهنا فركب رسول الله ﷺ فسار وسرنا هنيهة، ثم نزل فقال: «أمعكم ماء؟» قال: قلت: نعم معي ميضأة فيها شيء من ماء، قال: «ائتِ بها»، قال: فأتيته بها فقال: «مُسُّوا منها مُسُّوا منها»، فتوضأ القوم وبقيت جرعة فقال: «ازْدَهِرْ بها يا أبا قَتَادَةَ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لها نَبَأٌ»، ثم أذن بلال وصلُّوا الركعتين قبل الفجر ثم صلُّوا الفجر، ثم ركبَ وركبنا فقال بعضهم لبعض: فَرَّطْنَا في صلاتنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما تَقُولُونَ؟ إنْ كانَ أمْرُ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنَكُمْ، وإنْ أمْرُ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ»، قلنا: يا رسول الله فرطنا في صلاتنا، فقال «لا تفريط في النوم، إنما التفريط في اليقظة، فإذا كان ذلك فَصَلُّوها ومن الغد وَقْتَهَا»، ثم قال: «ظُنُّوا بِالقَوْمِ»، قالوا: إنّك قلت بالأمس: [إنْ] لا تُدْرِكُوا الماءَ غَداً تَعْطَشُوا، فالناس بالماء قال: فلما أصبحَ الناس وقد فقدوا نبيهم، فقال بعضهم لبعض: إن رسول الله ﷺ بالماء وفي القوم أبو بكر وعمر، فقالا: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يكن ليسبقكم إلى الماء ويخلفكم، وإن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا، قالها ثلاثاً، فلما اشتدت الظهيرة رفع لهم رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هلكنا عطشاً، تقطّعت الأعناق، فقال: «لا هُلْكَ عَلَيْكُمْ»، ثم قال: «يا أبا قتادة ائتِ بالميضَأَةِ»، فأتيتهُ بها، فقال: «احْلُلْ لي غُمَرِي» - يعني قدحه - فحللته فأتيتهُ به، فجعل يَصُبُّ فيهِ ويسقي الناس فازدحم الناس عليه فقال رسول الله ﷺ «يا أيُّهَا النَّاسُ أحْسِنُوا المَلْءَ فَكُلُّكُمْ سَيَصْدُرُ عَنْ رِيٍّ»، فشربَ القومُ حتى لم يبقَ غيري وغيرُ رسول الله ﷺ، فصبَّ لي فقال «اشْرَبْ يا أبا قَتَادَة»، قال: قلت: اشْرَبْ أنْتَ يا رَسُولَ الله، قال «إنَّ سَاقِيَ القَوْمِ آخِرُهُمْ»، فشربتُ وشرب بعدي وبقي في الميضأة نحو مما كان فيها، وهم يومئذٍ ثلاثمائة، قالَ عبد الله: فسمعني عمران بن حصين وأنا أحدث هذا الحديث في المسجد الجامع فقال: مَن الرّجل؟ قلت أنا عبد الله بن رباح الأنصاري، قال: القوم أعلم بحديثهم، انظر كيف تحدث فإني أحد السبعة تلك الليلة، فلما فرغت قال: ما كنت أحسبُ أحداً يحفظ هذا الحديث غيري. قال حماد بن سلمة وحدّثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة الموصلي عن النبي ﷺ بمثله وزاد قال: كان رسول الله ﷺ إذا عرّس[1] وعليه ليل توسد يمينه، وإذا عرّس الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده»[2]. وقد رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري بطوله، وأخرج من حديث حماد بن سلمة بسنده الأخير أيضاً.

حديث آخر عن أنس يشبه هذا

روى البيهقي من حديث الحافظ أبي يعلى الموصلي: حدّثنا شيبان، حدّثنا سعيد بن

(١) عرّس: نزل للاستراحة.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٩٨.

سليمان الضبعي، حدّثنا أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ جهز جيشاً إلى المشركين فيهم أبو بكر فقال لهم: «**جِدُّوا السَّيْرَ فَإِنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مَاءً إِنْ يَسْبِقِ الْمُشْرِكُونَ إِلى ذَلِكَ الماءِ شَقَّ عَلَى النَّاسِ وَعَطِشْتُمْ عَطَشاً شَدِيداً أَنْتُمْ وَدَوَابُّكُمْ**»، قالَ: وتخلف رسول الله ﷺ في ثمانية أنا تاسعهم، وقال لأصحابه: «**هَلْ لَكُمْ أن نُعَرِّسَ قليلاً ثُمَّ نَلْحَقَ بالنَّاسِ؟**»قالوا: نعم يا رسول الله، فَعَرَّسُوا فما أيقظهم إلا حَرُّ الشمس، فاستيقظ رسول الله ﷺ واستيقظ أصحابه، فقال لهم: «**تَقَدَّمُوا وَاقْضُوا حَاجَاتِكُمْ**»، فَفَعَلُوا ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «**هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ ماءٌ؟**» قالَ رَجُلٌ منهم: يا رسولَ اللّهِ معي ميضأة فيها شيء من ماء، قال: «**فَجِئْ بِهَا**»: فجاء بها فأخذها نبيُّ الله ﷺ فمسحها بكفيه ودعا بالبركة فيها وقال لأصحابه: «**تَعَالَوْا فَتَوَضَّؤُوا**»، فجاؤوا وَجَعَلَ يصبُّ عليهم رسول الله ﷺ حتى توضؤوا كلهم، فأذن رجل منهم وأقام فصلى رسول الله ﷺ لهم وقال لصاحب الميضأة «**ازْدَهِرْ بِمَيْضَأَتِكَ فَسَيَكُونُ لها شأنٌ**» وركب رسول الله ﷺ قبل الناس وقال لأصحابه: «**ما تَرَوْنَ النَّاسَ فَعَلُوا؟**»فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال لهم: «**فيهم أبو بكر وعمر وَسَيَرْشُدُ النَّاس**» فقدم الناس وقد سبق المشركون إلى ذلك الماء فشقَّ ذلك على الناس وعطشوا عطشاً شديداً ركابهم ودوابهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أينَ صَاحِبُ الميضأة؟**»قالوا: هو هذا يا رسولَ الله، قال: «**جِئْنِي بميضأتِكَ**» فجاء بها وفيها شيء من ماء، فقال لهم: «**تَعَالُوا فاشْرَبُوا**» فجعل يصبُّ لهم رسول الله ﷺ حتى شرب الناس كلهم وسقوا دوابهم وركابهم وملؤوا ما كان معهم من إداوة وقربة ومزادة، ثم نهض رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المشركين، فبعث الله ريحاً فضرب وجوه المشركينَ وأنزل الله نصره وأمكن من ديارهم فقتلوا مقتلة عظيمة، وأسروا أسارى كثيرة، واستاقوا غنائم كثيرة، ورجع رسول الله ﷺ والناس وافرين صالحين. وقد تقدم قريباً عن جابر ما يشبه هذا وهو في صحيح مسلم. وقدمنا في غزوة تبوك ما رواه مسلم من طريق مالك عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ بن جبل. فذكر حديث جمع الصلاة في غزوة تبوك إلى أن قال: وقال ـ يعني رسول الله ﷺ ـ: «**إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوك، وإِنَّكُمْ لَنْ تأتوها حَتَّى يُضْحِي ضُحَى النَّهار، فَمَنْ جاءها فَلاَ يَمَسَّ مِنْ مائِها شيئاً حتى آتِيَ**»، قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبضّ بشيء مِن ماءٍ، فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مَسَسْتُما مِنْ مائها شيئاً؟**» قالا: نعم، فَسَبَّهُمَا وقال لهما ما شاءَ اللَّهُ أن يقولَ ثم غرَفُوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء. ثم غسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه ثم أعاده فيها فَجَرَتْ العَيْنُ بماءٍ كثير، فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا مُعَاذُ يُوشِكُ إن طالتْ بكَ حَيَاةٌ أن تَرَى ما ها هنا قَدْ مُلِيءَ جِناناً**».

وذكرنا في كتاب الوفود من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن زياد بن نعيم الحضرمي عن زياد بن الحارث الصدائي في قصة وفادته فذكر حديثاً طويلاً فيه، ثم قلنا: يا رسول الله إنَّ لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيفُ قلَّ ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا وقد أسلمنا، وكل من حولنا عدو، فادع الله لنا في بئرنا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق، فدعا بسبع حصيات ففركهن بيده ودعا فيهن ثم قال: «**اذْهَبُوا بِهَذِهِ**

الحُصَيَّاتِ فَإذَا أتيتم البئرَ فَألْقُوا وَاحِدَةً وَاحِدَةً وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»، قال الصّدائي: ففعلنا مَا قال لنا، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها ـ يعني البئر ـ وأصل هذا الحديث في المسند وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، وأما الحديث بطوله ففي دلائل النبوة للبيهقي رحمه الله. وقال البيهقي:

باب ما ظهر في البئر التي كانت بقباء من بركته

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي: حدّثنا أبو حامد بن الشرقي، أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله، نا أبي، حدّثنا إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك أتاهم بقباء فسأله عن بئر هناك، قال: فدللته عليها، فقال: لقد كانت هذه وإن الرجل لينضح على حماره فينزح فجاء رسول الله ﷺ وأمر بذنوب فسقى فأما أن يكون توضأ منه وإما أن يكون تفل فيه ثم أمر به فأعيد في البئر، قال: فما نزحت بعد، قال: فرأيته بال ثم جاء فتوضأ ومسح على جنبه ثم صلى. وقال أبو بكر البزار: حدّثنا الوليد بن عمرو بن مسكين، حدّثنا محمد بن عبد الله بن مثنى عن أبيه عن ثمامة عن أنس قال: أتى رسولُ الله ﷺ فنزلنا فسقيناه من بئر لنا في دارنا كانت تسمى النَّزُور في الجاهلية فَتَفَلَ فيها فكانت لا تنزحُ بَعْدُ. ثم قال: لا نعلم هذا يُرْوَى إلا من هذا الوجه.

باب تكثيره عليه السلام الأطعمة

تكثيره اللبن في مواطن أيضاً، قال الإمام أحمد: حدّثنا روح، حدّثنا عمر بن ذر عن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول: «والله إن كُنْتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجلّ ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعلْ، فمرَّ عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعلْ، فمرَّ أبو القاسم ﷺ فعرف ما في نفسي فقال: «**أَبَا هريرة**»، قلتُ لَهُ: لَبَّيْكَ يا رسول الله، فقال: «**الحَقْ**» وَاسْتَأْذَنْتُ فأذنَ لي فوجدت لبناً في قدح فقال: «**مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هٰذا اللَّبَنَ؟**» فقالوا: أهداه لنا فلان أو آل فلان، قال: «**أبا هريرة**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**انطَلِقْ إلى أهْل الصُّفَّةِ [فادْعُهُمْ لي**»، قَالَ] وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهل ولا مال إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصابَ منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها ـ قال: وأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي، وقلت: أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدٌّ، فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال: «**أبا هريرة خُذْ فأَعْطِهِمْ**»، فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم، ودفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده وبقي فيه فضلة ثم رفع رأسه ونظر إليّ وتبسم وقال: «**أبا هريرة**»، فقلت لبيك رسول الله

قال: «بَقِيتُ أنا وأنْتَ»، فقلتُ: صدقت يا رسول الله قال: «فاقْعُدْ فَاشْرَبْ»، قال: فقعدت فشربت [ثم قال لي: «اشرب»، فشربت] فما زال يقول لي: اشْرَب فأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له فيّ مسلكاً، قال: «ناولني القدح»، فرددت إليه فشرب من الفضلة». ورواه البخاري عن أبي نعيم وعن محمد بن مقاتل عن عبد الله بن المبارك. وأخرجه الترمذي عن هناد عن عباد بن يونس بن بكير ثلاثتهم عن عمر بن ذرّ وقال الترمذي: صحيح.
وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو بكر بن عياش، حدثني عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: كنتُ أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال: «يا غلامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قال: فقلت: نعم ولكني مؤتمن، قال: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ[1] عَلَيْهَا الفَحْلُ؟» فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «اقْلُصْ[2]»، فَقَلَصَ، قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فَمَسَحَ رأسي وقال: «يا غلام يَرْحَمُكَ اللّهُ، فَإِنَّكَ عُلَيْمٌ مُعَلَّمٌ»[3]. ورواه البيهقي من حديث أبي عوانة عن عاصم عن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود، وقال فيه: فأتيته بعناق جذعة فاعتقلها ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو، وأتاه أبو بكر بجفنة فحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب، ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، فمسح رأسي وقال: «إنَّكَ غلامٌ مُعَلَّمٌ»، فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بشر. وتقدم في الهجرة حديث أم معبد وحلبه عليه السلام شاتها، وكانت عجفاء لا لبن لها فشرب هو وأصحابه وغادر عندها إناء كبيراً من لبن حتى جاء زوجها. وتقدم في ذكر من كان يخدمه من غير مواليه عليه السلام حديث المقداد بن الأسود حين شرب اللبن الذي كان قد جاء لرسول الله ﷺ، ثم قام في الليل ليذبح له شاة فوجد لبناً كثيراً فحلب ما ملأ منه إناء كبيراً جداً، الحديث.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا زهير عن أبي إسحاق عن ابنة حباب أنها أتت رسول الله ﷺ بشاة فاعتقلها وحلبها، فقال: «ائتني بأعظم إناء لكم»، فأتيناه بجفنة[4] العجين، فحلب فيها حتى ملأها، ثم قال: «اشْرَبُوا أَنْتُمْ وجِيرَانُكُم».

وقال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا محمد بن الفرج الأزرق، حدّثنا عصمة بن سليمان الخراز، حدّثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن نافع ـ وكان له صحبة ـ قال: «كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر وكنا زهاء أربعمائة فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه وقالوا: رسول الله ﷺ أعلم، قال: فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله ﷺ فحلبها فشرب حتى روي وسقى أصحابه حتى رووا، ثم قال: «يا نَافِعُ امْلِكْهَا اللَّيلَةَ وَمَا أَرَاكَ تَمْلِكُهَا»؛ قال: فأخذتها فوتدت لها وتداً ثم ربطتها بحبل، ثم قمت في بعض الليل فلم أرَ الشاة، ورأيت الحبل مطروحاً، فجئت

(١) ينزو عليها: يثب، من النزو وهو الوثوب من الذكر على الأنثى.
(٢) أقلص: أي لا تدر اللبن.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٧٩
(٤) الجفنة: وعاء كبير.

رسول الله فأخبرته من قبل أن يسألني وقال: «يا نَافِعُ ذَهَبَ بِهَا الَّذِي جَاءَ بِهَا» . قال البيهقي: ورواه محمد بن سعد عن خلف بن الوليد ـ أبي الوليد الأزدي ـ عن خلف بن خليفة عن أبان، وهذا حديث غريب جداً إسناداً ومتناً. ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو سعيد الماليني، أخبرنا أبو أحمد بن عديّ، أخبرنا ابن العباس بن محمد بن العباس، حدّثنا أحمد بن سعيد بن أبي مريم، حدّثنا أبو حفص الرياحي، حدّثنا عامر بن أبي عامر الخراز عن أبيه عن الحسن عن سعد ـ يعني مولى أبي بكر ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «احلب لي العنز» ، قال: وعهدي بذلك الموضع لا عَنْزَ فيه، قال: فأتيتُ وإذ العنز حافل، قال: فاحتلبتها واحتفظت بالعنز وأوصيت بها، قال: فاشتغلنا بالرحلة ففقدت فقلت: يا رسول الله قد فقدت العنز، فقال: «إن لها ربّاً» ، وهذا أيضاً حديث غريب جداً إسناداً ومتناً، وفي إسناده من لا يعرف حاله. وسيأتي حديث الغزالة في قسم ما يتعلق من المعجزات بالحيوانات.

تكثيره عليه السلام السمن لأم سليم

قال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا شيبان، حدّثنا محمد بن زيادة البرجمي عن أبي طلال عن أنس عن أمه قال: «كانت لها شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت: يا ربيبة أبلغي هذه العكة رسولَ الله ﷺ يأتدم بها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: هذه عكة[1] سمن بعثت بها إليك أم سليم، قال: «أَفْرِغُوا لَهَا عكّتَهَا» ، ففرغت العكة فدفعت إليها فانطلقت بها وجاءت وأم سليم ليست في البيت فعلّقت العكة على وتد، فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر، فقالت أم سليم: يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله؟ فقالت: قد فعلت، فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله ﷺ، فانطلقت ومعها ربيبة فقالت: يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن، قال: «قد فعلت، قد جاءت» ، قالت: والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمناً، قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أمّ سُلَيْم أَتَعْجَبِينَ إنْ كَانَ اللَّهُ أَطْعَمَكِ كما أَطْعَمْتِ نَبِيَّهُ؟ كُلِي وَأَطْعِمِي» ، قالت: فجئتُ إلى البيت فقسمت في قعب لنا وكذا وكذا وتركت فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين».

حديث آخر في ذلك

قال البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدّثنا عباس الدوري، حدّثنا علي بن بحر القطان، حدّثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن يوسف بن خالد عن أوس بن خالد عن أم أوس البهزيّة قالت: «سليت سمناً لي فجعلته في عكة فأهديته لرسول الله فقبله وترك في العكة قليلاً ونفخ فيها ودعا بالبركة ثم قال: «رُدُّوا عَلَيْهَا عَكَّتَهَا» ، فَرَدُّوهَا عليها وهي مملوءة

---

(١) العكة: إناء من فخار يوضع به السمن.

سمناً، قالت: فظننت أن رسول الله لم يقبلها فجاءت ولها صراخ، فقالت: يا رسول الله إنما سليته لك لتأكله، فعلم أنه قد استجيب له، فقال: «**اذهبوا فقولوا لها فلتأكل سمنها وتدعو بالبركة**»، فأكلتُ بقية عمر النبي ﷺ وولاية أبي بكر وولاية عمر وولاية عثمان حتى كان من أمر عليّ ومعاوية ما كان».

حديث آخر

روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الأعلى بن المسور القرشي عن محمد بن عمرو بن عطاء عن أبي هريرة قال: «كانت امرأة من دوس يقال لها: أم شريك، أسلمت في رمضان، فذكر الحديث في هجرتها وصحبة ذلك اليهودي لها، وأنها عطشت فأبى أن يسقيها حتى تهود، فنامت فرأت في النوم من يسقيها فاستيقظت وهي ريانة، فلما جاءت رسول الله قصت عليه القصة، فخطبها إلى نفسها فرأت نفسها أقل من ذلك وقالت: بل زوجني من شئت، فزوجها زيداً وأمر لها بثلاثين صاعاً، وقال: «**كُلُوا ولا تَكِيلُوا**»، وكانت معها عكة سمن هدية لرسول الله، فأمرت جاريتها أن تحملها إلى رسول الله، ففرغت وأمرها رسول الله إذا ردتها أن تعلقها ولا توكيها، فدخلت أم شريك فوجدتها ملأى، فقالت للجارية: ألم آمرك أن تذهبي بها إلى رسول الله؟ فقالت: قد فعلتُ، فذكروا ذلك لرسول الله فأمرهم أن لا يوكوها فلم تزل حتى أوكتها أم شريك ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقص منه شيء».

حديث آخر في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا موسى، حدّثنا ابن لهيعة حدّثنا أبو الزبير عن جابر أن أم مالك البهزية كانت تهدي في عكة لها سمناً للنبي ﷺ فبينما بنوها يسألونها الإدام وليس عندها شيء فعمدت إلى عكتها التي كانت تهدي فيها إلى النبي ﷺ فقال: «**أَعَصَرْتِيه؟**» فقلت: نعم قال: «**لَوْ تَرَكْتِيهِ ما زالَ ذلكَ مقيماً**»[1] ثم روى الإمام أحمد بهذا الإسناد عن جابر عن النبي ﷺ أنه أتاه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته وضيف لهم حتى كالوه، فقال رسول الله ﷺ «**لَوْ لَمْ تَكِيلُوه لأكلتم فيه وَلَقَامَ لَكُمْ**»[2] وقد روى هذين الحديثين مسلم من وجه آخر عن أبي الزبير عن جابر.

ذكر ضيافة أبي طلحة الأنصاري رسول الله ﷺ

قال البخاري: حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: «قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعتُ صوتَ رسول الله ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٤٠، ٣٤١.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٤٧.

أخرجت خماراً لها فَلَفَّت الخبز ببعضه ثم دَسَّتْهُ تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدتُ رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمتُ عليهم فقال لي رسول الله ﷺ: «أَرْسَلَكَ أبو طَلْحَةَ؟» فقلتُ نعم: قال: «بِطَعامٍ؟» قلتُ: نَعَمْ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قُومُوا»، فانطلقَ وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أمَّ سُلَيم قد جاء رسول الله ﷺ والناسُ وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: اللَّهُ ورسولُهُ أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبلَ رسولُ الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هَلُمّ يا أمَّ سُلَيم، ما عِنْدَكِ؟» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أم سليم عكة فآدمته، ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فأكل القوم كلهم [حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً][1]. وقد رواه البخاري في مواضع أخر من صحيحه ومسلم من غير وجه عن مالك.

طريق آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال أبو يعلى: حدّثنا هدبة بن خالد، حدّثنا مبارك بن فضالة، حدّثنا بكير وثابت البناني عن أنس: «أن أبا طلحة رأى رسول الله ﷺ طاوياً فجاء إلى أم سليم فقال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ طاوياً فهل عندكِ من شيء؟ قالت: ما عندنا إلا نحو من مُدّ دقيق شعير قال: فاعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعوَ رسول الله ﷺ فيأكل عندنا، قال: فعجنته وخبزته فجاء قرصاً فقال لي، [يا أنس] ادعُ رسول الله، فأتيتُ رسول الله ومعه أناس، قال مبارك أحسبه قال: بضعة وثمانون قال: فقلت: يا رسول الله أبو طلحة يدعوك، فقال لأصحابه: «أجيبوا أبا طلحة»، فجئت جزعاً حتى أخبرته أنه قد جاء بأصحابه قال بكر فعدى قدمه وقال ثابت قال أبو طلحة: رسول الله أعلم بما في بيتي مني، وقالا جميعاً عن أنس فاستقبله أبو طلحة فقال: يا رسول الله ما عندنا شيء إلا قرص، رأيتك طاوياً فأمرت أم سليم فجعلت لك قرصاً، قال: فدعا بالقرص ودعا بجفنة فوضعه فيها وقال: «هَلْ مِنْ سَمْنٍ؟» قال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء، قال: فجاء بها، قال: فجعل رسول الله وأبو طلحة يعصرانها حتى خرج شيء مسح رسول الله به سَبَّابته ثم مسح القرص فانتفخ وقال: «بِسْمِ الله» فانتفخ القرص فلم يزل يصنع كذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يميع، فقال: «ادْعُ عَشَرَةً مِنْ أَصْحَابِي»، فَدَعَوتُ له عشرة، قال: فوضع رسول الله ﷺ يده وسط القرص وقال: «كُلُوا بِسْمِ الله»، فأكلوا من حوالي القرص حتى شبعوا، ثم قال: «ادْعُ لي عَشَرَةً أخرَى»، فدعوتُ له عشرة أخرى، فقال: «كُلُوا بِسْمِ الله»، فأكلوا من حوالي القرص حتى شبعوا، فلم يزل يدعو عشرة عشرة يأكلون من ذلك القرص حتى أكل منه بضعة وثمانين من حوالي القرص حتى شبعوا، وإن وسط القرص حيث وضع رسول الله ﷺ يده

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.

كما هو». وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه، فالله أعلم.

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الله بن نمير، حدّثنا سعد - يعني ابن سعيد بن قيس - أخبرني أنس بن مالك قال: بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدْعُوهُ وقد جعل له طعاماً، فأقبلتُ ورسولُ الله ﷺ مع النَّاسِ، قال: فَنَظَرَ إليَّ فاسْتَحْيَيْتُ فقلت: أجِبْ أبا طَلْحَةَ، فقال للنَّاس: «قُومُوا» فقال أبو طلحة: يا رسولَ الله إنَّما صنعتُ شيئاً لك قال: فَمَسَّها رَسُولُ اللَّهِ ودعا فيها بالبركة، ثم قالَ: «أَدْخِلْ نَفَراً مِنْ أَصْحَابِي عَشَرَةً» فقال: «كُلُوا» فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا، وقال: «أَدْخِلْ عَشَرَةً» فَأَكَلُوا حَتى شبعوا، فما زال يُدْخِلُ عَشَرَةً ويخرج عَشَرَةً حتى لم يبقَ منهم أحد إلا دخل فأكلَ حتى شبع ثم هَيَّأها فإذا هي مِثْلُها حين أكلوا منها. وقد رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن عبد الله بن نمير وعن سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه كلاهما عن سعد بن سعيد بن قيس الأنصاري.

طريق أخرى

رواه مسلم في الأطعمة عن عبد بن حميد عن خالد بن مخلد عن محمد بن موسى عن عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس فذكر نحو ما تقدم. وقد رواه أبو يعلى الموصلي عن محمد بن عباد المكي [عن حاتم] عن معاوية بن أبي مُزَرِّدْ عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن أبي طلحة فذكره والله أعلم.

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد: حدّثنا علي بن عاصم، حدّثنا حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس بن مالك قال: أتى أبو طلحة بمدين من شعير فأمر به فصنع طعاماً ثم قال لي: يا أنس [انطلق] ائت رسول الله ﷺ فادعه وقد تعلم ما عندنا، قال: فأتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده فقلت: إن أبا طلحة يدعوك إلى طعام، فقام وقال للناس: «قُومُوا» قال، فجئت أمشي بين يديه حتى دخلتُ على أبي طلحة فأخبرته، قال: فَضَحْتَنَا، قلت: إني لم أستطع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره، فلما انتهى رسول الله ﷺ قال لهم: اقْعُدُوا، ودخل عاشر عشرة فلما دخل أتي بالطعام تناول فأكل وأكل معه القوم حتى شبعوا، ثم قال لهم: «قُومُوا، وَلْيَدْخُلْ عَشَرَةٌ مَكانَكُمْ»، حتى دخل القوم كلهم وأكلوا، قال: قلت: كم كانوا؟ قال: كانوا نيفاً وثمانين، قال: وفضل لأهل البيت ما أشبعهم». وقد رواه مسلم في الأطعمة عن عمرو الناقد عن عبد الله بن جعفر الرقي عن عبد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس قال: أمر أبو طلحة أم سليم قال: اصنعي للنبيّ ﷺ لنفسه خاصة طعاماً يأكل منه، فذكر نحو ما تقدم.

طريق أخرى عن أنس

قال أبو يعلى: حدّثنا شجاع بن مخلد، حدّثنا وهب بن جرير، حدّثنا أبي، سمعت جرير بن يزيد يحدث عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: رأى أبو طلحةِ رسول الله في المسجد مضطجعاً يتقلب ظهراً لبطن، فأتى أمَّ سليم فقال: رأيتُ رسولَ الله مضطجعاً في المسجد يتقلّب ظهراً لبطن فخبزت أم سليم قرصاً، ثم قال لي أبو طلحة: اذهب فادعُ رسول الله، فأتيته وعنده أصحابه فقلت: يا رسول الله يدعوك أبو طلحة، فقام وقال: «قُومُوا»، قال: فجئت أسعى إلى أبي طلحة فأخبرته أن رسول الله قد كان تبعه أصحابه، فتلقاه أبو طلحة، فقال: يا رسول الله إنما هو قرص، فقال: «إنَّ اللَّهَ سَيُبَارِكُ فيهِ»، فدخل رسول الله وجيء بالقرص في قصعة، فقال: «هَلْ مِنْ سَمْنٍ؟» فجيء بشيء من سمن فَغَوَّرَ القرصَ بأصبعه هكذا، ورفعها، ثم صبَّ وقال: «كُلُوا مِنْ بَيْنَ أَصَابِعِي»، فَأكل القوم حتى شبعوا، ثم قال: «أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشَرَةً»، فأكلوا حتى شبعوا، حتى أكل القوم فشبعوا وأكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنا حتى شبعنا وفضلت فضلة أهديت لجيران لنا». ورواه مسلم في الأطعمة من صحيحه عن حسن الحلواني وعن وهب بن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك، فذكر نحو ما تقدم.

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد: حدّثنا يونس بن محمد، حدّثنا حماد - يعني ابن زيد - عن هشام عن محمد - يعني ابن سيرين - عن أنس قال حماد: والجعد قد ذكره قال: عمدت أم سليم إلى نصف مدّ شعير فطحنته ثم عمدت إلى عُكَّةٍ كان فيها شيء من سمن فاتخذت منه خَطِيفَةً. قال: ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فأتيته وهو في أصحابه فقلت: إنَّ أم سليم أرسلتني إليكَ تدعوك، فقال: «أَنَا وَمَنْ مَعِي»، قال: فجاء هو ومن معه، قال: فدخلت فقلت لأبي طلحة: قد جاء رسول الله ﷺ ومن معه، فخرج أبو طلحة فمشى إلى جنب النبيّ ﷺ، قال: يا رسولَ اللّهِ إنما هي خطيفة اتخذتها أمُّ سُلَيْم من نصف مد شعير، قال: فدخل فأتى به، قال: فوضع يده فيها ثم قال: «أَدْخِلْ عَشَرَةً»، قال فدخل عَشَرَة فأكلوا حتى شبعوا، ثم دخل عشرة فَأَكَلُوا ثم عشرة فأكلوا حتى أكل منها أربعون كلهم أكلوا حتى شبعوا، قال: وبقيت كما هي، قال: فأكلنا[1].

وقد رواه البخاري في الأطعمة عن الصلت بن محمد عن حماد بن زيد عن الجعد أبي عثمان عن أنس. وعن هشام بن محمد عن أنس. وعن سنان بن ربيعة عن أبي ربيعة عن أنس «أنَّ أم سليم عمدت إلى مدّ من شعير جَشَّتْهُ وجعلت منه خطيفةً وعمدت إلى عُكَّةٍ فيها شيء من سمن فعصرته ثم بعثتني إلى رسول الله وهو في أصحابه»، الحديث بطوله. ورواه أبو يعلى

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٤٧.

الموصلي: حدّثنا عمرو عن الضحاك، حدّثنا أبي، سمعت أشعث الحراني قال: قال محمد بن سيرين: حدثني أنس بن مالك أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله ﷺ طعام، فذهب فأجر نفسه بصاع من شعير فعمل يومه ذلك فجاء به وأمر أم سليم أن تعمله خطيفة. وذكر الحديث.

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا يونس بن محمد، حدّثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس بن مالك قال: «قالت أم سليم: اذهب إلى نبيّ الله ﷺ فقل له: إن رأيت أن تَغَدّى عندنا فافعل، فجئته فَبَلَّغْتُهُ، فقال: «وَمَنْ عِنْدي؟» قلتُ: نعم، قال: «انْهَضُوا» قال: فجئته فدخلتُ على أمّ سُلَيْم وأنا لدهش لمن أَقْبَلَ مع رسول الله ﷺ، قال: فقالت أمّ سُلَيم: ما صَنَعْتَ يا أَنَسُ؟ فدخلَ رسول الله ﷺ على إثر ذلك فقال: «هَلْ عِنْدَكَ سَمْنٌ؟» قالت: نعم، قد كان منه عندي عكّةٌ فيها شيء من سمنٍ، قال: «فَأْتِي بِهَا» قالت: فجئتُ بها ففتح رِباطها ثم قال: «بِسْمِ الله اللَّهُمَّ أَعْظِمْ فِيها البَرَكَةَ»، قال: «فقالَ «اقْلِبِيهَا» فقلبتّها فعصرها نبيّ الله ﷺ وهو يُسَمِّي، فأخذت نقع قدر فأكلَ منها بِضْعٌ وثمانونَ رجلاً وَفَضَلَ فَضْلَةٌ، فدفعها إلى أمّ سُلَيْم فقال: «كُلِي وَأَطْعِمِي جِيرَانَكِ». وقد رواه مسلم في الأطعمة عن حجاج بن الشاعر عن يونس بن محمد المؤدّب به.

طريق أخرى

قال أبو القاسم البغوي: حدّثنا علي بن المديني، حدّثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن يحيى بن عمارة المازني عن أبيه عن أنس بن مالك أن أمه أم سليم صنعت خزيراً فقال أبو طلحة: اذهب يا بني فادع رسول الله ﷺ، قال: فجئته وهو بين ظهراني الناس، فقلت: إن أبي يدعوك، قال: فقام وقال للناس: «انْطَلِقُوا»، قال: فلما رأيته قام بالناس تقدمت بين أيديهم فجئت أبا طلحة فقلت: يا أبت قد جاءك رسول الله ﷺ بالناس، قال: فقام أبو طلحة على الباب وقال: يا رسول الله إنما كان شيئاً يسيراً، فقال: «هَلُمَّهُ، فإن الله سيجعل فيه البركة»، فجاء به فجعل رسول الله يده فيه، ودعا الله بما شاء أن يدعو، ثم قال: «أدخل عشرة عشرة»، فجاءه منهم ثمانون فأكلوا وشبعوا. ورواه مسلم في الأطعمة عن عبد بن حميد عن القعنبي عن الدراوردي عن يحيى بن عمارة بن أبي حسن الأنصاري المازني عن أبيه عن أنس بن مالك بنحو ما تقدم.

طريق أخرى

ورواه مسلم في الأطعمة أيضاً عن حرملة عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس كنحو ما تقدم.

قال البيهقي: وفي بعض حديث هؤلاء: ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت وأفضلوا ما بلغ جيرانهم، فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه شاهد ذلك على ما فيه

من اختلاف عنه في بعض حروفه، ولكن أصل القصة متواتر لا محالة كما ترى، ولله الحمد والمنة، فقد رواه عن أنس بن مالك إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وبكر بن عبد الله المزني وثابت بن أسلم البناني والجعد بن عثمان وسعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الأنصاري وسنان بن ربيعة وعبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ومحمد بن سيرين والنضر بن أنس ويحيى بن عمارة بن أبي حسن ويعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة.

وقد تقدم في غزوة الخندق حديث جابر في إضافته ﷺ على صاع من شعير وعناق[1]، فعزم عليه الصلاة والسلام على أهل الخندق بكمالهم، فكانوا ألفاً أو قريباً من ألف، فأكلوا كلهم من تلك العناق وذلك الصاع حتى شبعوا وتركوه كما كان، وقد أسلفناه بسنده ومتنه وطرقه ولله الحمد [والمنة]. ومن العجب الغريب ما ذكره الحافظ أبو عبد الرحمن بن محمد بن المنذر الهروي ـ المعروف بشكر ـ في كتاب العجائب الغريبة، في هذا الحديث فإنه أسنده وساقه بطوله وذكر في آخره شيئاً غريباً فقال: حدّثنا محمد بن علي بن طرخان، حدّثنا محمد بن مسرور، أخبرنا هاشم بن هاشم ويكنى بأبي برزة بمكة في المسجد الحرام، حدّثنا أبو كعب البداح بن سهل الأنصاري من أهل المدينة من الناقلة الذين نقلهم هارون إلى بغداد، سمعت منه بالمصيصة عن أبيه سهل بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال: أتى جابر بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فعرف في وجهه الجوع فذكر أنه رجع إلى منزله فذبح داجناً كانت عندهم وطبخها وثرد تحتها في جفنة وحملها إلى رسول الله ﷺ فأمره أن يدعو له الأنصار فأدخلهم عليه أرسالاً فأكلوا كلهم وبقي مثل ما كان، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن يأكلوا ولا يكسروا عظماً، ثم إنه جمع العظام في وسط الجفنة فوضع عليها يده ثم تكلم بكلام لا أسمعه إلا أني أرى شفتيه تتحرك، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال: خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها، قال: فأخذتها ومضيت، وإنها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها البيت، فقالت لي المرأة: ما هذا يا جابر؟ فقلت: هذه والله شاتنا التي ذبحناها لرسول الله، دعا الله فأحياها لنا، فقالت: أنا أشهد أنه رسول الله، أشهد أنه رسول الله، أشهد أنه رسول الله.

حديث آخر عن أنس في معنى ما تقدم

قال أبو يعلى الموصلي والباغندي: حدّثنا شيبان، حدّثنا محمد بن عيسى بصري ـ وهو صاحب الطعام ـ حدّثنا ثابت البناني قلت لأنس بن مالك: يا أنس أخبرني بأعجب شيء رأيته، قال: نعم يا ثابت خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يعب عليّ شيئاً أسأت فيه وإن نبي الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش قالت لي أمي: يا أنس إن رسول الله ﷺ أصبح عروساً ولا أدري أصبح له غداء فهلم [تلك] العكة، فأتيتها بالعكة وبتمر فجعلت له حيساً فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى نبي الله وامرأته، فلما أتيت رسول الله ﷺ بتور من حجارة فيه ذلك الحَيْس قال:

---

(١) العناق: الأنثى من أولاد المعز والغنم من ولادتها إلى بلوغ السنة.

«دعه ناحِيَةَ البَيْتِ وَادْعُ لِي أبا بكرٍ وَعُمَرَ وَعَلِياً وَعُثْمَانَ» وَنَفَراً مِنْ أَصْحَابِهِ، «ثُمَّ ادْعُ لِي أَهْلَ المَسْجِدِ وَمَنْ رَأَيْتَ في الطَّرِيقِ»، قال: فجعلت أتعجب من قلة الطعام ومن كثرة ما يأمرني أن أدعو الناس وكرهت أن أعصيه حتى امتلأ البيت والحجرة، فقال: «يا أَنَسُ هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ؟» فقلت: لا يا رسول الله، قال: «هَاتِ ذلكَ التَّوْرَ»، فجئت بذلك التور فوضعته قدامه، فغمس ثلاث أصابع في التور فجعل التمر يربو فجعلوا يتغذون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون وبقي في التور نحو ما جئت به، فقال: «ضَعْهُ قُدَّامَ زَيْنَبَ»، فخرجت وأسقفت عليهم بابا من جريد، قال ثابت: قلنا: يا أبا حمزة كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التور؟ فقال: أحسب واحداً وسبعين أو اثنين وسبعين. وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه.

حديث آخر عن أبي هريرة في ذلك

قال جعفر بن محمد الفريابي: حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا حاتم بن إسماعيل عن أنيس بن أبي يحيى عن إسحاق بن سالم عن أبي هريرة قال خرج عليَّ رسول الله ﷺ فقال: «ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ مِنْ أَصْحَابِ الصفة»، فجعلت أنبههم رجلاً رجلاً فجمعتهم فجئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا فأذن لنا، قال أبو هريرة: فوضعت بين أيدينا صحفة أظن أن فيها قدر مد من شعير، قال: فوضع رسول الله ﷺ عليها يده وقال: «كُلُوا بِسْمِ اللهِ»، قال: فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحفة: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما أَمْسَى في آلِ مُحمدٍ طعامٌ لَيْسَ تَرَوْنَهُ»، قيل لأبي هريرة: قدر كم كانت حين فرغتم منها؟ قال: مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع. وهذه قصة غير قصة أهل الصفة المتقدمة في شربهم اللبن كما قدمنا.

حديث آخر عن أبي أيوب في ذلك

قال جعفر الفريابي: حدّثنا أبو سلمة يحيى بن خلف، حدّثنا عبد الأعلى عن سعيد الجريري عن أبي الورد عن أبي محمد الحضرمي عن أبي أيوب الأنصاري قال: صنعت لرسول اللهِ ﷺ ولأبي بكر طعاماً قدر ما يكفيهما فأتيتهما به، فقال رسول الله ﷺ: «اذْهَبْ فَادْعُ لي ثَلاثِينَ مِنْ أشرافِ الأنْصَارِ»، قال: فشقَّ ذلك عليَّ، ما عندي شيء أزيده، قال: فكأني تثاقلتُ، فقال: «اذْهَبْ فادعُ لي ثَلاثينَ من أشرافِ الأنصارِ»، فدعوتهم فجاؤوا فقال: اطْعَمُوا، فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله ثم بايعوه قبل أن يخرجوا ثم قال: «اذهبْ فادعُ لي ستين من أشراف الأنصار»، قال أبو أيوب: فوالله لأنا بالستين أجْوَدُ مني بالثلاثين، قال: فدعوتهم، فقال رسول الله ﷺ «تَرَبَّعُوا» فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا، قال: «فاذهب فادع لي تسعينَ من الأنصار»: قال: فلأنا أجود بالتسعين والستين مني بالثلاثين، قال: فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا، قال: فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً كلُّهم من الأنصار. وهذا حديث غريب جداً إسناداً ومتناً. وقد رواه البيهقي من حديث محمد بن أبي بكر المقدمي عن عبد الأعلى به.

قصة أخرى في تكثير الطعام في بيت فاطمة

قال الحافظ أبو يعلى: **حدّثنا** سهل ابن الحنظلية، حدّثنا عبد الله بن صالح، حدثني ابن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة منهن شيئاً، فأتى فاطمة فقال: «**يا بُنَيَّةُ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ آكُلُهُ فَإِنِّي جَائِعٌ؟**» فقالت: لا والله بأبي أنتَ وأمي، فلما خرج من عندها رسول الله ﷺ بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته في جفنة لها وغطت عليها وقالت: والله لأوثرنّ[1] بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها، فقالت له: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك، قال: «**هلمي يا بنية**»، فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً، ولحماً، فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله، فحمدت الله وصلت على نبيه ﷺ وقدمته إلى رسول الله، فلما رآه حمد الله وقال: «**من أين لك هذا يا بنية؟**» قالت: يا أبت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فحمد الله وقال: «**الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً فسئلت عنه قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**»، فبعث رسول الله ﷺ إلى عليّ ثم أكل رسول الله ﷺ وعليٌّ وفاطمة وحسن وحسين، وجميع أزواج رسول الله ﷺ وأهل بيته جميعاً حتى شبعوا، قالت: وبقيت الجفنة كما هي، فأوسعت بقيتها على جميع جيرانها، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً. وهذا حديث غريب أيضاً إسناداً ومتناً. وقد قدمنا في أول البعثة حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ حديث ربيعة بن ماجد عن عليّ في دعوته عليه السلام بني هاشم ـ وكانوا نحواً من أربعين ـ فقدم إليهم طعاماً من مدّ فأكلوا حتى شبعوا وتركوه كما هو، وسقاهم من عُسّ شراباً حتى رووا وتركوه كما هو ثلاثة أيام متتابعة، ثم دعاهم إلى الله كما تقدم.

قصة أخرى في بيت رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد: **حدّثنا** عليّ بن عاصم، حدّثنا سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أتي بقصعة فيها ثريد، قال: فأكل وأكل القوم فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر، يأكل قوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبونه، قال: فقال له رجل: هل كانت تمدّ بطعام؟ قال: أما من الأرض فلا، إلا أن تكون كانت تمد من السماء. ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن سليمان عن أبي العلاء عن سمرة أن رسول الله أتي بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة، يقوم ناس ويقعد آخرون، قال له رجل: هل كانت تمدُّ؟ فقال له: فمن أين تعجب ما كانت تمدُّ إلا من ههنا، وأشار إلى السماء. وقد رواه الترمذي والنسائي عن بندار عن يزيد بن هارون وقال الترمذي: حسن صحيح ورواه النسائي

(١) لأوثرنَّ: لأفضلنَّ.

أيضاً من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي العلاء واسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير عن سمرة بن جندب به.

قصة قصعة بيت الصديق ولعلها هي القصعة المذكورة في حديث سمرة بن جندب والله أعلم

قال البخاري: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا معتمر عن أبيه، حدّثنا أبو عثمان أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر [رضي الله عنهما]: «أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن النبيّ ﷺ قال مرة: «مَنْ كانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بثالثٍ، وَمَنْ كانَ عِنْدَهُ طعامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بخامسٍ أَوْ سَادِسٍ» أو كما قال، وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة، وأبو بكر بثلاثة قال: فهو أنا وأبي وأمي: ولا أدري هل قال امرأتي وخادمي من بيتنا وبيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشّى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلّى العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشّى رسول الله ﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك؟ قال: أوَ ما عَشَّيتيهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء قد عرضوا عليهم فغلبوهم فذهبت فاختبأت فقال يا غُنثَر فجدع وسبّ وقال: كلوا [في رواية أخرى لا هنيئاً] وقال: لا أطعمه أبداً، والله ما كنا نأخذ من لقمة إلا رَبا[1] من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل: فنظر أبو بكر فإذا هي شيء أو أكثر فقال لامرأته في رواية أخرى: ما هذا يا أخت بني فراس؟ قالت: لا وقرة عيني هي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرار: فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الأجل فعرفنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم، قال: فأكلوا منها أجمعون أو كما قال وغيرهم يقول: فتفرقنا[2]. هذا لفظه، وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه ومسلم من غير وجه عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مُل النهدي عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبي بكر في هذا المعنى

قال الإمام أحمد: حدّثنا حازم، حدّثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال: «كُنَّا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانٌ طويل بغنم يسوقها، فقال النبيّ ﷺ: «أَبَيعاً أَمْ عَطِيَّةً؟» أو قال: «أم هدية؟» قال: لاَ، بَلْ بَيْعٌ، فاشترى منه شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى، قال: وايم الله ما من الثلاثين والمائة إلا قد حز له رسول الله ﷺ حزّة من سواد بطنها، إن كان شاهداً أعطاه إياه، وإن كان غائباً خبأ له، قال: وجعل منها قصعتين، قال فأكلنا منهما أجمعون وشبعنا وفضل في القصعتين فجعلناه على

---

(١) ربا: زاد.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.

البعير، أو كما قال»[1]. وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث معتمر بن سليمان.

حديث آخر في تكثير الطعام في السفر

قال الإمام أحمد: حدّثنا فزارة بن عمر، أخبرنا فليح عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ في غزوة غزاها فأرمل فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في نحر الإبل فأذن لهم، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فجاء فقال: يا رسول الله إبلهم تحملهم وتبلغهم عدوهم ينحرونها؟ ادعُ يا رسول الله بغبرات الزاد فادع الله عز وجل فيها بالبركة، قال: أجَلْ، فدعا بغبرات الزاد فجاء الناس بما بقي معهم، فجمعه ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة ودعاهم بأوعيتهم فملأها وفضل فضل كثير، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وأَشهدُ أني عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمَنْ لقي الله عز وجل [بهما] غَيْرَ شَاكٍّ دَخَلَ الجَنَّةَ»[2]. وكذلك رواه جعفر الفريابي عن أبي مصعب الزهري عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه سهيل به.

ورواه مسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن أبيه عن عبيد الله الأشجعي عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن أبي صالح عن أبي هريرة به. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدّثنا زهير، حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح سعيد، أو عن أبي هريرة ـ شكّ الأعمش ـ قال: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادَّهنّا؟ فقال: افعلوا فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلوا قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادعُ لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة، فأمر رسول الله بنطع فبسط ودعا بفضل أزوادهم قال: فجعل الرجل يجيء بكف التمر والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير، فدعا عليهم بالبركة ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأه، وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ الله وأَنِّي رَسُولُ الله، لاَ يَلْقَى الله بِهَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَتَحْتَجِبَ عَنْهُ الجَنَّةُ». وهكذا رواه مسلم أيضاً عن سهل بن عثمان وأبي كريب كلاهما عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد وأبي هريرة فذكر مثله.

حديث آخر في هذه القصة

قال الإمام أحمد: حدّثنا علي بن إسحاق، حدّثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ أخبرنا الأوزاعي، أخبرنا المطلب بن حنطب المخزومي، حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، حدثني أبي قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فأصاب الناس مخمصة فاستأذن الناس رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهورهم وقالوا: يبلغنا الله به، فلما رأى عمر بن الخطاب

---

(١) أخرجه البخاري في الأطعمة باب ٦، وأحمد في المسند ١/١٩٧.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٤٢١، ٤٢٢.

أن رسول الله ﷺ قد همّ أن يأذن لهم في نحر بعض ظهورهم، قال: يا رسول الله كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جياعاً رجالاً؟ ولكن إن رَأيت يا رسول الله أن تدعو لنا ببقايا أزوادهم وتجمعها ثم تدعو الله فيها بالبركة فإن الله سيبلغنا بدعوتك، أو سيبارك لنا في دعوتك، فدعا النبيّ ﷺ ببقايا أزوادهم فجعل الناس يجيئون بالحبة من الطعام وفوق ذلك، فكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر، فجمعها رسول الله ﷺ ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو ثم دعا الجيش بأوعيتهم وأمرهم أن يحتثوا، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه، وبقي مثله، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنّي رَسُولُ اللَّهِ، لا يَلْقَى اللَّهَ عَبْدٌ يُؤْمِنُ بِهِمَا إلا حُجِبَتْ عَنْهُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1] . وقد رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك بإسناده نحو ما تقدم.

حديث آخر في هذه القصة

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا أحمد بن المعلى الآدمي، حدّثنا عبد الله بن رجاء، حدّثنا سعيد بن سلمة، حدثني أبو بكر ـ أظنه من ولد عمر بن الخطاب ـ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أنه سمع أبا حنيس الغفاري «أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة تهامة حتى إذا كنا بعسفان جاءه أصحابه فقالوا: يا رسول الله جهدنا الجوع فأذن لنا في الظهر أن نأكله، قال: نعم، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب فجاء رسول الله فقال: يا نبي الله ما صنعت؟ أمرت الناس أن ينحروا الظهر فعلى ما يركبون؟ قال: «فما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفضل أزوادهم فتجمعه في ثوب ثم تدعو لهم، فأمرهم فجمعوا فضل أزوادهم في ثوب ثم دعا لهم ثم قال: «ائتُوا بِأَوْعِيَتِكُمْ»، فملأ كل إنسان وعاءه، ثم أذن بالرحيل، فلما جاوز مطروا فنزل ونزلوا معه وشربوا من ماء السماء فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنان مع رسول الله وذهب الآخر معرضاً، فقال رسول الله: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ؟ أَمَّا واحِدٌ فَاسْتَحَى مِنَ اللَّهُ فَاسْتَحَى الله مِنْهُ، وأما الآخرُ فأقبلَ تائباً فتابَ اللَّهُ عَلَيهِ وأَمَّا الآخَرُ فأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ».

ثم قال البزار: لا نعلم روى أبو حنيس إلا هذا الحديث بهذا الإسناد. وقد رواه البيهقي عن الحسين بن بشران عن أبي بكر الشافعي: **حدّثنا** إسحاق بن الحسن الخرزي، أخبرنا أبو رجاء، حدّثنا سعيد بن سلمة، حدثني أبو بكر بن عمرو بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة أنه سمع أبا حنيس الغفاري فذكره.

حديث آخر عن عمر بن الخطاب في هذه القصة

قال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا ابن هشام ـ محمد بن يزيد الرفاعي ـ، حدّثنا ابن فضل، حدّثنا يزيد ـ وهو ابن أبي زياد ـ عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم عن أبيه عن جده عمر قال:

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤١٧، ٤١٨.

كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقلنا: يا رسول الله إن العدو قد حضر وهم شباع والناس جياع، فقالت الأنصار: ألا ننحر نواضحنا فنطعمها الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل طعام فليجيء به»، فجعل الرجل يجيء بالمد والصاع وأقل وأكثر، فكان جميع ما في الجيش بضعاً وعشرين صاعاً، فجلس النبيّ ﷺ إلى جنبه فدعا بالبركة، فقال النبي ﷺ «خُذُوا وَلا تَنْتَهِبُوا»، فجعل الرجلُ يأخذ في جرابه وفي غرارته، وأخذوا في أوعيتهم حتى أن الرجل ليربط كمّ قميصه فيملؤوه، ففرغوا والطعام كما هو، ثم قال النبي ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاّ اللّهُ وَأَنّي رَسُولُ اللّهِ، لا يَأْتِي بِهَا عَبْدٌ مُحِقٌّ إلاّ وَقَاهُ اللّهُ حَرَّ النَّارِ». ورواه أبو يعلى أيضاً عن إسحاق بن إسماعيل الطالقاني عن جرير عن يزيد بن أبي زياد فذكره. وما قبله شاهد له بالصحة كما أنه متابع لما قبله والله أعلم.

حديث آخر عن سلمة بن الأكوع في ذلك

قال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي القاري، حدّثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ـ يعني من التمر ـ فبسط نطعاً[1] نشرنا عليه أزوادنا قال: فتمطيت[2] فتطاولت فنظرت فحزرته كربضة شاة ونحن أربع عشرة مائة قال: فأكلنا ثم تطاولت فنظرت فحزرته كربضة شاة، وقال رسول الله ﷺ: «هل من وضوء؟» قال: فجاء رجل بنقطة في إداوته، قال: فقبضها فجعلها في قدح، قال: فتوضأ أناس كلنا ندغفقها[3] دغفقة ونحن أربع عشرة مائة قال فجاء أناس فقالوا: يا رسول الله ألا وَضُوء؟ فقال: «قَدْ فَرَغَ الوَضُوءُ».

وقد رواه مسلم عن أحمد بن يوسف السلمي عن النضر بن محمد عن عكرمة بن عمار عن إياس عن أبيه سلمة، وقال: فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جُربنا. وتقدم ما ذكره ابن إسحاق في حفر الخندق حيث قال: حدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشر بن سعد ـ أخت النعمان بن بشير ـ قالت: دعتني أمّي عمرة بنت رواحة فأعطتني جفنة من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بغدائهما قالت: فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: «تعالي يا بنية، ما هذا معك؟» قالت: قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه فقال: «هاتيه»، قالت: فصببته في كَفّي رسول الله ﷺ، فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دعا بالتمر فنبذ فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصْرُخْ فِي أَهْلِ الخَنْدَقِ أَنْ هَلُمَّ إلى الغَدَاءِ»، فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه

(١) النطع: بساط من جلد.
(٢) تمطى: امتد وطال.
(٣) ندغفقها: نصبّ منها صباً.

ليسقط من أطراف الثوب.

قصة جابر ودين أبيه وتكثيره عليه السلام التمر

قال البخاري في دلائل النبوة: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا زكريا، حدثني عامر حدثني جابر أن أباه توفي وعليه دين فأتيت النبي ﷺ فقلت: «إن أبي ترك عليه ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكيلا يفحش عليَّ الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال: انْزَعوهُ فأوفاهم الذي لهم ويقي مثل ما أعطاهم». هكذا رواه هنا مختصراً. وقد أسنده من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي عن جابر به. وهذا الحديث قد روي من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة، وحاصلها أنه ببركة رسول الله ﷺ ودعائه له ومشيه في حائطه وجلوسه على تمره وفى الله دين أبيه، وكان قد قتل بأحد، [وجابر] كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده، ومع هذا فضل له من التمر أكثر فوق ما كان يؤمله ويرجوه ولله الحمد والمنة.

قصة سلمان

في تكثيره ﷺ تلك القطعة من الذهب لوفاء دينه في مكاتبته.

قال الإمام أحمد: حدّثنا يعقوب، حدّثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب - رجل من عبد القيس - عن سلمان قال: «لما قلت: وأين تقع هذه من الذي عليّ يا رسول الله؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلبها على لسانه ثم قال: «خُذْها فَأَوْفِهِمْ مِنْهَا»، فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم أربعين أوقية»[١].

ذكر مزود أبي هريرة وتمره

قال الإمام أحمد: حدّثنا يونس، حدّثنا حماد - يعني ابن زيد - عن المهاجر عن أبي العالية عن أبي هريرة قال: «أتيت رسول الله ﷺ يوماً بتمرات فقال: ادع الله لي فيهن بالبركة قال: فَصَفَّهُنَّ بين يديه ثم دعا فقال لي: «اجْعَلْهُنَّ في مِزْوَدٍ وَأَدْخِلْ يَدَكَ ولا تَنْثُرْه» قال: فحملت منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ونأكل ونطعم وكان لا يفارق حقوي. فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع عن حقوي فسقط». ورواه الترمذي عن عمران بن موسى القزاز البصري عن حماد بن زيد عن المهاجر عن أبي مخلد عن رفيع أبي العالية عنه وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار، أخبرنا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤٤٤.

الحسين بن يحيى بن عباس القطان، حدّثنا حفص بن عمر، حدّثنا سهل بن زياد أبو زياد، حدّثنا أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ في غزاة فأصابهم عوز من الطعام فقال: «يا أبا هريرة عندك شيء؟» قال: قلت شيء من تمر في مزود لي، قال: «جيء به»، قال: فجئت بالمزود، قال: «هات نطعاً»، فجئت بالنطع فبسطته، فأدخل يده فقبض على التمر فإذا هو واحد وعشرون، فجعل يضع كل تمرة ويسمي حتى أتى على التمر فقال به هكذا فجمعه، فقال: «ادع فلاناً وأصحابه»، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا، ثم قال: «ادع فلاناً وأصحابه»، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا، ثم قال: «ادع فلاناً وأصحابه» فأكلوا وشبعوا وخرجوا وفضل، ثم قال لي: «اقعد»، فقعدت فأكل وأكلت، قال: وفضل تمر فأدخلته في المزود وقال لي: «يا أبا هُرَيْرَةَ إذا أَرَدْتَ شيئاً فَأَدْخِلْ يَدَكَ وَخُذْهُ ولا تكْفأ فَيُكْفَى عليك»، قال: فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدي فأخذت منه خمسين وسقاً في سبيل الله، قال: وكان معلقاً خلف رحلي فوقع في زمن عثمان فذهب».

طريق أخرى عن أبي هريرة في ذلك

روى البيهقي من طريقين عن سهل بن أسلم العدوي عن يزيد بن أبي منصور عن أبيه عن أبي هريرة قال: «أصبت بثلاث مصيبات في الإسلام لم أصب بمثلهن: موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه، وقتل عثمان، والمزود، قالوا: وما المزود يا أبا هريرة؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال: «يا أَبَا هُرَيْرَة أَمَعَكَ شيءٌ؟» قال: قلت تمر في مزود، قال: «جِيءْ بِهِ»، فأخرجت تمراً فأتيته به، قال: فمسّه ودعا فيه ثم قال: «ادْعُ عَشَرَةً»، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي من تمر معي في المزود، فقال: «يا أبا هُرَيْرَةَ إذا أَرَدْتَ أَنْ تأخُذَ مِنْهُ شيئاً فَأَدْخِلْ يَدَكَ فيه ولا تَكْفِهِ» قال: فأكلت منه حياة النبي ﷺ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها، فلما قتل عثمان انتهب ما في يدي وانتهب المزود، ألا أخبركم كم أكلت أكلت منه أكثر من مائتي وسق».

طريق أخرى

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو عامر، حدّثنا إسماعيل - يعني ابن مسلم - عن أبي المتوكل عن أبي هريرة قال: «أعطاني رسول الله ﷺ شيئاً من تمر فجعلته في مكتل فعلقناه في سقف البيت فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره إصابة أهل الشام حيث أغاروا بالمدينة». تفرد به أحمد.

حديث عن العرباض بن سارية في ذلك رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمته من طريق محمد بن عمر الواقدي

حدثني ابن أبي سبرة عن موسى بن سعد عن العرباض قال: «كنت ألزم باب رسول الله ﷺ في الحضر والسفر، فرأينا ليلة ونحن بتبوك أو ذهبنا لحاجة فرجعنا إلى رسول الله ﷺ وقد تعشى ومن عنده، فقال: أين كنت منذ الليلة؟ فأخبرته، وطلع جعال بن سراقة

وعبد الله بن معقل المزني، فكنا ثلاثة كلنا جائع، فدخل رسول الله ﷺ بيت أم سلمة فطلب شيئاً نأكله فلم يجده، فنادى بلالاً: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ فأخذ الجرب ينفقها فاجتمع سبع تمرات فوضعها في صحفة ووضع عليهن يده وسمى الله وقال: «كُلُوا باسْمِ الله»، فأكلنا، فأحصيت أربعاً وخمسين تمرة، كلها أعدها ونواها في يدي الأخرى وصاحبايَ يصنعان ما أصنع، فأكل كل منهما خمسين تمرة، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هنَّ، فقال: «يا بِلالُ ارْفَعْهُنَّ في جرابِكَ»، فلما كان الغد وضعهن في الصحفة وقال: «كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ»، فأكلنا حتى شبعنا وإنا لعشرة ثم رفعنا أيدينا وإنهن كما هن سبع، فقال: لولا أنّي أَسْتَحِي مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لأكلتُ مِنْ هَذِهِ التَّمَراتِ حَتَّى نَرِدَ إلى المدينةِ عَنْ آخِرِنا، فلما رجع إلى المدينة طلع غليم من أهل المدينة فدفعهن إلى ذلك الغلام فانطلق يلوكهن».

حديث آخر

روى البخاري ومسلم من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت له: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفّ لي فأكلت منه حتى طال عليَّ فكلته فَفَنِيَ»[1].

حديث آخر

روى مسلم في صحيحه، عن سلمة بن شبيب عن الحسن بن أعين عن معقل عن أبي الزبير عن جابر: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبي ﷺ فقال: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ لَكُمْ».

وبهذا الإسناد عن جابر: أن أم مالك كانت تهدي إلى رسول الله ﷺ في عُكتها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندها شيء فتعمد إلى التي كانت تهدي فيه إلى رسول الله ﷺ فتجد فيه سمناً، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرتها، فأتت رسول الله ﷺ فقال: «أَعَصَرْتِيهَا؟» قالت: نَعَمْ، فقال «لَوْ تَرَكْتِيهَا ما زالَتْ قائِمَةً». وقد رواهما الإمام أحمد عن موسى عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو جعفر البغدادي، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدّثنا حسان بن عبد الله، حدّثنا ابن لهيعة، حدّثنا يونس بن يزيد، حدّثنا ابن الحارث عن سعيد بن الحارث بن عكرمة عن جده نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: أنه استعان رسول الله في التزويج فأنكحه امرأة فالتمس شيئاً فلم يجده فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند رجل من اليهود بثلاثين صاعاً من شعير، فدفعه رسول الله ﷺ

(١) اخرجه البخاري في الرقاق باب ١٦.

إليه، قال: فطعمنا منه نصف سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه، قال نوفل: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتَ مِنْهُ ما عِشْتَ**».

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدّثنا عباس بن محمد الدوري، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، أخبرنا أبو بكر بن عياش عن هشام ـ يعني ابن حسان ـ عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: أتى رجل أهله فرأى ما بهم منَ الحاجة، فخرج إلى البرية فقالت امرأته: اللهم ارزقنا ما نعتجن ونختبز، قال: فإذا الجفنة ملأى خميراً والرحى تطحن والتنور ملأى خبزاً وشواء، قال: فجاء زوجها فقال: عندكم شيء؟ قالت: نعم رزق الله، فرفع الرحى فكنس ما حوله، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**لَوْ تَرَكَهَا لَدَارَتْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ**». وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدّثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة: «أن رجلاً من الأنصار كان ذا حاجة فخرج وليس عند أهله شيء، فقالت امرأته: لو حركت رحاي وجعلت في تنوري سعفات فسمع جيراني صوت الرحا ورأوا الدخان فظنوا أن عندنا طعاماً وليس بنا خصاصة؟ فقامت إلى تنورها فأوقدته وقعدت تحرك الرحا، قال: فأقبل زوجها وسمع الرحا فقامت إليه لتفتح له الباب، فقال: ماذا كنت تطحنين؟ فأخبرته، فدخلا وإن رحاهما لتدور وتصب دقيقاً، فلم يبقَ في البيت وعاء إلا ملىء، ثم خرجت إلى تنورها فوجدته مملوءاً خبزاً، فأقبل زوجها فذكر ذلك للنبيّ ﷺ، قال: «**فَمَا فَعَلَتِ الرَّحا؟**»قال: رفعتها ونفضتها، فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ تَرَكْتُمُوها ما زالَتْ لَكُم حَيَاتِي، أو قال حَيَاتَكُمْ**». وهذا الحديث غريب سنداً ومتناً.

حديث آخر

وقال: مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ ضافه ضيفٌ كافر فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم فأتى رسول الله ﷺ فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرى فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المسلمَ يَشْرَبُ في معًى وَاحِدٍ، والكافرُ يَشْرَبُ في سَبْعَةِ أمْعَاءٍ**». ورواه مسلم من حديث مالك.

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، حدّثنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثني محمد بن الفضل بن حاتم، حدّثنا الحسين بن عبد الأول، حدّثنا حفص بن غياث، حدّثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: ضاف النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ، قال: فطلب له شيئاً فلم يجد إلا كسرة في كوة قال: فجزأها رسول الله ﷺ أجزاءً ودعا عليها وقال: «**كُلْ!**»قال

فأكل فأفضل. قال فقال: يا محمدُ إنَّكَ لَرَجُلٌ صالح، فقال له النبيُّ ﷺ: «أَسْلِمْ»، فقال: إنك لرجل صالح. ثم رواه البيهقي من حديث سهل بن عثمان عن حفص بن غياث بإسناده نحوه.

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عليّ الحسين بن عليّ الحافظ، قال وفيما ذكر عبدان الأهوازي، حدّثنا محمد بن زياد البرجمي، حدّثنا عبدِ الله بن موسى عن مسعر عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: «أضاف النبيَّ ﷺ ضيفٌ، فأرسل إلى أزواجه يبتغي عندهن طعاماً فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً، فقال: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ فإنه لا يَمْلِكُهَا إلاَّ أَنْتَ»، قال: فأهديت له شاة مَصْلِيَّة[1] فقال: «هذا من فضل الله ونحن ننتظر الرحمة». قال أبو علي: حدثنيه محمد بن عبدان الأهوازي عنه، قال: والصحيح عن زبيد مرسلاً، حدّثنا محمد بن عبدان حدّثنا أبي، حدّثنا الحسن بن الحارث الأهوازي، أخبرنا عبيد الله بن موسى عن مسعر عن زبيد فذكره مرسلاً.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا عبد الرحمن السلمي، حدّثنا أبو عمر بن حمدان، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدّثنا إسحاق بن منصور، حدّثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدّثنا عمرو بن بشر بن السرح، حدثنا الوليد بن سليمان بن أبي السائب، حدّثنا واثلة بن الخطاب عن أبيه عن جده واثلة بن الأسقع قال: حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا فكنا إذا أفطرنا أتى كلَّ رجل منا رجلٌ من أهل البيعة فانطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحنا صباحاً، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء فما بقيت منهن امرأة إلاّ أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد، فقال لهم رسول الله ﷺ فاجتمعوا فدعا وقال: «اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ فَإِنَّهَا بِيَدِكَ لا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ»، فلم يكن إلاّ ومستأذن يستأذن فإذا بشاة مَصْلِيَّةٌ وَرُغُفٌ فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «إنَّا سَأَلْنَا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فَهٰذا فَضْلُهُ وَقَدِ ادَّخَرَ لَنَا عِنْدَهُ رَحْمَتَهُ».

حديث الذراع

قال الإمام أحمد[2]: حدّثنا إسماعيل، حدّثنا يحيى بن إسحاق، حدثني رجل من بني غفار في مجلس سالم بن عبد الله، قال: حدثني فلان «أن رسول الله ﷺ أتي بطعام من خبز ولحم فقال: «نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ» فَنُووِلَ ذراعاً قال يحيى: لا أعلمه إلا هكذا، ثم قال: «نَاوِلْنِي

(١) مَصْلِيَّة: مشوية.

(٢) المسند ٢/٤٨.

الذِّرَاعَ»، فنوولَ ذراعاً فأكلها ثم قال: ناولني الذِّراع، فقال: يا رسول الله إنَّما هُما ذراعان، فقال «وَأَبِيكَ لَوْ سَكَتَّ ما زلتُ أناوَلُ منها ذراعاً ما دَعَوْتُ بِهِ»، فقال سالم: أما هٰذه فلا، سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللّٰهَ يَنْهَاكُمْ أنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ» هكذا وقع إسناد هذا الحديث وهو عن مبهم عن مثله، وقد روي من طرق أخرى.

قال الإمام أحمد[1]: حدّثنا خلف بن الوليد، حدّثنا أبو جعفر - يعني الرازي - عن شرحبيل عن أبي رافع مولى النبيّ ﷺ، قال: «أهديت له شاة فجعلها في القدر فدخل رسول الله ﷺ فقال: «ما هٰذا يا أبا رافِع؟» قال: شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر، فقال: «ناولني الذراعَ يا أبا رَافِع»، فناولتهُ الذراع، ثم قال: «ناولني الذِّرَاعَ الآخَرَ» فناولته الذِّراع الآخر، ثم قال: «ناولني الذِّراع الآخَرَ»، فقال: يا رسول الله إنما للشاة ذراعانِ، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا إنَّكَ لَوْ سَكَتَّ لَنَاوَلْتَنِي ذراعاً فذراعاً ما سَكَتَّ»، ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه، ثم قام فصلى ثم عاد إليه فوجد عندهم لحماً بارداً فأكلَ ثم دخل المسجد فصلى ولم يَمَسّ ماءً».

طريق أخرى عن أبي رافع

قال الإمام أحمد: حدّثنا مؤمل، حدّثنا حماد، حدثني عبد الرحمن بن أبي رافع عن عمته عن أبي رافع قال: صُنِعَ لرسولِ الله ﷺ شاةٌ مصلية فَأُتِيَ بها فقال لي: «يا أبا رَافِع ناولْني الذِّرَاعَ»، فناولته، ثم قال: «يا أبا رافع ناوِلْنِي الذِّرَاعَ» فناولتهُ، ثم قال: «يا أبا رَافِعَ ناولني الذِّرَاعَ»، فقلت: يا رسول الله وهل للشاة إلا ذراعان؟! فقال: «لو سكتَّ لناولتني منها ما دعوت به»، قال: وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع، قلت: ولهذا لما علمت اليهودُ عليهم لعائن الله بخيبر سموه في الذراع في تلك الشاة التي أحضرتها زينب اليهودية فأخبره الذراع بما فيه من السم، لما نَهَس منه نهسة، كما قدمنا ذلك في غزوة خيبر [مبسوطاً].

طريق أخرى

قال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا زيد بن الحباب، حدثني قائد مولى عبد الله بن أبي رافع، قال: أتيتُ رسول الله ﷺ يوم الخندق بشاة في مكتل فقال: «يا أبا رَافِع ناوِلْنِي الذِّرَاعَ فَنَاولته»، ثم قال: «يا أبا رَافِع نَاولني الذِّرَاعَ» فناولته، ثم قال: «يا أبا رَافِع نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ»، فقلت: يا رسول الله أللشاةِ إلا ذراعان؟ فقال: «لَوْ سَكَتَّ سَاعَةً نَاوَلْتَنِيهِ مَا سَأَلْتُكَ». فيه انقطاع من هذا الوجه.

وقال أبو يعلى أيضاً: حدّثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدّثنا فضيل بن سليمان، حدّثنا قائد مولى عبد الله، حدثني عبد الله أن جدته سلمى أخبرته «أن النبيَّ ﷺ بعث إلى أبي رافع بشاة، وذلك يوم الخندق فيما أعلم،، فصلاها أبو رافع ليس معها خبز ثم انطلق بها، فلقيه

(١) المسند ٦/٣٩٢.

النبي ﷺ راجعاً من الخندق فقال: «يا أبا رافع ضع الذي معك»، فوضعه ثم قال: «يا أبا رافع نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ» فناولته، ثم قال: «يا أبا رَافِع نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ» فناولته، ثم قال: «يا أبا رافع ناولْني الذِّرَاعَ»، فقلت: يا رسول الله هل للشاة غيرَ ذراعين؟ فقال: «لَوْ سَكَتَّ لَنَاوَلْتَنِي ما سَأَلْتُكَ».

قال الإمام أحمد: حدّثنا الضحاك، حدّثنا ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة أن شاة طبخت فقال رسول الله ﷺ: «أَعْطِني الذّرَاعَ»، فناولته إياه، فقال: «أَعْطِني الذِّرَاعَ» فناولته إياه، ثم قال: «أَعْطِني الذِّرَاعَ»، فقال: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، قال: «أما إِنَّكَ لَو الْتَمَسْتَهَا لَوَجَدْتَهَا».

حديث آخر

قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع عن دكين بن سعيد الخثعمي، قال: «أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام، فقال النبي ﷺ لعمر: «قُمْ فأطعمهم»، فقال: يا رسول الله [ما عندي] إلا ما يقيظني والصبية، قال وكيع: القيظ في كلام العرب أربعة أشهر، قال: «قم فأعْطِهِمْ»، قال: يا رسول الله سمعاً وطاعة، قال: فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حجزته ففتح الباب، قال دكين: فإذا في الغرفة من التمر شبيه بالفصيل الرابض، قال: شأنكم، قال: فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء ثم التفت وإني لمن آخرهم فكأنا لم نرزأ منه تمرة»[1] ثم رواه أحمد عن محمد ويعلى بن أبي عبيد عن إسماعيل ـ وهو ابن أبي خالد ـ عن قيس ـ وهو ابن أبي حازم ـ عن دكين به. ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرف الرواسي عن عيسى بن يونس عن إسماعيل به.

حديث آخر

قال علي بن عبد العزيز: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا حشرج بن نباتة، حدّثنا أبو نضرة، حدثني أبو رجاء قال: خرج رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فإذا هو برسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما تَجْعَلُ لي إنْ أَرْوَيْتُ حَائِطَكَ هٰذا؟» قال: إني أجهد أن أرويه فما أطيق ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «تجعلُ لي مائة تمرة أختارها من تمرك؟» قال: «نعم»، فأخذ رسول الله ﷺ الغرب، فما لبث أن أرواه حتى قال الرجل: غَرَّقْتَ حائطي، فاختار رسول الله ﷺ من تمره مائة تمرة، قال: فأكل هو وأصحابه حتى شبعوا ثم رد عليه مائة تمرة، كما أخذها. هذا حديث غريب أورده الحافظ ابن عساكر في دلائل النبوة من أول تاريخه بسنده عن علي بن عبد العزيز البغوي، كما أوردناه. وقد تقدم في ذكر إسلام [سلمان] الفارسي ما كان من أمر النخيل التي غرسها رسول الله ﷺ بيده الكريمة لسلمان فلم يهلك منهن واحدة، بل أنجب الجميع وكن ثلاثمائة، وما كان من تكثيره الذهب حين قلبه على لسانه الشريف حتى قضى منه سلمان ما كان عليه من نجوم كتابته وعتق رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧٤.

باب انقياد الشجر لرسول الله ﷺ

قد تقدم الحديث الذي رواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل عن أبي حرزة يعقوب بن مجاهد عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن جابر بن عبد الله قال: «سرنا مع النبيّ ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر فلم يرَ شيئاً يستتر به، وإذا شجرتان بشاطىء الوادي فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، وقال: «**انقادِي عَلَيَّ بإِذْنِ اللَّهِ**»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقال: «**انقادِي عَلَيَّ بإِذْنِ اللَّهِ**»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لأم بينهما ـ يعني جمعهما ـ، وقال: «**الْتَئِما عَلَيَّ بإِذْنِ اللَّهِ**» فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أُحْضِرُ[1] مخافة أن يحسّ بقربي فيبعد، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله وقف وقفة وقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً». وذكر تمام الحديث في قصة الماء وقصة الحوت الذي دسره البحر كما تقدم ولله الحمد والمنة.

حديث آخر

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا الأعمش عن أبي سفيان ـ وهو طلحة بن نافع ـ عن أنس قال: «جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء من ضربة بعض أهل مكة، قال: فقال له: ما لَكَ؟ فقال: «**فَعَلَ بي هؤلاءِ وَفَعَلُوا**»، قال: فقال له جبريل أتحبُّ أن أرِيَكَ آيةً؟ قال: «**نَعَمْ**»، قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادعُ تلكَ الشَّجَرَةَ، فَدَعاها قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مُرْهَا فلترجع فأمرها فرجعت إلى مكانها، فقال رسول الله ﷺ: «**حَسْبِي**». وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجه عن محمد بن طريف عن أبي معاوية.

حديث آخر

روى البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن عمر بن الخطاب أن رسول الله كان على الحجون كئيباً لما أذاه المشركون، فقال: «**اللهمَّ أرني اليومَ آيةً لا أبالي من كَذَّبني بَعْدَها**»، قال: فأمر فنادى شجرة من قبل عقبة أهل المدينة، فأقبلت تخدُّ الأرض حتى انتهت إليه، قال: ثم أمرها فرجعت إلى موضعها، قال: فقال: «**ما أبالي مَنْ كَذَّبَني بَعْدَهَا مِنْ قَوْمي**». ثم قال البيهقي: أخبرنا الحاكم وأبو سعيد بن عمرو، قالا: حدّثنا الأصم، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه، فقال:

(١) أحضر: أي أركض.

«يا ربِّ أرني ما أطمئنُّ إليهِ وَيُذْهِبُ عَنِّي هٰذا الغَمَّ»، فأوحى الله إليه: ادْعُ إليكَ أيَّ أغصان هذه الشجرة شئتَ، قال: فدعا غصناً فانتزع من مكانه ثم خدّ في الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «ارْجِعْ إلى مَكَانِكَ»، فرجع فحمد الله رسول الله وطابت نفسه، وكان قد قال المشركون: أَفَضَلْتَ أَباكَ وأجْدَادَكَ يا محمد، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الآيات [الزمر: ٦٤] قال البيهقي: وهذا المرسل يشهد له ما قبله.

حديث آخر

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا الأعمش عن أبي ظبيان ـ وهو حصين بن جندب ـ عن ابن عباس قال: «أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من بني عامر فقال: يا رسول الله أرني الخاتم الذي بين كتفيك فإني من أَطَبِّ الناس، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أريك آية؟» قال: بلى، قال: فنظر إلى نخلة فقال: «ادْعُ ذلكَ العِذْقَ»، فدعاه فجاء ينقزُ بين يديه، فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع»، فرجع إلى مكانه، فقال العامريّ: يا آل بني عامر، ما رأيت كاليوم رجلاً أسحر من هذا»[1].

هكذا رواه الإمام أحمد، وقد أسنده البيهقي من طريق محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس، قال: «جاء رجل من بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقال: إن عندي طباً وعلماً فما تشتكي؟ هل يريبك من نفسك شيء إلى ما تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله والإسلام»، قال: فإنك لتقول قولاً فهل لك من آية؟ قال: «نَعَمْ، إن شئتَ أرَيْتُكَ آيَةً»، وَبَيْنَ يَدَيْهِ شجرةٌ، فقال لغصن منها: «تَعَالَ يا غُصْنُ»، فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل ينقزُ حتى قام بين يديه، فقال: «ارْجِعْ إلى مَكَانِكَ» فرجع، فقال العامريّ: يا آل عامر بن صعصعة لا ألومك على شيء قلته أبداً[2] وهذا يقتضي أنه سالم الأمر ولم يجب من كل وجه وقد قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا ابن أبي قماش، حدّثنا ابن عائشة عن عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال: «جاء رجل إلى رسول الله فقال: ما هذا الذي يقول أصحابك؟ قال: وحول رسول الله أعذاق وشجر، قال: فقال رسول الله: «هَلْ لَكَ أنْ أُرِيَكَ آيةً؟» قال: نعم، قال: فدعا عذقاً منها فأقبل يخدُّ الأرض حتى وقف بين يديه يخدُّ الأرض ويسجد ويرفع رأسه حتى وقف بين يديه ثم أمره فرجع، قال: فرجع العامري وهو يقول: يا آلَ عامر بن صعصعة والله لا أكذبه بشيء يقوله أبداً».

طريق أخرى فيها أن العامري أسلم

قال البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو علي حامد بن محمد بن الوفا، أخبرنا علي بن عبد العزيز، حدّثنا محمد بن سعيد بن الأصبهاني، أخبرنا شريك عن سماك عن أبي

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/١١٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٢٣.

ظبيان عن ابن عباس قال: «جاء أعرابيّ إلى رسول الله ﷺ قال: بما أعرف أنك رسول الله؟ قال: «**أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟**» قال: نعم، قال فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقز حتى أتى رسول الله، ثم قال له: «**ارْجِعْ**»، فرجع حتى عاد إلى مكانه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وآمن». قال البيهقي، رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن سعيد الأصبهاني، قلت: ولعله قال أولاً إنه سحر ثم تبصر لنفسه فأسلم وآمن لما هداه الله عز وجل والله أعلم.

حديث آخر عن ابن عمر في ذلك

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الورّاق، أخبرنا الحسين بن سفيان أخبرنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي، حدّثنا محمد بن فضيل عن أبي حيان عن عطاء عن ابن عمر قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله: «**أيْنَ تُرِيدُ؟**» قال: إلى أهلي، قال: «**هَلْ لَكَ إلى خيرٍ؟**» قال: ما هو؟ قال: «**تَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»، قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: «**هٰذِهِ الشَّجَرة**»، فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطىء الوادي فأقبلت تخدّ الأرض خدّاً، فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابيّ إلى قومه، فقال: إن يتبعوني أتيتك بهم وإلاّ رجعت إليك وكنت معك». وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه ولا رواه الإمام أحمد والله أعلم.

باب حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ وشغفاً من فراقه

وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان.

الحديث الأول عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه

قال الإمام أبو عبد الله بن إدريس الشافعي رحمه الله: حدّثنا إبراهيم بن محمد، قال: أخبرني عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبيّ بن كعب عن أبيه قال: كان النبيّ ﷺ يصلي إلى جذع نخلة إذ كان المسجد عريشاً، وكان يخطب إليها ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة فتسمع الناس يوم الجمعة خطبتك؟ قال: «**نعم**»، فصنع له ثلاث درجات هن اللاتي على المنبر، فلما صنع المنبر [و] وضع موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، بدا للنبي ﷺ أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه، فمر إليه، فلما جاوز ذلك الجذع الذي كان يخطب إليه خارّ حتى تَصَدَّع وانشقّ، فنزل النبي ﷺ لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه، فكان عنده حتى بلي وأكلته الأرَضَة وعاد رفاتاً».

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن زكريا بن عديّ عن عبيد الله بن عمرو الرقي عن

عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل عن أبيّ بن كعب فذكره. وعنده فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر، وكان إذا صلى صلى إليه، والباقي مثله، وقد رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن عبيد الله الرقي عن عبد الله بن عمرو الرقي به.

الحديث الثاني عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: **حدّثنا** أبو خيثمة، حدّثنا عمر بن يونس الحنفي: حدّثنا عكرمة بن عمار، حدّثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، حدّثنا أنس بن مالك: أنَّ رسول الله كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس، فجاءه روميّ فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع له منبراً له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله على المنبر خار كخوار الثور ارتج لخواره حزناً على رسول الله، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخورُ فلما التزمه سكتَ ثم قال: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لما زالَ هٰكذا حَتَّى يومِ القيامةِ حُزناً على رَسُولِ اللَّهِ، فأمر به رسول الله ﷺ فَدُفِنَ»**، وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن عمر بن يونس به وقال: صحيح غريب من هذا الوجه.

طريق أخرى عن أنس

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: **حدّثنا** هدبة، حدّثنا حماد عن ثابت عن أنس عن النبيّ ﷺ وحبيب بن الشهيد عن الحسن عن النبي ﷺ **«أنه كان يخطبُ إلى جذع نخلة، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحنّ فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه فسكن، وقال: «لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة»**. وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد عن بهز بن أسد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وعن حماد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس به». وهذا إسناد على شرط مسلم.

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد: **حدّثنا** هاشم، حدّثنا المبارك عن الحسن عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس قال: **«ابْنُوا لي مِنْبَراً»** - أراد أن يُسمعهم - فَبَنَوْا له عَتَبَتَيْنِ، فتحوّل من الخشبة إلى المنبر، قال: فأخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تحنّ حنين الواله، قال: فما زالت تحنّ حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر، فمشى إليها فاحتضنها فسكنت. تفرد به أحمد، وقد رواه أبو القاسم البغوي عن شيبان بن فروخ عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس فذكره وزاد: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله، فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إلى لقائه. وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث الوليد بن مسلم عن سالم بن عبد الله الخياط عن أنس بن مالك فذكره.

طريق أخرى عن أنس

قال أبو نعيم: حدّثنا أبو بكر بن خلاد، حدّثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة، حدّثنا يعلى بن عباد، حدّثنا الحكم عن أنس قال: كان رسولُ الله ﷺ يَخْطُبُ إلى جذع فحنّ الجذعُ فاحتضنه وقال: «لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة».

الحديث الثالث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يَخْطُبُ إلى جذع نخلة [قال]: فقالت امرأة من الأنصار ـ [و].كان لها غلام [نجار ـ: يا رسول الله إن] لي غلاماً نجاراً فآمره [أن] يتّخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: «بلى»، قال: فاتخذ له منبراً، قال: فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، قال: فأنَّ الجذع [الذي كان يقوم عليه كما يَئِنُّ الصبيُّ، فقال النبي ﷺ: «إنَّ هٰذا بَكى] لما فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ». هكذا رواه أحمد، وقد قال البخاري: حدّثنا أبو نعيم حدّثنا عبد الواحد بن أيمن، قال: سمعت أبي عن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسولَ اللّهِ ألا نجعلُ لكَ منبراً؟ قال: «إنْ شِئْتُمْ»، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبيّ، ثم نزل النبيّ ﷺ فضمه إليه يئنّ أنين الصبيّ، الذي يسكن قال: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا». وقد ذكره البخاري في غير ما موضع من صحيحه من حديث عبد الواحد بن أيمن عن أبيه وهو أيمن الحبشي المكي مولى ابن أبي عمرة المخزومي عن جابر به.

طريق أخرى عن جابر

قال البخاري: حدّثنا إسماعيل، حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد، حدثني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَارِ، حتى جاء النبيّ ﷺ فوضع يده عليها فسكنت»[1]. تفرد به البخاري.

[طريق أخرى عنه]

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا محمد بن المثنى، حدّثنا أبو المساور، حدّثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي صالح ـ وهو ذكوان ـ عن جابر بن عبد الله وعن أبي إسحاق عن كريب عن جابر قال: «كانت خشبة في المسجد يخطبُ إليها النبي ﷺ فقالوا: [لو] اتخذنا لك مثل الكرسي تقوم عليه؟ ففعل فَحَنَّتِ الخشبة كما تحنّ الناقة الحلوجُ، فأتاها فاحتضنها فوضع يده

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.

عليها فسكنت». قال أبو بكر البزار: وأحسب أنا قد حدثناه عن أبي عوانة عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر، وعن أبي إسحاق عن كريب عن جابر بهذه القصة التي رواها أبو المساور عن أبي عوانة. وحدثناه محمد بن عثمان بن كرامة، حدّثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر عن النبي ﷺ بنحوه. والصواب إنما هو سعيد بن أبي كريب، وكريب خطأ ولا يعلم يروي عن سعيد بن أبي كريب إلا أبا إسحاق. قلت: ولم يخرجوه من هذا الوجه وهو جيد.

طريق أخرى عن جابر

قال الإمام أحمد: **حدّثنا** يحيى بن آدم، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر بن عبد الله قال: «كانَ النبيُّ ﷺ يخطبُ إلى خشبةٍ فلما جُعِلَ لَهُ منبرٌ حَنَّتْ حَنِينَ النَّاقَةِ فأتاها فوضع يده عليها فَسَكَنَتْ»[1]. تفرد به أحمد.

طريق أخرى عن جابر

قال الحافظ أبو بكر البزار: **حدّثنا** محمد بن معمر، حدّثنا محمد بن كثير، حدّثنا سليمان بن كثير عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ إلى جِذْعٍ قبلَ أن يُجعلَ له المنبر، فلما جعل المنبر حن الجذع حتى سمعنا حنينه، فمسح رسول الله ﷺ يده عليه فسكن». قال البزار: لا نعلم رواه عن الزهري إلا سليمان بن كثير. قلت: وهذا إسناد جيد رجاله على شرط الصحيح، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة، وقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل: ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن رجل سماه عن جابر ثم أورده من طريق أبي عاصم بن علي عن سليمان بن كثير عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن جابر مثله. ثم قال: حدّثنا أبو بكر بن خلاد، حدّثنا أحمد بن علي الخراز، حدثنا عيسى بن المساور، حدّثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنَّ رسولَ الله كان يخطب إلى جذع فلما بُنِيَ المنبرُ حَنَّ الجذعُ فاحتضنه فسكن، وقال: **«لوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ»**. ثم رواه من حديث أبي عوانة عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر، وعن أبي إسحاق عن كريب عن جابر مثله.

طريق أخرى عن جابر رضي الله عنه

قال الإمام أحمد: **حدّثنا** عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج وروح قال: حدثنا ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: «كان النبيُّ ﷺ إذا خطب يستندُ إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع له منبره واستوى عليه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٩٣.

حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاعتنقها فَسَكَنَتْ»[١]. وقال روح: فسكتت. وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يخرجوه.

طريق أخرى عن جابر

قال [الإمام] أحمد: حدّثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ يقوم في أصل شجرة، أو قال: إلى جذع، ثم اتخذ منبراً قال: فحنَّ الجذع، قال جابر: حتى سمعه أهل المسجد حتى أتاه رسول الله ﷺ فمسحه فسكن، فقال بعضهم: لو لم يأته لحنَّ إلى يوم القيامة»[٢]. وهذا على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجه عن بكير بن خلف عن ابن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطفة العبدي النضري عن جابر به.

الحديث الرابع عن سهل بن سعد

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا سفيان بن عيينة عن أبي حازم قال: أتوا سهل بن سعد فقالوا من أي شيء منبر رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ يستند إلى جذع في المسجد يصلي إليه إذا خطب، فلما اتخذ المنبر [فصعد] حن الجذع حتى أتاه رسول الله ﷺ فوطنه حتى سكن. وأصل هذا الحديث في الصحيحين وإسناده على شرطهما وقد رواه إسحاق بن راهويه وابن أبي فديك عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده، ورواه عبد الله بن نافع وابن وهب عن عبد الله بن عمر عن ابن عباس بن سهل عن أبيه فذكره. ورواه ابن لهيعة عن عمارة بن عرفة عن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه بنحوه.

الحديث الخامس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس [رضي الله عنهما] أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر، فلما اتخذ المنبر وتحول إليه حنّ عليه فأتاه فاحتضنه فسكن، قال: «وَلَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». وهذا الإسناد على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة.

الحديث السادس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

قال البخاري: حدّثنا محمد بن المثنى، حدّثنا يحيى بن كثير أبو غسان، حدّثنا أبو حفص واسمه عمر بن العلاء ـ أخو أبي عمرو بن العلاء ـ قال: سمعت نافعاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه»[٣]. وقال عبد الحميد: أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٩٥. (٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.

بهذا. ورواه أبو عاصم عن ابن أبي روّاد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ. هكذا ذكره البخاري. وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي الفلاس عن عثمان بن عمرو ويحيى بن كثير عن أبي غسان العنبري كلاهما عن معاذ بن العلاء به وقال: حسن صحيح غريب. قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في أطرافه: ورواه علي بن نصر بن علي الجهضمي و أحمد بن خالد الخلال وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في آخرين عن عثمان بن عمر عن معاذ [ابن العلاء] قال: وعبد الحميد هذا ـ يعني الذي ذكره البخاري ـ يقال: إنه عبد بن حميد والله أعلم.

قال شيخنا: وقد قيل إن قول البخاري: عن أبي حفص واسمه عمرو بن العلاء، وهم، والصواب معاذ بن العلاء كما وقع في رواية الترمذي. قلت: وليس هذا ثابتاً في جميع النسخ، ولم أرَ في النسخ التي كتبت منها تسميته بالكلية والله أعلم. وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن رجاء، عن عبيد الله بن عمر، ومن حديث أبي عاصم عن ابن أبي رواد كلاهما عن نافع عن ابن عمر قال: قال تميم الداري ألا نتخذ لك منبراً. فذكر الحديث.

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا حسين، حدّثنا خلف عن أبي خباب ـ وهو يحيى بن أبي حية ـ عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: «كان جذع نخلة في المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم جمعة أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس، فقالوا: ألا نجعلُ لك يا رسول الله شيئاً كقدر قيامك؟ قال: «لا عَلَيْكُمْ أن تَفْعَلُوا»، فصنعوا له منبراً ثلاث مراقي، قال: فجلس عليه، قال: فخار الجذع كما تخور البقرة جزعاً على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سكن»[1]. تفرد به أحمد.

الحديث السابع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال عبد بن حميد الليثي: حدّثنا علي بن عاصم عن الجريري عن أبي نضرة العبدي، حدثني أبو سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة، فقال له الناس: يا رسول الله إنه قد كثر الناس ـ يعني المسلمين ـ وإنهم ليحبون أن يروك، فلو اتخذت منبراً تقوم عليه ليراك الناس؟ قال: «نعم، [من يجعل لنا هذا المنبر؟»فقام إليه رجل فقال: أنا، قال: «تجعله»؟ قال: نعم ولم يقل: إن شاء الله، قال: «ما اسمك؟»قال: فلان، قال: «اقعد»، فقعد ثم عاد فقال: «من يجعل لنا هذا المنبر؟»فقام إليه رجل فقال: أنا، قال: «تجعله»، قال: نعم ولم يقل: إن شاء الله، قال: «ما اسمك؟»قال: فلان، قال: «اقعد»، فقعد، ثم عاد فقال: «من يجعل لنا هذا المنبر؟»فقام إليه رجل فقال: أنا، قال: «تجعله»، قال: نعم، ولم يقل: إن شاء الله، قال: «ما اسمك؟»قال: فلان، قال «اقعد»فقعد، ثم عاد فقال: «من يجعل لنا هذا

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٠٩/٢.

المنبر» ، فقام إليه رجل فقال: أنا، قال«تجعله» ، قال: نعم إن شاء الله، قال: «ما اسمك؟» قال: إبراهيم، قال: «اجعله» ، فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس للنبي ﷺ في آخر المسجد فلما صعد رسول الله ﷺ المنبر فاستوى عليه فاستقبل الناس وحنت النخلة حتى أسمعتني وأنا في آخر المسجد، قال: فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فاعتنقها، فلم يزل حتى سكنت ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إِنَّ هٰذِهِ النَخْلَةَ إِنَّمَا حَنَّتْ شَوْقاً إِلَى رَسُولِ الله لمّا فَارَقَهَا فَوَالله لَوْ لَمْ أَنْزِلْ إِلَيهَا فَأَعْتَنِقْهَا لَمَا سَكَنَتْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» . وهذا إسناد على شرط مسلم، ولكن في السياق غرابة، والله تعالى أعلم.

طريق أخرى عن أبي سعيد

قال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا مسروق بن المرزبان، حدّثنا زكريا عن مجالد عن أبي الوداك وهو جبر بن نوف عن أبي سعيد قال: كان النبي ﷺ يقوم إلى خشبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال: إن شئت جعلت لك شيئاً إذا قعدت عليه كنت كأنك قائم، قال: «نعم» ، قال: فجعل له المنبر، فلما جلس عليه حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها، حتى نزل النبيّ ﷺ فوضع يده عليها، فلما كان الغد رأيتها قد حولت، فقلنا: ما هذا؟ قالوا: جاء رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر البارحة فحولوها. وهذا غريب أيضاً.

الحديث الثامن عن عائشة رضي الله عنها

رواه الحافظ من حديث علي بن أحمد الحوار عن قبيصة عن حبان بن عليّ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن عائشة فذكر الحديث بطوله وفيه أنه خيره بين الدنيا والآخرة فاختار الجذع الآخرة وغار حتى ذهب فلم يعرف. هذا حديث غريب إسناداً ومتناً.

الحديث التاسع عن أم سلمة رضي الله عنها

روى أبو نعيم من طريق شريك القاضي وعمرو بن أبي قيس ومعلى بن هلال ثلاثتهم عن عمار الذهبي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة قالت: كان لرسول الله ﷺ خشبة يستند إليها إذا خطب، فصنع له كرسي أو منبر فلما فقدته خارت كما يخور الثور، حتى سمع أهل المسجد، فأتاها رسول الله ﷺ فسكنت. هذا لفظ شريك، وفي رواية معلى بن هلال: أنها كانت من دَوْم، وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه، وقد روى الإمام أحمد والنسائي من حديث عمار الذهبي عن أبي سلمة عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «قَوَائِمُ مِنْبَرِي في زَاوِيةٍ في الجنة» .

وروى النسائي أيضاً بهذا الإسناد: «ما بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ» ، فهذه الطرق من هذه الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن، وكذا من تأملها وأنعم فيها

النظر والتأمل مع معرفته بأحوال الرجال وبالله المستعان. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن، حدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي قال: قال أبي ـ يعني أبا حاتم الرازي ـ قال عمرو بن سواد، قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبيّاً ما أعطى محمداً ﷺ، فقلت له: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمداً الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيىء له المنبر، فلما هيىء له المنبر حنَّ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك.

باب تسبيح الحصى في كفه عليه الصلاة والسلام

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا الكديمي، حدّثنا قريش بن أنس، حدّثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمي، قال: سمعت أبا ذر يقول: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته، كنت رجلاً أتبع خلوات رسول الله ﷺ فرأيته يوماً جالساً وحده، فاغتنمت خلوته، فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ، ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات، أو قال: تسع حصيات، فأخذهنَّ في كفه فسَبَّحْنَ حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل، ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في كفّ أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ثم وضعهنّ فخرسن، ثم تناولهنّ فوضعهنّ في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ثم وضعهنّ فخرسنَ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحنَ حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل، ثم وضعهن فخرسن، فقال النبي ﷺ: هذه خلافة النبوة. قال البيهقي: وكذلكَ رواه محمد بن يسار عن قريش بن أنس عن صالح بن أبي الأخضر، وصالح لم يكن حافظاً، والمحفوظ عن أبي حمزة عن الزهري، قال: ذكر الوليد بن سويد هذا الحديث عن أبي ذر هكذا، قال البيهقي: وقد قال محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات التي جمع فيها أحاديث الزهريّ؛ حدّثنا أبو اليمان، حدّثنا شعيب قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كَبير السن كان ممن أدرك أبا ذرّ بالربذة ذكر أنه بينما هو قاعد يوماً في ذلك المجلس وأبو ذر في المجلس إذ ذكر عثمان بن عفان يقول السلمي: فأنا أظن أن في نفس أبي ذر على عثمان معتبة لإنزاله إياه بالربذة، فلما ذكر له عثمان عرض له أهل العلم بذلك، وهو يظن أن في نفسه عليه معتبة، فلما ذكره قال: لا تقل في عثمان إلا خيراً فإني أشهد لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا أنساه حتى أموت، كنت رجلاً ألتمس خلوات النبي ﷺ لأسمع منه أو لآخذ عنه، فهجرت يوماً من الأيام، فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه في بيت، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكأني حينئذٍ أرى أنه في وحي، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: «ما جاء بك؟» فقلت: جاء بي الله ورسوله فأمرني أن اجلس، فجلست إلى جنبه، لا أسأله عن شيء ولا يذكره

لي، فمكثت غير كثير، فجاء أبو بكر يمشي مسرعاً فسلم عليه فرد السلام ثم قال: «ما جاء بك؟» قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار بيده أن أجلس، فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ بينه وبينها الطريق، حتى إذا استوى أبو بكر جالساً فأشار بيده فجلس إلى جنبي عن يميني، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك، وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربوة، ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال: «ما جاء بك؟» قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار إليه بيده فقعد إلى الربوة ثم أشار بيده فقعد إلى جنب عمر، فتكلم النبي ﷺ بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال: «قليل ما يبقين»، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل في كف النبي ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر كما سبحن في كف النبي ﷺ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن فصرن حصاً، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهنّ فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن.

قال الحافظ ابن عساكر: رواه صالح بن أبي الأخضر عن الزهري، فقال: عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمي، وقول شعيب أصح. وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة: وقد روى داود بن أبي هند عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير عن أبي ذر مثله.

ورواه شهر بن حوشب وسعيد بن المسيب عن أبي سعيد. قال: وفيه عن أبي هريرة، وقد تقدم ما رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

حديث آخر في ذلك

روى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، قال: حدّثني أبو أمي مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده أبي أسيد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: «يَا أَبَا الفَضْلِ لاَ تَرِمْ منزلك غداً أنت وبنوك حتى آتيكم فإن لي فيكم حجة»، فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى، فَدخل عليهم فقال: «السَّلاَمُ عَلَيكُم»، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال: «كيف أصبحتم؟» قالوا: أصبحنا بخير نحمد الله، فكيف أصبحت بأبينا وأمنا أنت يا رسول الله؟ قال: «أصبحت بخير أحمد الله»، فقال لهم: «تقاربوا تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض»، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال: «يا رب هذا عمّي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كسترتي إياهم بملاءتي هذه»، وقال: فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين آمين آمين.

وقد رواه أبو عبد الله بن ماجه في سننه مختصراً عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي عن عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن [سعد] بن أبي وقاص الوقاصي الزهري روى عنه جماعة، وقد قال ابن معين: لا أعرفه، وقال أبو حاتم يروي أحاديث مشبهة.

حديث آخر

قال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن أبي بكير، حدّثنا إبراهيم بن طهمان، حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعْرِفُ حَجَراً بمكَّة كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ أُبْعَثَ، إني لأعْرِفُهُ الآنَ»[1]. رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكير به، ورواه أبو داود الطيالسي عن سليمان بن مُعاذ عن سماك به.

حديث آخر

قال الترمذي: حدّثنا عباد بن يعقوب الكوفي، حدّثنا الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب قال: «كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله».

ثم قال: وهذا حديث حسن غريب، وقد رواه غير واحد عن الوليد بن أبي ثور، وقالوا: عن عباد بن أبي يزيد منهم فروة بن أبي الفرا.

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث زياد بن خيثمة عن السدي عن أبي عمارة الحيواني عن علي قال: «خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه، وقدمنا في المبعث أنه عليه السلام لما رجع وقد أوحي إليه جعل لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله، وذكرنا في وقعة بدر ووقعة حنين رميه عليه السلام بتلك القبضة من التراب وأمره أصحابه أن يتبعوها بالحملة الصادقة فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعاً، أما في وقعة بدر فقد قال الله تعالى في سياقها في سورة الأنفال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]» الآية وأما في غزوة حنين فقد ذكرناه في الحديث بأسانيده وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة.

حديث آخر

ذكرنا في غزوة الفتح أن رسول الله ﷺ لما دخل المسجد الحرام فوجد الأصنام حول الكعبة فجعل يطعنها بشيء في يده ويقول: «جَاءَ الحَقُّ وَزُهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً، قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِىءُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»، وفي رواية أنه جعل لا يشير إلى صنم منها إلا خر لقفاه، وفي رواية: إلا سقط، [و] قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثنا بحر بن نصر وأحمد بن عيسى اللخمي، قالا: حدّثنا بشر بن بكير، أخبرنا الأوزاعي عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مستترة بقرام فهتكه ثم قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ الله»، قال الأوزاعي:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٨٩.

وقالت عائشة: «أتي رسولُ الله ﷺ بترسٍ فيه تمثال عقاب فوضع عليه يده فأذهبه الله عز وجل».

باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة

قصة البعير النادّ وسجوده له وشكواه إليه صلوات الله وسلامه عليه.

قال الإمام أحمد: حدّثنا حسين، حدّثنا خلف بن خليفة عن حفص هو ابن عمر عن عمه أنس بن مالك قال: «كان أهل بيت من الأنصار لهم. حمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا» ، فقاموا فدخل الحائط[1] والجمل في ناحيته، فمشى النبيّ ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب وإنا نخاف عليك صولته، فقال: «لَيسَ عليَّ منهُ بأسٌ» ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلَّ ما كانت قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن تسجد لك، فقال: «لا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، ولو صَلَحَ لِبَشَرٍ أنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ المرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها من عِظَم حَقِّهِ عَلَيْهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لو كانَ مِنْ قَدَمِهِ إلى مَفْرِقِ رَأْسِهِ قَرْحَةً تَتَفَجَّرُ بالقَيْحِ وَالصَّدِيدِ ثم اسْتَقْبَلَتْهُ تلحسه ما أَدَّتْ حَقَّهُ»[2] . وهذا إسناد جيد، وقد روى النسائي بعضه من حديث خلف بن خليفة به.

رواية جابر في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا مصعب بن سلام سمعته من أبي مرتين، حدّثنا الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه قال: فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعاً مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هَاتُوا خِطاماً» ، فخطمه ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس فقال رسول الله ﷺ: «إنَّهُ لَيسَ شيءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلاَّ يَعْلَمُ أَنّي رَسُولُ اللَّهِ إلاَّ عَاصِي الجِنِّ والإنسِ»[3] . تفرد به الإمام أحمد، وسيأتي عن جابر من وجه آخر بسياق آخر إن شاء الله وبه الثقة.

رواية ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدّثنا بشر بن موسى، حدّثنا يزيد بن مهران أخو خالد الجيار، حدّثنا أبو بكر بن عياش عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عن ابن عباس قال: جاء قوم

---

(١) الحائط: البستان.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٥٨، ١٥٩.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣١٠.

إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن لنا بعيراً قد ندَّ في حائط، فجاء إليه رسول الله ﷺ فقال: «تعالَ» فجاء مطأطئاً رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه، فقال له أبو بكر الصديق: يا رسول الله، كأنه علم أنك نبيّ، فقال رسول الله [ﷺ]: «مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَحَدٌ إلا يَعْلَمُ أنّي نَبِيُّ الله إلاّ كفرةَ الجِنِّ وَالإِنْسِ». وهذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جداً، والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر، اللهمَّ إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن الذيال عن جابر وعن ابن عباس والله أعلم.

طريق أخرى عن ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدّثنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدّثنا أبو عون الزيادي، حدّثنا أبو عزة الدباغ عن أبي يزيد المديني عن عكرمة عن ابن عباس «أن رجلاً من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطاً فسد عليهما الباب، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فأراد أن يدعو له، والنبي ﷺ قاعد معه نفر من الأنصار، فقال: يا نبي الله إني جئت في حاجة فإن فحلين لي اغتلما، وإني أدخلتهما حائطاً وسددت عليهما الباب، فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله لي، فقال لأصحابه: «قوموا معنا» فذهب حتى أتى الباب فقال: «افتح» فأشفق الرجل على النبي ﷺ، فقال: افتح، ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريباً من الباب، فلما رأى رسول الله ﷺ سجد له، فقال رسول الله: «ائت بشيء أشد رأسه وأمكنك منه» فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه [منه] فقال: «اذْهَبْ فَإِنَّهُمَا لا يَعْصِيَانِكَ» فلما رأى أصحاب رسول الله ﷺ ذلك قالوا: يا رسول الله هذان فحلان سجدا لك أفلا نسجد لك؟ قال: «لا آمُرُ أحداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحدٍ وَلَوْ أَمَرْتُ أحداً أَنْ يَسْجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا». وهذا إسناد غريب ومتن غريب.

ورواه الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد في كتابه دلائل النبوة عن أحمد بن حمدان السحري عن عمر بن محمد بن بجير البحتري عن بشر بن آدم عن محمد بن عون أبي عون الزيادي به. وقد رواه أيضاً من طريق مكي بن إبراهيم عن قائد أبي الورقاء عن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ﷺ بنحو ما تقدم عن ابن عباس.

رواية أبي هريرة

قال أبو عبد الله بن حامد الفقيه: أخبرنا أحمد بن حمدان، أخبرنا عمر بن محمد بن بجير، حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا جرير عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: انطلقنا مع رسول الله ﷺ إلى ناحية فأشرفنا إلى حائط فإذا نحن بناضح، فلما أقبل الناضح رفع رأسه فبصر برسول الله ﷺ فوضع جرّانه على الأرض، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فنحن أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة، فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، أدونَ اللَّهِ؟ ما يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ دُونَ اللَّهِ، وَلَوْ أَمَرْتُ أحداً أَنْ يَسْجُدَ لِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ لأَمَرْتُ المرأةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها»

رواية عبد الله بن جعفر في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد، حدّثنا مهدي بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفرح وحدّثنا بهز وعفان قالا: حدّثنا مهدي، حدّثنا محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد ـ مولى الحسن بن علي ـ عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إليّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه، وقال بهز وعفان: فلما رأى رسول الله حنّ وذرفت عيناه، فمسح رسول الله سراته وذفراه[1] فسكن، فقال: «من صاحب الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله، فقال: «أمَا تَتَّقِي الله في هٰذِهِ البَهِيمَةِ التي مَلَّكَكَها اللّهُ لكَ؟ إنهُ شكا إليَّ أنكَ تُجيعهُ وَتُدِئبُهُ»[2]. وقد رواه مسلم من حديث مهدي بن ميمون به.

رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصمد وعفان قالا: حدّثنا حماد ـ هو ابن سلمة ـ عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة «أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه: يا رسول الله نسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَكْرِمُوا أَخَاكُمْ، ولو كُنتُ آمِراً أحداً أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأمَرْتُ المرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَوْ أمَرَهَا أنْ تَنقُلَ مِنْ جَبَلٍ أصْفَرَ إلى جَبَلٍ أسْوَدَ وَمِنْ جَبَلٍ أسْوَدَ إلى جَبَلٍ أبْيَضَ كانَ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تَفْعَلَهُ» . وهذا الإسناد على شرط السنن، وإنما روى ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد به: «لَوْ أمَرْتُ أحَداً أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأمَرْتُ المرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» إلى آخره.

رواية يعلى بن مرة الثقفي، أو هي قصة أخرى

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو سلمة الخزاعي، حدّثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن حسين عن أبي جبيرة عن يعلى بن سيابة قال: كُنتُ مع النبيِّ ﷺ في مسير له فأراد أن يقضي حاجته فأمر وديتين فانضمت إحداهما إلى الأخرى، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما، وجاء بعير فضرب بجرّانه إلى الأرض ثم جرجر حتى ابتل ما حوله فقال رسول الله ﷺ: «أتَدْرُونَ ما يَقُولُ البَعِيرُ؟ إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره» ، فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «أوَاهِبُهُ أنتَ لي؟» فقال: يا رسول الله مالي مال أحب إليّ منه، فقال: «اسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفاً» ، فقال: لا جرم لا أكرم مالاً لي كرامته يا رسول الله، قال: وأتى على قبر يعذب صاحبه فقال:

(١) الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن. (٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٠٤.

«إنَّهُ يُعَذَّبُ في غَيْرِ كبيرٍ» ، فأمر بجريدة فوضعت على قبره، وقال: «عَسَى أَنْ يُخفَّفَ عَنْهُ ما دَامَتْ رَطْبَةً»[(١)] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن جعفر عن يعلى بن مرة الثقفي قال: «ثلاثة أشياء رأيتهنّ من رسول الله ﷺ: بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يُسْنَى عليه، فلما رآه البعير جَرْجَرَ ووضع جرانه، فوقف عليه النبي ﷺ فقال «أين صاحب هذا البعير؟» فجاء، فقال: «بِعنيه» ، فقال: «لا بَلْ أَهَبُهُ لَكَ» ، فقال: لا بَلْ بِعْنِيهِ، قال: لا بل نهبه لك إنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، قال: «أَمَّا إذْ ذَكَرْتَ هٰذا مِنْ أمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَى كَثْرَةَ العَمَلِ وَقِلَّةَ العَلَفِ فَأَحْسَنُوا إِلَيْهِ» ، قال: ثم سرنا فنزلنا منزلاً فنام رسول الله ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له، فقال: «هي شَجَرَةٌ استأذنتْ رَبَّهَا عَزَّ وَجَلَّ في أنْ تُسَلِّمَ عَلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ فَأذِنَ لَهَا» ، قال: ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال: «اخْرُجْ إنِّي محمدٌ رسولُ اللَّهِ» ، قال ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته امرأة بِجَزَرٍ وَلَبَنٍ فأمرها أن ترد الجَزَرَ وأمر أصحابه فشربوا من اللبن، فسألها عن الصبيّ فقالت: وَالذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريباً بعدك»[(٢)] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الله بن نمير، حدّثنا عثمان بن حكيم، أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال: لقد رأيتُ عن رسول الله ﷺ ثلاثاً ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي: لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت: يا رسول الله هذا [صبيّ] أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة، قال: «ناولينيه» ، فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه فنفث فيه ثلاثاً وقال: «بسم الله أنا عبد الله، اخسأ عدواً لله» ، ثم ناولها إياه، فقال: «ألقينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل» ، قال: فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث، فقال: «ما فعل صبيك؟» فقالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة، فاجترر هذه الغنم، قال: «انزل فخذ منها واحدة ورد البقية» ، قال: وخرجت ذات يوم إلى الجبانة حتى إذا برزنا قال: «ويحك انظر هل ترى من شيء يواريني؟» قلت: ما أرى شيئاً يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك، قال: «فما بقربها؟» قلت: شجرة مثلها أو قريب منها، قال: «فاذهب إليهما فقل: إن رسول الله يأمركما أن تجتمعا بإذن الله» ، قال: فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم رجع فقال: «اذهب إليهما فقل لهما: إن رسول الله يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧٠، ١٧١.

مكانها»، فرجعت. قال: وكنت معه جالساً ذات يوم إذ جاء جمل نجيب حتى صوى بجرّانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال **«ويحك انظر لمن هذا الجمل إن له لشأناً»**. قال: فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال: **«ما شأن جملك [هذا]؟»** فقال وما شأنه؟ قال: لا أدري والله ما شأنه، عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه، قال: **«فلا تفعل، هبه لي أو بعنيه»**. فقال: بل هو لك يا رسول الله، فوسمه سمة الصدقة ثم بعث به»(١).

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن النبي ﷺ «أن امرأة قدمت إلى رسول الله ﷺ معها صبي لها به لمم، فقال رسول الله ﷺ: **«اخرج عدو الله أنا رسول الله»**، قال: فبرأ، قال: فأهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط وشيئاً من سمن، قال: فقال رسول الله: **«خُذ الأَقِطَ وَالسَّمْنَ وَأَحَدَ الكَبْشَيْنِ وَرُدَّ عليها الآخَرَ»**(٢)، ثم ذكر قصة الشجرتين كما تقدم. وقال أحمد: حدّثنا أسود، حدّثنا أبو بكر بن عياش عن حبيب بن أبي عمرة عن المنهال بن عمرو عن يعلى قال: ما أظن أن أحداً من الناس رأى من رسول الله ﷺ إلا دون مَا رأيت فذكر أمر الصبيّ والنخلتين وأمر البعير إلا أنه قال: **«ما لبعيرك يشكوك؟ زعم أنك سانيه حتى إذا كبر تريد تنحره»**، قال: صدقت والذي بعثك بالحق قد أردت ذلك، والذي بعثك بالحق لا أفعل.

طريق أخرى عنه

روى البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم: حدّثنا عباس بن محمد الدوري، حدّثنا حمدان بن الأصبهاني حدّثنا يزيد عن عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده قال: رأيتُ من رسول الله ﷺ ثلاثة أشياء ما رآها أحد قبلي، كنت معه في طريق مكة فمر بامرأة معها ابن لها به لمم ما رأيت لمماً أشد منه، فقالت: يا رسول الله ابني هذا كما ترى، فقال **«إن شئت دعوت له»**، فدعا له، ثم مضى فمر على بعير ماد جرانه يرغو، فقال: **«عليّ بصاحب هذا البعير»**، فجيء به، فقال: **«هذا يقول: نتجت عندهم فاستعملوني حتى إذا كبرت عندهم أرادوا أن ينحروني»**، قال: ثم مضى ورأى شجرتين متفرقتين فقال لي: **«إذهب فمرهما فليجتمعا لي»**، قال: فاجتمعتا فقضى حاجته، قال: ثم مضى فلما انصرف مر على الصبي وهو يلعب مع الغلمان وقد ذهب ما به وهيأت أمه أكبشاً فأهدت له كبشين، وقالت: ما عاد إليه [شيء] من اللمم، فقال النبي ﷺ: **«ما من شيء إلا ويعلم أني رسول الله، إلا كفرة أو فسقة الجن والإنس»**. فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة، وقد تفرد بهذا كله الإمام أحمد دون أصحاب الكتب الستة ولم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧٠، ١٧١، ١٧٢. (٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧١.

يرو أحد منهم شيئاً سوى ابن ماجه فإنه روى عن يعقوب بن حميد بن كاسب عن يحيى بن سليم عن خيثم عن يونس بن خباب عن يعلى بن مرة أن رسول الله ﷺ كان إذا ذهب إلى الغائط أبعد. وقد اعتنى الحافظ أبو نعيم بحديث البعير في كتابه دلائل النبوة، وطرقه من وجوه كثيرة، ثم أورد حديث عبد الله بن قرط اليماني قال: جيء رسول الله ﷺ بست زود فجعلن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ، وقد قدمنا الحديث في حجة الوداع. قلت: قد أسلفنا عن جابر بن عبد الله نحو قصة الشجرتين، وذكرنا آنفاً عن غير واحد من الصحابة نحواً من حديث الجمل لكن بسياق يشبه أن يكون [غير] هذا فالله أعلم.

وسيأتي حديث الصبي الذي كان يصرع ودعاؤه عليه الصلاة والسلام له وبرؤه في الحال من طرق أخرى وقد روى الحافظ البيهقي عن أبي عبد الله الحاكم وغيره عن أبي العباس الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبي الزبير عن جابر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد، فنزلنا منزلاً بفلاة من الأرض ليس فيها علم ولا شجر، فقال لي: «**يا جابر خذ الإداوة وانطلق بنا**»، فملأت الإداوة ماء وانطلقنا فمشينا حتى لا نكاد نرى، فإذا شجرتان بينهما أذرع، فقال رسول الله ﷺ: «**يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة: يقول لك رسول الله: الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما**»، ففعلت فرجعت فلحقت بصاحبتها، فجلس خلفهما حتى قضى حاجته، ثم رجعنا فركبنا رواحلنا فسرنا كأنما على رؤوسنا الطير تظلنا، وإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه، فوقف رسول الله ﷺ فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل فقال: «**اخسأ عدوّ الله، أنا رسول الله**»، وأعاد ذلك ثلاث مرات، ثم ناولها إياه، فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا تلك المرأة ومعها كبشان تقودهما والصبي تحمله، فقالت: يا رسول الله اقبل مني هديتي، فوالذي بعثك بالحق إن عاد إليه بعد، فقال رسول الله ﷺ: «**خذوا أحدهما وردوا الآخر**»، قال: ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا، فجاء جمل نادّ، فلما كان بين السماطين خرَّ ساجداً، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناسُ مَنْ صاحبُ هٰذا الجمل؟**» فقال فتية من الأنصار: هو لنا يا رسول الله، قال: «**فما شَأْنُهُ؟**» قالوا: سنونا عليه منذ عشرين سنة فلما كبرت سنه وكانت عليه شحيمة أردنا نحره لنقسمه بين غلمتنا، فقال رسول الله ﷺ«**تَبِيعُونِيهِ؟**» قالوا: يا رسول الله هو لك، قال: «**فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ حتى يأتِيَهُ أَجَلُهُ**»، قالوا: يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم، فقال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر، ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن**». وهذا إسناد جيد رجاله ثقات.

وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفراء عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله كان إذا ذهب المذهب أبعد. ثم قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا الحسين بن علي بن زياد، حدّثنا أبو حمنة، حدّثنا أبو قرة عن زمعة عن زياد ـ هو ابن سعد ـ عن أبي الزبير أنه سمع يونس بن خباب الكوفي يحدث أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان في سفر إلى مكة

فذهب إلى الغائط وكان يبعد حتى لا يراه أحد، قال: فلم يجد شيئاً يتوارى به، فبصر بشجرتين، فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحو من حديث جابر. قال البيهقي: وحديث جابر أصح، قال: وهذه الرواية ينفرد بها زمعة بن صالح عن زياد ـ أظنه ابن سعد ـ عن أبي الزبير. قلت: وقد يكون هذا أيضاً محفوظاً، ولا ينافي حديث جابر ويعلى بن مرة، بل يشهد لهما ويكون هذا الحديث عند أبي الزبير محمد بن مسلم بن تَدرُس المكيِّ عن جابر. وعن يونس بن خباب عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه والله أعلم.

وروى البيهقي من حديث معاوية بن يحيى الصيرفي ـ وهو ضعيف ـ عن الزهري عن خارجة بن زيد عن أسامة بن زيد حديثاً طويلاً نحو سياق حديث يعلى بن مرة وجابر بن عبد الله، وفيه قصة الصبي الذي كان يصرع ومجيء أمه بشاة مشوية فقال: «ناولِيني الذراع» فناولته، ثم قال: «ناولِيني الذراع» فناولته، ثم قال: «ناولِيني الذراع»، فقلت كم للشاة من ذراع؟ فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ سَكَتُّ لَنَاوَلْتِينِي مَا دَعَوْتُ». ثم ذكر قصة النخلات واجتماعهما وانتقال الحجارة معهما حتى صارت الحجارة رجماً خلف النخلات. وليس في سياقه قصة البعير فلهذا لم يورده بلفظه وإسناده والله المستعان.

[وقد روى الحافظ ابن عساكر ترجمة غيلان بن سلمة الثقفي بسنده إلى يعلى بن منصور الرازي عن شبيب بن شيبة عن بشر بن عاصم عن غيلان بن سلمة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فرأينا منه عجباً فذكر قصة الشجرتين واستتاره بهما عند الخلاء، وقصة الصبي الذي كان يصرع، وقوله: «بِسْمِ الله أَنَا رَسُولُ الله، اَخْرُجْ عَدُوَّ الله» ثلاثاً فعوفي. ثم ذكر قصة البعيرين النادين وأنهما سجدا له بنحو ما تقدم في البعير الواحد، فلعل هذه قصة أخرى، والله أعلم][1].

وقد ذكرنا فيما سلف حديث جابر وقصة جمله الذي كان قد أعيى، وذلك مرجعهم من تبوك وتأخره في أخريات القوم، فلحقه النبي ﷺ فدعا له وضربه فسار سيراً لم يسر مثله حتى جعل يتقدم أمام الناس، وذكرنا شراءه عليه السلام منه وفي ثمنه اختلاف كثير وقع من الرواة لا يضر أصل القصة كما بيناه.

وتقدم حديث أنس في ركوبه عليه السلام على فرس أبي طلحة حين سمع الناس صوتاً بالمدينة فركب ذلك الفرس، وكان يبطىء، وركب الفرسان نحو ذلك الصوت، فوجدوا رسول الله ﷺ قد رجع بعدما كشف ذلك الأمر، فلم يجد له حقيقة، وكان قد ركبه عرياً لا شيء عليه وهو متقلد سيفاً، فرجع وهو يقول: «لن تراعوا لن تراعوا، ما وجدنا من شيء، وإن وجدناه لبحراً». أي سابقاً. وكان ذلك الفرس يبطأ قبل تلك الليلة فكان بعد ذلك لا يجارى ولا يكشف له غبار وذلك كله ببركته عليه الصلاة والسلام.

حديث آخر غريب في قصة البعير

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه «دلائل النبوة» وهو مجلد كبير

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من التيمورية.

حافل كثير الفوائد: أخبرني أبو علي الفارسي، حدّثنا أبو سعيد عن عبد العزيز بن شهلان القواس، حدّثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن خالد الراسبي، حدثنا عبد الرحمن بن علي البصري، حدثنا سلامة بن فائد بن زياد بن أبي هند الرازي، حدثني أبي عن أبيه عن جده، حدثنا غنيم بن أوس - يعني الرازي - قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على رسول الله ﷺ فزعاً فقال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا البَعِيرُ اسْكُنْ، فَإِنْ تَكُ صَادِقاً فَلَكَ صِدْقُكَ، وَإِنْ تَكُ كَاذِباً فَعَلَيْكَ كَذِبُكَ، مَعَ أَنَّ الله تَعَالَى قَدْ أَمَّنَ عَائِذَنا، وَلاَ يَخَافُ لائِذُنَا»، قلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال: «هٰذَا بَعِيرٌ هَمَّ أَهْلُهُ بِنَحْرِهِ فَهَرَبَ مِنْهُمْ فَاسْتَغَاثَ بِنَبِيِّكُمْ»، فبينا نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك، فقال رسول الله ﷺ: «يشكو مرَّ الشكاية»، فقالوا: يا رسول الله ما يقول؟ قال: «يقول إنه ربي في إبلكم جوازاً وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء رحلتم إلى موضع الدفء»، فقالوا: قد كان ذلك يا رسول الله، فقال: «ما جزاء العبد الصالح من مواليه؟» قالوا: يا رسول الله فإنّا لا نبيعه ولا ننحره، قال: «فقد استغاث فلم تغيثوه، وأنا أولى بالرحمة منكم، لأن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين»، فاشتراه النبي ﷺ بمائة درهم، ثم قال: «أيها البعير انطلق فأنت حرّ لوجه الله»، فرغا على هامة رسول الله ﷺ فقال: رسول الله: «آمين» ثم رغا الثانية فقال «آمين»، ثم رغا الثالثة فقال: «آمين»، ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال: يقول: «جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيراً، قلت: آمين، قال: سكن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكنت رعبي قلت: آمين قال: حقن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمي، قلت: آمين، قال: لا جعل الله بأسها بينها، فبكيت وقلت: هذه خصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني واحدة وأخبرني جبريل عن الله أن فناء أمتك بالسيف فجرى القلم بما هو كائن». قلت: هذا الحديث غريب جداً لم أرَ أحداً من هؤلاء المصنفين في الدلائل أورده سوى هذا المصنف، وفيه غرابة ونكارة في إسناده ومتنه أيضاً والله أعلم.

حديث في سجود الغنم له ﷺ

قال أبو محمد عبد الله بن حامد أيضاً: قال يحيى بن صاعد: حدّثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثنا عباد بن يوسف الكندي أبو عثمان، حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: دخل النبي ﷺ حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار، وفي الحائط غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم، فقال: «إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». غريب وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم.

قصة الذئب وشهادته بالرسالة

قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد، حدّثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليَّ؟ فقال: يا عجبي ذئب يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: **«أخبرهم»** فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: **«صدق، والذي نفسُ محمد بيده لا تقوم السَّاعة حتى يكلّم السّباع الإنس، ويكلم الرجل عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وشراكُ نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده»**.
وهذا إسناد على شرط الصحيح. وقد صححه البيهقي ولم يروه إلا الترمذي من قوله: **«والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس»** إلى آخره، عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن القاسم بن الفضل. ثم قال: وهذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى وابن مهدي.

طريق أخرى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثني عبد الله بن أبي حسين، حدثني شهر أن أبا سعيد الخدري حدثه عن النبي ﷺ قال: بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاستنقذها منه وهجهجه فعانده الذئب يمشي ثم أقعى مستذفراً بذنبه يخاطبه فقال: أخذت رزقاً رزقنيه الله، قال: واعجباً من ذئب مستذفر بذنبه يخاطبني! فقال: والله إنك لتترك أعجب من ذلك، قال: وما أعجب من ذلك؟ قال: رسول الله ﷺ في النخلتين بين الحرتين يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك، قال: فنعق الأعرابي بغنمه حتى ألجأها إلى بعض المدينة ثم مشى إلى النبي ﷺ حتى ضرب عليه بابه، فلما صلى النبي ﷺ قال: **«أين الأعرابي صاحب الغنم؟»** فقام الأعرابي، فقال له النبي ﷺ: **«حَدِّث النَّاسَ بما سمعتَ وبما رأيتَ»**، فحدث الأعرابيُّ الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: **«صَدَقَ، آياتٌ تكونُ قَبْلَ السَّاعة، والذي نفسي بيده لا تقومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَهْلِهِ فيخبره نَعْلُهُ أَوْ سَوْطُهُ أَوْ عَصَاهُ بما أحدث أهله بعده»**. وهذا على شرط أهل السنن ولم يخرجوه. وقد رواه البيهقي من حديث النفيلي قال: قرأت على معقل بن عبد الله بن شهر بن حوشب عن أبي سعيد فذكره. ثم رواه الحاكم وأبو سعيد بن عمرو عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد فذكره. ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن تميم عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد فذكره.

حديث أبي هريرة في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن أشعث بن عبد الملك عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تل فأقعى فاستذفر وقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته مني، فقال الرجل: لله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم، فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهودياً، فجاء إلى النبي ﷺ فأسلم وخبره فصدّقه النبي ﷺ، ثم قال رسول الله: **«إنَّها أمَارَةٌ مِن أماراتٍ بين يَدَي السَّاعَةِ، قد أوشكَ الرجلُ أن يخرجَ فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهلهُ بعده»**.
تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضاً والله أعلم.

حديث أنس في ذلك

قال أبو نعيم في دلائل النبوة: حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدّثنا محمد بن يحيى بن منده، حدّثنا علي بن الحسن بن سالم، حدّثنا الحسين الرفا عن عبد الملك بن عمير عن أنس ح، وحدثنا سليمان ـ هو الطبراني ـ: حدّثنا عبد الله بن محمد بن ناجية، حدّثنا هشام بن يونس اللؤلؤي، حدّثنا حسين بن سليمان الرفا، عن عبد الملك بن عمير، عن أنس بن مالك قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فشردت عليَّ غنمي، فجاء الذئب فأخذ منها شاة، فاشتد الرعاء خلفه، فقال: طعمة أطعمنيها الله تنزعونها مني؟ قال: فبهت القوم، فقال: ما تعجبون من كلام الذئب وقد نزل الوحي على محمد فمن مصدق ومكذب. ثم قال أبو نعيم: تفرد به حسين بن سليمان عن عبد الملك. قلت: الحسين بن سليمان الرفا هذا يقال له الطلخي كوفي أورد له ابن عدي عن عبد الملك بن عمير أحاديث ثم قال: لا يتابع عليها.

حديث ابن عمر في ذلك

قال البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو أحمد بن عديّ، حدّثنا عبد الله بن أبي داود السجستاني، حدّثنا يعقوب بن يوسف بن أبي عيسى، حدّثنا جعفر بن حسن، أخبرني أبو حسن، حدّثنا عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب قال: قال ابن عمر: كان راع على عهد رسول الله ﷺ إذ جاء الذئب فأخذ شاة ووثب الراعي حتى انتزعها من فيه، فقال له الذئب: أما تتقي الله أن تمنعني طعمة أطعمنيها الله تنزعها مني؟ فقال له الراعي: العجب من ذئب يتكلم، فقال الذئب: أفلا أدلك على ما هو أعجب من كلامي؟ ذلك الرجل في النخل يخبر الناس بحديث الأولين والآخرين أعجب من كلامي، فانطلق الراعي حتى جاء رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم، فقال له رسول الله ﷺ: حدث به الناس.

قال الحافظ ابن عديّ: قال لنا أبو بكر بن أبي داود: ولد هذا الراعي يقال لهم: بنو مكلم الذئب، ولهم أموال ونعم، وهم من خزاعة، واسم مكلم الذئب أهبان، قال: ومحمد بن أشعث الخزاعي من ولده. قال البيهقي: فدل على اشتهار ذلك، وهذا مما يقوي الحديث.

وقد روي من حديث محمد بن إسماعيل البخاري في التاريخ، حدثني أبو طلحة، حدثني سفيان بن حمزة الأسلمي، سمع عبد الله بن عامر الأسلمي، عن ربيعة بن أوس، عن أنس بن عمرو عن أهبان بن أوس قال: كنت في غنم لي فكلمه الذئب وأسلم، قال البخاري: إسناده ليس بالقوي.

ثم روى البيهقي عن أبي عبد الرحمن السلمي، سمعت الحسين بن أحمد الرازي، سمعت أبا سليمان المقري يقول: خرجت في بعض البلدان على حمار فجعل الحمار يحيد بي عن الطريق فضربت رأسه ضربات فرفع رأسه إلي وقال لي: اضرب يا أبا سليمان فإنما على دماغك هو ذا يضرب، قال: قلت له: كلمك كلاماً يفهم! قال: كما تكلمني وأكلمك.

حديث آخر عن أبي هريرة في الذئب

وقد قال سعيد بن مسعود: حدّثنا حبان بن علي، حدّثنا عبد الملك بن عمير به ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير، عن أبي الأوس الحارثي عن أبي هريرة قال: جاء الذئب فأقعى بين يدي النبي ﷺ وجعل يبصبص بذنبه، فقال رسول الله ﷺ: «هٰذَا وافِدُ الذِّئابِ، جَاءَ لِيَسْأَلَكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئاً» ، قالوا: والله لا نفعل، وأخذ رجل من القوم حجراً فرماه فأدبر الذئب وله عواء، فقال رسول الله ﷺ: «الذئب، وما الذئب؟» .

وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي عبد الله الأصبهاني عن محمد بن مسلمة عن يزيد بن هارون عن شعبة عن عبد الملك بن عمير [عن رجل] به. ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن رجل عن مكحول عن أبي هريرة فذكره.

وعن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك بن عمير، عن أبي الأوبر، عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً صلاة الغداة ثم قال: «هذا الذئب وما الذئب؟ جاءكم يسألكم أن تعطوه أو تشركوه في أموالكم» ، فرماه رجل بحجر فمر أو ولى وله عواء. وقال محمد بن إسحاق عن الزهري عن حمزة بن أبي أسيد قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار بالبقيع فإذا الذئب مفترشاً ذراعيه على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «هذا جاء يستفرض فافرضوا له» ، قالوا: ترى رأيك يا رسول الله، قال: «من كل سائمة شاة في كل عام» ، قالوا: كثير، قال: فأشار إلى الذئب أن خالسهم، فانطلق الذئب، رواه البيهقي.

وروى الواقدي عن رجل سماه عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: بينا رسول الله ﷺ في المدينة إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه، فقال: «هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن

تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره، وإن أحببتم تركتموه واحترزتم منه فما أخذ فهو رزقه» ، فقالوا: يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء، فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم، قال: فولى وله عواء. وقال أبو نعيم: حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا معاذ بن المثنى، حدّثنا محمد بن كثير، حدّثنا سفيان، حدّثنا الأعمش، عن شمر بن عطية عن رجل من مزينة أن جهينة قال: أتت وفود الذئاب قريب من مائة ذئب حين صلى رسول الله ﷺ فأقعين، فقال رسول الله ﷺ: «هذه وفود الذئاب، جئنكم يسألنكم لتفرضوا لهن من قوت طعامكم وتأمنوا على ما سواه» ، فشكوا إليه الحاجة، قال: فأدبروهم قال: فخرجن ولهن عواء.

[وقد تكلم القاضي عياض على حديث الذئب فذكر عن أبي هريرة وأبي سعيد وعن أهبان بن أوس وأنه كان يقال له: مكلم الذئب، قال: وقد روى ابن وهب أنه جرى مثل هذا لأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، مع ذئب وجداه أخذ صبياً فدخل الصبيّ الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار، فقال أبو سفيان: واللات والعزى لأن ذكرت هذا بمكة ليتركنها أهلوها].

قصة الوحش الذي كان في بيت النبيّ ﷺ وكان يحترمه عليه السلام ويوقره ويجله

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا يونس عن مجاهد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتدّ، وأقبل وأدبر، فإذا أحسّ برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه». ورواه أحمد أيضاً عن وكيع وعن قطن كلاهما عن يونس ـ وهو ابن أبي إسحاق السبيعي ـ. وهذا الاسناد على شرط الصحيح. ولم يخرجوه وهو حديث مشهور والله أعلم.

قصة الأسد

وقد ذكرنا في ترجمة سفينة مولى رسول الله ﷺ حديثه حين انكسرت بهم السفينة فركب لوحاً منها حتى دخل جزيرة في البحر فوجد فيها الأسد، فقال له سفينة: يا أبا الحارث إني سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: فضرب منكبي وجعل يحاذيني حتى أقامني على الطريق، ثم همهم ساعة فرأيت أنه يُوَدّعني. وقال عبد الرزاق: حدّثنا معمر عن الحجبي عن محمد بن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم، أو أسر في أرض الروم، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد، فقال: يا أبا الحارث إني مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوته أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش، ثم رجع الأسد عنه. رواه البيهقي.

حديث الغزالة

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله في كتابه دلائل النبوة: حدّثنا سليمان بن أحمد ـ إملاء ـ حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، حدّثنا عبد الكريم بن هلال الجعفي عن صالح المري، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: مر رسول الله ﷺ على قوم قد اصطادوا ظبية فشدوها على عمود فسطاط، فقالت: يا رسول الله، إني أخذت ولي خشفان [1]، فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم، فقال: **«أين صاحب هذه؟»** فقال القوم: نحن يا رسول الله، قال: **«خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم»** فقالوا: من لنا بذلك؟ قال **«أنا»** فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها، فمرّ بهم رسول الله ﷺ فقال: **«أين أصحاب هذه؟»** فقالوا: هو ذا نحن يا رسول الله، فقال: **«تبيعونها؟»** فقالوا: هي لك يا رسول الله، فقال: **«خلوا عنها»** فأطلقوها فذهبت. وقال أبو نعيم: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ـ من أصله ـ، حدّثنا أحمد بن موسى بن أنس بن نصر بن عبيد الله بن محمد بن سيرين بالبصرة، حدّثنا زكريا بن يحيى بن جلاد، حدّثنا حبان بن أغلب بن تميم، حدّثنا أبي، عن هشام بن حبان عن الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: بينا رسول الله ﷺ في حجر من الأرض إذا هاتف يهتف: يا رسول الله، يا رسول الله، قال فالتفت فلم أرَ أحداً، قال: فمشيت غير بعيد فإذا الهاتف: يا رسول الله، يا رسول الله، قال: فالتفت فلم أرَ أحداً، وإذا الهاتف يهتف بي، فاتبعت الصوت وهجمت على ظبية مشدودة في وثاق، وإذا أعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس، فقالت الظبية: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي صادني قبل، ولي خشفان في هذا الجبل، فإن رأيت أن تطلقني حتى أرضعهما ثم أعود إلى وثاقي؟ قال: **«وتفعلين؟»** قالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أفعل، فأطلقها رسول الله ﷺ. فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت، قال: فبينا رسول الله ﷺ يوثقها إذ انتبه الأعرابي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أصبتها قبيْلاً. فلك فيها من حاجة؟ قال: **«قلت: نعم،»** قال: هي لك، فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها في الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال أبو نعيم: وقد رواه آدم بن أبي إياس فقال: حدثني حبي الصدوق، نوح بن الهيثم، عن حبان بن أغلب، عن أبيه، عن هشام بن حبان ولم يجاوزه به، [وقد رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه دلائل النبوة من حديث إبراهيم بن مهدي عن ابن أغلب بن تميم عن أبيه عن هشام بن حبان عن الحسن بن ضبة بن أبي سلمة به].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: **أنبأني** أبو عبد الله الحافظ ـ إجازة ـ أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني: حدّثنا أحمد بن حازم بن أبي عروة الغفاري، حدّثنا

(١) خشفان: ولد الغزالة.

علي بن قادم، حدّثنا أبو العلاء خالد بن طهمان، عن عطية عن أبي سعيد قال: مر النبي ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء فقالت: يا رسول الله خلني حتى أذهب فأرضع خشفيّ ثم أرجع فتربطني، فقال رسول الله ﷺ: **«صيد قوم وربيطة قوم»**، قال: فأخذ عليها فحلفت له، قال: فحلها، فما مكثت إلا قليلاً حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها، فربطها رسول الله ﷺ ثم أتى خباء أصحابها، فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها، ثم قال رسول الله ﷺ **«لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون، ما أكلتم منها سميناً أبداً»**.

قال البيهقي: وروي من وجه آخر ضعيف: **أخبرنا** أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، أخبرنا أبو علي حامد بن محمد الهروي، حدّثنا بشر بن موسى، حدّثنا أبو حفص عمر بن علي، حدّثنا يعلى بن إبراهيم الغزالي، حدّثنا الهيثم بن حماد عن أبي كثير عن يزيد بن أرقم قال: كنت مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة، قال: فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي اصطادني، وإن لي خشفين في البرية، وقد تعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا هو يدعني فأرجع إلى خشفيّ في البرية. فقال لها رسول الله ﷺ: **«إن تركتك ترجعين؟»** قالت: نعم وإلا عذبني الله عذاب العشار، قال: فأطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تلمض، فشدها رسول الله ﷺ إلى الخباء، وأقبل الأعرابي ومعه قربة فقال له رسول الله ﷺ: **«أتبيعنيها؟»** قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقها رسول الله ﷺ. قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسبح في البرية. وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ورواه أبو نعيم: حدّثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن بن مطر، حدّثنا بشر بن موسى فذكره. قلت: وفي بعضه نكارة والله أعلم. وقد ذكرنا في باب تكثيره عليه السلام اللبن حديث تلك الشاة التي جاءت وهي في البرية، فأمر رسول الله ﷺ الحسن بن سعيد مولى أبي بكر أن يحلبها، وأمره أن يحفظها فذهبت وهو لا يشعر، فقال رسول الله ﷺ: **«ذهب بها الذي جاء بها»**. وهو مروي من طريقين عن صحابيين كما تقدم والله أعلم.

حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة

قال البيهقي: **أخبرنا** أبو منصور أحمد بن علي الدامغاني من ساكني قرية نامين من ناحية بيهق ـ قراءة عليه من أصل كتابه ـ حدّثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ـ في شعبان سنة اثنتين وثلاثمائة ـ حدّثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي، حدّثنا محمد بن عبد الأعلى، حدّثنا معمر بن سليمان، حدّثنا كهمس، عن داود بن أبي هند، عن عامر بن عمر، عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعة قال: **«ما هذا؟»** قالوا: هذا الذي يذكر أنه نبي، فجاء فشق الناس فقال: واللات والعزى ما شملت[1] السماء

(١) شملت: احتوت.

على ذي لهجة أبغض إلي منك، ولا أمقت منك، ولولا أن يسميني قومي عجولاً لعجلت عليك فقتلتك فسررت بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فأقوم فأقتله. قال: «يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبياً؟» ثم أقبل على الأعرابي وقال: «ما حملك على أن قلت ما قلت وقلت غير الحق ولم تكرمني في مجلسي؟» فقال: وتكلمني أيضاً؟ - استخفافاً برسول الله ﷺ - واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب - وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ - فقال رسول الله ﷺ: «يا ضب»، فأجابه الضب بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال: «من تعبد يا ضب؟» قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «فمن أنا يا ضب؟» فقال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فقال الأعرابي والله لا أتبع أثراً بعد عين، والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إليَّ منك، وإنك اليوم أحب إليَّ من والدي ومن عيني ومني، وإني لأحبك بداخلي وخارجي، وسري وعلانيتي، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله: «الحمد لله الذي هداك بي، إن هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل إلا بصلاة، ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن»، قال: فعلمني، فعلمه قل هو الله أحد، قال: زدني فما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا، قال: «يا أعرابي إن هذا كلام الله، ليس بشعر، إنك إن قرأت قل هو الله أحد مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن، وإن قرأتها مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثي القرآن، وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كله»، قال الأعرابي: نعم الْهنا. يقبل اليسير ويعطي الجزيل. فقال رسول الله ﷺ: «ألك مال؟» فقال: ما في بني سليم قاطبة رجل هو أفقر مني، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعطوه»، فأعطوه حتى أبطروه [(١)]، قال: فقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله، إن له عندي ناقة عشراء [(٢)]، دون البختية [(٣)] وفوق الأعرى [(٤)]، تلحق ولا تلحق أهديت إليَّ يوم تبوك، أتقرب بها إلى الله عز وجل فأدفعها إلى الأعرابي؟ فقال رسول الله ﷺ: «وصفت ناقتك، فأصف مالك عند الله يوم القيامة؟» قال: نعم، قال: «لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زبرجد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج، وعلى الهودج السندس والاستبرق، وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف. يغبطك بها كل من رآك يوم القيامة» فقال عبد الرحمن: قد رضيت.

فخرج الأعرابي فلقيه ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة، معهم ألف سيف وألف رمح، فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا: نذهب إلى هذا الذي سفه آلهتنا فنقتله. قال: لا تفعلوا،

---

(١) أبطروه: أشبعوه بالنعم، والبطر: هو التكبر عند حلول النعمة.

(٢) العشراء: التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(٣) البختية: دخيل في العربية، أعجمي معرب. وهي الإبل الخراسانية، والبختية أيضاً: هي الأنثى من الجمال البخت، وهي جمال طوال الأعناق ويجمع على بخت وبخات.

(٤) الأعرى: الجمل الذي يرسل سدى ولا يحمل عليه.

أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وحدثهم الحديث، فقالوا بأجمعهم: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم دخلوا، فقيل لرسول الله، فتلقاهم بلا رداء، ونزلوا عن ركبهم يقبلون حتى ولوا عنه وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم قالوا: يا رسول الله: مُرْنا بأمرك. قال: «كونوا تحت راية خالد بن الوليد». فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم.

قال البيهقي: قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ في المعجزات بالإجازة عن أبي أحمد بن عدي الحافظ. قلت ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل عن أبي القاسم بن أحمد الطبراني ـ إملاء وقراءة ـ: حدّثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي البصري أبو بكر بن كنانة. فذكر مثله. ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن محمد بن علي بن الوليد السلمي.

قال البيهقي: روى في ذلك عن عائشة وأبي هريرة، وما ذكرناه هو أمثل الأسانيد فيه وهو أيضاً ضعيف، والحمل فيه على هذا السلمي، والله أعلم.

حديث الحمار

[وقد أنكره غير واحد من الحفاظ الكبار فقال أبو محمد بن عبد الله بن حامد: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن حمدان السحركي، حدّثنا عمر بن محمد بن بجير، حدثنا أبو جعفر محمد بن يزيد ـ إملاء ـ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عقبة بن أبي الصهباء، حدثنا أبو حذيفة عن عبد الله بن حبيب الهذلي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج بغال وأربعة أزواج خفاف، وعشر أواق ذهب وفضة، وحمار أسود، ومكتل، قال: فكلم النبي ﷺ الحمار فكلمه الحمار، فقال له: «ما اسمك»، قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبي، لم يبقَ من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت أتوقعك أن تركبني، قد كنت قبلك لرجل يهودي، وكنت أعثر به عمداً، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال النبي ﷺ. «سميتك يعفور، يا يعفور»، قال: لبيك، قال: «تشتهي الإناث؟» قال: لا، فكان النبي ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ، فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بئر كان لأبي الهيثم بن النبهان فتردى فيها فصارت قبره جزعاً منه على رسول الله ﷺ][1].

حديث الحمرة وهو طائر مشهور

قال أبو داود الطيالسي: حدّثنا المسعودي عن الحسن بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدخل رجل غيطة فأخرج بيضة حمرة

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من التيمورية.

فجاءت الحمرة ترف على رسول الله وأصحابه، فقال: **«أيكم فجع هذه؟»**فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضتها، فقال: **«رده رده رحمة بها»**. وروى البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار: حدّثنا أبو معاوية عن أبي إسحاق الشيباني عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: كنا مع رسول الله في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما، قال: فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ وهي تفرش، فقال: **«من فجع هذه بفرخيها؟»**قال: فقلنا: نحن، قال: **«ردوهما»** فرددناهما إلى موضعهما فلم ترجع.

حديث آخر في ذلك وفيه غرابة

قال البيهقي: **أخبرنا** أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن الحسين بن داود العلوي قالا: **حدّثنا** أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي، حدّثنا محمد بن عبيد بن عتبة الكندي، حدّثنا محمد بن الصلت، حدّثنا حبان، حدّثنا أبو سعيد البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد، قال: فذهب يوماً فقعد تحت سمرة ونزع خفيه، قال: ولبس أحدهما، فجاء طير فأخذ الخفّ الآخر فحلّق به في السماء. فانسلت منه أسود سالح، فقال رسول الله ﷺ: **«هذه كرامة أكرمني الله بها، اللهم إني أعوذ بك من شر ما مشى على رجليه، ومن شر ما يمشي على بطنه»**.

حديث آخر قال البخاري

حدّثنا محمد بن المثنى، **حدّثنا** معاذ، حدثني أبي عن قتادة قال: حدّثنا أنس بن مالك أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلاً آخر من الأنصار تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان، وبيد كل واحد منهما عصية فأضاءت عصى أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه حتى مشى في ضوئها حتى أتى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله.

وقد علقه البخاري. فقال: وقال معمر فذكره. وعلقه البخاري أيضاً عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس: أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ، فذكر مثله. وقد رواه النسائي عن أبي بكر بن نافع عن بشر بن أسيد، وأسنده البيهقي من طريق يزيد بن هارون كلاهما عن حماد بن سلمة به.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، حدّثنا أحمد بن مهران، حدّثنا عبد الله بن موسى، أخبرنا كامل بن العلاء، عن

أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء وكان يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحداً ههنا وواحداً ههنا، فجئته فقلت يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ فبرقت برقة فقال: «الْحَقَا بِأُمِّكُمَا»، فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا.

حديث آخر

قال البخاري في التاريخ: حدثني أحمد بن الحجاج، حدّثنا سفيان بن حمزة، عن كثير بن يزيد، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فتفرقنا في ليلة ظلماء دحسة، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم، وإن أصابعي لتنير. ورواه البيهقي من حديث إبراهيم بن المنذر الخزامي عن سفيان بن حمزة ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن حمزة الزهري عن سفيان بن حمزة به.

حديث آخر

قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو محمد بن عبد الله المدني، حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدّثنا أبو كريب، حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثنا عبد الحميد بن أبي عبس الأنصاري من بني حارثة، أخبرني ميمون بن زيد بن أبي عبس، أخبرني أبي أن أبا عبس، كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات ثم يرجع إلى بني حارثة، فخرج في ليلة مظلمة مطيرة، فنُوِّر له في عصاه حتى دخل دار بني حارثة. قال البيهقي: أبو عبس ممن شهد بدراً. قلت: وروينا عن يزيد بن الأسود وهو من التابعين أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جسرين فربما أضاءت له إبهام قدمه في الليلة المظلمة. وقد قدمنا في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي بمكة قبل الهجرة، وأنه سأل رسول الله ﷺ آية يدعوَ قومه بها، فلما ذهب إليهم وانهبط من الثنية أضاء له نور بين عينيه. فقال: اللهم لا يقولوا: هو مثلة. فحوله الله إلى طرف سوطه حتى جعلوا يرونه مثل القنديل.

حديث آخر فيه كرامة لتميم الداري

روى الحافظ البيهقي من حديث عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن الجريري عن معاوية بن حرمل قال: خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم الداري فقال: «**قم إلى هذه النار**»، قال: يا أمير المؤمنين ومن أنا وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه، قال: وتبعتهما، فانطلقا إلى النار، فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشِّعْب ودخل تميم خلفها، قال: فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يرَ، قالها ثلاثاً.

حديث فيه كرامة لولي من هذه الأمة

وهي معدودة من المعجزات لأن كل ما يثبت لولي فهو معجزة لنبيه.

قال الحسن بن عروة: حدّثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سبرة

النخعي، قال: أقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق، نفق حماره فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني جئت من الدفينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليَّ اليوم منة، أطلب إليك اليوم أن تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه، قال البيهقي: هذا إسناد صحيح. ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة. قال البيهقي: وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي وغيره عن محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي وكأنه عند إسماعيل عنهما والله أعلم.

طريق أخرى

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت»: حدّثنا إسحاق بن إسماعيل وأحمد بن بجير وغيرهما قالوا: حدّثنا محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن قوماً أقبلوا من اليمن متطوعين في سبيل الله فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى، فقام فتوضأ وصلى ثم قال: اللهم إني جئت من الدفينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليَّ منه، فإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري ثم قام إلى الحمار فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه، ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه، فقالوا له: ما شأنك؟ قال: شأني أن الله بعث حماري. قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع في الكناسة - يعني بالكوفة -. قال ابن أبي الدنيا: وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن جده عن مسلم بن عبد الله بن شريك النخعي، أن صاحب الحمار رجل من النخع، يقال له نباتة بن يزيد، خرج في زمن عمر غازياً، حتى إذا كان يلقى عميرة نفق حماره فذكر القصة، غير أنه قال: فباعه بعد بالكناسة فقيل له: تبيع حمارك وقد أحياه الله لك؟ قال: فكيف أصنع؟ وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظت هذا البيت: [الطويل]:

وَمِـنَّـا الَّـذي أَحْـيَـا الإِلَـهُ حِـمَـارَهُ ... وَقَـدْ مَـاتَ مِـنْـهُ كُـلُّ عُـضْـوٍ وَمَـفْـصِـلِ

وقد ذكرنا في باب رضاعه عليه السلام، ما كان من حمارة حليمة السعدية وكيف كانت تسبق الركب في رجوعها لما ركب معها عليها رسول الله ﷺ وهو رضيع، وقد كانت أدمت بالركب في مسيرهم إلى مكة. وكذلك ظهرت بركته عليهم في شارفهم - وهي الناقة التي كانوا يحلبونها - وشياههم وسمنهم وكثرة ألبانها، صلوات الله وسلامه عليه.

قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمي

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني خالد بن خداش بن عجلان المهلبي وإسماعيل بن بشار قالا: حدّثنا صالح المزي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: عدنا شباباً من الأنصار، فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب، وقال بعضنا لأمه: احتسبيه، قالت: وقد مات؟ قلنا: نعم، فمدت يديها إلى السماء وقالت: اللهم إني آمنت بك، وهاجرت إلى رسولك، فإذا نزلت بي شدة دعوتك ففرجتها، فأسألك اللهم لا تحمل علي هذه

المصيبة، قال: فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا.

وقد رواه البيهقي عن أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن طاهر بن أبي الدميل عن عبد الله بن عائشة عن صالح بن بشير المرّي ـ أحد زهاد البصرة وعبادها ـ مع لين في حديثه عن أنس فذكر القصة وفيه أن أم السائب كانت عجوزاً عمياء.

قال البيهقي: وقد روي من وجه آخر مرسل ـ يعني فيه انقطاع ـ عن ابن عديّ وأنس بن مالك. ثم ساقه من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عون عن أنس قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم، قلنا ما هي يا أبا حمزة؟ قال: كنا في الصفة عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ، فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض، فغمضه النبي ﷺ وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسله قال: يا أنس ائت أمه فأعلمها، فأعلمتها، قال: فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت: اللهم إني أسلمت لك طوعاً، وخالفت الأوثان زهداً وهاجرت لك رغبة، اللهم لا تشمت بي عبدة الأوثان، ولا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها، قال: فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ، وحتى هلكت أمه. قال: ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي، قال أنس: وكنت في غزاته فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعفوا آثار الماء، والحر شديد، فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة، فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء، وما نرى في السماء شيئاً. قال: فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت الغُدُر والشعاب، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا، ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، ثم قال: أجيزوا بسم الله، قال: فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرنا [وسبينا]، ثم أتينا الخليج، فقال مثل مقالته، فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، قال: فلم نلبث إلا يسيراً حتى رمى في جنازته، قال: فحفرنا له وغسلناه ودفناه، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه فقال: من هذا؟ فقلنا: هذا خير البشر، هذا ابن الحضرمي، فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين، إلى أرض تقبل الموتى، فقلنا: ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله، قال: فاجتمعنا على نبشه، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه، وإذا اللحد مد البصر نور يتلألأ، قال: فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا.

قال البيهقي رحمه الله: وقد روي عن أبي هريرة في قصة العلاء بن الحضرمي في استسقائه ومشيهم على الماء دون قصة الموت بنحو من هذا. وذكر البخاري في التاريخ لهذه القصة إسناداً آخر، وقد أسنده ابن أبي الدنيا عن أبي كريب عن محمد بن فضيل عن الصلت بن مطر العجلي عن عبد الملك بن سهم عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي، فذكره.

وقال في الدعاء: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا، وقال في البحر: اجعل لنا سبيلاً إلى عدوك، وقال في الموت: اخف جثتي ولا تطلع على عورتي أحداً فلم يقدر عليه. والله أعلم.

قصة أخرى

قال البيهقي: أخبرنا الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل الصفار، حدّثنا الحسن بن علي بن عثمان، حدّثنا ابن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه قال: انتهينا إلى دجلة وهي مادة والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: بسم الله، ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء، فقال الناس: بسم الله ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء فنظر إليهم الأعاجم وقالوا: ديوان ديوان، ثم ذهبوا على وجوههم. قال: فما فقد الناس إلا قدحاً كان معلقاً بعذبة سرج، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها فجعل الرجل يقول: من يبادل صفراء ببيضاء؟.

قصة أخرى

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا أبو عبد الله بن محمد السمري، حدّثنا أبو العباس السراج، حدّثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قالا: حدّثنا أبو النضر، حدّثنا سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي بالخشب من مدِّها، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله عز وجل؟ قال البيهقي: هذا إسناد صحيح. قلت: وستأتي قصة [أبي] مسلم الخولاني ـ واسمه عبد الله بن ثوب ـ مع الأسود العنسي حين ألقاه في النار فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على الخليل إبراهيم عليه السلام.

قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته بالرسالة لمحمد ﷺ وبالخلافة لأبي بكر الصديق ثم لعمر ثم لعثمان رضي الله عنهم

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو صالح بن أبي طاهر العنبري، أخبرنا جدي يحيى بن منصور القاضي، حدّثنا أبو علي بن محمد بن عمرو بن كشمرد، أخبرنا القعنبي، أخبرنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي زمن عثمان بن عفان فسجي بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم ثم قال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله، في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن، وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر، بئر أريس، وما بئر أريس.

قال يحيى: قال سعيد: ثم هلك رجل من بني خطمة فسجي بثوبه، فسمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق. ثم رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق عن موسى بن الحسن عن القعنبي فذكره وقال: هذا إسناد صحيح وله شواهد. ثم ساقه من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت»: حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس، ثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد. قال: جاء يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير - يعني إلى أمه - بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو فإنك كتبت إليَّ لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة، وأنه كان من شأنه أنه أخذه وجع في حلقه، وهو يومئذٍ من أصح الناس أو أهل المدينة - فتوفي بين صلاة الأولى وصلاة العصر فأضجعناه لظهره وغشيناه ببردين وكساء، فأتاني آت في مقامي، وأنا أسبح بعد المغرب فقال: إن زيداً قد تكلم بعد وفاته، فانصرفت إليه مسرعاً، وقد [حضره] قوم من الأنصار، وهو يقول أو يقال على لسانه: الأوسط أجلد الثلاثة الذي كان لا يبالي في الله لومة لائم، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم، عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق كان ذلك في الكتاب الأول.

ثم قال: عثمان أمير المؤمنين وهو يعافي الناس من ذنوب كثيرة، خلت اثنتان وبقي أربع، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضاً فلا نظام وأنتجت الأكما [1]، ثم ارعوى المؤمنين [2] وقال: كتاب الله وقدره، أيها الناس: أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا، فمن تولى فلا يعهدن دماً وكان أمر الله قدراً مقدوراً، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار، ويقول النبيون والصديقون: سلام عليكم: يا عبد الله بن رواحة هل أحسست لي خارجة لأبيه وسعداً اللذين قتلا يوم أحد؟ كَلاَّ إنّها لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ثم خفت صوته، فسألت الرهط عما سبقني من كلامه، فقالوا: سمعناه يقول: أنصتوا أنصتوا، فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب، قال: فكشفنا عن وجهه فقال: هذا أحمد رسول الله، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم قال: أبو بكر الصديق الأمين، خليفة رسول الله كان ضعيفاً في جسمه، قوياً في أمر الله صدق صدق وكان في الكتاب الأول.

ثم رواه الحافظ البيهقي عن أبي نصر بن قتادة عن أبي عمرو بن بجير عن علي بن الحسين عن المعافى بن سليمان عن زهير بن معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد فذكره وقال: هذا إسناد صحيح. وقد روى هشام بن عمار في كتاب البعث عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثني عمير بن هانىء، حدثني النعمان بن بشير قال: توفي رجل منا يقال له: خارجة بن زيد فسجينا عليه ثوباً، فذكر نحو ما تقدم.

قال البيهقي: وروي ذلك عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير وذكر بئر أريس، كما

---

(١) كذا في الأصل، وهو غير واضح.

(٢) كذا بالأصول التي بأيدينا ولعلها: المؤمنون.

ذكرنا في رواية ابن المسيب.

قال البيهقي: والأمر فيها أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر من بعده، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر أريس بعدما مضى من خلافته ست سنين فعند ذلك تغيرت عماله، وظهرت أسباب الفتن كما قيل على لسان زيد بن خارجة. قلت: وهي المرادة من قوله مضت اثنتان وبقي أربع أو مضت أربع وبقي اثنتان، على اختلاف الرواية والله أعلم.

وقد قال البخاري في التاريخ: زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري شهد بدراً، توفي زمن عثمان وهو الذي تكلم بعد الموت.

قال البيهقي: وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم. قال ابن أبي الدنيا: **حدّثنا** خلف بن هشام البزار، حدّثنا خالد الطحان عن حصين عن عبد الله بن عبيد الأنصاري أن رجلاً من بني سلمة تكلم فقال: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عثمان اللين الرحيم، قال: ولا أدري إيش قال في عمر. كذا رواه ابن أبي الدنيا في كتابه، وقد قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثنا يحيى بن أبي طالب، أخبرنا عليّ بن عاصم، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبيد الأنصاري قال: بينما هم يثورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل، إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى، فقال: محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان الرحيم ثم سكت. [وقال هشام بن عمار في كتاب البعث].

[باب في كلام الأموات وعجائبهم

حدّثنا الحكم بن هشام الثقفي، حدثنا عبد الحكم بن عمير عن ربعيّ بن خراش العبسيّ قال: مرض أخي الربيع بن خراش فمرضته ثم مات فذهبنا نجهزه، فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه ثم قال: السلام عليكم، قلنا: وعليك السلام، قدمت، قال: بلى ولكن لقيت بعدكم ربي ولقيني بروح وريحان ورب غير غضبان، ثم كساني ثياباً من سندس أخضر، وإني سألته أن يأذن لي أن أبشركم فأذن لي، وإن الأمر كما ترون، فسددوا وقاربوا، وبشروا ولا تنفروا، فلما قالها كانت كحصاة وقعت في ماء. ثم أورد بأسانيد كثيرة في هذا الباب وهي آخر كتابه][1].

حديث غريب جداً

قال البيهقي: **أخبرنا** عليّ بن أحمد بن عبدان، حدّثنا أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا محمد بن يونس الكديمي، حدّثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليماني ـ وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها الحردة ـ حدثني معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقيب اليماني عن أبيه عن جده

(١) ما بين المعقوفين زيادة من التيمورية.

قال: حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ ووجهه مثل دارة القمر، وسمعت منه عجباً، جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله ﷺ: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله، قال: «صدقت، بارك الله فيك»، ثم قال: إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبَّ، قال أبي: فكنا نسميه مبارك اليمامة، قال شاصونة: وقد كنت أمرُّ على معمر فلا أسمع منه. قلت: هذا الحديث مما تكلم الناس في محمد بن يونس الكديمي بسببه وأنكروه عليه واستغربوا شيخه هذا، وليس هذا مما ينكر عقلاً ولا شرعاً، فقد ثبت في الصحيح في قصة جريج العابد أنه استنطق ابن تلك البغيّ، فقال له: يا أبا يونس، ابن من أنت؟ قال: ابن الراعي، فعلم بنو إسرائيل براءة عرض جريج مما كان نسب إليه. وقد تقدم ذلك. على أنه قد روي هذا الحديث من غير طريق الكديمي إلا أنه بإسناد غريب أيضاً.

قال البيهقي: أخبرنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغساني ـ بثغر صيدا ـ حدّثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد أبو الفضل، حدّثنا أبي، حدّثنا جدي شاصونة بن عبيد، حدثني معرض بن عبد الله بن معيقيب عن أبيه عن جده. قال: حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ وجهه كدارة القمر، فسمعت منه عجباً أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا غُلاَمُ مَنْ أَنَا؟» قال: أنت رسول الله، فقال له: «بَارَكَ الله فيك»، ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها، قال البيهقي: وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ عن أبي الحسن علي بن العباس الوراق عن أبي الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقري القزويني عن أبي الفضل العباس بن محمد بن شاصونة به.

قال الحاكم: وقد أخبرني الثقة من أصحابنا عن أبي عمر الزاهد قال: لما دخلت اليمن دخلت حردة. فسألت عن هذا الحديث فوجدت فيها لشاصونة عقباً، وحملت إلى قبره فزرته.

قال البيهقي: ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل يخالفه في وقت الكلام. ثم أورد من حديث وكيع عن الأعمش عن شمر بن عطية، عن بعض أشياخه أن النبيّ ﷺ أتي بصبيّ قد شبَّ لم يتكلم قط، قال: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله. ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن الأعمش عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه قال: جاءت امرأة بابن لها قد تحرك فقالت: يا رسول الله، إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد، فقال رسول الله ﷺ: «ادنيه منه»، فأدنته مني، فقال: «من أنا؟» فقال: أنت رسول الله.

قصة الصبيّ الذي كان يصرع فدعا له عليه السلام فبرأ

قد تقدم ذلك من رواية أسامة بن زيد وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة الثقفي مع قصة الجمل الحديث بطوله.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد، حدّثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس «أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن به لمماً[1] وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فثعَّ ثعَّةً فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى، تفرد به أحمد. وفرقد السبخي رجل صالح ولكنه سيىء الحفظ، وقد روى عنه شعبة وغير واحد واحتمل حديثه ولما رواه ههنا شاهد مما تقدم والله أعلم. وقد تكون هذه القصة هي كما سبق إيرادها ويحتمل أن تكون أخرى غيرها والله أعلم.

حديث آخر في ذلك

قال أبو بكر البزار: حدّثنا محمد بن مرزوق، حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا صدقة ـ يعني ابن موسى ـ حدّثنا فرقد ـ يعني السَّبَخِي ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله إن هذا الخبيث قد غلبني، فقال لها: «**إن تصبري على ما أنت عليه تجيئين يوم القيام ليس عليك ذنوب ولا حساب**»، قالت: والذي بعثك بالحق لأصبرنَّ حتى ألقى الله، قالت: إني أخاف الخبيث أن يجردني، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتعلق بها وتقول له: اخسأ، فيذهب عنها. قال البزار: لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وصدقة ليس به بأس، وفرقد حدث عنه جماعة من أهل العلم، منهم شعبة وغيره واحتمل حديثه على سوء حفظه فيه.

طريق أخرى عن ابن عباس

قال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن عمران أبي بكر، ثنا عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وأنكشف فادع الله لي، قال: «**إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّة، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ لَكِ أنْ يُعَافِيَكِ**»، قالت: لا بل أصبر فادعُ الله ألا أنكشف ولا ينكشف عني، قال: فدعا لها[2] وهكذا رواه البخاري عن مسدد عن يحيى ـ وهو ابن سعيد القطان ـ وأخرجه مسلم عن القواريري عن يحيى القطان وبشر بن الفضل كلاهما عن عمران بن مسلم أبي بكر الفقيه البصري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس فذكر مثله. ثم قال البخاري: حدثنا محمد، حدّثنا مخلد عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة. وقد ذكر الحافظ ابن الأثير في الغابة أن أم زفر هذه كانت ماشطة خديجة بنت خويلد قديماً، وأنها عمرت حتى أدركها عطاء بن أبي رباح فالله أعلم.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدّثنا محمد بن

---

(١) اللمم: الطرق الخفيف من الجنون.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٤٦، ٣٤٧.

يونس، حدّثنا قرة بن حبيب القنوي، حدّثنا إياس بن أبي تميمة عن عطاء عن أبي هريرة قال: جاءت الحمى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ابعثني إلى أحبِّ قومك إليك أو أحبِّ أصحابك إليك، شكّ قرة، فقال: «اذْهَبِي إلى الأنْصَارِ»، فذهبت إليهم فصرعتهم، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله قد أتت الحمى علينا فادعُ الله لنا بالشفاء فدعا لهم، فكشفت عنهم، قال: فاتبعته امرأة فقالت: يا رسولَ الله ادعُ الله لي، فإني لمن الأنصار فادعُ الله لي كما دعوت لهم، فقال: «أيُّهُمَا أَحَبُّ إليكِ أنْ أدْعُوَ لكِ فيكشفَ عنكِ، أو تصبرينَ وتجبُ لكِ الجنة؟» فقالت: لا والله يا رسول الله بل أصبر ثلاثاً ولا أجعل والله لجنته خطراً. محمد بن يونس الكديمي ضعيف.

وقد قال البيهقي: أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثنا أبي، حدّثنا هشام بن لاحق ـ سنة خمس وثمانين ومائة ـ حدّثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: «استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ أنتِ؟» قالت: أنا الحمى، أبري اللحم، وأمصّ الدم، قال: «اذهبي إلى أهل قباء»، فأتتهم فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وقد اصفرت وجوههم، فشكوا إليه الحمى فقال لهم: «ما شئتم؟ إن شئتم دعوت الله فيكشف عنكم، وإن شئتم تركتموها فأسقطت ذنوبكم»، قالوا: بل ندعها يا رسول الله». وهذا الحديث ليس هو في مسند الإمام أحمد ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة. وقد ذكرنا في أول الهجرة دعاءه عليه السلام لأهل المدينة أن يذهب حُمَّاها إلى الجحفة، فاستجاب الله له ذلك فإن المدينة كانت من أوبأ أرض الله فصححها الله ببركة حلوله بها، ودعائه لأهلها صلوات الله وسلامه عليه.

حديث آخر في ذلك

قال الإمام أحمد: حدّثنا روح، حدّثنا شعبة عن أبي جعفر المديني سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف: «أن رجلاً ضريراً أتى النبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسول الله ادعُ الله أن يعافيني، فقال: «إنْ شِئْتَ أخَّرْتُ ذٰلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لآخِرَتِكَ، وإنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ» قال: لا، بل ادعُ الله لي، قال: فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهمَّ إني أسألكَ وأتَوَجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ محمد نبيِّ الرحمة، يا محمد إني أتوجَّه بك في حاجتي هذه فتقضي وتشفعني فيه وتشفعه فيَّ. قال: فكان يقول هذا مراراً. ثم قال بعد: أحسب أن فيها أن تشفعني فيه، قال: فقعد الرجل فبرأ». وقد رواه أحمد أيضاً عن عثمان بن عمرو عن شعبة به. وقال: «اللهمَّ شفعه فيَّ»[1]، ولم يقل الأخرى، وكأنها غلط من الراوي والله أعلم.

وهكذا رواه الترمذي والنسائي عن محمود بن غيلان، وابن ماجه عن أحمد بن منصور بن سيار، كلاهما عن عثمان بن عمرو. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٣٨/٤.

إلا من حديث ابن جعفر الخطمي. ثم رواه أحمد أيضاً عن مؤمل بن حماد بن سلمة بن أبي جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف فذكر الحديث. وهكذا رواه النسائي عن محمد بن معمر عن حبان عن حماد بن سلمة به.

ثم رواه النسائي عن زكريا بن يحيى عن محمد بن المثنى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف. وهذه الرواية تخالف ما تقدم، ولعله عند أبي جعفر الخطمي من الوجهين والله أعلم. وقد روى البيهقي والحاكم من حديث يعقوب بن سفيان عن أحمد بن شبيب عن سعيد الحنطبي عن أبيه عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المديني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال: يا رسولَ الله ليس لي قائد وقد شق عليَّ، فقال رسولُ الله ﷺ **«ائتِ ميضأة فَتَوَضَّأ ثم صَلِّ ركعتين ثم قل: اللَّهُمَّ إني أسألكَ وأتَوَجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ محمدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمدُ إني أتوجَّهُ بكَ إلى ربي فينجلي بصري، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فيَّ وشفعني في نفسي»** قال عثمان: فوالله ما تفرقنا، ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضر قط». قال البيهقي: ورواه أيضاً هشام الدستوائي عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل عن عمه عثمان بن حنيف.

حديث آخر

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا محمد بن بشر، حدّثنا عبد العزيز بن عمر، حدثني رجل من بني سلامان وبني سعد عن أبيه عن خاله أو أن خاله أو خالها حبيب بن قريط حدثها «أن أباه خرج إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً أصلاً، فسأله: **«ما أصابك؟»** فقال كنت أرعى جملاً لي فوقعت رجلي على بطن حية فأصبت ببصري، قال: فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر، فرأيته وإنه ليدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضتان».

قال البيهقي: كذا في كتابه: وغيره يقول، حبيب بن مدرك، قال: وقد مضى في هذا المعنى حديث قتادة بن النعمان «أنه أصيبت عينه فسالت حدقته فَرَدَّها رسول الله إلى موضعها، فكان لا يدري أيهما أصيبت». قلت: وقد تقدم ذلك في غزوة أحد، وقد ذكرنا في مقتل أبي رافع مسحه بيده الكريمة على رجل جابر[1] بن عتيك ـ وقد انكسر ساقه ـ فبرأ من ساعته.

وذكر البيهقي بإسناده: أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب ـ وقد احترقت يده بالنار ـ فبرأ من ساعته، وأنه عليه السلام نفث في كف شرحبيل الجعفي فذهبت من كفه سلعة كانت به. قلت: وتقدم في غزوة خيبر تفله في عيني علي وهو أرمد فبرأ.

وروى الترمذي عن عليّ حديثه في تعليمه عليه السلام ذلك الدعاء لحفظ القرآن فحفظه.

---

(١) في التيمورية: عبد الله.

وفي الصحيح أنه قال لأبي هريرة وجماعة: «مَنْ يَبْسُطُ رداءه اليومَ فإنه لا ينسى شيئاً من مقالتي»، قال: فبسطته فلم أنس شيئاً من مقالته تلك، فقيل: كان ذلك حفظاً من أبي هريرة لكل ما سمعه منه في ذلك اليوم، وقيل: وفي غيره فالله أعلم. ودعا لسعد بن أبي وقاص فبرأ. وروى البيهقي أنه دعا لعمه أبي طالب في مرضة مرضها وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو له ربه فدعا له فبرأ من ساعته. والأحاديث في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها. وقد أورد البيهقي من هذا النوع كثيراً طيباً أشرنا إلى أطراف منه وتركنا أحاديث ضعيفة الإسناد واكتفينا بما أوردنا عما تركنا وبالله المستعان.

حديث آخر

ثبت في الصحيحين من حديث زكريا بن أبي زائدة، زاد مسلم والمغيرة كلاهما عن شراحيل الشعبي عن جابر بن عبد الله أنه كان يسير على جمل قد أعيا. فأراد أن يسيبه، قال: فلحقني رسول الله ﷺ فضربه ودعا لي؛ فسار سيراً لم يسر مثله، وفي رواية فما زال بين يدي الإبل قدامها حتى كنت أحبس خطامه فلا أقدر عليه، فقال: «كيف ترى جملك؟»فقلت: قد أصابته بركتك يا رسول الله، ثم ذكر أن رسول الله ﷺ اشتراه منه، واختلف الرواة في مقدار ثمنه على روايات كثيرة، وأنه استثنى حملانه إلى المدينة، ثم لما قدم المدينة جاءه بالجمل فنقده ثمنه وزاده ثم أطلق له الجمل أيضاً، الحديث بطوله.

حديث آخر

روى البيهقي واللفظ له، وهو في صحيح البخاري من حديث حسن بن محمد المروزي عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك. قال: فزع الناس فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة بطيئاً ثم خرج يركض وحده، فركب الناسُ يركضون خلف رسول الله ﷺ. فقال: «لن تراعوا إنه لبحر» فوالله ما سُبق بعد ذلك اليوم.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا أبو بكر القاضي، أخبرنا حامد بن محمد الهروي، حدّثنا علي بن عبد العزيز، حدّثنا محمد بن عبد الله الرقاشي، حدّثنا رافع بن سلمة بن زياد، حدثني عبد الله بن أبي الجعد عن جعيل الأشجعي، قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أخريات الناس، فلحقني رسول الله ﷺ. وقال: سِرْ يا صاحبَ الفرس، فقلت: يا رسول الله عجْفاء ضعيفة، قال: فزفع رسول الله ﷺ مخفقة معه فضربها بها وقال: «اللهمَّ بارك له»» قال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفاً».

ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن محمد بن عبد الله الرقاشي فذكره، وهكذا رواه أبو بكر بن أبي خيثمة عن عبيد بن يعيش عن زيد بن الخباب عن رافع بن سلمة الأشجعي فذكره.

وقال البخاري في التاريخ: وقال رافع بن زياد بن الجعد بن أبي الجعد: حدثني أبي عبد الله بن أبي الجعد أخي سالم عن جعيل فذكره.

حديث آخر

قال البيهقي: **أخبرنا** أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد، أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان، حدّثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدّثنا زكريا بن عديّ، حدّثنا مروان بن معاوية عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة، فقال: **«هلاّ نَظَرْتَ إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً؟»** قال: قَدْ نظرتُ إليها، قال: على كم تزوجتها؟ فذكر شيئاً، قال **«كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عرض هذه الجبال، ما عندنا اليوم شيء نعطيكه، ولكن سأبعثك في وجه تصيب فيه»**، فبعث بعثاً إلى بني عبس وبعث الرجل فيهم، فأتاه فقال: يا رسول الله أعيتني ناقتي أن تنبعث، قال: فناوله رسول الله ﷺ يده كالمعتمد عليه للقيام، فأتاها فضربها برجله، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد رأيتها تسبق به القائد». رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن معين عن مروان.

حديث آخر

قال البيهقي: **أخبرنا** أبو زكريا بن أبي إسحاق المزني، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حدّثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا أبو جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش عن مجاهد أن رجلاً اشترى بعيراً فأتى رسول الله ﷺ فقال: «إني اشتريت بعيراً فادع الله أن يبارك لي فيه، فقال: **«اللهم بارك له فيه»**، فلم يلبث إلا يسيراً أن نفق ثم اشترى بعيراً آخر فأتى به رسول الله ﷺ فقال: إني اشتريت بعيراً فادع الله أن يبارك لي فيه، فقال: **«اللهم بارك له فيه»**، فلم يلبث حتى نفق، ثم اشترى بعيراً آخر فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد اشتريت بعيرين فدعوت الله أن يبارك لي فيهما فادعُ الله أن يحملني عليه، فقال: **«اللهمّ احْمِلْهُ عَلَيهِ»**، فمكث عنده عشرين سنة». قال البيهقي: وهذا مرسل ودعاؤه عليه السلام صار إلى أمر الآخرة في المرتين الأوليين.

حديث آخر

قال البيهقي: **أخبرنا** أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله الميكالي، حدّثنا علي بن سعد العسكري، أخبرنا أبو أمية عبد الله بن محمد بن خلاد الواسطي، حدّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا المستلم بن سعيد، حدّثنا حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن أساف عن أبيه عن جده حبيب بن أساف قال: «أتيت رسول الله ﷺ، أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه فقلنا: إنا نشتهي أن نشهد معك مشهداً، قال: **«أسلمتم؟»** قلنا: لا، قال: **«فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»**، قال: فأسلمنا، وشهدت مع رسول الله ﷺ فأصابتني ضربة على

عاتقي فجافتني[1] فتعلقت يدي، فأتيت رسول الله ﷺ فتفل فيها وألزقها فالتأمت وبرأتْ وَقَتَلْتُ الذي ضربني، ثم تزوجت ابنة الذي قتلته وضربني، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وَشَحَكَ هذا الوشاح، فأقول: لا عدمت رجلاً أعجل أباك إلى النار». وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن يزيد بن هارون بإسناده مثله ولم يذكر فتفل فيها فبرأت.

حديث آخر

ثبت في الصحيحين من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم عن ورقاء بن عمر السكري عن عبد الله بن يزيد عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً فلما خرج قال: **«من صنع هذا؟»** قالوا: ابن عباس، قال: **«اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ»**.

وروى البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن عباس الدورقي عن الحسن بن موسى الأشيب عن زهير عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي ـ أو قال: منكبي، شك سعيد ـ ثم قال: **«اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأوِيلَ»**، وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة في ابن عمه، فكان إماماً يهتدى بهداه ويقتدى بسناه في علوم الشريعة، ولا سيما في علم التأويل وهو التفسير، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ. وقد قال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحد منا، وكان يقول لهم: نِعْمَ تَرْجُمَانُ القُرآنِ ابْنُ عَبَّاس. هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود ببضع وثلاثين سنة، فما ظنك بما حصله بعده في هذه المدة؟ وقد روينا عن بعض أصحابه أنه قال: خطب الناس ابن عباس في عشية عرفة ففسر لهم سورة البقرة، أو قال سورة، ففسرها تفسيراً لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا، رضي الله عنه وأرضاه.

حديث آخر

ثبت في الصحيح أنه عليه السلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد، فكان كذلك حتى روى الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن أبي خلدة، قال: قلت لأبي العالية: سمع أنس من النبي ﷺ؟ فقال: خدمه عشر سنين ودعا له، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك. وقد روينا في الصحيح أنه ولد له لصلبه قريب من مائة أو ما ينيف عليها، وفي رواية: أنه ﷺ، قال: **«اللهم أطل عمره»**، فعمر مائة، وقد دعا ﷺ لأم سليم ولأبي طلحة في غابر ليلتهما، فولدت له غلاماً سماه رسول الله ﷺ عبد الله، فجاء من صلبه تسعة كلهم قد حفظ القرآن، ثبت ذلك في الصحيح.

وثبت في صحيح مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن أبي كثير العنبري عن أبي هريرة أنه سأل من رسول الله ﷺ أن يدعو لأمه فيهديها الله فدعا لها، فذهب أبو هريرة فوجد أمه

---

(١) جافتني: وصلت إلى جوفي.

تغتسل خلف الباب فلما فرغت قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فجعل أبو هريرة يبكي من الفرح، ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله، وسأل منه أن يدعو لهما أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين فدعا لهما، فحصل ذلك.

قال أبو هريرة: فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبنا، وقد صدق أبو هريرة في ذلك رضي الله عنه وأرضاه في ذلك، ومن تمام هذه الدعوة أن الله شهر ذكره في أيام الجمع حيث يذكره الناس من بين يدي خطبة الجمعة وهذا من التقييض القدري والتقدير المعنوي. وثبت في الصحيح أنه عليه السلام، دعا لسعد بن أبي وقاص وهو مريض فعوفي، ودعا له أن يكون مجاب الدعوة، فقال: «اللهم أجب دعوته، وسدد رميته»، فكان كذلك، فنعم أمير السرايا والجيوش كان. وقد دعا على أبي سعدة أسامة بن قتادة حين شهد فيه بالزّور بطول العمر وكثرة الفقر والتعرض للفتن، فكان ذلك، فكان إذا سئل ذلك الرجل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. وثبت في صحيح البخاري وغيره أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمره حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ ومتع بحواسه وقواه. وقال أحمد: حدّثنا جرير بن عمير، حدّثنا عروة بن ثابت، حدّثنا عليّ بن أحمد، حدثني أبو زيد الأنصاري، قال: قال لي رسول الله ﷺ: ادن مني، فمسح بيده على رأسي ثم قال: «اللهمَّ جَمِّلْهُ وأَدِمْ جَمَالَهُ»، قال: فبلغ بضعاً ومائة - يعني سنة - وما في لحيته بياض إلا نبذة يسيرة، ولقد كان منبسط الوجه لم ينقبض وجهه حتى مات.

قال السهيلي إسناد صحيح موصول. ولقد أورد البيهقي لهذا نظائر كثيرة في هذا المعنى، تشفي القلوب، وتحصل المطلوب.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عارم، حدّثنا معتمر، وقال يحيى بن معين: حدّثنا عبد الأعلى، حدّثنا معتمر - هو ابن سليمان -. قال: سمعت أبي يحدث عن أبي العلاء قال: كنت عند قتادة بن ملحان في موضعه الذي مات فيه، قال: فمر رجل في مؤخر الدار، قال: فرأيته في وجه قتادة، وقال: كان رسول الله ﷺ قد مسح وجهه، قال: وكنت قبل ما رأيته إلا ورأيت كأن على وجهه الدهان. وثبت في الصحيحين أنه عليه السلام دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العرس، فاستجاب الله لرسوله ﷺ ففتح له في المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل بحيث إنه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً. وثبت في الحديث من طريق شبيب بن غرقدة أنه سمع الحي يخبرون عن عروة بن أبي الجعد المازني، أن رسول الله ﷺ أعطاه ديناراً ليشتري له به شاة فاشترى به شاتين وباع إحداهما بدينار وأتاه بشاة ودينار، فقال له: «بَارَكَ الله لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ»، وفي رواية: فدعا له بالبركة في البيع، فكان لو اشترى التراب لربح فيه.

وقال البخاري: حدّثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا ابن وهب، حدّثنا سعيد بن أبي أيوب عن أبي عقيل أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق فيشتري الطعام فيلقاه ابن

الزبير وابن عمر فيقولان: أشركنا في بيعك فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة فيشركهم، فربما أصاب الراحلة كما هي فبعث بها إلى المنزل.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا ابن عدي، حدّثنا علي بن محمد بن سليمان الحليمي، حدّثنا محمد بن يزيد المستملي، حدّثنا شبابة بن عبد الله، حدّثنا أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر عن أبي بكر عن بلال قال: أذنت في غداة باردة فخرج النبي ﷺ فلم يرَ في المسجد واحداً، فقال: «**أَيْنَ النَّاسُ**»؟ فقلت: منعهم البرد، فقال: «**اللهم أذهب عنهم البرد**»، فرأيتهم يتروحون. ثم قال البيهقي: تفرد به أيوب بن سيار، ونظيره قد مضى في الحديث المشهور عن حذيفة في قصة الخندق.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله عن محمد بن عبد الله الأصفهاني ـ إملاء ـ أخبرنا أبو إسماعيل الترمذي عن محمد بن إسماعيل، حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، حدّثنا عليّ بن أبي علي اللهبي عن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر «أن رسول الله ﷺ خرج وعمر بن الخطاب معه، فعرضت له امرأة، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة مسلمة محرمة ومعي زوج لي في بيتي مثل المرأة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ادْعِي لي زَوْجَكِ**»، فدعته وكان خرازاً، فقال له: «**ما تقول في امرأتكَ يا عبدَ الله؟**» فقال الرجل: والذي أكرمك ما جف رأسي منها، فقالت امرأته: جاء مرة واحدة في الشهر، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أتبغضينه؟**» قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**اذنِيَا رؤوسكما**»، فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال: اللهمَّ أَلِّفْ بينهما وحبِّب أحدهما إلى صاحبه». ثم مرَّ رسول الله ﷺ بسوق النمط ومعه عمر بن الخطاب فطلعت المرأة تحمل أدماً على رأسها، فلما رأت رسول الله ﷺ طرحته وأقبلت فقبلت رجليه، فقال: كيف أنت وزوجك؟ فقالت: والذي أكرمك ما طارف ولا تالد أحب إليَّ منه، فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أني رسول الله**»، فقال عمر: وأنا أشهد أنك رسول الله. قال أبو عبد الله: تفرد به علي بن عليّ اللهبي وهو كثير الرواية للمناكير. قال البيهقي: وقد روى يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله ـ يعني هذه القصة ـ إلا أنه لم يذكر عمر بن الخطاب.

حديث آخر

قال أبو القاسم البغوي: حدّثنا كامل بن طلحة، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا علي بن زيد بن جدعان عن أبي الطفيل أن رجلاً ولد له غلام فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا له بالبركة وأخذ بجبهته فنبتت شعرة في جبهته كأنها هلبة فرس، فشب الغلام، فلما كان زمن الخوارج أجابهم فسقطت الشعرة عن جبهته، فأخذه أبوه فحبسه وقيده مخافة أن يلحق بهم، قال: فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له: ألم ترَ إلى بركة رسول الله ﷺ وقعت؟ فلم نزل به حتى رجع عن رأيهم، قال: فرد الله تلك الشعرة إلى جبهته إذ تاب. وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن الحاكم

وغيره عن الأصم عن أبي أسامة الكلبي عن سريج بن مسلم عن أبي يحيى إسماعيل بن إبراهيم التيمي، حدثني سيف بن وهب عن أبي الطفيل أن رجلاً من بني ليث يقال له: فراس بن عمرو أصابه صداع شديد فذهب به أبوه إلى رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه، وأخذ بجلدة بين عينيه فجذبها حتى تبعصت فنبتت في موضع أصابع رسول الله ﷺ شعرة، وذهب عنه الصداع فلم يصدع. وذكر بقية القصة في الشعرة كنحو ما تقدم.

حديث آخر

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا هاشم بن القاسم الحراني، حدّثنا يعلى بن الأشدق، سمعت عبد الله بن حراد العقيلي، حدثني النابغة ـ يعني الجعدي قال: أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته من قولي: [الطويل]:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ عِفَّةً وَتَكَرُّماً ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرَا

قال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ قال: قلت: أي الجنة، قال: أجل إن شاء الله، قال: أنشدني، فأنشدته من قولي: [الطويل]:

وَلا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا[1]

قال: «أحسنت لا يفضض الله فاك». هكذا رواه البزار إسناداً ومتناً، وقد رواه الحافظ البيهقي من طريق أخرى فقال: أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن عبدان، أخبرنا أبو بكر بن محمد بن المؤمل، حدّثنا جعفر بن محمد بن سوار، حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد السكري الرقي، حدثني يعلى بن الأشدق قال: سمعت النابغة ـ نابغة بني جعدة ـ يقول: أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر، فأعجبه: [الطويل]:

بَلَغْنَا السَّما مَجْدُنا وَتُراثُنَا ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرَا[2]

فقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ قلت: الجنة. قال: كذلك إن شاء الله: [الطويل]:

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لم يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال النبي ﷺ: «أجدت لا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ»، قال يعلى: فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سنّ. قال البيهقي: وروي عن مجاهد بن سليم عن عبد الله بن حراد سمعت نابغة يقول: سمعني رسول الله ﷺ وأنا أنشد من قولي: [الطويل]:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ عِفَّةً وَتَكَرُّماً ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرَا

---

(١) أورد الأمر وأصدره: أي طلب تنفيذه ثم تراجع عنه حلماً منه.

(٢) مظهراً: اي ظهوراً، وعلوّاً وشهرة.

ثم ذكر الباقي بمعناه، قال: فلقد رأيت سنه كأنها البرد والمنهل ما سقط له سنّ ولا انفلت.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا أبو بكر القاضي وأبو سعيد بن يوسف أبي عمرو، قالا: حدّثنا الأصمّ، حدّثنا عباس الدوري، حدّثنا علي بن بحر القطان، حدّثنا هاشم بن يوسف، حدّثنا معمر، حدّثنا ثابت وسليمان التيميّ عن أنس أن رسول الله ﷺ، نظر قبل العراق والشام واليمن ـ لا أدري بأيتهن بدأ ـ ثم قال: «اللهمَّ أَقْبِلْ بِقلوبهم إلى طاعتِكَ وَحُطَّ مِنْ أَوْزَارِهِمْ». ثم رواه عن الحاكم عن الأصمّ عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن عليّ بن بحر بن سريّ فذكره بمعناه. وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا عمران القطان عن قتادة عن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت قال: نظر رسول الله ﷺ قبل اليمن فقال: «اللهمّ أَقْبِلْ بقلوبهم»، ثم نظر قبل الشام فقال: «اللهمَّ أَقْبِلْ بقلوبهم»، ثم نظر قبل العراق فقال: «اللهمَّ أقْبِلْ بقلوبهمْ، وبارِكْ لنا في صَاعِنا وَمُدِّنا». وهكذا وقع الأمر، أسلم أهل اليمن قبل أهل الشام، ثم كان الخير والبركة قبل العراق، ووعد أهل الشام بالدوام على الهداية والقيام بنصرة الدين إلى آخر الأمر. وروى أحمد في مسنده: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَحَوَّلَ خيارُ أَهْلِ العِرَاقِ إلى الشَّامِ، وَيَتَحَوَّلَ شِرَارُ أَهْلِ الشَّامِ إلى العِرَاقِ».

فصل

وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب عن عكرمة بن عمار: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له: «كُلْ بيَمينِكَ»، قال: لا أستطيع، قال: «لا اسْتَطَعْتَ» قال: فما وصلت يده إلى فيه بعد. وثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الغلمان فجاء رسول الله ﷺ فاختبأت منه، فجاءني فحطاني حطوة أو حطوتين وأرسلني إلى معاوية في حاجة، فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل، فأرسلني الثانية فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه».

وقد روى البيهقي عن الحاكم عن علي بن حماد عن هشام بن علي عن موسى بن إسماعيل: حدثني أبو عوانة عن أبي حمزَة: سمعت ابن عباس قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله قد جاء فقلت: ما جاء إلا إليّ، فذهبت فاختبأت على باب، فجاء فحطاني حطوة وقال: «اذهب فادع لي معاوية» ـ وكان يكتب[1] الوحي ـ قال: فذهبت فدعوته له فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنه يأكل، فقال: «اذهب فادعه لي»، فأتيته الثانية، فقيل إنه يأكل، فأتيت رسول الله فأخبرته فقال في الثانية: «لا أشبع الله بطنه»[2]، قال: فما شبع بعدها،

---

(١) في التيمورية: يثبت.
(٢) في التيمورية: لا أشبعه الله.

قلت: وقد كان معاوية رضي الله عنه لا يشبع بعدها، ووافقته هذه الدعوة في أيام إمارته، فيقال: إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعاماً بلحم، وكان يقول: والله لا أشبع وإنما أعيى. وقدمنا في غزوة تبوك أنه مرَّ بين أيديهم وهم يصلون غلام فدعا عليه فأقعد فلم يقم بعدها. وجاء من طرق أوردها البيهقي أن رجلاً حاكى النبي ﷺ في كلام واختلج[١] بوجهه، فقال رسول الله ﷺ: «كن كذلك»، فلم يزل يختلج ويرتعش مدة عمره حتى مات.

وقد ورد في بعض الروايات أنه الحكم بن أبي العاص، أبو مروان بن الحكم فالله أعلم.

وقال مالك عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني أنمار، فذكر الحديث في الرجل الذي عليه ثوبان قد خلقا، وله ثوبان في القنية، فأمره رسول الله ﷺ فلبسهما ثم ولّى، فقال رسول الله: «ما له؟ ضرب الله عنقه»، فقال الرجل: في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «في سبيل الله»، فقتل الرجل في سبيل الله. وقد ورد من هذا النوع كثير. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة تفيد القطع كما سنوردها قريباً في باب فضائله ﷺ أنه قال: «اللهمّ مَنْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ وَلَيْسَ لِذٰلِكَ أهلاً فَاجْعَلْ ذلكَ قُرْبَةً لَهُ تُقَرِّبُهُ بِهَا عِنْدَكَ يَوْمَ القِيامَةِ». وقد قدمنا في أول البعثة حديث ابن مسعود في دعائه ﷺ على أولئك النفر السبعة، الذين أحدهم أبو جهل بن هشام وأصحابه، حين طرحوا على ظهره عليه السلام سلا الجزور، وألقته عنه ابنته فاطمة، فلما انصرف قال: «اللّهُمّ عليكَ بِقُرَيْشٍ، اللهمَّ عليكَ بأبي جَهْلِ بْنِ هِشام، وشيبةَ بن رَبيعةَ، وعتبةَ بن ربيعةَ، والوليدِ بن عُتْبَةَ»، ثم سمّى بقية السّبعة، قال ابن مسعود: فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم صَرْعَى في القَلِيبِ[٢] قليبِ بدر» الحديث. وهو متفق عليه.

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٣]: حدثني هشام، حدّثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن ثابت عن أنس بن مالك قال: «كان منّا رجلٌ من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله ﷺ، فانطلق هارباً حتى لحقَ بأهل الكتاب، قال: فرفعوه وقالوا: هذا كان يكتب لمحمد، وأعجبوا به، فما لبث أن قَصَمَ الله عُنُقَهُ فيهم، فحفروا له فَوَارَوْهُ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له ووراوه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً». ورواه مسلم عن محمد بن راضي عن أبي النضر هاشم بن القاسم به.

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن هارون، حدّثنا حميد عن أنس «أن رجلاً كان يكتب

---

(١) اختلج: تحرك واضطرب. (٢) القليب: البئر.
(٣) المسند: ٣/ ٢٢٢.

للنبي ﷺ وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران عَزَّ فينا- يعني عظم - فكان رسول الله ﷺ يملي عليه: غفوراً رحيماً، فيكتب: عليماً حكيماً، فيقول له النبي ﷺ: اكْتُبْ كذا وَكَذَا فيقول: أكْتُبُ كَيْفَ شِئْتُ، ويملي عليه: عليماً حكيماً، فيكتبُ: سميعاً بصيراً، فيقول: أكتبْ كَيْفَ شئت، قال فارتدّ ذلك الرجل عن الإسلام فلحق بالمشركين، وقال: أنا أعلمكم بمحمد، وإني كنتُ لا أكتبُ إلا ما شئتُ، فمات ذلك الرجل، فقال النبيّ ﷺ: «إنَّ الأرض لا تقبله»، قال أنس: فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذاً، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟ قالوا: قد دفناه مراراً فلم تقبله الأرض. وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجوه.

طريق أخرى عن أنس

وقال البخاري: حدّثنا أبو معمر، حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال: كان رجل نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتبُ للنبي ﷺ فعاد نصرانياً، وكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبتُ له، فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه - لما هرب منهم نَبَشُوا عن صاحبنا فألقوه -، فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبحوا وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه[1].

باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب عنها بما يطابق الحق الموافق لما لها في الكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء

قد ذكرنا في أول البعثة ما تعنتت به قريش وبعثت إلى يهود المدينة يسألونهم عن أشياء يسألون عنها رسول الله ﷺ، فقالوا: سلوه عن الروح، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدرى ما صنعوا، وعن رجل طواف في الأرض بلغ المشارق والمغارب، فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥] وأنزل سورة الكهف يشرح فيها خبر الفتية الذين فارقوا دين قومهم وآمنوا بالله العزيز الحميد، وأفردوه بالعبادة، واعتزلوا قومهم، ونزلوا غاراً وهو الكهف، فناموا فيه، ثم أيقظهم الله بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وكان من أمرهم ما قصّ الله علينا في كتابه العزيز، ثم قصّ خبر الرجلين المؤمن والكافر، وما كان من أمرهما، ثم ذكر خبر موسى والخضر وما جرى لهما من الحكم والمواعظ، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣]، ثم شرح، ثم ذكر خبره وما وصل إليه من

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.

المشارق والمغارب، وما عمل من المصالح في العالم، وهذا الإخبار هو الواقع في الواقع، وإنما يوافقه من الكتب التي بأيدي أهل الكتاب، ما كان منها حقاً، وأما ما كان محرفاً مبدلاً فذاك مردود، فإن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام، قال الله تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] وذكرنا في أول الهجرة قصة إسلام عبد الله بن سلام، وأنه قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه قلت[1]: إن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعته يقول: «أيها الناس، افشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». وثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث إسماعيل بن عطية وغيره عن حميد عن أنس قصة سؤاله رسول الله ﷺ: ثلاثٌ لا يعلمهنَّ إلا نبيٌّ، ما أوّلُ أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ «أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفاً»، ثم قالَ: «أمّا أولُ أشراطِ السَّاعَةِ فنارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ من المشرق إلى المغرب، وأما أوّل طعامٍ يأكله أهل الجنة فزيادة كَبِدِ الحوتِ، وأمّا الولد فإذا سبق ماءُ الرَّجُلِ مَاءَ المرأةِ نَزَعَ الولدُ إلى أبيهِ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرَّجُلِ نزع الولد إلى أمِّهِ». وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أبي معشر عن سعيد المقبري، فذكر مساءلة عبد الله بن سلام إلا أنه قال: فسأله عن السواد الذي في القمر، بدل أشراط الساعة، فذكر الحديث إلى أن قال: «وأمّا السَّواد الذي في القمر فإنهما كانا شمسين فقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٢] فالسواد الذي رأيت هو المحو»، فقال عبد الله بن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

حديث آخر في معناه

قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكي، أخبرنا أبو الحسن ـ أحمد بن محمد بن عيدروس ـ حدّثنا عثمان بن سعيد، أخبرنا الربيع بن نافع، أبو توبة، حدّثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: أخبرني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان حدثه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، قال: لم تدفعني؟ قال: قلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ قال: إنما سميته باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: «ينفعك شيء إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني، فنكت بعود معه، فقال له: «سل»، فقال له اليهودي: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الظلمة دون الجسر»، قال: فمن أول الناس إجازة؟ فقال: «فقراء المهاجرين»، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟

---

(١) في التيمورية: علمت.

قال: «زيادة كبد الحوت»، قال: وما غذاؤهم على إثره؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلاً»، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «ينفعك إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وَإذا علا مِنيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله»، فقال اليهودي: صدقت وإنك لنبيّ، ثم انصرف، فقال النبيّ ﷺ: «إنه سألني عنه وما أعلم شيئاً منه حتى أتاني الله به». وهكذا رواه مسلم عن الحسن بن علي الحلواني عن أبي توبة الربيع بن نافع به، وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو عبد الله بن سلام، ويحتمل أن يكون غيره والله أعلم.

حديث آخر

قال أبو داود الطيالسي: حدّثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، حدثني ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود يوماً عند رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلاّ نبيّ، قال: «سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على نبيه إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقاً لتتابعنّي على الإسلام»، قالوا: لك ذلك، قال: «سلوا عما شئتم»، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال ثم نسألك، أخبرنا عن الطعام الذي حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكراً، وكيف تكون الأنثى حتى تكون الأنثى، وأخبرنا عن هذا النبيّ في النَّوْم ومن وليك من الملائكة، قال: «فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ لَئِنْ أنا حَدَّثْتُكُمْ لَتُتَابِعُني»، فأعطوهُ ما شاء من عهد وميثاق، قال: «أنشدكم باللَّهِ الَّذي أنزلَ التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل ـ يعقوب ـ مرض مرضاً شديداً طال سقمه فيه، فنذر لله نذراً لَئِنْ شفاهُ اللَّهُ من سَقَمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إليهِ، وأَحَبَّ الطَّعَامَ إِلَيْهِ وكان أحبُّ الشراب إليه ألبان الإبل، وأحبُّ الطعام إليه لُحمانَ الإبل؟» قالوا: اللهمّ نعم، فقال رسول الله: «اللهمّ اشْهَدْ عَلَيهِمْ»، قال: «فأنشدكم اللَّهَ الذي لا إلَهَ إلاّ هُوَ، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيّهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله، وإن علا ماءُ المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟» قالوا: اللهمّ نعم، قال رسول الله: «اللهمّ اشهَدْ عَلَيهِمْ»، قال: «وَأنشدكُمْ باللَّهِ الَّذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبيَّ تنام عيناه ولا ينام قلبه؟» قالوا، اللهمّ نعم، قال: «اللهمّ اشْهَدْ عَلَيهِمْ»، قالوا: أنتَ الآن حدثنا عن وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك، قال: «وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبياً قطّ إلا وهو وَلِيُّهُ»، فقالوا: فعندها نفارقُكَ، لو كان وليك غيره من الملائكة لبايعناك وصَدَّقناك، قال: «فما يمنعكم أن تصدّقوه؟» قالوا: إنه عَدُوُّنا من الملائكة، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] الآية، ونزلت: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ الآية. [البقرة: ٩٠].

حديث آخر

قال الإمام أحمد، حدثنا يزيد، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي، قال: «قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبيّ حتى نسأله عن هذه الآية، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] فقال: لا تقل له شيئاً، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين، فسألاه: فقال النبيّ ﷺ «**لا تُشركوا باللّهِ شيئاً ولا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا النَّفسَ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالحَقِّ ولا تَسْحَرُوا وَلا تأكُلُوا الرِّبَا ولا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إلى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ولا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً**»، أو قال: «**لا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ**» ـ شعبة الشاك ـ «**وأنتم يا معشرَ يهود عَلَيْكم خاصَّةً أن لا تَعْدُوا في السَّبْتِ**»، قال: فقبلا يديه ورجليه وقالا: نشهدُ أنك نبيٌّ، قال: «**فما يمنعكما أن تتبعاني؟**» قالا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبيّ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود»[١]. وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي من طرق عن شعبة به، وقال الترمذي: حسن صحيح. قلت: وفي رجاله من تكلم فيه، وكأنه اشتبه على الراوي التسع الآيات بالعشر الكلمات[٢]، وذلك أن الوصايا التي أوصاها الله إلى موسى وكلمه بها ليلة الطور بعدما خرجوا من ديار مصر وشعب بني إسرائيل حول الطور حضور، وهارون ومن معه وقوف على الطور أيضاً، وحينئذٍ كلم الله موسى تكليماً آمراً له بهذه العشر كلمات، وقد فسرت في هذا الحديث، وأما التسع الآيات فتلك دلائل وخوارق عادات أيد بها موسى عليه السلام، وأظهرها الله على يديه بديار مصر، وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والجدب ونقص الثمرات، وقد بسطت القول على ذلك في التفسير بما فيه الكفاية والله أعلم.

فصل

وقد ذكرنا في التفسير عند قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة: ٩٤ ـ ٩٥] ومثلها في سورة الجمعة وهي قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة: ٦ ـ ٧] وذكرنا أقوال المفسرين في ذلك وأن الصواب أنه دعاهم إلى المباهلة وأن يدعو بالموت على المبطل منهم أو المسلمين، فنكلوا عن ذلك لعلمهم بظلم أنفسهم، وأن الدعوة تنقلب عليهم، ويعود وبالها إليهم، وهكذا دعا النصارى من أهل نجران حين حاجوه في عيسى ابن مريم، فأمره الله أن يدعوهم إلى المباهلة في قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١] وهكذا دعا على

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٣٩.
(٢) العشر الكلمات: الوصايا العشر.

المشركين على وجه المباهلة في قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] وقد بسطنا القول في ذلك عند هذه الآيات في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة.

حديث آخر يتضمن اعتراف اليهود بأنه رسول الله ويتضمن تحاكمهم ولكن بقصد منهم مذموم

وذلك أنهم ائتمروا بينهم أنه إن حكم بما يوافق هواهم اتبعوه، وإلا فاحذروا ذلك، وقد ذمهم الله في كتابه العزيز على هذا القصد. قال عبد الله بن المبارك: حدثنا معمر عن الزهري قال: كنت جالساً عند سعيد بن المسيب وعند سعيد رجل وهو يوقره، وإذا هو رجل من مزينة، كان أبوه شهد الحديبية وكان من أصحاب أبي هريرة، قال: قال أبو هريرة: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، إذ جاء نفر من اليهود ـ وقد زنى رجل منهم وامرأة ـ فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه نبي بعث بالتخفيف، فإن أفتانا حداً دون الرجم فعلناه واحتججنا عند الله حين نلقاه بتصديق نبي من أنبيائه، قال مرة عن الزهري، وإن أمرنا بالرجم عصيناه فقد عصينا الله فيما كتب علينا من الرجم في التوراة، فأتوا رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم ما ترى في رجل منا زنى بعدما أحصن؟ فقام رسول الله ﷺ ولم يرجع إليهم شيئاً، وقام معه رجال من المسلمين، حتى أتوا بيت مدراس اليهود[1] فوجدوهم يتدارسون التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر اليهود، أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، تجدون في التوراة من العقوبة على من زنى إذا أحصن؟»** قالوا: نجبيه، والتجبية أن يحملوا اثنين على حمار فيولوا ظهر أحدهما ظهر الآخر، قال: وسكت حبرهم وهو فتى شاب، فلما رآه رسول الله ﷺ صامتاً ألظ به النشدة[2]، فقال حبرهم: أما إذ نشدتهم فإنا نجد في التوراة الرجم على من أحصن، قال النبي ﷺ: **«فما أول ما ترخصتم أمر الله عز وجل؟»** فقال: زنى رجل منا ذو قرابة بملك من ملوكنا، فأخر عنه الرجم، فزنا بعده آخر في أسرة من الناس فأراد ذلك الملك أن يرجمه فقام قومه دونه، فقالوا: لا والله لا نرجمه حتى يرجم فلاناً ابن عمه، فاصطلحوا بينهم على هذه العقوبة، فقال رسول الله ﷺ: **«فإني أحكم بما حكم في التوراة»**، فأمر رسول الله ﷺ بهما فرجما.

قال الزهري: وبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤] وله شاهد في الصحيح عن ابن عمر، قلت: وقد ذكرنا ما ورد في هذا السياق من الأحاديث عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١] يعني الجلد والتحميم الذي اصطلحوا عليه وابتدعوه من عند أنفسهم،

(١) المدراس: معبد اليهود.

(٢) ألظ به النَّشدَة: أي ناشده بإلحاح شديد.

يعني إن حكم لكم محمد بهذا فخذوه، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾، يعني وإن لم يحكم لكم بذلك فاحذروا قبوله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١] إلى أن قال ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة: ٤٣] فذمهم الله تعالى على سوء ظنهم وقصدهم بالنسبة إلى اعتقادهم في كتابهم، وأن فيه حكم الله بالرجم، وهم مع ذلك يعلمون صحته، ثم يعدلون عنه إلى ما ابتدعوه من الجلد والتحميم والتجبية.

وقد روى هذا الحديث محمد بن إسحاق عن الزهري قال: سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثهم فذكره، وعنده فقال رسول الله ﷺ لابن صوريا: «أنشدك بالله وأذكرك أيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟» فقال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون أنك نبيّ مرسل، ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني تميم عند مالك بن النجار، قال: ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ الآيات. [المائدة: ٤١] وقد ورد ذكر عبد الله بن صوريا الأعور في حديث ابن عمير وغيره بروايات صحيحة قد بيناها في التفسير.

حديث آخر

قال حماد بن سلمة: حدثنا ثابت عن أنس أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا يهودي، أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجدون في التوراة نعتي وصفتي ومخرجي؟» فقال: لا، فقال الفتى: بلى والله يا رسول الله، إنا نجد في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال النبي لأصحابه: «أقيموا هذا من عند رأسه، ولوا أخاكم». ورواه البيهقي من هذا الوجه بهذا اللفظ.

حديث آخر

قال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه قال: إن الله ابتعث نبيه ﷺ لإدخال رجل الجنة، فدخل النبيّ ﷺ كنيسة وإذا يهودي يقرأ التوراة، فلما أتى على صفته أمسك، قال: وفي ناحيتها رجل مريض، فقال النبي ﷺ: «ما لكم أمسكتم؟» فقال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة وقال: ارفع يدك، فقرأ حتى أتى على صفته، فقال: هذه صفتك وصفة أمتك، أشهد أن لا إلَهَ إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم مات، فقال النبي ﷺ: «لُوا أَخَاكُمْ».

حديث آخر

إن النبي ﷺ: وقف على مدراس اليهود فقال: «يا مَعْشرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا فَوَالَّذِي لا إِلٰهَ إلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: «ذلكَ أُرِيدُ»

فصل

فالذي يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله، ومن حيث المعنى، أن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧ـ ١٥٨] [وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾] [الأنعام: ١١٤] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦] وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا﴾ [آل عمران: ٢٠] ﴿هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] وقال تعالى: ﴿هَذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧] وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٧٠] فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يؤمن بي إلا دخل النار». رواه مسلم.

وفي الصحيحين: «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ أحَدٌ من الأنبياء قبلي، نُصِرتُ بِالرُّعْبِ مسيرةَ شهر، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأُعطِيتُ السماحة[1]، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه وَبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامّةً». وفيهما: «بُعِثْتُ إلى الأسْوَدِ وَالأحْمَرِ»، قيل: إلى العَرَب والعَجَم، وقيل: إلى الإنْس والجن، والصحيح أعم من ذلك، والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل، وهو عيسى ابن مريم، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل، وقص الله خبره في ذلك فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فأخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن

---

(١) في التيمورية: الشفاعة.

ذكره موجود في الكتب المتقدمة، فيما جاء به من القرآن، وفيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق، يدل على صدقه في ذلك قطعاً، لأنه لو لم يكن واثقاً بما أخبر به من ذلك، لكان ذلك من أشد المنفرات عنه، ولا يقدم على ذلك عاقل، والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه، بل هو أعقلهم في نفس الأمر. ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب، وعمت دولة أمته في أقطار الآفاق عموماً لم يحصل لأمة من الأمم قبلها، فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً، لكان ضرره أعظم من كل أحد، ولو كان كذلك لحذر عنه الأنبياء أشد التحذير، ولنفروا أممهم منه أشد التنفير، فإنهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة في كتبهم، ونهوا أممهم عن اتباعهم والاقتداء بهم، ونصوا على المسيح الدجال، الأعور الكذاب، حتى قد أنذر نوح ـ وهو أول الرسل ـ قومه، ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد، ولا التنفير عنه، ولا الإخبار عنه بشيء خلاف مدحه، والثناء عليه، والبشارة بوجوده، والأمر باتباعه، والنهي عن مخالفته، والخروج عن طاعته، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١ ـ ٨٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه، رواه البخاري. وقد وجدت البشارات به ﷺ في الكتب المتقدمة وهي أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر. وقد قدمنا قبل مولده عليه السلام طرفاً صالحاً من ذلك، وقررنا في كتاب التفسير عند الآيات المقتضية لذلك آثاراً كثيرة، ونحن نورد ههنا شيئاً مما وجد في كتبهم التي يعترفون بصحتها، ويتدينون بتلاوتها، مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً ممن آمن منهم، واطلع على ذلك من كتبهم التي بأيديهم، ففي السِّفر الأول من التوراة التي بأيديهم في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام ما مضمونه وتعريبه: إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام، بعدما سلمه من نار النمروذ: أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك، فلما قص ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه، وحرصت على إبعاد هاجر وولدها، حتى ذهب بهما الخليل إلى برية الحجاز وجبال فاران، وظن إبراهيم عليه السلام أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق، حتى أوحى الله إليه ما مضمونه: أما ولدك إسحاق فإنه يرزق ذرية عظيمة، وأما ولدك إسماعيل فإني باركته وعظمته، وكثرت ذريته، وجعلت من ذريته ماذ ماذ، يعني محمداً ﷺ، وجعلت في ذريته اثنا عشر إماماً، وتكون له أمة عظيمة، وكذلك بشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت فعطشت وحزنت على ولدها، وجاء الملك فأنبع زمزم، وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد، فإنه سيولد له منه عظيم، له ذرية عدد نجوم السماء.

ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل، بل من ذرية آدم، أعظم قدراً ولا أوسع جاهاً، ولا أعلى منزلة، ولا أجل منصباً، من محمد ﷺ، وهو الذي استولت دولة أمته على المشارق

والمغارب، وحكموا على سائر الأمم .

وهكذا في قصة إسماعيل من السفر الأول: أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن، وهذا لم يكن لأحد يصدق على الطائفة إلا لمحمد ﷺ. وأيضاً في السفر الرابع في قصة موسى، أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام: أن قل لبني إسرائيل: سأقيم لهم نبياً من أقاربهم مثلك يا موسى، وأجعل وحيي بفيه وإياه تسمعون. وفي السفر الخامس ـ وهو سفر الميعاد ـ أن موسى عليه السلام خطب بني إسرائيل في آخر عمره ـ وذلك في السنة التاسعة والثلاثين من سني التيه ـ وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم، وإحسانه إليهم، وقال لهم فيما قال: واعلموا أن الله سيبعث لكم نبياً من أقاربكم مثل ما أرسلني إليكم، يأمركم بالمعروف، وينهاكم عن المنكر، ويحل لكم الطيبات، ويحرم عليكم الخبائث، فمن عصاه فله الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

وأيضاً في آخر السفر الخامس وهو آخر التوراة التي بأيديهم: جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير[1] ، واستعلن من جبال فاران:[2] وظهر من ربوات قدسه، عن يمينه نور، وعن شماله نار، عليه تجتمع الأمم وعليه تجتمع الشعوب. أي جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء ـ وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عنده ـ وأشرق من ساعير وهي جبالُ بيت المقدس ـ المحلة التي كان بها عيسى ابن مريم عليه السلام ـ واستعلن أي ظهر وعلا أمره من جبال فاران، وهي جبال الحجاز بلا خلاف، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ﷺ. فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعي، ذكر محلة موسى، ثم عيسى، ثم بلد محمد ﷺ، ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولاً، ثم الأفضل منه، ثم الأفضل منه، على قاعدة القسم فقال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ و المراد بها محلة بيت المقدس حي كان عيسى عليه السلام ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهو البلد الذي ابتعث منه محمداً ﷺ. قاله غير واحد من المفسرين في تفسير هذه الآيات الكريمات.

وفي زبور داود عليه السلام صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة، وفيه مثل ضربه لمحمد ﷺ، بأنه ختام القبة المبنية، كما ورد به الحديث في الصحيحين: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَكْمَلَهَا إلاّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يطِيفُونَ بِهَا وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هٰذِهِ اللَّبِنَةُ؟» ومصداق ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفي الزبور صفة محمد ﷺ بأنه ستنبسط نبوته ودعوته وتنفذ كلمته من البحر إلى البحر، وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهدايا، وأنه يخلص المضطر، ويكشف الضر عن الأمم، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويصلي عليه في كل وقت، ويبارك الله عليه في كل يوم، ويدوم ذكره إلى الأبد. وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ. وفي صحف

---

(١) ساعير: اسم جبال فلسطين في التوراة.
(٢) اسم جبال الحجاز في التوراة.

شعيا في كلام طويل فيه معاتبة لبني إسرائيل، وفيه فإني أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب في الأسواق، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والوفاء طبيعته، والعدل مسيرته، والحق شريعته، والهدى ملته، والإسلام دينه، والقرآن كتابه، أحمد اسمه، أهدي به من الضلالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين القلوب المختلفة، وأجعل أمته خير أمة آخرجت للناس، قرابينهم دماؤهم، أناجيلهم في صدورهم، رهباناً بالليل، ليوثاً بالنهار ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١] وفي الفصل الخامس[١] من كلام شعيا: يدوس الأمم كدوس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون قدامه.

وفي الفصل السادس والعشرين منه: ليفرح أرض البادية العطشى، ويعطى أحمد محاسن لبنان، ويرون جلال الله بمهجته. وفي صحف إلياس عليه السلام: أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحاً، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه: انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة، فقالوا: يا نبي الله فما الذي يكون معبودهم؟ فقال: يعظمون رب العزة فوق كل رابية عالية. ومن صحف حزقيل عليه السلام: إن عبدي خيرتي أنزل عليه وحيي، يظهر في الأمم عدلي، اخترته واصطفيته لنفسي، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة. ومن كتاب النبوات: أن نبياً من الأنبياء مرّ بالمدينة فأضافه بنو قريظة والنضير، فلما رآهم بكى، فقالوا له: ما الذي يبكيك يا نبي الله؟ فقال: نبي يبعثه الله من الحرة، يخرب دياركم ويسبي حريمكم، قال: فأراد اليهود قتله فهرب منهم.

ومن كلام حزقيل عليه السلام: يقول الله: من قبل أن صورتك في الأحشاء قدستك وجعلتك نبياً، وأرسلتك إلى سائر الأمم.

وفي صحف شعيا أيضاً، مثل مضروب لمكة شرفها الله: افرحي يا عاقر بهذا الولد الذي يهبه لك ربك، فإن ببركته تتسع لك الأماكن، وتثبت أوتادك في الأرض وتعلو أبواب مساكنك، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادم، وولدك هذا يرث جميع الأمم، ويملك سائر المدن والأقاليم، ولا تخافي ولا تحزني فما بقي يلحقك ضيم من عدو أبداً، وجميع أيام ترملك تنسيها. وهذا كله إنما حصل على يدي محمد ﷺ. وإنما المراد بهذه العاقر مكة، ثم صارت كما ذكر في هذا الكلام لا محالة. ومن أراد من أهل الكتاب أن يصرف هذا ويتأوله على بيت المقدس وهذا[٢] لا ينافيه من كل وجه والله أعلم.

وفي صحف أرميا: كوكب ظهر من الجنوب، أشعته صواعق، سهامه خوارق، دكت له الجبال. وهذا المراد به محمد ﷺ. وفي الإنجيل يقول عيسى عليه السلام: إني مرتق إلى جنات العلى، ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شيء، ولم يقل شيئاً من تلقاء

---

(١) في التيمورية: العاشر.
(٢) كذا بالنسخ، ولعلها: فهذا.

نفسه. والمراد بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. [الصف: ٦] وهذا باب متسع، ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جداً، وقد أشرنا إلى نبذ من ذلك يهتدي بها من نور الله بصيرته وهداه إلى صراطه المستقيم، وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم، وهم مع ذلك يتكاتمونها ويخفونها.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الطفيل قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبيد الله بن أبي داود المنادي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا صالح بن عمر، حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الغلتان[1] بن عاصم قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل ونعلان، فجعل يقول: يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ الله؟» قال: فجعل لا يقول شيئاً إلا قال: يا رسول الله، فيقول: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ الله؟» فيأبى، فقال له رسول الله ﷺ: «أتقرأ التوراة؟» قال: نعم، قال: «والإنجيل؟» قال: نعم، قال: «والفرقان» قال: وربِّ محمد لو شئت لقرأته، قال: «فَأَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وَأَنْشَأَ خَلْقَهُ بِهَا، تَجِدُنِي فِيهِمَا؟» قال: نجد مثل نعتك، يخرج من مخرجك، كنا نرجو أن يكون فينا، فلما خرجت رأينا أنك هو، فلما نظرنا إذا أنت لست به، قال: «من أين؟» قال: نجد من أمتك سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وإنما أنتم قليل، قال: فهلل رسول الله ﷺ وكبر، وهلل وكبر، ثم قال: «والَّذِي نَفْسُ محمدٍ بيده إنني لأنا هُوَ، وإنَّ مِنْ أُمَّتِي لأَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ ألفاً وسبعينَ وسبعينَ».

جوابه ﷺ لمن سأل عما سأل قبل أن يسأله عن شيء منه

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا الزبير بن عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز ـ ولم يسمعه منه ـ قال: حدثني جلساؤه وقد رأيته عن وابصة الأسديّ، وقال عفان: حدثنا غير مرة ولم يقل: حدثني جلساؤه، قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أريدُ أن لا أدعَ شيئاً من البرّ والإثم إلاّ سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك وابصة عن رسول الله، فقلت: دعوني فأدنو منه، فإنه أحبُ النّاس إليّ أن أدنوَ منه، قال: «دَعُوا وابِصَةَ، ادن يا وَابِصَةُ»، مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً، قال: فدنوتُ منه حتى قعدتُ بين يديه، فقال: «يا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ أَمْ تَسْأَلُنِي؟» فقلتُ: لا، بل أخبرني: فقال: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ وَالإثم»، فقلتُ: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول: «يا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ (ثلاث مرات) البِرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفسُ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»

(١) كذا بالنسخ: الغلتان، بالغين المعجمة، ولعله الفلتان، بالفاء.

باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها، ولكن نحن نشير إلى طرف منه وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. وذلك منتزع من القرآن ومن الأحاديث، أما القرآن فقال تعالى في سورة المزمل - وهي من أوائل ما نزل بمكة - ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] ومعلوم أن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة. وقال تعالى في سورة اقترب - وهي مكية - ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٤- ٤٥] ووقع هذا يوم بدر، وقد تلاها رسول الله ﷺ وهو خارج من العريش ورماهم بقبضة من الحصباء فكان النصر والظفر، وهذا مصداق ذاك. وقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: ١- ٥] فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب الملقب بأبي لهب سيدخل النار هو وامرأته، فقدر الله عز وجل أنهما ماتا على شركهما لم يسلما، حتى ولا ظاهراً، وهذا من دلائل النبوة الباهرة، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٣- ٢٤] الآية، فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته، وحلاوته وإحكام أحكامه، وبيان حلاله وحرامه، وغير ذلك من وجوه إعجازه، لما استطاعوا ذلك، ولما قدروا عليه، ولا على عشر سور منه، بل ولا سورة، وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبداً، ولن لنفي التأبيد في المستقبل، ومثل هذا التحدي، وهذا القطع، وهذا الإخبار الجازم، لا يصدر إلا عن واثق بما يخبر به، عالم بما يقوله، قاطع أن أحداً لا يمكنه أن يعارضه، ولا يأتي بمثل ما جاء به عن ربه عز وجل، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] الآية، وهكذا وقع سواء بسواء، مكن الله هذا الدين وأظهره، وأعلاه ونشره في سائر الآفاق، وأنفذه وأمضاه، وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق، ولا شك في دخوله فيها، ولكن لا تختص به، بل تعمه كما تعم غيره، كما ثبت في الصحيح «إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»، وقد كان ذلك في زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأرضاهم، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] وهكذا وقع وعمّ هذا الدين، وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمته في زمن الصحابة ومن بعدهم، وذلت لهم سائر البلاد، ودان لهم جميع أهلها، على اختلاف أصنافهم، وصار الناس إما مؤمن داخل في

الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال، وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله. وقد ثبت في الحديث: «إنَّ الله زَوَى لِي مَشَارِقَ الأرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي ما زُوِيَ لِي منها». وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦] الآية، وسواء كان هؤلاء هوازن أو أصحاب مسيلمة، أو الروم، فقد وقع ذلك، وقال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢١﴾ [الفتح: ٢٠ ـ ٢١] وسواء كانت هذه الأخرى خيبر أو مكة فقد فتحت وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء، وقال تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ [الفتح: ٢٧] فكان هذا الوعد في سنة الحديبية عام ست، ووقع إنجازه في سنة سبع عام عمرة القضاء كما تقدم. وذكرنا هناك الحديث بطوله، وفيه أن عمر قال: يا رسول الله ألم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا، قال فإنك تأتيه وتطوف به.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] وهذا الوعد كان في وقعة بدر لما خرج رسول الله ﷺ من المدينة ليأخذ عير قريش، فبلغ قريشاً خروجه إلى عيرهم، فنفروا في قريب من ألف مقاتل، فلما تحقق رسول الله ﷺ وأصحابه قدومهم وعده الله إحدى الطائفتين أن سيظفره بها، إما العير وإما النَّفير، فودَّ كثير من الصحابة ـ ممن كان معه ـ أن يكون الوعد لِلْعِير، لما فيه من الأموال وقلَّة الرجال، وكرهوا لقاء النفير لما فيه من العدد والعدد، فخار الله لهم وأنجز لهم وعده في النفير فأوقع بهم بأسه الذي لا يرد، فقتل من سراتهم سبعون وأسر سبعون وفادوا أنفسهم بأموال جزيلة، فجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: ٧] وقد تقدم بيان هذا في غزوة بدر، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠] وهكذا وقع فإن الله عوض من أسلم منهم بخير الدنيا والآخرة. ومن ذلك ما ذكره البخاري أن العباس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني، فإني فاديت نفسي، وفاديت عقيلاً، فقال له: خذ، فأخذ في ثوب مقداراً لم يمكنه أن يقله، ثم وضع منه مرة بعد مرة حتى أمكنه أن يحمله على كاهله، وانطلق به كما ذكرناه في موضعه مبسوطاً. وهذا من تصديق هذه الآية الكريمة، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ الآية، [التوبة: ٢٨] وهكذا وقع عوضهم الله عما كان يغدو إليهم مع حجاج المشركين، بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم، وسلب أموال من قتل منهم على كفره، كما وقع بكفار أهل الشام من الروم ومجوس الفرس، بالعراق وغيرها من البلدان التي انتشر الإسلام على أرجائها، وحكم على مدائنها وفيفائها، قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] وقال تعالى: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾ [التوبة: ٩٥] الآية، وهكذا وقع، لما رجع ﷺ من غزوة تبوك كان قد تخلف عنه طائفة من المنافقين، فجعلوا يحلفون بالله لقد كانوا معذورين في تخلفهم، وهم في ذلك كاذبون، فأمر الله رسوله أن يجري أحوالهم على ظاهرها، ولا يفضحهم عند الناس، وقد أطلعه الله على أعيان جماعة منهم أربعة عشر رجلاً كما قدمناه لك في غزوة تبوك، فكان حذيفة بن اليمان ممن يعرفهم بتعريفه إياه ﷺ. وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦] وهكذا وقع، لما اشتوروا عليه ليثبتوه: أو يقتلوه أو يخرجوه من بين أظهرهم، ثم وقع الرأي على القتل، فعند ذلك أمر الله رسوله بالخروج من بين أظهرهم، فخرج هو وصديقه أبو بكر، فكمنا بغار ثور ثلاثاً، ثم ارتحلا بعدها كما قدمنا، وهذا هو المراد بقوله ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠] وهو المراد من قوله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠] ولهذا قال: ﴿وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦] وقد وقع كما أخبر فإن الملأ الذين اشتوروا على ذلك لم يلبثوا بمكة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلاَّ ريثما استقرَّ ركابه الشريف بالمدينة وتابعه المهاجرون والأنصار، ثم كانت وقعة بدر فقتلت تلك النفوس، وكسرت تلك الرؤوس، وقد كان ﷺ يعلم ذلك قبل كونه من إخبار الله له بذلك، ولهذا قال سعد بن معاذ لأمية بن خلف: أما إني سمعت محمداً ﷺ يذكر أنه قاتلك، فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم، قال: فإنه والله لا يكذب، وسيأتي الحديث في بابه. وقد قدمنا أنه ﷺ جعل يشير لأصحابه قبل الوقعة إلى مصارع القتلى، فما تعدى أحد منهم موضعه الذي أشار إليه، صلوات الله وسلامه عليه. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ١ـ ٦] وهذا الوعد وقع كما أخبر به، وذلك أنه لما غلبت فارس الروم فرح المشركون، واغتمّ بذلك المؤمنون، لأن النصارى أقرب إلى الإسلام من المجوس، فأخبر الله رسوله ﷺ بأن الروم ستغلب الفرس بعد هذه المدة بسبع سنين، وكان من أمر مراهنة الصديق رؤوس المشركين على أن ذلك سيقع في هذه المدة، ما هو مشهور كما قررنا في كتابنا التفسير، فوقع الأمر كما أخبر به القرآن، غلبت الروم فارس بعد غلبهم غلباً عظيماً جداً، وقصتهم في ذلك يطول بسطها، وقد شرحناها في التفسير بما فيه الكفاية ولله الحمد والمنة. وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣] وكذلك.

وقع، أظهر الله من آياته ودلائله في أنفس البشر وفي الآفاق بما أوقعه من الناس بأعداء النبوة، ومخالفي الشرع ممن كذب به من أهل الكتابين، والمجوس والمشركين، ما دل ذوي البصائر والنُّهى على أن محمداً رسول الله حقاً، وأن ما جاء به الوحي عن الله صدق، وقد أوقع له في صدور أعدائه وقلوبهم رعباً ومهابة وخوفاً، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»، وهذا من التأييد والنصر الذي آتاه الله عز وجل، وكان عدوه يخافه وبينه وبينه مسيرة شهر، وقيل: كان إذا عزم على غزو قوم أرعبوا قبل مجيئه إليهم، وووروده عليهم بشهر، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

فصل

وأما الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما أخبر، فمن ذلك ما أسلفناه في قصة الصحيفة التي تعاقدت فيها بطون قريش، وتمالؤوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا يؤووهم، ولا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، فدخلت بنو هاشم وبنو المطلب، بمسلمهم وكافرهم شعب أبي طالب أنفين لذلك ممتنعين منه أبداً، ما بقوا دائماً، ما تناسلوا وتعاقبوا، وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية التي يقول فيها: [الطويل]:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَبْزِي مُحَمَّداً ... وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمَهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلائِلِ
وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ لا أَبا لَكَ سَيِّداً ... يَحُوطُ الذِّمارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ
وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ
يَلُوذُ بِهِ الهُلاَّكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

وكانت قريش قد علقت صحيفة الزعامة في سقف الكعبة، فسلط الله عليها الأرضة فأكلت ما فيها من أسماء الله، لئلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور، وقيل: إنها أكلت ما فيها إلا أسماء الله عز وجل، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عمه أبا طالب، فجاء أبو طالب إلى قريش فقال: إن ابن أخي قد أخبرني بخبر عن صحيفتكم، بأنَّ الله قد سلط عليها الأرضة فأكلتها إلا ما فيها من أسماء الله، أو كما قال: فأحضروها، فإن كان كما قال وإلا أسلمته إليكم، فأنزلوها ففتحوها فإذا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ، فعند ذلك نقضوا حكمها ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة، ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك، كما أسلفنا ذكره ولله الحمد. ومن ذلك حديث خباب بن الأرتّ، حين جاء هو وأمثاله من المستضعفين يستنصرون النبي ﷺ، وهو يتوسد رداءه في ظل الكعبة فيدعو لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة، فجلس محمراً وجهه وقال: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ أَحَدُهُمْ يُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ما يَصْرِفُهُ ذلكَ عن دِينِهِ، والله لَيُتِمَّنَّ الله هٰذا الأمْرَ وَلٰكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبيه عن جده أبي بردة عن أبي موسى، أراه عن النبي ﷺ قال: رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخلٌ،

فذهب وَهَلِي [1] إلى أنها اليمامةُ أو هَجَرُ، فإذا هي المدينة يَثْرِبُ، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها بقراً والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي أتانا بعد يوم بدر. ومن ذلك قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف حين قدم عليه مكة.

قال البخاري: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف، أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت، فبينا سعد يطوف فإذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أخبرنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأمنعنَّ متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربيّ؟ قالت: وما قال لك قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ، قالت له امرأته: ما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوماً أو يومين، فسار معهم فقتله الله.

وهذا الحديث من أفراد البخاري، وقد تقدم بأبسط من هذا السياق.

ومن ذلك إخباره عن مصارع القتلى يوم بدر كما تقدم الحديث في الصحيح أنه جعل يشير قبل الوقعة إلى محلها ويقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان، قال: فوالذي بعثه بالحق ما حاد أحد منهم عن مكانه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ. ومن ذلك قصة أبيّ بن خلف الذي كان يعلف حصاناً له، فإذا مر برسول الله ﷺ يقول: إني سأقتلك عليه، فيقول له رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فقتله يوم أحد كما قدمنا بسطه.

ومن ذلك قوله لذلك الرجل الذي كان لا يترك للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها ففراها بسيفه، وذلك يوم أحد، وقيل: خيبر وهو الصحيح، وقيل: في يوم حنين، فقال الناس: ما أغنى أحد اليوم ما أغنى فلان، يقال: إنه قرمان، فقال: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»فقال بعض الناس: أنا صاحبه، فاتبعه فجرح فاستعجل الموت فوضع ذباب سيفه في صدره ثم تحامل عليه حتى أنفذه، فرجع ذلك الرجل فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «وَمَا ذَاكَ؟»

---

(١) وهلي: ظني.

فقال: إن الرجل الذي ذكرت آنفاً كان من أمره كيت وكيت، فذكر الحديث كما تقدم.

ومن ذلك إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق، لما ضرب بيده الكريمة تلك الصخرة فبرقت من ضربه، ثم أخرى، ثم أخرى كما قدمناه.

ومن ذلك إخباره ﷺ عن ذلك الذراع أنه مسموم، فكان كما أخبر به، اعترف اليهود بذلك، ومات من أكل معه ـ بشر بن البراء بن معرور ـ.

ومن ذلك ما ذكره عبد الرزاق عن معمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: اللهم نج أصحاب السفينة، ثم مكث ساعة، ثم قال: قد استمرت. والحديث بتمامه في دلائل النبوة للبيهقي، وكانت تلك السفينة قد أشرفت على الغرق وفيها الأشعريون الذين قدموا عليه وهو بخيبر.

ومن ذلك إخباره عن قبر أبي رغال، حين مرّ عليه وهو ذاهب إلى الطائف وأن معه غصناً من ذهب، فحفروه فوجدوه كما أخبره، صلوات الله وسلامه عليه. رواه أبو داود من حديث أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن بحر بن أبي بحر عن عبد الله بن عمرو به.

ومن ذلك قوله عليه السلام للأنصار، لما خطبهم تلك الخطبة مسلياً لهم عما كان وقع في نفوس بعضهم من الإيثار عليهم في القسمة لما تألف قلوب من تألف من سادات العرب، ورؤوس قريش، وغيرهم، فقال: **«أما تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رحالكم؟»**. وقال: **«إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»**. وقال: **«إن الناس يكثرون وتقل الأنصار»**. وقال لهم في الخطبة قبل هذه على الصفا: **«بل المحيا محياكم، والممات مماتكم»**. وقد وقع جميع ذلك كما أخبر به سواء بسواء.

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال: وأخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وإذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ والَّذِي نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ لَتَنْفِقُنَّ كُنُوزُهُمَا في سَبِيلِ اللَّهِ»**.

ورواه مسلم عن حرملة عن أبي وهب عن يونس به.

وقال البخاري: حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة رفعه: **«إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وإذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ»**، وقال: **لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزُهُمَا في سَبِيلِ اللَّهِ»**[1].

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث جرير، وزاد البخاري وابن عوانة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير به، وقد وقع مصداق ذلك بعده في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر، وعمر، وعثمان، استوثقت هذه الممالك فتحاً على أيدي المسلمين، وأنفقت أموال قيصر ملك الروم، وكسرى ملك الفرس، في سبيل الله، على ما سنذكره بعد إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب ٣.

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين، وهي أن ملك فارس قد انقطع فلا عودة له، وملك الروم للشام قد زال عنها، فلا يملكوها بعد ذلك، ولله الحمد والمنة. وفيه دلالة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، والشهادة لهم بالعدل، حيث أنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المرضي الممدوح.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن الحكم، حدثنا النضر، حدثنا إسرائيل، حدثنا سعد الطائي، أخبرنا محلّ بن خليفة عن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك حياة لترينَّ الظعينة ترتحلُ من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ما تخاف أحداً إلا الله عز وجل قلت فيما بيني وبين نفسي: (فأين دعار طيىء الذين قد سعروا البلاد؟) ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: ألم أعطك مالاً وولداً وأفضلت عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة فلا تخاف إلا الله عز وجل، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه. ثم رواه البخاري عن عبد الله بن محمد ـ هو أبو بكر بن أبي شيبة ـ عن أبي عاصم النبيل عن سعد بن بشر عن أبي مجاهد ـ سعد الطائي ـ عن محلّ عنه به، وقد تفرد به البخاري من هذين الوجهين، ورواه النسائي من حديث شعبة عن محل عنه: «اتَّقُوا النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». وقد رواه البخاري من حديث شعبة، ومسلم من حديث شعبة، ومسلم من حديث زهير، كلاهما عن أبي إسحاق عن عبد الله بن مغفل عن عدي مرفوعاً «اتقوا النار ولو بشق تمرة». وكذلك أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش عن خيثمة عن عبد الرحمن عن عدي، وفيها من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن خيثمة عن عديّ به. وهذه كلها شواهد لأصل هذا الحديث الذي أوردناه، وقد تقدم في غزوة الخندق الأخبار بفتح مدائن كسرى وقصوره وقصور الشام وغير ذلك من البلاد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل عن قيس عن خباب قال: «أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظلّ الكعبة متوسداً بردةً له، فقلنا: يا رسول الله، ادْعُ اللَّهَ لنا واستنصره، قال: فاحمرَّ لونه أو تغير، فقال: لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ تُحْفَرُ لَهُ الحَفِيرَةُ وَيُجَاءُ بِالميشارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ ما يَصْرِفُهُ عن دينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ عَظْمٍ أو لحمٍ أو عَصَبٍ ما يصرفهُ عن دينهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ ما بَيْنَ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ ما يَخْشَى إلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلٰكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ».

وهكذا رواه البخاري عن مسدد، ومحمد بن المثنى عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد به. ثم قال البخاري في كتاب علامات النبوة: حدثنا سعيد بن شرحبيل، حدثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسين عن عتبة عن النبي ﷺ أنه خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**أنا فَرَطُكُمْ، وأنا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، إنّي والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض، وإني والله ما أخافُ بعدي أن تُشرِكُوا، ولكنّي أخافُ أن تَنَافَسُوا فيها**». وقد رواه البخاري أيضاً من حديث حيوة بن شريح، ومسلم من حديث يحيى بن أيوب، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب كرواية الليث عنه. ففي هذا الحديث مما نحن بصدده أشياء، منها أنه أخبر الحاضرين أنه فرطهم، أي المتقدم عليهم في الموت، وهكذا وقع، فإن هذا كان في مرض موته عليه السلام، ثم أخبر أنه شهيد عليهم وإن تقدم وفاته عليهم، وأخبر أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض، أي فتحت له البلاد كما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم، قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تفتحونها كَفْراً كفراً، أي بلداً بلداً، وأخبر أن أصحابه لا يشركون بعده، وهكذا وقع ولله الحمد والمنة، ولكن خاف عليهم أن ينافسوا في الدنيا، وقد وقع هذا في زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما ثم من بعدهما، وهلم جرا إلى وقتنا هذا.

ثم قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، أخبرنا أزهر بن سعد، أخبرنا ابن عون، أنبأني موسى بن أنس بن مالك عن أنس أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله أعلم لك علمه؟ فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرّاً كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، قال موسى: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة، تفرد به البخاري. وقد قتل ثابت بن قيس بن شماس شهيداً يوم اليمامة كما سيأتي تفصيله، وهكذا ثبت في الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام بأنه يموت على الإسلام، ويكون من أهل الجنة، وقد مات رضي الله عنه على أكمل أحواله وأجملها، وكان الناس يشهدون له بالجنة في حياته لإخبار الصادق عنه بأنه يموت على الإسلام، وكذلك وقع.

وقد ثبت في الصحيح الإخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة، بل ثبت أيضاً الإخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة، ولم ينقل أن أحداً من هؤلاء رضي الله عنه عاش إلا حميداً، ولا مات إلا على السداد والاستقامة والتوفيق، ولله الحمد والمنة. وهذا من أعلام النبوات، ودلالات الرسالة.

فصل في الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلة

روى البيهقي من حديث إسرائيل عن سماك عن جابر بن سمرة قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إن فلاناً مات، فقال: لم يمت، فعاد الثانية فقال: إن فلاناً مات، فقال: لم يمت،

فعاد الثالثة فقال: إن فلاناً نحر نفسه بمشقص عنده، فلم يصل عليه. ثم قال البيهقي تابعه زهير عن سماك. ومن ذلك الوجه رواه مسلم مختصراً في الصلاة. وقال أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدّثنا هريم بن سفيان عن سنان بن بشر عن قيس بن أبي حازم عن قيس بن أبي شهم قال: مرت بي جارية بالمدينة فأخذت بكشحها، قال: وأصبح الرسول ﷺ يبايع الناس، قال: فأتيته فلم يبايعني، فقال: صاحب الجبيذة؟ قال: قلت: والله لا أعود، قال: فبايعني. ورواه النسائي عن محمد بن عبد الرحمن الحرمي عن أسود بن عامر به، ثم رواه أحمد عن سريج عن يزيد بن عطاء عن سنان بن بشر عن قيس عن أبي هاشم فذكره.

وفي صحيح البخاري: عن أبي نعيم عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: «كُنَّا نَتَّقِي الكلامَ والانبساطَ إلى نسائنا في عهد رسول الله ﷺ خَشْيَةَ أَنْ يَنْزِلَ فينا شيءٌ، فلما تُوُفِّيَ تَكَلَّمْنَا وَانْبَسَطْنَا».

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنه قال: والله لقد كان أحدنا يكفُّ عن الشيء مع امرأته وهو وَإياها في ثوبٍ واحد تخوفاً أن ينزل فيه شيء من القرآن».

وقال أبو داود: حدّثنا محمد بن العلاء، حدّثنا ابن إدريس، حدّثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار قال: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرأيت رسولَ الله ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر: أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ رِجلَيْهِ، أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ استقبله داعي امرأة، فجاء وجيء بالطعام فوضع يده فيه ووضع القومُ أيديهم فأكلوا فنظر آباؤنا رسول الله ﷺ يلوكُ لقمةً في فيه، ثم قال: أَجِدُ لحمَ شاةٍ أُخِذَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ أهلها، قال فأرسلت المرأة: يا رسولَ الله إني أرسلتُ إلى البقيع يشتري لي شاة فلم توجد، فأرسلتُ إلى جارٍ لي قد اشترى شاةً: أن أرسلْ بها إليَّ بثمنها فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته فأرسلتْ إليَّ بها، فقال رسول الله ﷺ: أَطْعِمِيهِ الأَسَارى».

فصل في ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلة بعده ﷺ

ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان: قال: «قام رسول الله ﷺ فينا مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلاّ ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، وقد كنتُ أرى الشيء قد كنتُ نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه».

وقال البخاري: حدّثنا يحيى بن موسى، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، حدثني بشر بن عبد الله الحضرمي، حدثني أبو إدريس الخولانيّ أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كُنَّا في جاهلية وشرّ، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نَعَمْ، قلت: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ، قلت: وما دَخَنُهُ؟ فقال: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ

هَدْيِي يُعْرَفُ منهمْ وَيُنْكَرُ، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نَعَمْ، دُعَاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أجابهم إليها قذفوهُ فيها، قلت: يا رسولَ الله صفهم لنا، قال: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، ويكلمونَ بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إنْ أدركني ذلك؟ قال: تَلْزَمُ جماعةَ المُسْلِمينَ وإمامَهُمْ، قلت: فإنْ لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ قال: فاعْتَزِلْ تلكَ الفِرَقَ كُلَّها وَلَوْ أنْ تَعضَّ بأصْلِ شَجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك».

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم عن محمد بن المثنى عن الوليد عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر به.

قال البخاري: حدّثنا محمد بن مثنى، حدّثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل عن قيس عن حذيفة قال: تعلَّم أصحابي الخير: وتعلمتُ الشرَّ، تفرد به البخاري، وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن عديّ بن ثابت عن عبد الله بن يزيد عن حذيفة قال: «لقد حَدَّثني رسول الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة، غير أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها».

وفي صحيح مسلم من حديث علي بن أحمد عن أبي يزيد ـ عمرو بن أخطب ـ قال: أخبرنا رسول الله ﷺ بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة، فأعلمنا أحفظنا. وفي الحديث الآخر: «حتَّى دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَارَ» وقد تقدم حديث خباب بن الأرت: «والله ليتمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون». وكذا حديث عدي بن حاتم في ذلك، وقال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] الآية. وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدُّنيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإنَّ أوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسْرَائِيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ». وفي حديث آخر: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»

وفي الصحيحين من حديث الزهريّ عن عروة بن المسور عن عمرو بن عوف، فذكر قصة بعث أبي عبيدة إلى البحرين قال: وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبْشِرُوا وَأمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ ما الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أخْشَى أنْ تَنْبَسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوها كَمَا تَنَافَسُوها، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ». وفي الصحيحين من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «هَلْ لَكُمْ مِنْ أنْمَاطٍ»؟ قال: يا رسول الله: وأنى يكون لنا أنماط؟ فقال: «أمَا إنَّهَا ستَكُونُ لَكُمْ أنْمَاطٌ» قال: فأنا أقول اليوم لامرأتي: نَحّي عَنّي أنماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله: «إنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ أنْمَاطٌ»؟ فأتركها.

وفي الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان بن أبي زهير قال: قال رسول الله ﷺ: «تُفْتَحُ اليَمَنُ فَيَأتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بأهْلِيهِمْ وَمَنْ أطَاعَهُمْ، وَالمدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَتُفْتَحُ الشَّامُ فَيَأتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأهْلِيهِمْ وَمَنْ أطَاعَهُمْ وَالمدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

كذلك رواه عن هشام بن عروة جماعة كثيرون وقد أسنده الحافظ ابن عساكر من حديث

مالك وسفيان بن عيينة وابن جريج وأبو معاوية ومالك [بن] سعد بن الحسن وأبو ضمرة أنس بن عياض وعبد العزيز بن أبي حازم وسلمة بن دينار وجرير بن عبد الحميد. ورواه أحمد. عن يونس عن حماد بن زيد عن هشام بن عروة. وعبد الرزاق عن ابن جريج عن هشام، ومن حديث مالك عن هشام به بنحوه.

ثم روى أحمد عن سليمان بن داود الهاشمي عن إسماعيل بن جعفر: **أخبرني** يزيد بن خصيفة أن بشر بن سعيد أخبره أنه سمع في مجلس المكيين يذكرون أن سفيان أخبرهم، فذكر قصة وفيها: أن رسول الله ﷺ قال له: «**وَيوشكُ الشَّامُ أن يفتحَ فيأتيه رجال من هذا البلد** ـ يعني المدينة ـ **فيعجبهم ربعهم ورخاؤهُ والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفْتَحُ العراقُ فيأتي قوم يُبِسُّونَ فيحملون بأهليهم ومن أعطاهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون**». وأخرجه ابن خزيمة من طريق إسماعيل، ورواه الحافظ ابن عساكر من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ بنحوه، وكذا حديث ابن حوالة ويشهد لذلك: «**مَنَعَتِ الشَّامُ مُدَّها ودينارَها، ومنعت العراقُ دِرْهَمَهَا وقفيزها، ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم**». وهو في الصحيح، وكذا حديث: المواقيت لأهل الشام واليمن، وهو في الصحيحين وعند مسلم: ميقات أهل العراق، ويشهد لذلك أيضاً حديث: «**إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وإذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقُنَّ كُنُوزُهُمَا في سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

وفي صحيح البخاري من حديث أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: «**اعْدُد سِتّاً بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ**»، فذكر موته عليه السلام، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان ـ وهو الوباء ـ ثم كثرة المال، ثم فتنة، ثم هدنة بين المسلمين والروم، وسيأتي الحديث فيما بعد.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم ستفتحونَ أرضاً يذكر فيها القيراطُ فاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خيراً، فإنَّ لهم ذِمَّةً وَرَحِماً، فإذا رأيتَ رجلينِ يختصمانِ في موضع لَبِنَةٍ فاخْرُجْ مِنْهَا**». قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل ابن حسنة يختصمان في موضع لبنة فخرج منها ـ يعني ديار مصر على يدي عمرو بن العاص في سنة عشرين كما سيأتي.

وروى ابن وهب عن مالك والليث عن الزهري عن ابن لكعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا افتتحتمْ مِصْرَ فاسْتَوْصُوا بالقبطِ خيراً، فإنَّ لهم ذِمَّةً وَرَحِماً**». ورواه البيهقي من حديث إسحاق بن راشد عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه.

وحكى أحمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن قوله: ذمة ورحماً، فقال: من الناس من قال: إن أم إسماعيل ـ هاجر ـ كانت قبطية، ومن الناس من قال: أم إبراهيم، قلت: الصحيح الذي لا شك فيه أنهما قبطيتان كما قدمنا ذلك. ومعنى قوله: ذمة، يعني بذلك هدية المقوقس إليه وقبوله ذلك منه، وذلك نوع ذمام ومهادنة، والله تعالى أعلم.

وتقدم ما رواه البخاري من حديث محل بن خليفة عن عدي بن حاتم في فتح كنوز

كسرى وانتشار الأمن، وفيضان المال حتى لا يتقبله أحد، وفي الحديث أن عدياً شهد الفتح ورأى الظعينة ترتحل من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، قال: ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ، من كثرة المال حتى لا يقبله أحد.

قال البيهقي: وقد كان ذلك في زمن عمر بن عبد العزيز، قلت: ويحتمل أن يكون ذلك متأخراً إلى زمن المهدي كما جاء في صفته، أو إلى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال، فإنه قد ورد في الصحيح أنه يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، والله تعالى أعلم.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن أبي ذئب عن مهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يزال هذا الدين قائماً ما كان اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يخرج كذابون بين يَدي السَّاعَةِ، وليفتحنَّ عصابة من المسلمين كنزَ القَصْرِ الأبيض، قَصْرِ كسرى، وَأنا فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ»** الحديث بمعناه. وتقدم حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة مرفوعاً: **«إذا هَلَكَ قَيصَرُ فلا قَيصَرَ بَعْدَهُ، وإذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل»**. أخرجاه.

وقال البيهقي: المراد زوال ملك قيصر عن الشام، ولا يبقى كبقاء ملكه على الروم، لقوله عليه السلام، لما عظم كتابه: «ثبت ملكه»، وأما ملك فارس فزال بالكلية، لقوله: مزق الله ملكه، وقد روى أبو داود عن محمد بن عبيد عن حماد بن يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب. وروينا في طريق أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جيء بفروة كسرى وسيفه ومنطقته وتاجه وسواريه، ألبس ذلك كله لسراقة بن مالك بن جعشم، وقال: قل الحمد لله الذي ألبس ثياب كسرى لرجل أعرابي من البادية، قال الشافعي: إنما ألبسه ذلك لأن النبي ﷺ قال لسراقة ـ ونظر إلى ذراعيه ـ: كأني بك وقد لبست سوارِي كسرى، والله أعلم.

وقال سفيان بن عيينة: عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وإنكم ستفتحونها»**، فقام رجل فقال: يا رسول الله هب لي ابنته نفيلة، قال: هي لك، فأعطوه إياها، فجاء أبوها فقال: أتبيعها؟ قال: نعم، قال: فبكم؟ أحكم ما شئت، قال: ألف درهم، قال: قد أخذتها، فقالوا له: لو قلت ثلاثين ألفاً لأخذها، فقال: وهل عدد أكثر من ألف؟.

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** عبد الرحمن بن مهدي، **حدّثنا** معاوية عن ضمرة بن حبيب أن ابن زغب الأيادي حدثه قال: نزل على عبد الله بن حوالة الأزدي فقال لي: بعثنا رسول الله ﷺ حول المدينة على أقدامنا لنغنم، فرجعنا ولم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: «اللهمَّ لا تَكِلْهُمْ إليَّ فَأَضْعُفَ، ولا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجَزُوا عَنْها، وَلا تَكِلْهُمْ إلى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ، ثم قال: لَتُفْتَحَنَّ والشَّامُ والرُّومُ وفَارِسُ، أو الرُّومُ وفَارِسُ، وحتى يكونَ لأحَدِكُمْ من الإبلِ كذا وكذا، وَمِنَ البَقَرِ كذا وكذا، ومن الغنم كذا وكذا، وحتى يُعْطَى أَحَدُكُمْ مائَةِ دينارٍ فَيَسْخَطُها، ثم وضع يده على رأسي أو على هامتيَ فقال: يا ابْنَ حَوَالَةَ، إذا

رأيتَ الخِلافَةَ قد نَزَلَتْ الأرْضَ المُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلازِلُ والبَلابِلُ والأمُورُ العظام، والساعة يومئذٍ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك». ورواه داود من حديث معاوية بن صالح.

وقال أحمد: حدّثنا حيوة بن شريح، ويزيد بن عبد ربه قالا: ثنا بقية، حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن أبي قيلة عن ابن حوالة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَصِيرُ الأمْرُ إلى أنْ تَكُونَ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ، جُنْدُ بِالشَّام وَجُنْدٌ بِاليَمَن، وجندٌ بالعراقِ، فقال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك»، فقال: «عَلَيْكَ بِالشَّام فَإِنَّهُ خِيَرَةُ اللَّهِ مِنْ أرْضِهِ يَجِيءُ إليهِ خِيَرَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإنْ أبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بَيمِنِكُمْ وَاسْعُوا مِنْ غدره. فإنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لي بِالشَّامِ وَأهْلِهِ». وهكذا رواه أبو داود عن حيوة بن شريح به.

وقد رواه أحمد أيضاً عن عصام بن خالد وعلي بن عباس كلاهما عن جرير بن عثمان عن سليمان بن سمير عن عبد الله بن حوالة، فذكر نحوه، ورواه الوليد بن مسلم الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول، وربيعة بن يزيد عن أبي إدريس عن عبد الله بن حوالة به.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدّثنا يعقوب بن سفيان، حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا يحيى بن حمزة، حدثني أبو علقمة - نصر بن علقمة - يَرُدُّ الحديث إلى جبير بن نفير. قال: قال عبد الله بن حوالة: كنا عند رسول الله ﷺ فشكونا إليه العري والفقر، وقلة الشيء، فقال: أبشروا فوالله لأنا بكثرة الشيء أخوفني عليكم من قلته، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله عليكم أرض الشام، أو قال: أرض فارس وأرض الروم وأرض حمير، وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة، جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن، وحتى يعطى الرجل المائة فيسخطها، قال ابن حوالة: قلت: يا رسول الله ومن يستطيع الشام وبه الروم ذوات القرون؟ قال: والله ليفتحها الله عليكم، وليستخلفنكم فيها حتى تطل العصابة البيض منهم، قمصهم الملحمية. أقباؤهم قياماً على الرويحل، الأسود منكم المحلوق ما أمرهم من شيء فعلوه، وذكر الحديث، قال أبو علقمة: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: فعرف أصحاب رسول الله نعت هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي، وكان على الأعاجم في ذلك الزمان، فكانوا إذا رجعوا إلى المسجد نظروا إليه وإليهم قياماً حوله فيعجبون لنعت رسول الله ﷺ فيه وفيهم.

وقال أحمد: حدّثنا حجاج، ثنا الليث بن سعد، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط الجيبي عن عبد الله بن حوالة الأزدي: «أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نجا من ثلاثٍ فقد نَجَا، قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: مَوْتي، ومن قتال خليفة مصطبر بالحقّ يعطيه، والدَّجَّال»[1].

وقال أحمد: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدّثنا الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة قال: «أتيتُ على رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل دومة، وهو عنده كاتب له يملي عليه، فقال: ألاَ نَكْتُبُكَ يا ابْنَ حَوَالة؟ قلت: فيم يا رسول الله؟ فأعرض عني وأكب

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٨٨.

على كاتبه يملي عليه، ثم قال: أَلاَ نَكْتُبُكَ يا ابْنَ حَوَالَةَ قلت: لا أدري ما خارَ الله لي ورسوله، فأعرض عني وأكب على كاتبه يملي عليه، ثم قال: أَلاَ نَكْتُبُكَ يا ابْنَ حَوَالَةَ؟ قلتُ: لا أدري ما خارَ اللّهُ لي وَرَسُولُهُ؟ فأعرضِ عني وأكبَّ على كاتبه يملي عليه، قال: فنظرت فإذا في الكتاب عمر، فقلت: لا إن عمر لا يكتب إلا في خير، ثم قال: أتكتب يا ابْنَ حَوَالَةَ؟ نَعَمْ، فقال: يا ابْنَ حَوَالَةَ، كَيْفَ تَفْعَلُ في فِتْنَةٍ تَخْرُجُ في أَطْرَافِ الأَرْضِ كأنَّها صَيَاصِي بقر؟ قلتُ: لا أدري ما خَارَ اللّهُ لي وَرَسُولُهُ، قال: فَكَيْفَ تَفْعَلُ في أُخْرَى تخرجُ بعدها كأنَّ الأولى منها انتفاجَةُ أرْنَب؟ قلت: لا أدري ما خارَ اللّهُ لي ورسوله، قال: ابْتَغُوا هذا، قال: ورجل مقفى حينئذٍ، قال: فانطلقتُ فَسَعَيْتُ وأخذت بمنكبِهِ فأقبلتُ بوجهه إلى رسول الله ﷺ، فقلت: هٰذا؟ قال: نَعَمْ، قال: فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه». وثبت في صحيح مسلم من حديث يحيى بن آدم عن زهير بن معاوية عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنَعَتِ العِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدَّها وَدِينارَها، وَمَنَعَتْ مِصْرُ أرْدُبَّهَا وَدِينَارَها، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ**» شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه.

وقال يحيى بن آدم وغيره من أهل العلم: هذا من دلائل النبوة حيث أخبر عما ضربه عمر على أرض العراق من الدراهم والقفزان، وعما ضرب من الخراج بالشام ومصر قبل وجود ذلك، صلوات الله وسلامه عليه. وقد اختلف الناس في معنى قوله عليه السلام: منعت العراق الخ، فقيل: معناه أنهم يسلمون فيسقط عنهم الخراج، ورجحه البيهقي، وقيل: معناه أنهم يرجعون عن الطاعة ولا يؤدون الخراج المضروب عليهم، ولهذا قال: وعدتم من حيث بدأتم، أي رجعتم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك، كما ثبت في صحيح مسلم: «إنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. ويؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل عن الجريري عن أبي نصرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مد، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم، يمنعون ذلك، قال: ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكونُ في آخِرِ أمتي خليفةٌ يَحْثِي المالَ حَثْياً، لا يَعُدُّهُ عَدّاً، قال الجريري: فقلت لأبي نصرة وأبي العلاء: أتريانه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا**».

وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن علية وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطفة العبدي عن جابر كما تقدم، والعجب أن الحافظ أبا بكر البيهقي احتج به على ما رجحه من أحد القولين المتقدمين، وفيما سلكه نظر، والظاهر خلافه. وثبت في الصحيحين من غير وجه أنَّ رسول الله ﷺ وَقَّتَ لأهلِ المدينةِ ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهلِ اليمنِ يَلَمْلَم، وفي صحيح مسلم عن جابر: ولأهل العراق ذات عرق، فهذا من دلائل النبوة، حيث أخبر عما وقع من حج أهل الشام واليمن والعراق، صلوات الله وسلامه عليه.

وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيأتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغزُو فِيهِ فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيقالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فيقالُ: نَعَمْ، فيفتحُ الله لهم، ثم يأتي على النَّاسِ زمانٌ فيغزو فئامٌ من النَّاسِ، فيقال لهم: هل فيكم من صَحِبَ أصْحَابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فيقالُ نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان يغزو فيه فئامٌ من النَّاسِ، فيقال: هَلْ فِيكم مَنْ صَحِبَ من صَاحَبَهُمْ؟ فيقالُ: نَعَمْ، فيفتحُ الله لهم».

وثبت في الصحيحين من حديث ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] فقال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فوضع يده على سلمان الفارسي وقال: «لَوْ كَانَ الإِيمانُ عِندَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هٰؤلاءِ»[١]، وهكذا وقع كما أخبر به عليه السلام.

وروى الحافظ البيهقي من حديث محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن بشر قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُفْتَحَنَّ عَلَيْكُمْ فارِسٌ وَالرُّومُ حَتَّى يَكْثُرَ الطَّعَامُ فلا يُذْكَرَ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن عديّ وغير واحد من حديث أوس بن عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن أبيه عبد الله بن بريدة بن الخصيب مرفوعاً: «سَتُبْعَثُ بُعُوثٌ فَكُنْ في بَعْثِ خَرَاسَانَ، ثمَّ اسْكُن مَدِينَةَ مَرْوَ، فإنهُ بَنَاها ذو القرنينِ، ودعا لها بالبَرَكَةِ، وقال: لا يُصيبُ أَهْلَهَا سُوءٌ».

وهذا الحديث يعد من غرائب المسند، ومنهم من يجعله موضوعاً، فالله أعلم. وقد تقدم حديث أبي هريرة، من جميع طرقه في قتال الترك، وقد وقع ذلك كما أخبر به سواء بسواء، وسيقع أيضاً.

وفي صحيح البخاري من حديث شعبة عن فرات القزاز عن أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «كانَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الأنبياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وإنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي وَإنَّهُ سَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ، قالوا: فما تأمرنا يا رسولَ الله؟ قال: فُوا بِبِيعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإنَّ اللَّهَ سائلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي رافع عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كانَ نبيّ إلاَّ كانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْدُونَ بِهَدْيِهِ، ويَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ، ثم يكونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَعملونَ ما لا يُنْكِرُونَ».

وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحي عن إسماعيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكونُ بعدَ الأنبياءِ

(١) أخرجه البخاري في تفسير القرآن، باب ١، سورة الجمعة.
(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٥٠.

خلفاءُ يعملونَ بكتابِ اللّهِ، وَيَعْدِلُون في عِبَادَةِ اللّهِ، ثم يكونُ من بعدِ الخلفاءِ ملوكٌ يأخُذُون بالثأرِ، ويَقتلون الرّجَالَ، ويصطفونَ الأموالَ، فَمُغيّرٌ بيَدِهِ، وَمُغَيّرٌ بِلِسَانِهِ، وليسَ وراءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ شَيءٌ».

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا جرير بن حازم عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ بَدَأَ هٰذا [الأمْرَ] نُبُوّةً وَرَحْمَةً، وكائناً خلافة ورحمة، وكائناً ملكاً عَضُوضاً، وكائناً عِزّةً وَجَبْرِيّةً وَفَسَاداً في الأمّة، يَسْتَحِلُّونَ الفُرُوجَ وَالخُمورَ وَالحَرِيرَ، وَيُنْصَرُونَ عَلَى ذلك، وَيُرْزَقُونَ أَبَداً حَتّى يَلْقُوا اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَهٰذَا كُلُّهُ واقِعٌ».

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي ـ وحسنه ـ والنسائي من حديث سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخِلافَةُ بَعْدِي ثلاثونَ سَنَةً، ثم تكونُ مُلْكاً». وفي رواية: ثمَّ يؤتي الله ملكه مَنْ يشاءُ، وهكذا وقع سواء، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلاّ شهرين، قلت: وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحواً من ستة أشهر، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة، كما سيأتي بيانه وتفصيله.
وقال يعقوب بن سفيان: حدثني محمد بن فضيل، حدّثنا مؤمل، حدّثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «خلافَةُ نُبُوّةٍ ثلاثونَ عاماً ثم يُؤتِي اللّهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»، فقال معاوية: رَضِينا بالملك.

وهذا الحديث فيه رد صريح على الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة، وعلى النواصب من بني أمية ومن تبعهم من أهل الشام، في إنكار خلافة علي بن أبي طالب، فإن قيل: فما وجه الجمع بين حديث سفينة هذا وبين حديث جابر بن سمرة المتقدم في صحيح مسلم: «لا يَزَالُ هٰذا الدِّينُ قائماً ما كان في الناس اثنا عَشَرَ خليفةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش»؟ فالجواب: إن من الناس من قال: إن الدّين لم يزل قائماً حتى ولي اثنا عشر خليفة، ثم وقع تخبيط بعدهم في زمان بني أمية، وقال آخرون: بل هذا الحديث فيه بشارة بوجود اثني عشر خليفة عادلاً من قريش، وإن لم يوجدوا على الولاء، وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة، ثم كانت بعد ذلك خلفاء راشدون، فيهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي رحمه الله، وقد نص على خلافته وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين، غير واحد من الأئمة، حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ليس قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، ومنهم من ذكر من هؤلاء المهديّ بأمر الله العباسي، والمهدي المبشر بوجوده في آخر الزمان منهم أيضاً بالنص على كونه من أهل البيت، واسمه محمد بن عبد الله، وليس بالمنتظر في سرداب سامرّا، فإن ذلك ليس بموجود بالكلية، وإنما ينتظره الجهلة من الروافض. وقد تقدم في الصحيحن من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَقدْ هَمَمْتُ أَنْ أَدْعوَ أباكِ وأخاكِ

وَأَكْتُبَ كتاباً لئلاَّ يَقُولَ قائلٌ، أَوْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، ثم قال رسول الله ﷺ: يَأْبَى اللَّهُ وَالمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبا بَكْرٍ». وهكذا وقع، فإن الله ولاه وبايعه المؤمنون قاطبة كما تقدم.

وفي صحيح البخاري: أن امرأة قالت: يا رسول الله أرأيتَ إنْ جئتُ فلم أجِدْكَ؟ ـ كأنها تعرض بالموت ـ فقال: إنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أبا بَكْرٍ». وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا أنا نائمٌ رأيْتنِي عَلَى قَلِيبٍ، فَنَزَعْتُ منها ما شاء اللَّهُ، ثم أَخَذَها ابْنُ أبي قحافَةَ فَنَزَعَ منها ذَنُوباً أو ذَنُوبَيْنِ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ واللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثم أخذها ابنُ الخطّابِ فاسْتَحَالَتْ غَرْباً، فلم أرَ عَبْقَرِياً مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرْيَهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ بِعَطَنٍ»، قال الشافعي رحمه الله: رؤيا الأنبياء، وحيٌ، وقوله: وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، قصر مدته، وعجلة موتِهِ، واشتغاله بحرب أهل الردة عن الفتح الذي ناله عمر بن الخطاب في طول مدته، قلت: وهذا فيه البشارة بولايتهما على الناس، فوقع كما أخبر سواء، ولهذا جاء في الحديث الآخر الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان من حديث ربعيّ بن خراش عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: «اقْتَدُوا بالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي، أبي بكر وَعُمَرَ رَضِيَ الله عنهما»، وقال الترمذي: حسن، وأخرجه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ، وتقدم من طريق الزهري عن رجل عن أبي ذر حديث تسبيح الحصى في يد رسول الله، ثم يد أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وقوله عليه السلام: هذه خلافة النبوة.

وفي الصحيح عن أبي موسى قال: دخل رسولُ الله ﷺ حائطاً فدلّى رجليهِ في القفّ فقلت: لأكونَنَّ اليوم بَوَّابَ رسولِ الله ﷺ، فجلستُ خلفَ الباب فجاء رجل فقال: افْتَحْ، فقلتُ: من أنْتَ؟ قال: أبو بكر، فأخبرتُ رسول الله ﷺ، فقال: افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ، ثم جاء عمرُ فقال كذلك، ثم جاء عثمان فقال: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ على بَلْوَى تُصِيبُهُ، فدخل وهو يقول: الله المستعانُ» وثبت في صحيح البخاري من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: صعدَ رسول الله ﷺ أحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبلُ، فضربه رسول الله ﷺ برجله وقال: اثْبُتْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ».

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن حِراء ارتجَّ وعليه النبيُّ ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبيُّ ﷺ: «اثْبُتْ ما عَلَيْكَ إلا نبيٌّ وصَدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»، قال معمر: قد سمعت قتادة عن النبي ﷺ مثله، وقد روى مسلم عن قتيبة عن الدراوردي عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: «اهدَأْ فما عَلَيْكَ إلاّ نَبِيٌّ أو صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ».

وهذا من دلائل النبوة، فإن هؤلاء كلهم أصابوا الشهادة، واختصّ رسول الله ﷺ بأعلى مراتب الرسالة والنبوة، واختص أبو بكر بأعلى مقامات الصديقية.

وقد ثبت في الصحيح الشهادة للعشرة بالجنة بل لجميع من شهد بيعة الرضوان عام الحديبية، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقيل: وثلاثمائة، وقيل: وخمسمائة، وكلهم استمر على

السداد والاستقامة حتى مات رضي الله عنهم أجمعين. وثبت في صحيح البخاري البشارة لعكّاشة بأنه من أهل الجنة فقتل شهيداً يوم اليمامة. وفي الصحيحين من حديث يونس عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إضاءَةَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيّ يَجُرُّ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فقال: يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَة»[1].

وهذا الحديث قد روي من طرق متعددة تفيد القطع، وسنورده في باب صفة الجنة، وسنذكر في قتال أهل الردة أن طلحة الأسدي قتل عكّاشة بن محصن شهيداً رضي الله عنه، ثم رجع طلحة الأسدي عما كان يدعيه من النبوة وتاب إلى الله، وقدم على أبي بكر الصديق واعتمر وحسن إسلامه. وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائمٌ رأيْتُ كأنهُ وُضِعَ في يَدِي سِوَارَانِ فقطعتهما، فأوحي إليّ في المنام: أن أَنْفُخُهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فطارا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يخرجان، صاحِب صنعاء، وصاحب اليمامة». وقد تقدم في الوفود أنه قال لمسيلمة حين قدم مع قومه وجعل يقول: إنْ جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فوقف عليه رسول الله ﷺ وقال له: «وَاللَّهِ لو سألتني هذا العَسِيبَ ما أَعْطَيْتُكَهُ، ولئن أدبَرْتَ لَيَعْقُرَنَّكَ اللَّهُ، وَإنّي لأراكَ الذي أُريتُ فيهِ ما أُريتُ». وهكذا وقع، عقره الله وأهانه وكسره وغلبه يوم اليمامة، كما قتل الأسود العنسي بصنعاء، على ما سنورده إن شاء الله تعالى.

وروى البيهقي من حديث مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس قال: «لقي رسول الله ﷺ مسيلمة فقال له مسيلمة: أتشهدُ أني رسول الله؟ فقال النبيُّ ﷺ: «آمنتُ باللَّهِ وَبِرُسُلِهِ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هٰذا رَجُلٌ أُخِّرَ لهلكةِ قَوْمِهِ». وقد ثبت في الحديث الآخر أن مسيلمة كتب بعد ذلك إلى النبيّ ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من مسيْلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعدُ فإني قد أُشرِكْتُ في الأمر بعدك، فلك المدر ولي الوبر، ولكن قريشاً قوم يعتدون»، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إلى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ، سلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أما بَعْدُ فَإنَّ الأَرْضَ للَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

وقد جعل الله العاقبة لمحمد وأصحابه، لأنهم هم المتقوم وهم العادلون المؤمنون، لا من عداهم. وقد وردت الأحاديث المروية من طرق عنه ﷺ في الأخبار عن الردة التي وقعت في زمن الصديق فقاتلهم الصديق بالجنود المحمدية حتى رجعوا إلى دين الله أفواجاً، وعذُب ماء الإيمان كما كان بعدما صار أجاجاً، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال المفسرون: هم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم.

(١) أخرجه البخاري في اللباس باب ١٨.

وثبت في الصحيحين من حديث عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة في قصة مسارّة النبي ﷺ ابنته فاطمة وإخباره إياها بأن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة، وأنه عارضني العام مرتين، وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي، فبكت، ثم سارَّها فأخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنها أول أهله لحوقاً به. وكان كما أخبر، قال البيهقي: واختلفوا في مكث فاطمة بعد رسول الله ﷺ فقيل: شهران، وقيل: ثلاثة، وقيل: ستة، وقيل: ثمانية، قال: وأصحّ الروايات رواية الزهري عن عروة عن عائشة قالت: مكثتْ فاطمةُ بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر. أخرجاه في الصحيحين.

ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلة

فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَهُ قَدْ كانَ في الأمم مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ في أُمّتي فَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ». وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أبو إسرائيل كوفيّ عن الوليد بن العيزار عن عمر بن ميمون عن عليّ رضي الله عنه. قال: ما كنا ننكر ونحن متوافرون أصحاب محمد ﷺ، أن السكينة تنطق على لسان عمر، قال البيهقي: تابعه ذر بن حبيش والشعبي عن عليّ.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: كنا نحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسان ملك. وقد ذكرنا في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشياء كثيرة، من مكاشفاته وما كان يخبر به من المغيبات كقصة سارية بن زنيم، وما شاكلها ولله الحمد والمنة. ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث فراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها «أن نساء النبي ﷺ اجتمعنَ عنده فقلن يوماً: يا رسول الله أيّتُنَا أسْرَعَ بِكَ لُحُوقاً؟ فقال: أطْوَلُكُنَّ يَداً، وكانت سَودة أطولنا ذراعاً، فكانت أسرعنا به لحوقاً». هكذا وقع في الصحيح عند البخاري أنها سودة، وقد رواه يونس بن بكير عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي فذكر الحديث مرسلاً وقال: فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يداً في الخير والصدقة، والذي رواه مسلم عن محمود بن غيلان عن الفضل بن موسى عن طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فذكرت الحديث وفيه: فكانت زينب أطولنا يداً، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدّق، وهذا هو المشهور عن علماء التاريخ أن زينب بنت جحش كانت أول أزواج النبيّ ﷺ وفاة. قال الواقدي: توفيت سنة عشرين، وصلى عليها عمر بن الخطاب، قلت: وأما سودة فإنها توفيت في آخر إمارة عمر بن الخطاب أيضاً، قاله ابن أبي خيثمة. ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث أسيد بن جابر عن عمر بن الخطاب في قصة أويس القرني، وإخباره عليه السلام عنه بأنه خير التابعين وأنه كان به برص فدعا الله فأذهبه عنه، إلا موضعاً قدر الدرهم من جسده، وأنه بارّ بأمه وأمره لعمر بن الخطاب أن يستغفر له، وقد وجد هذا

الرجل في زمان عمر بن الخطاب على الصفة والنعت الذي ذكره في الحديث سواء. وقد ذكرت طرق هذا الحديث وألفاظه والكلام عليه مطولاً في الذي جمعته من مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد والمنة. ومن ذلك ما رواه أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، ثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، حدثني جرير بن عبد الله وعبد الرحمن بن خلاد الأنصاري عن أم ورقة بنت نوفل أن رسول الله ﷺ لما غزا بدراً قالت: يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم، لعلَّ الله يرزقني بالشهادة، فقال لها: قرّي في بيتك فإنَّ الله يرزقك الشهادة، فكانت تسمى الشهيدة، وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبيّ ﷺ أن تتخذ في بيتها مؤذناً يؤذن لها، وكانت دبرت غلاماً لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغمَّاها في قطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس وقال: من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما، فأمر بهما فصلبا، وكانا أول مصلوبين بالمدينة. وقد رواه البيهقي من حديث أبي نعيم: حدثنا الوليد بن جميع، حدثتني جدَّتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، فذكر الحديث وفي آخره فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة. ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك في حديثه عنه في الآيات الست بعد موته وفيه: ثم موتان بأحدكم كقصاص الغنم، وهذا قد وقع في أيام عمر، وهو طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة، منهم معاذ بن جبل، وأبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل ابن حسنة، وأبو جندل سهل بن عمر وأبوه، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنهم أجمعين. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا النهاس بن قهم، حدثنا شداد أبو عمار عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«سِتٌّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، مَوْتي، وَفَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَمَوْتٌ يأخذُ في النَّاس كقصاص الغنمِ، وفتنةٌ يدخلُ حريمها بيت كل مسلم، وأن يعطي الرجل ألفَ دينارٍ فيسخطها، وأن يَغْزُوَ الرُّومَ فيسيرون إليه بثمانين بنداً تحت كل بند اثنا عشر ألفاً»**. وقد قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة عن عبد الله بن حبان أنه سمع سليمان بن موسى يذكر أن الطاعون وقع بالناس يوم جسر عموسة فقام عمرو بن العاص فقال: يا أيها الناس، إنما هذا الوجع رجس فتنحوا عنه، فقام شرحبيل ابن حسنة فقال: يا أيها الناس، إني قد سمعت قول صاحبكم، وإني والله لقد أسلمت وصليت، وإن عمراً لأضل من بعير أهله، وإنما هو بلاء أنزله الله عز وجل، فاصبروا، فقام معاذ بن جبل فقال: يا أيها الناس، إني قد سمعت قول صاحبيكم هذين، وإن هذا الطاعون رحمة بكم ودعوة نبيكم ﷺ، وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إنَّكُمْ سَتَقْدَمُونَ الشامَ فَتَنْزِلُونَ أرْضاً يقالُ لها: أرْضُ عَمُوسَة، فيخرج بكم فيها خرجانٍ له ذباب كذبابِ الدُّمَّلِ، فَيَستَشْهِدُ اللّهُ به أنفسكم وذراريكم ويزكي به أمْوَالَكُمْ**، اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنِّي قد سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ فارزق معاذاً وآل معاذ منه

الحظ الأوفى ولا تعافه منه، قال: فَطُعِنَ[1] في السبابة فجعل ينظر إليها ويقول: اللهمَّ بارك فيها، فإنك إذا باركت في الصغير كان كبيراً، ثمّ طُعِنَ ابنه فدخل عليه فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٧] فقال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢] وثبت في الصحيحين من حديث الأعمش وجامع بن أبي راشد عن شقيق بن سلمة عن حذيفة قال: «كنا جلوساً عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، قال هاتِ، إنك لجريء، فقلت: ذكر فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ليس هذا أعني إنما أعني التي تموج موج البحر، فقلت: يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: ويحك، يفتح الله أم يكسر؟ قلت: بل يكسر، قال: إذاً لا يغلق أبداً، قلت: أَجَلْ، فقلنا لحذيفة: فكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، وإني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، قال: فَهِبْنَا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق فسأله، فقال من بالباب؟ قال: عُمَر، وهكذا وقع من بعد مقتل عمر، وقعت الفتن في الناس، وتأكد ظهورها بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما. وقد قال يعلى بن عبيد عن الأعمش عن سفيان عن عروة بن قيس قال خطبنا خالد بن الوليد فقال: إن أمير المؤمنين عمر بعثني إلى الشام فحين ألقى بَوانِيهُ بَثْنية وعسلاً أرادَ أن يؤثر بها غيري ويبعثني إلى الهند، فقال رجل من تحته: اصبرْ أيها الأمير، فإن الفتن قد ظهرت، فقال خالد: أمّا وابن الخطاب حيٌّ فلا، وإنما ذاك بعده. وقد روى الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: أبصر رسول الله ﷺ على عمر ثوباً فقال: «أَجَدِيدٌ ثَوْبُكَ أَمْ غَسِيلٌ؟ قال: بل غسيل، قال: الْبَسْ جَدِيداً، وَعِشْ حَمِيداً، وَمُتْ شَهِيداً»، وأظنه قال: «وَيَرْزُقُكَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنٍ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». وهكذا رواه النسائي وابن ماجه من حديث عبد الرزاق به، ثم قال النسائي: هذا حديث منكر، أنكره يحيى القطان على عبد الرزاق، وقد روي عن الزهريّ من وجه آخر مرسلاً، قال حمزة بن محمد الكناني الحافظ: لا أعلم أحداً رواه عن الزهري غير معمر، وما أحسبه بالصحيح، والله أعلم. قلت: رجال إسناده واتصاله على شرط الصحيحين وقد قيل الشيخان، تفرد معمر عن الزهري في غير ما حديث، ثم قد روى البزار هذا الحديث من طريق جابر الجعفي ـ وهو ضعيف ـ عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثله سواء، وقد وقع ما أخبر به في هذا الحديث فإنه رضي الله عنه قتل شهيداً وهو قائم يصلي الفجر في محرابه من المسجد النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام. وقد تقدم حديث أبي ذر في تسبيح الحصا في يد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، وقوله عليه السلام: هذه خلافة النبوة، وقال نعيم بن حماد: حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا خرج بن نباتة عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال: «لما بنى رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: «هٰؤلاءِ يَكُونُونَ خُلَفَاءَ بَعْدِي». وقد تقدم في

(١) طُعِنَ: أصيب بالطاعون.

حديث عبد الله بن حوالة قوله ﷺ: «**ثلاثٌ من نجا منهن فقد نجا، مَوْتي وقتلُ خَلِيفةٍ مُصْطَهَدٍ، وَالدجال**»، وفي حديثه الآخر، الأمر باتِّباع عثمان عند وقوع الفتنة. وثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمير عن سعيد بن المسيب عن أبي موسى قال: «توضأتُ في بيتي، ثم خرجت فقلت: لأكوننَّ اليومَ مع رسول الله ﷺ، فجئتُ المسجد فسألت عنه فقالوا: خرج وتوجه ههنا، فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس ـ وما بها من جريد ـ فمكثتُ عند بابها حتى علمتُ أن النبي ﷺ قد قضى حاجته وجلس، فجئته فسلمت عليه فإذا هو قد جلس على قفّ بئر أريس فتوسطه ثم دلَّى رجليه في البئر وكشف عن ساقيه، فرجعت إلى الباب وقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ، فلم أنشبَ أن دُقَّ الباب فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر، قلت: على رِسْلِكَ، وذهبت إلى النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجنةِ**»، قال: فخرجتُ مسرعاً حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جلس إلى جنب النبيّ ﷺ في القفِّ على يمينه ودلَّى رجليه وكشف عن ساقيه كما صنع النبيّ ﷺ، قال: ثم رجعتُ وقد كنت تركتُ أخي يتوضأ وقد كان قال لي: أنا على إثرك، فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأتِ به، قال: فسمعتُ تحريك الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عمر، قلت: على رسلك، قال: وجئت النبيَّ ﷺ، فسلمت عليه وأخبرته، فقال: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، قال: فجئت وأذنت له وقلت له: رسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جلس مع رسول الله ﷺ على يساره، وكشف عن ساقيه ودلَّى رجليه في البئر كما صنع النبيّ ﷺ وأبو بكر، قال: ثم رجعتُ فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأتِ به، يريد أخاه، فإذا تحريك الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عثمان بن عفان، قلت: على رسلك، وذهبتُ إلى رسول الله فقلت: هذا عثمان يستأذن، فقال: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، قال: فجئتُ فقلت: رسول الله ﷺ يأذن لك ويبشرك بالجنة على بلوى أو بلاء يصيبك، فدخل وهو يقول: اللَّهُ المستعانُ، فلم يجد في القفِّ مجلساً فجلس وجاههم من شقِّ البئر، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، كما صنع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، رضي الله عنهما، قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم، اجتمعت وانفرد عثمان.

وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن إبراهيم بن محمد بن حاطب عن عبد الرحمن بن بجير عن زيد بن أرقم قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: انْطَلِقْ حَتَّى تأتي أبا بكرٍ فتجده في داره جالساً محتبياً فقل: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقرأُ عَلَيْكَ السَّلامَ ويقولُ: أَبْشِرْ بِالجَنَّةِ، ثم انطلِقْ حتى تأتي الثَّنِيَّةَ فتلقى عُمَرَ راكباً على حِمَارٍ تلوحُ صَلْعَتَهُ، فقلْ: إنَّ رسولَ الله يقرأ عليك السلامَ ويقول: أَبْشِرْ بالجنةِ، ثم انصرفْ حتى تأتي عثمان فتجده في السُّوق يبيعُ ويبتاعُ، فقل: إن رسولَ الله ﷺ يقرأ عليكَ السَّلامَ. ويقولُ: أَبْشِرْ بالجنةِ بَعْدَ بلاءٍ شَدِيدٍ، فذكر الحديث في ذهابه إليهم فوجد كلاً منهم كما ذكر رسول الله ﷺ، وكلاً منهم يقول: أين رسول الله؟ فيقول: في مكان كذا وكذا، فيذهب إليه، وأن عثمان لما رجع قال: يا

رسول الله وأيُّ بلاء يصيبني؟ والذي بعثك بالحق ما تغيبت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك فأيّ بلاء يصيبني فقال: هو ذاك ثم قال البيهقي: عبد الأعلى ضعيف، فإن كان حفظ هذا الحديث فيحتمل أن رسول الله ﷺ بعث إليهم زيد بن أرقم فجاء وأبو موسى الأشعري جالس على الباب كما تقدم. وهذا البلاء الذي أصابه هو ما اتفق وقوعه على يدي من أنكر عليه من رعاع أهل الأمصار بلا علم، فوقع ما سنذكره في دولته إن شاء الله من حصرهم إياه في داره حتى آل الحال بعد ذلك كله إلى اضطهاده وقتله وإلقائه على الطريق أياماً، لا يصلى عليه ولا يلتفت إليه، حتى غسل بعد ذلك وصلى عليه ودفن بحش كوكب - بستان في طريق البقيع - رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه.

كما قال الإمام أحمد، حدثنا يحيى عن إسماعيل بن قيس عن أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي»، قلت: أبو بكر؟ قال: لا، قلت: عمر؟ قال: لا، قلت: ابن عمك عليّ؟ قال: لا، قلت: عثمان؟ قال: نَعَمْ، فلما جاء عثمان قال: تَنَحَّيْ، فجعل يسارُه ولونُ عثمان يتغير، قال أبو سهلة: فلما كان يوم الدار وحضر فيها، قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا، إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وإني صابر نفسي عليه. تفرد به أحمد، ثم قد رواه أحمد عن وكيع عن إسماعيل عن قيس عن عائشة فذكر مثله، وأخرجه ابن ماجه من حديث وكيع.

وقال نعيم بن حماد في كتابه الفتن والملاحم: حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلتُ على رسول الله ﷺ وعثمان بين يديه يناجيه، فلم أدركْ من مقالته شيئاً إلا قول عثمان: ظلماً وعدواناً يا رسول الله؟ فما دريتُ ما هو حتى قتل عثمان، فعلمت أن رسول الله ﷺ إنما عنى قتله، قالت عائشة: وما أحببت أن يصل إلى عثمان شيء إلاّ وصل إليّ مثله غيره إن شاء الله علم أني لم أحبَّ قتله، ولو أحببت قتله لقتلت، وذلك لما رمى هودجها من النبل حتى صار مثل القنفذ.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَقْتُلُوا إمَامَكُمْ وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ، وَيَرِثَ دُنياكُمْ شِرارُكم».

وقال البيهقي: أنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا علي بن محمد المصري، حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف أنه حدثه أنه جلس يوماً مع شقيّ الأصبحي فقال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيَكُونُ فيكم اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصديق، لا يلبث خلفي إلا قليلاً، وصاحب رَحَى العَرَبِ يعيشُ حميداً ويموتُ شهيداً، فقال رجل: ومن هو يا رسول الله؟ قال: عُمَرُ بنُ الخطاب، ثم التفتَ إلى عثمان فقال: وأنتَ يسألك الناس أن تخلع قميصاً كَسَاكَهُ اللّهُ، والذي بعثني بالحقِّ لئنْ خَلَعْتَهُ لا تَدْخُلُ الجنةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سمّ الخِياطِ»

ثم روى البيهقي من حديث موسى بن عقبة: حدثني جدي أبو أمي، أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً واختلافاً، فقالَ له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ أو ما تأمرنا؟ فقال: عَلَيْكُمْ بالأمينِ وَأَصْحابِهِ، وهو يشيرُ إلى عثمان بذلك»**. وقد رواه الإمام أحمد عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة به، وقد تقدم في حديث عبد الله بن حوالة شاهدان له بالصحة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور عن ربعيّ عن البراء بن ناجية عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ عن النبيّ ﷺ قال: **«تَدُورُ رَحَى الإسلام لخمسٍ وَثلاثينَ، أو سِتٍّ وثلاثينَ، أو سبعٍ وثلاثينَ، فإن هَلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ قَدْ هَلَكَ، وَإنْ يقم لهم دِينُهُمْ يَقُمْ لهم سبعينَ عاماً»**، قال: قلت: أمِمَّا مَضَى أو مِمَّا بَقِيَ؟. ورواه أبو داود عن محمد بن سليمان الأنباري عن عبد الرحمن بن مهدي به، ثم رواه أحمد عن إسحاق، وحجاج عن سفيان عن منصور عن ربعي عن البراء بن ناجية الكاهلي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ رَحَى الإسلامِ سَتَزُولُ لِخَمسٍ وَثلاثِينَ، أو سبعٍ وثلاثينَ، فإن تهلك فسبيلُ مَنْ هَلَكَ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعينَ عاماً»**، قال. قال: عمر: يا رسول الله أبما مَضَى أو بما بقي؟ قال: بَلْ بما بقي[1]. وهكذا رواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور به، فقال له عمر فذكره.

قال البيهقي: وقد تابع إسرائيل الأعمش وسفيان الثوري عن منصور، قال: وبلغني أن في هذا إشارة إلى الفتنة التي كان منها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين، ثم إلى الفتن التي كانت في أيام عليّ، وأراد بالسبعين ملك بني أمية، فإنه بقي بين ما استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه، نحواً من سبعين سنة. قلت: ثم انطوت هذه الحروب أيام صفين، وقاتل عليٌّ الخوارج في أثناء ذلك، كما تقدم الحديث المتفق على صحته، في الأخبار بذلك، وفي صفتهم وصفة الرجل المخدع[2] فيهم.

حديث آخر

قال الإمام أحمد: **حدثنا** إسحاق بن عيسى، حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أمّ ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ومالي لا أبكي وأنت تموتُ بفلاة من الأرض ولا يد لي بدفنك، وليس عندي ثوبٌ يسعكَ فأكفنك فيه، قال فلا تبكي وأبشري، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لَيموتنَّ رجلٌ منكم بفلاةٍ مَن الأرضِ يَشْهَدُهُ عصابةٌ مِنَ المؤمنين**، وليسَ من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٩٠، ٣٩٣.

(٢) المخدج: خدّج يخدّج الشيء: أنقصه، والمخدج: الناقص الخلقة.

أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية أو جماعة، وإني أنا الذي أموت بالفلاة، والله ما كَذَبَ ولا كَذَبْتُ» . تفرد به أحمد رحمه الله، وقد رواه البيهقي من حديث علي بن المديني عن يحيى بن سليم الطائفي به مطولاً، والحديث مشهور في موته رضي الله عنه بالربذة سنة ثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان بن عفان، وكان في النفر الذين قدموا عليه [وهو] في السياق عبد الله بن مسعود وهو الذي صلى عليه ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليالٍ ومات رضي الله عنه.

حديث آخر

قال البيهقي: أنا الحاكم، أنا الأصم، ثنا محمد بن إسحاق الصنعاني، ثنا عمر بن سعيد الدمشقي، ثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبي عبد الله الأشعري عن أبي الدرداء. قال: قلت: يا رسول الله بلغني أنك تقول: ليرتدن أقوام بعد إيمانهم، قال: أجل، ولست منهم. قال: فتوفي أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان. وقال يعقوب بن سفيان: ثنا صفوان، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا عبد الله أو عبد الغفار بن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه أنه حدثه عن شيخ من السلف قال: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إني فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ، أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عليّ منكم، فلا أُلفينَّ أنازِعُ أَحَدَكُم، فأقول: إِنَّهُ مِنْ أُمَّتي، فيقال: هَلْ تدري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟** قال أبو الدرداء: فتخوفتُ أن أكون منهم، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: **إِنَّكَ لَسْتَ منهم»**، قال فتوفي أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان، وقبل أن تقع الفتن.

قال البيهقي: تابعه يزيد بن أبي مريم عن أبي عبيد الله مسلم بن يشكر عن أبي الدرداء إلى قوله: «لَسْتَ مِنْهُمْ»، قلت: قال سعيد بن عبد العزيز توفي أبو الدرداء لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وقال الواقدي وأبو عبيد وغير واحد: توفي سنة ثنتين وثلاثين، رضي الله عنه.

ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة في آخر أيام عثمان وخلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما

ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد «أن رسول الله ﷺ أشرف على أُطُم من آطام المدينة فقال: هَلْ تَرَوْنَ ما أَرَى؟ إني لأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلالَ بُيُوتِكم كمواقِعِ القَطْرِ». وروى الإمام أحمد ومسلم من حديث الزهري عن أبي إدريس الخولانيّ: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: «واللّهِ إني لأعلم الناس بكلِّ فتنةٍ هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما ذاك أن يكونَ رسول الله ﷺ حَدَّثني من ذلك شيئاً أَسَرَّهُ إليَّ لم يكن حدث به غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال: ـ وهو يحدث مجلساً أنا فيه ـ سئل عن الفتن وهو يعد: الفتن فيهنَّ ثَلاثٌ لا تذوق شَيْئاً مِنْهُنَّ كَرِياحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغارٌ ومنها كِبارٌ»، قال حذيفة: «فذهب أولئك الرهط كلهم غيري»[1] وهذا لفظ أحمد.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٨٨.

قال البيهقي: مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان، وقيل الفتنتين الآخرتين في أيام علي، قلت: قال العجلي وغير واحد من علماء التاريخ: كانت وفاة حذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً، وهو الذي قال: لو كان قتل عثمان هدي لاحتلبت به الأمة لبناً، ولكنه كان ضلالة فاحتلبت به الأمة دماً، وقال: لو أن أحداً ارْتُعِضَ[1] لما صنعتم بعثمان لكان جديراً أن يرتعض.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قال سفيان أربع نسوة، قالت: استيقظ النبيّ ﷺ من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول: **«لا إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مِثْلُ هٰذِهِ - وَحَلَّقَ بإصبعه الإبهام والتي تليها - قلت: يا رسول الله أنهلكُ وفينا الصالحُون؟ قال: نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ»**[2].

هكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة به، وكذلك رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وسعد بن عمرو والأشعثي وزهير بن حرب وابن أبي عمر كلهم عن سفيان بن عيينة به سواء.

ورواه الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد: كلهم عن سفيان بن عيينة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الترمذي: قال الحميدي عن سفيان: حفظت من الزهري في هذا الإسناد أربع نسوة، قلت: وقد أخرجه البخاري عن مالك بن إسماعيل ومسلم عن عمرو الناقد عن الزهري عن عروة عن زينب عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش فلم يذكروا حبيبة في الإسناد، وكذلك رواه عن الزهري شعيب وصالح بن كيسان وعقيل ومحمد بن إسحاق ومحمد بن أبي عتيق ويونس بن يزيد فلم يذكروا عنه في الإسناد حبيبة والله أعلم. فعلى ما رواه أحمد ومن تابعه عن سفيان بن عيينة، ويكون قد اجتمع في هذا الإسناد تابعيان، وهما الزهري وعروة بن الزبير، وأربع صحابيات وبنتان وزوجتان وهذا عزيز جداً. ثم قال البخاري بعد رواية الحديث المتقدم: عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري فذكره إلى آخره، ثم قال: وعن الزهري حدثتني هند بنت الحارث أن أم سلمة قالت: استيقظ رسول الله ﷺ فقال: **«سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن؟! وماذا أنزل من الفتن؟!»**. وقد أسنده البخاري في مواضع أخر من طرق عن الزهري به. ورواه الترمذي من حديث معمر عن الزهري وقال: حسن صحيح.

وقال أبو داود الطيالسي: ثنا الصلت بن دينار، ثنا عقبة بن صهبان وأبو رجاء العطاردي قالا: سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآية: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] قال: لقد تلوتُ هذه الآية زمناً وما أراني من أهلها، فأصبحنا من أهلها. وهذا الإسناد ضعيف، ولكن روى من وجه آخر، فقال الإمام أحمد: ثنا أسود بن عامر، ثنا جرير قال: سمعت أنساً قال: قال الزبير بن العوام: نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع النبيّ ﷺ ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فجعلنا نقول: ما هذه الفتنة؟ وما نشعر أنها تقع حيث وقعت.

---

(١) ارتعض: تلوى وارتعد.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/٤٢٩.

ورواه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم عن ابن مهدي عن جرير بن حازم به، وقد قتل الزبير بوادي السباع مرجعه من قتال يوم الجمل على ما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال أبو داود السجستاني في سننه: ثنا مسدد، ثنا أبو الأحوص ـ سلام بن سليم ـ عن منصور عن هلال بن يساف عن سعيد بن زيد، قال: «كنا عند النبيّ ﷺ فذكر فتنة وعظم أمرها، فقلنا: «يا رسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا فقال: كَلاً إنَّ بْحَسْبِكُمُ القتلَ، قال سعيد: فرأيت إخواني قُتِلُوا». تفرد به أبو داود.

وقال أبو داود السجستاني: ثنا الحسن بن علي، ثنا يزيد، أنا هشام عن محمد. قال: قال حذيفة: ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تَضُرُّكَ الفِتْنَة**» وهذا منقطع.

وقال أبو داود الطيالسي، ثنا شعبة عن أشعث بن أبي أشعث سمعت أبا بردة يحدث عن ثعلبة بن أبي ضبيعة سمعت حذيفة يقول: «إنّي لأعرفُ رجلاً لا تَضُرُّهُ الفتنةُ، فأتينا المدينة فإذا فسطاط مضروب، وإذا محمد بن مَسْلمة الأنصاري، فسألته فقال: لا أَسْتَقِرُّ بمصر من أمصارهم حتى تنجلي هذه الفتنة عن جماعة المسلمين».

قال البيهقي: ورواه أبو داود ـ يعني السجستاني ـ عن عمرو بن مرزوق عن شعبة به.

وقال أبو داود: حدثنا مسدد، **حدثنا** أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبي بردة عن ضبيعة بن حصين الثعلبي عن حذيفة بمعناه.

قال البخاري في التاريخ: هذا عندي أولى.

وقال الإمام أحمد: **حدثنا** يزيد، **حدثنا** حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي بردة قال: مررت بالربذة فإذا فسطاط، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لمحمد بن مسلمة فاستأذنت عليه فدخلت عليه فقلت: رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان، فلو خرجت إلى الناس فأمرت ونهيت، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّها سَتَكُونُ فتنةٌ وفرقةٌ واختلافٌ، فإذا كانَ ذلكَ فأْتِ بِسَيفِكَ أحداً فاضرِبْ بِهِ عَرْضَهُ، وَكَسِّرْ نَبْلَكَ، وَاقْطَعْ وَتَرَكَ، وَاجْلِسْ في بَيْتِكَ حتى تأتيكَ يَدٌ خاطئةٌ أو يُعَافِيكَ اللَّهُ**» فقد كانَ ما قال رسول الله ﷺ،

[(١)]. تفرد به أحمد.

وقال البيهقي: **أخبرنا** الحاكم، **حدثنا** علي بن عيسى المدني، **أخبرنا** أحمد بن بحرة القرشي، **حدثنا** يحيى بن عبد الحميد، **أخبرنا** إبراهيم بن سعد، **حدثنا** سالم بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن محمود بن لبيد عن محمد بن مسلمة أنه قال: يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المضلون؟ قال: اخرج بسيفك إلى الحرة فتضربها به ثم تدخل بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٣.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا زياد بن مسلم أبو عمر، حدثنا أبو الأشعث الصنعاني قال: بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير، فلما قدمت المدينة دخلت على فلان ـ نسي زياد اسمه ـ فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى؟ قال: أوصاني خليلي أبو القاسم إن أدركت شيئاً من هذه الفتن فاعمد إلى أُحُد فاكسر به حَدَّ سيفك ثم اقعد في بيتك، فإن دخل عليك أحد البيت فقم إلى المخدع، فإن دخل عليك المخدع فاجثُ على ركبتيك وقل: بُؤْ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فقد كسرت سيفي وقعدت في بيتي. هكذا وقع إيراد هذا الحديث في مسند محمد بن مسلمة عند الإمام أحمد، ولكن وقع إبهام اسمه، وليس هو لمحمد بن مسلمة بل صحابي آخر، فإن محمد بن مسلمة رضي الله عنه لا خلاف عند أهل التاريخ أنه توفي فيما بين الأربعين إلى الخمسين، فقيل سنة ثنتين وقيل: ثلاث، وقيل: سبع وأربعين، ولم يدرك أيام يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير بلا خلاف، فتعين أنه صحابيّ آخر خبره كخبر محمد بن مسلمة. وقال نعيم بن حماد في الفتن والملاحم: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة، حدثنا أبو عمرو السلميّ عن بنت أهبان الغفاريّ أن علياً أتى أهبان فقال: ما يمنعك أن تتبعنا؟ فقال: أوصاني خليلي وابن عمك ﷺ: أن ستكونُ فرقةٌ وفتنةٌ واختلافٌ، فإذا كان ذلك فاكسرْ سَيْفَكَ واقعدْ في بيتك واتخذ سيفاً من خَشَب. وقد رواه أحمد عن عفان وأسود بن عامر ومؤمل ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به، وزاد مؤمل في روايته بعد قوله: «واتخذ سيفاً من خشب واقعدْ في بيتك حتى تأتيكَ يدٌ خاطئةٌ أو مَنيَّةٌ قاضِيَةٌ».

ورواه الإمام أحمد أيضاً والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبيد الديلي عن عديسة بنت أهبان بن صيفي عن أبيها به، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عبيد، كذا، قال وقد تقدم من غير طريقه.

وقال البخاري: حدّثنا عبد العزيز الأويسي، ثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ القاعِدُ فيها خَيرٌ مِنَ القائِم والقَائِمُ فيها خَيرٌ مِنَ الماشِي، وَالماشي فيها خيرٌ من السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفه، ومن وَجَدَ مَلْجأً أو معاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ»[1].

وعن ابن شهاب: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود عن نوفل بن معاوية مثل حديث أبي هريرةِ هذا، وقد روى مسلم حديث أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد كما رواه البخاري، وكذلك حديث نوفل بن معاوية بإسناد البخاري ولفظه، ثم قال البخاري: حدّثنا محمد بن كثير، أخبرني سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وأمورٌ تُنْكِرُونَها، فقالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تُؤَدُّونَ الحقَّ الَّذِي عليكم وتسألونَ اللَّهَ الذي لَكُمْ»[2]

ورواه مسلم من حديث الأعمش به.

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥. (٢) انظر الحاشية السابقة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا روح، ثنا عثمان الشحام، ثنا مسلمة بن أبي بكرة عن أبي بكرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ ثم تَكُونُ فتنةٌ، ألا فالماشي فيها خيرٌ مِنَ السَّاعِي إليها، والقاعد فيها خيرٌ من القائم فيها، ألا والمضطجع فيها خيرٌ من القاعِد، ألا فإذا نَزَلَتْ فمن كان له غنمٌ فَلْيَلْحَقْ بغنمهِ، ألا وَمَنْ كانَتْ لَهُ أرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بأرْضِهِ، ألا وَمَنْ كانَتْ له إبلٌ فليلحقْ بإبلهِ، فقال رجل من القوم: يا نبيَّ الله جعلني الله فداك، أرأيت من ليست له غنمٌ ولا أرضٌ ولا إبلٌ كيف يصنعُ؟ قال: لِيَأخُذْ سَيْفَهُ ثمَّ ليعمدْ بهِ إلى صَخْرَةٍ، ثم ليدقَّ على حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثم لينجُ إن استطاعَ النَّجَاءَ، اللهمَّ هَلْ بلَّغتُ، إذ قال رجل: يا رسول الله جعلني الله فداك، أرأيت إن أخذ بيدي مكرهاً حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين؟ ـ شك عثمان ـ فيحذفني رجل بسيفه فيقتلني، ماذا يكون من شأني؟ قال: يَبُوءُ بإثمكَ وَإثْمِهِ ويكونُ مِنْ أصْحَابِ النَّارَ»[1].

وهكذا رواه مسلم من حديث عثمان الشحام بنحوه، وهذا إخبار عن إقبال الفتن، وقد وردت أحاديث كثيرة في معنى هذا.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن إسماعيل، ثنا قيس قال: «لما أقبلت عائشة ـ يعني في مسيرها إلى وقعة الجمل ـ وبلغت مياه بني عامر ليلاً، نبحت الكلاب فقالت: أيُّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، قالت: إنَّ رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: «كَيفَ بإحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كلابُ الحَوْأبِ»[2].

ورواه أبو نعيم بن حماد في الملاحم عن يزيد بن هارون عن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم به.

ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الحوأب فسمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إنَّ رسول الله ﷺ قال لنا: «أَيَّتُكُنَّ يَتْبَحُ عَلَيْهَا كِلابُ الحَوْأبِ»، فقال لها الزبير: ترجعين؟ عسى الله أنْ يُصْلِحَ بكِ بَيْنَ النَّاسِ. وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدّثنا عبيد الله بن موسى عن عصام بن قدامة البجلي عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيتَ شِعْرِي أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الجَمَلِ الأَدْبب تَسِيرُ حَتَّى تَنْبَحَهَا كلابُ الحَوْأب، يقتل عن يمينها وعن يسارها خَلْقٌ كَثِيرٌ». ثم قال: لا نعلمه يروي عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد.

وقال الطبراني: حدّثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، ثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، ثنا نوح بن دراج عن الأجلح بن عبد الله عن زيد بن علي عن أبيه عن ابن الحسين عن ابن عباس قال: لما بلغ أصحاب علي، حين ساروا إلى البصرة، أن أهل البصرة قد اجتمعوا لطلحة والزبير، شقّ عليهم، ووقع في قلوبهم، فقال عليّ: والذي لا إله غيره ليظهرنه على أهل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/٥٢.

البصرة، وليقتلن طلحة والزبير، وليخرجن إليكم من الكوفة ستة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلاً، أو خمسة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلاً، شك الأجلح، قال ابن عباس: فوقع ذلك في نفسي، فلما أتى الكوفة خرجت فقلتُ: لأنظرنَّ، فإن كان كما يقول فهو أمر سمعه، وإلا فهو خديعة الحرب، فلقيت رجلاً من الجيش فسألته، فوالله ما عتم أن قالَ ما قال عليّ، قال ابن عباس: وهو ما كان رسول الله ﷺ يخبره.

وقال البيهقي: **أخبرنا** عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد، ثنا أحمد بن نصر، ثنا أبو نعيم الفضل، حدّثنا عبد الجبار بن الورد عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد عن أم سلمة قالت: ذكر النبيّ ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة، فقال لها: «**انْظُرِي يا حُمَيْرَاءُ أنْ لا تَكُونِي أنْتِ**»، ثم التفت إلى عليّ وقال: «**يا عليّ إنْ وَلِيتَ مِنْ أمْرِهَا شَيْئاً فَارْفق بها**».

وهذا حديث غريب جداً، وأغرب منه ما رواه البيهقي أيضاً عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي نعيم عن عبد الجبار بن العباس الشامي عن عطاء بن السائب عن عمر بن الهجيع عن أبي بكرة قال: قيل له ما يمنعك أن لا تكون قاتلت على نصرتك يوم الجمل؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَخْرُجُ قومٌ هَلْكَى لا يُفْلِحُونَ، قائِدُهُمُ امْرَأَةٌ، قائِدُهُمْ في الجَنَّة»، وهذا منكر جداً. والمحفوظ ما رواه البخاري من حديث الحسن البصري عن أبي بكرة قال: نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ وبلغه أن فارس ملّكوا عليهم امرأة كسرى ـ فقال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُم امْرَأَةً**»[1].

وقال الإمام أحمد: **حدّثنا** محمد بن جعفر، **حدّثنا** شعبة عن الحكم، سمعت أبا وائل قال: لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة يستنفرهم، خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، لكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها.

ورواه البخاري عن بندار عن غندر، وهذا كله وقع في أيام الجمل، وقد ندمت عائشة رضي الله عنها على ما كان من خروجها، على ما سنورده في موضعه، وكذلك الزبير بن العوام أيضاً، تذكّر وهو واقف في المعركة أن قتاله في هذا الموطن ليس بصواب، فرجع عن ذلك.

قال عبد الرزاق: **أخبرنا** معمر عن قتادة قال: لما ولّى الزبير يوم الجمل بلغ عليّاً، فقال: لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولّى، وذلك أن النبي ﷺ لقيهما في سقيفة بني ساعدة فقال: أتحبه يا زبير؟ فقال: وما يمنعني قال: فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له؟ قال: فيرون أنه إنما ولى لذلك، وهذا مرسل من هذا الوجه. وقد أسنده الحافظ البيهقي من وجه آخر فقال: **أخبرنا** أبو بكر ـ أحمد بن الحسن القاضي ـ **حدّثنا** أبو عمرو بن مطر، **أخبرنا** أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي الكوفي، **حدّثنا** منجاب بن الحارث، **حدّثنا** عبد الله بن الأجلح، **حدّثنا** أبي عن يزيد الفقير عن أبيه قال: وسمعت فضل بن فضالة يحدث أبي عن أبي

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب ١٨.

حرب بن أبي الأسود الدقلي عن أبيه، دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه، قال: لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ، فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام، فأتى علي، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما، فقال عليّ: يا زبير ناشدتك بالله أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ مكان كذا وكذا فقال: يا زُبَيْرُ تُحِبُّ عَلِيّاً؟ فقلت: ألا أحبُّ ابن خالي وابن عَمِّي وَعَلى دِيني؟ فقال: يا عَليُّ أتُحِبُّهُ؟ فقلتُ يا رسول الله ألا أحبُّ ابن عمتي وعلى ديني؟ فقال: يا زُبَيْرُ، أما واللَّهِ لَتُقَاتِلَنَّهُ وأَنْتَ ظالم لَهُ، فقال الزبير: بلى، واللَّهِ لقد نسيتهُ منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن، واللَّهِ لا أقاتلك، فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال: ما لك؟ فقال ذكّرني عليّ حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته وهو يقول: لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ، فلا أقاتلنه، فقال وللقتال جئت؟ إنما جئت تصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر، قال: قد حلفت أن لا أقاتله، قال: فاعتق غلامك خير وقف حتى تصلح بين الناس، فأعتق غلامه ووقف، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه.

قال البيهقي: **وأخبرنا** أبو عبد الله الحافظ، **أخبرنا** الإمام أبو الوليد، **حدّثنا** الحسن بن سفيان، **حدّثنا** قطن بن بشير، **حدّثنا** جعفر بن سليمان، **حدّثنا** عبد الله بن محمد الرقاشي، **حدّثنا** جدي ـ وهو عبد الملك بن مسلم ـ عن أبي وجرة المازني، قال: سمعت علياً والزبير وعليٌّ يقول له: ناشدتك الله يا زبير، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّكَ تقاتلني وأنتَ لي ظالم؟ قال: بلى ولكني نسيت. وهذا غريب كالسياق الذي قبله، وقد روى البيهقي من طريق الهذيل بن بلال ـ وفيه ضعف ـ عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ ينظرَ إلى رَجُلٍ يسبقه بَعْضُ أعْضَائِهِ إلى الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلى زَيْدِ بْنِ صَوْحَانَ»** قلت: قتل زيد هذا في وقعة الجمل من ناحية علي. وثبت في الصحيحين من حديث همام بن منبة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَقُومِ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فئتانِ عَظِيمَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»**[١]. ورواه البخاري أيضاً عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مثله. ورواه البخاري أيضاً عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل، وأصحاب صفّين، فإنهما جميعاً يدعون إلى الإسلام، وإنما يتنازعون في شيء من أمور الملك ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا، وكان ترك القتال أولى من فعله، كما هو مذهب جمهور الصحابة كما سنذكره.

وقال يعقوب بن سفيان: **حدّثنا** أبو اليمان، **حدّثنا** صفوان بن عمرو قال: كان أهل الشام ستين ألفاً، فقتل منهم عشرون ألفاً، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً، فقتل منهم أربعون ألفاً، ولكن كان عليّ وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن

(١) أخرجه البخاري في المرتدين باب ٨.

أبي سعيد الخدري قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ». ورواه أيضاً من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَقتُلُ عَمَّاراً الفِئَةُ البَاغِيَةُ»، وفي رواية: «وقَاتِلُهُ في النَّارِ». وقد تقدم الحديث بطرقه عند بناء المسجد النبوي في أول الهجرة النبوية، وما يزيده بعض الرافضة في هذا الحديث من قولهم بعد: لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة، فليس له أصل يعتمد عليه، بل هو من اختلاق الروافض قبحهم الله. وقد روى البيهقي من حديث أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت: اشتكى عمار شكوى أرق منها، فغشي عليه فأفاق ونحن نبكي حوله، فقال: ما تبكون؟ أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخرَ زادي من الدنيا مذقةُ لَبَن.

وقال الإمام أحمد: حدثني وكيع، حدّثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال: قال عمار يوم صفين: ائتوني بشربة لبن، فإن رسول الله ﷺ قال: «آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَن» فشربها ثم تقدم فقتل[1]. حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري، أن عمار بن ياسر أتي بشربة لبن فضحك وقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال لي: آخِرُ شَرَابٍ أَشْرَبُهُ لَبَنٌ حِينَ أموتُ.

وروى البيهقي من حديث عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اخْتَلَفَ النَّاسُ كانَ ابْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الحَقِّ» ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله رجل يقال له أبو الفادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي. وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر وغيره في أسماء الصحابة وهو أبو الفادية مسلم، وقيل: يسار بن أزيهر الجهني من قضاعة، وقيل: مزني، وقيل: هما اثنان، سكن الشام ثم صار إلى واسط، روى له أحمد حديثاً وله عند غيره آخر، قالوا: وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يذكر صفة قتله لعمار لا يتحاشى من ذلك، وسنذكر ترجمته عند قتله لعمار أيام معاوية في وقعة صفين، وأخطأ من قال: كان بدريّاً.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن هارون، حدّثنا العوام، حدثني ابن مسعود عن حنظلة بن خويلد العنزي قال: بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما لصاحبه نفساً فإني سمعتُ النبيّ ﷺ يقول: «تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» فقال معاوية: ألا نحّ عنا مجنونك يا عمرو، فما بالك معنا، قال: إنَّ أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «أطِعْ أَبَاكَ ما دَامَ حَيّاً ولا تَعْصِهِ»، فأنا مَعَكُمْ وَلَسْتُ أقاتِلُ. وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين، بينه وبين عمرو بن العاص، فقال عبد الله بن عمرو: يا أبة، أما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول لعمار:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣١٩/٤.

ويحك يا ابن سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ؟ قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا يزال يأتينا نهيه، أو نحن قتلناه؟ إنما قتله من جاؤوا به.

ثم رواه أحمد عن أبي نعيم عن الثوري عن الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي زياد فذكر مثله. فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا، تأويل بعيد جداً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء. وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة، أخبرني عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال عمرو لعبد الرحمن بن عوف: أما علمت أنا كنا نقرأ ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَـٰادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] في آخر الزمان، كما جاهدتم في أوله؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء. ذكره البيهقي ههنا، وكأنه يستشهد به على ما عقد له الباب بعده من ذكر الحكمين وما كان من أمرهما، فقال:

إخباره عن الحكمين اللذين بعثا في زمن علي رضي الله عنه

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا إسماعيل بن الفضل، حدّثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن بشار عن سويد بن غفلة قال: إني لأمشي مع علي بشط الفرات فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ بني إسرائيلَ اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حَتَّى بعثوا حَكَمَيْنِ فَضَلاً وَأَضَلاً مَن اتَّبَعَهُمَا، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضلاً وأضلاً من اتبعهما**» هكذا أورده ولم يبين شيئاً من أمره. وهو حديث منكر جداً، وآفته من زكريا بن يحيى هذا ـ وهو الكندي الحميري الأعمى ـ قال يحيى بن معين: ليس بشيء، والحكمان كانا من خيار الصحابة، وهما عمرو بن العاص السهمي من جهة أهل الشام، والثاني أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، من جهة أهل العراق، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين، وحقن لدمائهم، وكذلك وقع ولم يضل بسببهما إلا فرقة الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التحكيم، وخرجوا عليهما وكفروهما، حتى قاتلهم عليّ بن أبي طالب، وناظرهم ابن عباس، فرجع منهم شرذمة إلى الحق، واستمر بقيتهم حتى قتل أكثرهم بالنهروان وغيره من المواقف المرذولة عليهم كما سنذكره.

إخباره ﷺ عن الخوارج وقتالهم

قال البخاري: حدّثنا أبو اليمان، حدّثنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدريّ قال: «بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة ـ وهو رجل من بني تميم ـ فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا

يُجَاوِزُ تَرَاقيهمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ[(١)] كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ إلى نَصْلِهِ[(٢)] فلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يَنْظُرُ إلى رُصَافِهِ[(٣)] فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إلى نضبهِ[(٤)] وَهُوَ قدحه فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثمَّ يَنْظُرُ إلى قُذَذِهِ[(٥)] فلا يُوجَدُ فيهِ شَيْءٌ، قدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأةِ أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدِرُ، وَيَخرُجُونَ عَلَى حِينِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ وأشهد أن عليّ بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعته. وهكذا رواه مسلم من حديث أبي سعيد. ورواه البخاري أيضاً من حديث الأوزاعي. عن الزهري عن أبي سلمة والضحاك عن أبي سعيد. وأخرجه البخاري أيضاً من حديث سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه، ومسلم عن هناد عن أبي الأحوص سلام بن سليم عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن يعمر عن أبي سعيد الخدري به. وقد روى مسلم في صحيحه من حديث داود بن أبي هند والقاسم بن الفضل وقتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فِرْقَةِ المسلمينَ يَقْتُلُها أولى الطائفتينِ بالحقِّ». ورواه أيضاً من حديث أبي إسحاق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد مرفوعاً. وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن مسهر عن الشيباني عن بشير بن عمرو قال: سألت سهل بن حنيف، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج؟ فقال: سمعته وأشار بيده نحو المشرق - وفي رواية نحو العراق - «يَخْرُجُ قَوْمٌ يَقرَؤونَ القُرْآنَ بألسنتهم لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهُمْ، يمرقونَ من الدِّينِ كما يمرقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، مُحَلَّقَةً رُؤوسُهُمْ». وروى مسلم من حديث حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر نحوه وقال: سيماهم التحليق، شر الخلق والخليقة. وكذلك رواه محمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعاً، وقال: سيماهم التحليق، شر الخلق والخليقة. وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة عن علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَخْرُجُ قوم في آخر الزمان حُدثاءُ الأسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأحْلام، يقولونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، لا يجاوزُ إيمانهم حَنَاجِرَهُمْ، فأينما لَقِيتُمُوهُمْ فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم إلى يوم القيامة».

وقد روى مسلم عن قتيبة عن حماد عن أيوب عن محمد بن عبيدة عن علي في خبر مؤذن الليل وهو ذو الثدية.

وأسنده من وجه آخر عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي وفيه: أنه حلّف علياً على ذلك فحلف له أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ.

(١) يمرقون من الدين: يخرجون منه.
(٢) النصل: حديدة السهم والرمح والسيف.
(٣) الرصاف: جمع رصفة، وهي العقب الذي يلوي فوق الرعظ.
(٤) النضب: ما بين الرصاف إلى القذذ.
(٥) القذذ: ريش السهم.

ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن زيد بن وهب عن علي بالقصة مطولة وفيه قصة ذي الثدية.

ورواه من حديث عبيد الله بن أبي رافع عن علي، ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد بن زيد عن حميد بن مرة عن أبي العرضي والسحيمي عن علي في قصة ذي الثدية. ورواه الثوري عن محمد بن قيس عن أبي موسى ـ رجل من قومه ـ عن عليّ بالقصة.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان حدثني العلاء بن أبي العباس أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرقاش عن سعد بن أبي وقاص قال: «ذكر رسول الله ﷺ ذا الثدية فقال: شيطان الردهة كراعي الخيل يحذره رجل من بجيلة يقال له: الأشهب، أو ابن الأشهب علامة في قوم ظلمة، قال سفيان: فأخبرني عمار الذهبي أنه جاء به رجل منهم يقال له: الأشهب، أو ابن الأشهب. قال يعقوب بن سفيان: وحدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد الهمداني سمعت سعد بن مالك يقول: قتل عليّ بن أبي طالب شيطان الردهة ـ يعني المخدج ـ يريد والله أعلم قتلة أصحاب علي.

وقال عليّ بن عياش عن حبيب عن سلمة قال: لقد علمت عائشة أن جيش المروة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ، قال ابن عباس: جيش المروة قتلة عثمان. رواه البيهقي، ثم قال البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ منكم من يقاتلُ عَلى تأويلِ القُرآنِ كما قاتلتُ على تَنْزِيلِهِ، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، فقال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، ولكنْ خاصِفُ النَّعْلِ» ـ يعني علياً ـ.

وقال يعقوب بن سفيان عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن عمران بن جرير عن لاحق قال: كان الذين خرجوا على عليّ بالنهروان أربعة آلاف في الحديد، فركبهم المسلمون فقتلوهم ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعة رهط، وإن شئت فاذهب إلى أبي برزة فإنه يشهد بذلك.
قلت: الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ﷺ، لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن، ووقوع ذلك في زمان عليّ معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة، وأما كيفية خروجهم وسببه ومناظرة ابن عباس لهم في ذلك، ورجوع كثير منهم إليه، فسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

إخباره ﷺ بمقتل عليّ بن أبي طالب فكان كما أخبر

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني زيد بن محمد بن خيثم المحاربي عن محمد بن كعب بن خيثم عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ ـ حين ولي غزوة العشيرة ـ: يا أبا تراب ـ لما يرى عليه من التراب ـ ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال أحيمر ثمود الذي عقر

الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه ـ يعني قرنه[1] ـ حتى يبل هذه ـ يعني لحيته ـ.

وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر عن محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال: خرجت مع أبي عائداً لعليّ بن أبي طالب في مرض أصابه ثَقُلَ منه، قال: فقال أبي ما يقيمك بمنزلك هذا؟ فلو أصابك أجلك لم يكن إلا أعراب جهينة، تحملك إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك، فقال علي: إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أموت حتى تخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني هامته ـ فقتل وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب قال: جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له: اتق الله فإنك ميت، فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ـ عهد معهود، وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى.

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان المدركي عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله، وروى من حديث هيثم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن عليّ قال: إن مما عهد إليّ رسول الله ﷺ: أن الأمة ستغدر بك بعدي، ثم ساقه من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحمامي قال: سمعت علياً يقول: إنه لعهد النبي الأميّ إليّ، إن الأمة ستغدر بك بعدي.

قال البخاري: ثعلبة هذا فيه نظر ولا يتابع على حديثه هذا، وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي الأجوب الأحوص بن خباب عن عمار بن زريق عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه، للحيته من رأسه، فما يحبس أشقاها، فقال عبد الله بن سبيع: والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأثرنا عشيرته، فقال: أنشدك بالله أن لا تقتل بي غير قاتلي، قالوا يا أمير المؤمنين ألا تستخلف؟ قال: ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا تركتنا هملاً؟ قال: أقول: اللهمَّ استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم.

وهكذا روى البيهقي هذا، وهو موقوف، وفيه غرابة من حيث اللفظ ومن حيث المعنى، ثم المشهور عن علي أنه لما طعنه عبد الرحمن بن ملجم الخارجيّ وهو خارج لصلاة الصبح عند السدة، فبقي عليّ يومين من طعنته، وحبس ابن ملجم، وأوصى عليّ إلى ابنه الحسن بن عليّ كما سيأتي بيانه وأمره أن يركب في الجنود وقال له: لا يجر عليّ كما تجر الجارية، فلما مات قتل عبد الرحمن بن ملجم قوداً، وقيل: حداً، والله أعلم، ثم ركب الحسن بن عليّ في الجنود وسار إلى معاوية كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

(١) القرن: أعلى الرأس.

إخباره ﷺ بذلك وسيادة ولده الحسن بن علي في تركه الأمر من بعده وإعطائه لمعاوية

قال البخاري في دلائل النبوة: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حسين الجعفي عن أبي موسى عن الحسن عن أبي بكرة قال: «أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن بن عليّ فصعد به على المنبر فقال: «**إنَّ ابني هٰذا سَيِّدٌ: وَلَعَلَّ اللّهَ أنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المسلمينَ**».

وقال في كتاب الصّلح: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسنُ بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتلَ أقرانها، فقال له معاوية، فكان والله خير الرجلين: أي عمر وإن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس، عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له، وطلبا إليه فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سَيِّد، ولعلَّ اللّهَ أنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتينِ عظيمتينِ مِنَ المسلمينَ**».

وقال البخاري: قال لي علي بن عبد الله: إنما ثبت لنا سماعَ الحسن بن أبي بكرة بهذا الحديث. وقد رواه البخاري أيضاً في فضل الحسن وفي كتاب الفتن عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن أبي موسى وهو إسرائيل بن موسى بن أبي إسحاق - ورواه أبو داود والترمذي من حديث أشعث، وأبو داود أيضاً والنسائي من حديث علي بن زيد بن جدعان كلهم عن الحسن البصري عن أبي بكرة به، وقال الترمذي: صحيح، وله طرق عن الحسن مرسلاً، وعن الحسن وعن أم سلمة به، وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبيّ ﷺ سواء، فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق، وسار إليه معاوية، فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصري، فمال الحسن بن عليّ إلى الصلح، وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية، وذلك سنة أربعين، فبايعه الأمراء من الجيشين، واستقل بأعباء الأمة، فسمي ذلك العام عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد، وسنورد ذلك مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى. وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام، فمن كفرهم أو واحداً منهم لمجرد ما وقع فقد أخطأ وخالف النص النبويّ المحمديّ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد تكمل بهذه السنة المدة التي أشار إليها رسول الله ﷺ

أنها مدة الخلافة المتتابعة بعده، كما تقدم في حديث سفينة مولاه أنه قال: «**الخِلافَةُ بَعْدِي ثلاثونَ سَنَةً، ثم تكونُ ملكاً**» وفي رواية عَضُوضاً، وفي رواية عن معاوية أنه قال: رضينا بها ملكاً، وقد قال نعيم بن حماد في كتابه الفتن والملاحم: سمعت محمد بن فضيل عن السريّ بن إسماعيل عن عامر الشعبيّ عن سفيان بن عيينة قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تَذْهَبُ الأيامُ وَاللَّيالي حتى يَجْتَمِعَ أَمْرُ هٰذِهِ الأمَّةِ على رَجُلٍ وَاسِعِ القَدَمِ، ضَخْمِ البَلْعَمِ، يأكُلُ ولا يَشْبَعُ وَهُو عري**»، وهكذا وقع في هذه الرواية، وفي رواية بهذا الإسناد: «**لا تَذهبُ الأيامُ والليالي حتى تجتمعَ هٰذه الأمةُ على معاوية**». وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ـ وهو ضعيف ـ عن عبد الملك بن عمار قال: قال معاوية: والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي: «**يا معاويةُ إنْ ملكتَ فَأَحْسِنْ**». ثم قال البيهقي: وله شواهد، من ذلك حديث عمرو بن يحيى عن سعيد بن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ الإداوة فتبع رسول الله ﷺ فنظر إليه فقال: «**يا معاويةُ إنْ وَلِيتَ أمراً فاتَّقِ اللَّهَ وَاعْدِلْ**»، قال معاوية: فما زلت أظن أني مبتلًى بعمل لقول رسول الله ﷺ.

ومنها حديث الثوري عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد الداري عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنكَ إن اتبعتَ عَوْرَاتِ الناسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أو كدتَ أنْ تُفْسِدَهُمْ**»، ثم يقول أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ، فنفعه الله بها. رواه أبو داود.

وروى البيهقي من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة بالمدينة والملك بالشام.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا يحيى بن حمزة عن زيد بن واقد، حدثني بشر بن عبيد الله، حدثني أبو إدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أنا نائم إذ رأيتُ عمودَ الكتاب رفع احْتُمِلَ من تحتِ رأسي، فظننتُ أنه مذهوبٌ به، فأتبعته بصري، فَعَمِدَ به إلى الشَّام، ألا وإن الإيمانَ ـ حين تقع الفتن ـ بالشّام ههنا**»[1] رواه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن يوسف عن يحيى بن حمزة السلميّ به.

قال البيهقي: وهذا إسناد صحيح، وروي من وجه آخر. ثم ساقه من طريق عقبة بن علقمة عن سعيد بن عبد العزيز الدمشقي عن عطية بن قيس عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي رأيتُ أنَّ عَمُودَ الكتابِ انتزعَ من تحتِ وسادتي فنظرتُ فإذا نور ساطع عُمِدَ به إلى الشّام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتنُ بالشَّام**».

ثم أورده البيهقي من طريق الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ فذكر نحوه، إلا أنه قال: فأتبعته بصري حتى ظننت أنه مذهوب به، قال: وإني أوَّلْتُ أنَّ الفتنَ إذا وقعت، أن الإيمان بالشَّام.

قال الوليد: حدثني عنبر بن معدان أنه سمع سليمان بن عامر يحدث عن أبي أمامة عن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٩٨، ١٩٩.

رسول الله ﷺ مثل ذلك.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثني نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي أبو ضمرة - محمد بن سليمان السلمي - حدثني عبد الله بن أبي قيس، سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عموداً من نور خَرَجَ من تحتِ رأسي ساطعاً حتى استقرَّ بالشام». وقال عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال: قال رجل يوم صفين: اللهمَّ العن أهل الشام، فقال له عليّ: لا تسبَّ أهلَ الشام جماً غفيراً، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال.

وقد روي من وجه آخرِ عن علي.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني شريح - يعني ابن عبيد الحضرمي - قال: ذكر أهل الشام عند عليّ بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجلٌ أَبْدَلَ الله مكانه رجلاً، يُسْتَسْقَى بهمُ الغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بهم على الأعداء، وَيُصْرَفُ عَنْ أهلِ الشَّام بهم العذابُ».

تفرد به أحمد، وفيه انقطاع، فقد نص أبو حاتم الرازي على أن شريح بن عبيد هذا لم يسمع من أبي أمامة ولا من أبي مالك الأشعري وأنه رواية عنهما مرسلة، فما ظنك بروايته عن علي بن أبي طالب، وهو أقدم وفاة منهما.

إخباره ﷺ عن غزاة البحر إلى قبرص

قال مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثَبَجَ هذا البحر[1]، ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة شك إسحاق فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: قلت ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، كما قال في الأولى، قالت: قلت يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت من الأولين، قال: فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمان معاوية فصرت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الليث وحماد بن زيد، كلاهما عن يحيى بن سعيد. وعن

(١) ثبج البحر: وسطه وخضمّه.

محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان، فذكر الحديث إلى أن قال: فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازية أول ما ركبوا مع معاوية، أو أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية بن أبي سفيان، فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت.

ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق الفزاري عن زائدة عن أبي حوالة عبد الله بن عبد الرحمن عن أنس به، وأخرجه أبو داود من حديث معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أخت أم سليم.

وقال البخاري:

باب ما قيل في قتال الروم

حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقي، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل إلى ساحل حمص، وهو في بناء له ومعه أم حرام، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوَّلُ جَيْشٍ من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: فقلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، قالت: ثم قال النبي ﷺ: أولُ جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم، قلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا»[1] تفرد به البخاري دون أصحاب الكتب الستة.

وقد رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن أبي عمرو بن أبي جعفر عن الحسن بن سفيان عن هشام بن عمار الخطيب عن يحيى بن حمزة القاضي به وهو يشبه معنى الحديث الأول.

وفيه من دلائل النبوة ثلاث إحداها الإخبار عن الغزوة الأولى في البحر وقد كانت في سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبي سفيان حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان، وكانت معهم أم حرام بنت ملحان هذه صحبة زوجها عبادة بن الصامت، أحد النقباء ليلة العقبة، فتوفيت مرجعهم من الغزو قتل بالشام كما تقدم في الرواية عند البخاري، وقال ابن زيد: توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين، والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها، وكان أميرها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وذلك سنة ثنتين وخمسين، وكان معهم أبو أيوب، خالد بن زيد الأنصاري، فمات هنالك رضي الله عنه وأرضاه، ولم تكن هذه المرأة معهم، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك في الغزوة الأولى.

فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة، الإخبار عن الغزوتين، والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين، وكذلك وقع صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب ٩٣.

الإخبار عن غزوة الهند

قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم عن سيار بن حسين بن عبيدة عن أبي هريرة قال: وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند فإن استشهدت كنت من خير الشهداء، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر.

رواه النسائي من حديث هشيم وزيد بن أنيسة عن يسار عن جبر، ويقال: جبير، عن أبي هريرة قال: وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند فذكره، وقال أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، ثنا البراء عن الحسن عن أبي هريرة قال: حدثني خليلي الصادق المصدوق، رسول الله ﷺ أنه قال: يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند، فإن أنا أدركته فاستشهدت فذاك، وإن أنا وإن أنا فذكر كلمة رجعت فأنا أبو هريرة المحدث قد أعتقني من النار.

تفرد به أحمد، وقد غزا المسلمون الهند في أيام معاوية سنة أربع وأربعين، وكانت هنالك أمور سيأتي بسطها في موضعها، وقد غزا الملك الكبير الجليل محمود بن سُبُكتكين، صاحب غزنة، في حدود سنة أربعمائة، بلاد الهند فدخل فيها وقتل وأسر وسبى وغنم ودخل السومنات وكسر الند الأعظم الذي يعبدونه، واستلب سيوفه وقلائده، ثم رجع سالماً مؤيداً منصوراً.

فصل في الإخبار عن قتال الترك كما سنبينه إن شاء الله

قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقومُ السَّاعَةُ حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعر، وحتى تقاتل الترك صغار الأعين حمر الوجوه، ذُلف الأنوف، كأنَّ وُجُوهَهُمُ المجانُّ المُطَّرقة، وتجدون مِنْ خير النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَّةً لهذا الأمر حتى يقع فيه، والنَّاس معادن: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، وليأتينَّ على أحدكم زمانٌ لأن يراني أَحَبُّ إليه مِنْ أن يكونَ له مثل أهله وماله». تفرد به من هذا الوجه[1].

ثم قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان الأعاجم، حمر الوجوه فطس الأنوف، صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر»[2]. تابعه غيره عن عبد الرزاق، وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه قال: أخطأ عبد الرزاق في قوله: خوزاً، بالخاء، وإنما هو بالجيم خوزاً وكرمان، هما بلدان معروفان بالشرق، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة فبلغ به النبي ﷺ: «لا تَقومُ السَّاعَةُ حتى تقاتلوا قوماً كأنَّ وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.
(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب ٩٦.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٣٩.

وقد رواه الجماعة إلا النسائي من حديث سفيان بن عيينة به.

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال: قال إسماعيل: أخبرني قيس قال: أتينا أبا هريرة رضي الله عنه فقال: صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين لم أكن في سني أحرص على أن أعي الحديث مني فيهن، سمعته يقول: وقال هكذا بيده بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر.

وهو هذا البارز، وقال سفيان مرة: وهم أهل البارز، وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة ووكيع كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تَقُومُ الْقِيَامَةُ حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعر كأنَّ وُجوهَهم المجانُّ المطرقة[1]، حمر الوجوه، صغار الأعين» قلت: وأما قول سفيان بن عيينة: إنهم هم أهل البارز فالمشهور في الرواية تقديم الراء على الزاي، ولعله تصحيف اشتبه على القائل البارز وهو السوق بلغتهم، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن قال: حدثنا عمرو بن تغلب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ مِنْ أشراطِ السَّاعَةِ أن تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، أو ينتعلون الشعر، وإنَّ من أشراطِ السَّاعَةِ أن تقاتلوا قوماً عراض الوجوه كأن وجوههم المجانّ المطرقة»[2] ورواه البخاري عن سليمان بن حرب وأبي النعمان عن جرير بن حازم به، والمقصود أن قتال الترك وق في آخر أيام الصحابة، قاتلوا القان الأعظم، فكسروه كسرة عظيمة على ما سنورده في موضعه إلى انتهينا إليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه.

خبر آخر عن عبد الله بن سلام

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق حدثنا ابن عون عن محمد هو ابن سيرين عن بشر بن عباد قال: كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر خشوع فدخل فصلى ركعتين فأوجز فيهما، فقال القوم: هذا رجل من أهل الجنة، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته، فلما استأنس قلت له: إن القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا، قال: سبحان الله، والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك أني رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه، رأيت كأني في روضة خضراء - قال ابن عون: فذكر من خضرتها وسعته - وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل له: اصعد عليه، فقلت: لا أستطيع، فجاء بنصيف - قال ابن عون: وهو الوصيف - فرفع ثيابي من خلفي فقال: اصعد عليه، فصعدت حتى أخذت بالعروة، فقال: استمسك بالعروة، فاستيقظت وإنها لفي يدي، قال فأتيت النبي ﷺ، فقصصتها عليه فقال: أما الروضة فروضة الإسلام، وأما

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٦٩، ٧٠.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

العمود فعمود الإسلام، وأما العروة فهي العروة الوثقى، أنت على الإسلام تموت، قال: وهو عبد الله بن سلام.

ورواه البخاري من حديث عون. ثم قد رواه الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن المسيب بن رافع عن حرشة بن الحر عن عبد الله بن سلام، فذكره مطولاً، وفيه قال: حتى انتهيت إلى حبل زلق فأخذ بيدي ودحاني[١]، فإذا أنا على ذروته[٢]، فلم أتقارّ[٣] ولم أتماسك، وإذا عمود حديد في يدي ذروته حلقة ذهب، فأخذ بيدي ودحاني حتى أخذت بالعروة، وذكر تمام الحديث.

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن سليمان بن مسهر عن حرشة بن الحر عن عبد الله بن سلام فذكره وقال: حتى أتى بي جبلاً فقال لي: اصعد، فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على رأسي، حتى فعلت ذلك مراراً، وأن رسول الله ﷺ قال له حين ذكر رؤياه: وأما الجبل فهو منزل الشهداء، ولن تناله قال البيهقي: وهذه معجزة ثانية، حيث أخبر أنه لا ينال الشهادة. وهكذا وقع، فإنه مات سنة ثلاث وأربعين فيما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره.

الإخبار عن بيت ميمونة بنت الحارث بسرف

قال البخاري في التاريخ: أخبرنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن الأصم، حدثنا يزيد بن الأصم قال: ثقلت ميمونة بمكة وليس عندها من بني أختها أحد، فقالت: أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها، إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة، فحملوها حتى أتوا بها سرف، إلى الشجرة التي بنى بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع القبة، فماتت رضي الله عنها، قلت: وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح.

ما روي في إخباره عن مقتل حجر بن عديّ وأصحابه

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا ابن بكير، حدثنا ابن لهيعة، حدثني الحارث عن يزيد عن عبد الله بن رزين الغافقي قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب يقول: يا أهل العراق، سيقتل منكم سبعة نفر بِعَذْراءَ[٤]، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود. فقتل حجر بن عديّ وأصحابه، وقال يعقوب بن سفيان: قال أبو نعيم: ذكر زياد ابن سمية عليّ بن أبي طالب على المنبر فقبض حجر على الحصباء ثم أرسلها وحصب من حوله زياداً فكتب إلى معاوية يقول: إن حجراً حصبني وأنا على المنبر، فكتب إليه معاوية أن يحمل حجراً، فلما قرب من دمشق بعث من يتلقاهم، فالتقى معهم بعذراء فقتلهم.

قال البيهقي: لا يقول علي مثل هذا إلا أنه يكون سمعه من رسول الله ﷺ. وقال

(١) دحا الشيء: بسطه.
(٢) الذرة: القمة.
(٣) اتقارّ: أي استقر وأثبت.
(٤) عذراء: قرية شرقي دمشق.

يعقوب بن سفيان: حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجراً وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إني رأيتُ قتلهم إصلاحاً للأمة، وأن بقاءهم فساداً، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيُقْتَلُ بِعَذْرَاءَ نَاسٌ يَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ وَأَهْلُ السَّماءِ».

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان بن الحكم قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبأ لك رجلاً فيقتلك؟ قال: لا، إني في بيت أمان، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: الإيمان قيدُ الفَتْكِ لا يفتك، لا يفتك مؤمنٌ يا أمَّ المؤمنين، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك؟ قالت: صالح، قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عزَّ وجلَّ.

حديث آخر

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعشرة من أصحابه: «آخِرُكُم موتاً في النار»، فيهم سَمُرَة بن جندب.

قال أبو نضرة: فكان سمرة آخرهم موتاً.

قال البيهقي: رواته ثقات إلا أن أبا نضرة العبديّ لم يثبت له من أبي هريرة سماع والله أعلم.

ثم روي من طريق إسماعيل بن حكيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن حكيم قال: كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألني عن سمرة، فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال: إنا كنا عشرة في بيت، وإن رسول الله قام علينا ونظر في وجوهنا، وأخذ بعضادتي الباب وقال: «آخِرُكُم موتاً في النار»، فقد مات منا ثمانية ولم يبقَ غيري وغيره، فليس شيء أحب إليَّ من أن أكون قد ذقتُ الموت. وله شاهد من وجه آخر، وقال يعقوب ابن سفيان: حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أوس بن خالد قال: كنت إذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة، وإذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة، فقلت لأبي محذورة: ما لك إذا قدمت عليك تسألني عن سمرة، وإذا قدمت على سمرة سألني عنك؟ فقال: إني كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت فجاء النبي ﷺ فقال: «آخِرُكُمْ مَوْتاً في النار». قال: فمات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة ثم مات سمرة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر: سمعت ابن طاوس وغيره يقولون: قال النبيّ ﷺ لأبي هريرة وسمرة بن جندب ولرجل آخر: «آخِرُكُمْ مَوْتاً في النَّار»، فمات الرجل قبلهما وبقي أبو هريرة وسمرة، فكان الرجل إذا أراد أن يغيظ أبا هريرة يقول: مات سمرة، فإذا سمعه غشي عليه وصعق، ثم مات أبو هريرة قبل سمرة وقتل سمرة بشراً كثيراً. وقد ضعف البيهقي عامة هذه

الروايات لانقطاع بعضها وإرساله، ثم قال: وقد قال بعض أهل العلم: إن سمرة مات في الحريق، ثم قال: ويحتمل أن يورد النار بذنوبه ثم ينجو منها بإيمانه فيخرج منها بشفاعة الشافعين، والله أعلم. ثم أورد من طريق هلال بن العلاء الرقي أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سماه أن سمرة استجمر فغفل عن نفسه وغفل أهله عنه حتى أخذته النار، قلت: وذكر غيره أن سمرة بن جندب رضي الله عنه أصابه كرار شديد، وكان يوقد له على قدر مملوءة ماءً حاراً فيجلس فوقها ليتدفأ ببخارها فسقط يوماً فيها فمات رضي الله عنه، وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبي هريرة بسنة، وقد كان ينوب عن زياد بن سمية في البصرة إذا سار إلى الكوفة، وفي الكوفة إذا سار إلى البصرة، فكان يقيم في كل منهما ستة أشهر من السنة، وكان شديداً على الخوارج، مكثراً للقتل فيهم، ويقول: هم شر قتلى تحت أديم السماء، وقد كان الحسن البصري ومحمد بن سيرين وغيرهما من علماء البصرة يثنون عليه رضي الله عنه.

خبر رافع بن خديج

روى البيهقي من حديث مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن مرزوق الواضحي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد بن رافع عن جدته «أن رافع بن خديج رمى ـ قال عمر: لا أدري أيهما قال ـ يوم أحد أو يوم حنين بسهم في ثندوته، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله انزع لي السهم، فقال له: «يا رافعُ إن شئت نزعتُ السَّهمَ والقبضةَ جميعاً، وإن شئتَ نزعتُ السَّهمَ وتركتُ القبضةَ وشهدتُ لك يوم القيامة أنك شَهِيدٌ» فقال: يا رسول الله، انزع السهم واترك القبضة واشهد لي يوم القيامة أني شهيد، قال: فعاش حتى كانت خلافة معاوية انتقض الجرح فمات بعد العصر». هكذا وقع في هذه الرواية أنه مات في إمارة معاوية، والذي ذكره الواقدي وغير واحد أنه مات سنة ثلاث، وقيل: أربع وسبعين، ومعاوية رضي الله عنه كانت وفاته في سنة ستين بلا خلاف، والله أعلم.

إخباره عليه السلام لما وقع من الفتن من بني هاشم بعد موته

قال البخاري: حدثنا محمد بن كثير، أخبرني سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وأمورٌ تُنكِرُونَهَا» قالوا: يا رسول الله: فما تأمرنا؟ قال: «تُؤَدُّونَ الحقَّ الَّذِي عليكم، وتسألونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»[١].

وقال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، أخبرنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو أسامة، ثنا شعبة عن أبي التياح عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُهلِكُ النَّاسَ هذا الحيُّ مِنْ قُرَيْشٍ» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «لَو أنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ»[٢]. ورواه مسلم عن أبي بكر بن شيبة عن أبي أسامة، وقال البخاري: قال محمود:

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥.
(٢) انظر الحاشية السابقة.

حدثنا أبو داود، أخبرنا شعبة عن أبي التياح قال: سمعت أبا زرعة، وحدثنا أحمد بن محمد المكي، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده قال: كنت مع مروان وأبي هريرة فسمعت أبا هريرة يقول: سمعت الصادق المصدوق يقول: «هَلاكُ أُمَّتِي على يَدَي غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ» فقال مروان: غلمة؟ قال أبو هريرة: إن شئت أن أسميهم فلان وبني فلان. تفرد به البخاري.

وقال أحمد: حدثنا روح، حدثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، أخبرني جدي سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هَلَكَةُ أُمَّتي على يَدَي غِلمَةٍ» قال مروان: وهم معنا في الحلقة قبل أن يلي شيئاً، فلعنة الله عليهم غلمة، قال: أما والله لو أشاء أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت، قال: فكنت أخرج مع أبي وجدي إلى بني مروان ـ بعدما ملكوا ـ فإذا هم يبايعون الصبيان، ومنهم من يبايع له وهو في خرقة، قال لنا: عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذي سمعت أبا هريرة يذكر أن هذه الملوك يشبه بعضها بعضاً.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن سماك، حدثني عبد الله بن ظالم قال: سمعتُ أبا هريرة قال: سَمِعْتُ حبّي أبا القاسم ﷺ يقول: «إنَّ فسادَ أمَّتي على يَدَي غِلْمَةٍ سُفَهَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ»[1]. ثم رواه أحمد عن زيد بن الخباب عن سفيان وهو الثوري عن سماك عن مالك بن ظالم عن أبي هريرة فذكره ثم روى غندر وروح بن عبادة عن سفيان عن سماك بن حرب عن مالك بن ظالم قال: سمعت أبا هريرة، زاد روح: يحدث مروان بن الحكم، قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول: «هَلاكُ أمّتي على يَدِ غلمةٍ أمَرَاءَ سُفَهَاءَ منْ قُرَيْشٍ»[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، حدثني بشر بن أبي عمرو الخولاني: أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يَكُونُ خَلَفٌ مِنْ بَعْدِ السِّتِّينَ سنة ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩] ثم يكون خلفٌ يقرؤون القرآن لا يَعْدُوا تَرَاقِيهُمْ، ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن، ومنافق، وفاجر، وقال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به»[3]. تفرد به أحمد، وإسناده جيد قوي على شرط السنن.

وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن عليّ بن عفان عن أبي أسامة عن مجالد عن الشعبيّ قال: لما رجع عليّ من صفين قال: أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنه لو فقدتموه لقد رأيتم الرؤوس تنزو من كواهلها كالحنظل. ثم روى عن الحاكم وغيره عن الأصمّ عن العباس بن الوليد بن زيد عن أبيه عن جابر عن عمير بن هانىء أنه حدثه أنه قال: كان أبو

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٨٥.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٤.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٨، ٣٩.

هريرة يمشي في سوق المدينة وهو يقول: اللهمّ لا تدركني سنة الستين، ويحكم تمسكوا بصدغي معاوية، اللهمّ لا تدركني إمارة الصبيان، قال البيهقي: وعلي وأبو هريرة إنما يقولان: هذا الشيء سمعناه من رسول الله ﷺ. وقال يعقوب بن سفيان: أنا عبد الرحمن بن عمرو الخزامي، حدثنا محمد بن سليمان عن أبي تميم البعلبكي عن هشام بن الغار عن ابن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزَالُ هذا الأمرُ معتدلاً قائماً بالقِسطِ حتى يَثْلُمَهُ رجلٌ من بني أمية».

وروى البيهقي من طريق عوف الأعرابي عن أبي خلدة عن أبي العالية عن أبي ذرّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّلَ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّة». وهذا منقطع بين أبي العالية وأبي ذر وقد رجحه البيهقي بحديث أبي عبيدة المتقدم، قال: ويشبه أن يكون هذا الرجل هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والله أعلم. قلت: الناس في يزيد بن معاوية أقسام فمنهم من يحبه ويتولاه، وهم طائفة من أهل الشام، من النواصب، وأما الروافض فيشنعون عليه ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه ويتهمه كثير منهم بالزندقة، ولم يكن كذلك، وطائفة أخرى لا يحبونه ولا يسبونه لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقاً كما تقوله الرافضة، ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة، والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة، فمن أنكرها قتل الحسين بن علي بكربلاء، ولكن لم يكن ذلك من علم منه، ولعله لم يرضَ به ولم يسؤه، وذلك من الأمور المنكرة جداً، ووقعة الحرة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية على ما سنورده إذا انتهينا إليه في التاريخ إن شاء الله تعالى.

الإخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

وقد ورد في الحديث بمقتل الحسين فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثنا عمارة ـ يعني ابن زاذان ـ عن ثابت عن أنس قال: «استأذن ملك المطر أن يأتي النبي ﷺ، فأذن له، فقال لأم سلمة: احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، فجاء الحسين بن عليّ، فوثب حتى دخل، فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ، فقال له الملك: أتحبه؟ فقال النبيّ ﷺ: نعم قال: فإنَّ أمَّتَكَ تَقْتُلُهُ، وإنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ المكانَ الذي يُقْتَلُ فيهِ، قال: فضرب بيده فأراه تراباً أَحْمَرَ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرّته في طرف ثوبها، قال: فكنا نسمع يقتل بكربلاء».

ورواه البيهقي من حديث بشر بن موسى عن عبد الصمد عن عمارة، فذكره، ثم قال: وكذلك رواه سفيان بن فروخ عن عمارة، وعمارة بن زاذان هذا هو الصيدلاني أبو سلمة البصري اختلفوا فيه، وقد قال فيه أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين، وضعفه أحمد مرة ووثقه أخرى، وحديثه هذا قد روي عن غيره من وجه آخر، فرواه الحافظ البيهقي من طريق عمارة بن عرفة عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها نحو هذا.

وقد قال البيهقي: أنا الحاكم في آخرين قالوا: أخبرنا الأصم، أخبرنا عباس الدوري،

حدثنا محمد بن خالد بن مخلد، حدثنا موسى بن يعقوب عن هاشم بن هاشم عن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة، أخبرتني أم سلمة أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت منه في المرة الأولى، ثم اضطجع واستيقظ وفي يده تربة حمراء وهو يقلبها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أن هذا مقتل بأرض العراق للحسين، قلت له: يا جبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه تربتها.

ثم قال البيهقي: تابعه أبو موسى الجهني عن صالح بن يزيد النخعي عن أم سلمة، وأبان عن شهر بن حوشب عن أم سلمة.

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي، حدثنا الحسين بن عيسى، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كان الحسينُ جالساً في حجر النبيّ ﷺ فقال جبريلُ: أتحبّه؟ فقال: **«وكيفَ لا أُحِبُّهُ وهو ثمرةُ فُؤادِي؟»**فقال: أما إن أمتكَ سَتَقْتُلُهُ، ألا أُرِيكَ مِنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ؟ فقبض قبضةً فإذا تربةٌ حَمْرَاءُ». ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد، والحسين بن عيسى قد حدث عن الحكم بن أبان بأحاديث لا نعلمها عند غيره. قلت: هو الحسين بن عيسى بن مسلم الحنفي أبو عبد الرحمن الكوفي أخو سليم القاري، قال البخاري: مجهول ـ يعني مجهول الحال ـ وإلا فقد روى عنه سبعة نفر، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، روى عن الحكم بن أبان أحاديث منكرة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عديّ: قليل الحديث، وعامة حديثه غرائب، وفي بعض أحاديثه المنكرات.

وروى البيهقي عن الحكم وغيره عن أبي الأحوص عن محمد بن الهيثم القاضي: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد بن عبد الله عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة، قال: **«وما هو؟»** قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، قال: **«رأيت خيراً، تلك فاطمة إن شاء الله تلد غلاماً فيكون في حجرك»** فولدت فاطمة الحسين، فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموع، قالت: قلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي، مالك؟ قال: **«أتاني جبريلُ عليه السلام فأخبرني أنَّ أمَّتي ستقتلُ ابني هٰذا»** فقلت: هذا؟ قال: **«نعم، وأتاني بتربة من تربتِهِ حمراء»**.

وقد روى الإمام أحمد عن عفان عن وهيب عن أيوب عن صالح أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم الفضل قالت: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: إني رأيتُ في منامي أن في بيتي أو حجري عضواً من أعضائك، قال: **«تلدُ فاطمة إن شاء الله غلاماً فتكفلينه»** فولدت له فاطمة حسيناً، فدفعته إليها فأرضعته بلبن قُثم، فأتيت به رسول الله ﷺ يوماً أزوره، فأخذته فوضعه على صدره فبالَ فأصاب البول إزاره، فزخخت بيدي على كتفيه، فقال: «أوجعت ابني أصلحك الله» أو قال: رَحِمَكِ اللَّهُ فقلت: أعطني إزارك أغسله، فقال: إنما يغسل [illegible]

الجَارِيَةِ وَيُصَبُّ على بَوْلِ الغُلام» . ورواه أحمد أيضاً عن يحيى بن بكير عن إسرائيل عن سماك عن قابوس بن مخارق عن أم الفضل فذكر مثله سواء، وليس فيه الأخبار بقتله فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا عمار بن أبي عمارة عن ابن عباس. قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائل، أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم، قال: فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم رضي الله عنه.

قال قتادة: قتل الحسين يوم الجمعة، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر. وهكذا قال الليث وأبو بكر بن عياش الواقدي والخليفة بن خياط وأبو معشر وغير واحد: إنه قتل يوم عاشوراء عام إحدى وستين، وزعم بعضهم أنه قتل يوم السبت، والأول أصح. وقد ذكروا في مقتله أشياء كثيرة أنها وقعت من كسوف الشمس يومئذٍ، وهو ضعيف، وتغيير آفاق السماء، ولم ينقلب حجر إلا وجد تحته دم، ومنهم من خصص ذلك بحجارة بيت المقدس، وأن الورس استحال رماداً، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار، إلى غير ذلك مما في بعضها نكارة، وفي بعضها احتمال، والله أعلم.

وقد مات رسول الله ﷺ وهو سيد آدم في الدنيا والآخرة، ولم يقع شيء من هذه الأشياء، وكذلك الصديق بعده، مات ولم يكن شيء من هذا، وكذا عمر بن الخطاب قتل شهيداً وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر، وحصر عثمان في داره وقتل بعد ذلك شهيداً، وقتل علي بن أبي طالب شهيداً قبل صلاة الفجر، ولم يكن شيء من هذه الأشياء، والله أعلم. وقد روى حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمارة عن أم سلمة أنها سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي. وهذا صحيح، وقال شهر بن حوشب: كنا عند أم سلمة فجاءها الخبر بقتل الحسين فخرت مغشياً عليها.

وكان سبب قتل الحسين أنه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يقدم إليهم ليبايعوه بالخلافة، وكثر تواتر الكتب عليه من العامة ومن ابن عمه مسلم بن عقيل، فلما ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية فبعث إلى مسلم بن عقيل يضرب عنقه ورماه من القصر إلى العامة، فتفرق ملؤهم وتبددت كلمتهم، هذا وقد تجهز الحسين من الحجاز إلى العراق، ولم يشعر بما وقع، فتحمل بأهله ومن أطاعه وكانوا قريباً من ثلاثمائة، وقد نهاه عن ذلك جماعة من الصحابة، منهم أبو سعيد، وجابر، وابن عباس، وابن عمر، فلم يطعهم، وما أحسن ما نهاه ابن عمر عن ذلك، واستدل له على أنه لا يقع ما يريده فلم يقبل، فروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن سالم الأسدي، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عنه، قال: سمعت الشعبي يقول: كان ابن عمر قدم المدينة فأخبر أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة، قال: أين تريد؟ قال العراق ومعه طوامير وكتب، فقال: لا تأتهم، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم، فقال: إن الله خير نبيه ﷺ بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنكم بضعة من رسول الله ﷺ، والله لا يليها أحد

منكم أبداً، وما صرفها عنكم إلاّ إلى الذي هو خير منكم، فارجعوا، فأبى وقال: هذه كتبهم وبيعتهم، قال: فاعتنقه ابن عمر وقال: أستودعك الله من قتيل، وقد وقع ما فهمه عبد الله بن عمر من ذلك سواء، من أنه لم يلِ أحد من أهل البيت الخلافة على سبيل الاستقلال ويتم له الأمر، وقد قال ذلك عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب إنه لا يلي أحد من أهل البيت أبداً.

ورواه عنهما أبو صالح الخليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ في كتابه الفتن والملاحم. قلت: وأما الخلفاء الفاطميون الذين كانوا بالديار المصرية، فإن أكثر العلماء على أنهم أدعياء علي بن أبي طالب ليس من أهل البيت، ومع هذا لم يتم له الأمر كما كان للخلفاء الثلاثة قبله، ولا اتسعت يده في البلاد كلها، ثم تنكدت عليه الأمور، وأما ابنه الحسن رضي الله عنه فإنه لما جاء في جيوشه وتصافى هو وأهل الشام، ورأى أن المصلحة في ترك الخلافة، تركها لله عز وجل، وصيانة لدماء المسلمين، أثابه الله ورضي عنه، وأما الحسين رضي الله عنه فإن ابن عمر لما أشار عليه بترك الذهاب إلى العراق وخالفه، اعتنقه مودعاً وقال: أستودعك الله من قتيل، وقد وقع ما تفرسه ابن عمر، فإنه لما استقل ذاهباً بعث إليه عبيد الله بن زياد بكتيبة فيها أربعة آلاف يتقدمهم عمرو بن سعد بن أبي وقاص، وذلك بعدما استعفاه فلم يعفه، فالتقوا بمكان يقال له كربلاء بالطف، فالتجأ الحسين بن علي وأصحابه إلى مقصبة هنالك، وجعلوها منهم بظهر، وواجهوا أولئك، وطلب منهم الحسين إحدى ثلاث: إما أن يدعوه يرجع من حيث جاء، وإما أن يذهب إلى ثغر من الثغور فيقاتل فيه، أو يتركوه حتى يذهب إلى يزيد بن معاوية فيضع يده في يده. فيحكم فيه بما يشاء، فأبوا عليه واحدة منهن، وقالوا: لا بد من قدومك على عبيد الله بن زياد فيرى فيك رأيه، فأبى أن يقدم عليه أبداً، وقاتلهم دون ذلك، فقتلوه رحمه الله، وذهبوا برأسه إلى عبيد الله بن زياد فوضعوه بين يديه، فجعل ينكت بقضيب في يده على ثناياه، وعنده أنس بن مالك جالس، فقال له: يا هذا، ارفع قضيبك، قد طال ما رأيت رسول الله يقبل هذه الثنايا، ثم أمر عبيد الله بن زياد أن يسار بأهله ومن كان معه إلى الشام، إلى يزيد بن معاوية، ويقال: إنه بعث معهم بالرأس حتى وضع بين يدي يزيد فأنشد حينئذٍ قول بعضهم: [الطويل]:

نُفَلِّقُ هَاماً مِنْ رِجالٍ أعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ [1] وَأَظْلَمَا

ثم أمر بتجهيزهم إلى المدينة النبوية، فلما دخلوها تلقتهم امرأة من بنات عبد المطلب ناشرة شعرها، واضعة كفها على رأسها تبكي وهي تقول: [البسيط]:

ماذا تَقُولُونَ إنْ قالَ النبيُّ لَكُمْ ... ماذا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ
بِعِتْرَتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مُفْتَقَدِي ... مِنْهُمْ أَسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بِدَمِ
ما كانَ هذا جزائي إذْ نَصَحْتُ لكم ... أنْ تَخْلُفُونِي بِشَرٍّ في ذَوِي رَحِمي

وسنورد هذا مفصلاً في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان. وقد

---

(١) أعق: من العقوق، وهو عدم بر الوالدين والأقربين.

رثاه الناس بمراث كثيرة ومن أحسن ذلك ما أورده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وكان فيه تشيع: [الكامل]:

جاؤوا برأسكَ يا ابنَ بنتِ محمدٍ متزملاً[1] بدمائهِ تَزمِيلا
فكأنما بكَ يا ابنَ بنتِ محمدٍ قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوكَ عطشاناً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قُتِلْتَ وإنما قَتَلُوا بكَ التكبيرَ والتهليلا

ذكر الأخبار عن وقعة الحرة التي كانت في زمن يزيد أيضاً

قال يعقوب بن سفيان: حدثني إبراهيم بن المنذر، حدثني ابن فليح عن أبيه عن أيوب بن عبد الرحمن عن أيوب بن بشير المعافري: «أن رسول الله ﷺ خرج في سفر من أسفاره، فلما مرَّ بِحَرَّة زهرة وقف فاسترجع، فساء ذلك من معه، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما الذي رأيت؟ فقال رسول الله ﷺ: أَمَا إنَّ ذلكَ لَيسَ مِنْ سَفَرِكُمْ هٰذا، قالوا: فما هو يا رسولَ الله؟ قال: يُقْتَلُ بِهٰذِهِ الحَرَّةِ خِيَارُ أُمَّتِي بَعْدَ أَصْحَابِي». هذا مرسل، وقد قال يعقوب بن سفيان: قال وهب بن جرير: قالت جويرية: حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾ [الأحزاب: ١٤] قال: لأعطوها، يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، وتفسير الصحابي في حكم المرفوع عند كثير من العلماء.

وقال نعيم بن حماد في كتاب الفتن والملاحم: حدثنا أبو عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا ذَرّ أَرَأَيتَ إن النَّاس قُتلُوا حَتَّى تَغرَقَ حجارةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ، كَيْفَ أَنْتَ صانعٌ؟ قال قلت: اللّٰهُ ورسوله أعلم، قال: تَدْخُلُ بَيْتَكَ، قال قلت: فإن أتى عليَّ؟ قال: يأتي من أنت منه، قال قلت: وأحمل السلاح؟ قال: إذاً تُشْرَكَ مَعَهُمْ، قال قلت: فكيف أصنع يا رسول الله؟ قال: إن خِفْتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شعاعُ السَّيْفِ فألْقِ طائفةً مِنْ ردائكَ على وَجْهِكَ يبوء بإثمكَ وَإِثْمِهِ. ورواه الإمام أحمد في مسنده عن مرحوم ـ هو ابن عبد العزيز ـ عن أبي عمران الجوني، فذكره مطولاً.

قلت: وكان سبب وقعة الحرة أنَّ وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم ـ وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ـ قريباً من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها، بسبب السكر، فاجتمعوا على

(١) متزملاً: ملتفاً ومتشحاً.

خلعه، فخلعوه عند المنبر النبويّ، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية، يقدمها رجل يقال له مسلم بن عقبة، وإنما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غضون هذه الأيام بشراً كثيراً حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل في غضون ذلك ألف بكر فالله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب عن الإمام مالك: قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن، حسبت أنه قال: وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك في خلافة يزيد.

وقال يعقوب بن سفيان: سمعت سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري يقول: قتل يوم الحرة عبد الله بن يزيد المازني ومعقل بن سليمان الأشجعي، ومعاذ بن الحارث القاري، وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر. قال يعقوب: وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من الحجة سنة ثلاث وستين، ثم انبعث مسرف بن عقبة إلى مكة قاصداً عبد الله بن الزبير ليقتله بها، لأنه فر من بيعة يزيد، فمات يزيد بن معاوية في غضون ذلك، واستفحل[1] أمر عبد الله بن الزبير في الخلافة بالحجاز، ثم أخذ العراق ومصر، وبويع بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد، وكان رجلاً صالحاً، فلم تطل مدته، مكث أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً، ثم مات رحمه الله، فوثب مروان بن الحكم على الشام فأخذها، فبقي تسعة أشهر ثم مات، وقام بعده ابنه عبد الملك، فنازعه فيها عمرو بن سعيد بن الأشدق وكان نائباً على المدينة من زمن معاوية وأيام يزيد ومروان، فلما هلك مروان زعم أنه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك، فضاق به ذرعاً، ولم يزل به حتى أخذه بعدما استفحل أمره بدمشق فقتله في سنة تسع وستين، ويقال: في سنة سبعين، واستمرت أيام عبد الملك حتى ظفر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي عن أمره بمكة، بعد محاصرة طويلة اقتضت أن نصب المنجنيق على الكعبة من أجل أن ابنِ الزبير لجأ إلى الحرم، فلم يزل به حتى قتله، ثم عهد في الأمر إلى بنيه الأربعة بعده الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام بن عبد الملك.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أسود ويحيى بن أبي بكير، حدثنا كامل أبو العلاء، سمعت أبا صالح وهو مولى ضباعة المؤذن واسمه مينا ـ قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ، وإمارة الصِّبْيَانِ»**[2]، وقال: **«لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَظْهَرَ اللُّكَعُ ابْنُ لُكَعٍ»**، وقال الأسود: يعني اللئيم ابن اللئيم. وقد روى الترمذي من حديث أبي كامل عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **عُمْرُ أُمَّتِي** من ستين سنة إلى سبعين سنة، ثم قال: حسن غريب.

وقد روى الإمام أحمد عن عفان وعبد الصمد عن حماد بن سلمة عن علي بن يزيد: حدثني من سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لينعقنَّ وقال(عبد الصمد في**

---

(١) استفحل: اشتد واستطار.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٢٦.

روايته لَيَرفعنّ)جَبَّارٌ مِنْ جَبَابِرَةِ بني أُمَيَّةَ على مِنْبَرِي هٰذا»[1] زادَ عبد الصمد حتى يسيل رعافه، قال: فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص: يرعف على منبر النبي ﷺ حتى سال رعافه، قلت: علي بن يزيد بن جدعان في روايته غرابة ونكارة وفيه تشيع، وعمرو بن سعيد هذا، يقال له: الأشدق، كان من سادات المسلمين وأشرافهم، في الدنيا لا في الدين وروى عن جماعة من الصحابة، منهم في صحيح مسلم عن عثمان في فصل الطهور، وكان نائباً على المدينة لمعاوية ولابنه يزيد بعده، ثم استفحل أمره حتى كاد يصاول عبد الملك بن مروان، ثم خدعه عبد الملك حتى ظفر به فقتله في سنة تسع وستين، أو سنة سبعين، فالله أعلم. وقد روي عنه من المكارم أشياء كثيرة من أحسنها أنه لما حضرته الوفاة قال لبنيه، وكانوا ثلاثة، عمرو هذا، وأمية، وموسى، فقال لهم: من يتحمل ما عليّ؟ فبدر ابنه عمرو هذا وقال: أنا يا أبة، وما عليك؟ قال: ثلاثون ألف دينار، قال: نعم، قال وأخواتك لا تزوجهن إلا بالأكفاء ولو أكلن خبز الشعير، قال: نعم، قال: وأصحابي من بعدي، إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا معروفي، قال: نعم، قال: أما لئن، قلت ذلك، فلقد كنت أعرفه من حماليق وجهك وأنت في مهدك.

وقد ذكر البيهقي من طريق عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث ـ عن حرملة بن عمران عن أبيه عن يزيد بن أبي حبيب أنه سمعه يحدث عن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي، قال: اصطحب قيس بن حرشة وكعب حتى إذا بلغا صفين، وقف كعب الأحبار فذكر كلامه فيما يقع هناك من سفك دماء المسلمين، وأنه يجد ذلك في التوراة، وذكر عن قيس بن حرشة أنه بايع رسول الله ﷺ على أن يقول الحق، وقال: يا قيس بن حرشة عسى إن عذبك الدهر حتى يكبك بعدي من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم، فقال: والله لا أبايعك على شيء إلا وفيت لك به، فقال له رسول الله ﷺ: إذاً لا يَضُرُّكَ بَشَرٌ، فبلغ قيس إلى أيام عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان، فنقم عليه عبيد الله في شيء فأحضره فقال: أنت الذي زعم أنه لا يَضُرُّكَ بشَرٌ؟ قال: نعم، قال: لتعلمن اليوم أنك قد كذبت، ائتوني بصاحب العذاب، قال: فمال قيس عند ذلك فمات.

معجزة أخرى

روى البيهقي من طريق الدراوردي عن ثور بن يزيد عن موسى بن ميسرة: أن بعض بني عبد الله سايره في بعض طريق مكة، قال: حدثني العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ في حاجة، فوجد عنده رجلاً فرجع، ولم يكلمه من أجل مكان الرجل، فلقي العباس رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال: ورآه؟ قال: نعم، قال: أتدري من ذلك الرجل؟ ذاك جبريل؟ ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علماً، وقد مات ابن عباس سنة ثمان وستين بعد ما عُمي رضي الله عنه. وروى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان، حدثتنا سيابة بنت يزيد عن خمارة عن أنيسة بنت زيد بن أرقم عن أبيها، أن رسول الله ﷺ دخل على زيد يعوده في مرض كان به، قال: ليس عليك من مرضك بأس، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدي

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٢٢، بلفظ: ليرعفنّ على منبري جبار من جبابرة بني أمية يسيل رعافه.

فعميت؟ قال: إذاً أحتسب وأصبر، قال: إذاً تدخل الجنة بغير حساب، قال: فعمي بعد ما مات رسول الله، ثم ردَّ الله عليه بصره، ثم مات.

فصل

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، وعند مسلم عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ ثَلاثِينَ كَذَّاباً دَجَّالاً، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ»**.

وقال البيهقي عن الماليني عن أبي عدي عن أبي يعلى الموصلي: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَقُومُ الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، منهم مسيلمة، والعنسي، والمختار»**. وشرّ قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف، قال ابن عديّ: محمد بن الحسن له إفرادات، وقد حدث عنه الثقات، ولم أر بتحديثه بأساً، وقال البيهقي: لحديثه في المختار شواهد صحيحة. ثم أورد من طريق أبي داود الطيالسي، حدثنا الأسود بن شيبان عن أبي نوفل عن أبي عقرب عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت للحجاج بن يوسف: أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إيَّاه. قال: ورواه مسلم من حديث الأسود بن شيبان، وله طرق عن أسماء وألفاظ سيأتي إيرادها في موضعه. وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم وأبو سعيد عن الأصم عن عباس الدوري عن عبيد الله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي المحيا عن أمه قالت: لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر فقال: يا أمّه، إن أمير المؤمنين أوصاني بك، فهل لك من حاجة فقالت: لستُ لك بأمّ، ولكني أمُّ المصلوب على رأس الثنية، وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله ﷺ، يقول: **«يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمبِيرٌ»**، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت، فقال الحجاج: مُبير المنافقين.

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شريك عن أبي علوان ـ عبد الله بن عصمة ـ عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً»**، وقد تواتر خبر المختار بن أبي عبيد الكذاب الذي كان نائباً على العراق وكان يزعم أنه نبي، وأن جبريل كان يأتيه بالوحي، وقد قيل لابن عمر وكان زوج أخت المختار وَصَفِيَّةُ، إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه. قال: صدق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا فرة بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن رفاعة بن شداد، قال: كنت أَلْصَقَ شيء بالمختار الكذاب، قال: فدخلت عليه ذات يوم فقال: دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي، قال: فأهويت إلى قائم السيف لأضربه حتى ذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق الخُزاعي، أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا أَمَّنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ على دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ رُفِعَ لَهُ لِوَاءِ الغَدْرِ يَوْمَ القِيَامَةِ»** فكففتُ عنه. وقد رواه أسباط بن نصر وزائدة والثوري عن

إسماعيل السدي عن رفاعة بن شداد القِتْباني فذكره نحوه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي، قال: فاخرت أهل البصرة فغلبتهم بأهل الكوفة، والأحنف ساكت لا يتكلم، فلما رآني غلبتهم أرسل غلاماً له فجاء بكتاب فقال: هاك اقرأ: فقرأته فإذا فيه: من المختار لله يذكر أنه نبيّ، يقول الأحنف: أنى فينا مثل هذا، وأما الحجاج بن يوسف فقد تقدم الحديث أنه الغلام المبير الثقفي، وسنذكر ترجمته إذا انتهينا إلى أيامه، فإنه كان نائباً على العراق لعبد الملك بن مروان، ثم لابنه الوليد بن عبد الملك، وكان من جبابرة الملوك، على ما كان فيه من الكرم والفصاحة على ما سنذكره.

وقد قال البيهقي: **حدثنا** الحاكم عن أبي نصر الفقيه، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، أن معاوية بن أبي صالح حدثه عن شريح بن عبيد عن أبي عذبة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فأخبره أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم، فخرج غضبان فصلى لنا الصلاة فسها فيها حتى جعل الناس يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فلما سلم أقبل على الناس فقال: من هٰهنا من أهل الشام؟ فقام رجل ثم قام آخر، ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً، فقال: يا أهل الشام استعدّوا لأهل العراق، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ، اللهمَّ إنهم قد لبسوا علي فألبس عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم أهل الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا من يتجاوز عن مسيئهم.

قال عبد الله: وحدثني ابن لهيعة بمثله، قال: وولد الحجاج يومئذ. ورواه الدارمي أيضاً عن أبي اليمان عن جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي عذبة الحمصي عن عمر فذكر مثله، قال أبو اليمان: علم عمر أن الحجاج خارج لا محالة، فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة، قلت: فإن كان هذا نقله عمر عن رسول الله ﷺ لقد تقدم له شاهد عن غيره، وإن كان عن تحديث، فكرامة الولي معجزة لنبيه.

وقال عبد الرزاق: **أخبرنا** جعفر ـ يعني سليمان ـ عن مالك بن دينار عن الحسن قال: قال عليّ لأهل الكوفة: اللهمَّ كما ائتمنتهم فخانوني، ونصحت لهم فغشوني، فسلط عليهم فتى ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية، قال: فتوفي الحسن وما خلق الله الحجاج يومئذ. وهذا منقطع وقد رواه البيهقي أيضاً من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أوس بن الحدثان عن علي بن أبي طالب أنه قال: الشاب الذيال أمير المصرين، يلبس فروتها، ويأكل خضرتها، ويقتل أشراف أهلها، يشتد منه العرق، ويكثر منه الأرق، ويسلطه الله على شيعته. وله من حديث يزيد بن هارون: أخبرنا العوام بن حوشب، حدثني حبيب بن أبي ثابت قال: قال علي: لا مت حتى تدرك فتى ثقيف، فقيل: يا أمير المؤمنين وما فتى ثقيف؟ فقال: ليقالن له يوم القيامة: اكفنا زاوية من زوايا جهنم رجل يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلا ارتكبها، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها، يفتن بمن أطاعه من عصاه.

وهذا معضل، وفي صحته عن علي نظر والله أعلم.

وقال البيهقي عن الحاكم عن الحسين بن الحسن بن أيوب عن أبي حاتم الرازي عن عبد الله بن يوسف الثنيني، حدثنا هشام بن يحيى الغساني قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها، وجئناهم بالحجاج لغلبناهم.

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود: ما بقيت لله حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس أن أباه لما تحقق موت الحجاج تلا قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] قلت: وقد توفي الحجاج سنة خمس وتسعين.

ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز، تاج بني أمية

قد تقدم حديث أبي إدريس الخولاني عن حذيفة قال: «سألت رسول الله ﷺ هل بعد هذا الخير من شر؟ قال نَعَمْ، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ، قلت: وما دخنه؟ قال: قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، يُعْرَفُ مِنْهُمْ وَيُنْكَرُ» الحديث، فحمل البيهقي وغيره هذا الخبر الثاني على أيام عمر بن عبد العزيز. وروي عن الحاكم عن الأصم عن العباس بن الوليد بن مرثد عن أبيه قال: سئل الأوزاعي عن تفسير حديث حذيفة حين سأل رسول الله ﷺ عن الشرّ الذي يكون بعد ذلك الخير، فقال الأوزاعي: هي الردة التي كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ، وفي مسألة حذيفة، «فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَنٌ» قال الأوزاعي: فالخير الجماعة، وفي ولاتهم من يعرف سيرته، وفيهم من ينكر سيرته، قال: فلم يأذن رسول الله ﷺ في قتالهم ما صلّوا الصلاة.

وروى أبو داود الطيالسي عن داود الواسطي، وكان ثقة، عن حبيب بن سالم عن نعمان بن سالم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: إنكم في النبوة ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها لكم إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة قال: فقدم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان، فكتبت إليه أذكره الحديث وكتبته إليه أقول: إني أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الخيرية، قال: فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر فسر به وأعجبه.

وقال نعيم بن حماد: حدثنا روح بن عبادة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: قال عمر بن عبد العزيز: رأيت رسول الله ﷺ وعنده عمر وعثمان وعليّ، فقال لي: «ادن فدنوتُ حتى قمتُ بينَ يديه، فرفع بصره إليّ وقال: أما إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ هٰذِهِ الأُمة وَسَتَعْدِلُ عَلَيْهِمْ» وسيأتي في الحديث الآخر إن شاء الله أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمْرَ دينها، وقد قال كثير من الأئمة إنه عمر بن عبد العزيز، فإنه تولى سنة إحدى ومائة.

وقال البيهقي: **أخبرنا** الحاكم، **أنا** أبو حامد أحمد بن علي المقري، **ثنا** أبو عيسى، **حدثنا** أحمد بن إبراهيم، **حدثنا** عفان بن مسلم، **حدثنا** عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية ابن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: إن من ولدي

رجلاً بوجهه شين يلي فيملأ الأرض عدلاً، قال نافع من قبله: ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز. وقد رواه نعيم بن حماد عن عثمان بن عبد الحميد به، ولهذا طرق عن ابن عمر أنه كان يقول: ليت شعري، من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً.

وقد روي ذلك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب نحواً من هذا، وقد كان هذا الأمر مشهوراً قبل ولايته وميلاده بالكلية أنه يلي رجل من بني أمية يقال له: أشج بني مروان وكانت أمه أروى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان أبوه عبد العزيز بن مروان نائباً لأخيه عبد الملك على مصر، وكان يكرم عبد الله بن عمر، ويبعث إليه بالتحف والهدايا والجوائز فيقبلها، وبعث إليه مرة بألف دينار فأخذها، وقد دخل عمر بن عبد العزيز يوماً إلى اصطبل أبيه وهو صغير، فرمحه فرس فشجه في جبينه، فجعل أبوه يسلت عنه الدم ويقول: أما لئن كنت أشجّ بني مروان، إنك إذاً لسعيد، وكان الناس يقولون: الأشجّ والناقص أعدلا بني مروان، فالأشج هو عمر بن عبد العزيز، والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الذي يقول فيه الشاعر:

رَأَيْتُ الـيَـزِيـدَ بْـنَ الـوَلِـيـدِ مُـبَـارَكـاً شَـدِيـداً بِـأَعْـبَـاءِ الـخِـلافَـةِ كَـاهِـلُـهْ

قلت: وقد ولي عمر بن عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك سنتين ونصفاً، فملأ الأرض عدلاً، وفاض المال حتى كان الرجل يهمه لمن يعطي صدقته، وقد حمل البيهقي الحديث المتقدم عن عدي بن حاتم، على أيام عمر بن عبد العزيز، وعندي في ذلك نظر، والله أعلم.

وقد روى البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي أويس: حدثني أبو معن الأنصاري، ثنا أسيد قال: بينما عمر بن عبد العزيز يمشي إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال: عليَّ بمحفار، فقالوا: نكفيك أصلحك الله، قال: لا، ثم أخذه ثم لفه في خرقة ودفنه، فإذا هاتف يهتف: رحمة الله عليك يا سرّق، فقال له عمر بن عبد العزيز: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رجل من الجنّ وهذا سرّق، ولم يبق ممن بايع رسول الله ﷺ غيري وغيره، وأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: تموت يا سرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتي. وقد روي هذا من وجه آخر وفيه: أنهم كانوا تسعة بايعوا رسول الله ﷺ، وفيه أن عمر بن عبد العزيز خلفه، فلما حلف بكى عمر بن عبد العزيز. وقد رجحه البيهقي وحسنه، فالله أعلم.

حديث آخر في صحته نظر في ذكر وهب بن منبه بالمدح، وذكر غيلان بالذم

روى البيهقي من حديث هشام بن عمار وغيره عن الوليد بن أسلم [1] عن مروان بن سالم

---

(١) في التيمورية: مسلم.

اليرقاني عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في أمتي رجل يقال له: وهب، يهب الله له الحكمة، ورجل يقال له: غيلان، هو أضر على أمتي من إبليس. وهذا لا يصح لأن مروان بن سالم هذا متروك، وبه إلى الوليد: حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ينعق الشيطان بالشام نعقة يكذب ثلثاهم بالقدر. قال البيهقي: وفي هذا وأمثاله إشارة إلى غيلان وما ظهر بالشام بسببه من التكذيب بالقدر حتى قتل.

الإشارة إلى محمد بن كعب القرظي وعلمه بتفسير القرآن وحفظه

قال حرملة عن ابن وهب: **أخبرني** أبو صخر عن عبد الله بن مغيث عن أبي بردة الظفري عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يخرج في أحد الكاهنين رجل قد درس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده»**. وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن إسماعيل القاضي، **حدثنا** أبو ثابت، **حدثنا** ابن وهب، ثني عبد الجبار بن عمر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ: **«يكون في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد غيره»**، قال: فكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظي، قال أبو ثابت: الكاهنان، قريظة والنضير. وقد روي من وجه آخر مرسل: يخرج من الكاهنين رجل أعلم الناس بكتاب الله، وقد قال عون بن عبد الله: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب القرظي.

ذكر الإخبار بانخرام قرنه ﷺ بعد مائة سنة من ليلة إخباره

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سالم وأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العشاء ليلة في آخر عمره، فلما سلم قام فقال: أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإنَّ رأسَ مائةِ سنةٍ منها لا يبق مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ، قال عمر: فوهل الناس من مقالة رسول الله ﷺ، إلى ما يحدثون من هذه الأحاديث من مائة سنة، وإنما يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن، وفي رواية: إنما أراد رسول الله ﷺ انخرام قرنه.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بشهر: **«يسألون عن الساعة، وإنما علمها عند الله، فأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس منفوسة اليوم، يأتي عليها مائة سنة»**. وهذا الحديث وأمثاله مما يحتج به من ذهب من الأئمة إلى أن الخضر ليس بموجود الآن، كما قدمنا ذلك في ترجمته في قصص الأنبياء عليهم السلام، وهو نص على أن جميع الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره عليه السلام، وكذا وقع سواء، فما نعلم تأخر أحد من أصحابه إلى ما يجاوز هذه المدة، وكذلك جميع الناس. ثم قد طرد بعض العلماء هذا الحكم في كل مائة

سنة، وليس في الحديث تعرض لهذا، والله أعلم.

حديث آخر

قال محمد بن عمر الواقدي: **حدثني** شريح بن يزيد عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني عن أبيه عن عبد الله بن بسر، قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي وقال: «**هذا الغلام يعيش قرناً**»، قال: فعاش مائة سنة. وقد رواه البخاري في التاريخ عن أبي حيوة شريح بن يزيد به فذكره، قال: وزاد غيره: وكان في وجهه ثالول، فقال: ولا يموت حتى يذهب الثالول من وجهه، فلم يمت حتى ذهب الثالول من وجهه وهذا إسناد على شرط السنن، ولم يخرجوه. ورواه البيهقي عن الحاكم عن محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى عن الفضل بن محرز الشعراني، حدثنا حيوة بن شريح عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني عن أبيه عن عبد الله بن بسر، أن رسول الله ﷺ قال له: يعيش هذا الغلام قرناً، فعاش مائة سنة. قال الواقدي وغير واحد: توفي عبد الله بن بسر بحمص سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين، وهو آخر من بقي من الصحابة بالشام.

الأخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد وإن صحّ فهو الوليد بن يزيد لا الوليد بن عبد الملك

قال يعقوب بن سفيان: حدثني محمد بن خالد بن العباس السكسكي، حدثني الوليد بن مسلم، حدثني أبو عمر الأوزاعي عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: ولد لأخي أم سلمة[١] غلام فسموه الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «**قَدْ جَعَلْتُمْ تُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ فَرَاعِنَتِكُمْ، إنَّه سَيَكُونُ في هٰذِهِ الأمة رجل يقال له الوليد هو أضرُّ على أمتي من فرعون على قومه**».

قال أبو عمر الأوزاعي: فكان الناس يرون أنه الوليد بن عبد الملك، ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد، لفتنة الناس به، حتى خرجوا عليه فقتلوه، وانفتحت على الأمة الفتنة والهرج. وقد رواه البيهقي عن الحاكم، وغيره عن الأصم عن سعيد بن عثمان التنوخي عن بشر بن بكر عن الأوزاعي عن الزهري عن سعيد فذكره ولم يذكر قول الأوزاعي، ثم قال: وهذا مرسل حسن. وقد رواه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم به، وعنده قال الزهري: إن استخلف الوليد بن يزيد، فهو هو، وإلا فهو الوليد بن عبد الملك. وقال نعيم بن حماد: حدثنا هشيم عن أبي حمزة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيَكُونِ رَجُلٌ اسمهُ الوليد، يُسَدُّ بِهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ جَهَنَّمَ وزاويةٌ مِنْ زَوَايَاها**» وهذا مرسل أيضاً.

حديث آخر

قال سليمان بن بلال عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول

---

(١) في التيمورية: أم سليم.

الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلاً، اتَّخَذُوا دِينَ الله دَغَلاً[١]، وعبادَ الله خَـوَلاً، ومَالَ الله دُوَلاً» رواه البيهقي من حديثه، وقال أبو نعيم بن حماد: حدثنا بقية بن الوليد وعبد القدوس عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذَا بَلَغَتْ بنو أميّةَ أربعين، اتخذوا عبادَ الله خَولاً، وَمَالَ الله نحلا[٢]، وكتابَ الله دَغَلاً» وهذا منقطع بين راشد بن سعد وبين أبي ذر. وقال إسحاق بن راهويه: أخبرنا جرير عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا بَلَغَ بنو أبي العاص ثلاثينَ رجلاً اتخذوا دين الله دَغَلاً، ومالَ الله دُوَلاً، وعبادَ الله خَوَلاً» ورواه أحمد عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير به.

وقال البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا بسام ـ وهو محمد بن غالب ـ، حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل أن ابن وهب أخبره أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان فدخل عليه مروان فكلمه في حاجته فقال: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين، فوالله إن مؤنتي لعظيمة، وإني لأبو عشرة، وعم عشرة، وأخو عشرة، فلما أدبر مروان ـ وابن عباس جالس مع معاوية على السرير ـ قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا بَلَغَ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مالَ الله بَيْنَهُمْ دُوَلاً، وَعِبادَ الله خَوَلاً، وكتابَ الله دَغَلاً، فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة، كان هَلاكُهُمْ أَسْرَعَ مِنْ لَوْكِ تَمْرَةٍ» فقال ابن عباس: اللهمَّ نعم، قال: وذكر مروان حاجة له فرد مروان عبد الملك إلى معاوية فكلمه فيها، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال: أبو الجبابرة الأربعة؟ فقال ابن عباس: اللهم نعم. وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة، وابن لهيعة ضعيف.

وقد قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: حدثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا سعد بن زيد، أخو حماد بن زيد، عن علي بن الحكم البناني عن أبي الحسن عن عمرو بن مرة، وكانت له صحبة، قال: جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن النبي ﷺ. فعرف كلامه فقال: ائذنوا له، حية، أو ولد حية، عليه لعنة الله، وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين، وقليل ما هم، ليترفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.

قال الدارمي: أبو الحسن هذا حمصي، وقال نعيم بن حماد في الفتن والملاحم: حدثنا عبد الله بن مروان المرواني عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد أن مروان بن الحكم لما ولد دُفع إلى النبي ﷺ ليدعو له، فأبى أن يفعل ثم قال: «ابْنُ الزَّرْقَاءِ، هلاكُ أُمَّتي على يَدَيْهِ وَيَدَيْ ذُرِّيَّتِهِ» وهذا حديث مرسل.

---

(١) دغل دغلاً: دخل دخول المريب.
(٢) خول تخويلاً: المال، تكرم به.
(٣) نحل نحولاً: تبرع له بشيء.

ذكر الإخبار عن خلفاء بني أمية جملة من جملة

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا أحمد بن محمد أبو محمد الزرقيّ، ثنا الزنجيّ - يعني مسلم بن خالد - عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت في المنام بَني الحَكَم - أو بَني أبي العاص - يَنزُونَ عَلَى مِنبَرِي كما تَنزُو القِرَدَةُ»، قال: فما رآني رسولُ الله مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي.

وقال الثوري: عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية على منابرهم فساءه ذلك، فأوحى إليه: إنَّمَا هِيَ دُنْيَا أُعْطُوها فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ وهي قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] يعني بلاء للناس. عليّ بن زيد بن جدعان ضعيف، والحديث مرسل أيضاً.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا القاسم بن الفضل - هو الحدائي - ثنا يوسف بن مازن الراسي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية، فقال يا مسود وجوه المؤمنين، فقال الحسن: لا تؤنبني رحمك الله، فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً، فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ [الكوثر: ١] - يعني نهراً في الجنة - ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ② لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③﴾ [القدر: ١، ٣] يملكه بنو أمية. قال القاسم: فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً.

وقد رواه الترمذي وابن جرير الطبري، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في دلائل النبوة، كلهم من حديث القاسم بن الفضل الحذاء، وقد وثقه يحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي، عن يوسف بن سعد، ويقال: يوسف بن مازن الراسبي، وفي رواية ابن جرير عيسى بن مازن قال الترمذي: وهو رجل مجهول، وهذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، فقوله: إن يوسف هذا مجهول، مشكل، والظاهر أنه أراد أنه مجهول الحال، فإنه قد روى عنه جماعة، منهم حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد، وقال يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عنه قال: هو ثقة، فارتفعت الجهالة عنه مطلقاً، قلت: ولكن في شهوده قصة الحسن ومعاوية نظر، وقد يكون أرسلها عمن لا يعتمد عليه، والله أعلم، وقد سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي رحمه الله عن هذا الحديث فقال: هو حديث منكر وأما قول القاسم بن الفضل رحمه الله: إنه حسب دولة بني أمية فوجدها ألف شهر، لا تزيد يوماً ولا تنقصه، فهو غريب جداً، وفيه نظر، وذلك لأنه لا يمكن إدخال دولة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت ثنتا عشرة سنة، في هذه المدة، لا من حيث الصورة ولا من حيث المعنى وذلك أنها ممدوحة لأنه أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون. وهذا الحديث إنما سيق لذم دولتهم، وفي دلالة الحديث على الذم نظر وذلك أنه دل على أن ليلة القدر خير من ألف شهر التي هي دولتهم، وليلة القدر ليلة خيرة عظيمة المقدار والبركة، كما وصفها الله تعالى به، فما يلزم من تفضيلها على دولتهم ذم دولتهم، فليتأمل هذا فإنه دقيق يدل على أن الحديث في صحته

نظر، لأنه إنما سبق لذم أيامهم والله تعالى أعلم. وأما إذا أراد أن ابتداء دولتهم منذ ولي معاوية حين تسلمها من الحسن بن علي، فقد كان ذلك سنة أربعين، أو إحدى وأربعين، وكان يقال له عام الجماعة، لأن الناس كلهم اجتمعوا على إمام واحد.

وقد تقدم الحديث في صحيح البخاري عن أبي بكرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي: «إنَّ ابنِي هٰذا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فئتينِ عَظيمتينِ مِنَ المسلمينَ». فكان هذا في هذا العام. ولله الحمد والمنة. واستمر الأمر في أيدي بني أمية من هذه السنة إلى سنة ثنتين وثلاثين ومائة، حتى انتقل إلى بني العباس كما سنذكره، ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة، وهذا لا يطابق ألف شهر، لأن معدل ألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فإن قال: أنا أخرج منها ولاية ابن الزبير وكانت تسع سنين، فحينئذ يبقى ثلاث وثمانون سنة، فالجواب أنه وإن خرجت ولاية ابن الزبير، فإنه لا يكون ما بقي مطابقاً لألف شهر تحديداً، بحيث لا ينقص يوماً ولا يزيده، كما قاله، بل يكون ذلك تقريباً، هذا وجه، الثاني أن ولاية ابن الزبير كانت بالحجاز والأهواز والعراق في بعض أيامه، وفي مصر في قول، ولم تنسلب يد بني أمية من الشام أصلاً، ولا زالت دولتهم بالكلية في ذلك الحين، الثالث أن هذا يقتضي دخول دولة عمر بن عبد العزيز في حساب بني أمية، ومقتضى ما ذكره أن تكون دولته مذمومة، وهذا لا يقوله أحد من أئمة الإسلام، وإنهم مصرحون بأنه أحد الخلفاء الراشدين، حتى قرنوا أيامه تابعة لأيام الأربعة، وحتى اختلفوا في أيهما أفضل؟ هو أو معاوية بن أبي سفيان أحد الصحابة وقد قال أحمد بن حنبل: لا أرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، فإذا علم هذا، فإن أخرج أيامه من حسابه انخرم حسابه، وإن أدخلها فيه مذمومة، خالف الأئمة، وهذا ما لا محيد عنه. وكل هذا مما يدل على نكارة هذا الحديث والله أعلم.

وقال نعيم بن حماد: حدثنا سفيان عن العلاء بن أبي العباس، سمع أبا الطفيل، سمع علياً يقول: لا يزال هذا الأمر في بني أمية ما لم يختلفوا بينهم. حدثنا ابن وهب عن حرملة بن عمران عن سعد بن سالم عن أبي سالم الجيشاني سمع علياً يقول: الأمر لهم حتى يقتلوا قتيلهم، ويتنافسوا بينهم، فإذا كان ذلك بعث الله عليهم أقواماً من المشرق يقتلوهم بدداً ويحصروهم عدداً، والله لا يملكون سنة إلا ملكنا سنتين، ولا يملكون سنتين إلا ملكنا أربعاً.

وقال نعيم بن حماد: حدثنا الوليد بن مسلم عن حصين بن الوليد عن الزهري بن الوليد سمعت أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول: إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً، ما لم تزل طاعة يستخف بها، ودم مسفوك بغير حق - يعني الوليد بن يزيد - ومثل هذه الأشياء إنما تقال عن توقيف.

الإخبار عن دولة بني العباس (وكان ظهورهم من خراسان في سنة ثنتين وثلاثين ومائة)

قال يعقوب بن سفيان: حدثني محمد بن خالد بن العباس، حدثنا الوليد بن مسلم،

حدثني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام المعيطي عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال: قدم عبد الله بن عباس على معاوية وأنا حاضر، فأجازه فأحسن جائزته، ثم قال: يا أبا العباس هل لكم دولة؟ فقال: اعفني يا أمير المؤمنين، فقال: لتخبرني، قال: نعم، فأخبره، قال: فمن أنصاركم؟ أهل خراسان، ولبني أمية من بني هاشم بطحات. رواه البيهقي، وقال ابن عدي: سمعت ابن حماد، أخبرنا محمد بن عبده بن حرب، ثنا سويد بن سعيد، أنا حجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: مررت بالنبي ﷺ وإذا معه جبريل، وأنا أظنه دحية الكلبي، فقال جبريل للنبيّ ﷺ إنه لوسخ الثياب وسيلبس ولده من بعده السواد، وذكر تمام الحديث في ذهاب بصره، ثم عوده إليه قبل موته. قال البيهقي: تفرّد به حجاج بن تميم وليس بالقويّ. وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، ثنا أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر محمد بن أحمد وأبو بكر بن بالويه في آخرين قالوا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا يحيى بن معين، ثنا عبيد الله أحمد بن أبي قرة، ثنا الليث بن سعيد عن أبي فضيل عن أبي ميسرة مولى العباس قال: سمعت العباس قال: «كنت عند النبيّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقالَ: «**انْظُرْ هَلْ تَرَى في السَّمَاء مِنْ شَيْءٍ؟** قلتُ: نَعَمْ، قالَ: **ما تَرَى؟** قلت: الثريا، قال: **أما إنَّهُ سَيَمْلِكُ هٰذِهِ الأمَّة بِعَدَدِهَا مِنْ صُلْبِكَ**». قال البخاري: عبيد بن أبي قرة بغدادي سمع الليث، لا يتابع على حديثه في قصة العباس.

وروى البيهقي من حديث محمد بن عبد الرحمن العامري ـ وهو ضعيف ـ عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة: «أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال للعباس: «**فِيكُمُ النُّبُوَّةَ وفِيكُمُ الملكُ**». وقال أبو بكر بن خيثمة: ثنا يحيى بن معين، ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي معبد قال: قال ابن عباس: كما فتح الله بأولنا فأرجو أن يختمه بنا. هذا إسناد جيد، وهو موقوف على ابن عباس من كلامه. وقال يعقوب بن سفيان: حدثني إبراهيم بن أيوب، ثنا الوليد، ثنا عبد الملك بن حميد عن أبي عتبة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عباس ونحن نقول: اثنا عشر أميراً واثنا عشر أميراً، ثم هي الساعة، فقال ابن عباس: ما أحمقكم؟! إن منا أهل البيت بعد ذلك، المنصور، والسفاح، والمهدي، يرفعها إلى عيسى ابن مريم. وهذا أيضاً موقوف، وقد رواه البيهقي من طريق الأعمش عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً: منا السفاح، والمنصور، والمهدي. وهذا إسناد ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح، فهو منقطع والله أعلم.

وقد قال عبد الرزاق عن الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة بن أبي أسماء عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقتلُ عند كيركم هٰذِهِ ثلاثةٌ كُلُّهُمْ وَلَدُ خَلِيفَةٍ، لا يصيرُ إلى واحدٍ منهم، ثم تُقبلُ الرّاياتُ السُّودُ من خُرَاسانَ فيقتلونهم مقتلةً لم يَرَوْا مِثْلَهَا، ثم يجيءُ خليفة الله المهدي، فإذا سمعتم فأتوه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي**». أخرجه ابنُ ماجه عن أحمد بن يوسف السلمي، ومحمد بن يحيى الذهلي، كلاهما عن عبد الرزاق به، ورواه البيهقي من طرق عن عبد الرزاق، ثم قال: تفرد به عبد الرزاق.

قال البيهقي: ورواه عبد الوهاب بن عطاء عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أسماء موقوفاً. ثم قال البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا محمد بن غالب، ثنا كثير بن يحيى، ثنا شريك عن علي بن زيد عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أقبلت الرايات السود من عقب خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي»**. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا عبد الله بن داهر الرازي، حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ ذكر فتية من بني هاشم، فأغر ورقت عيناه، وذكر الرايات، قال: فمن أدركها فليأتها ولو حبواً على الثلج. ثم قال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الحاكم إلا ابن أبي ليلى، ولا نعلم يروى إلا من حديث داهر بن يحيى، وهو من أهل الرأي صالح الحديث، وإنما يعرف من حديث يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو هشام بن يزيد بن رفاعة، ثنا أبو بكر بن عياش، ثنا يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تجيء راياتٌ سودٌ من قبلِ المشرق، تخوضُ الخيلُ الدمَ إلى أن يُظْهِرُوا العَدْلَ ويطلبونَ العَدْلَ فلا يُعْطَونَهُ، فيظهرونَ فيطلبُ منهمُ العَدْلُ فلا يُعْطُونَهُ»**. وهذا إسناد حسن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غيلان، وقتيبة بن سعيد، قالا: ثنا رشدين بن سعد، قال يحيى بن غيلان في حديثه قال: حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة ـ هو ابن ذؤيب الخزاعي ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«يَخرُجُ مِنْ خُرَاسانَ راياتٌ لا يَرُدُّها شيءٌ حتى تنصبَ بإيلياء»**[1]. وقد رواه الترمذي عن قتيبة به وقال: غريب، ورواه البيهقي والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود عن رشد بن سعد، وقال البيهقي: تفرد به رشدين بن سعد، وقد روى قريب من هذا عن كعب الأحبار ولعله أشبه والله أعلم. ثم روي من طريق يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد عن أبي المغيرة عبد القدوس عن إسماعيل بن عياش عمن حدثه عن كعب الأحبار قال: تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وكل عدو لهم. وقال الإمام أحمد: ثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَخرُجُ عندَ انقطاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَظُهُورٍ مِنَ الفِتَنِ، رَجُلٌ يقالُ له السَّفاحُ، فيكونُ إعطاؤه المالَ حَثْواً»**[2]. ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الصمد عن أبي عوانة عن الأعمش به، وقال فيه يخرج رجل من أهل بيتي يقال له السفاح، فذكره، وهذا الإسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه. فهذه الأخبار في خروج الرايات السود من خراسان وفي ولاية السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وقد وقعت ولايته في حدود سنة ثلاثين ومائة، ثم ظهر بأعوانه ومعهم الرايات السود، وشعارهم السواد، كما دخل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٨٠، وفيه «حثياً» بدا «حثواً».

رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وعلى رأسه المغفر وفوقه عمامة سوداء، ثم بعث عمه عبد الله لقتال بني أمية، فكسرهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهرب من المعركة آخر خلفائهم، وهو مروان بن محمد بن مروان ويلقب بمروان الحمار، ويقال له مروان الجعدي، لاشتغاله على الجعد بن درهم فيما قيل، ودخل عمه دمشق واستحوذ على ما كان لبني أمية من الملك والأملاك والأموال، وجرت خطوب كثيرة سنوردها مفصلة في موضعها إن شاء الله تعالى. وقد ورد عن جماعة من السلف في ذكر الرايات السود التي تخرج من خراسان بما يطول ذكره، وقد استقصى ذلك نعيم بن حماد في كتابه، وفي بعض الروايات ما يدل على أنه لم يقع أمرها بعد، وأن ذلك يكون في آخر الزمان، كما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تكون الدنيا لِلُكعِ بْنِ لُكَعٍ**» قال أبو معمر: هو أبو مسلم الخراساني - يعني الذي أقام دولة بني العباس - والمقصود أنه تحولت الدولة من بني أمية إلى بني العباس في هذه السنة، وكان أول قائم منهم أبو العباس السفاح، ثم أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور باني مدينة السلام، ثم من بعده ابنه المهدي محمد بن عبد الله، ثم من بعده ابنه الهادي، ثم ابنه الآخر هارون الرشيد، ثم انتشرت الخلافة في ذريته على ما سنفصله إذا وصلنا إلى تلك الأيام. وقد نطقت هذه الأحاديث التي أوردناها آنفاً بالسفاح والمنصور والمهدي، ولا شكَّ أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس، ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره، وأنه يكون في آخر الزمان، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، وقد أفردنا للأحاديث الواردة فيه جزءاً على حدة، كما أفرد له أبو داود كتاباً في سننه، وقد تقدم في بعض هذه الأحاديث آنفاً أنه يسلم الخلافة إلى عيسى ابن مريم إذا نزل إلى الأرض، والله أعلم. وأما السفاح فقد تقدم أنه يكون في آخر الزمان، فيبعد أن يكون هو الذي بويع أول خلفاء بني العباس فقد يكون خليفة آخر، وهذا هو الظاهر، فإنه قد روى نعيم بن حماد عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري. عن قدوم الحميري سمع نفيع بن عامر يقول: يعيش السفاح أربعين سنة اسمه في التوراة طائر السماء قلت: وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر في آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لإقامة العدل، ونشر القسط، وتكون الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صحت هي التي تكون مع المهدي، ويكون أول ظهور بيعته بمكة، ثم تكون أنصاره من خراسان، كما وقع قديماً للسفاح، والله تعالى أعلم. هذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ذكر الإخبار عن الأئمة الاثني عشر الذين كلهم من قريش

وليسوا بالاثني عشر الذين يدعون إمامتهم الرافضة، فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يل أمور الناس منهم إلا علي بن أبي طالب وابنه الحسن، وآخرهم في زعمهم المهدي المنتظر في

زعمهم بسرداب سامرا وليس له وجود، ولا عين، ولا أثر، بل هؤلاء من الأئمة الاثني عشر المخبر عنهم في الحديث، الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا خلاف بين الأئمة على كلا القولين لأهل السنة في تفسير الاثني عشر كما سنذكره بعد إيراد الحديث.

ثبت في صحيح البخاري من حديث شعبة، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة، كلاهما عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يكونُ اثنا عَشَرَ خليفةً**»، ثم قال كلمة لم أسمعها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**». وقال أبو نعيم بن حماد في كتاب الفتن والملاحم: حدثنا عيسى بن يونس، ثنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَكُونُ بَعْدِي من الخلفاءِ عدةُ أَصْحَابِ موسَى**». وقد روي مثل هذا عن عبد الله بن عمر وحذيفة وابن عباس وكعب الأحبار من قولهم.

وقال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا مروان بن معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً حتى يكون عليهم اثنا عشرَ خليفةً أو أميراً كلهم يجتمعُ عليهم الأمة**»، وسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه، فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: يقول: «**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**».

وقال أبو داود أيضاً: ثنا ابن نفيل، ثنا زهير بن معاوية، ثنا زياد بن خيثمة، حدثنا الأسود بن سعيد الهمداني عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَزَالُ هٰذِهِ الأمةُ مستقيماً أَمْرُهَا، ظاهرةً على عَدُوِّها، حتى يمضي اثنا عشر خليفة كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**»، قال: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «**ثُمَّ يكونُ الهرجُ**». قال البيهقي: ففي الرواية الأولى بيان العدد، وفي الثانية بيان المراد بالعدد، وفي الثالثة بيان وقوع الهرج و هو القتل بعدهم، وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة كما أخبر في هذه الرواية، ثم ظهر ملك العباسية، كما أشار إليه في الباب قبله، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه. وقد قال النبي ﷺ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ في قريش ما بقيَ في الناس اثنان**». ثم ساقه من حديث عاصم بن محمد عن أبيه عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ فذكره. وفي صحيح البخاري من طريق الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الأمْرَ في قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أحدٌ إلا كَبَّهُ اللَّهُ على وَجْهِهِ ما أقامُوا الدِّينَ**». قال البيهقي: أي أقاموا معالمه وإن قصروا هم في أعمال أنفسهم، ثم ساق أحاديث يقتضي ما ذكره في هذا والله أعلم. فهذا الذي سلكه البيهقي وقد وافقه عليه جماعة، من أن المراد بالخلفاء الاثني عشر المذكورين في هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنه مسلك فيه نظر، وبيان ذلك أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، خلافتهم محققة بنص حديث سفينة: الخلافة

بعدي ثلاثون سنة. ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع، لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلح هو ومعاوية، كما دل عليه حديث أبي بكرة في صحيح البخاري، ثم معاوية، ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم ابنه عبد الملك بن مروان، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإن اعتبرنا ولاية الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، فهذا الذي سلكه على هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه، وعدُّوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبة على عدله، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام حتى الرافضة يعترفون بذلك، فإن قال: أنا لا أعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه، لزمه على هذا القول أن لا يعد علي بن أبي طالب ولا ابنه، لأن الناس لم يجتمعوا عليهما، وذلك أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما، وعد حبيب معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير، كأن الأمة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاداً للخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان ثم معاوية ثم يزيد بن معاوية ثم عبد الملك ثم الوليد بن سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام فهؤلاء عشرة، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ولكن هذا لا يمكن أن يسلك، لأنه يلزم منه إخراج علي وابنه الحسن من هؤلاء الاثني عشر وهو خلاف ما نص عليه أئمة السنة بل والشيعة، ثم هو خلاف ما دل عليه نصاً حديث سفينة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الخلافةُ بعدي ثلاثونَ سَنَةً، ثم تكون مُلْكاً عَضُوضاً**». وقد ذكر سفينة تفصيل [هذه الثلاثين سنة][1] فجمعها من خلافة الأربعة، وقد بينا دخول خلافة الحسن وكانت نحواً من ستة أشهر فيها أيضاً، ثم صار الملك إلى معاوية لما سلم الأمر إليه الحسن بن علي، وهذا الحديث فيه المنع من تسمية معاوية خليفة، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنة لا مطلقاً، بل انقطع تتابعها، ولا ينفي وجود خلفاء راشدين بعد ذلك، كما دل عليه حديث جابر بن سمرة. وقال نعيم بن حماد: حدثنا راشد بن سعد عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حذيفة بن اليمان قال: يَكُونُ بَعْدَ عثمانَ اثنا عشر ملكاً من بني أمية، قيل له: خلفاء؟ قال لا بل ملوك.

وقد روى البيهقي من حديث حاتم بن صفرة عن أبي بحر قال: كان أبو الجلد جاراً لي، فسمعته يقول يحلف عليه: أن هذه الأمة لن تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجلان من أهل البيت، أحدهما يعيش أربعين سنة، والآخر ثلاثين سنة. ثم شرع البيهقي في رد ما قاله أبو الجلد بما لا يحصل به الرد، وهذا عجيب منه، وقد وافق أبا الجلد طائفة من العلماء، ولعل قوله أرجح لما ذكرنا وقد كان ينظر في شيء من الكتب المتقدمة، وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: إن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل،

(١) سقط في ط.

وإنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً. قال شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية: وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة، وقرر أنهم يكونون مفرقين في الأمة، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا، وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم.

وقد قال نعيم بن حماد: حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن أبي المنهال عن أبي زياد عن كعب قال: إن الله وهب لإسماعيل من صلبه اثني عشر قيماً، أفضلهم أبو بكر وعمر وعثمان. وقال نعيم: حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن يحيى بن عمرو الشيباني قال: ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ذكر الإخبار عن أمور وقعت في دولة بني العباس

فمن ذلك حدثنا أبو جعفر عبد الله ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس الخليفة بعد أخيه الخليفة السفاح وهو المنصور الباني لمدينة بغداد، في سنة خمس وأربعين ومائة.

قال نعيم بن حماد في كتابه: عن أبي المغيرة عن أرطأة بن المنذر عمن حدثه عن ابن عباس أنه أتاه رجل وعنده حذيفة فقال: يا ابن عباس قوله حمعسق. فأطرق ساعة وأعرض عنه، ثم كررها فلم يجبه بشيء، فقال له حذيفة: أنا أنبئك، وقد عرفت لم كررها، إنما نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله، أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شَقّاً، يجتمع فيهما كل جبار عنيد. وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجد الحوطي، ثنا أبو المغيرة، ثنا عبد الله بن السمط، ثنا صالح بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**لأنْ يُرَبِّي أحَدُكُمْ بعدَ أرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ومائةٍ جَرْوَ كَلْبٍ، خيْرٌ مِنْ أنْ يُرَبِّي وَلَداً لِصُلْبِهِ**». قال شيخنا الذهبي: هذا الحديث موضوع، واتهم به عبد الله بن السمط هذا. وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، في كتابه الفتن والملاحم: حدثنا أبو عمرو البصري عن أبي بيان المعافري عن بديع عن كعب قال: إذا كانت سنة ستين ومائة انتقص فيها حلم ذوي الأحلام، ورأي ذوي الرأي.

حديث آخر فيه إشارة إلى مالك بن أنس الإمام رحمه الله

روى الترمذي من حديث ابن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رواية: يوشك أن يضرب الناسُ أكبادَ الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة. ثم قال: هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة، وقد روي عنه أنه قال: هو مالك بن أنس، وكذا قال عبد الرزاق، قلت: وقد توفي مالك رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة.

حديث آخر فيه إشارة إلى محمد بن إدريس الشافعي

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا جعفر بن سليمان عن النضر بن معبد الكندي أو العبدي عن الجارود عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً، اللهمَّ إنك أذقت أولها وبالاً، فأذق آخرها نوالاً**». وقد رواه الحاكم

من طريق أبي هريرة، قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: وهو الشافعي، قلت: وقد توفي الشافعي رحمه الله في سنة أربع ومائتين وقد أفردنا ترجمته في مجلد وذكرنا معه تراجم أصحابه من بعده.

حديث آخر

روى رواد بن الجراح عن سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة مرفوعاً: **«خيركم بعدَ المائتين خَفِيفُ الحاذ، قالوا: وما خفيفُ الحاذِ يا رسول الله؟ قال: مَنْ لا أهَلَ لَهُ ولا مالَ ولا وَلَدَ».**

حديث آخر

قال ابن ماجه: ثنا الحسن بن علي الخلال، ثنا عون بن عمارة، ثني عبد الله بن المثنى، ثنا ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أبيه عن جده أنس بن مالك عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: الآيات بعد المائتين.

وحدثنا نصر بن علي الجهضمي، ثنا نوح بن قيس، ثنا عبد الله بن معقل عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: **«أمتي على خمس طبقات، فأربعون سنة أهل بر وتقوى، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل، ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة، أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج الهرج النجاء النجاء».**

وحدثنا نصر بن علي، **حدثنا** حازم أبو محمد العنزي، **حدثنا** المسور بن الحسن عن أبي معن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمتي على خَمْسِ طبقاتٍ كُلُّ طبقةٍ أربعون عاماً، فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهلُ علم وإيمان، وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين، فأهلُ برٍّ وتَقْوَى»** ثم ذكره نحوه. هٰذا لفظه وهو حديث غريب من هٰذين الوجهين، ولا يخلو عن نكارة والله أعلم. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع بن الأعمش، حدثنا هلال بن بيان عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: **«خَيرُ النَّاسِ قَرْنِي ثم الذينَ يَلُونَهُمْ ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثم يَجيءُ قومٌ يَتَسَمَّنُونَ يُحِبُّونَ السِّمَنَ يعطونَ الشهادةَ قبلَ أن يسألوها»**.[1] ورواه الترمذي من طريق الأعمش، وقد رواه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن أبي حمزة عن زهدم بن مضرب سمعت عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير أمتي قرني ثم الذين يَلُونَهُمْ ثم الذين يَلُونَهُمْ - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدونَ، ويخونونَ ولا يُؤتمنونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يوفونَ، ويظهر فيهم السمن»**[2]، لفظ البخاري. وقال البخاري: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: **«خيرُ الناس قرني، ثم الذين يَلُونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثم الذين يَلُونَهُمْ، ثم تَجيءُ قَوْمٌ يَسْبِقُ شهادةَ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ**

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب ١.

وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ قال إبراهيم: **وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار»**[1]. وقد رواه بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق متعددة عن منصور به.

حديث آخر

قال نعيم بن حماد: حدثنا أبو عمرو البصري عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت البناني عن أبيه عن الحارث الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: السابع من ولد العباس يدعو الناس إلى الكفر فلا يجيبوه، [فيقول] له أهل بيته: تريد أن تخرجنا من معايشنا؟ فيقول: إني أسير فيكم بسيرة أبي بكر وعمر، فيأبون عليه فيقتله عدو له من أهل بيته من بني هاشم، فإذا وثب عليه اختلفوا فيما بينهم فذكر اختلافاً طويلاً إلى خروج السفياني. وهذا الحديث ينطبق على عبد الله المأمون الذي دعا الناس إلى القول بخلق القرآن، ووقى الله شرها، كما سنورد ذلك في موضعه، والسفياني رجل يكون آخر الزمان منسوب إلى أبي سفيان يكون من سلالته، وسيأتي في آخر كتاب الملاحم.

حديث آخر

قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا ليث عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه سمعت أبا ثعلبة الخشني صاحب رسول الله ﷺ أنه سمعه يقول وهو بالفسطاط في خلافة معاوية وكان معاوية أغزى الناسَ القسطنطينية فقال: **«واللهِ لا تعجز هذه الأمة من نصف يوم إذا رأيت الشام مائدة رجل واحد وأهل بيته فعند ذلك فتح القسطنطينية»**. هكذا رواه أحمد موقوفاً على أبي ثعلبة، وقد أخرجه أبو داود في سننه من حديث ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَنْ يُعْجِزَ اللّهُ هذهِ الأمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْم»**. تَفَرَّدَ به أبو داود ثم قال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن سريج بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«إنّي لأرْجُو أنْ لا يعجز أمتي عند رَبّها أنْ يُؤَخِّرَهُمْ نِصْفَ يَوْم، قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة»**. تفرد به أبو داود وإسناده جيد، وهذا منّ دلائل النبوة، فإن هذا يقتضي وقوع تأخير الأمة نصف يوم وهو خمسمائة سنة كما فسره الصحابي، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧] ثم هذا الإخبار بوقوع هذه المدة لا ينفي وقوع ما زاد عليها، فأما ما يذكره كثير من الناس من أنه عليه السلام لا يؤلف في قبره، بمعنى لا يمضي عليه ألف سنة من يوم مات إلى حين تقام الساعة، فإنه حديث لا أصل له في شيء من كتب الإسلام، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في الشهادات باب ٩.

حديث آخر

فيه الإخبار عن ظهور النار التي كانت بأرض الحجاز حتى أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، وقد وقع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة.

قال البخاري في صحيحه: ثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري قال: قال سعيد بن المسيب: أخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نارٌ مِنَ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإبلِ بِبُصْرَى**»[١] تفرد به البخاري، وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة.

قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة في تاريخه: إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، وأنها استمرت شهراً وأزيد منه، وذكر كتباً متواترة عن أهل المدينة، في كيفية ظهورها شرق المدينة من ناحية وادي شظا، تلقاء أحد، وأنها ملأت تلك الأودية، وأنه يخرج منها شَرَر يأكل الحجاز، وذكر أن المدينة زلزلت بسببها، وأنهم سمعوا أصواتاً مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أول ذلك مستهلّ الشهر يوم الاثنين، فلم تزل ليلاً ونهاراً حتى ظهرت يوم الجمعة فانبجست تلك الأرض عند وادي شظا عن نار عظيمة جداً صارت مثل طوله أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمقه قامة ونصف، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك، ثم يصير كالفحم الأسود، وذكر أن ضوءها يمتد إلى تيماء بحيث كتب الناس على ضوئها في الليل، وكأنّ في بيت كل منهم مصباحاً، ورأى الناس سناها من مكة شرفها الله، قلت: وأما بصرى فأخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي قاسم التيمي الحنفي قال: أخبرني والدي، وهو الشيخ صفيّ الدين أحد مدرسي بصرى، أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة من كان بحاضرة بلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز، وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أن أهل المدينة لجؤوا في هذه الأيام إلى المسجد النبويّ، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها، واستغفروا عند قبر النبي ﷺ مما سلف منهم وأعتقوا الغلمان، وتصدقوا على فقرائهم ومجاريحهم وقد قال قائلهم في ذلك:
[البحر البسيط]:

يا كاشِفَ الضُّرِّ صَفْحاً عَنْ جَرائِمنا ... فَقَدْ أَحاطَتْ بِنَا يَا رَبّ بَأساءُ
نَشْكُو إِلَيْكَ خُطُوباً لا نُطِيقَ لَها ... حَمْلاً وَنَحْنُ بِهَا حَقّاً أَحِقّاءُ[٢]
زَلازِلٌ تَخْشَعُ الصُّمُّ الصِّلادُ لَها ... وَكَيْفَ تَقْوَى عَلَى الزِّلْزالِ صَمَّاءُ
أَقامَ سَبْعاً يَرُجُّ الأَرْضَ فَانْصَدَعَتْ ... عَنْ مَنْظَرٍ مِنْهُ عَيْنُ الشَّمْسِ عَشْوَاءُ[٣]

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب ٢٥.
(٢) الخطوب: المصائب.
(٣) انصدعت انشقت. وعشواء: لا تبصر أمامها.

بَحرٌ مِنَ النَّارِ تَجرِي فَوْقَهُ سُفُنٌ ... مِنَ الهِضَابِ لَهَا فِي الأَرْضِ إِرْسَاءُ
يُرَى لَهَا شَرَرٌ كَالقَصْرِ طَائِشَةٌ ... كَأَنَّهَا دِيمَةٌ تَنْصَبُّ هَطْلاءُ [1]
تَنْشَقُّ مِنهَا قُلُوبُ الصَّخْرِ إِنْ زَفَرَتْ ... رُعْباً وَتُرْعِدُ مِثْلَ الشُّهْبِ أَضْوَاءُ
مِنْهَا تَكَاثَفَ فِي الجَوِّ الدُّخَانُ إِلى ... أَنْ عَادَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ وَهِيَ دَهْمَاءُ [2]
قَدْ أَثَّرَتْ سفعة فِي البَدْرِ لَفْحَتُهَا ... فَلَيْلَةُ التِّمِّ بَعْدَ النُّورِ لَيْلاءُ [3]
فَيَا لَهَا آيَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُو ... لِ اللَّهِ يَعْقِلُهَا القَوْمُ الأَلِبَّاءُ [4]

ومما قيل في هذه النار مع غرق بغداد في هذه السنة:

سُبْحَانَ مَنْ أَصْبَحَتْ مَشِيئَتُهُ ... جَارِيَةً فِي الوَرَى بِمِقْدَارِ
أَغْرَقَ بَغْدَادَ بِالمِيَاهِ كَمَا ... أَحْرَقَ أَرْضَ الحِجَازِ بِالنَّارِ

حديث آخر

قال الإمام أحمد: ثنا أبو عامر، ثنا أفلح بن سعيد الأنصاري، شيخ من أهل قبا من الأنصار، حدثني عبد الله بن رافع مولى أم سلمة قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنْ طَالَتْ بِكُمْ مُدَّةٌ أوشكَ أَنْ تَرَوْا قَوْماً يغدون في سَخَطِ الله وَيَرُوحُونَ فِي لَعْنَتِهِ، في أيديهم مِثْلُ أذناب البَقَرَ»** ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير عن زيد بن الخباب عن أفلح بن سعيد به، وروى مسلم أيضاً عن زهير بن حرب عن جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»** وهذان الصنفان وهما الجلادون الذين يسمون بالرجالة، والجاندارية، كثيرون في زماننا هذا ومن قبله وقبل قبله بدهر، والنساء الكاسيات العاريات أي عليهن لبس لا يواري سوآتهن، بل هو زيادة في العورة، وإبداء للزينة، مائلات في مشيهن مميلات غيرهن إليهن. وقد عم البلاء بهن في زماننا هذا، ومن قبله أيضاً، وهذا من أكبر دلالات النبوة إذ وقع الأمر في الخارج طبق ما أخبر به عليه السلام، وقد تقدم حديث جابر: «أما إنّها سَتَكُونُ لَكُمْ أَنْمَاطٌ» وذكر تمام الحديث في وقوع ذلك واحتجاج امرأته عليه بهذا.

حديث آخر

روى الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن داود بن أبي هند، وأخرجه البيهقي من حديثه عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن طلحة بن عمرو البصري أنه قدم

(١) القصر: الحطب الغليظ. وهطلاء: ممطرة. (٢) دهماء: مسودّة.
(٣) ليلة ليلاء: شديدة الظلمة. (٤) الألبّاء: العقلاء.

المدينة على رسول الله ﷺ فبينما هو يصلي إذ أتاه رجل فقال: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتحرقت عنا الجيف، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَصَاحِبِي وَمَا لَنَا طَعَامٌ غَيْرُ البَرِيرِ**[١] **حَتَّى أَتَيْنَا إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ فَآسَوْنَا مِنْ طَعَامِهِمْ وَكَانَ طَعَامُهُمْ التَّمْرَ، وَالَّذِي لا إِلٰه إلاَّ هُوَ لَوْ قَدَرْتُ لَكُمْ عَلَى الخُبْزِ وَالتَّمْرِ لأَطْعَمْتُكُمُوهُ، وَسَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ أَوْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ يَلْبَسُونَ مِثْلَ أَسْتَارِ الكَعْبَةِ، وَيُغْدَى وَيُرَاحُ عَلَيْكُمْ بِالجِفَانِ»** قالوا: يا رسول الله أنحن يومئذ خير أم اليوم؟ قال: **«بَلْ أَنْتُمْ اليَوْمَ خَيْرٌ، أَنْتُمُ اليَوْمَ إِخْوَانٌ، وَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»** وقد روى سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن أبي موسى بحلس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مشت أمتي المطيطا[٢] وخدمتهم فارسُ والرومُ، سَلَّطَ الله بَعْضَهُمْ على بَعْض». وقد أسنده البيهقي من طريق موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ.

حديث آخر

قال أبو داود: ثنا سليمان بن داود المهري. ثنا ابن وهب، ثنا سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن زيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله ﷺ: **«أن الله يبعثُ لهذهِ الأمَةِ على رَأسِ كُلِّ مائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها أَمْرَ دِينِها»** قال أبو داود: عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يحدثه شراحيل. تفرد به أبو داود، وقد ذكر كل طائفة من العلماء في رأس كل مائة سنة عالماً من علمائهم ينزلون هذا الحديث عليه، وقال طائفة من العلماء هل الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف كما جاء في الحديث من طرق مرسلة وغير مرسلة: «يَحْمِلُ هٰذا العلمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ» وهذا موجود ولله الحمد [والمنة] إلى زماننا هذا، ونحن في القرن الثامن، والله المسؤول أن يختم لنا بخير وأن يجعلنا من عباده الصالحين، ومن ورثة جنة النعيم آمين آمين يا رب العالمين.

وسيأتي الحديث المخرج من الصحيح: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ»** وفي صحيح البخاري «وَهُمْ بِالشَّام» وقد قال كثير من علماء السلف: إنهم أهل الحديث وهذا أيضاً من دلائل النبوة فإن أهل الحديث بالشام أكثر من سائر أقاليم الإسلام، ولله الحمد، ولا سيما بمدينة دمشق حماها الله وصانها، كما ورد في الحديث الذي سنذكره أنها تكون معقل المسلمين عند وقوع الفتن، وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان «أن رسول الله ﷺ أخبر عن عيسى ابن مريم أنه» ينزل من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق ولعل أصل لفظ الحديث على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق وقد بلغني أنه كذلك في بعض الأجزاء ولم أقف عليه إلى الآن والله الميسر، وقد جددت هذه المنارة البيضاء الشرقية بجامع دمشق بعد ما أحرقها النصارى من أيامنا هذه بعد سنة أربعين

(١) البرير: الأول من ثمر الأراك. (٢) المطيطا: التبختر في المشي.

وسبعمائة فأقاموها من أموال النصارى مقاصَّة على ما فعلوا من العدوان وفي هذا حكمة عظيمة وهو أن ينزل على هذه المبنية من أموالهم عيسى ابن مريم نبي الله فيكذبهم فيما افتروه عليه من الكذب عليه وعلى الله ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية أي يتركها ولا يقبل من أحد منهم ولا من غيرهم إلا الإسلام، يعني أو يقتله وقد أخبر بهذا عنه رسول الله ﷺ وقرره عليه وسوغه له صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان.

باب

البينة على ذكر معجزات لرسول الله ﷺ مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله، وأعلى منها، خارجة عما اختص به من المعجزات العظيمة التي لم يكن لأحد قبله منهم عليهم السلام.

فمن ذلك القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فإنه معجزة مستمرة على الآباد، ولا يخفى برهانها، ولا يتفحص مثلها، وقد تحدى به الثقلين من الجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك كما تقدم تقرير ذلك في أول كتاب المعجزات، وقد سبق الحديث المتفق على إخراجه في الصحيحين من حديث الليث بن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة». والمعنى أن كل نبي أوتي من خوارق المعجزات ما يقتضي إيمان من رأى ذلك من أولى البصائر والنهى، لا من أهل العناد والشقاء، وإنما كان الذي أوتيته، أي جله وأعظمه وأبهره، القرآن الذي أوحاه الله إليّ، فأنه لا يبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم، فلا تشاهد، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد، بخلاف القرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه، مستمرة دائمة البقاء بعده، مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد.

وقد تقدم في الخصائص ذكر ما اختص به رسول الله ﷺ عن بقية إخوانه من الأنبياء عليهم السلام، كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فأيما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ وَلَمْ تُحلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتَ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**» وقد تكلمنا على ذلك وما شاكله فيما سلف بما أغنى عن إعادته ولله الحمد. وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي من معجزة لخاتمهم محمد ﷺ وذلك أن كلاً منهم يبشر بمبعثه، وأمر بمتابعته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]

وقد ذكر البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**مَا بَعَثَ الله نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَتْبَعَنَّهُ وَلَيَنْصُرَنَّهُ**». وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء، لأن الولي إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه، وثواب إيمانه. والمقصود أنه كان الباعث لي على عقد هذا الباب أني وقفت على مولد اختصره من سيرة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيرهما شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي الأنصاري السماكي، نسبه إلى أبى دجانة الأنصاري سماك بن حرب بن حرشة الأوسي، رضي الله عنه، شيخ الشافعية في زمانه بلا مدافعة، المعروف بابن الزملكاني عليه رحمة الله، وقد ذكر في أواخره شيئاً من فضائل رسول الله ﷺ، وعقد فصلاً في هذا الباب فأورد فيه أشياء حسنة، ونبه على فوائد جمة، وفوائد مهمة، وترك أشياء أخرى حسنة، ذكرها غيره من الأئمة المتقدمين، ولم أره استوعب الكلام إلى آخره، وفأما أنه قد سقط من خطه، أو أنه لم يكمل تصنيفه، فسألني بعض أهله من أصحابنا ممن تتأكد إجابته، وتكرر ذلك منه، في تكميله وتبويبه وترتيبه، وتهذيبه، والزيادة عليه والإضافة إليه، فاستخرت الله حيناً من الدهر، ثم نشطت لذلك ابتغاء الثواب والأجر، وقد كنت سمعت من شيخنا الإمام العلامة الحافظ، أبي الحجاج المزي تغمده الله برحمته، أن أول من تكلم في هذا المقام الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وقد روى الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه دلائل النبوة، عن شيخه الحاكم أبي عبد الله، أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن، أنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي عن أبيه، قال عمر بن سوار: قال الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمداً ﷺ الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حين بنى له المنبر حنّ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك، هذا لفظه رضي الله عنه. والمراد من إيراد ما نذكره في هذا الباب، البينة على ما أعطى الله أنبياءه عليهم السلام من الآيات البينات، والخوارق القاطعات، والحجج الواضحات، وأن الله جمع لعبده ورسوله سيد الأنبياء وخاتمهم من جميع أنواع المحاسن والآيات، مع ما اختصه الله به مما لم يؤت أحداً قبله، كما ذكرنا في خصائصه وشمائله ﷺ، ووقفت على فصل مليح في هذا المعنى، في كتاب دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وهو كتاب حافل في ثلاث في مجلدات، عقد فيه فصلاً في هذا المعنى، وكذا ذكر ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد، في كتابه دلائل النبوة وهو كتاب كبير جليل حافل، مشتمل على فوائد نفيسة. وكذا الصرصري الشاعر يورد في بعض قصائده أشياء من ذلك كما سيأتي. وها أنا أذكر بعون الله مجامع ما ذكرنا من هذه الأماكن المتفرقة بأوجز عبارة، وأقصر إشارة، وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

القول فيما أوتي نوح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ

كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١٠، ١٥] وقد ذكرت القصة مبسوطة في أول هذا الكتاب وكيف دعا على قومه فنجاه الله ومن اتبعه من المؤمنين فلم يهلك منهم أحد، وأغرق من خالفه من الكافرين فلم يسلم منهم أحد حتى ولا ولده. قال شيخنا العلامة أبو المعالي محمد بن علي الأنصاري الزملكاني، ومن خطه نقلت: وبيان أن كل معجزة لنبي فلنبينا أمثالها إذا تم يستدعي كلاماً طويلاً، وتفصيلاً لا يسعه مجلدات عديدة، ولكن ننبه بالبعض على البعض، فلنذكر جلائل معجزات الأنبياء عليهم السلام، فمنها نجاة نوح في السفينة بالمؤمنين، ولا شك أن حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه في السفينة، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء، وفي قصة العلاء بن زياد، صاحب رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك، روى منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له، فنزلنا منزلاً فطلب الماء فلم يجده، فقام وصلى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ به ونشرب، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه، فتوضأنا منه وتزودنا، وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا، فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتي، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم، فقال: يا عليّ يا حكيم، إنا عبيدك وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء، وذكر بقية القصة، فهذا أبلغ من ركوب السفينة، فإن حمل الماء للسفينة معتاد، وأبلغ من فلق البحر لموسى، فإن هناك انحسر الماء حتى مشوا على الأرض، فالمعجز انحسار الماء، وهٰهنا صار الماء جسداً يمشون عليه كالأرض، وإنما هذا منسوب إلى النبي ﷺ وبركته. انتهى ما ذكره بحروفه فيما يتعلق بنوح عليه السلام.

وهذه القصة التي ساقها شيخنا ذكرها الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الدلائل من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا عن أبي كريب عن محمد بن فضيل عن الصلت بن مطر العجلي عن عبد الملك ابن أخت سهم عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي فذكره. وقد ذكرها البخاري في التاريخ الكبير من وجه آخر، ورواها البيهقي من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان مع العلاء وشاهد ذلك، وساقها البيهقي من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله عن عون عن أنس بن مالك قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم، قلنا: ما هن يا أبا حمزة؟ قال: كنا في الصفة عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ، فأضاف المرأة إلى النساء، وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض، فغمضه النبي ﷺ وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسله قال: يا أنس ائت أمه، فأعلمها فأعلمتها، قال: فجاءت حتى جلست عند قدميه، فأخذت بهما ثم قالت: اللهمَّ إني أسلمت لك طوعاً، وخلعت الأوثان، فلا تحمِّلني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله، قال: فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى

قبض الله رسوله ﷺ، وحتى هلكت أمه، قال أنس: ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي، قال أنس: وكنت في غزاته، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعفوا آثار الماء، والحر شديد، فجهدنا العطش ودوابنا، وذلك يوم الجمعة، فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء وما نرى في السماء شيئاً، قال: فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا، قال: ثم أتينا عدونا وقد جاوز خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا عليّ يا عظيم، يا حليم يا كريم، ثم قال: أجيزوا بسم الله، قال: فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه، فقتلنا وأسرنا وسبينا، ثم أتينا الخليج، فقال مثل مقالته، فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ثم ذكر موت العلاء ودفنهم إياه في أرض لا تقبل الموتى، ثم إنهم حفروا عليه لينقلوه منها إلى غيرها فلم يجدوه ثم، وإذا اللحد يتلألأ نوراً، فأعادوا التراب عليه ثم ارتحلوا. فهذا السياق أتم، وفيه قصة المرأة التي أحيى الله لها ولدها بدعائها، وسننبه على ذلك فيما يتعلق بمعجزات المسيح عيسى ابن مريم، مع ما يشابهها إن شاء الله تعالى، كما سنشير إلى قصة العلاء هذه مع ما سنورده معها هٰهنا، فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام، في قصة فلق البحر لبني إسرائيل، وقد أرشد إلى ذلك شيخنا في عيون كلامه.

قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمي

روى البيهقي في الدلائل ـ وقد تقدم ذلك أيضاً ـ من طريق سليمان بن مروان الأعمش عن بعض أصحابه، قال: انتهينا إلى دجلة وهي مادة والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: بسم الله، ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء، فقال الناس: بسم الله، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء، فنظر إليهم الأعاجم وقالوا: ديوان، ديوان، أي مجانين، ثم ذهبوا على وجوههم، قال فما فقد الناس إلا قدحاً كان معلقاً بعذبة سرج، فلما خرجوا أصابوا الغنائم واقتسموا، فجعل الرجل يقول: من يبادل صفراء ببيضاء؟ وقد ذكرنا في السيرة العمرية وأيامها، وفي التفسير أيضاً: أن أول من اقتحم دجلة يومئذ أبو عبيدة النفيعي أمير الجيوش في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه نظر إلى دجلة فتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه، ولما نظر إليهم الأعاجم يفعلون ذلك جعلوا يقولون: ديوان ديوان، أي مجانين مجانين، ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغانم كثيرة.

قصة أخرى شبيهة بذلك

وروى البيهقي من طريق أبي النضر عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي الخشب من مدها فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه، وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله تعالى؟ ثم قال: هذا إسناد صحيح. قلت: وقد ذكر الحافظ الكبير،

أبو القاسم بن عساكر، في ترجمة أبي عبد الله بن أيوب الخولاني هذه القصة بأبسط من هذه من طريق بقية بن الوليد: حدثني محمد بن زياد عن أبي مسلم الخولاني أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال: أجيزوا بسم الله، قال: ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء فما يبلغ من الدواب إلا إلى الركب، أو في بعض ذلك، أو قريباً من ذلك، قال: وإذا جازوا قال للناس: هل ذهب لكم شيءٌ من ذهب له شيء فأنا ضامن، قال: فألقى مخلاة عمداً، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر، قال له: اتبعني، فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر، فقال: خذها. وقد رواه أبو داود من طريق الأعرابي عنه عن عمرو بن عثمان عن بقية به. ثم قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد أن أبا مسلم الخولاني أتى على دجلة وهي ترمي بالخشب من مَدِّها فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر مسير بني إسرائيل في البحر، ثم لهز دابته فخاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا، ثم قال: هل فقدتم شيئاً من متاعكم فأدعو الله أن يرده عليّ؟. وقد رواه ابن عساكر من طريق أخرى عن عبد الكريم بن رشيد عن حميد بن هلال العدويّ: حدثني ابن عمي أخي أبي قال: خرجت مع أبي مسلم في جيش فأتينا على نهر عجاج منكر، فقلنا لأهل القرية: أين المخاضة؟ فقالوا: ما كانت هٰهنا مخاضة ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين، فقال أبو مسلم: اللهم أجزت بني إسرائيل البحر، وإنا عبيدك وفي سبيلك، فأجزنا هذا النهر اليوم، ثم قال: اعبروا بسم الله، قال ابن عمي: وأنا على فرس فقلت: لأدفعنه أول الناس خلف فرسه، قال: فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف وقال: يا معشر المسلمين، هل ذهب لأحد منكم شيء فأدعو الله تعالى يرده؟. فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء، هي معجزات لرسول الله ﷺ كما تقدم تقريره، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته، ويمن سفارته، إذ فيها حجة في الدين، أكيدة للمسلمين، وهي مشابهة لمعجزة نوح عليه السلام في مسيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها، ومعجزة موسى عليه السلام في فلق البحر، وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على الماء القار الذي يجاز، وإن كان ماء الطوفان أطم وأعظم، فهذه خارق، والخارق لا فرق بين قليله وكثيره، فإن من سلك على وجه الماء الخضم الجاري العجاج فلم يبتل منه نعال خيولهم، أو لم يصل إلى بطونها، فلا فرق في الخارق بين أن يكون قامة أو ألف قامة، أو أن يكون نهراً أو بحراً، بل كونه نهراً عجاجاً كالبرق الخاطف والسيل الجاري، أعظم وأغرب، وكذلك بالنسبة إلى فلق البحر، وهو جانب بحر القلزم[1]، حتى صار كل فرق كالطود العظيم، أي الجبل الكبير، فانحاز الماء يميناً وشمالاً حتى بدت أرض البحر، وأرسل الله عليها الريح حتى أيبسها، ومشت الخيول عليها بلا انزعاج، حتى جاوزوا عن آخرهم، وأقبل فرعون بجنوده ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: ٧٨، ٧٩] وذلك أنهم لما

---

(١) بحر القلزم: البحر الأحمر.

توسطوه وهموا بالخروج منه، أمر الله البحر فارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم، فلم يفلت منهم أحد، كما لم يفقد من بني إسرائيل واحد، ففي ذلك آية عظيمة بل آيات معدودات، كما بسطنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة. والمقصود أن ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمي، وأبي عبد الله الثقفي، وأبي مسلم الخولاني، من مسيرهم على تيار الماء الجاري، فلم يفقد منهم أحد، ولم يفقدوا شيئاً من أمتعتهم، هذا وهم أولياء، منهم صحابي وتابعيان فما الظن لو كان الاحتياج إلى ذلك بحضرة رسول الله ﷺ، سيد الأنبياء وخاتمهم، وأعلاهم منزلة ليلة الإسراء، وإمامهم ليلتئذ ببيت المقدس الذي هو محل ولايتهم، ودار بدايتهم، وخطيبهم يوم القيامة، وأعلاهم منزلة في الجنة، وأول شافع في الحشر، وفي الخروج من النار، وفي دخول الجنة، وفي رفع الدرجات بها، كما بسطنا أقسام الشفاعة وأنواعها، في آخر الكتاب في أهوال يوم القيامة، وبالله المستعان. وسنذكر في المعجزات الموسوية ما ورد من المعجزات المحمدية، مما هو أظهر وأبهر منها، ونحن الآن فيما يتعلق بمعجزات نوح عليه السلام، ولم يذكر شيخنا سوى ما تقدم، وأما الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، فإنه قال في آخر كتابه في دلائل النبوة، وهو في مجلدات ثلاث: الفصل الثالث والثلاثون في ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم، بفضائل نبينا، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي، إذا أوتي ما أوتوا وشبهه ونظيره، فكان أول الرسل نوح عليه السلام، وآيته التي أوتي شَفاء غيظه، وإجابة دعوته، في تعجيل نقمة الله لمكذبيه، حتى هلك من على بسيط الأرض من صامت وناطق، إلا من آمن به ودخل معه في سفينته، ولعمري إنها آية جليلة، وافقت سابق قدر الله وما قد علمه في هلاكهم، وكذلك نبينا ﷺ لما كذبه قومه وبالغوا في أذيته، والاستهانة بمنزلته من الله عز وجل، حتى ألقى السفيه عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، فقال: اللهم عليك بالملأ من قريش، ثم ساق الحديث عن ابن مسعود كما تقدم، كما ذكرنا له في صحيح البخاري وغيره في وضع الملأ من قريش على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد عند الكعبة سلا تلك الحزور، واستضحاكهم من ذلك، حتى أن بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك، ولم يزل على ظهره حتى جاءت ابنته فاطمة عليها السلام فطرحته عن ظهره، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه فقال: اللهم عليك بالملأ من قريش، ثم سمى فقال: اللهم عليك بأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد، قال عبد الله بن مسعود: فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، وكذلك لما أقبلت قريش يوم بدر في عددها وعديدها، فحين عاينهم رسول الله ﷺ قال رافعاً يديه، **«اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخيلائها، تجادل وتكذب رسولك، اللهم أصبهم الغداة»** فقتل من سراتهم سبعون وأسر من أشرافهم سبعون، ولو شاء الله لاستأصلهم عن آخرهم، ولكن من حلم وشرف نبيه أبقى منهم من سبق في قدره أن سيؤمن به وبرسول الله ﷺ، وقد دعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلط عليه كلبه بالشام، فقتله الأسد عند وادي الزرقاء قبل مدينة بصرى. وكم له من مثلها ونظيرها كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا

العِلْبِزَ، وهو الدم بالوبر، وأكلوا العظام وكل شيء، ثم توصلوا إلى تراحمه وشفقته ورأفته، فدعا لهم، ففرج الله عنهم وسقوا الغيث ببركة دعائه. وقال الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد في كتاب دلائل النبوة ـ وهو كتاب حافل ـ: ذكر ما أُوتي نوح عليه السلام من الفضائل، وبيان ما أوتي محمد ﷺ مما يضاهي فضائله ويزيد عليها، أن قوم نوح لما بلغوا من أذيته والاستخفاف به، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله، دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦] فاستجاب الله دعوته، وغرق قومه، حتى لم يسلم شيء من الحيوانات والدواب إلا من ركب السفينة، وكان ذلك فضيلة أوتيها، إذ أجيبت دعوته، وشفي صدره بإهلاك قومه. قلنا: وقد أوتي محمد ﷺ مثله حين ناله من قريش ما ناله من التكذيب والاستخفاف، فأنزل الله إليه ملك الجبال وأمره بطاعته فيما يأمره به من إهلاك قومه، فاختار الصبر على أذيتهم والابتهال في الدعاء لهم بالهداية. قلت: وهذا أحسن، وقد تقدم الحديث بذلك عن عائشة عن رسول الله ﷺ، في قصة ذهابه إلى الطائف، فدعاهم فآذوه فرجع وهو مهموم، فلما كان عند قرن الثعالب ناداه ملك الجبال فقال: يا محمد إن ربك قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد أرسلني إليك لأفعل ما تأمرني به، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ـ يعني جبلي مكي اللذين يكتنفانها جنوباً وشمالاً، أبو قبيس وزر، فقال: بل استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئاً. وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في مقابلة قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١٠، ١٢] أحاديث الاستسقاء عن أنس وغيره، كما تقدم ذكرنا لذلك في دلائل النبوة قريباً أنه ﷺ سأله ذلك الأعرابيّ أنْ يدعو الله لهم، لما بهم من الجدب والجوع، فرفع يديه فقال: «اللهمَّ اسْقِنَا، اللهمَّ اسْقِنَا، فَمَا نَزَلَ عن المنبر حتى رُئِيَ المطرُ يَتَحَادَرُ على لحيته الكريمة ﷺ»، فاستحضر من استحضر من الصحابة رضي الله عنهم قول عمه أبي طالب فيه: [البحر الطويل]

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

وكذلك استسقى في غير ما موضع للجدب والعطش فيجاب كما يريد على قدر الحاجة المائية، ولا أزيد ولا أنقص، وهكذا وقع أبلغ في المعجزة، وأيضاً فإن هذا ماء رحمة ونعمة، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة، وأيضاً فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يستسقى بالعباس عم النبي ﷺ فيسقون، وكذلك ما زال المسلمون في غالب الأزمان والبلدان، يستسقون فيجابون فيسقون، وغيرهم لا يجابون غالباً ولا يسقون ولله الحمد.

قال أبو نعيم: ولبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فبلغ جميع من آمن رجالاً ونساء، الذين ركبوا معه سفينته، دون مائة نفس، وآمن بنبينا ـ في مدة عشرين سنة، ـ الناس شرقاً وغرباً، ودانت له جبابرة الأرض وملوكها، وخافت زوال ملكهم، ككسرى وقيصر، وأسلم النجاشي والأقيال رغبة في دين الله، والتزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض الجزية،

والإتاوة عن صغار، أهل نجران، وهجر، وأيلة، وأنذر دومة، فذلوا له منقادين، لما أيده الله به من الرعب الذي يسير بين يديه شهراً، وفتح الفتوح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: ١، ٢] قلت: مات رسول الله ﷺ وقد فتح الله له المدينة وخيبر ومكة وأكثر اليمن وحضرموت، وتوفي عن مائة ألف صحابي أو يزيدون. وقد كتب في آخر حياته الكريمة إلى سائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الله تعالى، فمنهم من أجاب ومنهم من صانع ودارى عن نفسه، ومنهم من تكبر فخاب وخسر، كما فعل كسرى بن هرمز حين عتى وبغى وتكبر، فمزق ملكه، وتفرق جنده شذر مذر، ثم فتح خلفاؤه من بعده، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان التالي على الأثر مشارق الأرض ومغاربها من البحر الغربي إلى البحر الشرقي، كما قال رسول الله ﷺ: **«زُوِيَتْ لِيَ الأرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»**. وقال ﷺ: **«إذا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإذا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَالَّذِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيل الله»**. وكذا وقع سواء بسواء. فقد استولت الممالك الإسلامية على ملك قيصر وحواصله، إلا القسطنطينية، وجميع ممالك كسرى وبلاد المشرق، وإلى أقصى بلاد المغرب إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه في سنة ستة وثلاثين. فكما عمت جميع أهل الأرض النقمة بدعوة نوح عليه السلام، لما رآهم عليه من التمادي في الضلال والكفر والفجور، فدعا عليهم غضباً لله ولدينه ورسالته، فاستجاب الله له، وغضب لغضبه، وانتقم منهم بسببه، كذلك عمت جميع أهل الأرض ببركة رسالة محمد ﷺ ودعوته، فآمن من آمن من الناس، وقامت الحجة على من كفر منهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وكما قال ﷺ: **«إنما أنا رحمة مهداة»**. وقال هشام بن عمار في كتاب البعث: حدثني عيسى بن عبد الله النعماني، حدثنا المسعودي عن سعيد بن أبي سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قال: من آمن بالله ورسله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسله عد فيمن يستحق تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال ابن عباس: النعمة محمد، والذين بدلوا نعمة الله كفراً هم كفار قريش - يعني وكذلك كل من كذب به من سائر الناس - كما قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]. قال أبو نعيم: فإن قيل: فقد سمى الله نوحاً عليه السلام باسم من أسمائه الحسنى، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] قلنا: وقد سمى الله محمداً ﷺ باسمين من أسمائه فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] قال: وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا داود، يا يحيى، يا عيسى ابن مريم، وقال مخاطباً لمحمد ﷺ: يا أَيُّهَا الرَّسُول، يا أيها النبيُّ، يا أيها المُزَّمِّل، يا أَيُّها المُدَّثِّر، وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف. ولما نسب المشركون أنبياءهم إلى السفه والجنون، كلٌّ أجاب عن نفسه، قال نوح: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧﴾ [الأعراف: ٦٧]

وكذا قال هود عليه السلام، ولما قال فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١]، قال موسى ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢] وأما محمد ﷺ فإن الله تعالى هو الذي يتولى جوابهم عنه بنفسه الكريمة، كما قال: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧﴾ [الحجر: ٦، ٧] قال الله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾ [الحجر: ٨] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان: ٥ - ٦] ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١﴾ [الطور: ٣٠، ٣١] وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٣] ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾ [القلم: ٥١] قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ [القلم: ٥٢] وقال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ١، ٤] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣].

القول فيما أوتي هود عليه السلام

قال أبو نعيم ما معناه: إن الله تعالى أهلك قومه بالريح العقيم، وقد كانت ريح غضب، ونصر الله تعالى محمداً ﷺ بالصبا يوم الأحزاب، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩] ثم قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ح وثنا عثمان بن محمد العثماني، أخبرنا زكريا بن يحيى السّاجي، قالا: ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا حفص بن عتاب عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان يوم الأحزاب انطلقت الجنوب إلى الشمال فقالت: انطلقي بنا ننصر محمداً رسول الله ﷺ، فقالت الشمال للجنوب: إن الحرة لا ترى بالليل، فأرسل الله عليهم الصبا، فذلك قوله: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ [الأحزاب: ٩] ويشهد له الحديث المتقدم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**».

القول فيما أوتي صالح عليه السلام

قال أبو نعيم: فإن قيل: فقد أخرج الله لصالح ناقة من الصخرة جعلها الله له آية وحجة على قومه وجعل لها شرب يوم، ولهم شرب يوم معلوم. قلنا: وقد أعطى الله محمداً ﷺ مثل ذلك، بل أبلغ لأن ناقة صالح لم تكلمه ولم تشهد له بالنبوة والرسالة، ومحمد ﷺ شهد له البعير بالرسالة، وشكى إليه ما يلقى من أهله، من أنهم يجيعونه ويريدون ذبحه، ثم ساق

الحديث بذلك كما قدمنا في دلائل النبوة بطرقه وألفاظه وغرره بما أغنى عن إعادته هٰهنا، وهو في الصحاح والحسان والمسانيد، وقد ذكرنا مع ذلك حديث الغزالة، وحديث الضب وشهادتهما له ﷺ بالرسالة، كما تقدم التنبيه على ذلك والكلام فيه، وثبت الحديث في الصحيح بتسليم الحجر عليه قبل أن يبعث، وكذلك سلام الأشجار والأحجار والمدر عليه قبل أن يبعث ﷺ.

القول فيما أوتي إبراهيم الخليل عليه السلام

قال شيخنا العلامة أبو المعالي بن الزملكاني رحمه الله: وأما خمود النار لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد خمدت لنبينا ﷺ نار فارس لمولده ﷺ، وبينه وبين بعثته أربعون سنة، وخمدت نار إبراهيم لمباشرته لها، وخمدت نار فارس لنبينا ﷺ وبينه وبينها مسافة أشهر كذا، وهذا الذي أشار إليه من خمود نار فارس ليلة مولده الكريم، قد ذكرناه بأسانيده وطرقه في أول السيرة، عند ذكر المولد المطهر الكريم، بما فيه كفاية ومقنع، ثم قال شيخنا: مع أنه قد ألقى بعض هذه الأمة في النار فلم تؤثر فيه ببركة نبينا ﷺ، منهم أبو مسلم الخولاني، قال: بينما الأسود بن قيس العنسي باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، فأعاد إليه، قال: ما أسمع، فأمر بنار عظيمة فأججت فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره، فقيل له: لئن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي، فبصر به عمر فقال من أين الرجل؟ قال: من اليمن، قال: ما فعل الله بصاحبنا الذي حرق بالنار فلم تضره؟ قال: ذاك عبد الله بن أيوب، قال: نشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، قال: فقبل ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. وهذا السياق الذي أورده شيخنا بهذه الصفة، وقد رواه الحافظ الكبير، أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن أيوب في تاريخه من غير وجه، عن عبد الوهاب بن محمد عن إسماعيل بن عياش الحطيمي: حدثني شراحيل بن مسلم الخولاني أن الأسود بن قيس بن ذي الخمار العنسي تنبأ باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني فأتى به، فلما جاء به قال أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم قال: فردد عليه ذلك مراراً ثم أمر بنار عظيمة فأججت فألقي فيها فلم تضره، فقيل للأسوَد: انفهِ عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك، فأمره فارتحل، فأتى المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، ثم دخل المسجد وقام يصلي إلى سارية، فبصر به عمر بن الخطاب فأتاه فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الرجل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك

عبد الله بن أيوب، قال: فأنشدك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، قال: فاعتنقه ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن. قال إسماعيل بن عياش: فأنا أدركت رجالاً من الأمداد الذين يمدون إلينا من اليمن من خولان، ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين: صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار ولم تضره. وروى الحافظ ابن عساكر أيضاً من غير وجه عن إبراهيم بن دحيم: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، أخبرني سعيد بن بشير عن أبي بشر ـ جعفر بن أبي وحشية ـ أن رجلاً أسلم فأراده قومه على الكفر فألقوه في نار فلم يحترق منه إلا أنملة لم يكنْ فيما مضى يصيبها الوضوء، فقدم على أبي بكر فقال: استغفر لي، قال: أنت أحق قال أبو بكر: أنت ألقيت في النار فلم تحترق، فاستغفر له ثم خرج إلى الشام، وكانوا يسمونه بإبراهيم عليه السلام، وهذا الرجل هو أبو مسلم الخولاني، وهذه الرواية بهذه الزيادة تحقق أنه إنما نال ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمدية المطهرة المقدسة، كما جاء في حديث الشفاعة: وحرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود. وقد نزل أبو مسلم بداريّا من غربي دمشق وكان لا يسبقه أحد إلى المسجد الجامع بدمشق وقت الصبح، وكان يغازي ببلاد الروم، وله أحوال وكرامات كثيرة جداً، وقبره مشهور بداريّا، والظاهر أنه مقامه الذي كان يكون فيه، فإن الحافظ ابن عساكر رجح أنه مات ببلاد الروم، في خلافة معاوية، وقيل: في أيام ابنه يزيد، بعد الستين والله أعلم. وقد وقع لأحمد بن أبي الحواري من غير وجه أنه جاء إلى أستاذه أبي سليمان يُعلمه بأن التنور قد سجروه وأهله ينتظرون ما يأمرهم به، فوجده يكلم الناس وهم حوله فأخبره بذلك فاشتغل عنه بالناس، ثم أعلمه فلم يلتفت إليه، ثم أعلمه مع أولئك الذين حوله فقال: اذهب فاجلس فيه فذهب أحمد بن أبي الحواري إلى التنور فجلس فيه وهو يتضرم ناراً فكان عليه برداً وسلاماً، وما زال فيه حتى استيقظ أبو سليمان من كلامه فقال لمن حوله: قوموا بنا إلى أحمد بن أبي الحواري، فإني أظنه قد ذهب إلى التنور فجلس فيه امتثالاً لما أمرته، فذهبوا فوجدوه جالساً فيه، فأخذ بيده الشيخ أبو سليمان وأخرجه منه، رحمة الله عليهما ورضي الله عنهما. وقال شيخنا أبو المعالي: وأما إلقاؤه ـ يعني إبراهيم عليه السلام ـ من المنجنيق، فقد وقع في حديث البراء بن مالك في وقعة مسيلمة الكذاب، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا إلى حائط حفير فتحصنوا به وأغلقوا الباب، فقال البراء بن مالك: ضعوني على برش واحملوني على رؤوس الرماح ثم ألقوني من أعلاها داخل الباب، ففعلوا ذلك وألقوه عليهم فوقع وقام وقاتل المشركين، وقتل مسيلمة. قلت: وقد ذكر ذلك مستقصًى في أيام الصديق حين بعث خالد بن الوليد لقتال مسليمة وبني حنيفة، وكانوا في قريب [من] مائة ألف أو يزيدون، وكان المسلمون بضعة عشر ألفاً، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون، فقال المهاجرون والأنصار: خلصنا يا خالد، فميزهم عنهم، وكان المهاجرون والأنصار قريباً من ألفين وخمسمائة، فصمموا الحملة وجعلوا يتدابرون ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، فهزموهم بإذن الله ولجأوهم إلى حديقة هناك، وتسمى حديقة الموت، فتحصنوا بها،

فحصروهم فيها، ففعل البراء بن مالك، أخو أنس بن مالك ـ وكان الأكبر ـ ما ذكر من رفعه على الأسنة فوق الرماح حتى تمكن من أعلى سورها، ثم ألقى نفسه عليهم ونهض سريعاً إليهم، ولم يزل يقاتلهم وحده ويقاتلونه حتى تمكن من فتح الحديقة ودخل المسلمون يكبرون وانتهوا إلى قصر مسيلمة وهو واقف خارجه عند جدار كأنه جمل أزرق أي من سمرته، فابتدره وحشيُّ ابْنُ حَرْبِ الأَسْوَد، قاتل حمزة، بحربته، وأبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بن حرشة الأنصاريّ ـ وهو الذي ينسب إليه شيخنا هذا أبو المعالي بن الزملكاني ـ فسبقه وحشيٌّ فأرسل الحربة عليه من بعد فأنفذها منه، وجاء إليه أبو دجانة فعلاه بسيفه فقتله، لكن صرخت جارية من فوق القصر وا أمير، قتله العبد الأسود، ويقال: إن عمر مسيلمة يوم قتل مائة وأربعين سنة، لعنه الله، فمن طال عمره وساء عمله قبحه الله. وهذا ما ذكره شيخنا فيما يتعلق بإبراهيم الخليل عليه السلام. وأما الحافظ أبو نعيم فإنه قال: فإن قيل: فإن إبراهيم اختص بالخلة مع النبوة، قيل: فقد اتخذ الله محمداً خليلاً وحبيباً، والحبيب ألطف من الخليل. ثم ساق من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لَوْ كنتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكر خَليلاً، ولكنْ صَاحِبُكُم خَلِيلُ الله» وقد رواه مسلم من طريق شعبة والثوري عن أبي إسحاق، ومن طريق عبد الله بن مرة، وعبد الله بن أبي الهديل، كلهم عن أبي الأحوص، عوف بن مالك الجشمي، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذَ الله صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً» هذا لفظ مسلم، ورواه أيضاً منفرداً به عن جندب بن عبد الله البجلي كما سأذكره، وأصل الحديث في الصحيحين عن أبي سعيد، وفي إفراد البخاري عن ابن عباس وابن الزبير كما سقت ذلك في فضائل الصديق رضي الله عنه، وقد أوردناه هنالك من رواية أنس والبراء وجابر وكعب بن مالك وأبي الحسين بن المعلى وأبي هريرة وأبي واقد الليثي وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين. ثم إنما رواه أبو نعيم من حديث عبيد الله بن زحْر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن كعب بن مالك أنه قال: عهدي نبيكم ﷺ فسمعته يقول: «لم يكن نبيٌّ إلا لَهُ خَليلٌ مِنْ أَمَّتِهِ، وَإِنَّ خَلِيلِي أَبُو بَكْرٍ، وإنَّ الله اتخذَ صاحبُكم خليلاً» وهذا الإسناد ضعيف، ومن حديث محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي خليل، وخليلي أبو بكر بن أبي قحافة، وخليل صاحبكم الرحمن. وهو غريب من هذا الوجه، ومن حديث عبد الوهاب بن الضحاك عن إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله اتَّخَذَنِي خَليلاً كَمَا اتَّخذَ إبراهيمَ خَلِيلاً، وَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُ إبراهيمَ في الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ والعَبَّاسُ بَيْنَنَا مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ» . غريب وفي إسناده نظر، انتهى ما أورده أبو نعيم رحمه الله. وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم، قالا: حدثنا زكريا بن عديّ حدثنا عبيد الله بن عمرو، حدثنا زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث، حدثني جندب بن عبد الله قال: سمعت

النبيَّ ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقولُ: «إنِّي أَبْرَأُ إلى الله عز وجل أن يكون لي بينكم خليلٌ فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت مُتَّخذاً مِن أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إني أنهاكم عَنْ ذَلِكَ». وأما اتخاذه حبيباً، فلم يتعرض لإسناده أبو نعيم، وقد قال هشام بن عمار في كتابه المبعث: حدثنا يحيى بن حمزة الحضرمي وعثمان بن علان القرشي، قالا: حدثنا عروة بن رويم اللخمي أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله أدركَ بي الأجَلَ المرقومَ وأخذَني لقربه، واحتضرني احتضاراً، فَنَحْنُ الآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يومَ القيامة، وأنا قائلٌ قولاً غير فخر: إبراهيمُ خَليلُ الله، وموسى صفيُّ الله، وأنا حَبِيبُ الله، وأنا سَيِّدُ وَلَدِ آدم يوم القيامة وأنَّ بيدِي لِوَاءَ الحَمْدِ، وأجارني الله عليكم من ثلاث أن لا يُهْلِكَكُمْ بِسَنَةٍ، وأن يَسْتَبِيحَكُمْ عَدُوُّكُمْ، وأن لا تجمعوا على ضَلالَةٍ» وأما الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فتكلم على مقام الخلة بكلام طويل إلى أن قال: ويقال: الخليل الذي يعبد ربه على الرغبة والرهبة، ومن قوله ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤] من كثرة ما يقول: أواه، والحبيب الذي يعبد ربه على الرؤية والمحبة، ويقال الخليل الذي يكون معه انتظار العطاء، والحبيب الذي يكون معه انتظار اللقاء، ويقال: الخليل الذي يصل بالواسطة من قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥] والحبيب الذي يصل إليه من غير واسطة، من قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩] وقال الخليل: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢] وقال الله للحبيب محمد ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقال الخليل: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٧] وقال الله للنبي: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨] وقال الخليل حين ألقي في النار: حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ وقال الله لمحمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤] وقال الخليل: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات: ٩٩] وقال الله لمحمد: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧] وقال الخليل: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤] وقال الله لمحمد: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] وقال الخليل ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقال الله للحبيب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال الخليل: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٥] وقال الله لمحمد: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر: ١]. وذكر أشياء أخر، وسيأتي الحديث في صحيح مسلم عن أبيِّ بن كعب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنِّي سَأَقُومُ مَقَاماً يَوْمَ القِيَامَةِ يَرْغَبُ إلَيَّ الخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى أَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ» فدل على أنه أفضل إذ هو يُحتاج إليه في ذلك المقام، ودل على أن إبراهيم أفضل الخلق بعده، ولو كان أحد أفضل من إبراهيم بعده لذكره. ثم قال أبو نعيم: فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام حجب عن نمروذ بحجب ثلاثة، قيل: فقد كان كذلك وحجب محمد ﷺ عمن أرادوه بخمسة حجب، قال الله تعالى في أمره: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس: ٩] فهذه ثلاث، ثم قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ

ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥] ثم قال: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ [يس: ٨] فهذه خمس حجب. وقد ذكر مثله سواء الفقيه أبو محمد بن حامد، وما أدري أيهما أخذ من الآخر والله أعلم. وهذا الذي قاله غريب، والحجب التي ذكرها لإبراهيم عليه السلام لا أدري ما هي، كيف وقد ألقاه في النار التي نجاه الله منها، وأما ما ذكره من الحجب التي استدل عليها بهذه الآيات، فقد قيل: إنها جميعها معنوية لا حسية، بمعنى أنهم مصرفون عن الحق، لا يصل إليهم، ولا يخلص إلى قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] وقد حررنا ذلك في التفسير، وقد ذكرنا في السيرة وفي التفسير أن أم جميل امرأة أبي لهب، لما نزلت السورة في ذمها وذم زوجها، ودخولهما النار، وخسارهما، جاءت بفهر[1]ـ وهو الحجر الكبير ـ لترجم النبي ﷺ، فانتهت إلى أبي بكر وهو جالس عند النبي ﷺ فلم تر رسول الله ﷺ، وقالت لأبي بكر: أين صاحبك؟ فقال: وما له؟ فقالت: إنه هجاني، فقال: ما هجاك، فقالت: والله لئن رأيته لأضربنه بهذا الفهر، ثم رجعت وهي تقول: مذمماً أتينا. ودينه قلينا. وكذلك حجب ومنع أبا جهل حين هم أن يطأ برجله رأس النبي ﷺ وهو ساجد، فرأى جدثاً[2] من نار وهولاً عظيماً وأجنحة الملائكة دونه، فرجع القهقرى وهو يتقي بيديه، فقالت له قريش: مالك، ويحك؟ فأخبرهم بما رأى، وقال النبي ﷺ: «**لَوْ أَقْدَمَ لاخْتَطَفَتْهُ الملائكةُ عُضْواً عُضْواً**». وكذلك لما خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وقد أرصدوا على مدرجته وطريقه، وأرسلوا إلى بيته رجالاً يحرسونه لئلا يخرج، ومتى عاينوه قتلوه، فأمر علياً فنام على فراشه، ثم خرج عليهم وهم جلوس، فجعل يذر[3] على رأس كل إنسان منهم تراباً ويقول: شاهت الوجوه، فلم يروه حتى صار هو وأبو بكر الصديق إلى غار ثور، كما بسطنا ذلك في السيرة، وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سد على باب الغار ليعمي الله عليهم مكانه، وفي الصحيح أن أبا بكر قال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرَنا، فقال: «يا أبا بَكْرٍ، ما ظَنُّكَ باثنين الله ثالثهما؟» وقد قال بعض الشعراء في ذلك:

نَسْجُ دَاوُدَ مـا حَـمَـى صَـاحِـبَ الـغَـا ... رِ وَكَـانَ الـفَـخَـارُ لِـلْـعَـنْـكَـبُـوتِ

وكذلك حجب ومنع من سراقة بن مالك بن جعشم حين اتبعهم، بسقوط قوائم فرسه في الأرض حتى أخذ منه أماناً كما تقدم بسطه في الهجرة. وذكر ابن حامد في كتابه في مقابلة إضجاع إبراهيم عليه السلام ولده للذبح مستسلماً لأمر الله تعالى، ببذل رسول الله ﷺ نفسه للقتل يوم أحد وغيره حتى نال منه العدو ما نالوا، من هشم رأسه، وكسر ثنيته اليمنى السفلى، كما تقدم بسط ذلك في السيرة. ثم قال: قالوا: كان إبراهيم عليه السلام ألقاه قومه في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، قلنا: وقد أوتي رسول الله ﷺ مثله، وذلك أنه لما نزل بخيبر سمته الخيبرية، فصير ذلك السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، والسم عرق إذ لا يستقر

---

(١) الفهر: حجر رقيق يسحق به الطيب والأدوية. (٢) الجدث: القبر.

(٣) يذرّ: يرمي ويضع.

في الجوف كما تحرق النار. قلت: وقد تقدم الحديث بذلك في فتح خيبر، ويؤيد ما قاله إن بشر بن البراء بن معرور مات سريعاً من تلك الشاة المسمومة، وأخبر ذراعها رسول الله ﷺ بما أودع فيه من السم، وكان قد نهش منه نهشة، وكان السم فيه أكثر، لأنهم كانوا يفهمون أنه ﷺ يحب الذراع، فلم يضره السم الذي حصل في باطنه بإذن الله عز وجل، حتى انقضى أجله ﷺ، فذكر أنه وجد حينئذ من ألم ذلك السم الذي كان في تلك الأكلة، ﷺ. وقد ذكرنا في ترجمة خالد بن الوليد المخزومي، فاتح بلاد الشام، أنه أتى بسم فحثاه بحضرة الأعداء ليرهبهم بذلك، فلم ير بأساً، رضي الله عنه. ثم قال أبو نعيم: فإن قيل: فإن إبراهيم خصم نمروذ ببرهان نبوته فبهته، قال الله تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] قيل: محمد ﷺ أتاه الكذاب بالبعث، أبيّ بن خلف، بعظم بال ففركه وقال ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨] فأنزل الله تعالى البرهان الساطع ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس ٧٩] فانصرف مبهوتاً ببرهان نبوته. قلت: وهذا أقطع للحجة، وهو استدلاله للمعاد بالبداءة، فالذي خلق الخلق بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، قادر على إعادتهم كما قال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٨١] أي يعيدهم كما بدأهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٤٠] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] هذا وأمر المعاد نظري لا فطري ضروري في قول الأكثرين، فأما الذي حاجَّ إبراهيم في ربه فإنه معاند مكابر، فإن وجود الصانع مذكور في الفطر، وكل واحد مفطور على ذلك، إلا من تغيرت فطرته، فيصير نظرياً عنده، وبعض المتكلمين يجعل وجود الصانع من باب النظر لا الضروريات، وعلى كل تقدير فدعواه أنه هو الذي يحيي الموتى، لا يقبله عقل ولا سمع، وكل واحد يكذبه بعقله في ذلك، ولهذا ألزمه إبراهيم بالإتيان بالشمس، من المغرب إن كان كما ادعى ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨] وكان ينبغي أن يذكر مع هذا أن الله تعالى سلط محمداً على هذا المعاند لما بارز النبي ﷺ يوم أحد، فقتله بيده الكريمة، طعنه بحربة فأصاب ترقوته فتردى عن فرسه مراراً، فقالوا له: ويحك ما لك؟ فقال: والله إن بي لما لو كان بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين: ألم يقل: بل أنا أقتله؟ والله لو بصق علي لقتلني - وكان أبي هذا لعنه الله قد أعد فرساً وحربة ليقتل بها رسول الله ﷺ، فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله - فكان كذلك يوم أحد، ثم قال أبو نعيم: فإن قيل: فإن إبراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضباً لله، قيل: فإن محمداً ﷺ كسر ثلاثمائة وستين صنماً قد ألزمها الشيطان بالرَّصاص والنُّحاس، فكان كلما دنا منها بِمِخْصَرَتِهِ تهوي من غير أن يَمَسَّهَا، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] فَتَسَاقَطَ لوجوهها، ثم أمر بهن فأخرجن إلى المسيل، وهذا أظهر وأجلى من الذي قبله، وقد ذكرنا هذا في أول دخول النبي ﷺ مكة عام الفتح بأسانيده وطرقه من الصحاح وغيرها، بما فيه كفاية. وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام تساقطت أيضاً لمولده الكريم، وهذا أبلغ وأقوى في المعجز من مباشرة كسرها، وقد تقدم أن نار فارس التي كانوا

يعبدونها خمدت أيضاً ليلتئذٍ ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وأنه سقط من شرفات قصر كسرى أربع عشر شرفة، مؤذنة بزوال دولتهم بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم في أقصر مدة، وكان لهم في الملك قريب من ثلاثة آلاف سنة، وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم عليه السلام، فلم يذكره أبو نعيم ولا ابن حامد، وسيأتي في إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ما وقع من المعجزات المحمدية من هذا النمط ما هو مثل ذلك كما سيأتي التنبيه عليه إذا انتهينا إليه، من إحياء أموات بدعوات أمته، وحنين الجذع، وتسليم الحجر والشجر والمدر عليه، وتكليم الذراع له وغير ذلك. وأما قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] والآيات بعدها، فقد قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١] وقد ذكر ذلك ابن حامد فيما وقفت عليه بعد، وقد ذكرنا في أحاديث الإسراء من كتابنا هذا، ومن التفسير ما شاهده رسول الله ﷺ ليلة أسري به من الآيات فيما بين مكة إلى بيت المقدس، وفيما بين ذلك إلى سماء الدنيا، ثم عاين من الآيات في السموات السبع وما فوق ذلك، وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، والنار التي هي بئس المصير والمثوى، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام في حديث المنام ـ وقد رواه أحمد والترمذي وصححه، وغيرهما ـ فتجلى لي كل شيء وعرفت. وذكر ابن حامد في مقابلة ابتلاء الله يعقوب عليه السلام بفقده ولده يوسف عليه السلام وصبره واستعانته ربه عز وجل، موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وصبره عليه، وقوله: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون. قلت: وقد مات بناته الثلاثة: رقية، وأم كلثوم، وزينب، وقتل عمه الحمزة، أسد الله وأسد رسوله يوم أحد، فصبر واحتسب. وذكر في مقابلة حسن يوسف عليه السلام ما ذكر من جمال رسول الله ﷺ، ومهابته وحلاوته وشكلاً ونفعاً وهدياً، ودلاً، ويمناً، كما تقدم في شمائله من الأحاديث الدالة على ذلك، كما قالت الربيع بنت مسعود: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة. وذكر في مقابلة ما ابتلى به يوسف عليه السلام من الفرقة والغربة، هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ومفارقته وطنه وأهله وأصحابه الذين كانوا بها.

القول فيما أوتي موسى عليه السلام من الآيات البينات

وأعظمهن تسع آيات كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقد شرحناها في التفسير، وحكينا قول السلف فيها، واختلافهم فيها، وأن الجمهور على أنها هي العصا في انقلابها حية تسعى، واليد، إذا أدخل يده في جيب درعه أخرجها تضيء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، آيات مفصلات، كما بسطنا ذلك في التفسير، وكذلك أخذهم الله بالسنين، وهي نقص الحبوب. وبالجدب وهو نقص الثمار، وبالموت الذريع وهو نقص الأنفس، وهو الطوفان في قول، ومنها فلق البحر لإنجاء بني إسرائيل وإغراق آل فرعون، ومنها تضليل بني

إسرائيل في التيه بالغمام، وإنزال المن والسلوى عليهم واستسقاؤه لهم، فجعل الله ماءهم يخرج من حجر يحمل معهم على دابة، له أربعة وجوه، إذا ضربه موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين، ثم يضربه فينقلع، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات، كما بسطنا ذلك في التفسير، وفي قصة موسى عليه السلام من كتابنا هذا في قصص الأنبياء منه، ولله الحمد والمنة، وقيل: كل من عبد العجل أماتهم ثم أحياهم الله تعالى، وقصة البقرة. أما العصا فقال شيخنا العلامة ابن الزملكاني: وأما حياة عصا موسى، فقد سبح الحصا في كف رسول الله ﷺ وهو جماد، والحديث في ذلك صحيح، وهذا الحديث مشهور عن الزهري عن رجل عن أبي ذر، وقد قدمنا ذلك مبسوطاً في دلائل النبوة بما أغنى عن إعادته، وقيل: إنهن سبحن في كف أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، كما سبحن في كف رسول الله ﷺ، فقال هذه خلافة النبوة. وقد روى الحافظ بسنده إلى بكر بن حبيش عن رجل سماه قال: كان بيد أبي مسلم الخولاني سبحة يسبِّح بها، قال: فنام والسبحة في يده، قال: فاستدارت السّبحة فالتفّت على ذراعه وهي تقول: سبحانك يا منبت النبات، ويا دائم الثبات، فقال: هلم يا أم مسلم وانظري إلى أعجب الأعاجيب، قال: فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبح فلما جلست سكنت. وأصح من هذا كله وأصرح حديث البخاري عن ابن مسعود قال: «كنّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعَام وَهُوَ يُؤْكَلُ» قال شيخنا: وكذلك قد سلمت عليه الأحجار، قلت: وهذا قد رواه مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ بمكة قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». قال بعضهم: هو الحجر الأسود. وقال الترمذي: حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي، حدثنا الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن يزيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، ثم قال: غريب. ورواه أبو نعيم في الدلائل من حديث السدي عن أبي عمارة الحيواني عن علي قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: وأقبلت الشجرة عليه بدعائه، وذكر اجتماع تينك الشجرتين لقضاء حاجته من ورائهما ثم رجوعهما إلى منابتهما. وكلا الحديثين في الصحيح، ولكن لا يلزم من ذلك حلول حياة فيهما، إذ يكونان ساقهما سائق، ولكن في قوله: انقادا علي بإذن الله، ما يدل على حصول شعور منهما لمخاطبته، ولا سيما مع امتثالهما ما أمرهما به، قال: وأمر عذقاً من نخلة أن ينزل إليه فنزل يبقر في الأرض حتى وقف بين يديه فقال: «أتشهد أني رسول الله؟ فشهد بذلك ثلاثاً ثم عاد إلى مكانه»، وهذا أليق وأظهر في المطابقة من الذي قبله، ولكن هذا السياق فيه غرابة. والذي رواه الإمام أحمد وصححه الترمذي، ورواه البيهقي والبخاري في التاريخ من رواية أبي ظبيان حصين بن المنذر عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال: «أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟» قال: نعم، قال: فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقر حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له:

«ارجع»، فرجع إلى مكانه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وآمن به. هذا لفظ البيهقي، وهو ظاهر في أن الذي شهد بالرسالة هو الأعرابي، وكان رجلاً من بني عامر، ولكن في رواية البيهقي من طريق الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الذي يقول أصحابك؟ قال وحول رسول الله ﷺ أعذاقٌ وشجر، فقال: هل لكَ أنْ أرِيكَ آية؟ قال: نعم، فدعا غصناً منها فأقبل يخد الأرض حتى وقف بين يديه وجعل يسجد ويرفع رأسه، ثم أمره فرجع، قال: فرجع العامري وهو يقول، قال عامر بن صعصعة: والله لا أكذبه بشيء يقوله أبداً. وتقدم فيما رواه الحاكم في مستدركه متفرداً به عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ دعا رجلاً إلى الإسلام فقال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة، فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطىء الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك. قال: وأما حنين الجذع الذي كان يخطب إليه النبي ﷺ، فعمل له المنبر، فلما رقى عليه وخطب حن الجذع إليه حنين العشار والناس يسمعون بمشهد الخلق يوم الجمعة، ولم يزل يئن ويحن حتى نزل إليه النبي ﷺ فاعتنقه وسكنه وخيره بين أن يرجع غصناً طرياً أو يغرس في الجنة يأكل منه أولياء الله، فاختار الغرس في الجنة وسكن عند ذلك. فهو حديث مشهور معروف، قد رواه من الصحابة عدد كثير متواتر، وكان بحضور الخلائق، وهذا الذي ذكره من تواتر حنين الجذع كما قال، فإنه قد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة، وعنهم أعداد من التابعين، ثم من بعدهم آخرون عنهم لا يمكن تواطؤهم على الكذب فهو مقطوع به في الجملة، وأما تخيير الجذع كما ذكره شيخنا فليس بمتواتر، بل ولا يصح إسناده، وقد أورده في الدلائل عن أبيّ بن كعب، وذكر في مسند أحمد، وسنن ابن ماجه، وعن أنس من خمس طرق إليه، صحح الترمذي إحداها، وروى ابن ماجه أخرى، وأحمد ثالثة، والبزار رابعة، وأبو نعيم خامسة. وعن جابر بن عبد الله في صحيح البخاري من طريقين عنه، والبزار من ثالثة ورابعة، وأحمد من خامسة وسادسة، وهذه على شرط مسلم، وعن سهل بن سعد في مصنف ابن أبي شيبة على شرط الصحيحين، وعن ابن عباس في مسند أحمد وسنن ابن ماجه بإسناد على شرط مسلم، وعن ابن عمر في صحيح البخاري، ورواه أحمد من وجه آخر عن ابن عمر، وعن أبي سعيد في مسند عبد بن حميد بإسناد على شرط مسلم، وقد رواه يعلى الموصلي من وجه آخر عنه، وعن عائشة رواه الحافظ أبو نعيم من طريق علي بن أحمد الخوارزمي عن قبيصة بن حبان بن علي عن صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة عن عائشة، فذكر الحديث بطوله، وفيه أنه خيره بين الدنيا والآخرة فاختار الجذع الآخرة وغار حتى ذهب فلم يعرف، وهذا غريب إسناداً ومتناً، وعن أم سلمة رواه أبو نعيم بإسناد جيد، وقدمت الأحاديث ببسط أسانيدها وتحرير ألفاظها وغررها بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا، ومن تدبرها حصل له القطع بذلك ولله الحمد والمنة. قال القاضي عياض بن موسى السبتي المالكي في كتابه الشفا: وهو حديث مشهور متواتر خرجه أهل الصحيح. ورواه

من الصحابة بضعة عشر، منهم أبيّ وأنس وبريدة وسهل بن سعد، وابن عباس، وابن عمر والمطلب بن أبي وداعة وأبو سعيد وأم سلمة رضي الله عنهم أجمعين، قال شيخنا: فهذه جمادات ونباتات وقد حنت وتكلمت، وفي ذلك ما يقابل انقلاب العصا حية. قلت: وسنشير إلى هذا عند ذكر معجزات عيسى عليه السلام في إحيائه الموتى بإذن الله تعالى في ذلك كما رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي أحمد بن أبي الحسن عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن سوار قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمد الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيىء له المنبر، فلما هيىء له حنّ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك. وهذا إسناد صحيح إلى الشافعي رحمه الله، وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي رحمه الله يذكره عن الشافعيّ رحمه الله وأكرم مثواه، وإنما قال: فهذا أكبر من ذلك لأن الجذع ليس محلاً للحياة ومع هذا حصل له شعور ووجد لما تحول عنه إلى المنبر فإن وحن حنين العشار حتى نزل إليه رسول الله ﷺ فاحتضنه وسكنه حتى سكن، قال الحسن البصرى: فهذا الجذع حن إليه، فإنهم أحقّ إن يحنوا إليه، وأما عود الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله فعظيم، وهذا أعجب وأعظم من إيجاد حياة وشعور في محل ليس مألوفاً لذلك لم تكن فيه قبل بالكلية فسبحان الله رب العالمين.

تنبيه وقد كان لرسول الله ﷺ لواء يحمل معه في الحرب يخفق في قلوب أعدائه مسيرة شهر بين يديه، وكانت له عنزة تحمل بين يديه فإذا أراد الصلاة إلى غير جدار ولا حائل ركزت بين يديه، وكان له قضيب يتوكأ عليه إذا مشى، وهو الذي عبر عنه سطيح في قوله لابن أخيه عبد المسيح بن نفيلة: يا عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوه، فليست الشام لسطيح شاما، ولهذا كان ذكر هذه الأشياء عند إحياء عصا موسى وجعلها حية أليق، إذ هي مساوية لذلك، وهذه متعددة كثيرة في محال متفرقة بخلاف عصا موسى فإنها وإن تعدد جعلها حية، فهي ذات واحدة والله أعلم. ثم ننبه على ذلك عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى لأن هذه أعجب وأكبر وأظهر وأعلم، قال شيخنا: وأما أن الله كلم موسى تكليماً، فقد تقدم حصول الكلام للنبي ﷺ ليلة الإسراء مع الرؤية وهو أبلغ. هذا أورده فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام ليلة الإسراء فيشهد له: فنوديت يا محمد قد كلفت فريضتين وخففت عن عبادي، وسياق بقية القصة يرشد إلى ذلك، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك، لكن رأيت في كلام القاضي عياض نقل خلاف فيه والله أعلم. وأما الرؤية ففيها خلاف مشهور بين الخلف والسلف، ونصرها من الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المشهور بإمام الأئمة، واختار ذلك القاضي عياض والشيخ محيي الدين النووي، وجاء عن ابن عباس [تصديق] الرؤية، وجاء عنه تفنيدها، وكلاهما في صحيح مسلم، وفي الصحيحين عن عائشة إنكار ذلك، وقد ذكرنا في الإسراء عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي ذر وعائشة رضي الله عنهم أن المرئي في المرتين المذكورتين في أول سورة النجم، إنما هو جبريل عليه السلام، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: نوراً أنى أراه، وفي رواية: رأيت نوراً.

وقد تقدم بسط ذلك في الإسراء في السيرة وفي التفسير في أول سورة بني إسرائيل، وهذا الذي ذكره شيخنا فيما يتعلق بالمعجزات الموسوية عليه أفضل الصلاة والسلام. وأيضاً فإن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سينا، وسأل الرؤية فمنعها، وكلم محمداً ﷺ ليلة الإسراء وهو بالملأ الأعلى حين رفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام، وحصلت له الرؤية في قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف والله أعلم. ثم رأيت ابن حامد قد طرق هذا في كتابه وأجاد وأفاد وقال ابن حامد: قال الله تعالى لموسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩] وقال لمحمد ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]. وأما اليد التي جعلها الله برهاناً وحجة لموسى على فرعون وقومه كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العصا حية: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢] ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [القصص: ٣٢] وقال في سورة طه: ﴿آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٣٢ ـ ٢٣] فقد أعطى الله محمداً انشقاق القمر بإشارته إليه فرقتين، فرقة من وراء جبل حراء، وأخرى أمامه، كما تقدم بيان ذلك بالأحاديث المتواترة مع قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١ ـ ٢] ولا شك أن هذا أجل وأعظم وأبهر في المعجزات وأعم وأظهر وأبلغ من ذلك. وقد قال كعب بن مالك في حديثه الطويل في قصة توبته: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ فَلْقَةُ قَمَرٍ، وذلك في صحيح البخاري. وقال ابن حامد: قالوا: فإن موسى أعطى اليد البيضاء، قلنا لهم: فقد أعطى محمد ﷺ ما هو أفضل من ذلك نوراً كان يضيء عن يمينه حيث ما جلس، وعن يساره حيث ما جلس وقام، يراه الناس كلهم، وقد بقي ذلك النور إلى قيام الساعة، ألا ترى أنه يرى النور الساطع من قبره ﷺ من مسيرة يوم وليلة؟ هذا لفظه، وهذا الذي ذكره من هذا النور غريب جداً، وقد ذكرنا في السيرة عند إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي أنه طلب من النبي ﷺ آية تكون له عوناً على إسلام قومه من بيته هناك، فسطع نور بين عينيه كالمصباح، فقال: اللهم في غير هذا الموضع فإنهم يظنونه مثلة، فتحول النور إلى طرف سوطه فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله ﷺ وبدعائه لهم في قوله: اللهمَّ اهدِ دَوْساً، وَأْتِ بِهِمْ، وكان يقال للطفيل: ذو النور لذلك. وذكر أيضاً حديث أسيد بن حضير وعباد بن بشر في خروجهما من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف عصا أحدهما، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه، وذلك في صحيح البخاري وغيره، وقال أبو زرعة الرازي في كتاب دلائل النبوة: حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس بن مالك أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة ظلماء حندس فأضاءت عصا أحدهما مثل السراج وجعلا يمشيان بضوئها، فلما تفرقا إلى منزلهما أضاءت عصا ذا وعصا ذا. ثم روى عن إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام، وعن يعقوب بن حميد المدني، كلاهما عن سفيان بن حمزة بن يزيد الأسلمي عن كثير بن زيد عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي عن أبيه قال: سرنا في سفر مع رسول الله ﷺ في ليلة

ظلماء دَخْمَسة فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم، وإن أصابعي لتستنير. وروى هشام بن عمار في البعث: حدثنا عبد الأعلى بن محمد البكري، حدثنا جعفر بن سليمان البصري، حدثنا أبو التياح الضبعي قال: كان مطرف بن عبد الله يبدر فيدخل كل جمعة فربما نور له في سوطه، فأدلج ذات ليلة وهو على فرسه حتى إذا كان عند المقابر هدم به، قال: فرأيت صاحب كلِّ قبر جالساً على قبره، فقال: هذا مطرف يأتي الجمعة، فقلت لهم: وتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما يقول فيه الطير، قلت: وما يقول فيه الطير؟ قالوا: يقول: رب سلم سلم قوم صالح. وأما دعاؤه عليه السلام بالطوفان، وهو الموت الذريع في قول، وما بعده من الآيات والقحط والجدب، فإنما كان ذلك لعلهم يرجعون إلى متابعته ويقلعون عن مخالفته، فما زادهم إلا طغياناً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزخرف: ٤٨ ـ ٤٩] ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢ ـ ١٣٦] وقد دعا رسول الله ﷺ على قريش حين تمادوا على مخالفته بسبع كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا كل شيء، وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع. وقد فسر ابن مسعود قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الدخان: ١٠] بذلك كما رواه البخاري عنه في غير ما موضع من صحيحه، ثم توسلوا إليه، صلوات الله وسلامه عليه، بقرابتهم منه مع أنه بعث بالرحمة والرأفة، فدعا لهم فأقلع عنهم ورفع عنهم العذاب، وأحيوا بعدما كانوا أشرفوا على الهلكة.

وأما فلق البحر لموسى عليه السلام حين أمره الله تعالى ـ حين تراءى الجمعان ـ أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطَّود العظيم، فإنه معجزة عظيمة باهرة، وحجة قاطعة قاهرة، وقد بسطنا ذلك في التفسير وفي قصص الأنبياء من كتابنا هذا، وفي إشارته ﷺ بيده الكريمة إلى قمر السماء فانشق القمر فلقتين وفق ما سأله قريش، وهم معه جلوس في ليلة البدر، أعظم آية، وأيمن دلالة وأوضح حجة وأبهر برهان على نبوته وجاهه عند الله تعالى، ولم ينقل معجزة عن نبي من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا، كما قررنا ذلك بأدلته من الكتاب والسنة، في التفسير في أول البعثة، وهذا أعظم من حبس الشمس قليلاً ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت، كما سيأتي في تقرير ذلك مع ما يناسب ذكره عنده، وقد تقدم من سيرة العلاء بن الحضرمي، وأبي عبيد الثقفي وأبي مسلم الخولاني، وسير الجيوش التي كانت معهم على تيار الماء ومنها دجلة وهي جارية عجاجة تقذف بالخشب من شدة جريها، وتقدم تقرير أن هذا أعجب من فلق البحر لموسى من عدة وجوه والله أعلم. وقال ابن حامد:

فإن قالوا: فإن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر فانفلق فكان ذلك آية لموسى عليه السلام، قلنا: فقد أوتي رسول الله ﷺ مثلها، قال علي رضي الله عنه: لما خرجنا إلى خيبر فإذا نحن بواد سحب وقدرناه فإذا هو أربع عشرة قامة، فقالوا: يا رسول الله العدو من ورائنا والوادي من أمامنا، كما قال أصحاب موسى: إنا لمدركون. فنزل رسول الله ﷺ ثم قال: «اللهمَّ إنَّكَ جَعَلْتَ لِكُلِّ مُرْسَلٍ دَلالَةً فَأَرِنِي قُدْرَاتِكَ» فَرَكِبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فعبرت الخيل لا تبدي حوافرها والإبل لا تبدي أخفافها، فكان ذلك فتحاً، وهذا الذي ذكره بلا إسناد ولا أعرفه في شيء من الكتب المعتمدة بإسناد صحيح ولا حسن بل ولا ضعيف، والله أعلم. وأما تظليلهُ بالغمام في التيه، فقد تقدم ذكر حديث الغمامة التي رآها بحيرا تظله من بين أصحابه، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، صحبة عمه أبي طالب وهو قادم إلى الشام في تجارة، وهذا أبهر من جهة أنه كان وهو قبل أن يوحي إليه، وكانت الغمامة تظله وحده من بين أصحابه، فهذا أشد في الاعتناء، وأظهر من غمام بني إسرائيل وغيرهم، وأيضاً فإن المقصود من تظليل الغمام إنما كان لاحتياجهم إليه من شدة الحر، وقد ذكرنا في الدلائل حين سئل النبي ﷺ أن يدعو لهم ليسقوا لما هم عليه من الجوع والجهد والقحط، فرفع يديه وقال: اللهمَّ اسْقِنَا، اللهمَّ اسْقِنا، اللهمَّ اسْقِنا، قال أنس: ولا واللَّهِ ما نَرَى في السَّماءِ من سَحَابٍ ولا قَزَعة [1]، وما بيننا وبين سَلْعٍ من بَيْتٍ ولا دَارٍ، فأنشأت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال أنس: فلا والله ما رأينا الشمس سبتنا، ولما سألوه أن يستصحي لهم رفع يده وقال: اللهمَّ حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنَا، فما جَعَلَ يُشِيرُ بيديهِ إلى ناحية إلا انحازَ السَّحَابُ إليها حتى صارت المدينة مثل الإكليل بمطر ما حولها ولا تمطر». فهذا تظليل عام محتاج إليه، آكد من الحاجة إلى ذلك، وهو أنفع منه والتصرف فيه وهو يشير أبلغ في المعجز وأظهر في الاعتناء والله أعلم. وأما إنزال المن والسلوى عليهم فقد كثر رسول الله ﷺ الطعام والشراب في غير ما موطن كما تقدم بيانه في دلائل النبوة من إطعام الجم الغفير من الشيء اليسير، كما أطعم يوم الخندق من شويهة [2] جابر بن عبد الله وصاعه الشعير، أزيد من ألف نفس جائعة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين. وأطعم من حفنة قوماً من الناس وكانت تمد من السماء، إلى غير ذلك من هذا القبيل مما يطول ذكره. وقد ذكر أبو نعيم وابن حامد أيضاً هاهنا أن المراد بالمن والسلوى إنما هو رزق رزقوه من غير كد منهم ولا تعب، ثم أورد في مقابلته حديث تحليل المغنم ولا يحل لأحد قبلنا، وحديث جابر في سير أبي عبيدة وجوعهم حتى أكلوا الخبط فحسر البحر لهم عن دابة تسمى العنبر فأكلوا منها ثلاثين من بين يوم وليلة حتى سمنوا وتكسرت عكن بطونهم، والحديث في الصحيح كما تقدم، وسيأتي عند ذكر المائدة في معجزات المسيح ابن مريم.

«قصة أبي موسى الخولانيّ»

أنه خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الحج وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مزاداً فكانوا إذا

(١) القزعة: القطعة من السحاب المتفرق.
(٢) الشويهة: الشاة الصغيرة.

نزلوا منزلاً صلّى ركعتين فيؤتون بطعام وشراب وعلف يكفيهم ويكفي دوابهم غداء وعشاء مدة ذهابهم وإيابهم، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠] الآية فقد ذكرنا بسط ذلك في قصة موسى عليه السلام وفي التفسير. وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في وضع النبيّ ﷺ يده في ذلك الإناء الصغير الذي لم يسع بسطها فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون، وكذلك كثر الماء في غير ما موطن، كمزادتي تلك المرأة، ويوم الحديبية، وغير ذلك، وقد استسقى الله لأصحابه في المدينة وغيرها فأجيب طبق السؤال وفق الحاجة لا أزيد ولا أنقص وهذا أبلغ في المعجز، ونبع الماء من بين أصابعه من نفس يده، على قول طائفة من العلماء، أعظم من نبع الماء من الحجر فإنه محل لذلك. قال أبو نعيم الحافظ: فإن قيل: إن موسى كان يضرب بعصاه الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً في التيه، قد علم كل أناس مشربهم. قيل: كان لمحمد ﷺ مثله أو أعجب، فإن نبع الماء من الحجر مشهور في العلوم والمعارف، وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والدم والعظم، فكان يفرج بين أصابعه في محصب فينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويسقون ماء جارياً عذباً، يروي العدد الكثير من الناس والخيل والإبل. ثم روي من طريق المطلب بن عبد الله بن أبي حنطب: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، حدثني أبي. قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، فبات الناس في مخمصة فدعا بركوة فوضعت بين يديه، ثم دعا بماء فصبه فيها، ثم مج فيها وتكلم ما شاء الله أن يتكلم، ثم أدخل إصبعه فيها، فأقسم بالله لقد رأيتُ أصابع رسول الله ﷺ تتفجر منها ينابيع الماء، ثم أمر الناس فسقوا وشربوا وملؤوا قربهم وأداواتهم. وأما قصة إحياء الذين قتلوا بسبب عبادة العجل وقصة البقرة، فسيأتي ما يشابههما من إحياء حيوانات وأناس، عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى ابن مريم والله أعلم. وقد ذكر أبو نعيم هٰهنا أشياء أخر تركناها اختصاراً أو اقتصاداً. وقال هشام بن عمارة في كتابه المبعث:

باب ما أعطي رسول الله ﷺ، وما أعطي الأنبياء قبله

حدثنا محمد بن شعيب، حدثنا روح بن مدرك، أخبرني عمر بن حسان التميمي أن موسى عليه السلام أعطى آية من كنوز العرش، رب لا تولج الشيطان في قلبي وأعذني منه ومن كل سوء، فإن لك اليد والسلطان والملك والملكوت، دهر الداهرين وأبد الآبدين آمين آمين، قال: وأعطى محمد ﷺ آيتان من كنوز العرش، آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخرها.

قصة حَبْسِ الشَّمْسِ على يوشع بن نون بن افرائم بن يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام

وقد كان نبي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وهو الذي خرج ببني إسرائيل من التيه ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة، وكان الفتح قد تنجز بعد العصر يوم الجمعة

وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت فلا يتمكنون معه من القتال، فنظر إلى الشمس فقال: إنك مأمورة وأنا مأمور، ثم قال: اللهم احبسها عليّ فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ثم غربت، وقد قدمنا في قصة من قصص الأنبياء الحديث الوارد في صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «غزا نبي من الأنبياء فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم امسكها عليّ شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه»، الحديث بطوله، وهذا النبي هو يوشع بن نون، بدليل ما رواه الإمام أحمد: **حدثنا** أسود بن عامر، حدثنا أبو بكر بن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع عليه السلام ليالي سار إلى بيت المقدس**». تفرد به أحمد وإسناده على شرط البخاري. إذا علم هذا فانشقاق القمر فلقتين حتى صارت فلقة من وراء الجبل ـ أعني حراء ـ وأخرى من دونه، أعظم في المعجزة من حبس الشمس قليلاً. وقد قدمنا في الدلائل حديث رد الشمس بعد غروبها، وذكرنا ما قيل فيه من المقالات فالله أعلم. قال شيخنا العلامة أبو المعالي بن الزملكاني: وأما حبس الشمس ليوشع في قتال الجبارين، فقد انشق القمر لنبينا ﷺ وانشقاق القمر فلقتين أبلغ من حبس الشمس عن مسيرها، وصحت الأحاديث وتواترت بانشقاق القمر، وأنه كان فرقة خلف الجبل وفرقة أمامه وأن قريشاً قالوا: هذا سحر أبصارنا، فوردت المسافرون وأخبروا أنهم رأوه مفترقاً، قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١ ـ ٢] قال: وقد حبست الشمس رسول الله ﷺ مرتين، إحداهما ما رواه الطحاوي وقال: رواته ثقات، وسماهم وعدهم واحداً واحداً، وهو أن النبي ﷺ كان يوحي إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يرفع رأسه حتى غربت الشمس، ولم يكن عليٌّ صلى العصر، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، فرد الله عليه الشمس حتى رئيت، فقام عليٌّ فصلى العصر، ثم غربت. والثانية صبيحة الإسراء فإنه ﷺ أخبر قريشاً عن مسراه من مكة إلى بيت المقدس، فسألوه عن أشياء من بيت المقدس فجلاه الله له حتى نظر إليه ووصفه لهم، وسألوه عن عير كانت لهم في الطريق فقال: إنها تصل إليكم مع شروق الشمس، فتأخرت فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى كانت العصر. روى ذلك ابن بكير في زياداته على السنن، أما حديث رد الشمس بسبب عليّ رضي الله عنه، فقد تقدم ذكرنا له من طريق أسماء بنت عميس، وهو أشهرها، وابن سعيد وأبي هريرة وعليّ نفسه، وهو مستنكر من جميع الوجوه، وقد مال إلى تقويته أحمد بن صالح المصري الحافظ، وأبو حفص الطحاوي، والقاضي عياض، وكذا صححه جماعة من العلماء الرافضة كابن المطهّر وذويه، ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث ونقادهم، كعليّ بن المديني، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وحكاه عن شيخه محمد ويعلى بن عبيد الطنافسيين، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه أحد الحفاظ، والحافظ الكبير أبي القاسم ابن عساكر، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات، وكذلك صرح بوضعه

شيخاي الحافظان الكبيران أبو الحجاج المزي، وأبو عبد الله. الذهبي وأما ما ذكره يونس بن بكير في زياداته على السيرة من تأخر طلوع الشمس عن إبَّانِ طلوعها، فلم يرَ لغيره من العلماء، على أن هذا ليس من الأمور المشاهدة، وأكثر ما في الباب أن الراوي روى تأخير طلوعها ولم نشاهد حبسها عن وقته. وأغرب من هذا ما ذكره ابن المطهر في كتابه المنهاج، أنها ردت لعلي مرتين، فذكر الحديث المتقدم، كما ذكر، ثم قال: وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل، اشتغل كثير من أصحابه بسبب دوابهم، وصلى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفاتت كثيراً منهم فتكلموا في ذلك، فسأل الله ردَّ الشمس فردت. قال:

وذكر أبو نعيم بعد موسى إدريس عليه السلام وهو عند كثير من المفسرين من أنبياء بني إسرائيل، وعند محمد بن إسحاق بن يسار وآخرين من علماء النسب قبل نوح عليه السلام، في عمود نسبه إلى آدم عليه السلام، كما تقدم التنبيه على ذلك. فقال:

القول فيما أعطي إدريس عليه السلام من الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧].

قال: والقول فيه أن نبينا محمداً ﷺ أعطى أفضل وأكمل من ذلك، لأن الله تعالى رفع ذكره في الدنيا والآخرة فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤] فليس خطيب ولا شفيع ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقرن الله اسمه باسمه، في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك مفتاحاً للصلاة المفروضة، ثم أورد حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال: قال جبريل: قال الله: إذا ذكرتُ ذكرتَ. ورواه ابن جرير وابن أبي عاصم من طريق دراج. ثم قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي، حدثنا موسى بن سهل الجوني، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي، حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لما فرغت مما أمرني الله تعالى به من أمر السموات والأرض قلت: يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد كرمته، جعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جعلت لي؟ قال: أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله، أن لا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله. وهذا إسناد فيه غرابة، ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم ابن بنت منيع البغوي عن سليمان بن داود المهراني عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه. وقد رواه أبو زرعة الرازي في كتاب دلائل النبوة بسياق آخر، وفيه انقطاع، فقال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن زريق أنه سمع عطاء الخراساني يحدث عن أبي هريرة وأنس بن مالك عن النبي ﷺ من حديث ليلة أسري به. قال: لما أراني الله من آياته فوجدت ريحاً طيبة فقلت: ما

هذا يا جبريل؟ قال: هذه الجنة، قلت: يا ربي ائتني بأهلي، قال الله تعالى: لك ما وعدتك، كل مؤمن ومؤمنة لم يتخذ من دوني أنداداً، ومن أقرضني قربته، ومن توكل عليَّ كفيته، ومن سألني أعطيته، ولا ينقص نفقته، ولا ينقص ما يتمنى، لك ما وعدتك، فنعم دار المتقين أنت، قلت: رضيت، فلما انتهينا إلى سدرة المنتهى خررت ساجداً فرفعت رأسي فقلت: يا ربّ اتخذتَ إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، وآتيت داود زبوراً، وآتيت سليمان ملكاً عظيماً، قال: فإني قد رفعتُ لك ذكرك، ولا تجوز لأمتك خطبة حتى يشهدوا أنك رسولي، وجعلت قلوبَ أمّتِكَ أناجيلَ، وآتيتك خواتيم سورة البقرة من تحت عرشي. ثم روى من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة، حديث الإسراء بطوله، كما سقناه من طريق ابن جرير في التفسير، وقال أبو زرعة في سياقه: ثم لقي أرواح الأنبياء عليهم السلام فأثنوا على ربهم عز وجل، فقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلاً، وأعطاني ملكاً عظيماً، وجعلني أمة قانتا لله محياي ومماتي، وأنقذني من النار، وجعلها عليّ برداً وسلاماً. ثم إن موسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليماً، واصطفاني برسالته وبكلامه، وقربني نجيا، وأنزل عليّ التوراة، وجعل هلاك فرعون على يدي. ثم إن داود أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي جعلني ملكاً وأنزل عليّ الزبور، وألان لي الحديد، وسخر لي الجبال يسبحن معه والطير، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب. ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح والجن والإنس، وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، وعلمني منطق الطير، وأسال لي عين القطر، وأعطاني ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. ثم إن عيسى أثنى على الله عز وجل فقال: الحمد لله الذي علمني التوراة والإنجيل، وجعلني أبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، وطهرني ورفعني من الذين كفروا، وأعاذني من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل. ثم إن محمداً ﷺ أثنى على رَبِّهِ فقال: «كُلُّكُمْ أثنى على رَبِّهِ، وأنا مثنٍ على رَبِّي، الحمدُ للَّهِ الذي أرسلني رحمةً للعالمين. وكافّةً للناسِ بَشيراً ونذيراً، وأنزلَ عليّ الفرقان فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خَيْرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس، وجعل أمتي وسطاً، وجعلَ أمتي هم الأولون وهم الآخرون، وَشَرَحَ لي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، ورفع لي ذِكْرِي، وجعلني فاتحاً وخاتماً». فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد ﷺ. ثم أورد إبراهيم الحديث المتقدم فيما رواه الحاكم والبيهقي من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب مرفوعاً في قول آدم: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله: وما أدراك ولم أخلقه بعد؟ فقال لأني رأيت مكتوباً مع اسمك على ساق العرش: لا إله إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ الله، فعرفتُ أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، ولولا محمد ما خلقتك. وقال بعض الأئمة: رفع الله ذكره، وقرنه باسمه في الأولين والآخرين، وكذلك يرفع قدره ويقيمه مقاماً محموداً يوم القيامة، يغبطه به الأولون والآخرون، ويرغب إليه الخلق كلهم حتى إبراهيم الخليل، كما ورد في صحيح مسلم فيما سلف وسيأتي أيضاً، فأما التنويه بذكره في الأمم الخالية، والقرون

السابقة، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته العهد والميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه، وقد بشرت بوجوده الأنبياء حتى كان آخر من بشر به عيسى ابن مريم خاتم أنبياء بني إسرائيل، وكذلك بشرت به الأحبار والرهبان والكهان، كما قدمنا ذلك مبسوطاً، ولما كانت ليلة الإسراء رفع من سماء إلى سماء حتى سلم على إدريس عليه السلام، وهو في السماء الرابعة، ثم جاوزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلم على موسى بها، ثم جاوزه إلى السابعة فسلم على إبراهيم الخليل عند البيت المعمور، ثم جاوز ذلك المقام، فرفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام، وجاء سدرة المنتهى ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى، وصلى بالأنبياء، وَشَيَّعَهُ من كل سماءٍ مقربوها، وسلم عليه رضوان خازن الجنان، ومالك خازن النار، فهذا هو الشرف، وهذه هي الرفعة، وهذا هو التكريم والتنويه والإشهار والتقديم والعلو والعظمة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين، وأما رفع ذكره في الآخرين، فإن دينه باق ناسخ لكل دين، ولا ينسخ هو أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين، ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة، والنداء في كل يوم خمس مرات على كل مكان مرتفع من الأرض: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وهكذا كل خطيب يخطب لا بد أن يذكره في خطبته، وما أحسن قول حسان: [البحر الطويل]:

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ

وَضَمَّ الإِلٰهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلى اسْمِهِ ... إِذا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهٰذا مُحَمَّدُ

وقال الصرصري رحمه الله: [البحر الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّا لا يَصِحُّ أَذانُنا ... وَلا فَرْضُنا إِنْ لَمْ نُكَرِّرْهُ فِيهِما

القول فيما أوتي داود عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص: ١٧- ١٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١٠- ١١] وقد ذكرنا قصته عليه السلام في التفسير، وطيب صوته عليه السلام، وأن الله تعالى كان قد سخر له الطير تسبح معه، وكانت الجبال أيضاً تجيبه وتسبح معه، وكان سريع القراءة، يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ الزبور بمقدار ما يفرغ من شأنها ثم يركب، وكان لا يأكل إلا من كسب يده، صلوات الله وسلامه عليه، وقد كان نبينا ﷺ حسن الصوت طيبه بتلاوة القرآن، قال جبير بن مطعم: قرأ رسول الله ﷺ في المغرب بالتين والزيتون، فما

سمعت صوتاً أطيب من صوته ﷺ، وكان يقرأ ترتيلاً كما أمره الله عز وجل بذلك. وأما تسبيح الطير مع داود، فتسبيح الجبال الصم أعجب من ذلك، وقد تقدم في الحديث أن الحصا سبح في كف رسول الله ﷺ قال ابن حامد: وهذا حديث معروف مشهور، وكانت الأحجار والأشجار والمدر تسلم عليه ﷺ. وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ـ يعني بين يدي النبي ﷺ ـ وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه كلمه ذراع الشاة المسمومة، وأعلمه بما فيه من السم، وشهدت بنبوته الحيوانات الإنسية والوحشية، والجمادات أيضاً، كما تقدم بسط ذلك كله، ولا شك أن صدور التسبيح من الحصا الصغار الصم التي لا تجاويف فيها، أعجب من صدور ذلك من الجبال، لما فيها من التجاويف والكهوف، فإنها وما شاكلها تردد صدى الأصوات العالية غالباً، كما قال عبد الله بن الزبير: كان إذا خطب ـ وهو أمير المدينة بالحرم الشريف ـ تجاوبه الجبال، أبو قبيس وزرود، ولكن من غير تسبيح، فإن ذلك من معجزات داود عليه السلام. ومع هذا كان تسبيح الحصا في كف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، أعجب. وأما أكل داود من كسب يده، فقد كان رسول الله ﷺ يأكل من كسبه أيضاً، كما كان يرعى غنماً لأهل مكة على قراريط. وقال: وما من نبي إلا وقد رعى الغنم. وخرج إلى الشام في تجارة لخديجة مضاربة، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان: ٧ـ ٩] إلى قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي للتكسب والتجارة طلباً للربح الحلال. ثم لما شرع الله له الجهاد بالمدينة، كان يأكل مما أباح له من المغانم التي لم تبح لنبي قبله، ومما أفاء الله عليه من أموال الكفار التي أبيحت له دون غيره، كما جاء في المسند والترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» وأما إلانة الحديد بغير نار كما يلين العجين في يده، فكان يصنع هذه الدروع الداوودية، وهي الزرديات السابغات، وأمره الله تعالى بنفسه بعملها، وقدر في السرد، أي ألا يدق المسمار فيعلق، ولا يعظله فيقصم، كما جاء في البخاري، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠] وقد قال بعض الشعراء في معجزات النبوة:

نَسِيجُ دَاوُدَ مَا حَمَى صَاحِبَ الغَا ... رِ وَكَانَ الفَخَارُ لِلْعَنْكَبُوتِ

والمقصود المعجز في إلانة الحديد، وقد تقدم في السيرة عند ذكر حفر الخندق عام الأحزاب، في سنة أربع، وقيل: خمس، أنهم عرضت لهم كدية ـ وهي الصخرة في الأرض ـ فلم يقدروا على كسرها ولا شيء منها، فقام إليها رسول الله ﷺ ـ وقد ربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ـ فضربها ثلاث ضربات، لمعت الأولى حتى أضاءت له منها قصور الشام، وبالثانية

قصور فارس، وثالثة، ثم انسالت الصخرة كأنها كثيب من الرمل، ولا شك أن انسيال الصخرة التي لا تنفعل ولا بالنار، أعجب من لين الحديد الذي إن أحمي لان كما قال بعضهم: [البحر الطويل]:

فَلَوْ أَنَّ مَا عَالَجْتُ لِينَ فُؤَادِهَا ... بِنَفْسِي... لَلانَ الجَنْدَلُ الصلدُ

والجندل الصخر، فلو أن شيئاً أشد قوة من الصخر لذكره هذا الشاعر المبالغ، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] الآية. وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٠- ٥١] الآية، فذلك لمعنى آخر في التفسير، وحاصله أن الحديد أشد امتناعاً في الساعة الراهنة من الحجر ما لم يعالج، فإذا عولج انفعل الحديد ولا ينفعل الحجر والله أعلم. وقال أبو نعيم: فإن قيل: فقد لين الله لداود عليه السلام الحديد حتى سرد منه الدروع السوابغ، قيل: لينت لمحمد ﷺ الحجارة وصم الصخور، فعادت له غاراً استتر به من المشركين، يوم أحد، مال إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم فلين الجبل حتى أدخل رأسه فيه، وهذا أعجب لأن الحديد تلينه النار، ولم نرَ النار تلين الحجر، قال: وذلك بعد ظاهر باق يراه الناس. قال: وكذلك في بعض شعاب مكة حجر من جبل في صلايه[1] إليه فلان الحجر حتى أدرأ فيه بذراعيه وساعديه، وذلك مشهور يقصده الحجاج ويرونه. وعادت الصخرة ليلة أسري به كهيئة العجين، فربط بها دابته ـ البراق ـ [وموضعه] يمسونه الناس إلى يومنا هذا. وهذا الذي أشار إليه، من يوم أحد وبعض شعاب مكة غريب جداً، ولعله قد أسنده هو فيما سلف، وليس ذلك بمعروف في السيرة المشهورة. وأما ربط الدابة في الحجر فصحيح، والذي ربطها جبريل كما هو في صحيح مسلم رحمه الله. وأما قوله: «وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب، فقد كانت الحكمة التي أوتيها محمد ﷺ والشرعة التي شرعت له، أكمل من كل حكمة وشرعة كانت لمن قبله من الأنبياءِ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فإن الله جمع له محاسن من كان قبله، وفضله، وأكمله ما لم يؤتِ أحداً قبله، وقد قال ﷺ: أوتيت جوامع الكلم، واختصرت لي الحكمة اختصاراً. ولا شك أن العرب أفصح الأمم، وكان النبي ﷺ أفصحهم نطقاً، وأجمع لكل خلق جميل مطلقاً.

القول فيما أوتي سليمان بن داود عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٠﴾ [ص: ٣٦- ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي

---

(١) كذا في الأصل.

بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨١ـ ٨٢] وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٢ـ ١٣] وقد بسطنا ذلك في قصته، وفي التفسير أيضاً، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثاً، سأل الله حكماً يوافق حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. أما تسخير الريح لسليمان فقد قال الله تعالى في شأن الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩] وقد تقدم في الحديث الذي رواه مسلم من طريق شعبة عن الحاكم عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. ورواه مسلم من طريق الأعمش عن مسعود بن مالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ مثله. وثبت في الصحيحين: نصرت بالرعب مسيرة شهر. ومعنى ذلك أنه ﷺ كان إذا قصد قتال قوم من الكفار ألقى الله الرعب في قلوبهم قبل وصوله إليهم بشهر، ولو كان مسيره شهراً، فهذا في مقابلة: غدوها شهر ورواحها شهر، بل هذا أبلغ في التمكن والنصر والتأييد والظفر، وسخرت له الرياح تسوق السحاب لإنزال المطر الذي امتن الله به حين استسقى رسول الله ﷺ في غير ما موطن كما تقدم. وقال أبو نعيم: فإن قيل: فإن سليمان سخرت له الريح فسارت به في بلاد الله وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً. قيل: ما أعطى محمد ﷺ أعظم وأكبر، لأنه سار في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة، في أقل من ثلث ليلة، فدخل السموات سماء سماء، ورأى عجائبها، ووقف على الجنة والنار، وعرض عليه أعمال أمته، وصلى بالأنبياء وبملائكة السموات، واخترق الحجب، وهذا كله في ليلة قائماً، أكبر وأعجب. وأما تسخير الشياطين بين يديه تعمل ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، فقد أنزل الله الملائكة المقربين لنصرة عبده ورسوله محمد ﷺ في غير ما موطن، يوم أحد وبدر، ويوم الأحزاب ويوم حنين، كما تقدم ذكرناه ذلك مفصلاً في مواضعه. وذلك أعظم وأبهر، وأجل وأعلا من تسخير الشياطين. وقد ذكر ذلك ابن حامد في كتابه. وفي الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة، أو كلمة نحوها، ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى يصبحوا وينظروا إليه، فذكرت دعوة أخي سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، قال روح فرده الله خاسئاً. لفظ البخاري. ولمسلم عن أبي الدرداء نحوه، قال: ثم أردت أخذه، والله لولا

دعوة أخينا سليمان لأصبح يلعب به ولدان أهل المدينة. وقد روى الإمام أحمد بسند جيد عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: «لَوْ رَأَيْتُمُوني وإبليسَ فَأَهْوَيْتُ بيدي فما زلتُ أَخْتَنِقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ برد لعابهِ بَيْنَ أصبعيَّ هاتَيْنِ، الإبهام والتي تليها، ولولا دعوةُ أخي سُليمانَ لأَصْبَحَ مَرْبُوطاً بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المسجدِ يتلاعبُ بِهِ صبيانُ أَهْلِ المَدِينَةِ». وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أبوابُ الجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»، وفي رواية: «مَرَدَةُ الجِنِّ». فهذا من بركة ما شرعه الله له من صيام شهر رمضان وقيامه، وسيأتي عند إبراء الأكمه والأبرص من معجزات المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، دعاء رسول الله ﷺ لغير ما واحد ممن أسلم من الجن فشفي، وفارقهم خوفاً منه ومهابة له، وامتثالاً لأمره. صلوات الله وسلامه عليهم، وقد بعث الله نفراً من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى دين محمد ﷺ وحذروهم مخالفته، لأنه كان مبعوثاً إلى الإنس والجن، فآمنت طوائف من الجن كثيرة كما ذكرنا، ووفدت إليه منهم وفود كثيرة وقرأ عليهم سورة الرحمن، وخبرهم بما لمن آمن منهم من الجنان، وما لمن كفر من النيران، وشرع لهم ما يأكلون وما يطعمون دوابهم، فدل على أنه بين لهم ما هو أهم من ذلك وأكبر. وقد ذكر أبو نعيم ها هنا حديث الغول التي كانت تسرق التمر من جماعة من أصحابه ﷺ، ويريدون إحضارها إليه فتمتنع كل الامتناع خوفاً من المثول بين يديه، ثم افتدت منهم بتعليمهم قراءة آية الكرسي التي لا يقرب قارئها الشيطان، وقد سقنا ذلك بطرقه وألفاظه عند تفسير آية الكرسي من كتابنا التفسير ولله الحمد. والغول هي الجن المتبدي بالليل في صورة مرعبة. وذكر أبو نعيم هاهنا حماية جبريل له عليه السلام غير ما مرة من أبي جهل كما ذكرنا في السيرة، وذكر مقاتلة جبريل وميكائيل عن يمينه وشماله يوم أحد. وأما ما جمع الله تعالى لسليمان من النبوة والملك كما كان أبوه من قبله، فقد خير الله عبده محمداً ﷺ بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولاً، فاستشار جبريل في ذلك فأشار إليه وعليه أن يتواضع، فاختار أن يكون عبداً رسولاً، وقد روى ذلك من حديث عائشة وابن عباس، ولا شك أن منصب الرسالة أعلى. وقد عرضت على نبينا ﷺ كنوز الأرض فأباها، قال: ولو شئت لأجرى الله معي جبال الأرض ذهباً، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، وقد ذكرنا ذلك كله بأدلته وأسانيده في التفسير وفي السيرة أيضاً ولله الحمد والمنة. وقد أورد الحافظ أبو نعيم هاهنا طرفاً منها من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم جيء بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت في يدي. ومن حديث الحسين بن واقد عن الزبير عن جابر مرفوعاً أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبلق جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس. ومن حديث القاسم عن أبي لبابة مرفوعاً: عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك. قال أبو نعيم: فإن قيل: سليمان عليه السلام كان يفهم كلام الطير والنملة كما قال

تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] الآية وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٨ـ ١٩] الآية. قيل: قد أعطي محمد ﷺ مثل ذلك وأكثر منه، فقد تقدم ذكرنا لكلام البهائم والسباع وحنين الجذع ورغاء البعير وكلام الشجر وتسبيح الحصا والحجر، ودعائه إياه واستجابته لأمره، وإقرار الذئب بنبوته، وتسبيح الطير لطاعته، وكلام الظبية وشكواها إليه، وكلام الضب وإقراره بنبوته، وما في معناه، كل ذلك قد تقدم في الفصول بما يغني عن إعادته. انتهى كلامه. قلت: وكذلك أخبره ذراع الشاة بما فيه من السم وكان ذلك بإقرار من وضعه فيه من اليهود، وقال إن هذه السحابة لتبتهل بنصرك يا عمرو بن سالم ـ يعني الخزاعي ـ حين أنشده تلك القصيدة يستعديه فيها على بني بكر الذين نقضوا صلح الحديبية، وكان ذلك سبب فتح مكة كما تقدم وقال ﷺ: **«إنّي لأَعْرِفُ حَجَراً كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إنّي لأعرفُهُ الآن»**. فهذا إن كان كلاماً مما يليق بحاله ففهم عنه الرسول ذلك، فهو من هذا القبيل وأبلغ، لأنه جماد بالنسبة إلى الطير والنمل، لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح، وإن كان سلاماً نطقياً وهو الأظهر، فهو أعجب من هذا الوجه أيضاً، كما قال علي: خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فما مرَّ بحجر ولا شجر ولا مدر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فهذا النطق سمعه رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه.

ثم قال أبو نعيم: **حدثنا** أحمد بن محمد بن الحارث العنبري، حدثنا أحمد بن يوسف بن سفيان، حدثنا إبراهيم بن سويد النخعي، حدثنا عبد الله بن أذينة الطائي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معلاة بن جبل قال: «أتى النبي ﷺ ـ وهو بخيبر ـ حمار أسود فوقف بين يديه فقال: من أنت؟ فقال: أخبرنا عمرو بن فهران، كنا سبعة إخوة وكلنا رَكِبَنَا الأنبياء وأنا أصغرهم، وكنت لك فملكني رجلٌ من اليهود، وكنتُ إذا ذكرك عثرت به فَيُوجِعُنِي ضرباً، فقال النبيّ ﷺ: **«فَأنْتَ يَعْفُور»**. وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ولا يحتاج إلى ذكره مع ما تقدم من الأحاديث الصحيحة التي فيها غنية عنه. وقد روي على غير هذه الصفة، وقد نص على نكارته ابن أبي حاتم عن أبيه، والله أعلم.

القول فيما أوتي عيسى ابن مريم عليه السلام

ويسمى المسيح، فقيل: لمسحه الأرض، وقيل: لمسح قدمه، وقيل: لخروجه من بطن أمه ممسوحاً بالدهان، وقيل: لمسح جبريل بالبركة، وقيل: لمسح الله الذنوب عنه، وقيل: لأنه كان لا يمسح أحداً إلا برأ. حكاها كلها الحافظ أبو نعيم رحمه الله.

ومن خصائصه أنه عليه السلام مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر، كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى، وكما خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له: كن فيكون. وكذلك يكون عيسى بالكلمة وبنفخ جبريل مريم فخلق الله منها عيسى. ومن خصائصه وأمه أن إبليس لعنه الله حين ولد ذهب يطعن فطعن في الحجاب كما جاء في الصحيح، ومن

خصائصه أنه حي لم يمت، وهو الآن بجسده في السماء الدنيا، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية، كما رواه الترمذي وقد بسطنا ذلك في قصته.

وقال شيخنا العلامة ابن الزملكاني رحمه الله: وأما معجزات عيسى عليه السلام، فمنها إحياء الموتى، وللنبي ﷺ من ذلك كثير، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت، وقد كلم النبي ﷺ الذراع المسمومة، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الانسان الميت من وجوه، أحدها، أنه إحياء جزء من الحيوان دون بقية بدنه، وهذا معجز لو كان متصلاً بالبدن، الثاني أنه أحياه وحده منفصلاً عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية، الثالث أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل، ولم يكن هذا الحيوان يعقل في حياته الذي هو جزؤه مما يتكلم، وفي هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ﷺ.

قلت: وفي حلول الحياة والإدراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطب النبي ﷺ بالسلام عليه، كما روي في صحيح مسلم، من المعجز ما هو أبلغ من إحياء الحيوان في الجملة، لأنه كان محلاً للحياة في وقت، بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك، وكذلك تسليم الأحجار والمدر عليه، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة، وحنين الجذع وقد جمع ابن أبي الدنيا كتاباً فيمن عاش بعد الموت، وذكر منها كثيراً، وقد ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض يعقل فلم نبرح حتى قبض، فبسطنا عليه ثوبه وسجيناه، وله أم عجوز كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها بعضنا وقال: يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله فقالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم، فمدت يدها إلى الله تعالى فقالت: اللهم إنك تعلم أني أسلمت وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء، فلا تحملني هذه المصيبة اليوم. قال: فكشف الرجل عن وجهه وقعد، وما برحنا حتى أكلنا معه. وهذه القصة قد تقدم التنبيه عليها في دلائل النبوة.

وقد ذكر معجز الطوفان مع قصة العلاء بن الحضرمي. وهذا السياق الذي أورده شيخنا ذكر بعضه بالمعنى، وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا، والحافظ أبو بكر البيهقي من غير وجه عن صالح بن بشير المرّي ـ أحد زهاد البصرة وعبادها ـ وفي حديثه لين عن ثابت عن أنس فذكره. وفي رواية البيهقي أن أمه كانت عجوزاً عمياء ثم ساقه البيهقي من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عون عن أنس كما تقدم، وسياقه أتم، وفيه أن ذلك كان بحضرة رسول الله ﷺ، وهذا إسناد رجاله ثقات، ولكن فيه انقطاع بين عبد الله بن عون وأنس والله أعلم.

قصة أخرى

قال الحسن بن عرفة: حدثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سبرة النخعي قال: أقبل رجل من اليمن، فلما كان في بعض الطريق نفق حماره فقام وتوضأ ثم صلى

ركعتين ثم قال: اللهم إني جئت من المدينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليَّ اليوم منة، أطلب إليك اليوم أن تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه. قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة.

قال البيهقي: وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي وكأنه عند إسماعيل من الوجهين. والله أعلم. قلت: كذلك رواه ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل عن الشعبي فذكره قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع في الكناسة ـ يعني بالكوفة ـ وقد أوردها ابن أبي الدنيا من وجه آخر، وأن ذلك كان في زمن عمر بن الخطاب، وقد قال بعض قومه في ذلك: [البحر الطويل]:

وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَى الإِلٰهُ حِمَارَهُ وقَدْ مَاتَ مِنْهُ كُلُّ عُضْوٍ وَمَفْصِلِ

وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة.

قال البخاري في التاريخ الكبير: زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري شهد بدراً وتوفي في زمن عثمان، وهو الذي تكلم بعد الموت.

وروى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائله وصححه كما تقدم من طريق العتبي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من الحارث بن الخزرج، توفي زمن عثمان بن عفان فسجّي بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: أحمد في الكتاب الأول صدق صدق، أبو بكر الضعيف في نفسه القويّ في أمر الله، في الكتاب الأول صدق صدق، عمر بن الخطاب القوي في الكتاب الأول، صدق صدق، عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت ثنتان، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم عن جيشكم خير. قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني حطمة فسجِّي بثوبه فسمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني حارث بن الخزرج صدق صدق، ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقي أيضاً من وجه آخر بأبسط من هذا وأطول، وصححه البيهقي. قال: وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم.

قلت: قد ذكرت في قصة سخلة جابر يوم الخندق وأكل الألف منها ومن قليل شعير ما تقدم. وقد أورد الحافظ محمد بن المنذر المعروف بنيشكر، في كتابه الغرائب والعجائب بسنده، كما سبق أن رسول الله ﷺ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت فتركها في منزله والله أعلم.

قال شيخنا: ومن معجزات عيسى الإبراء من الجنون، وقد أبرأ النبي ﷺ ـ يعني من ذلك ـ هذا آخر ما وجدته فيما حكيناه عنه. فأما إبراء عيسى من الجنون، فما أعرف فيه نقلاً خاصاً، وإنما كان يبرىء الأكمه والأبرص والظاهر ومن جميع العاهات والأمراض المزمنة. وأما

إبراء النبي ﷺ من الجنون، فقد روى الإمام أحمد والحافظ البيهقي من غير وجه عن يعلى بن مرة أن امرأة أتت بابن لها صغير به لمم ما رأيت لمماً أشد منه، فقالت: يا رسول الله ابني هذا كما ترى أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يوجد منه في اليوم ما يؤذي، ثم قالت: مرة، فقال رسول الله ﷺ: «ناولينيه، فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه ونفث فيه ثلاثاً وقال: بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله، ثم ناولها إياه فذكرت أنه برىء من ساعته وما رابهم شيء بعد ذلك».

وقال أحمد: ثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السَبَخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن به لمماً، وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فسغ سغة فخرج منه مثل الجرو الأسود فشفي. غريب من هذا الوجه، وفرقد فيه كلام وإن كان من زهاد البصرة، لكن ما تقدم له شاهد وإن كانت القصة واحدة والله أعلم. وروى البزار من طريق فرقد أيضاً عن سعد بن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله إن هذا الخبيث قد غلبني، فقال لها: تصبري على ما أنت عليه وتجيئي يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب؟ فقالت: والذي بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله، ثم قالت: إني أخاف الخبيث أن يجردني، فدعا لها، وكانت إذا أحست أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها وتقول له: اخسأ، فيذهب عنها. وهذا دليل على أن فرقد حفظ، فإن هذا له شاهد في صحيح البخاري ومسلم من حديث عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع[1] وأنكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، قالت: لا بل أصبر، فادع الله أن لا أنكشف، قال: فدعا لها فكانت لا تنكشف.

ثم قال البخاري: ثنا محمد، حدثنا مخلد عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر ـ امرأة طويلة سوداء ـ على ستر الكعبة. وذكر الحافظ ابن الأثير في كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة، أن أم زفر هذه كانت ماشطة لخديجة بنت خويلد، وأنها عمرت حتى رآها عطاء بن أبي رباح رحمهما الله تعالى. وأما إبراء عيسى الأكمه وهو الذي يولد أعمى، وقيل هو: الذي لا يبصر في النهار ويبصر في الليل، وقيل: غير ذلك كما بسطنا ذلك في التفسير، والأبرص الذي به بهق، فقد رد رسول الله ﷺ يوم أحد عين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعدما سالت على خده، فأخذها في كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها، وكانت أحسن عينيه رضي الله عنه، كما ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة وغيره، وكذلك بسطناه ثم ولله الحمد والمنة، وقد دخل بعض ولده وهو عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز فسأل عنه فأنشأ يقول: [الطويل]:

---

(١) أصرع: أي يصيبني داء الصرع، وهو مرض يرمي صاحبه أرضاً ويفقد معه الوعي.

أنا ابْنُ الَّذِي سَالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهُ   فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لأَوَّلِ أَمْرِهَا   فَيَا حُسْنَ ما عَيْنٍ وَيَا حُسْنَ ما خَدُّ

فقال عمر بن عبد العزيز: [البسيط]:

تِلْكَ المَكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ   شِيبَا بَمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالا[1]

ثم أجازه فأحسن جائزته. وقد روى الدارقطني أن عينيه أصيبتا معاً حتى سالتا على خديه، فردهما رسول الله ﷺ إلى مكانهما. والمشهور الأول كما ذكر ابن إسحاق.

قصة الأعمى الذي رد الله عليه بصره بدعاء رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد: ثنا روح وعثمان بن عمر قالا: حدثنا شعبة عن أبي جعفر المديني سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف: «أن رجلاً ضريراً أتى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسولَ الله ادعُ الله لي أن يعافيني، فقال: إنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذلكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لآخِرَتِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ: قالَ: بَلْ ادْعُ اللَّهَ لي، قال: فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلّي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء: «اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّهُ إليكَ بِنَبِيِّكَ محمدٍ نبيِّ الرحمة، إني أتوجه به في حاجتي هذه فتقضى، وقال في رواية عثمان بن عمر: فشفعه فيَّ، قال: ففعل الرجل فبرأ»[2]. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي جعفر الخطمي. وقد رواه البيهقي عن الحاكم بسنده إلى أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف فذكر نحوه، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضُرٌّ قط.

قصة أخرى

قال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا محمد بن بشر، حدثنا عبد العزيز بن عمر، حدثني رجل من بني سلامان بن سعد عن أمه عن خاله، أو أن خاله أو خالها حبيب بن قريط حدثها أن أباه خرج إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً، فقال له: ما أصابك؟ قال: كنت أرعى حَمَلاً لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصيب بصري، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر، فرأيته وإنه ليدخل الخيط في الإبرة، وإنه لابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضتان.

قال البيهقي: وغيره يقول حبيب بن مدرك. وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ نفث في عيني عليّ يوم خيبر وهو أرمد فبرأ من ساعته، ثم لم يرمد بعدها أبداً، ومسح رجل جابر بن عتيك وقد انكسرت رجله ليلة قتل أبا رافع - تاجر أهل الحجاز الخيبري - فبرأ من ساعته أيضاً. وروى البيهقي أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته،

(١) العقبان: مثنى قعب، وهو القدح الضخم الغليظ، وشيب: مزج.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٣٨/٤.

ومسح رجل سلمة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعتها، ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يشفى من مرضه ذلك فشفي. وروى البيهقي أن عمه أبا طالب مرض فسأل منه ﷺ أن يدعو له ربه فدعا له فشفي من مرضه ذلك، وكم له من مثلها وعلى مسلكها، من إبراء آلام، وإزالة أسقام، مما يطول شرحه وبسطه. وقد وقع في كرامات الأولياء إبراء الأعمى بعد الدعاء عليه بالعمى أيضاً.

كما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق أبي سعيد بن الأعرابي عن أبي داود: حدثنا عمر بن عثمان، ثنا بقية عن محمد بن زياد عن أبي مسلم أن امرأة خببت عليه امرأته، فدعا عليها فذهب بصرها فأتته فقالت: يا أبا مسلم، إني كنت فعلت وفعلت، وإني لا أعود لمثلها، فقال: اللهم إن كانت صادقة فاردد عليها بصرها، فأبصرت. ورواه أيضاً من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا: حدثنا عبد الرحمن بن واقد، ثنا ضمرة ثنا عاصم، ثنا عثمان بن عطاء قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله[1] فإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته فإذا دخل البيت كبر وكبرت امرأته فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام يأكل، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه، ثم جاء إلى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه، وإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا هي جالسة بيدها عود تنكت في الأرض به، فقال لها: ما لك؟ فقالت الناس بخير، وأنت لو أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئاً تعيش به، فقال: اللهم من أفسد عليّ أهلي فاعم بصره، قال: وكانت أتتها امرأة فقالت لامرأة أبي مسلم: لو كلمت زوجك ليكلم معاوية فيخدمكم ويعطيكم؟ قال: فبينما هذه المرأة في منزلها والسراج مزهر، إذ أنكرت بصرها، فقالت: سراجكم طفيء؟ قالوا: لا، قالت: إن الله أذهب بصري، فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم فلم تزل تناشده وتتلطف إليه، فدعا الله فرد بصرها، ورجعت امرأته على حالها التي كانت عليها.

وأما قصة المائدة التي قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (١١٥)﴾ [المائدة: ١١٢ـ ١١٥] وقد ذكرنا في التفسير بسط ذلك واختلاف المفسرين فيها هل نزلت أم لا على قولين، والمشهور عن الجمهور أنها نزلت، واختلفوا فيما كان عليها من الطعام على أقوال، وذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير، الذي فتح البلاد المغربية أيام بني أمية وجد المائدة، ولكن قيل: إنها مائدة سليمان بن داود مرصعة بالجواهر وهي من ذهب فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك فكانت عنده حتى مات، فتسلمها أخوه سليمان، وقيل: إنها مائدة عيسى. لكن يبعد هذا أن النصارى لا يعرفون المائدة كما قاله غير واحد من العلماء والله أعلم.

(١) بياض في الأصل.

والمقصود أن المائدة سواء كانت قد نزلت أم لم تنزل[١] وقد كانت موائد رسول الله ﷺ تمد من السماء وكانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه، وكم قد أشبع من طعام يسير ألوفاً ومئات وعشرات ﷺ ما تعاقبت الأوقات، وما دامت الأرض والسموات. وهذا أبو مسلم الخولاني، وقد ذكر عنه الحافظ ابن عساكر في ترجمته من تاريخه أمراً عجيباً وشأناً غريباً، حيث روى من طريق إسحاق بن يحيى الملطي عن الأوزاعي قال: أتى أبا مسلم الخولانيّ نفر من قومه فقالوا: يا أبا مسلم أما تشتاق إلى الحج؟ قال: بلى لو أصبت لي أصحاباً، فقالوا: نحن أصحابك، قال: لستم لي بأصحاب، إنما أصحابي قوم لا يريدون الزاد ولا المزاد، فقالوا: سبحان الله، وكيف يسافر أقوام بلا زاد ولا مزاد؟ قال لهم: ألا ترون إلى الطير تغدو وتروح بلا زاد ولا مزاد والله يرزقها؟ وهي لا تبيع ولا تشتري، ولا تحرث ولا تزرع والله يرزقها؟ قال: فقالوا: فإنا نسافر معك، قال: فهبوا على بركة الله تعالى، قال: فغدوا من غوطة دمشق ليس معهم زاد ولا مزاد، فلما انتهوا إلى المنزل قالوا: يا أبا مسلم طعام لنا وعلف لدوابنا، قال: فقال لهم: نعم. فسحا غير بعيد فيمم مسجد أحجار فصلى فيه ركعتين، ثم جثى على ركبتيه فقال: إلٰهي قد تعلم ما أخرجني من منزلي، وإنما خرجت آمراً لك، وقد رأيت البخيل من ولد آدم تنزل به العصابة من الناس فيوسعهم قرى، وإنا أضيافك وزوارك، فأطعمنا، واسقنا، واعلف دوابنا، قال: فأتي بسفرة مدت بين أيديهم، وجيء بحفنة من ثريد، وجيء بقلتين من ماء، وجيء بالعلف لا يدرون من يأتي به، فلم تزل تلك حالهم منذ خرجوا من عند أهاليهم حتى رجعوا، لا يتكلفون زاداً ولا مزاداً. فهذه حال ولي من هذه الأمة، نزل عليه وعلى أصحابه مائدة كل يوم مرتين مع ما يضاف إليها من الماء والعلوفة لدواب أصحابه، وهذا اعتناء عظيم، وإنما نال ذلك ببركة متابعته لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وأما قوله عن عيسى ابن مريم عليه السلام: إنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] الآية، فهذا شيء يسير على الأنبياء، بل وعلى كثير من الأولياء، وقد قال يوسف الصديق لذينك الفتيين المحبوسين معه: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧] الآية. وقد أخبر رسول الله ﷺ بالأخبار الماضية طبق ما وقع وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء كما أخبر عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة التي كانت قريش قديماً كتبتها على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، فأرسل الله الأرضة فأكلتها إلا مواضع اسم الله تعالى، وفي رواية: فأكلت اسم الله منها تنزيهاً لها أن تكون مع الذي فيها من الظلم والعدوان، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عمه أبا طالب وهم بالشعب، فخرج إليهم أبو طالب وقال لهم عما أخبرهم به، فقالوا: إن كان كما قال وإلا فسلموه إلينا، فقالوا: نعم، فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ سواء بسواء، فأقلعت بطون قريش عما كانوا عليه لبني هاشم وبني المطلب، وهدى الله بذلك خلقاً كثيراً، وكم له

(١) كذا في الأصل، ويبدو أن فيه سقطاً.

مثلها كما تقدم بسطه وبيانه في مواضع من السيرة وغيرها ولله الحمد والمنة.

وفي يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ادعى أنه لا مال له، فقال له: فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفة الباب، وقلت لها: إن قتلت فهو للصبية؟ فقال: والله يا رسول الله إن هذا شيء لم يطلع عليه غيري وغير أم الفضل إلا الله عز وجل. وأخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بالحبشة، وصلى عليه، وأخبر عن قتل الأمراء يوم مؤتة واحداً بعد واحد وهو على المنبر وعيناه تذرفان، وأخبر عن الكتاب الذي أرسل به حاطب بن بلتعة مع شاكر مولى بني عبد المطلب، وأرسل في طلبها علياً والزبير والمقداد، فوجدوها قد جعلته في عقاصها، وفي رواية في حجزتها، وقد تقدم ذلك في غزوة الفتح، وقال لأميري كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله ﷺ: إن ربي قد قتل الليلة ربكما، فأرخا تلك الليلة، فإذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله، فأسلما وأسلم نائب اليمن، وكان سبب ملك اليمن لرسول الله ﷺ. وأما إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلة فكثيرة جداً كما تقدم بسط ذلك، وسيأتي في أنباء التواريخ ليقع ذلك طبق ما كان سواء بسواء. وذكر ابن حامد في مقابلة جهاد عيسى عليه الصلاة والسلام جهاد رسول الله ﷺ، وفي مقابلة زهد عيسى عليه الصلاة والسلام، زهادة رسول الله ﷺ عن كنوز الأرض حين عرضت عليه فأباها، وقال: أجوع يوماً وأشبع يوماً وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يمضي عليهن الشهر والشهران لا توقد عندهن نار ولا مصباح إنما هو الأسودان التمر والماء، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع، وما شبعوا من خبز بر ثلاث ليال تباعاً، وكان فراشه من أدم وحشوه ليف، وربما اعتقل الشاة فيحلبها، ورقع ثوبه، وخصف نعله بيده الكريمة، صلوات الله وسلامه عليه، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهوديّ على طعام اشتراه لأهله، هذا وكم آثر بآلاف مؤلفة والإبل والشاء والغنائم والهدايا، على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين.

وذكر أبو نعيم في مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصديقة بوضع عيسى ما بشرت به آمنة أم رسول الله ﷺ حين حملت به في منامها، وما قيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فسميه محمداً، وقد بسطنا ذلك في المولد كما تقدم. وقد أورد الحافظ أبو نعيم هٰهنا حديثاً غريباً مطولاً بالمولد أحببنا أن نسوقه ليكون الختام نظير الافتتاح، وبالله المستعان، وعليه التكلان ولله الحمد فقال: حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا حفص بن عمرو بن الصباح، ثنا يحيى بن عبد الله البابلي، أنا أبو بكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمر الأنصاري عن أبيه. قال: قال ابن عباس: فكان من دلالات حمل محمد ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة: وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق كاهن في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها، وانتزع علم الكهنة منها، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا ينطق يومه لذلك، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضاً، وفي كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السموات: أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض

ميموناً مباركاً. قال: وبقي في بطن أمه تسعة أشهر، وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة: إلٰهنا وسيدنا، بقي نبيك هذا يتيماً، فقال الله تعالى للملائكة: أنا له ولي وحافظ ونصير، فتبركوا بمولده ميموناً مباركاً.

وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته، وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: آتى لي آت حين مر لي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال: يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طراً، فإذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك. قال: وكانت تحدث عن نفسها وتقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم، ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه، قالت: فسمعت وجبة شديدة، وأمراً عظيماً، فهالني ذلك، وذلك يوم الاثنين، ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب كل رعب وكل فزع ووجل كنت أجد، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبناً، وكنت عطشانة، فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال، كأنهن من بنات عبد المطلب يحدقن بي، فبينا أنا أعجب وأقول: واغوثاه، من أين علمن بي؟ واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول، وإذا أنا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض، وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس، قالت: رأيت رجالاً وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجمان، أطيب ريحاً من المسك الأذفر، وأنا أقول: يا ليت عبد المطلب قد دخل علي، قالت: ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من اليواقيت، فكشف الله لي عن بصيرتي، فأبصرت من ساعتي مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاث علامات مضروبات، علم بالمشرق، وعلم بالمغرب، وعلم على ظهر الكعبة، فأخذني المخاض واشتدّ بي الطلق جدّاً، فكنت كأني مسندة إلى أركان النساء، وكثرن علي حتى كأني مع البيت وأنا لا أرى شيئاً، فولدت محمداً ﷺ، فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته، فغيب عن عيني، فسمعت منادياً ينادي يقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها، وأدخلوه البحار كلها، ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلموا أنه سمي الماحي، لا يبقى شيء من الشرك إلاّ محي به، قالت: ثم تخلوا عنه في أسرع وقت فإذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض، أشدّ بياضاً من اللبن، وتحته حريرة خضراء، وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وإذا قائل يقول: قبض محمد مفاتيح النصر، ومفاتيح الريح، ومفاتيح النبوة. هكذا أورده وسكت عليه، وهو غريب جداً.

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا، يحيى بن يوسف بن منصور بن عمر الأنصاري الصرصري المادح الماهر الحافظ للأحاديث واللغة، ذو المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ، فلذلك يشبه في عصره بحسان بن ثابت رضي الله عنه، وفي ديوانه المكتوب عنه في مديح رسول الله ﷺ، وقد كان ضرير البصر، بصير البصيرة، وكانت وفاته ببغداد في سنة ست وخمسين وستمائة، قتله التتار في بغداد كما سيأتي ذلك في موضعه، في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى، وبه

الثقة، وعليه التكلان، قال في قصيدته من حرف الحاء المهملة من ديوانه:

محمد المبعوث للناس رحمة ... يشيد ما أوهى الضلال ويصلح

لئن سبحت صم الجبال مجيبة ... لداود أو لان الحديد المصفح

فإن الصخور الصم لانت بكفه ... وإن الحصى في كفه ليسبح

وإن كان موسى أنبع الماء من العصا ... فمن كفه قد أصبح الماء يطفح

وإن كانت الريح الرخاء مطيعة ... سليمان لا تألو تروح وتسرح

فإن الصبا كانت لنصر نبينا ... برعب على شهر به الخصم يكلح[(١)]

وإن أوتي الملك العظيم وسخرت ... له الجن تشفي ما رضيه وتلدح[(٢)]

فإن مفاتيح الكنوز بأسرها ... أتته فرد الزاهد المترجح

وإن كان إبراهيم أعطي خلة ... وموسى بتكليم على الطور يمنح

فهذا حبيب بل خليل مكلّم ... وخصص بالرؤيا وبالحق أشرح

وخصص بالحوض العظيم وباللوا ... ويشفع للعاصين والنار تلفح

وبالمقعد الأعلى المقرب عنده ... عطاء ببشراه أقر وأفرح

وبالرتبة العليا الأسيلة[(٣)] دونها ... مراتب أرباب المواهب تلمح

وفي جنة الفردوس أول داخل ... له سائر الأبواب بالخار[(٤)] تفتح

وهذا آخر ما يسر الله جمعه من الأخبار بالمغيبات التي وقعت إلى زماننا مما يدخل في دلائل النبوة والله الهادي، وإذا فرغنا إن شاء الله من إيراد الحادثات من بعد موته عليه السلام إلى زماننا، نتبع ذلك بذكر الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان ثم نسوق بعد ذلك أشراط الساعة ثم نذكر البعث والنشور، ثم ما يقع يوم القيامة من الأهوال وما فيه من العظمة ونذكر الحوض والميزان والصراط ثم نذكر صفة النار ثم صفة الجنة.

---

(١) كلح الوجه: اسزداد عبوساً.
(٢) لدح: اللدح الضرب باليد.
(٣) الاسيلة: الناعمة الرقيقة.
(٤) الخار: الغلبة الخبيّرة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اللهم يسر الحمد لله وسلام على عباده والذين اصطفى][١]

كتاب تاريخ الإسلام الأول

من الحوادث الواقعة في الزمان، ووفيات المشاهير والأعيان.

سنة إحدى عشرة من الهجرة

تقدم ما كان في ربيع الأول منها من وفاة رسول الله ﷺ في يوم الاثنين وذلك لثاني عشر منه على المشهور وقد بسطنا الكلام في ذلك بما فيه كفاية وبالله التوفيق.

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما [كان في أيامه][٢] من الحوادث [والأمور][٣]

قد تقدم أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين وذلك ضحى فاشتغل الناس ببيعة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة ثم في المسجد البيعة العامة في بقية يوم الاثنين وصبيحة الثلاثاء كما تقدم ذلك مطولاً[٤] ثم أخذوا في غسل رسول الله ﷺ وتكفينه والصلاة عليه ﷺ تسليماً في بقية يوم الثلاثاء ودفنوه ليلة الأربعاء كما تقدم ذلك مبرهناً في موضعه.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني الزهري حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إليّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم الذي به هدى رسول الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة،

---

(١) سقط في ط.
(٢) في ط: فيها.
(٣) سقط في ط.
(٤) في ط: بطوله.

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. وهذا إسناد صحيح.

وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما وأرضاهما، والدليل على ذلك ما رواه البيهقي حيث قال: **أنبأنا** أبو الحسين علي بن محمد بن علي الحافظ الإسفراييني، ثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، ثنا أبو بكر بن خزيمة وإبراهيم بن أبي طالب قالا: حدثنا بندار بن يسار، ثنا أبو هشام المخزومي، ثنا وهيب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نصرة عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أنّا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم [أما][1] ولو قلتم غير هذا لم نبايعكم فأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، وقال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا الزبير فجاء قال: قلت: ابن عمة رسول الله ﷺ أردت أن تشق عصا المسلمين، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا بعليّ بن أبي طالب قال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، أردت أن تشقّ عصا المسلمين: قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه، هذا أو معناه قال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعت ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يساوي بَدَنَة، فقلت يسوى بدنة بل هذا يسوى بدرة. وقد رواه الإمام أحمد عن الثقة عن وهيب مختصراً، وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق عفان بن مسلم عن وهيب مطولاً كنحو ما تقدم. وروينا من طريق المحاملي عن القاسم بن سعيد بن المسيب عن علي بن عاصم عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد فذكره مثله في مبايعة علي والزبير رضي الله عنهما يومئذ.

وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم: حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا سألتها الله في سر ولا علانية، فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول

(١) سقط في ط.

الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي، وهذا اللائق بعلي رضي الله عنه والذي يدل عليه الآثار من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذي القصة بعد موت رسول الله ﷺ، كما سنورده، وبذله له النصيحة والمشورة، بين يديه، وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بستة أشهر فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع في وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك بالنص عن رسول الله في قوله: لا نورث ما تركنا فهو صدقة، كما تقدم إيراد أسانيده وألفاظه ولله الحمد.

وقد كتبنا هذه الطرق مستقصاة في الكتاب الذي أفردناه في سيرة الصديق رضي الله عنه وما أسنده من الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وما روي عنه من الأحكام مبوبة على أبواب العلم ولله الحمد والمنة، وقال سيف بن عمر التميمي عن أبي ضمرة عن أبيه عن عاصم بن عدي، قال نادى منادي أبي بكر من الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتمم بعث أسامة: ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جيش أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لعلكم تكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فبايعوني، وإن زغت[1] فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم[2]، وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، وإن استطعتم أن لا يمضي إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوماً نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم بعدهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد، النجاة النجاة، الوحا الوحا[3] فإن وراءكم طالباً حثيثاً، وأجلاً أمره سريع، احذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تطيعوا الأحياء إلا بما تطيعوا به الأموات، قال: وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم فإن ما أخلصتم لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس، وأين هم اليوم، أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب، قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا رميماً، قد تولت عليهم العالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء، إلا أن الله عز وجل قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبعثنا خلفاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن انحدرنا كنا مثلهم، أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا تراباً، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم،

---

(١) زاغ: ضل.
(٢) الأبشار: جمع بشرة وهي سطح الجلد.
(٣) الوحا: السرعة.

فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: ٩٨]؟ أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم، قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة أو السعادة بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف به عنه سوءاً، إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون، وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته أما آن لأحدكم أن تحسر عنه النار ولا تبعد عنه الجنة؟.

فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد

الذين كانوا قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة: فيغتزوا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف فخيموا به، وكان بينهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق فاستثناه رسول الله منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في صحيح البخاري عن ابن عباس كما سيأتي، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشدَّ الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة وآمر الحرس يكونون حول المدينة فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً ويقال سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غانمين، ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة على ما سيأتي تفصيله، قال سيف بن عمر: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما بويع أبو بكر وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه، قال: ليتم بعث أسامة وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة، في كل قبيلة، ونجم النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، وقلتهم وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقصت بك، وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

وقد روي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، ومن حديث القاسم وعمرة عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأب النفاق، والله لقد نزل بي ما

لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطلها وعنانها وفصلها، ثم ذكرت عمر فقالت: من رأى عمر علم أنه خلق غنىً للإسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن علي الميموني، ثنا الفريابي، ثنا عباد بن كثير عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل به بذي خشب قبض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله فقالوا: يا أبا بكر رد هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله، ولا حللت لواء عقده رسول الله. فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام ـ عباد بن كثير هذا أظنه البرمكي ـ لرواية الفريابي عنه، وهو متقارب الحديث، فأما البصري الثقفي فمتروك الحديث والله أعلم.

وروى سيف بن عمر عن أبي ضمرة وأبي عمرو وغيرهما عن الحسن البصري: أن أبا بكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر: قل له فليؤمر علينا غير أسامة، فذكر له عمر ذلك، فيقال: إنه أخذ بلحيته وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، أؤمر غير أمير رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجرف فاستعرض جيش أسامة وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشياً، وأسامة راكباً، وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله؛ إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال: والله لست بنازل ولست براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب ـ وكان مكتتباً في جيشه ـ فأطلقه له، فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير.

مقتل الأسود العنسي المتنبي الكذاب [لعنه الله وأخزاه](١)

قال أبو جعفر بن جرير: حدثني عمرو بن شيبة النميري، ثنا علي بن محمد ـ يعني المدائني ـ عن أبي معشر ويزيد بن عياض عن جعد به، وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء عن مشيختهم قالوا: أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول، وأتى مقتل الأسود في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة، فكان ذلك أول فتح فتح أبو بكر وهو المدينة.

(١) سقط في ط.

صفة خروجه وتمليكه ومقتله

قد أسلفنا فيما تقدم أن اليمن كانت لحمير، وكانت ملوكهم يسمون التبابعة، وتكلمنا في أيام الجاهلية على طرف صالح من هذا، ثم إن ملك الحبشة بعث أميرين من قواده، وهما أبرهه الأشرم، وأرياط، فتملكا له اليمن من حمير، وصار ملكها للحبشة، ثم اختلف هذان الأميران، فقتل أرياط واستقل أبرهة بالنيابة، وبنى كنيسة سماها العانس، لارتفاعها، وأراد أن يصرف حج العرب إليها دون الكعبة، فجاء بعض قريش فأحدث في هذه الكنيسة، فلما بلغه ذلك حلف ليخربن بيت مكة، فسار إليه ومعه الجنود والفيل محمود، فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه. وقد تقدم بسط ذلك في موضعه، فرجع أبرهة ببعض من بقي من جيشه في أسوأ حال وشرّ خيبة، وما زال تسقط أعضاؤه أنملة أنملة، فلما وصل إلى صنعاء انصدع صدره فمات، فقام بالملك بعده ولده يلسيوم بن أبرهة ثم أخوه مسروق بن أبرهة، فيقال: إنه استمر ملك اليمن بأيدي الحبشة سبعين سنة، ثم ثار سيف بن ذي يزن الحميريّ، فذهب إلى قيصر ملك الروم يستنصره عليهم، فأبى ذلك عليه ـ لما بينه وبينهم من الاجتماع في دين النصرانية ـ فسار إلى كسرى ملك الفرس فاستغاث به، وله معه مواقف ومقامات في الكلام تقدم بسط بعضها، ثم اتفق الحال على أن بعث معه ممن بالسجون طائفة تقدمهم رجل منهم يقال له: وهرز، فاستنقذ ملك اليمن من الحبشة، وكسر مسروق بن أبرهة وقتله، ودخلوا إلى صنعاء وقرروا سيف بن ذي يزن في الملك على عادة آبائه، وجاءت العرب تهنئه من كل جانب، غير أن لكسرى نواباً على البلاد، فاستمر الحال على ذلك حتى بعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، ثم هاجر إلى المدينة فلما كتب كتبه إلى الآفاق يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكتب في جملة ذلك إلى كسرى ملك الفرس:

«بسم الله الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم. من محمدٍ رسولِ الله إلَى كِسْرَى عَظِيم الفُرْسِ، سلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أما بَعْدُ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ» إلى آخره، فلما جاءه الكتاب قال: ما هذا؟ قالوا: هذا كتاب جاء من عند رجل بجزيرة العرب يزعم أنه نبي، فلما فتح الكتاب فوجده قد بدأ باسم قبل اسم كسرى، غضب كسرى غضباً شديداً، وأخذ الكتاب فمزقه قبل أن يقرأه، وكتب إلى عامله على اليمن ـ وكان اسمه باذام ـ أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا فابعث من قبلك أميرين إلى هذا الرجل الذي بجزيرة العرب، الذي يزعم أنه نبي، فابعثه إليّ في جامعة، فلما جاء الكتاب إلى باذام، بعث من عنده أميرين عاقلين، وقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فانظرا ما هو، فإن كان كاذباً فخذاه في جامعة حتى تذهبا به إلى كسرى، وإن كان غير ذلك فارجعا إليّ فأخبراني ما هو، حتى أنظر في أمره، فقدما على رسول الله ﷺ إلى المدينة، فوجداه على أسدِّ الأحوال[1] وأرشدها، ورأيا منه أموراً عجيبة، يطول ذكرها، ومكثا عنده شهراً حتى بلغا ما جاءا له، ثم تقاضاه الجواب بعد ذلك، فقال لهما: ارجعا إلى صاحبكما فأخبراه أن ربي قد قتل الليلة ربه، فأرخا ذلك عندهما

(١) أسدّ الأحوال: من السداد، وهو الرأي المصيب والحال الحسن.

ثم رجعا سريعاً إلى اليمن فأخبرا باذام بما قال لهما فقال: احصوا تلك الليلة، فإن ظهر الأمر كما قال فهو نبي، فجاءت الكتب من عند ملكهم أنه قد قتل كسرى في ليلة كذا وكذا، لتلك الليلة، وكان قد قتله بنوه ولهذا قال بعض الشعراء [الوافر]:

وَكِسْرَى إذْ تَقَاسَمَهُ بَنُوهُ ... بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتُسِمَ اللِّحَامُ

تَمَخَّضَتِ المَنُونُ[1] لَهُ بِيَومٍ ... أَتَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

وقام بالملك بعده ولده يزدجر وكتب إلى باذام أن خذ لي البيعة من قبلك، واعمد إلى ذلك الرجل فلا تهنه وأكرمه، فدخل الإسلام في قلب باذام وذريته من أبناء فارس ممن باليمن، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، فبعث إليه رسول الله ﷺ بنيابة اليمن بكمالها، فلم يعزله عنها حتى مات، فلما مات استناب ابنه شهر بن باذام على صنعاء وبعض مخاليف، وبعث طائفة من أصحابه نواباً على مخاليف أخر، فبعث أولاً في سنة عشر، علياً وخالداً، ثم أرسل معاذاً وأبا موسى الأشعري وفرق عمالة اليمن بين جماعة من الصحابة، فمنهم شهر بن باذام، وعامر بن شهر الهمداني، على همدان، وأبو موسى على مأرب، وخالد بن سعيد بن العاص على عامر نجران ورفع وزبيد، ويعلى بن أمية على الجند، والطاهر بن أبي هالة على علّ والأشعريين، وعمرو بن حرام على نجران، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد، وعلى السكاسك عكاشة بن مور بن أخضر وعلى السكون معاوية بن كندة وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين ـ اليمن وحضرموت ـ يتنقل من بلد إلى بلد، ذكره سيف بن عمر، وذلك كله في سنة عشر، في آخر حياة رسول الله ﷺ فبينما هم على ذلك إذ نجم[2] هذا اللعين الأسود العنسي.

خروج الأسود العنسي

واسمه عبهلة بن كعب بن غوث ـ من بلد يقال لها: كهف حنان ـ في سبعمائة مقاتل، وكتب إلى عمال النبي ﷺ: أيها المتمردون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه، ثم ركب فتوجه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليال من مخرجه ثم قصد إلى صنعاء، فخرج إليه شهر بن باذام فتقاتلا، فغلبه الأسود وقتله، وكسر جيشه من الأبناء واحتلّ بلدة صنعاء لخمس وعشرين ليلة من مخرجه ففر معاذ بن جبل من هنالك واجتاز بأبي موسى الأشعري، فذهبا إلى حضرموت وانحاز عمال رسول الله ﷺ إلى الطاهر، ورجع عمر بن حرام وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، واستوثقت اليمن بكمالها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير[3] استطارة الشرارة، وكان جيشه يوم لقي شهراً سبعمائة فارس، وأمراؤه قيس بن عبد يغوث ومعاوية بن قيس ويزيد بن محرم بن حصن الحارثي، ويزيد بن الأفكل الأزدي، واشتد ملكه، واستغلظ أمره، وارتد خلق من أهل اليمن

(١) تمخضت: أنتجت وخلّفت، والمنون: الموت. (٢) نجم: ظهر.
(٣) يستطير: يستفحل ويشتد.

وعامله المسلمون الذين هناك بالتقية، وكان خليفته على مذحج عمرو بن معديكرب وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمي وداذويه وتزوج بامرأة شهر بن باذام وهي ابنة عم فيروز الديلمي، واسمها زاذ، وكانت امرأة حسناء جميلة، وهي مع ذلك مؤمنة بالله ورسوله محمد ﷺ، ومن الصالحات، قال سيف بن عمر التميمي: وبعث رسول الله ﷺ كتابه، حين بلغه خبر الأسود العنسي مع رجل يقال له: وبر بن يحنس الديلمي، يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي ومصاوّلته، وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتم القيام، وكان قد تزوج امرأة من السكون يقال لها: رملة، فحزبت عليه السكون لصبره فيهم، وقاموا معه في ذلك، وبلغوا هذا الكتاب إلى عمال النبي ﷺ، ومن قدروا عليه من الناس، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجند ـ وكان قد غضب على الأسود، واستخف به، وهم بقتله ـ وكذلك كان أمر فيروز الديلمي، قد ضعف عنده أيضاً، وكذا داذويه، فلما أعلم وبر بن يحنس قيس بن عبد يغوث، وهو قيس بن مكشوح، كان كأنما نزلوا عليه من السماء، ووافقهم على الفتك بالأسود وتوافق المسلمون على ذلك، وتعاقدوا عليه، فلما أيقن ذلك في الباطن أطلع شيطان الأسود للأسود على شيء من ذلك، فدعا قيس بن مكشوح، فقال له: يا قيس ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل، وصار في العز مثلك، مال ميل عدوك، وحاول ملكك، وأضمر على الغدر، إنه يقول يا أسود يا أسود يا سوآه يا سوآه، فطف به وخذ من قيس أعلاه وإلا سلبك وقطف قلبك فقال له قيس وحلف له فكذب: وذي الخمار لأنت أعظم في نفسي وأجل عندي من أن أحدث بك نفسي، فقال له الأسود: ما إخالك تكذب الملك، فقد صدق الملك وعرف الآن إنك تائب عما اطلع عليه منك، ثم خرج قيس من بين يديه فجاء إلى أصحابه فيروز وداذويه، وأخبرهم بما قال له ورد عليه، فقالوا: إنا كلنا على حذر، فما الرأي، فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه، فقال: ألم أشرفكم على قومكم؟ قالوا: بلى، قال: فماذا يبلغني عنكم؟ فقالوا: أقلنا مرتنا هذه، فقال: لا يبلغني عنكم فأقيلكم، قال فخرجنا من عنده ولم نكد، وهو في ارتياب من أمرنا، ونحن على خطر، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر، أمير همدان، وذي ظليم، وذي كلاع، وغيرهم من أمراء اليمن، يبذلون لنا الطاعة والنصر، على مخالفة الأسود، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مصاولة الأسود العنسي، فكتبنا إليهم أن لا يحدثوا شيئاً حتى نبرم الأمر[1]، قال قيس: فدخلت على امرأته ازاذ، فقلت: يا ابنة عمي قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وفضح النساء، فهل عندك ممالأة عليه؟ قالت على أي أمر، قلت إخراجه، قالت: أو قتله، قلت: أو قتله، قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصاً هو أبغض إليّ منه، فما يقوم لله عليّ حق ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عزمتم أخبروني فأعلمكم بما في هذا الأمر، قال فأخرج فإذا فيروز

(١) نبرم الأمر: ننفذه بعد إمعان الرأي فيه.

وداذويه، ينتظراني يريدون أن يناهضوه، فما استقر اجتماعه بهما حتى بعث إليه الأسود فدخل في عشرة من قومه، فقال: ألم أخبرك بالحق وتخبرني بالكذابة؟ إنه يقول: يا سوأة، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك العليا، حتى ظن قيس أنه قاتله، فقال: إنه ليس من الحق، أن أهلك وأنت رسول الله، فقتلي أحب إليّ من موتات أموتها كل يوم، فرق له وأمره بالانصراف، فخرج إلى أصحابه فقال: اعملوا عملكم، فبينما هم وقوف بالباب يشتورون، إذ خرج الأسود عليهم وقد جمع له مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخط خطاً وأقيمت من ورائه، وقام دونها، فنحرها، غير محبسة ولا معقلة، ما يقتحم الخط منها شيء، فجالت إلى أن زهقت أرواحها، قال قيس: فما رأيت أمراً كان أفظع منه، ولا يوماً أوحش منه، ثم قال الأسود: أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ لقد هممت أن أنحرك فألحقك بهذه البهيمة، وأبدى له الحربة، فقال له فيروز: اخترتنا لصهرك، وفضلتنا على الأبناء، فلو لم تكن نبياً ما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدنيا؟ فلا تقبل علينا أمثال ما يبلغك، فأنا بحيث تحب، فرضي عنه وأمره بقسم لحوم تلك الأنعام ففرقها فيروز في أهل صنعاء، ثم أسرع اللحاق به، فإذا رجل يحرضه على فيروز ويسعى إليه فيه، واستمع له فيروز، فإذا الأسود يقول: أنا قاتله غداً وأصحابه، فاغد عليَّ به، ثم التفت فإذا فيروز، فقال: مه، فأخبره فيروز بما صنع من قسم ذلك اللحم، فدخل الأسود داره، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمع وبما قال وقيل له، فاجتمع رأيهم على أن عاودوا المرأة في أمره، فدخل أحدهم ـ وهو فيروز ـ إليها فقالت: إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه من دون الحرس وليس من دون قتله شيء، وإني سأضع في البيت سراجاً وسلاحاً، فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ ووجأ رأسه، وكان الأسود شديداً، فصاحت المرأة فأدهشته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائراً، فقال: اسكتي لا أبا لك، قد وهبته لك، فخرج على أصحابه فقال: النجاء النجاء، وأخبرهم الخبر، فحاروا ماذا يصنعون؟ فبعثت المرأة إليهم تقول لهم: لا تنثنوا عما كنتم عازمين عليه، فدخل عليها فيروز الديلمي فاستثبتُ منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج، ثم جلس عندها جهرة كالزائر، فدخل الأسود فقال: وما هذا؟ فقالت: [إنه] أخي من الرضاعة، وهو ابن عمي، فنهره وأخرجه، فرجع إلى أصحابه، فلما كان الليل نقبوا ذلك البيت فدخلوا فوجدوا فيه سراجاً تحت جفنة فتقدم إليه فيروز الديلمي والأسود نائم على فراش من حرير، قد غرق رأسه في جسده، وهو سكران يغط، والمرأة جالسة عنده، فلما قام فيروز على الباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه ـ وهو نائم مع ذلك يغط ـ فقال: مالي ومالك يا فيروز؟ فخشي إن رجع يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ رأسه فدق عنقه ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله، ثم قام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم، فأخذت المرأة بذيله وقالت: أين تذهب عن حرمتك. فظنت أنها لم تقتله، فقال: أخرج لأعلمهم بقتله، فدخلوا عليه ليحتزوا رأسه، فحركه شيطانه فاضطرب، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على

ظهره، وأخذت المرأة بشعره، وجعل يبربر بلسانه فاحتزّ الآخر رقبته، فخار كأشد خوار ثور سمع قط، فابتدر الحرس إلى المقصورة، فقالوا: ما هذا ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحى إليه، فرجعوا، وجلس قيس وداذويه وفيروز يأتمرون كيف يعلمون أشياعهم، فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين، فلما كان الصباح قام أحدهم، وهو قيس على سور الحصن فنادى بشعارهم، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن، فنادى قيس ويقال: وبر بن يحنس الأذان: أشهد أن محمداً رسول الله، وأن عبهلة كذاب، وألقى إليهم رأسه فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق يأسرونهم، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وتنازع أولئك الثلاثة في الإمارة، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل يصلي بالناس، وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته، كما قال سيف بن عمر التميمي عن أبي القاسم الشنوي عن العلاء بن زيد عن ابن عمر: أتى الخبر إلى النبيّ ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا، فقال: قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن؟ قال: فيروز فيروز، وقد قيل: إن مدة ملكه منذ ظهر إلى أن قتل ثلاثة أشهر، ويقال: أربعة أشهر، فالله أعلم.

وقال سيف بن عمر عن المستنير عن عروة عن الضحاك عن فيروز: قال: قتلنا الأسود، وعاد أمرنا في صنعاء كما كان إلا أنا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه، فكان يصلي بنا في صنعاء، فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثة أيام حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله ﷺ، فانتقضت الأمور، وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرف، واضطربت الأرض. وقد قدمنا أن خبر العنسي جاء إلى الصديق في أواخر ربيع الأول بعد ما جهز جيش أُسامة، وقيل: بل جاءت البشارة إلى المدينة صبيحة توفي رسول الله ﷺ والأول أشهر والله أعلم. والمقصود أنه لم يجئهم فيما يتعلق بمصالحهم واجتماع كلمتهم وتأليف ما بينهم والتمسك بدين الإسلام إلا الصديق رضي الله عنه، وسيأتي إرساله إليهم من يمهد الأمور التي اضطربت في بلادهم ويقوي أيدي المسلمين، ويثبت أركان دعائم الإسلام فيهم، رضي الله عنهم.

فصل فِي تَصَدِّي الصِّدِّيق لقتال أهل الرِّدَّة ومانعي الزكاة

قد تقدم أن رسول الله ﷺ لما توفي ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، ونجم[1] النفاق بالمدينة وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد وطيّىء، وبشر كثير أيضاً، وادعى النبوة أيضاً كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، ونفذ الصديق جيش أسامة، فقل الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن

(١) نجم: ظهر.

عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وجعلت وفود العرب تقدم المدينة. يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم [الطويل]:

أَطَعْنَا رَسُولَ الله إِذْ كَانَ بَيْنَنَا فَوَاعَجَبَا مَا بَالَ مُلْكِ أَبِي بَكْرِ

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم: ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه. وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسِ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلٰه إِلاَّ الله وأَنَّ محمداً رَسُولُ الله، فَإِذَا قَالُوها عَصَمُوا مِني دِمَاءَهم وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها»؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً، وفي رواية: عقالاً كانو يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق . قلت: وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وثبت في الصحيحين: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ شهادةِ أَنْ لا إِلٰه إلاَّ الله وَأَنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجِّ البيت، وصَوْمِ رمضان».

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة بن سوار: حدثنا عيسى بن يزيد المديني، حدثني صالح بن كيسان، قال: لما كانت الردَّة قام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً ﷺ، والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشاً، وأضلهم ديناً، في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب فختمهم الله بمحمد، وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤] إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ ولقد وكلكم إلى المولى الكافي، الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠١] الآية، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده،

ويقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من يبقى منها خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] الآية، ثم نزل. وقال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية. قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه، في قتالهم المرتدين، ومانعي الزكاة.

وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين، مكة، والمدينة، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر، وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب. وارتدت سليم مع الفجأة، واسمه أنس بن عبد ياليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة.

وقال القاسم بن محمد: اجتمعت أسد وغطفان وطيىء على طليحة الأسدي، وبعثوا وفوداً إلى المدينة، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس، فحملوا بهم إلى أبي بكر، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم، فردهم فرجعوا إلى عشائرهم، فأخبروهم بقلة أهل المدينة، وطمعوهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون ليلاً يأتون أم نهاراً، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم، فاستعدوا وأعدوا فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة، وخلفوا نصفهم بذي حُسًى ليكونوا رِدْءاً لهم، وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم: أن الزموا مكانكم. وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفش العدو واتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حسًى فخرج عليهم الردء فالتقوا مع الجمع فكان الفتح وقد قال [الطويل]:

أَطَعْنَا رَسُولَ الله ما كَانَ وَسْطَنَا ... فيا لَعِبادِ الله ما لأبي بكرِ

أَيورثنا بكراً إذا ماتَ بَعْدَهُ ... وتلكَ لَعَمْرُ الله قاصِمَةُ الظَّهر

فَهَلاَّ رَدَدْتُمْ وَفْدَنا بزمانه ... وَهَلاَّ خشيتم حَسَّ[1] راعيةِ البكرِ؟

وَإِنَّ التي سألوكمو فمنعتمو ... لكالتمرِ أو أحْلَى إليَّ مِنَ التمرِ

وفي جمادى الآخرة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عبس، وبني مرة، وذبيان، ومن ناصب معهم من بني كنانة، وأمدهم طليحة بابنه حبال، فلما تواجه فوم كانوا قد صنعوا

(١) الحس: الحيلة والقتل.

مكيدة وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبل أصحاب الصدّيق نفرت وذهبت كل مذهب، فلم يملكوا من أمرها شيئاً إلى الليل، وحتى رجعت إلى المدينة، فقال في ذلك الخطيل بن أوس: [الطويل]

فِدًى لبني ذبيانَ رَحْلِي وناقتي عَشِيَّةَ يُحْدَى بالرِّماح أبو بكرِ
ولكن يُدَهْدَى[1] بالرجال فهبنه إلى قدر ما أن تقيم ولا تسري
ولله أجنادٌ تذاقُ مذاقهُ لتُحسب فيما عد من عجب الدهرِ
أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر

فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحي أخر، فاجتمعوا ، وبات أبو بكر ضي الله عنه قائماً ليله يعبىء الناس، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل، وعلى ميمنته النعمان بن مقرّن، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حساً ولا همساً، حتى وضعوا فيهم السيوف، فما طلعت الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل حبال، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة، وكان أول الفتح، وذل بها المشركون، وعز بها المسلمون، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل من وراءهم كفعلهم، فحلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، ففي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي [الوافر]:

غَدَاةَ سَعَى أبو بكر إليهم كما يسعى لموتته حلالُ
أراحَ على نواهقها عليّاً ومجَّ لهن مهجته حبال

وقال أيضاً [الطويل]:

أقمنا لهم عُرض الشمال فكُبكبوا[2] ككبكبة الغُزّى[3] أناخوا على الوفرِ
فما صَبَرُوا للحربِ عِنْدَ قِيامِها صبيحةَ يسمو بالرجال أبو بكرِ
طَرَقْنَا بَنِي عَبْسٍ بأدنى نباجها وذبيانَ نهنهنا بقاصمة الظهرِ[4]

فكانت هذه الوقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عز المسلمون في كل قبيلة، وذل الكفار في كل قبيلة، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيداً منصوراً، سالماً غانماً، وطرقت المدينة في الليل صدقات عدي بن حاتم، وصفوان والزبرقان، إحداهما في أول الليل، والثانية في أوسطه والثالثة في آخره، وقدم بكل واحدة منهن بشير من أمراء الأنقاب، فكان الذي بشر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف، والذي بشر

(١) يدهدي: يدفع ويدحرج، ودهده الشيء، قلب بعضه على بعض.
(٢) كبكبوا: اجتمعوا بعضهم على بعض. (٣) الغزّى: أي الغزاة.
(٤) نبج الشيء: ارتفع، ونهنه: منع وكف، وقاصمة الظهر: اي ما يقصمه ويقطعه.

بعدي بن حاتم عبد الله بن مسعود، ويقال: أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه. وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول الله ﷺ. ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليال، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه، في الوقعة المتقدمة، إلى ذي القصة، فقال له المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلاً، فقال: والله لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبئته، إلى ذي حسًى وذي القصة، والنعمان وعبد الله وسويد بنو مقرن على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق وهناك جماعة من عبس وذبيان، وطائفة من بني كنانة، فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفاً وأخذ الحطيئة أسيراً فطارت بنو عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً وقد غلب بني ذبيان على البلاد وقال: حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد، إذ غنمناها الله وحمى الأبرق بخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربذة. ولما فرت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طليحة وهو نازل على بُزاخة، وقد قال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة: [الوافر]

وَيَوْمٍ بِالأَبَارِقِ قَدْ شَهِدْنَا ... عَلَى ذُبْيَانَ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا

أَتَيْنَاهُمْ بِدَاهِيَةٍ نَسُوفٍ[1] ... مَعَ الصِّدِّيقِ إِذْ تَرَكَ الْعِتَابَا

[ذكر][2] خروجه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر [على ما سيأتي][3]

وذلك بعد ما جم جيش أسامة واستراحوا، ركب الصديق أيضاً في الجيوش الإسلامية شاهراً سيفه مسلولاً، من المدينة إلى ذي القصة، وهي من المدينة على مرحلة، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصديق رضي الله عنهما، كما سيأتي، فسأله الصحابة، منهم عليّ وغيره، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال، فأجابهم إلى ذلك، وعقد لهم الألوية لأحد عشر أميراً، على ما سنفصله قريباً إن شاء الله.

وقد روى الدارقطني من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر إلى القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً، فرجع. هذا حديث غريب من طريق مالك، وقد رواه زكريا الساجي من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف [و] الزهري

(١) الداهية النسوف: الحرب التي لا تذر.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.

أيضاً عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبي شاهراً سيفه راكباً على راحلته إلى وادي القصة، فجاء عليّ بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً، فرجع وأمضى الجيش.

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد: لما استراح أسامة وجنده، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم، قطع أبو بكر البعوث، وعقد الألوية: فعقد أحد عشر لواء، عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له. ولعكرمة بن أبي جهل، وأمره بمسيلمة. وبعث شرحبيل ابن حسنة في أثره إلى مسيلمة الكذاب، ثم إلى بني قضاعة. وللمهاجر بن أبي أمية، وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح. قلت: وذلك لأنه كان قد نزع يده من الطاعة، على ما سيأتي. قال: ولخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام ولعمرو بن العاص إلى جماع قضاعة ووديعة والحارث. ولحذيفة بن محصن الغطفاني وأمره بأهل دبا بعرفجة وهرثمة وغير ذلك. ولطرفة بن حاجب وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن. ولسويد بن مقرن، وأمره بتهامة اليمن. و للعلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين رضي الله عنهم. وقد كتب لكل أمير كتاب عهده على حدته، ففصل كل أمير بجنده من ذي القصة، ورجع الصديق إلى المدينة، وقد كتب معهم الصديق كتاباً إلى الربذة وهذه نسخته بسم الله الرحمٰن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا، من عامة وخاصة، وأقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونكفر من أبى ذلك ونجاهده. أما بعد فإن الله أرسل بالحق من عنده، إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرهاً، ثم توفى الله رسوله، وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٤] وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه. وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعنه الله مخذول، ومن هداه غير الله كان ضالاً، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾ [الكهف: ١٧] ولن يقبل له في الدنيا

عمل عبد حتى يقر به، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام، وعمل به، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦] وإني بعثت إليكم في جيش من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل، فإن أجاب وأقر وعمل صالحاً قبل منه، وأعانه عليه وإن أبى حاربه عليه حتى يفيء إلى أمر الله، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد غير الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه في كل مجمع لكم، والداعية الأذان فإذا أذن المسلمون فكفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا حمل منهم على ما ينبغي لهم. رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك.

فصل في مسيرة الأمراء من ذي القصة على ما عوهدوا عليه

وكان سيدّ الأمراء ورأس الشجعان الصناديد أبو سليمان خالد بن الوليد. روى الإمام أحمد من طريق وحشي بن حرب، أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نِعْمَ عَبْدُ الله وأخو العشيرةِ، خالدُ بنُ الوليدِ، سَيفٌ مِنْ سيوفِ الله سله الله على الكفار والمنافقين**» ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق، واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر ممن معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلى بني تميم، وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد، وفي غطفان، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان، وبعث إلى بني جديلة والغوث وطيِّىء يستدعيهم إليه، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم، ليلحقوهم على أثرهم سريعاً، وكان الصديق قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه بني طيِّىء فأمرهم أن يبايعوا الصديق، وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفضل أبداً - يعنون أبا بكر رضي الله عنه - فقال: والله ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدي يفتل لهم في الذروة والغارب حتى لانوا، وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محصن طليعة فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما، فلما وجدا ثابتاً وعكاشة تبارزوا فقتل عكاشة جبال بن طليحة، وقيل: بل كان قتل جبالاً قبل ذلك وأخذ ما معه، وحمل عليه طليحة فقتله وقتل هو وأخوه سلمة، ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين، فشق ذلك على المسلمين وقد قال طليحة في ذلك [الطويل]:

عـشـيـة غـادرت ابـن أقـرم ثـاويـاً وعـكّـاشـةَ الـغَـمْـيَّ تـحـت مـجـال
أقـمـت لـه صـدر الـحـمـالـة إنـهـا مـعـودة قـبـل الـكـمـاة نـزال
فـيـوم تـراهـا فـي الـجـلال مـصـونـةً ويـوم تـراهـا فـي ظـلال عـوالـي
وإن يـكُ أولادٌ أصِـبْـنَ ونـسـوةٌ فـلـم يـذهـبـوا فـرغـاً بـقـتـل حـبـال

ومال خالد إلى بني طِيِّىء، فخرج إليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة أيام، فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق، فانضافوا إلى جيش خالد وقصد خالد بني جديلة فقال عديّ يا خالد: أجلني أياماً حتى آتيهم فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ طيئاً، فأتاهم عديّ فلم يزل بهم حتى تابعوه، فجاء خالداً بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه، رضي الله عنهم، قالوا: ثم سار خالد حتى نزل بأجأ وسلمى، وعبأ جيشه هنالك والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له: بزاخة، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن التف معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عيينة بن حصن في سبعمائة من قومه، بني فزارة، واصطف الناس، وجلس طليحة ملتفاً في كساء له يتنبأ لهم ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عيينة يقاتل ما يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال يجيء إلى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي إن لك رحاء كرحاه، وحديثاً لا تنساه، قال يقول عيينة: أظن أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه، ثم قال: يا بني فزارة انصرفوا، وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدها له، وأركب امرأته النوار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه، فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع، قالت بنو عامر وسليم وهوازن: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا.

قلت: وقد كان طليحة الأسدي ارتد في حياة النبيّ ﷺ، فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عيينة بن حصن من بدر، وارتد عن الإسلام، وقال لقومه: والله لنبي من بني أسد أحب إليّ من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه، فوافق قومه بنو فزارة على ذلك، فلما كسرهما خالد هرب طليحة بامرأته إلى الشام، فنزل على بني كلب، وأسر خالد عيينة بن حصن، وبعث به إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك فجعل الولدان والغلمان يطعنونه بأيديهم، ويقولون: أي عدو الله، ارتددت عن الإسلام؟ فيقول: والله ما كنت آمنت قط، فلما وقف بين يدي الصديق استتابه وحقن دمه، ثم حسن إسلامه بعد ذلك، وكذلك منّ على قرة بن هبيرة، وكان أحد الأمراء مع طليحة، فأسره مع عيينة، وأما طليحة فإنه

راجع الإسلام بعد ذلك أيضاً، وذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق، واستحيى أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد: أن استشره في الحرب ولا تؤمره ـ يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطن ـ وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي، فقال: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصرد و الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام، إلى غير ذلك من الخرافات والهذيانات السمجة.

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره فكتب إليه: ليزدك ما أنعم الله به خيراً واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جد في أمرك ولا تلن ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين ألا نكلت به، ومن أخذت ممن حاد الله أو ضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتله. فأقام خالد ببزاخة شهراً يصعد فيها ويصوب ويرجع إليها في طلب الذين وصاه بسببهم الصديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهراً يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرقه بالنار، ومنهم من رضخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب، رضي الله عنه.

وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما قدم وفد بزاخة ـ أسد وغطفان ـ على أبي بكر يسألونه الصلح، خيرهم أبو بكر بين حرب مجلية أو حطة مخزية، فقالوا: يا خليف رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الحطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتتركون أقواماً يتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا نؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم، فقال عمر: أمّا قولك: تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، فامتنع عمر وقال عمر في الثاني: نِعْمَ ما رأيت. ورواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصراً.

وقعة أخرى

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفلال يوم بزاخة من أصحاب طليحة، من بني غطفان فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها: أم زمل ـ سلمى بنت ملك بن حذيفة ـ وكانت من سيدات العرب، كأمها أم قرفة، وكان يضرب بأمها المثل في الشرف لكثرة أولادها وعزة قبيلتها، وبيتها، فلما اجتمعوا إليها ذمرتهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك وناشب إليهم آخرون من بني سليم وطِيِّىء وهوازن وأسد، فصاروا جيشاً كثيفاً وتفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتتلوا قتالاً شديداً وهي راكبة على جمل أمها الّذي كان يقال له من يمسّ جملها فله مائة من الإبل وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصديق رضي الله عنه.

قصة الفجاءة

واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف من بني سليم، قاله ابن إسحاق، وقد كان الصديق حرق الفجاءة بالبقيع في المدينة، وكان سببه أنه قدم عليه فزعم أنه أسلم، وسأل منه أن يجهز معه جيشاً، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشاً فرده، فلما أمكنه بعث به إلى البقيع، فجمعت يداه إلى قفاه وألقي في النار فحرقه وهو مقموط[١].

قصة سجاح وبني تميم

كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة، فمنهم من ارتد ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق، ومنهم من توقف لينظر في أمره، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية من الجزيرة، وهي من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التفَّ بهم، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق، فلما مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وجماعة من سادات أمراء بني تميم، وتخلف آخرون منهم عنها، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم، إلا أن مالك بن نويرة لما وادعها ثناها عن عودها، وحرضها على بني يربوع، ثم اتفق الجميع على قتال الناس، وقالوا: بمن نبدأ؟ فقالت لهم فيما تسجعه: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب. ثم إنهم تعاهدوا على نصرها، فقال قائل منهم [الوافر]:

أَتَتنا أختُ تغلبَ في رجالٍ ... جلائبَ مِنْ سَرَاة بَني أبينا

وأرْسَتْ دعوةً فينا سفاهاً ... وكانت من عمائر آخرينا

فما كُنَّا لنرزيهم زبالاً ... وما كانت لتسلم إذ أتينا[٢]

ألا سفهت حُلُومُكُمُ وَضَلَّتْ ... عَشِيَّةَ تحشدونَ لها ثُبينا[٣]

وقال عطارد بن حاجب في ذلك [البسيط]:

أَمْسَتْ نَبِيَّتُنَا أُنْثَى نُطِيفُ بها ... وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانا

ثم إن سجاح قصدت بجنودها اليمامة، لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب، فهابه قومها، وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة. دفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة. لا تلحقكم بعدها ملامة. قال: فعمدوا لحرب مسيلمة، فلما سمع

(١) مقموط: مربوط ومقيد.
(٢) نرزيهم: من الرزية وهي المصيبة والزبل: القليل من الشيء.
(٣) الثبين: ما يني من طرف الثوب ليجعل فيه الشيء ويحمل.

بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثمامة بن أثال، وقد ساعده عكرمة بن أبي جهل بجنود المسلمين، وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد كما سيأتي، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لو عدلت، فقد رده الله عليك فحباك به، وراسلها ليجتمع بها في طائفة من قومه، فركب إليها في أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا في خيمة، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض، وقبلت ذلك، قال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذا طمع، ولا يزال أمره في كل ما يسر مجتمع، رآكم ربكم فحياكم، ومن وحشته أخلاكم، ويوم دينه أنجاكم فأحياكم، علينا من صلوات معشر أبرار، لا أشقياء ولا فجار، يقومون الليل ويصومون النهار لربكم الكبار، رب الغيوم والأمطار.

وقال أيضاً: لما رأيت وجوههم حسنت، وأبشارهم صفت وأيديهم طفلت، قلت لهم: لا النساء تأتون، ولا الخمر تشربون، ولكنكم معشر أبرار تصومون، فسبحان الله إذا جاءت الحياة كيف تحيون، وإلى ملك السماء كيف ترقون، فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور، ولأكثر الناس فيها الثبور. وقد كان مسيلمة لعنه الله شرع لمن اتبعه أن الأعزب يتزوج فإذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ، إلا أن يموت ذلك الولد الذكر، فتحل له النساء حتى يولد له ذكر، هذا مما اقترحه لعنه الله، من تلقاء نفسه. ويقال: إنه لما خلا بسجاح سألها ماذا يوحى إليها؟ فقالت: وهل يكون النساء يبتدئن؟ بل أنت ماذا أوحي إليك؟ فقال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى؟ أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق[1] وحشا. قالت: وماذا؟ فقال: إن الله خلق للنساء أفراجاً، وجعل الرجال لهن أزواجاً، فنولج فيهن قعساً[2] إيلاجاً، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجاً، فينتجن لنا سخالاً[3] إنتاجاً فقالت: أشهد أنك نبي، فقال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم، فقال:

أَلا قومِي إلى النَّيْكِ فَقَدْ هُيِّي لكَ المضجعْ	فإن شئت ففي البيت وَإنْ شئت ففي المخدعْ
وَإنْ شِئْتِ سَلَقْنَاكِ وَإنْ شِئْتِ على أرْبَعْ	وَإنْ [شِئْتِ] بثلثيهِ وإنْ شئتِ بهِ أجْمَعْ

فقالت: بل به أجمع، فقال: بذلك أوحي إليّ، وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم رجعت إلى قومها فقالوا: ما أصدقك؟ فقالت: لم يصدقني شيئاً، فقالوا: إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق فبعثت إليه تسأله صداقاً، فقال: أرسلي إليّ مؤذّنك، فبعثته إليه ـ وهو شَبَث بن ربعيّ ـ فقال: نادِ في قومك: إن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد ـ يعني صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فكان هذا صداقها عليه لعنهما الله. ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة فكرت راجعة إلى الجزيرة بعد ما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه، فأقامت في قومها بني تغلب، إلى زمان معاوية

(١) الصفاق: الجلد الذي تحت الجلد الظاهر. (٢) القعس: ذكر الرجل.
(٣) السخال: الأولاد.

فأجلاهم منها عام الجماعة كما سيأتي بيانه في موضع.

فصل في خبر مالك بن نويرة اليربوعي التميمي

كان قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة لعنهما الله، ثم ترحلت إلى بلادها ـ فلما كان ذلك ـ ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوم في شأنه، وهو نازل بمكان يقال له: البطاح، فقصدها خالد بجنوده وتأخرت عنه الأنصار، وقالوا: إنا قد قضينا ما أمرنا به الصديق، فقال لهم خالد: إن هذا أمر لا بد من فعله، وفرصة لا بد من انتهازها، وإنه لم يأتني فيها كتاب، وأنا الأمير وإليّ ترد الأخبار، ولست بالذي أجبركم على المسير، وأنا قاصد البطاح. فسار يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار، فلحقوا به، فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نويرة، فبث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحير في أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة ـ الحارث بن ربعي الأنصاري ـ أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا، فيقال إن الأسارى باتوا في كبولهم في ليلة [بلردة][1] شديدة البرد، فنادى منادي خالد: أن أدفئوا أسراكم، فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة، فلما سمع الداعية خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. واصطفى خالد امرأة مالك بن نويرة، وهي أم تميم ابنة المنهال، وكانت جميلة، فلما حلت بنى بها، ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه فضربت عنقه، وأمر برأسه فجعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدراً، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب، من المرتدة وغيرهم، ويقال: إن شعر مالك جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر ولم تفرغ الشعر لكثرته، وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق، وتكلم عمر مع أبي قتادة في خالد، وقال للصديق: اعزله فإن في سيفه رهقاً، فقال أبو بكر لا أشيم[2] سيفاً سله الله على الكفار، وجاء متمم بن نويرة فجعل يشكو إلى الصديق خالداً، وعمر يساعده وينشد الصديق ما قال في أخيه من المراثي، فوداه الصديق من عنده، ومن قول متمم في ذلك[البحر الطويل]:

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جذيمَةَ بُرْهَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حتى قيلَ لَنْ يَتَصَدَّعا

وَعِشْنا بخير ما حَيينا وَقَبْلَنا ... أبادَ المنايا قَومَ كِسْرَى وَتُبَّعا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنا كَأَنّي وَمَالِكاً ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبتْ لَيْلَةً مَعَا

---

(١) سقط في ط.

(٢) أشيم: أغمد.

وقال أيضاً [الطويل]:

لقد لامني عند العبور على البكى رفيقي لتذراف الدُّموعِ السَّوَافِكِ
وقال أتبكي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لقبرٍ نَوَى بَيْنَ اللُّوى فَالدَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إنَّ الأسَى يَبْعَثُ الأسَى فَدَعْنِي فَهٰذا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

والمقصود أنه لم يزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرض الصديق ويذمره على عزل خالد عن الأمرة ويقول: إن في سيفه لرهقاً، حتى بعث الصديق إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة، وقد لبس درعه التي من حديد، وقد صدىء من كثرة الدماء، وغرز في عمامته النشاب المضمخ بالدماء، فلما دخل المسجد قام إليه عمر بن الخطاب فانتزع الأسهم من عمامه خالد فحطمها، وقال: أرياء قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بالجنادل وخالد لا يكلمه، ولا يظن إلا أن رأي الصديق فيه كرأي عمر، حتى دخل على أبي بكر فاعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك ودى[1] مالك بن نويرة، فخرج من عنده وعمر جالس في المسجد، فقال خالد: هلم إليّ يا ابن أم شملة، فلم يرد عليه وعرف أن الصديق قد رضي عنه، واستمر أبو بكر بخالد على الإمرة، وإن كان قد اجتهد في قتل مالك بن نويرة وأخطأ في قتله، كما أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى أبي جذيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا: صبأنا صبأنا[2]، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فوداهم رسول الله ﷺ حتى رد إليهم ميلغة الكلب، ورفع يديه وقال: «اللهمَّ إني أبرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خالِدٌ» ومع هذا لم يعزل خالداً عن الإمرة.

مقتل مسيلمة الكذاب [لعنه الله وأخزاه][3]

لما رضي الصديق عن خالد بن الوليد وعذره بما اعتذر به، بعثه إلى قتال بني حنيفة باليمامة، وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشردهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصديق خالداً بسرية لتكون ردءاً له من ورائه وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، فلم يقاوما بني حنيفة، لأنهم في نحو أربعين ألفاً من المقاتلة، فعجل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل، فناجزهم فنكب، فانتظر خالداً، فلمَا سمع مسيلمةِ بقدوم خالداً، عسكرَ بمكان يقال له: عقربا في طرف اليمامة والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل علي مجنبتي جيشه المحكم بن الطفيل، والرِّجال بن عُنفَوة بن نهشل، وكان الرجال هذا صديقه الذي شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب في الأمر، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضل أهل اليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة، لعنهما الله، وقد كان الرجال هذا قد وفد إلى

---

(١) ودّى: دفع ديته.
(٢) صبأنا: أي إنهم على دين الصابئة.
(٣) سقط في ط.

النبي ﷺ وقرأ البقرة، وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة. قال سيف بن عمر عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنت يوماً عند النبي ﷺ في رهط معنا الرجال بن عنفوة، فقال: إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد، فهلك القوم وبقيت أنا والرجال وكنت متخوفاً لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة. رواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة. وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل ابن حسنة، وعلى المجنبتين زيداً وأبا حذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين، وقيل ستين فارساً، عليهم مجاعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر وهو راجع إلى قومه فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدقهم، وأمر بضرب أعناقهم كلهم، سوى مجاعة فإنه استبقاه مقيداً عنده ـ لعلمه بالحرب والمكيدة ـ وكان سيِّداً في بني حنيفة، شريفاً مطاعاً، ويقال: إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبيّ ومنكم نبيّ، فقتلهم إلا واحداً اسمه سارية، فقال له: أيها الرجل إن كنت تريد عداً بعدول هذا خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل ـ يعني مجاعة بن مرارة ـ فاستبقاه خالد مقيداً، وجعله في الخيمة مع امرأته، وقال: استوصي به خيراً، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحهن غير حَظِيّات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم، وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرق على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها، ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها مجاعة وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قتل الرجال بن عنفوة لعنة الله في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: أخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمى البراء بن معرور ـ وكان إذا رأى الحرب أخذته العرواء فيجلس على ظهر الرجال حتى يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد، وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيداً رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب

رضي الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البزار، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين ـ وكان شعارهم يومئذ يا محمداه ـ وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، ودارت رحى المسلمين ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النصف والرجوع إلى الحق، فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئاً، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، فانصرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بني أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاؤوا، حتى ألجؤوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة ـ وهو حكم بن الطفيل لعنه الله ـ بدخولها، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند، ولا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم ـ قاتل حمزة ـ فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير الوضاءة، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفاً، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة والله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة، وأعيان الناس من يذكر بعد، وخرج خالد وتبعه مجاعة بن مرارة يرسف في قيوده، فجعل يريه القتلى ليعرفه بمسيلمة، فلما مروا بالرجال بن عنفوة قال له خالد: أهذ هو؟ قال: لا، والله هذا خير منه، هذا الرجال بن عنفوة، قال سيف بن عمر: ثم مروا برجل أصفر أخنس، فقال: هذا صاحبكم، فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا، ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار فخدعه مجاعة فقال: إنها ملأى رجالاً مماثلة فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجاعة فأمر النساء أن يلبس الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة من رؤوس الناس فظنهم كما قال مجاعة فانتظر الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسلام

فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي، وساق الباقين إلى الصديق، وقد تسرى علي بن أبي طالب بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له: محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، وقد قال ضرار بن الأزور في غزوة اليمامة هذه[الطويل]:

فلو سئلت عنا جَنوب لأخبرت عشيةَ سالت عقرباء وملهم

وسال بفرعِ الوادِ حتى تَرَقْرَقَتْ حجارته فيه من القوم بالدم

عشية لا تغني الرماح مكانها ولا النبلُ إلاّ المشرفِيُّ المُصَمَّمُ

فإن تبتغي الكفارَ غير مسيلمٍ جَنوبٌ فإني تابعُ الدينِ مسلم

أجاهدُ إذ كان الجهاد غنيمةً ولله بالمرء المجاهد أعلم

وقد قال خليفة بن خيَّاط، ومحمد بن جرير، وخلق من السلف: كانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشرة، وقال ابن نافع: في آخرها، وقال الواقدي وآخرون: كانت في سنة ثنتي عشرة، والجمع بينها أن ابتدأها في سنة أحدى عشرة، والفراغ منها في سنة ثنتي عشرة والله أعلم. ولما قدمت وفود بني حنيفة على الصديق قال لهم: أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة، فقالوا: أو تعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لا بد من ذلك، فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقي لكم تنقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين، وكان يقول: والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والناعي فواسوه، وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إل، وكان يقول: والفيل وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، وكان يقول: والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس، وتقدم قوله: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى، وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السمج. وقد أورد أبو بكر بن الباقلاني رحمه الله في كتابه إعجاز القرآن أشياء من كلام هؤلاء الجهلة المتنبئين كمسيلمة وطليحة والأسود وسجاح وغيرهم، مما يدل على ضعف عقولهم وعقول من اتبعهم على ضلالهم ومحالهم.

وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفد إلى مسيلمة في أيام جاهليته، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١، ٣] قال: ففكر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليّ مثلها، فقال له عمرو: وما هي؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم

أني أعلم أنك تكذب. وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبي ﷺ، بلغه أن رسول الله ﷺ بصق في بئر فغزر ماؤه، فبصق في بئر فغاض ماؤه بالكلية: وفي أخرى فصار ماؤه أجاجاً، وتوضأ وسقي بوضوئه نخلاً فيبست وهلكت، وأتى بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه، ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمي. وقال سيف بن عمر عن خليد بن زفر النمري، عن عمير بن طلحة عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة فقال: أين مسيلمة فقال: مه رسول الله، فقال: لا حتى أراه، فلما جاء قال: أنت مُسَيْلَمَةَ فقال: نعم. قال: مَنْ يأتيك؟ قال: رجس، قال: أفي نور أم في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، واتبعه هذا الأعرابي الجلف لعنه الله حتى قتل معه عقرباً، لا رحمه الله.

ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام

كان من خبرهم أن رسول الله ﷺ كان قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى ملكها، المنذر بن ساوى العبدي، وأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلام والعدل، فلما توفي رسول الله ﷺ، توفي المنذر بعده بقليل، وكان قد حضر عنده في مرضه عمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو هل كان رسول الله ﷺ يجعل للمريض شيئاً من ماله؟ قال: نعم، الثلث، قال: ماذا أصنع به؟ قال: إن شئت تصدقت به على أقربائك، وإن شئت على المحاويج، وإن شئت جعلته صدقة من بعدك حبساً محرماً، فقال: إني أكره أن أجعله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ولكني أتصدق به، ففعل، ومات فكان عمرو بن العاص يتعجب منه، فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين وملكوا عليهم الغرور، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر. وقال قائلهم: لو كان محمد نبياً ما مات، ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها جواثا، كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في البخاري عن ابن عباس، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، حتى منعوا من الأقوات وجاعوا جوعاً شديداً حتى فرج الله، وقد قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف، أحد بني بكر بن كلاب، وقد اشتد عليه الجوع [الوافر]:

أَلا أَبْلِغْ أبا بكر رسولاً ... وفتيانَ المدينةِ أجمعينا
فَهَلْ لكمُ إلى قَوْمٍ كِرَامٍ ... قعودٍ في جُوَاثا مُحْصَرِينا
كأنَّ دِمَاءَهُمْ في كُلِّ فَجٍّ ... شُعَاعُ الشَّمْسِ يَعشي النَّاظِرِينَا
تَوَكَّلْنا عَلَى الرَّحْمٰنِ إنَّا ... وَجَدْنَا الصَّبْرَ لِلْمُتَوَكِّلِينا

وقد قام فيهم رجل من أشرافهم، وهو الجارود بن المعلى ـ وكان ممن هاجروا إلى رسول الله ﷺ ـ خطيباً وقد جمعهم فقال: يا معشر عبد القيس، إني سائلكم عن أمر فأخبروني إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموه، فقالوا: سل، قال: أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أم ترونه؟ قالوا: نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: ونحن

أيضاً نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنت أفضلنا وسيدنا، وثبتوا على إسلامهم، وتركوا بقية الناس فيما هم فيه، وبعث الصديق رضي الله عنه كما قدمنا إليهم العلاء بن الحضرمي، فلما دنا من البحرين جاء إليه ثمامة بن أثال في جحفل كبير، وجاء كل أمراء تلك النواحي فانضافوا إلى جيش العلاء بن الحضرمي، فأكرمهم العلاء وترحب بهم وأحسن إليهم، وقد كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابي الدعوة اتفق له في هذه الغزوة أنه نزل منزلاً فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل مما عليها من زاد الجيش وخيلهم وشرابهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شيء سوى ثيابهم ـ وذلك ليلاً ـ ولم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناس من الهم والغم ما لا يجد ولا يوصف، وجعل بعضهم يوصي إلى بعض، فنادى منادي العلاء فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس ألستم المسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى، قال: فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم، ونودي بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بالناس، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه وجثا الناس، ونصب في الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى.وهو يجتهد في الدعاء فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماء القراح، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا. فلما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فج بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سلكاً، فسقوا الإبل عللاً بعد نهل.

فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية، ثم لما اقترب من جيوش المرتدة ـ وقد حشدوا وجمعوا خلقاً عظيماً ـ نزل ونزلوا، وباتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتاً عالية في جيش المرتدين، فقال: من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبد الله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فوره والجيش معه فكبسوا أولئك فقتلوهم قتلاً عظيماً، وقل من هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة، عظيمة جسيمة، وكان الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائماً، فقام دهشاً حين اقتحم المسلمون عليهم فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لي ركابي؟ فجاء رجل من المسلمين في الليل فقال: أنا أصلحها لك، ارفع رجلك، فلما ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال له: أجهز عليّ، فقال: لا أفعل، فوقع صريعاً كلما مرَّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مرّ به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحطم فاقتلني فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله وقال: واسوأتاه، لو أعلم ما به لم أحركه، ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكل مرصد وطريق، وذهب من فر منهم أو أكثرهم في البحر إلى دارين ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء بن الحضرمي في قسم الغنيمة ونقل الأثقال وفرغ من ذلك وقال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعاً، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أن الشقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله،

فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين. يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي يا محيي، يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت يا ربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى ركب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم، ولم يترك من العدو مخبراً، واستاق الذراري والأنعام والأموال، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئاً سوى عليقة فرس لرجل من المسلمين ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم، فأصاب الفارس ألفين والراجل ألفاً، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر، وهو عفيف بن المنذر [الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله ذَلَّلَ بَحْرَهُ ... وَأَنْزَلَ بالكُفَّارِ إِحْدى الجلائِلِ

دَعَوْنَا إِلى شَقِّ البِحَارِ فَجَاءَنا ... بِأَعْجَبَ مِنْ فَلْقِ البِحارِ الأوائِلِ

وقد ذكر سيف بن عمر التميمي أنه كان مع المسلمين في هذه المواقف والمشاهد التي رأوها من أمر العلاء، وما أجرى الله على يديه من الكرامات، رجل من أهل هجر راهب فأسلم حينئذ، فقيل له: ما دعاك إلى الإسلام ، فقال: خشيت إن لم أقبل أن يمسخني الله، لما شاهدت من الآيات، قال: وقد سمعت في الهواء وقت السَّحَر دعاء، قالوا: وما هو؟ قال: اللهمَّ أَنتَ الرحمنُ الرَّحيم، لا إله غَيْرُكَ والبديعُ ليسَ قبلكَ شيء، والدائم غير الغافل، والذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمت اللهمَّ كل شيء علماً، قال: فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله، قال: فحسن إسلامه وكان الصحابة يسمعون منه.

ذكر ردة أهل عمان ومهرة واليمن

أما أهل عمان فنبغ فيهم رجل يقال له: ذو التاج، لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسمى في الجاهلية الجلندى، فادعى النبوة أيضاً، وتابعه الجهلة من أهل عمان، فتغلب عليها وقهر جيفراً وعبّاداً وألجأهما إلى أطرافها: من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه، فبعث إليه الصديق بأميرين وهما حذيفة بن محصن الحميري، وعرفجة البارقي من الأزد، حذيفة إلى عمان، وعرفجة إلى مهرة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبتدئا بعمان، وحذيفة هو الأمير، فإذا ساروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأمير.

وقد قدمنا أن عكرمة بن أبي جهل لما بعثه الصديق إلى مسيلمة وأتبعه بشرحبيل ابن حسنة، عجل عكرمة وناهض مسيلمة قبل مجيء شرحبيل ليفوز بالظفر وحده، فناله من مسيلمة قرح والذين معه، فتقهقر حتى جاء خالد بن الوليد، فقهر مسيلمة كما تقدم، وكتب إليه الصديق يلومه على تسرعه، قال: لا أرينك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء، وأمره أن يلحق بحذيفة

وعرفجة إلى عمان، وكل منكم أمير على جيشه وحذيفة ما دمتم بعمان فهو أمير الناس، فإذا فرغتم فاذهبوا إلى مهرة، فإذا فرغتم منها فاذهب إلى اليمن وحضرموت فكن مع المهاجر بن أبي أمية، ومن لقيته من المرتدة بين عمان إلى حضرموت واليمن فنكل به، فسار عكرمة لما أمره به الصديق، فلحق حذيفة وعجرفة قبل أن يصلا إلى عمان، وقد كتب إليهما الصديق أن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السير من عمان أو المقام بها، فساروا فلما اقتربوا من عمان راسلوا جيفرا، وبلغ لقيط بن مالك مجيء الجيش، فخرج في جموعه فعسكر بمكان يقال له: دبا، وهي مصر تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل الذراري والأموال وراء ظهورهم، ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له صحار، فعكسرا به وبعثا إلى أمراء الصديق فقدموا على المسلمين، فتقابل الجيشان هنالك، وتقاتلوا قتالاً شديداً وابتلى المسلمون وكادوا أن يولوا، فمن الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مدداً، في الساعة الراهنة من بني ناجية وعبد القيس، في جماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذراري وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها، وبعثوا بالخمس إلى الصديق رضي الله عنه مع أحد الأمراء، وهو عرفجة، ثم رجع إلى أصحابه.

وأما مهرة فإنهم لما فرغوا من عمان كما ذكرنا، سار عكرمة بالناس إلى بلاد مهرة، بمن معه من الجيوش، ومن أضيف إليها، حتى اقتحم على مهرة بلادها، فوجدهم جندين على أحدهما ـ وهم الأكثر ـ أمير يقال له: المصبّح، أحد بني محارب، وعلى الجند الآخر أمير يقال له: شخريت، وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين فراسل عكرمة شخريت فأجابه وانضاف إلى عكرمة فقوي بذلك المسلمون، وضعف جأش المصبح، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة، فاغتر بكثرة من معه ومخالفة لشخريت، فتمادى على طغيانه فسار إلى عكرمة بمن معه من الجنود فاقتتلوا مع المصبح أشد من قتال دبا المتقدم، ثم فتح الله بالظفر والنصر، ففر المشركون وقتل المصبح، وقتل خلق كثير من قومه، وغنم المسلمون أموالهم، فكان في جملة ما غنموا ألفا نجيبة فخمس عكرمة ذلك كله وبعث بخمسه إلى الصديق مع شخريت، وأخبره بما فتح الله عليه، والبشارة مع رجل يقال له: السائب، ومن بني عابد من مخزوم، وقد قال في ذلك رجل يقال له علجوم [الطويل]:

جَزَى الله شَخريتاً وأفناء هاشم ... وفرضم إذ سارتْ إلينا الجلائب

جزاء مسيءٍ لم يراقب لذمةٍ ... ولم يرجها فيما يُرَجّى الأقارب

أعكرم لولا جمع قومي وفعلهم ... لضاقت عليكم بالفضاء المذاهب

وكنا كمن اقتاد كَفّاً بأختها ... وحلت علينا في الدهور النوائب

وأما أهل اليمن فقد قدمنا أن الأسود العنسي لعنه الله لما نبغ باليمن، أضل خلقاً كثيراً من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتد كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام، وأنه لما قتله الأمراء الثلاثة قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي، وداذويه، وكان ما قدمناه ذكره، ولما بلغهم موت رسول

الله ﷺ ازداد بعض أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك، أجارنا الله من ذلك، وطمع قيس بن مكشوح في الإمرة باليمن، فعمل لذلك، وارتد عن الإسلام وتابعه عوام أهل اليمن، وكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء، من أهل اليمن أن يكونوا مع فيروز والأبناء على قيس بن مكشوح حتى تأتيهم جنوده سريعاً، وحرص قيس على قتل الأميرين الأخيرين، فلم يقدر إلا على داذويه واحترز منه فيروز الديلمي، وذلك أنه عمل طعاماً وأرسل إلى داذويه أولاً، فلما جاءه عجل عليه فقتله، ثم أرسل إلى فيروز ليحضر عنده فلما كان ببعض الطريق سمع امرأة تقول لأخرى: وهذا أيضاً والله مقتول كما قتل صاحبه، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل داذويه، وخرج إلى أخواله خولان فتحصن عندهم وساعدته عقيل، وعك وخلق، وعمد قيس إلى ذراري فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن، وأرسل طائفة في البر وطائفة في البحر فاحتد فيروز فخرج في خلق كثير، فتصادف هو وقيس فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم قيساً وجنده من العوام، وبقية جند الأسود العنسي، فهزموا في كل وجه وأسر قيس وعمرو بن معد يكرب، وكان عمرو قد ارتد أيضاً، وبايع الأسود العنسي، وبعث بهما المهاجرين أبي أمية إلى أبي بكر أسيرين، فعنفهما وأنبهما فاعتذرا إليه فقبل منهما علانيتهما، ووكل سرائرهما إلى الله عز وجل، وأطلق سراحهما وردهما إلى قومهما، ورجعت عمال رسول الله ﷺ الذين كانوا باليمن إلى أماكنهم التي كانوا عليها في حياته عليه السلام بعد حروب طويلة، لو استقصينا إيرادها لطال ذكرها، وملخصها أنه ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها ردة لبعض الناس، فبعث الصديق إليهم جيوشاً وأمراء يكونون عوناً لمن في تلك الناحية من المؤمنين فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطن من تلك المواطن إلا غلب جيش الصديق لمن هناك من المرتدين، ولله الحمد والمنة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا مغانم كثيرة، فيتقوون بذلك على من هنالك، ويبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصديق فينفقه في الناس فيحصل لهم قوة أيضاً ويستقوون به على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم، على ما سيأتي تفصيله. ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلا أهل طاعة لله ولرسوله، وأهل ذمة من الصديق، كأهل نجران وما جرى مجراهم، ولله الحمد، وعامة ما وقع من هذه الحروب كان في أواخر سنة إحدى عشرة وأوائل سنة ثنتي عشرة. ولنذكر بعد أيراد هذه الحوادث من توفي في هذه السنة من الأعيان والمشاهير وبالله المستعان، وفيها رجع معاذ بن جبل من اليمن. وفيها استبقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

ذكر من توفي في هذه السنة

أعني سنة إحدى عشرة من الأعيان والمشاهير وذكرنا معهم من قتل باليمامة لأنها كانت في سنة إحدى عشرة على قول بعضهم، وإن كان المشهور أنها في ربيع سنة ثنتي عشرة. توفي فيها رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وذلك في ربيعها الأول في يوم الاثنين ثاني عشره على المشهور، كما قدمنا بيانه، وبعده بستة أشهر على الأشهر، توفيت ابنته فاطمة رضي الله عنها، وتكنى بأم أبيها، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه عهد إليها

أنها أول أهله لحوقاً به، وقال لها في ذلك: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟ وكانت أصغر بنات النبي ﷺ على المشهور ولم يبق بعده سواها، فلهذا عظم أجرها لأنها أصيبت به عليه السلام ويقال إنها كانت توأماً لعبد الله ابن رسول الله ﷺ وليس له عليه السلام نسل إلا من جهتها، قال الزبير بن بكار: وقد روي أنه عليه السلام ليلة زفاف عليّ على فاطمة توضأ وصب عليه وعلى فاطمة ودعا لهما أن يبارك في نسلهما وقد تزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب بعد الهجرة، وذلك بعد بدر وقيل بعد أحد، وقيل بعد تزويج رسول الله ﷺ عائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد ذلك بسبعة أشهر ونصف، فأصدقها درعه الحطمية وقيمتها أربعمائة درهم، وكان عمرها إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكان علي أسن منها بست سنين. وقد وردت أحاديث موضوعة في تزويج علي بفاطمة لم نذكرها رغبة عنها. فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً وأم كلثوم ـ التي تزوج بها عمر بن الخطاب بعد ذلك ـ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد أن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي أن رسول الله لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحى وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت حتى لقد اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى محلت يداي، فأتت النبي ﷺ فقال: **«ما جَاءَ بِكِ أي بُنَيَّة»**؟ قالت جئت لأسلم عليك ـ واستحيت أن تسأله ـ ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتياه جميعاً فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى محلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال: والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، فرجعا فأتاهما رسول الله ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطت أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا فقال: **«مكانكما»**، ثم قال: **«ألا أخبركما بخير ما سألتماني»**؟ قالا: بلى، قال: **«كلمات علمنيهن جبريل تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين»** قال فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ قال: فقال له ابن الكوا: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلة صفين. وآخر هذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه، فقد كانت فاطمة صابرة مع علي على جهد العيش وضيقه، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ولكنه أراد أن يتزوج في وقت بدرة بنت أبي جهل، فأنف رسول الله ﷺ من ذلك وخطب الناس فقال: **«لا أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، وإن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها، وإني أخشى أن تفتن عن دينها، ولكن إني أحب ابن أبي طالب أن يطلقها ويتزوج بنت أبي جهل فإنه والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً»**، قال: فترك علي الخطبة. ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال: **«لا نورث ما تركنا فهو صدقة»**، فسألت أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة فأُبي ذلك وقال: إني أعول من كان رسول الله يعولُ، وإني أخشى إن تركت شيئاً مما

كان رسول الله ﷺ يفعله أن أضل، ووالله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، فكأنها وجدت في نفسها من ذلك، فلم تزل تبغضه مدة حياتها، فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت، فرضيت رضي الله عنهما. رواه البيهقي من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، ثم قال: وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح.

ولما حضرتها الوفاة أوصت إلى أسماء بنت عميس ـ امرأة الصديق ـ أن تغسلها فغسلتها هي وعلي بن أبي طالب وسلمى أم رافع، قيل والعباس بن عبد المطلب، وما روي من أنها اغتسلت قبل وفاتها وأوصت أن لا تغسل بعد ذلك فضعيف لا يعول عليه والله أعلم. وكان الذي صلى عليها زوجها علي، وقيل عمها العباس، وقيل أبو بكر الصديق فالله أعلم، ودفنت ليلاً وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة وقيل إنها توفيت بعده عليه السلام بشهرين، وقيل بسبعين يوماً، وقيل بخمسة وسبعين يوماً، وقيل بثلاثة أشهر، وقيل بثمانية أشهر، والصحيح ما ثبت في الصحيح من طريق الزهري عن عروة عن عائشة أن فاطمة عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، ودفنت ليلاً، ويقال إنها لم تضحك في مدة بقائها بعده عليه السلام، وأنها كانت تذوب من حزنها عليه، وشوقها إليه. واختلف في مقدار سنها يومئذٍ فقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وعشرون، وقيل ثلاثون، وقيل خمس وثلاثون سنة، وهذا بعيد وما قبله أقرب منه والله أعلم. ودفنت بالبقيع وهي أول من ستر سريرها، وقد ثبت في الصحيح أن علياً كان له فرجة من الناس حياة فاطمة، فلما ماتت التمس مبايعة الصديق فبايعه كما هو مروي في البخاري، وهذه البيعة لإزالة ما كان وقع من وحشة حصلت بسبب الميراث ولا ينفي ما ثبت من البيعة المتقدمة عليها كما قررنا والله أعلم.

وممن توفي في هذه السنة:

أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله ﷺ ورثها من أبيه، وقيل من أمه، وحضنته وهو صغير، وكذلك بعد ذلك وقد شربت بوله فقال لها: لقد احتضرت بحضار من النار وقد أعتقها وزوجها عبيداً فولدت منه ابنها أيمن فعرفت به، ثم تزوجها زيد بن حارثة، مولى رسول الله، فولدت أسامة بن زيد، وقد هاجرت الهجرتين إلى الحبشة والمدينة وكانت من الصالحات، وكان عليه السلام يزورها في بيتها ويقول: هي أمي بعد أمي، وكذلك كان أبو بكر وعمر يزورانها في بيتها، كما تقدم ذكر ذلك في الموالي وقد توفيت بعده عليه السلام بخمسة أشهر وقيل بستة أشهر.

ومنهم:

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عديّ بن العجلان البلويّ حليف الأنصار شهد بدراً وما بعدها، وكان ممن حضر موتة، فلما قتل عبد الله بن رواحة دفعت الراية إليه فسلمها لخالد بن

الوليد، وقال: أنت أعلم بالقتال مني، وقد تقدم أن طليحة الأسدي قتله وقتل معه عكاشة بن محصن وذلك حين يقول طليحة: [الطويل]:

عَشِيَّةَ غادرتُ ابْنَ أقْرَمَ ثَاوياً وعكّاشة الغنميُّ تحت مجال

وذلك في سنة إحدى عشرة، وقيل سنة ثنتي عشرة، وعن عروة أنه قتل في حياة النبي ﷺ وهذا غريب، والصحيح الأول والله أعلم.

ومنهم:

ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي أبو محمد خطيب الأنصار ويقال له أيضاً خطيب النبي ﷺ وقد ثبت عنه عليه السلام أنه بشره بالشهادة، وقد تقدم الحديث في دلائل النبوة، فقتل يوم اليمامة شهيداً، وكانت راية الأنصار يومئذٍ بيده.

وروى الترمذي بإسناد على شرط مسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ: قال: «**نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس**»، وقال أبو القاسم الطبراني: **حدثنا** أحمد بن المعلى الدمشقي: **ثنا** سليمان بن عبد الرحمن، **ثنا** الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة فسألت عمن يحدثني بحديث ثابت بن قيس بن شماس، فأرشدوني إلى ابنته، فسألتها فقالت: سمعت أبي يقول: لما أنزل على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨] اشتدت على ثابت بن قيس وغلق عليه بابه، وطفق يبكي فأخبر رسول الله فسأله فأخبره بما كبر عليه منها وقال: أنا رجل أحب الجمال، وأنا أسود قومي، فقال: إنك لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير، ويدخلك الله الجنة، فلما أنزل على رسول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] فعل مثل ذلك فأخبر النبي ﷺ فأرسل إليه فأخبره بما كبر عليه منها، وأنه جهير الصوت، وأنه يتخوف أن يكون ممن حبط عمله، فقال: «**إنك لست منهم، بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً ويدخلك الله الجنة**»، فلما استنفر أبو بكر المسلمين إلى أهل الردة واليمامة ومسيلمة الكذاب، سار ثابت فيمن سار، فلما لقوا مسيلمة وبني حنيفة هزموا المسلمين ثلاث مرات، فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ فجعلا لأنفسهما حفرة فدخلا فيها فقاتلا حتى قتلا، قالت: ورأى رجل من المسلمين ثابت بن قيس في منامه فقال: إني لما قتلت بالأمس مرّ بي رجل من المسلمين فانتزع مني درعاً نفيسه ومنزله في أقصى العسكر وعند منزله فرس يستنّ في طوله، وقد أكفأ على الدرع برمة، وجعل فوق البرمة رحلاً، وائت خالد بن الوليد فليبعث إلى درعي فليأخذها، فإذا قدمت على خليفة رسول الله فأعلمه أن علي من الدين كذا ولي من المال كذا وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، قال: فأتى خالداً فوجه إلى الدرع فوُجدها كما ذكر، وقدم على أبي بكر فأخبره فأنفذ أبو بكر وصيته بعد موته فلا نعلم أحداً جازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس. ولهذا الحديث وهذه القصة شواهد أُخر، والحديث المتعلق بقوله:

«لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي»، في صحيح مسلم عن أنس. وقال حماد بن سلمة: عن ثابت عن أنس أن ثابت بن قيس بن شماس، جاء يوم اليمامة وقد تحنط ونشر أكفانه وقال: اللهم إني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فقتل وكانت له درع فسرقت فرآه رجل فيما يرى النائم فقال: إن درعي في قدر تحت الكانون في مكان كذا وكذا وأوصاه بوصايا، فطلبوا الدرع فوجدوها وأنفذوا الوصايا، رواه الطبراني أيضاً.

ومنهم:

حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عامر بن عمران المخزوميّ، له هجرة ويقال: أسلم عام الفتح، وهو جد سعيد بن المسيب أراد رسول الله ﷺ أن يسميه سهلاً فامتنع وقال: لا أغير اسماً سمانيه أبواي، فلم تزل الحزونة فينا. استشهد يوم اليمامة وقتل معه أيضاً ابناه عبد الرحمن ووهب، وابن ابنه حكيم بن وهب بن حزن. وممن استشهد في هذه السنة داذويه الفارسي أحد أمراء اليمن الذين قتلوا الأسود العنسي، قتله غيلة قيس بن مكشوح حين ارتد قبل أن يرجع قيس إلى الإسلام فلما عنفه الصديق على قتله أنكر ذلك فقبل علانيته وإسلامه.

ومنهم:

زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوى أبو محمد، وهو أخو عمر بن الخطاب لأبيه، وكان زيد أكبر من عمر، أسلم قديماً، وشهد بدراً، وما بعدها وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عدي الأنصاري وقد قتلا جميعاً باليمامة، وقد كانت راية المهاجرين يومئذٍ بيده، فلم يزل يتقدم بها حتى قتل فسقطت، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، وقد قتل زيد يومئذٍ الرجال بن عنفوة، واسمه نهار، وكان الرجال هذا قد أسلم وقرأ البقرة، ثم ارتد ورجع فصدق مسيلمة وشهد له بالرسالة، فحصل به فتنة عظيمة، فكانت وفاته على يد زيد رضي الله عن زيد. ثم قتل زيداً رجل يقال له أبو مريم الحنفي، وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر: يا أمير المؤمنين إن الله أكرم زيداً بيدي ولم يهني على يده، وقيل: إنما قتله سلمة بن صبيح ابن عم أبي مريم هذا، ورجحه أبو عمر وقال: لأن عمر استقضى أبا مريم، وهذا لا يدل على نفي ما تقدم والله أعلم.

وقد قال عمر لما بلغه مقتل زيد بن الخطاب: سبقني إلى الحسنيين أسلم قبلي، واستشهد قبلي، وقال لمتمم بن نويرة حين جعل يرثي أخاه مالكاً بتلك الأبيات المتقدم ذكرها: لو كنت أحسن الشعر لقلت كما قلت، فقال له متمم: لو أن أخي ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنت عليه، فقال له عمر: ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به، ومع هذا كان عمر يقول: ما هَبَّت الصبا إلا ذكرتني زيد بن الخطاب، رضي الله عنه.

ومنهم:

سالم بن عبيد ويقال: ابن يعمل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وإنما كان معتقاً

لزوجته ثبيتة بنت يعاد وقد تبناه أبو حنيفة وزوجه بابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة، فلما أنزل الله ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] جاءت امرأة أبي حذيفة سهلة بنت سهل بن عمرو فقالت: يا رسول الله إن سالماً يدخل عليَّ وأنا غفل فأمرها أن ترضعه فأرضعته فكان يدخل عليها بتلك الرضاعة، وكان من سادات المسلمين، أسلم قديماً وهاجر إلى المدينة قبل رسول الله ﷺ، فكان يصلي بمن بها من المهاجرين، وفيهم عمر بن الخطاب لكثرة حفظه القرآن، وشهد بدراً وما بعدها وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة»، فذكر منهم سالماً مولى أبي حذيفة، وروى عن عمر أنه قال: لما احتضر لو كان سالم حيّاً لما جعلتها شورى، قال أبو عمر بن عبد البر: معناه أنه كان يصدر عن رأيه فيمن يوليه الخلافة. ولما أخذ الراية يوم اليمامة بعد مقتل زيد بن الخطاب قال له المهاجرون: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا. انقطعت يده اليمنى فأخذها بيساره، فقطعت فاحتضنها وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٤٦] فلما صرع قال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة؟ قالوا: قتل، قال: فما فعل فلان؟ قالوا: قتل، قال: فأضجعوني بينهما. وقد بعث عمر بميراثه إلى مولاته التي اعتقته «ثبينة» فردته وقالت: إنما اعتقته سائبة، فجعله عمر في بيت المال.

ومنهم:

أبو دجانة سماك بن خرشة ويقال سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. شهد بدراً وأبلى يوم أحد، وقاتل شديداً وأعطاه رسول الله ﷺ يومئذٍ سيفاً فأعطاه حقه وكان يتبختر عند الحرب، فقال عليه السلام: «إنَّ هٰذِهِ لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا الله، إلاَّ فِي هٰذا المَوْطِنِ». وكان يعصب رأسه بعصابة حمراء، شعاراً له بالشجاعة. وشهد اليمامة ويقال إنه ممن اقتحم على بني حنيفة يومئذٍ الحديقة فانكسرت رجله، فلم يزل يقاتل حتى قتل يومئذٍ. وقد قتل مسيلمة مع وحشي بن حرب رماه وحشي بالحربة وعلاه أبو دجانة بالسيف، قال وحشي: فربك أعلم أينا قتله. وقد قيل إنه عاش حتى شهد صفين مع علي، والأول أصح، وأما ما يروى عنه من ذكر الحرز المنسوب إلى أبي دجانة فإسناده ضعيف ولا يلتفت إليه والله أعلم.

ومنهم:

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي، حليف بني عبد شمس، أسلم قديماً وهاجر وشهد بدراً وما بعدها. وكان رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر الغساني فلم يسلم، وأسلم. واستشهد شجاع بن وهب يوم اليمامة عن بضع وأربعين سنة، وكان رجلاً طوالاً نحيفاً أجنأ[1].

---

(١) الأجنا: الذي يميل عنقه على صدره.

ومنهم:

الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهر بن غنم بن دوس الدوسي، أسلم قديماً قبل الهجرة، وذهب إلى قومه فدعاهم إلى الله فهداهم الله على يديه، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة جاءه بتسعين أهل بيت من دوس مسلمين، وقد خرج عام اليمامة مع المسلمين ومعه ابنه عمرو، فرأى الطفيل في المنام كأن رأسه قد حلق، وكأن امرأة أدخلته في فرجها، وكأن ابنه يجتهد أن يلحقه فلم يصل. فأولها بأنه سيقتل ويدفن، وأن ابنه يحرص على الشهادة فلا ينالها عامة ذلك. وقد وقع الأمر كما أولها، ثم قتل ابنه شهيداً يوم اليرموك كما سيأتي.

ومنهم:

عباد بن بشر بن وقش الأنصاري أسلم على يدي مصعب بن عمير قبل الهجرة قبل إسلام معاذ، وأسيد بن الحضير، وشهد بدراً وما بعدها. وكان ممن قتل كعب بن الأشرف، وكانت عصاه تضيء له إذا خرج من عند رسول الله في ظلمة. قال موسى بن عقبة عن الزهري: قتل يوم اليمامة شهيداً عن خمس وأربعين سنة، وكان له بلاء وعناء. وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: تهجد رسول الله فسمع صوت عباد فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ**».

ومنهم:

السائب بن عثمان بن مظعون بدري من الرماة، أصابه يوم اليمامة سهم فقتله وهو شاب، رحمه الله.

ومنهم:

السائب بن العوام أخو الزبير بن العوام استشهد يومئذٍ رحمه الله.

ومنهم:

عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود القرشي العامري، أسلم قديماً وهاجر ثم استضعف بمكة، فلما كان يوم بدر خرج معهم فلما تواجهوا فرَّ إلى المسلمين فشهدها معهم، وقتل يوم اليمامة فلما حج أبو بكر عزى أباه فيه، فقال سهيل: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّهِيدَ لَيَشْفَعُ لِسَبْعِينَ مِنْ أَهْلِهِ، فَأَرْجُو أَنْ يَبْدَأَ بِي**».

ومنهم:

عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ابن سلول الأنصاري الخزرجي، كان من سادات الصحابة وفضلائهم، شهد بدراً وما بعدها وكان أبوه رأس المنافقين، وكان أشد الناس على أبيه، ولو أذن له رسول الله فيه لضرب عنقه، وكان اسمه الحباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقد استشهد يوم اليمامة رضي الله عنه.

ومنهم:

عبد الله بن أبي بكر الصديق أسلم قديماً، ويقال: إنه الذي كان يأتي بالطعام والشراب والأخبار إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وهما بغار ثور، ويبيت عندهما ويصبح بمكة كبائت، فلا يسمع بأمر يكادان به إلا أخبرهما به. وقد شهد الطائف فرماه رجل يقال له أبا محجن الثقفي بسهم فذوى منها فاندملت ولكن لم يزل منها حمتا[1] حتى مات في شوال سنة إحدى عشرة.

ومنهم:

عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير[2] بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي حليف بني عبد شمس، يكنى أبا محصن، وكان من سادات الصحابة وفضلائهم، هاجر وشهد بدراً وأبلى يومئذٍ بلاءً حسناً وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله يومئذٍ عرجوناً فعاد في يده سيفاً أمضى من الحديد شديد المتن. وكان ذلك السيف يسمى العون. وشهد أحداً والخندق وما بعدها. ولما ذكر رسول الله ﷺ السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال عكاشة: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **«اللهم اجعله منهم»**، ثم قام رجل آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **«سبقك بها عكاشة»**. والحديث مروي من طرق تفيد القطع. وقد خرج عكاشة مع خالد يوم إمرة الصديق بذي القصة فبعثه وثابت بن أقرم بين يديه طليعة، فتلقاهما طليحة الأسدي وأخوه سلمة فقتلاهما، وقد قتل عكاشة قبل مقتله حبال بن طليحة، ثم أسلم طليحة بعد ذلك كما ذكرنا، وكان عمر عكاشة يومئذٍ أربعاً وأربعين سنة وكان من أجمل الناس رضي الله عنه.

ومنهم:

معن بن عدي بن الجعد بن عجلان بن ضبيعة البلوي، حليف بني عمرو بن عوف. وهو أخو عاصم بن عدي شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وكان قد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا جميعاً يوم اليمامة رضي الله عنهما، وقال مالك عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال: بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات وقالوا: والله وددنا أنا متنا قبله ونخشى أن نفتتن بعده، فقال معن بن عدي: لكني والله ما أحبُّ أن أموتَ قبله لأصَدِّقَهُ ميتاً كما صَدَّقته حياً. ومنهم الوليد وأبو عبيدة ابنا عمارة بن الوليد بن المغيرة، قتلا مع عمهما خالد بن الوليد بالبطاح وأبوهما عمارة بن الوليد وهو صاحب عمرو بن العاص إلى النجاشي، وقضيته مشهورة.

---

(١) حمتاً: مصاباً ومتأثراً.

(٢) كذا في الاستيعاب، وعليه اعتد المؤلف، وفي الإصابة: «بكير» بضم الموحدة.

ومنهم:

أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي العبشمي أسلم قديماً قبل دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدراً وما بعدها، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عباد بن بشر وقد قتلا شهيدين يوم اليمامة. وكان عمر أبي حذيفة يومئذٍ ثلاثاً أو أربعاً وخمسين سنة، وكان طويلاً حسن الوجه أثعل، وهو الذي له سن زائدة وكان اسمه هشيم وقيل هاشم.

ومنهم أبو دجانة واسمه سماك بن خرشة تقدم قريباً. وبالجملة فقد قتل من المسلمين يوم اليمامة أربعمائة وخمسون من حملة القرآن ومن الصحابة وغيرهم. وإنما أوردنا هؤلاء لشهرتهم وبالله المستعان.

قلت: وممن استشهد يومئذٍ من المهاجرين مالك بن عمرو حليف بني غنم مهاجري بدري، ويزيد بن رقيش بن رباب الأسدي بدري، والحكم بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، وحسن بن مالك ابن بُحينة أخو عبد الله بن مالك الأزدي، حليف بني المطلب بن عبد مناف، وعامر بن البكر الليثي حليف بني عدي بدري، ومالك بن ربيعة حليف بني عبد شمس، وأبو أمية صفوان بن أمية بن عمرو، ويزيد بن أوس حليف بني عبد الدار، وحيي ويقال معلى بن حارثة الثقفي، وحبيب بن أسيد بن حارثة الثقفي، والوليد بن عبد شمس المخزومي، وعبد الله بن عمرو بن بُجرة العدوى، وأبو قيس بن الحارث بن قيس السهمي، وهو من مهاجرة الحبشة، وعبد الله بن الحارث بن قيس، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزي بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر العامري، من المهاجرين الأولين، شهد بدراً وما بعدها، وقتل يومئذٍ، وعمرو بن أويس بن سعد بن أبي سرح العامري، وسليط بن عمرو العامري، وربيعة بن أبي خرشة العامري، وعبد الله بن الحارث بن رحضة من بني عامر.

ومن الأنصار غير من ذكرنا تراجمهم:

عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان النجاري، وهو أخو عمرو بن حزم، كانت معه راية قومه يوم الفتح، وقد شهد بدراً وقتل يومئذٍ. وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام السلمي، شهد العقبة الأولى وشهد بدراً وما بعدها. وثابت بن هزال من بني سالم بن عوف بدري. في قول. وأبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة من بني جحجبى، شهد بدراً وما بعدها، فلما كان يوم اليمامة أصابه سهم فنزعه ثم تحزم وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل، وقد أصابته جراحات كثيرة. وعبد الله بن عتيك، ورافع بن سهل، وحاجب بن يزيد الأشهلي. وسهل بن عدي. ومالك بن أوس. وعمير بن أوس، وطلحة بن عتبة من بني جحجبى، ورباح مولى الحارث، ومعن بن عدي، وجزء بن مالك بن عامر من بني جحجبى، وورقة بن إياس بن عمرو الخزرجي بدري، ومروان بين العباس، وعامر بن ثابت، وبشر بن عبد الله الخزرجي، وكليب بن تميم، وعبد الله بن عتبان، وإياس بن وديعة، وأسيد بن يربوع، وسعد بن حارثة،

وسهل بن حمان، ومحاسن بن حمير، وسلمة بن مسعود، وقيل مسعود بن سنان، وضمرة بن عياض، وعبد الله بن أنيس، وأبو حبة بن غزية المازني، وخباب بن زيد، وحبيب بن عمرو بن محصن، وثابت بن خالد، وفروة بن النعمان، وعائذ بن ماعص، ويزيد بن ثابت بن الضحاك، أخو زيد بن ثابت. قال خليفة بن خياط: فجميع من استشهد من المهاجرين والأنصار يوم اليمامة ثمانية وخمسون رجلاً، يعني وبقية الأربعمائة والخمسين من غيرهم والله أعلم.

وقد قتل من الكفار فيما سقنا من المواطن التي التقى فيها المسلمون والمشركون في هذه وأوائل التي قبلها، ما ينيف على خمسين ألفاً ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة. فمن مشاهيرهم الأسود العنسي لعنه الله، واسمه عبهلة بن كعب بن غوث، خرج أول مخرجه من بلدة باليمن يقال لها كهف خبان ومعه سبعمائة مقاتل، فما مضى شهر حتى تملك صنعاء ثم استوثقت له اليمن بحذافيرها في أقصر مدة، وكان معه شيطان يحذق له ولكن خانه أحوج ما كان إليه. ثم لم تمضِ له ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر حتى قتله الله على يدي إخوان صدق، وأمراء حق، كما قدمنا ذكره وهم دازويه الفارسي، وفيروز الديلمي، وقيس بن مكشوح المرادي، وذلك في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة. قبل وفاة رسول الله ﷺ بليال، وقيل بليلة فالله أعلم. وقد أطلع الله رسوله ليلة قتله على ذلك كما أسلفناه.

ومنهم:

مسيلمة بن حبيب اليمامي الكذاب لعنه الله قدم المدينة وافداً إلى رسول الله ﷺ مع قومه بني حنيفة، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ فسمعه وهو يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فقال له: «**لو سألتني هذا العود ـ لعرجون في يده ـ ما أعطيتكه، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت**»، وكان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام كأن في يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما، فأوحى الله إليه في المنام انفخهما، فنفخهما فطارا، فأولهما بكذابين يخرجان، وهما صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة. وهكذا وقع، فإنهما ذهبا وذهب أمرهما. أما الأسود فذبح في داره، وأما مسيلمة فعقره الله على يدي وحشي بن حرب رماه بالحربة فأنفذه كما تعقر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه وذلك بعقر داره في الحديقة التي يقال لها حديقة الموت. وقد وقف عليه خالد بن الوليد وهو طريح ـ أراه إياه من بين القتلى مجاعة بن مرارة، ويقال: كان أصفر أخينس وقيل كان ضخماً أسمر اللون كأنه جمل أورق، ويقال إنه مات وعمره مائة وأربعون سنة فالله أعلم. وقد قتل قبله وزيراه ومستشاراه لعنهما الله، وهما محكم بن الطفيل الذي يقال له محكم اليمامة، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر، رماه بسهم وهو يخطب قومه يأمرهم بمصالح حربهم فقتله، والآخر نهار بن عنفوة الذي يقال له الرجال بن عنفوة، وكان ممن أسلم ثم ارتد وصدق مسيلمة لعنهما الله في هذه الشهادة، وقد رزق الله زيد بن الخطاب قتله قبل أن يقتل زيد رضي الله عنه.

ومما يدل على كذب الرجال في هذه الشهادة الضرورة في دين الإسلام، وما رواه البخاري وغيره أن مسيلمة كتب إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك: أما بعد فإني قد أشركت معك في الأمر، فلك المدر ولي الوبر، ويروى فلكم نصف الأرض ولنا نصفها، ولكن قريشاً قوم يعتدون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: **«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»**. وقد قدمنا ما كان يتعاطاه مسيلمة ويتعاناه لعنه الله من الكلام الذي هو أسخف من الهذيان، مما كان يزعم أنه وحي من الرحمن تعالى الله عما يقوله وأمثاله علواً كبيراً، ولما مات رسول الله ﷺ زعم أنه استقل بالأمر من بعده واستخف قومه فأطاعوه وكان يقول:

خُذِي الدُّفَّ يا هٰذِهِ وَالْعَبِي ... وَبُثِّي مَحَاسِنَ هٰذا النَّبِي

تَوَلَّى نَبِيُّ بَنِي هَاشِمٍ ... وَقَامَ نَبِيُّ بَنِي يَعْرُبِ

فلم يمهله الله بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا قليلاً حتى سلَّط عليه سيفاً من سيوفه، وحتفاً من حتوفه فَبَعَجَ بطنه، وفلق رأسه وعجل الله بروحه إلى النار فبئس القرار، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣] فمسيلمة والأسود وأمثالهما لعنهم الله أحق الناس دخولاً في هذه الآية الكريمة، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة.

سنة اثنتي عشرة من الهجرة النبوية

استهلت هذه السنة وجيوش الصديق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة جوالون في البلاد يميناً وشمالاً، لتمهيد قواعد الاسلام وقتال الطغاة من الأنام، حتى رد شارد الدين بعد ذهابه، وترجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى، وقد قال جماعة من علماء السير والتواريخ: إن وقعة اليمامة كانت في ربيع الأول من هذه السنة، وقيل: إنها كانت في أواخر التي قبلها، والجمع بين القولين أن ابتداءها كان في السنة الماضية، وانتهاءها وقع في هذه السنة الآتية، وعلى هذا القول ينبغي أن يذكروا في السنة الماضية كما ذكرناه لاحتمال أنهم قتلوا في الماضية، ومبادرة إلى استيفاء تراجمهم قبل أن يذكروا مع من قتل بالشام والعراق في هذه السنة على ما سنذكر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد قيل: إنّ وقعة جواثا وعمان ومهرة وما كان من الوقائع التي أشرنا إليها إنما كانت في سنة ثنتي عشرة وفيها كان قتل الملوك الأربعة حمد ومحرس وأبضعة ومشرحاً، وأسروا أختهم العمردة الذين ورد الحديث في مسند أحمد بلعنهم. وكان الذي قتلهم زياد بن لبيد الأنصاري.

بعث خالد بن الوليد إلى العراق

لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث إليه الصديق أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وهي الأبُلة، ويأتي العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يكره أحداً على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه. وآمره أن يستصحب كل امرىء مر به من المسلمين. وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه. قال الواقدي فاختلف في خالد، فقائل يقول: مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق، وقائل يقول: رجع من اليمامة إلى المدينة ثم سار إلى العراق من المدينة فمر على طريق الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة. قلت: والمشهور الأول. وقد ذكر المدائني بإسناده أن خالداً توجه إلى العراق في المحرم سنة اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة وفيها قطبة بن قتادة، وعلى الكوفة المثنى بن حارثة الشيباني. وقال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان: إن أبا بكر كتب إلى خالد أن يسير إلى العراق فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما، وصاحبها جابان، فصالحه أهلها، قلت: وقد قتل منهم المسلمون قبل الصلح خلقاً كثيراً. وكان الصلح على ألف ألف درهم، وقيل دينار، في رجب، وكان الذي صالحه بُصْبُهْرَى بن صلوبا، ويقال صلوبا بن بُصْبُهْرَى، فقبل منهم خالد وكتب لهم كتاباً، ثم أقبل حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حيَّة الطائي وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية. فقال لهم خالد: تباً لكم إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه رجلان أحدهما عربي والآخر أعجمي فتركه واستدل بالعجمي، ثم صالحهم على تسعين ألفاً، وفي رواية مائتي ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من العراق وحملت إلى المدينة هي والقريات قبلها التي صالح عليها ابن صلوبا. قلت: وقد كان مع نائب كسرى على الحيرة ممن وفد إلى خالد عمرو بن عبد المسيح بن حبان بن بقيلة، وكان من نصارى العرب، فقال له خالد: من أين أثرك؟ قال: من ظهر أبي، قال: ومن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: ويحك على أي شيء أنت؟ قال: على الأرض، قال: ويحك وفي أي شيء أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ويحك تعقل؟ قال: نعم وأقيد، قال: إنما أسألك، قال: وأنا أجيبك، قال: أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم، قال: فما هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه، ثم دعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، فأجابوا إلى الجزية بتسعين أو مائتي ألف كما تقدم. ثم بعث خالد بن الوليد كتاباً إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه، كما قال هشام بن الكلبي عن أبي مخنف عن مجالد عن الشعبي قال: أقرأني بنو بقيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن:

من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فالحمد لله الذي فضَّ خدمكم وسلب ملككم ووهَّن كيدكم، وإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له مالنا وعليه ما علينا، أما بعد فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهن واعتقدوا مني الذمة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة. فلما قرؤوا الكتاب أخذوا يتعجبون. وقال سيف بن عمر عن طليحة الأعلم عن المغيرة بن عيينة ـ وكان قاضي أهل الكوفة ـ قال: فرق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو، ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد ـ يعني في آخرهم ـ ودليله رافع فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به، ويصادموا عدوهم، وكان فرج الهند أعظم فروج فارس بأساً وأشدها شوكة، وكان صاحبه يحارب في البر والهند في البحر وهو هرمز، فكتب إليه خالد فبعث هرمز بكتاب خالد إلى شيري بن كسرى، وأردشير بن شيري، وجمع هرمز، وهو نائب كسرى جموعاً كثيرة وسار بهم إلى كاظمة، وعلى مجنبتيه قباذ وأنوشجان ـ وهما من بيت الملك ـ وقد تفرق الجيش في السلاسل لئلا يفروا، وكان هرمز هذا من أخبث الناس طوية وأشدهم كفراً، وكان شريفاً في الفرس وكان الرجل كلما ازداد شرفاً زاد في حليته، فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف، وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفاً فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء. فقوى المسلمون بذلك، وفرحوا فرحاً شديداً، فلما تواجه الصفان وتقاتل الفريقان، ترجل هرمز ودعا إلى النزال، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغله عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل واستحوذ المسلمون وخالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس، وأفلت قباذ وأنو شجان. ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وبعث بالفتح والبشارة والخمس، مع زر بن كليب، إلى الصديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعلن يقلن أمن خلق الله هذا أم شيء مصنوع؟ فرده الصديق مع زر، وبعث أبو بكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فنفله سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصعة بالجوهر وبعث خالد الأمراء يميناً وشمالاً يحاصرون حصوناً هنالك ففتحوها عنوة وصلحاً، وأخذوا منها أموالاً جمة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين ـ من لم يقاتل منهم ـ ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس.

ثم كانت وقعة المذار في صفر من هذه السنة. ويقال لها: وقعة الثني، وهو النهر، قال ابن جرير ويومئذٍ قال الناس، صفرُ الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار. وكان

سببها أن هرمزاً كان قد كتب إلى أردشير وشيري، بقدوم خالد نحوه من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له: قارن بن قريانس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفر من فر من الفرس، فتلقاهم قارن، فالتفوا عليه فتذامروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى مجنبتي قارن قباذ وأنو شجان، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على تعبئته، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء فقتل معقل بن الأعشى بن النباش قارناً، وقتل عدي بن حاتم قباذ، وقتل عاصم أنوشجان، وفرت الفرس وركبهم المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذٍ ثلاثين ألفاً وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس. وجمع بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصديق، مع سعيد بن النعمان، أخي بني عدي بن كعب وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذراري من حصره من المقاتلة، دون الفلاحين فإنه أقرهم بالجزية وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري وكان نصرانياً ومافنَّة مولى عثمان وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة. ثم أمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرّن، وأمره أن ينزل الحفير ليجبي إليه الأموال وأقام خالد يتجسس الأخبار عن الأعداء.

ثم كان أمر الولجة في صفر أيضاً من هذه السنة، فيما ذكره ابن جرير وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار من قبل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذٍ، بعث أميراً شجاعاً يقال له الأَنْدَرْ زَغَرَ، وكان من أبناء السواد ولد بالمدائن ونشأ بها وأمده بجيش آخر مع أمير يقال له بهمن جاذويه، فساروا حتى بلغوا مكاناً يقال له: الولجة، فسمع بهم خالد فسار بمن معه من الجنود ووصى من استخلفه هناك بالحذر وقلة الغفلة، فنازل أنذر زغر ومن ناشب معه، واجتمع عنده بالولجة، فاقتتلوا قتالاً شديداً هو أشد مما قبله، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، واستبطأ كمينه الذي كان قد أرصدهم وراءه في موضعين، فما كان إلا يسيراً حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا، ففرت صفوف الأعاجم فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندرزغر من الوقعة فمات عطشاً، وقام خالد في الناس خطيباً فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب وقال: ألا ترون ما هاهنا من الأطعمات؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثّاقل عما أنتم عليه. ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة، وأقر الفلاحين بالجزية. وقال سيف بن عمر عن عمرو عن الشعبي، قال: بارز خالد يوم الولجة رجلاً من الأعاجم يعدل بألف رجل فقتله، ثم اتكأ عليه وأتى بغدائه فأكله وهو متكىء عليه بين الصفين.

ثم كانت وقعة الّيس في صفر أيضاً وذلك أن خالداً كان قد قتل يوم الولجة طائفة من بكر بن وائل، من نصارى العرب ممن كان مع الفرس، فاجتمع عشائرهم وأشدهم حنقاً عبد الأسود العجلي، وكان قد قتل له ابن بالأمس، فكاتبوا الأعاجم فأرسل إليهم أردشير جيشاً، فاجتمعوا بمكان يقال له: أليس، فبينما هم قد نصبوا لهم سماطاً فيه طعام يريدون أكله، إذ غافلهم خالد بجيشه، فلما رأوه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد، وقال أمير كسرى واسمه جابان بل ننهض إليه، فلم يسمعوا منه. فلما نزل خالد تقدم بين يدي جيشه ونادى بأعلى صوته يا شجعان من كان هنالك من الأعراب: أين فلان، أين فلان؟ فكلهم تلكؤوا عنه إلا رجلاً يقال له مالك بن قيس، من بني جذرة، فإنه برز إليه، فقال له خالد: يا ابن الخبيثة ما جرأك على من بينهم وليس فيك وفاء؟ فضربه فقتله. ونفرت الأعاجم عن الطعام وقاموا إلى السلاح فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً، والمشركون يرقبون قدوم بهمن مدداً من جهة الملك إليهم، فهم في قوة وشدة وكلب في القتال. وصبر المسلمون صبراً بليغاً، وقال خالد: اللهم لك عليّ إن منحتنا أكتفاهم أن لا أستبقي منهم أحداً أقدر عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم. ثم إن الله عز وجل منح المسلمين أكتفاهم فنادى منادي خالد: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً يساقون سوقاً، وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ويطلبهم في الغد ومن بعد الغد، وكلما حضر منهم أحد ضربت عنقه في النهر، وقد صرف ماء النهر إلى موضع آخر فقال له بعض الأمراء: إن النهر لا يجري بدمائهم حتى ترسل الماء على الدم فيجري معه فتبر بيمينك، فأرسله فسال النهر دماً عبيطاً، فلذلك سمي نهر الدم إلى اليوم، فدارت الطواحين بذلك الماء المختلط بالدم العبيط ما كفى العسكر بكماله ثلاثة أيام، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجع من الناس، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين: هذا نفل فانزلوا فكلوا، فنزل الناس فأكلوا عشاء. وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققاً كثيراً فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون: ما هذه الرقع؟ يحسبونها ثياباً، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن: أما سمعتم برقيق العيش؟ قالوا: بلى، قالوا: فهذا رقيق العيش، فسموه يومئذٍ رقاقاً، وإنما كانت العرب تسميه العود. وقد قال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن الشعبي عمن حدث عن خالد أن رسول الله ﷺ نفل الناس يوم خيبر الخبز والبطيخ والشواء وما أكلوا غير ذلك غير متأثليه. وكان كل من قتل بهذه الوقعة يوم أليس من بلدة يقال لها أمغيشيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنماً عظيماً، فقسم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفاً وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله. وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له جندل من بني عجل، وكان دليلاً صارماً، فلما بلغ الصديق الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية من السبي، وقال الصديق: يا معشر قريش إن أسدكم قد عدا على الأسد فغلبه على خراذيله[1]،

---

(١) الخراذيل: القطع من اللحم.

عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد. ثم جرت أمور طويلة لخالد في أماكن متعددة يمل سماعها، وهو مع ذلك لا يكل ولا يمل ولا يهن ولا يحزن، بل كلما له في قوة وصرامة وشدة وشهامة، ومثل هذا إنما خلقه الله عزاً للإسلام وأهله، وذلاً للكفر وشتات شمله.

فصل

ثم سار خالد فنزل الخورنق والسدير بالنجف وبث سراياه هاهنا وهاهنا، يحاصرون الحصون من الحيرة ويستنزلون أهلها قسراً وقهراً، وصلحاً ويسراً، وكان في جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم ابن بقيلة المتقدم ذكره، وكتب لأهل الحيرة كتاب أمان، فكان الذي راوده عليه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة ووجد خالد معه كيساً، فقال: ما في هذا؟ ـ وفتحه خالد فوجد فيه شيئاً ـ، فقال ابن بقيلة: هو سم ساعة، فقال: ولم استصحبته معك؟ فقال حتى إذا رأيت مكروهاً في قومي أكلته فالموت أحب إلي من ذلك، فأخذه خالد في يده وقال: إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه فبادرهم فابتلعه، فلما رأى ذلك ابن بقيلة قال: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أرَ كاليوم أوضح إقبالاً من هذا، ثم دعاهم وسألوا خالداً الصلح فصالحهم وكتب لهم كتاباً بالصلح، وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة، ولم يكن صالحهم حتى سلموا كرامة بنت عبد المسيح إلى رجل من الصحابة يقال له شويل، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كان شرفها أنياب الكلاب فقال له: يا رسول الله هب لي ابنة بقيلة، فقال: هي لك، فلما فتحت ادعاها شويل وشهد له اثنان من الصحابة، فامتنعوا من تسليمها إليه وقالوا: ما تريد إلى امرأة ابنة ثمانين سنة؟ فقالت لقومها: ادفعوني إليه فإني سأفتدي منه، وإنه قد رآني وأنا شابة، فسلمت إليه فلما خلا بها قالت: ما تريد إلى امرأة بنت ثمانين سنة؟ وأنا أفتدي منك فاحكم بما أردت، فقال: والله لا أفديك بأقل من عشر مائة فاستكثرتها خديعة منها، ثم أتت قومها فأحضروا له ألف درهم، ولامه الناس وقالوا: لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك، فقال: وهل عدد أكثر من عشر مائة؟ وذهب إلى خالد وقال: إنما أردت أكثر العدد، فقال خالد: أردت أمراً وأراد الله غيره، وإنا نحكم بظاهر قولك، ونيتك عند الله، كاذباً أنت أم صادقاً.

وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن الشعبي: لما افتتح خالد الحيرة صلى ثماني ركعات بتسليمة واحدة، وقد قال عمرو بن القعقاع في هذه الأيام ومن قتل من المسلمين بها وأيام الردة:

سَقَى اللّهُ قتلى بالعراق مقيمةً وأخرى بأثباجِ النِّجافِ الكوانِفِ[1]

---

(١) أثباج النجاف: أواسطها، والنجاف: اسم موضع.

ونحن وطئنا بالكواظم هرمزاً وبالثني قرني قارن بالجوازف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعتْ على الحيرةِ الرَّوحاء إحدى المصارف
حططناهم منها وقد كان عرشهم يميلُ بهم فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا غبوق المنايا حول تلك المحارف[1]
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا إلى الريف من أرض العريب المقانف[2]

وقد قدم جرير بن عبد الله البجلي على خالد بن الوليد وهو بالحيرة بعد الوقعات المتعددة، والغنائم المتقدم ذكرها، ولم يحضر شيئاً منها، وذلك لأنه كان قد بعثه الصديق مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام، فاستأذن خالد بن سعيد في الرجوع إلى الصديق ليجمع له قومه من بجيلة فيكونوا معه، فلما قدم على الصديق فسأله ذلك غضب الصديق وقال: أتيتني لتشغلني عما هو أرضى لله من الذي تدعوني إليه، ثم سيره الصديق إلى خالد بن الوليد بالعراق. قال سيف بأسانيده: ثم جاء ابن صلوبا فصالح خالداً على بانِقْيا وبسْما وما حول ذلك على عشرة آلاف دينار، وجاءه دهاقين تلك البلاد فصالحوه على بلدانهم وأهاليهم كما صالح أهل الحيرة، واتفق في تلك الأيام التي كان خالد قد تمكن بأطراف العراق واستحوذ على الحيرة وتلك البلدان وأوقع بأهل أليس والثنى وما بعدها بفارس ومن ناشب معهم ما أوقع من القتل الفظيع في فرسانهم، أن عدت فارس على ملكهم الأكبر أردشير وابنه شيرين فقتلوهما وقتلوا كل من ينسب إليهما، وبقيت الفرس حائرين فيمن يولوه أمرهم، واختلفوا فيما بينهم، غير أنهم قد جهزوا جيوشاً تكون حائلة بين خالد وبين المدائن التي فيها إيوان كسرى وسرير مملكته، فحينئذٍ كتب خالد إلى من هنالك من المرازبة والأمراء والدولة يدعوهم إلى الله وإلى الدخول إلى دين الاسلام ليثبت ملكهم عليهم، وإلا فليدفعوا الجزية وإلا فليعلموا وليستعدوا لقدومه عليهم بقوم يحبون الموت كما يحبون هم الحياة، فجعلوا يعجبون من جرأة خالد وشجاعته، ويسخرون من ذلك لحماقتهم ورعونتهم في أنفسهم، وقد أقام خالد هنالك بعد صلح الحيرة سنة يتردد في بلاد فارس هاهنا وهاهنا، ويوقع بأهلها من البأس الشديد، والسطوة الباهرة، ما يبهر الأبصار لمن شاهد ذلك ويشنف أسماع من بلغه ذلك ويحير العقول لمن تدبره.

فتح خالد للأنبار، وتسمى هذه الغزوة ذات العيون

ركب خالد في جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له شيرزاذ، فأحاط بها خالد وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معهم أهل أرضهم، فمانعوا خالداً أن يصل إلى الخندق فضرب معهم رأساً، ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين،

(١) غبوق المنايا: سوادها وظلمتها. والمحارف: الأماكن، وحرف الشيء: حدّه وجانبه.
(٢) المقانف: المتشقق طينه، أو الارض الغليظة.

فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه الغزوة ذات العيون، فراسل شيرزاذ خالداً في الصلح، فاشترط خالد أموراً امتنع شيرزاذ من قبولها، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفى له خالد بذلك، وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلمها خالد، فنزلها واطمأن بها، وتعلم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالداً قول بعض إياد يمتدح قومه:

قومي إياد لو أنهم أمم ... أو لو أقاموا فَتُهْزَلَ النعمُ

قوم لهم باحة العراق إذا ... ساروا جميعاً واللوح والقلمُ

ثم صالح خالد أهل البوازيج وكلواذى، قال: ثم نقض أهل الأنبار ومن حولهم عهدهم لما اضطربت بعض الأحوال، ولم يبق على عهده سوى البوازيج وبانقيا. قال سيف عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: ليس لأحد من أهل السواد عهد قبل الوقعة، الا بنو صلوبا وهم أهل الحيرة وكلواذى وقرى من قرى الفرات، غدروا حتى دعوا إلى الذمة بعدما غدروا. وقال سيف عن محمد بن قيس: قلت للشعبي: أخذ السواد عنوة وكل أرض الا بعض القلاع والحصون؟ قال: بعض صالح وبعض غالب. قلت: فهل لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الحرب؟ قال: لا، ولكنهم لما دعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة.

وقعة عين التمر

لما استقل خالد بالأنبار استناب عليها الزبرقان بن بدر، وقصد عين التمر وبها يومئذٍ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العرب، وحولهم من الأعراب طوائف من النمر وتغلب وإياد ومن لاقاهم وعليهم عَقَّة بن أبي عَقَّة، فلما دنا خالد قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالداً وقد ضعفوا ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم، وسار خالد وتلقاه عقة فلما تواجهوا قال خالد لمجنبتيه: احفظوا مكانكم فإني حامل، وأمر حماته أن يكونوا من ورائه، وحمل على عقة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقة من غير قتال فأكثروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مهران هزيمة عقة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلال نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد، فنزلوا على حكمه فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن ثم أمر فضربت عنق عقة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضاً أجمعين، وغنم جميع ما في ذلك الحصن، ووجد في

الكنيسة التي به أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل وعليهم باب مغلق، فكسره خالد وفرقهم في الأمراء وأهل الغناء، وكان حمران صار إلى عثمان بن عفان من الخمس، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه أنس بن مالك. وجماعة آخرون من الموالي المشاهير أراد بهم وبذراريهم خيراً. ولما قدم الوليد بن عقبة على الصديق بالخمس رده الصديق إلى عياض بن غنم مدداً له وهو محاصر دومة الجندل فلما قدم عليه وجده في ناحية من العراق يحاصر قوماً، وهم قد أخذوا عليه الطرق فهو محصور أيضاً، فقال عياض للوليد: إن بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده، فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به، فكتب إليه: من خالد إلى عياض، إياك أريد. [الرمز]:

لَبِّث قليلاً تأْتِكَ الحلائبُ   يحملن آساداً عليها القاشِبُ

كتائبٌ تَتْبَعُها كَتائِبُ

خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر قصد إلى دومة الجندل، واستخلف على عين التمر عويمر [بن] الكاهن الأسلمي، فلما سمع أهل دومة الجندل بمسيره إليهم، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وتنوخ وكلب وغسان والضجاعم، فأقبلوا إليهم وعلى غسان وتنوخ ابن الأيهم، وعلى الضجاعم ابن الحِدْرِجان، وجماع الناس بدومة إلى رجلين أكيدر بن عبد الملك، والجودي بن ربيعة، فاختلفا فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائر منه في حرب ولا أحد منه ولا يرى وجه خالد قوم أبداً، قلوا أم كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد وفارقهم، فبعث إليه خالد عاصم بن عمرو فعارضه فأخذه، فلما أتى به خالداً أمر فضربت عنقه وأخذ ما كان معه، ثم تواجه خالد وأهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة، وكل قبيلة مع أميرها من الأعراب، وجعل خالد دومة بينه وبين جيش عياض بن غنم، وافترق جيش الأعراب فرقتين، فرقة نحو خالد، وفرقة نحو عياض، وحمل خالد على من قبله، وحمل عياض على أولئك، فأسر خالدِ الجودي، وأسر الأقرع بن حابس وديعة، وفرت الأعراب إلى الحصن فملؤوه وبقي منهم خلق ضاق عنهم، فعطفت بنو تميم على من هو خارج الحصن فأعطوهم ميرة فنجا بعضهم، وجاء خالد فضرب أعناق من وجده خارج الحصن، وأمر بضرب عنق الجودي ومن كان معه من الأسارى، إلا أسارى بني كلب فإن عاصم بن عمرو والأقرع بن حابس، وبني تميم أجاروهم، فقال لهم خالد: مالي ومالكم أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم بن عمرو: أتحسدونهم العافية وتحوّذونهم الشيطان، ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة، وسبوا الذراري فبايعوهم بينهم فيمن يزيد، واشترى خالد يومئذٍ ابنة الجودي، وكانت موصوفة بالجمال، وأقام بدومة الجندل ورد الأقرع إلى الأنبار، ثم رجع خالد

إلى الحيرة، فتلقاه أهلها من أهل الأرض بالتقليس، فسمع رجلاً منهم يقول لصاحبه: مر بنا فهذا يوم فرح الشر.

خبر وقعتي الحصيد والمضيَّح

قال سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا: وكان خالد أقام بدومة الجندل فظن الأعاجم به وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبرقان، وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أعبد بن فدَكي السعدي وأمره بالحصيد وبعث عروة بن أبي الجعد البارقي وأمره بالخنافس، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه، فبعث القعقاع بن عمرو أميراً على الناس، فالتقوا بمكان يقال له الحصيد، وعلى العجم رجل منهم يقال له روزبه، وأمده أمير آخر يقال له زرمهر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهزم المشركون فقتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً، وقتل القعقاع بيده زرمهر، وقتل رجل يقال له عصمة بن عبد الله الضبي روزبه. وغنم المسلمون شيئاً كثيراً، وهرب من هرب من العجم، فلجأوا إلى مكان يقال له خنافس، فسار إليهم أبو ليلى بن فدكي السعدي، فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المضيح، فلما استقروا بها بمن معهم من الأعاجم والأعارب قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود، وقسم الجيش ثلاث فرق، وأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنامهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شبهوا إلا بغنم مصرعة، وقد روى ابن جرير عن عدي بن حاتم قال: انتهينا في هذه الغارة إلى رجل يقال له حرقوص بن النعمان النمري، وحوله بنوه وبناته وامرأته، وقد وضع لهم جفنة من خمر وهم يقولون: أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت؟ فقال لهم: اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها، فشربوا وجعل يقول:

ألا يا اسقياني قبل نائرة الفجر لعل منايانا قريب ولا ندري

القصيدة إلى آخرها، قال: فهجم الناس عليه فضرب رجل رأسه فإذا هو في جفنته، وأخذت بنوه وبناته وامرأته، وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصديق بالأمان ولم يعلم بذلك المسلمون، وهما عبد العزى بن أبي رُهْم بن قرواش، قتله جرير بن عبد الله البجلي، والآخر لبيد بن جرير، قتله بعض المسلمين، فلما بلغ خبرهما الصديق وداهما، وبعث بالوصاة بأولادهما، وتكلم عمر بن الخطاب في خالد بسببهما، كما تكلم فيه بسبب مالك بن نويرة، فقال له الصديق: كذلك يلقى من يساكن أهل الحرب في ديارهم، أي الذنب لهما في مجاورتهما المشركين، وهذا كما في الحديث «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مَنْ سَاكَنَ الْمُشْرِكَ فِي دَارِهِ**» وفي الحديث الآخر «**لا تَرَاءَى نَارَاهُمَا**» أي لا يجتمع المسلمون والمشركون في محلة واحدة. ثم كانت وقعة الثنى والزُّميل وقد بيتوهم فقتلوا من كان هنالك من

الأعراب والأعاجم فلم يفلت منهم أحد ولا انبعث بخبر، ثم بعث خالد بالخمس من الأموال والسبي إلى الصديق، وقد اشترى علي بن أبي طالب من هذا السبي جارية من العرب وهي ابنة ربيعة بن بجير التغلبي، فاستولدها عمر ورقية رضي الله عنهم أجمعين.

وقعة الفراض

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهر رمضان مفطراً لشغله بالأعداء، ولما بلغ الروم أمر خالد ومصيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعاً كثيرة، واستمدوا تغلب وإياد والتمر، ثم ناهدوا خالداً فحالت الفرات بينهم فقالت الروم لخالد: اعبر إلينا، وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم، فعبرت الروم إليهم، وذلك للنصف من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة، فاقتتلوا هنالك قتالاً عظيماً بليغاً، ثم هزم الله جموع الروم وتمكن المسلمون من اقتفائهم، فقتل في هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرة أيام ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعزّ أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنه يسير في الساقة، وسار خالد في عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة في طريق لم يسلك قبله قط، ويأتي له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفاً على غير جادة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة، ولم يعلم أحد بحج خالد هذه السنة إلا القليل من الناس ممن كان معه، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك أيضاً إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش وكانت عقوبته عنده أن صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام، وقال له فيما كتب إليه: يقول له: وإن الجموع لم تشج بعون الله شجيك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تُدِلّ بعمل فإن الله له المنّ وهو وليّ الجزاء.

فصل فيما كان من الحوادث في هذه السنة

فيها أمر الصديق زيد بن ثابت أن يجمع القرآن من اللخاف والعسب وصدور الرجال، وذلك بعد ما استحر[1] القتل في القراء يوم اليمامة كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري، وفيها تزوج علي بن أبي طالب بأمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، وهي من أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس الأموي، وقد توفي أبوها في هذا العام، وهذه هي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة فيضعها إذا سجد ويرفعها إذا قام. وفيها تزوج عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وهي ابنة عمه، وكان لها محباً وبها معجباً، وكان لا يمنعها من الخروج

(١) في ط: استمر.

إلى الصلاة ويكره خروجها، فجلس لها ذات ليلة في الطريق في ظلمة فلما مرت ضرب بيده على عجزها، فرجعت إلى منزلها ولم تخرج بعد ذلك، وقد كانت قبله تحت زيد بن الخطاب، فيما قيل، فقتل عنها، وكانت قبل زيد تحت عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها، ولما مات عمر تزوجها بعده الزبير، فلما قتل خطبها علي بن أبي طالب فقالت: إني أرغب بك عن الموت، وامتنعت عن التزوج حتى ماتت، وفيها اشترى عمر مولاه أسلم ثم صار منه أن كان أحد سادات التابعين، وابنه زيد بن أسلم أحد الثقات الرفعاء. وفيها حج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان. رواه ابن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن رجل من بني سهم، عن أبي ماجدة، قال: حج بنا أبو بكر في خلافته سنة ثنتي عشرة، فذكر حديثاً في القصاص من قطع الأذن، وأن عمر حكم في ذلك بأمر الصديق. قال ابن إسحاق: وقال بعض الناس لم يحج أبو بكر في خلافته، وأنه بعث على الموسم سنة ثنتي عشرة عمر بن الخطاب، أو عبد الرحمن بن عوف.

فصل فيمن توفي في هذه السنة

قد قيل إن وقعة اليمامة وما بعدها كانت في سنة ثنتي عشرة، فليذكر ها هنا من تقدم ذكره في سنة إحدى عشرة من قتل باليمامة وما بعدها، ولكن المشهور ما ذكرناه.

بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان بن بشير، شهد العقبة الثانية، وبدراً وما بعدها، ويقال إنه أول من أسلم من الأنصار، وهو أول من بايع الصديق يوم السقيفة من الأنصار، وشهد مع خالد حروبه إلى أن قتل بعين التمر رضي الله عنه. وروى له النسائي حديث النحل. والصعب بن جثامة الليثي أخو محكم بن جثامة له عن رسول الله ﷺ أحاديث، قال أبو حاتم: هاجر وكان نزل ودان ومات في خلافة الصديق.

أبو مرثد الغنوي واسمه كناز[1] بن الحصين ويقال ابن حصين بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن خيلان بن غنم بن غنى بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار أبو مرثد الغنوي، شهد هو وابنه مرثد بدراً، ولم يشهدها رجل هو وابنه سواهما، واستشهد ابنه مرثد يوم الرجيع كما تقدم، وابن ابنه أنيس بن مرثد بن أبي مرثد له صحبة أيضاً، شهد الفتح وحنيناً وكان عين رسول الله ﷺ يوم أوطاس فهم ثلاثة نسقاً، وقد كان أبو مرثد حليفاً للعباس بن عبد المطلب، وروي له عن النبي ﷺ حديث واحد أنه قال: **«لا تُصَلُّوا إلى القُبُورِ ولا تَجْلِسُوا إلَيها»**، قال الواقدي: توفي سنة ثنتي عشرة، زاد غيره بالشام، وزاد غيره عن ست وستين سنة، وكان رجلاً طويلاً كثير الشعر، قلت: وفي قبلي دمشق قبر يعرف بقبر كثير، والذي قرأته على قبره هذا قبر كناز بن الحصين صاحب رسول الله ﷺ، ورأيت على ذلك المكان روحاً وجلالة، والعجب أن

(١) في ط: معاذ.

الحافظ ابن عساكر لم يذكره في تاريخ الشام فالله أعلم.

وممن توفي في هذه السنة

أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي زوج أكبر بنات رسول الله ﷺ زينب، وكان محسناً إليها ومحباً لها، ولما أمره المشركون بطلاقها حين بعث رسول الله ﷺ أبى عليهم ذلك، وكان ابن أخت خديجة بنت خويلد واسم أمه هالة، ويقال هند بنت خويلد واختلف في اسمه فقيل: لقيط، وهو الأشهر، وقيل: مهشم وقيل: هشيم، وقد شهد بدراً من ناحية الكفار فأسر، فجاء أخوه عمرو بن الربيع ليفاديه وأحضر معه في الفداء قلادة كانت خديجة أخرجتها مع ابنتها زينب حين تزوج أبو العاص بها، فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة وأطلقه بسببها، واشترط عليه أن يبعث له زينب إلى المدينة فوفى له بذلك، واستمر أبو العاص على كفره بمكة إلى قبيل الفتح بقليل، فخرج في تجارة لقريش فاعترضه زيد بن حارثة في سرية فقتلوا جماعة من أصحابه وغنموا العير، وفر أبو العاص هارباً إلى المدينة فاستجار بامرأته زينب فأجارته، فأجاز رسول الله ﷺ جوارها، ورد عليه ما كان معه من أموال قريش، فرجع بها أبو العاص إليهم، فرد كل مال إلى صاحبه، ثم تشهد شهادة الحق وهاجر إلى المدينة، ورد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول وكان بين فراقها له وبين اجتماعها ست سنين وذلك بعد سنتين من وقت تحريم المسلمات على المشركين في عمرة الحديبية، وقيل إنما ردها عليه بنكاح جديد فالله أعلم. وقد ولد له من زينب علي بن أبي العاص، وخرج مع علي إلى اليمن حين بعثه إليها رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يثني عليه خيراً في صهارته، ويقول: حدثني فصدقني وواعدني فوفاني، وقد توفي في أيام الصديق سنة ثنتي عشرة. وفي هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب بابنته أمامة بنت أبي العاص، بعد وفاة خالتها فاطمة، وما أدري هل كان ذلك قبل وفاة أبي العاص أو بعده فالله أعلم.

فهرس المحتويات

ثياب النبي وسلاحه ومراكبه وخاتمه ٣
باب في ترك الخاتم ٤
ذكر سيفه عليه السلام ٦
ذكر نعله التي كان يمشي فيها عليه السلام ٨
صفة قدح النبي ﷺ ٩
ذكر ما ورد في المكحلة التي كان عليه السلام يكتحل منها ٩
البردة ٩
ذكر أفراسه ومراكيبه عليه الصلاة والسلام ١٠

كتاب الشمائل

شمائل رسول الله ﷺ وبيان خلقه الطاهر ١٣
باب ما ورد في حسنه الباهر ١٣
صفة لون رسول الله ﷺ ١٥
صفة وجه رسول الله ﷺ ١٧
ذكر شعره عليه السلام ٢٢
ذكر ما ورد في منكبيه وساعديه وإبطيه وقدميه وكعبيه ﷺ ٢٤
صفة قوامه عليه السلام وطيب رائحته ٢٦
صفة خاتم النبوة الذي بين كتفيه ﷺ ٢٩
باب أحاديث متفرقة وردت في صفة رسول الله ﷺ ٣٢
حديث أم معبد ٣٢
حديث هند بن أبي هالة في ذلك ٣٥
باب ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة ﷺ ٣٨
ذكر كرمه عليه أفضل الصلاة و السلام ٤٦
ذكر مزاحه عليه السلام ٥٠
باب زهده عليه السلام وإعراضه عن هذه الدار ٥٢
حديث بلال ٥٩

فصل: عبادته عليه السلام واجتهاده في ذلك ٦٢
فصل في شجاعته ﷺ ٦٣
فصل فيما يذكر من صفاته عليه السلام في الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين ٦٤

كتاب دلائل النبوة

باب دلائل النبوة الحسية ٧٧
رواية جبير بن مطعم ٧٨
رواية حذيفة بن اليمان ٧٨
رواية عبد الله بن عباس ٧٨
رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب ٧٩
رواية عبد الله بن مسعود ٧٩
تصحيح رد الشمس وترغيم النواصب الشمس ٨٣
فصل المعجزات الأرضية ٩٦
طريق أخرى عن أنس ٩٦
حديث البراء بن عازب ٩٧
حديث آخر عن جابر في ذلك ٩٨
حديث آخر عن ابن عباس في ذلك ١٠٠
حديث عن عبد الله بن مسعود في ذلك ١٠٠
حديث عن عمران بن حصين في ذلك ١٠١
حديث عن أبي قتادة في ذلك ١٠١
حديث آخر عن أنس يشبه هذا ١٠٢
باب ما ظهر في البئر التي كانت بقباء من بركته ١٠٤
باب تكثيره عليه السلام الأطعمة ١٠٤
تكثيره عليه السلام السمن لأم سليم ١٠٦
ذكر ضيافة أبي طلحة الأنصاري رسول الله ﷺ ١٠٧
طريق آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه ١٠٨
حديث آخر عن أبي هريرة في ذلك ١١٣
حديث آخر عن أبي أيوب في ذلك ١١٣
قصة أخرى في تكثير الطعام في بيت فاطمة ١١٤
قصة أخرى في بيت رسول الله ﷺ ١١٤

قصة قصعة بيت الصديق ١١٥
حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبي بكر في هذا المعنى ١١٥
حديث آخر في تكثير الطعام في السفر ١١٦
حديث آخر عن عمر بن الخطاب في هذه القصة ١١٧
حديث آخر عن سلمة بن الأكوع في ذلك ١١٨
قصة جابر ودين أبيه وتكثيره عليه السلام التمر ١١٩
قصة سلمان ١١٩
ذكر مزود أبي هريرة وتمره ١١٩
طريق أخرى عنه ١١٩
طريق أخرى عن أبي هريرة في ذلك ١٢٠
طريق أخرى ١٢٠
حديث عن العرباض بن سارية ١٢٠
حديث الذراع ١٢٣
طريق أخرى عن أبي رافع ١٢٤
باب انقياد الشجر لرسول الله ﷺ ١٢٦
طريق أخرى فيها أن العامري أسلم ١٢٧
حديث آخر عن ابن عمر في ذلك ١٢٨
باب حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ وشغفاً من فراقه ١٢٨
الحديث الأول عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه ١٢٨
الحديث الثاني عن أنس بن مالك رضي الله عنه ١٢٩
الحديث الثالث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ١٣٠
الحديث الرابع عن سهل بن سعد ١٣٢
الحديث الخامس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١٣٢
الحديث السادس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ١٣٢
طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنه ١٣٣
الحديث السابع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ١٣٣
الحديث الثامن عن عائشة رضي الله عنها ١٣٤
الحديث التاسع عن أم سلمة رضي الله عنها ١٣٤
باب تسبيح الحصى في كفه عليه الصلاة والسلام ١٣٥

باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة ١٣٨
رواية جابر في ذلك ١٣٨
رواية ابن عباس ١٣٨
رواية أبي هريرة ١٣٩
رواية عبد الله بن جعفر في ذلك ١٤٠
رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في ذلك ١٤٠
رواية يعلى بن مرة الثقفي، أو هي قصة أخرى ١٤٠
حديث آخر غريب في قصة البعير ١٤٤
حديث في سجود الغنم له ﷺ ١٤٥
قصة الذئب وشهادته بالرسالة ١٤٦
طريق أخرى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ١٤٦
حديث أبي هريرة في ذلك ١٤٧
حديث أنس في ذلك ١٤٧
حديث ابن عمر في ذلك ١٤٧
حديث آخر عن أبي هريرة في الذئب ١٤٨
قصة الوحش الذي كان في بيت النبيّ ﷺ وكان يحترمه عليه السلام ويوقره ويجله ١٤٩
قصة الأسد ١٤٩
حديث الغزالة ١٥٠
حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة ١٥١
حديث الحمار ١٥٣
حديث الحمرة وهو طائر مشهور ١٥٣
حديث آخر في ذلك وفيه غرابة ١٥٤
حديث آخر فيه كرامة لتميم الداري ١٥٥
حديث فيه كرامة لولي من هذه الأمة ١٥٥
قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمي ١٥٦
قصة زيد بن خارجة بعد الموت ١٥٨
باب في كلام الأموات وعجائبهم ١٦٠
حديث غريب جداً ١٦٠
قصة الصبيّ الذي كان يصرع فدعا له عليه السلام فبرأ ١٦١

طريق أخرى عن أنس ١٧٢
طريق أخرى عن أنس ١٧٣
باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب عنها بما يطابق الحق الموافق لما لها في الكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء ١٧٣
حديث آخر يتضمن اعتراف اليهود بأنه رسول الله ويتضمن تحاكمهم ولكن بقصد منهم مذموم ١٧٧
جوابه ﷺ لمن سأل عما سأل قبل أن يسأله عن شيء منه ١٨٣
باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده ١٨٤
فصل في الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلة ١٩١
فصل في ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلة بعده ﷺ ١٩٢
ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلة ٢٠٢
ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة في آخر أيام عثمان وخلافة عليّ ٢٠٨
إخباره عن الحكمين اللذين بعثا في زمن علي رضي الله عنه ٢١٦
إخباره ﷺ عن الخوارج وقتالهم ٢١٦
إخباره ﷺ بمقتل عليّ بن أبي طالب فكان كما أخبر ٢١٨
إخباره ﷺ بذلك وسيادة ولده الحسن بن علي في تركه الأمر من بعده وإعطائه لمعاوية ... ٢٢٠
إخباره ﷺ عن غزاة البحر إلى قبرص ٢٢٢
باب ما قيل في قتال الروم ٢٢٣
الإخبار عن غزوة الهند ٢٢٤
فصل في الإخبار عن قتال الترك ٢٢٤
خبر آخر عن عبد الله بن سلام ٢٢٥
الإخبار عن بيت ميمونة بنت الحارث بسرف ٢٢٦
ما روي في إخباره عن مقتل حجر بن عديّ وأصحابه ٢٢٦
خبر رافع بن خديج ٢٢٨
إخباره عليه السلام لما وقع من الفتن من بني هاشم بعد موته ٢٢٨
الإخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ٢٣٠
ذكر الأخبار عن وقعة الحرة التي كانت في زمن يزيد أيضاً ٢٣٤
معجزة أخرى ٢٣٦
ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز، تاج بني أمية ٢٣٩

حديث آخر في صحته نظر في ذكر وهب بن منبه بالمدح، وذكر غيلان بالذم ٢٤٠
الإشارة إلى محمد بن كعب القرظي وعلمه بتفسير القرآن وحفظه ٢٤١
ذكر الإخبار بانخرام قرنه ﷺ بعد مائة سنة من ليلة إخباره ٢٤١
حديث آخر ٢٤٢
الإخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد ٢٤٢
ذكر الإخبار عن خلفاء بني أمية جملة من جملة ٢٤٤
الإخبار عن دولة بني العباس (وكان ظهورهم من خراسان في سنة ثنتين وثلاثين ومائة) ٢٤٥
ذكر الإخبار عن الأئمة الاثني عشر الذين كلهم من قريش ٢٤٨
ذكر الإخبار عن أمور وقعت في دولة بني العباس ٢٥١
حديث آخر فيه إشارة إلى مالك بن أنس الإمام رحمه الله ٢٥١
حديث آخر فيه إشارة إلى محمد بن إدريس الشافعي ٢٥١
القول فيما أوتي نوح عليه السلام ٢٥٨
قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمي ٢٦٠
قصة أخرى شبيهة بذلك ٢٦٠
القول فيما أوتي هود عليه السلام ٢٦٥
القول فيما أوتي صالح عليه السلام ٢٦٥
القول فيما أوتي إبراهيم الخليل عليه السلام ٢٦٦
القول فيما أوتي موسى عليه السلام من الآيات البينات ٢٧٢
قصة أبي موسى الخولانيّ ٢٧٨
باب ما أعطي رسول الله ﷺ، وما أعطي الأنبياء قبله ٢٧٩
قصة حَبْسِ الشَّمْسِ ٢٧٩
القول فيما أعطي إدريس عليه السلام ٢٨١
القول فيما أوتي داود عليه السلام ٢٨٣
القول فيما أوتي سليمان بن داود عليه السلام ٢٨٥
القول فيما أوتي عيسى ابن مريم عليه السلام ٢٨٨
قصة أخرى ٢٨٩
قصة الأعمى الذي رد الله عليه بصره بدعاء رسول الله ﷺ ٢٩٢
قصة أخرى ٢٩٢

سنة إحدى عشرة من الهجرة

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٢٩٨
فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد ٣٠١
مقتل الأسود العنسي المتنبي الكذاب لعنه الله وأخزاه ٣٠٢
صفة خروجه وتمليكه ومقتله ٣٠٣
خروج الأسود العنسي ٣٠٤
فصل فِي تَصَدِّي الصِّدِّيق لقتال أهل الرِّدَّة ومانعي الزكاة ٣٠٧
[ذكر] خروجه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر ٣١١
فصل في مسيرة الأمراء من ذي القصة على ما عوهدوا عليه ٣١٣
وقعة أخرى ٣١٥
قصة الفجاءة ٣١٦
قصة سجاج وبني تميم ٣١٦
فصل في خبر مالك بن نويرة اليربوعي التميمي ٣١٨
مقتل مسيلمة الكذاب [لعنه الله وأخزاه] ٣١٩
ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام ٣٢٣
ذكر ردة أهل عمان ومهرة واليمن ٣٢٥
ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان ٣٢٧
أم أيمن بركة بنت ثعلبة ٣٢٩
ثابت بن أقرم بن ثعلبة ٣٢٩
ثابت بن قيس بن شماس ٣٣٠
حزن بن أبي وهب ٣٣١
زيد بن الخطاب ٣٣١
سالم بن عبيد ٣٣١
أبو دجانة سماك بن خرشة ٣٣٢
شجاع بن وهب ٣٣٢
الطفيل بن عامر بن طريف ٣٣٣
عباد بن بشر بن وقش الأنصاري ٣٣٣
السائب بن عثمان بن مظعون ٣٣٣
السائب بن العوام ٣٣٣

عبد الله بن سهيل بن عمرو ٣٣٣
عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ٣٣٣
عبد الله بن أبي بكر الصديق ٣٣٤
عُكاشة بن محصن ٣٣٤
معن بن عدي ٣٣٤
أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ٣٣٥
الأنصار ٣٣٥

سنة اثنتي عشرة من الهجرة النبوية

بعث خالد بن الوليد إلى العراق ٣٣٨
فتح خالد للأنبار، وتسمى هذه الغزوة ذات العيون ٣٤٣
وقعة عين التمر ٣٤٤
خبر دومة الجندل ٣٤٥
خبر وقعتي الحصيد والمضيَّح ٣٤٦
وقعة الفراض ٣٤٧
فصل فيما كان من الحوادث في هذه السنة ٣٤٧
فصل فيمن توفي في هذه السنة من الأعيان ٣٤٨
بشر بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ٣٤٨
أبو مرثد الغنوي ٣٤٨
أبو العاص بن الربيع ٣٤٩






Bibliotheca Alexandrina
0433505